منباحث العقيدة في سُورَة الرّمْضان

تأليف
ناصِر بن عِلي عَابِض حَسن الشِّيخ

مكتبة الدُّرُيشد
الرياض
(ح) مكتبة الرشد ، 1415 ه

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

الشيخ ، ناصر بن علي

مباحث العقيدة في سورة الزمر.

754 ص ، 17 × 25 سم

ردمك 9 – 440 – 1990 (المجموعة)

2 – 420 – 1 – 1970 (ج 1)

0 – 430 – 1 – 1990 (ج 2)

1 - القرآن - مباحث عامة ، 2 - العقيدة الإسلامية أ - العنوان ديوى 240

رقم الإبداع 13/197/10

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
1415 هـ - 1995 م

الناشر
مكتبة الرشد للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز

مر ب : 17522 الرياض : 11494 هاتف : 4087711

tel : 4073381 فاكس مث : 4073381

فروع القلم بريدة حي الصفراء
صل ب : 4276 هاتف وفاكس مث : 4818919
نماذج للدروس

 Filed: 00001234567890

سورة القصاء
شكر وتقدير

أصل هذا الكتاب رسالة تقدم بها المؤلف ليل العالمية الماجستير من شعبة العقيدة بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية - بالمدينة النبوية وتمت مناقشتها بتاريخ 21/7/1406 هـ من قبل اللجنة المكونة من:

1) فضيلة الشيخ: عبد المحسن بن حمد العباد.
2) فضيلة الشيخ: عبد الله بن محمد الغنيماني عضواً.
3) فضيلة الدكتور: علي بن محمد ناصر فقيهي عضواً.
وأجازوا الرسالة بتقدير «متاز».

كما أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية ممثلة في القائمين عليها الذين قاموا بما يجوب عليهم نحو طلابهم خير قيام وحرصوا على تقديم كل ما يعيهم على أداء مهمتهم وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ومن علينا بالتوقيع والسداد إنه جواد كريم وهو حسناً ونعم الوكل.

0
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتغفروه ونتبهديه ونوعوذ بالله من شرور أنفسنا،
ومن سيئات أعمالنا، من يده الله فهو المهتدي، ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مشرداً،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، وأهتدى بهدى وسلم تسلموا كثيراً. أما بعد:

فإن أحق ما يشتغل به الباحثون، وأفضل ما يتاسب فيه المتخصصون، وأجمل ما يتنافس
فيه المتنافسان هو دراسة كتاب الله تعالى، ومواصلة البحث فيه، والعمق في الكشف عن
علومه وحقائقه، وإظهار إجازاته، ونيلية محاسنه والدفاع عنه بنفي الشكوك، والريب
فيه.

فالقرآن الكريم بحر لا يدرك غوره، ولا تفقه دره ولا تنقضي عجائبه فما أحق
الأعمال أن تبنى فيه، والأزمان أن تشغله، وكل ساعة تقضية الباحث في النظر في كتاب
الله، والتأمل فيه، أو في البحث فيما ينصبه فهمه في سبيل الله ونصرة لدنياه.
والقرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بلفظه
ومعناه نقل إلينا بالتواريع المفيد للقطع والчикين، أحكمه أثبتنا إحكامه، وفصله، فعنى
تقصيه كما قال تعالى: "كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير" (1) لا
يتطرق إليه نقض ولا باطل قال تعالى: "وأي كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزل من حكيم حميد" (2).

والقرآن العظيم هو المعجزة العظمى التي أتيها نبينا ﷺ، وهو الحجة البالغة

---
(1) سورة هود آية: 1
(2) سورة فصلت آية: 41-42
البقية على مر الدهور والعصور تحدى الإنس والجن أن يأتوا بهم، أو يبعضهم فيها بالعجز.

والقرآن الكريم هو هدياً لله لخلقه، وشرعيته في أرضه. وهو الكتاب الذي اشتمل على كل ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم في العقائد والأخلاق، وفي العبادات والمعاملات، وله في ذلك حكيم كل الحكمه لا يعرفه خلل ولا اختلاف، ولا تنافض قال تعالى: ۖ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً؟ ۗ ۖ (١)
 فلا عجب إذن أن كانت السعادة الحقيقة لا تتنازل إلا بالإهداء بهده، والإلتزام بما جاء به، ولا عجب أن كان مصدراً لشفاء الأمراض التي تعرج النفس والمجتمعات، فاهتادت به القلوب بعد ضلالة وأبصرت العيون بعد غموض، واستنارت مآساه بعد جهالة، واستضاءت به الدنيا بعد ظلمات ۖ إن هذا القرآن يهدي للث ضال ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً، وأن الذين لا يؤمنون بالأيام أعدان لهم عذاباً أليمًا ۗ ۖ (٢) ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد ظالمين إلا خسارة ۗ ۖ (٣).
قد جاهم من الله نور وكتب مبين ۖ يهدى به الله من اتباع رضوانه سبل السلام، وبخرجه منهم الظلمات إلى النور بإذن واليهم إلى ضواحي مستقيم ۗ ۖ (٤).

والقرآن الكريم هو الكتاب الذي بين الله فين في سنة رسوله للناس، ما يجب له على عباده من إفراد بجميع أنواع العبادة، وإخلاص الدين له وحده لا شريك له أنزله الله ليتمسك العبادة بما فيه من أوامر ويجتنبا الأمور التي نهي عنها، فيجب عليهم الإلتزام بما فيه عقيدة وسلوكاً قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً.

وهو الكتاب الذي بين الله فيه العقيدة الصحيحة بأسلوب سهل يفهمه جميع الناس على اختلاف مستوياتهم، فقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ما وصف الله به.

(١) سورة الأنساء آية: ٨٢.
(٢) سورة الإسراء آية: ١٠٩.
(٣) سورة الإسراء آية: ٨٢.
(٤) سورة المائدة آية: ١٦-١١٥.
نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه الروح الأمين، وبما أوعى إليه ربه تعالى فلم يسأل أن أحد من العرب بأسرهم قروهم وبدوهم عن متعه شيء من ذلك كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة، والصيام والحج وغير ذلك مما لا فيه سبحانه - أورونبير - وكما سألوه عن أحوال القيامة والانفتاح والثواب والغيب وال миров، إن تقلت الأحاديث الواردة عنه في أحكام الحلال والحرام، وفي الزكاة، والصلاة، وأحوال القيامة، والملاعمة والفنف والفنون، وما تضمنته كتب الحديث مما تضمنها ومساندها وجوامعها، ومن أمن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الأثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح، ولا سبيهم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم، وكثيرًا ما عدهم أنه سأله رسول الله  عن معنى شيء مما وصفه سبحانه - نفسه الكريمة في القرآن الكريم، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات نعم، ولا رق أحد منهم بين كونها صفة ذات أصالة فعل، وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزيلية من العلم والقدرة والحياة والإدراك، والسمع والبصر، والكلام، والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة والعظماء، وسقوا الكلام سوقًا واحدًا.

وهكذا أثبتوا رضي الله عنهم بالشبيبة، ونزهو من غير تعطيل ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا، ورواوا بأجمعهم إجراء الصفات، كما وردت. ولم يكن عند أحد منهم ما ينتبئ به على وحدانية الله تعالى، وعلى إثبات نبوة محمد ﷺ سوى كتاب الله، ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفية فمضى عصر الصحابة رضي الله عنهم على هذا.

وتبنيت لتلفي الصحابة العقيدة الصافية النقيفة من مصدرها الكتاب والسنة، وتسمى به كناوا أجاية، جاءت للناس، وكانوا مضرع الأفكار في الإيمان والإخاء والعدل والرفاء، والوفاء والوفاء، وصاروا علماء حكام رحمة، ومنذ القادة في الحكم والحرب والساحة لم يوجد لهم من بعدهم مثيل كما أنه لم يوجد قبلهم بعد الأنبياء والمرسلين من بعاليهم، فقد نعم العالم في زمنهم برغبة العيش والأمن والسلام حقيقةً من الزمان في ظل العقيدة الإسلامية، وكانت دولة الإسلام في عهدهم دولة مرحة.

(11) الخليفة للمقريزي 2/356، وانظر وتيليس إيليس لأبي الجوزي ص 448.
الجانب ذل لها كل عدو للإسلام والمسلمين، وكانت تلك الدولة الإسلامية تستمد قوتها من تمسكها بعقيدة التوحيد النبوية التي لم تنس بالفلسفة اليونانية، والطرق الكلاسيمة فكانت عقيدتهم صافية نقيّة كما أخذوها من الكتب المبين.

ومن السنة النبوية الصحيحة التي أوحاه الله إلى نبيه محمد ﷺ فقوية شرفة

الإسلام وسيطرة سلطان العقيدة على أرجاء المعمورة.

ولما حدثت الطرق الكلاسيمة، والمذاهب الفلسفية تمزقت الأمّة وانقسمت فرقًا وأحزابًا، فأخذ الضعف ينخر في أمة الإسلام شيئاً فشيئاً حتى تدهورت العقيدة من نفوس المسلمين، واهتز الإيمان في قلوبهم، وكان لضعف العقيدة عند المسلمين الأشر السيء في جميع نواحي الحياة، ولقد فهم أعداء المسلمين أن مصدر قوة المسلمين إغاثو في تمسكهم بعقيدتهم، والتزامهم بما في كتاب ربه فأخذوا يعودون عليه في هذا الكتاب من الخير الدنيوي والآخري بالدعوة إلى عدم تحكيه واستبداله بقوانين البشر الطاغوطية فكانت حالة المسلمين على ما ترياني ضعفنا عن الوصول إلى غاياتهم من قيادة الهم، وحدودة الشعوب، ينتازعهم أعداؤهم من جميع الجهات، ويسعون جاهدين لإضعافهم وإذلالهم نتيجة لتخليهم عن هذا الكتاب الذي هو مصدر قوة عقيدتهم، وعزهم، ورفع رايتهم وجمع كلمتهم، فأصبحوا فريسة لأعدائهم ضعفاء مهزومين متذللين لهم ينظرون إليهم بعين الإكبار والإجلال وهذه الهوة وقع فيها أكثر المسلمين إلا من رحم الله تعالى ولا يمكن أن يعود للمسلمين عزهم ومجدهم إلا بالعودة للتمسك بعقيدتهم المستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة إذ لا تصف عقيدة المسلمين باعتقلها من شواهد الشرك والبدع إلا بالرجوع إلى هذين المصدرين الذين صلحت بهما الدنيا، وحينئذ يعود للمسلمين شأنهم كما كان للفلفضة الصالحين الذين حملوا راية الإسلام، وسعوا جاهدين في نشر العقيدة الإسلامية الصافية النقيّة حتى عمت معظم الكورة الأرضية.

فنعم الناس في ظلها بالأمن والرخاء والسعادة.

فالكتاب العزيز اشتمل على بيان العقيدة الصحيحة وتجليتها، والناظر فيه يجد أن معانيه ودائرته على التوحيد وبراهينه والعلم بالله وما له من أوصاف الكمال، وما ينجز عنه من

__________

(1) نظر الخطاط للمقريزي 2/344 1350 هـ.
المقدمة

القدّاسة النبوية، وعلى الإيمان بالرسول، وذكرت برازين صدقيهم، وأدلة صحة نبويتهم، والتعريف بحقوقهم، وحقوق مرسلهم، وعلى الإيمان بملائكته، وهم رسله في خلقه وأمره، وتذكيرهم الأموي بارث ومشيته، وما جعلوا عليه من أمر العالم العلوي والسفلي، وما يختص بالنوع الإنساني منهم من حين يستقر في رحم إله إلى يوم يرجى ربه، ويقدم عليه وعلى الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله به لأوليائه من دار النعيم المطلق التي لا يشعرون فيها بالألم ولا تذكر، وتغيص، وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيب التي لا يخشىها سرور، ولا رحاء، ولا راحة، ولا فرح، وفصل ذلك أن تفصيل وأبيته، كما أشتم على تفاصيل الأسر والنهي والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواعظ والعبر، والقصص والأمثال، والأسباب والحكم، والمبادئ والغايات في خلقه وأمره١).

وهكذا اشتمل القرآن العظيم على بيان وحدانية الخالق ونافذته بصفات الكمال والحلال، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل الكرام، وحث الناس على الإيمان بالبعث والمعاد.

وجوه العقول والمؤسسات إلى النظر في النفس وما فيها من عجب والذكاء وآسرار (وفي نفسك أفل تبصرون)٢) كما وجهها إلى النظر في الأفكار والأيات الكونية عليها وسفيتها، ظاهرها وخفيها وعما ينطوي عليه من حكم، وما أوعد الله فيها من خواص وسنن وأفاض في ذلك في غير ما آية وسورة (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما يفعت الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وثبت فيها من كل دابة ووصف الرياح والسحب المشرخ بين السماء والأرض لأيام لقوم يعقلون٣) (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لأيام لأولى الألباب٤) (وفي الأرض قطم متجاورات وجنات من أعوان وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان٥) يُستّم برنامج واحد وتفصيل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك آيات

١) مدارج السالكين، ٤٥٢/١.
٢) سورة (الذاريات آية: ٢١) .
٣) سورة (البقرة آية: ١٤) .
٤) سورة (العمران آية: ١٩٠) .
٥) جمع صنوان: نخلات أصلها واحد ونخلات ليست كذلك.
لقوم يعقلون 

(1) إلى غير ذلك من الآيات التي لا يخصها العهد

وبالجملة كتاب الله قد استغل على كل ما يسعد الإنسان ويحتاج إليه في أمر دينه ودنياه، وما من مشكلة تعرية للأمة الإسلامية إلا وقد وضعت لها حلاً وعلاجاً يناسب معها ولكن المسلمين لما أعترضوا عليه وجعلوه وراء ظهورهم، وقفوهم أمام مشكلاتهم حارين مع أن هذا الكتاب المبين قد أباب لهم كل خير، ووضع لهم جميع أسباب النجاة وأعظم السبب يكفل لهم سعادتهم في الدنيا والآخرة هو تمسكهم بالعقيدة السلفية الصحيحة وإخلاصهم العبادة له - وحده لا شريك له - وإنه بالغابة التي خلق الله الخليقة من أجلها وما خلق الحج والإنس إلا ليعبدون(2) - ومن أجلها أرسل الله الرسول وأنزل الكتب، فالرجل عليهم الصلاة والسلام جميعهم من لند نوح إلى النبي محمد ﷺ دعوا أقوامهم إلى توحيد الله - عز وجل - (وما أرسلنا من قبل من رسول إلا نوح إلى أنه إلا أنا فاعبدون(3).

ولقد بعثنا في كل أمر رسول أن آبوا الله واجنبا الطاغوت(4) فالتسويف هو العبد الأول في حياة الإنسان، ولذلك زخر القرآن بأياته وسوره بالدعوة إلى عقيدة التوحيد وإخلاصها لله وحده لا شريك له فلا نجاة ولا سعادة، ولا فوز ولا فلاح لأحد من العباد إلا بتحقيق عقيدة التوحيد طبقاً لما في الكتاب المبين وسنة نبي الله صل الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد اختير أن يكون موضوع رسالتنا ل_degree «العالمية الماجستير» مباحث

العقيدة في [سورة الزمر].

سبب اختياري لهذا الموضوع:

إن سبب اختياري لسورة [الزمر] لتكون موضوع رسالتي هذه ذلك لأنها من أكثر سور القرآن شمولًا لكثر من مباحث العقيدة الإسلامية وهي من السور الهامة(5) التي

1) سورة الرعد آية: 4.
2) سورة التاريات آية: 51.
3) سورة الأنبياء آية: 25.
4) سورة النحل آية: 34.
5) الله، إلا ما روي عن ابن عباس أن وحنان بن حزيمة رضي الله عن نزل فيه بضع آيات منها: "قل يا عبادي الذين أسرونا على أنفسهم للاختفاء من رحمة الله..." إلى آخر ثلاث آيات، وقيل: إلى آخر سبع آيات.
عالجت قضايا العقيدة على سبيل التفصيل، فقد تناولت الحديث عن التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الأسماء والصفات وذلک بذکر الكثير من صفات الله تعالى - إثباتاتها له كما يليق بجلالته، وتوحید الألوهیة: وذلک بذکر الكثير من أنواع العبادة التي لا يستحقها إلا الله تعالى - وتوحید الر indef: وذلک بذکر الكثير من دلائل المحسوسة التي يمسها العباد ويشاهدوقا في حياتهم، وأشملت أيضا: على بيان ما يناظر التوحيد ويتافي وهو الشرک بالله العظیم، وذلک بذکر الفرق بين المشرك والموحد وأصل الشرک في بني الإنسان، وذم الإنسان الذي يجعل الله أندادا، وبيان أن الشرک محظ للعمل وأن صاحبه من الخاسرين.

ثم انتقل الحديث فيما إلى وجوه الإيمان بالملائكة، والكتب والأنبياء والرسل، كما تناولت الحديث عن الإيمان بالقدر بذکر مراتبه الأربع، ثم ختم الحديث فيما عن وجوه الإيمان باليوم الآخر الذي يكون فيه المصير النهائي للمؤمنين والكافرين حيث بين الله في خاتمته أن الجنة دار المتقين، وأن النار دار الكافرين الذين يبدوا غير الله وآشروا معه غيره في العبادة فهي دارهم وبنفس المصير.

ومن هذا يعلم أن السورة تكاد تكون مقصورة من أولاها إلى آخرها على الإيمان بالإيمان بالله تعالى واته المعبد بحق دون سواه، وأنه المتفرد بصفات الكمال والجلال والإيمان بالملائكة والكتب والرسل عليهم السلام والإيمان بالقدر والبعث والمعاد، وأن هناك حياة أخرى خيرا من هذه الحياة فإذا ما آمن العباد بهذه العقائد سهل عليهم بعد تلقى التشريعة الغفوة والإلتزام بها علمها وعملا وسلوكا فمن أجل هذه المباحث المتقدمة التي عوضت لها سورة: الزمر [أحبت أن تكون موضوعاً لما يتعلق بالإيمان بالله تعالى واته معانيه تدبر آياته، وذلك من أحب الأعمال إلى الرجل جل وعلا - وأعظمها أجرا لأنه كلام الله، وكل عمل ينال بهذا الكتاب من أجل خدمته وتبينه للناس لعمله به فهو قريبة يقرب به إلى الله تعالى، فإنه ليس شئ أفعل للعبادة في معاشه ومعاهده وأقرب إلى نجاتهم من الإلتزام بما في هذا الكتاب المبين عقيدة وعمله.

- انظر: الدور المثير 7/750، زاد المسير 7/160، فتح القدر للشوكي 4/474، وانظر داء المزول للواحد من 249 لباب النزول للسيوطي ص 185، روح المعاي 22/143.
منهج البحث:

إن المنهج الذي اتبعته في إعداد رسالتي هذه هو كالآتي:

أولاً: حصرت مباحث العقيدة التي اشتملت عليها [سورة: الزمر] وجمعت الآيات التي تنطلق بكل مبحث على حدة، وجعلت لها عنواناً يتناسب مع ما تتناول عليه، ثم بنت وجه دلالتها على المسألة الإعتقادية مستعيناً في ذلك بأقوال أهل العلم الذين لهم جهود في توضيح العقيدة الإسلامية من علماء التوحيد من سلفنا الصالح كما استمعت بأقوال بعض المفسرين المتقدمين والمتأخرين وشرح الحديث.

ثانياً: أحياناً أكرر الآية الواحدة من [سورة: الزمر] تحت أكثر من عنوان وذلك للاستعمال عليها أكثر من مسألة من مسائل العقيدة فاضطر إلى إعادةها، وتكرارها في مباحث كثيرة من مباحث الرسالة.

ثالثاً: أذكر القول الحق في المسألة الإعتقادية وأذكر ما يخالفه غالباً مع بيان المرد عليه.

رابعاً: رتب الموضوعات التي وردت في هذه الرسالة على حسب ترتيب أركان الإيمان الستة الواردة في حديث عمر بن الخطاب والمشهور بحديث جبريل الطويل (1) ولم أجرتها على حسب ورودها في السورة غير أنني قدمت موضوع الإيمان بالقدر على الإيمان بالأيام الآخر لأن من المناسب موضوعاً أن يكون اليوم الآخر هو نهاية المطاف في هذه الرسالة.

خامساً: التزمت عند النقل من أي مرجع، أو الاستفادة منه الإشارة إلى رقم جزئه وصفحته بالإضافة إلى ذكر طبقات المراجع في الفهرست.


(1) صحيح مسلم 375/261.
 السابعا: عزوت الأحاديث التي أوردتها في الرسالة إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة المعتمدة بذكر الجزء والصفحة في الهامش مع بيان، درجة الحديث من خلال أقوال المحدثين إن كان الحديث من غير الصحيحين في الغالب.

ثامناً: ترجمت للأعلام الذين جرى نقل شيء من كلامهم في الرسالة.

تناسعاً: شرحت المفردات الغريبة التي وردت في بعض الأحاديث مستعيناً في ذلك بكتب غريب الحديث، ومعاجم اللغة، وشرح الحديث ثم ختمت الرسالة بالفهرس الآتي:

- فهرس الأعلام المترجم لهم مرتبة ترتيباً هجائياً.
- فهرس المصادر والمراجع مرتبة كذلك.
- فهرس الموضوعات.

خططة البحث

لقد قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وتشتمل المقدمة على بيان اشتمال القرآن على كل ما يسعد الإنسان في دنياه وأخراه، وعلى بيان اهتمام القرآن بالتوحيد والعقيدة الإسلامية كما تشمل على سبب اختياري لهذا الموضوع، والمنهج الذي سرت عليه في البحث وهذه الخطة التي بني عليها هذا البحث.

الباب الأول
دلالة السورة على الإيمان بالله تعالى

وفي أربعة فصول:

الفصل الأول: دلالة السورة على توحيد الأسماء والصفات ويشتمل على المباحث الآتية:

- البحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات.
- البحث الثاني: إثبات صفة العلوي والفوقية.
- البحث الثالث: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.
المبحث الرابع: إثبات صفة العزة.
المبحث الخامس: إثبات صفة الحكمة.
المبحث السادس: تنزيه الله تعالى من نسبة الولد إليه.
المبحث السابع: إثبات صفة الوحدانية والقهر.
المبحث الثامن: إثبات صفة الرحمة والمغفرة.
المبحث التاسع: إثبات صفة الغني لله تعالى.
المبحث العاشر: إثبات صفة الرضا.
المبحث الحادي عشر: إثبات صفة العلم.
المبحث الثاني عشر: بيان معنى اسمه تعالى «الوكيل».
المبحث الثالث عشر: إثبات صفة البديين.
الفصل الثاني: دلالة السورة على توحيد العبادة.

ويشتمل على المباحث الآتية:
المبحث الأول: تعريف توحيد العبادة.
المبحث الثاني: وجوب إفراد الله تعالى بتوحيد العبادة.
المبحث الثالث: أهمية الإخلاص في توحيد العبادة.
المبحث الرابع: عبودية الدعاء.
المبحث الخامس: عبودية الخوف.
المبحث السادس: عبودية الرجاء.
المبحث السابع: انقسام العبودية إلى عامة، وخاصة.
المبحث الثامن: الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل.
المبحث التاسع: بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن يجتبوه.
المبحث العاشر: عبودية الإنباء.
المبحث الحادي عشر: عبودية التوكل.
المبحث الثاني عشر: الشفاعة نوعان منفية، ومثبتة.
mالمبحث الثالث عشر: الرسول بعثه للدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة.

الفصل الثالث: دلالة السورة على توحيد الربوبية:

ويشمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية.
mالمبحث الثاني: دلائل توحيد الربوبية من السورة.
mالمبحث الثالث: إقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ بوجود الله تعالى.
mالمبحث الرابع: الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية.

الفصل الرابع: ما جاء في السورة بشأن الشرك ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف الشرك.
mالمبحث الثاني: أنواع الشرك.
mالمبحث الثالث: أصل الشرك في بني الإنسان.
mالمبحث الرابع: ذم الإنسان على جعله أندادًا لله تعالى.
mالمبحث الخامس: الفرق بين المشرك والموحد.
mالمبحث السادس: التحذير من الشرك وبيان أنه محظب للعمل.

الباب الثاني

دليل السورة على الإيمان بالملائكة والكتب، والرسول، والقدر

وفي أربعة فصول:

الفصل الأول: دلالة السورة على الإيمان بالملائكة وفيه مبحث:
mالمبحث الأول: تعريف الملائكة، ومن أي شيء خلقوا؟
الباب الثالث

صلاة السورة على الإيمان باليام الآخر

وفي ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مباحث في اليوم الآخر قبل دخول الجنة، أو النار وهي:

المبحث الأول: النفح في الصور.
المبحث الثاني: بعث الموتى من قبورهم.
المبحث الثالث: عناية القرآن بإثبات البعث.
المبحث الرابع: أرض المحشر.
المبحث الخامس: كتاب الأعمال.
المبحث السادس: جزاء الأعمال يوم القيامة.
الفصل الثاني: النار دار الكافرون ويشتمل على المباحث الآتية:
المبحث الأول: كيفية دخول أهل النار النار.
المبحث الثاني: أبواب جهنم.
المبحث الثالث: خزة جهنم.
المبحث الرابع: إحاطة النار بأهلها وشدة عذابها.
المبحث الخامس: صفات أهل النار.
المبحث السادس: أبدية النار ودوام عذابها.
الفصل الثالث: الجنة دار المتقين ويشتمل على المباحث الآتية:
المبحث الأول: كيفية دخول أهل الجنة.
المبحث الثاني: أبواب الجنة.
المبحث الثالث: خزة الجنة.
المبحث الرابع: أرض الجنة.
المبحث الخامس: صفات أهل الجنة.
المبحث السادس: غرف الجنة، وقصورها، وأنهارها.
المبحث السابع: أبدية الجنة ودوم نعيمها.
المبحث الثامن: وجوب الإيمان بالعرش وهو سقف الجنة.
وأما الخاتمة: فقد ضمتها أهم النتائج التي توصلت إليها في الرسالة.
الباب الأول
دلالة السورة على الإيمان بالله تعالى

وفي أربعة فصول:
۱- الفصل الأول: دلالة السورة على توحيد الأسماء والصفات.
۲- الفصل الثاني: دلالة السورة على توحيد العبادة.
۳- الفصل الثالث: دلالة السورة على توحيد الروبية.
۴- الفصل الرابع: ما جاء في السورة بشأن الشرك.
الفصل الأول

دلالة السورة على توحيد الأسماء والصفات

ويشمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات.
المبحث الثاني: إثبات صفة العلم والقوية.
المبحث الثالث: القرآن كلام لله منزل غير محلو.
المبحث الرابع: إثبات صفة العزة.
المبحث الخامس: إثبات صفة الحكمة.
المبحث السادس: تنزية الله تعالى من نسبة الولد إليه.
المبحث السابع: إثبات صفة الوحدانية والفه.
المبحث الثامن: إثبات صفة الرحمة واللمعورة.
المبحث التاسع: إثبات صفة الغنى لله تعالى.
المبحث العاشر: إثبات صفة الرضا.
المبحث الحادي عشر: إثبات صفة العلم.
المبحث الثاني عشر: بيان معنى اسمه تعالى "الوكل".
المبحث الثالث عشر: إثبات صفة الإيدين.
المبحث الأول
تعريف توحيد الأسماء والصفات

هو: أن يعتقد العبد اعتقادًا جازمًا أن ما أخبر الله في كتابه من أوصافه العليا، وأسمائه الحسني، وكذا ما جاءت به الأحاديث الصحيحة من أسماؤه وصفاته هي على ما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه.

جاء في لوحات الأنوار: "وتوحيد الصفات أن يوصف الله تعالى - بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه ﷺ. فإنه في كتبه ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبت من الصفات من غير تكليف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل. وكذلك ينفعون عنه ما نفاه عن نفسه - ويثبتون له - ما أثبت منه الصفات من غير إلحاد في الأسماء ولا في الآيات، فإنه تعالى ذم الملحدين في أسمائه وآياته، ﷺ.

ولا يعرف الإنسان ربه إلا بمعرفته بصفاته وأسمائه، فإذا مات الموتى معرفة ذلك عرف - ربه جل وعلا - وقيل: "وإنه يسأل ربه ويدعوه بأسمائه الحسني كما أمر الله بذلك في محكم كتابه حيث قال: عز شأنه: "والله الأسماء الحسني فادعوه بها".

وقال تعالى: "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيتا ما تدعوا فله الأسماء الحسني". وقال تعالى: "الله لا إله إلا هوله الأسماء الحسني".

(1) لوحات الأنوار البهية 1/129، وانظر تيسير العزيز الحمدي ص 19.
(2) سورة الأعراف آية: 180.
(3) سورة الإسراء آية: 110.
(4) سورة طه آية: 8.
وقد عرف السلف منهم ومعههم عن طريق معرفة أسمائه الحسن وصفاته العلي التي أثبتها لنفسه في كتابه: العزيز -وأثبتها له رسول الله ﷺ في سنته الشيخة.

قال الصابوني (1): مسألة معرفة السلف في أسماء الله تعالى وصفاته (أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى - بالوحدانية والرسول ﷺ بالرسالة والندى ويعرون ربيهم - عزرجل - فصفاته التي تخلل بها وحيه وتزليه، أو شهد له بها رسول الله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، وقلت أنه وقدر الوعول الثقات عنه، وثبتت له جل وعلا - ما أثبت لنفسه في كتابه وعلي لسان رسول الله ﷺ، ولا يعتقدون تشبهاً في صفاته بصفات خلقه فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نص - سبحانه - وتعالى عليه في قوله عزمن قائل: فاليا إيليس ما منك أن تجد لما حلقته بيدك(2) ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليد على النعمتين، أو القرنين ولا يكرونهم بكف أو تشييعهما بأيدي المخلوقين، وقد أعاد الله أهل السنة من التحريف والتكيف، ومن علىهم بالتعريف، والتفهيم حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزه وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه واتبعوا قول الله ﷺ - عزرجل - ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(3).

وذكر كذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة، والقول والكلام والرد والضاخ والحياة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبه له شيء من ذلك بصفات المرجوبين المخلوقين، بل يتهيأ فيها إلى ما قاله الله تعالى - وقاله رسول الله ﷺ من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكييف له ولا تشبه ولا تحرف ولا تبدل(4).

(1) هو إسحاق بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان، لقبه أهل السنة فيها بشيخ الإسلام فلا يعنون. عند إطلاقهم هذه اللقبة - غيره. ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وثنا عشر وأربعين وأربعة أيام.

(2) معلوم (ص آية: 75).

(3) معلوم (الشوري آية: 11).

(4) مجموعة الرسائل المتنية/116-117/306-307، الأعلام. 1/14/314.
تعريف توحيد الأسماء والصفات

ومن قبل الصابوني قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (1) مقرراً عقيدته السلف الصالح في صفات الله تعالى:

«الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى»

(4) عالم الغيب لا يعزب عن مكان ذره في السماوات ولا في الأرض).

يعلم سر خلقه وجهرهم ويعلم ما يكسبون، نحمده بجميع محامده، ونصف بما وصف به نفسه ووصف به الرسول فهو الله، الرحمن الرحيم قريب مجيب (فعل لما يريد) الأول قبل كل شيء والأخرب بعد كل شيء له الأمر من قبل ومن بعد وله الخلق والأمر برك له رب العالمين (4) ولله الأسماء الحسنى (6) يسب له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، يقبض ويست ويتكلم ويرضى، ويسخط ويفضب، ويبش ويبغض، ويكرب وبضحك، وايمان وقيني. ذو الوجه الكريم، والسمع السميع، والبصر البصیر، والكلام المبين، واليدين والقبضين، والقدرة والسلطان والعظمة والعلم الأزلي، لم يزل كذلك ولا يزال، استوى على عرشه فبان من خلقه لا تخفي عليه منهم خافية علامة، بهم محيط وبصره بهم نافذ ليس كمثلهم شيء، وهو السميع البصیر (1).

فبهذا الرسول نؤمن وإياه نعبد وله نتصلي ونسجد فمن قصد بعبادته إلى إله بخلاف هذه الصفات فإنه يعبد غير الله وليس معوبه بإله كفره لا يغفره. (6)

(1) أبوッعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي الشافعي السجستاني الهروي. ولد سنة مائتين وتوفي سنة
(2) سورة البقرة (62).
(3) سورة البقرة (66).
(4) سورة الأعراف (220).
(5) سورة التوبة (10).
(6) سورة التوبة (11).
(7) الردع في الجهمية (3–4).
وهناك أمور ينبغي أن نتعلم نحو أسمائه - تبارك وتعالى - :

الأمر الأول:

أن أسماءه - تعالى - لا تدخل تحت حصر ولا يحويها عدد، لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إنني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصبي بيدك ماضي في حكمك عدل في فضائلك.» أسألتك بكل اسم هو لك سميته به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدرتي، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله حزنه وأبدل له مكانه فرجًا.»

وأما ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إن الله نسعة وتسعين أسماءً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»، فالمراد منه حصر الأسماء، وإنما المراد الأخبار بأن من أحصى هذه الأسماء دخل الجنة، وقد اختالف العلماء في معنى الإصحاح، وأقرب الأقوال إلى الصواب أن المراد بالإصحاح حفظها مع اعتقاد مائدة عليه والعمل بذلك.

الأمر الثاني:

إن من أسماء الله - تعالى - ما لا يطلق على الرب - سبحانه - إلا مقرناً بمقابل، إذ لو أطلق عليه وحده أو هم نقصاً - تعالى الله عن ذلك - فمن تلك الأسماء المانع يذكر مع المعطي، والضار يذكر مع النافع، والفاحش يذكر مع البالغات، والمذل يذكر مع المعز، والخافش يذكر مع الرائع، فمثل هذه الأسماء تطلق على الله مع ذكر مقابلها.

الأمر الثالث:

هناك بعض الأفعال أطلقها الباري سبحانه - على نفسه وهي تدل على صفات الله تعالى تلبق به، ولا يجوز أن يشتق له أسماء من تلك الصفات.

(1) بدائع الفوائد 1/116.
(2) رواه أحمد من حديث ابن مسعود المندب في الفتح الرومي 14/262-263، قال البهذي رواه أبو يعلى وarih الحديث رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان. مجمع الزوارد 181/10.
(3) صحيح البخاري مع الفتح 13/378، صحيح مسلم بشرح النووي 17/6.
(4) فتح الباري 13/378.
(5) بدائع الفوائد 1/116.
تعريف توحيد الأسماء والصفات

مثل قوله تعالى: "إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم" (1) ومثل قوله تعالى: "ومكر وموكرون الله" (2) ومثل قوله تعالى: "وإذ خلقوا إلى شياطينهم قالوا إن معكم إنسانا نحن مستهزئون * الله يستهزئ بهم" (3).

وإنما ذلك من الآيات هذه الصفات تتضمن مدحا وكمالا للباري سبحانه - لمن لا يجوز أن يقال: الله خادع، مكر، مستهزئ، ولا يقال: الله يستهزئ، ويخرج، ويخرج على سبيل الإطلاق دون ذكر الإستهزاء والمخادعة، والمكر بأعدائه (4).

- أن دلالة أسمائه تعالى - حق على حقيقته مطابقة، وتدمنا والتزاما، فدالة اسمه "الرحمن" على ذاته - عز وجل - مطابقة وعلى صفة الرحمة تضمنا، وعلى الحياة وخبرها النزاما وهاذا سائر أسمائه تعالى - فإن الله بارك وتعالى - هو الإله وما سواه عبيد وهو الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وما سواه خلق فلما كاست أسماء الله تعالى - غيره - كما زعم ذلك أهل الأهواء لكيت فروخ مربوبة محددة معرضة للغفاء، إذا كل ما سواء سبحانه - فان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رحمة الله تعالى: في معرض بيان بطلان قول القائلين بأن صفات الله تعالى - غيره لأن مسمى اسم "الله" يدخل فيه صفات بخلاف مسمى الذات فإنه لا يدخل فيه الصفات.

ولهذا لا يقال: صفات الله زائدة عليه سبحانه وتعالى - وإن قيل: الصفات زائدة على الذات لأن المراد زائدة على ما أثبت المثبتون من الذات المجردة، والله هو الذات المصوحة بصفات اللازمه في "اسم الله" متناولا لذات مجردة عن الصفات أصلا، ولا يمكن وجود ذلك، ولذا قال أحمد (5) رحمة الله في مناظرة الجهمية (6) لا

(1) سورة آل عمران آية: 45.
(2) سورة آل عمران آية: 54.
(3) سورة البقرة آية: 14-15.
(4) انظر بدائع الفوائد / 162.
(5) هو: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المرموزي ثم البغدادي. الفقيه، الحافظ.
(6) هي: إحدى الطوائف المنحرفة تتبع الجهم بن صفوان الذي قال: بالإجبار والإضطرار إلى الأعمال، ونكر
نقول: الله وعلمه، والله وقدره ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد (1).

الإسطعارات كلها وزعم أن الجنة والنار تبدان وتذبيان وزعم أيضًا: أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى. فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما نصب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، ونفي أسماء الله تعالى، وصفاته كلية. انظر "الفرق بين الفرق" ص 211، المجلة والنحل 1/87، إعتضادات فرق المسلمين والمشاركين للرازي ص 68.

(1) إقضاء الصرام المستقيم ص 221.
المبحث الثاني
إثبات صفة العلوي والفوقي

إن أول ما افتتحته به [سورة الزمر] هو إثبات صفة العلوي والفوقي - للباري جل وعلا - وذلك في خمس آيات منها:

قال تعالى: "نزل الكتاب من الله العزيز الحكيم. إننا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين".

وقال تعالى: "نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهًا مشابهًا تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد".

وقال تعالى: "إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنا مضيلة عليها وما أنت عليهم بوكيل".

وقال تعالى: "واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بعثة وأنتم لا تشعرون"

ففي هذه الآيات الخمس دلالة واضحة على إثبات علو الله تعالى - وأنه فوق المخلوقات جميعها- فإن نزل الشيء يكون من أعلى إلى أسفل.

فالآية الأولى: من تلك الآيات المتقدمة هي قوله تعالى: "نزل الكتاب من الله العزيز الحكيم - فيها إخبار منه - تعالى - بأن مبدأ نزل القرآن كائن منه - جل وعلا - ومن عنته - بارك و تعالى -.

وأما الآية الثانية: فهي قوله تعالى: "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ... الآية"
أخبر تعالى بأنه أنزل الكتاب الذي هو القرآن على نبيه محمد من عنده بالحق الذي لا مري به ولا شك.


قال قاتدا: {وثني الله فيه الفرائض والقضاء والحدود.}

وكونه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم أي: تقشعر منه جلود الأبرار الذين يخشون ربهم لما يفهمون منه من وعد والوعيد والتحريف والتهديد.

وأما الآية الرابعة: فهي قوله تعالى: {إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق.}

الآية.

فقد بين تعالى بأنه أنزل كتابه على رسوله من عنده تعالى. قال تعالى: {ف álث أية دلت على علواه.} تعالى - كما دلت أيضا: {أنه تعالى - أنزل هذا الكتاب لجميع الخلق من الجن والإنس لينذرنهم.} وأن من احترم منهم فإنهما يوعدون نفع ذلك إلى نفسه، ومن ضل فإنهما يعودون بالضلالة عليه، وأن الروسال ليس بمكوك على هدايتهم، وإنما هونذير عليه البلاغ، وعلى الله الحساب.

وأما الآية الخامسة: فهي قوله تعالى: {وإتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم.}

الآية.

فقد تضمنت أمرأً من الله - جل وعلا - لجميع عباده أن يتبعوا مما أمر به تعالى - في كتابه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم.

(1) هو مقدمة بندعامة السدوي في أمة التفسير. كان من أعظم أهل البصرة. ولد سنة إحدى وستين وتوفي سنة ثمانية عشرة ومائتين. من أشهر ترجمته في: تذكرة الحفاظة، 123 وما بعدها، واللباب في تهذيب الأناس، 108، 251/8.
(2) جامع البيان 23/210.
قال العلامة ابن جيرير: وفإن قال قائل: ومن القرآن شيء أحسن من شيء قيل له: القرآن كله حسن وليس معنى ذلك ما توحيت، وإنما معناه أن تتوبوا مما أنزل إليكم ربك من الأمر والنهي والخبر والمثل والقصص والجدول والوعود والوعيد أحسنهم، وأحسن أن تتأملوا أمرنا وتنتهزوا عنا نهي عنه نهى مما أنزل في الكتاب، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأحقه - أي العمل نفسه، واجتنابه - أ. هـ.

فهذه الآيات الخمس من الآيات المحكمة التي أثبتت علو الباري سبحانه. على جميع خلقه وأنه جل جلاله - في السماء أي: المعلوم لا كم يعزسه أهل الباطل من الجهمية المعططة من أنه تعالى - في أسفل الأرضين، بل هو تعالى - في السماء كما أخبر بذلك عن نفسه في مواضع كثيرة من كتابه، وأكد ذلك رسول الله في ستة مظاهر.

قال ابن خزيمة: رحمه الله تعالى: "إن الرحب جل وعلا في السماء، ولا كما قالت الجهمية المعططة أنه في أسفل الأرضين فهوي في السماء". أ. هـ.

وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز كلا تدل دلالة قطعية على إثبات علوه تعالى. على خلقه وأنه ليس تحت الأرض ولا في كل مكان كما يزعم ذلك أهل الزيغ والباطل ومن تلك الآيات ما يلي:

أحدها: أنه سبحانه وتعالى صرح بفوقته المقتربة بآداب من المعينية للفوقية بالذات. قال تعالى: "قل: إني مأوى ما في السموات وما في الأرض من دابة والملاك وهم لا يستكرون* يخافون رهم من فوقهم ويفعلون ما يعمرون". هـ.

(1) هومحمد بن جبرين يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آخر طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين وتوفي سنة عشر ومائتين. انظر ترجمته في: "نذكرة الحفاظ".

(2) جامع البيان 24/198.

(3) هر: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلفي أبو بكر، الإمام نسادر في زمنه. كان نقيفاً مجتهداً عالماً بالحديث. ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. هجرية إلى مؤلفات كثيرة: "لب إمام الأئمة. نظر ترجمته في: "نذكرة الحفاظ" 2/70 وما بعدها، طبقات الحفاظ للسيوطيص 313.

(4) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرسول ص. ص 110.

(5) سورة النحل آية: 49 - 50.
في الآية الثانية إعلان من الله تعالى بأنه فوق ملائكته وفوق ما في السموات وما في الأرض من دابة، وأخبرنا بأن ملائكته يخفون ربهم الذي فوقهم والملائكة يزعمون أن المعبد سمحان تحت الملائكة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثانياً: ذكره تعالى الفوقية مجردة عن الأداة:
قال تعالى: (وهو الفاهر فوق عباده) (1) وهذه الآية فيها الإخبار منه تعالى - بأنه فوق جميع عباده من الجن والإنس والملائكة الذين هم سكان السموات.

ثالثاً: إخباره تعالى بعروج الملائكة والروح إليه.
قال تعالى: (تخرج الملائكة والروح إليه) (2) فقد أخبرنا - تعالى - في هذه الآية بأن الملائكة تخرج إليه، والروح يكون من الأسفل إلى الأعلى.

رابعاً: التصريح منه تعالى - بالصعود إليه:
قال تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (3).
والمفهوم من هذه الآية أن الرَّب جَل جَلَالَه - فوق من يتكلم بالكلمة الطيبة فتصعد إلى الله كلمته، لا كما تزعم المعططة الجهمية أنه تهب إلى الكلمة الطيبة كما تصعد إليه وتأويلهم هذا يدل على تردي عقولهم وسوء فهمها لكتاب الله تعالى - خامساً: تصريحه تعالى برفع بعض المخلوقات إليه كرفعه لعيسى عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: (هل رفعه الله إليه وكان الله عظیماً) (4) فمن المستحيل أن يهبط الإنسان من ظهر الأرض إلى بطنه، أو إلى أي مكان أخفض وأنزل فيه قال: رفعه الله إليه لأن الرفع في لغة العرب الذين بلغتهم خاطبنا الله لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى وفوق.

سادساً: تصريحه تعالى - بعلوه المطلق الدال على جميع مراتب العلوذات: وقراً
وقره أقر تعالى: (وهو العلي العظيم) (5).

(1) سورة الأنعام آية: 18.
(2) سورة المعارج آية: 4.
(3) سورة فاطر آية: 110.
(4) سورة النساء آية: 158.
(5) سورة البقرة آية: 255.
وقوله تعالى: "فهو العلي الكبير"(1).
وقوله: "عَزَّ شَانِهِ" (سِبْح اسم ربك الأعلى) (2).
فالعلي: هو الذي له العلو الطلق من جميع الوجه.
علم الذات: كونه فوق جميع المخلوقات.
علم القدر: فله من كل صفات الكمال أعلاها.
علم القرء: فهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير(3).

وإذا كانت صفة العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيها ولا تستلزم نقصاً ولا توجب محرمًا ولا تختلف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً فنفي حقيقة يكون عين الباطل، والحال الذي لا تأتي به شريعة أصلاً فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله والإيمان بكتابة وبما جاءه رسوله إلا بذلك كيف إذا انتسب إلى ذلك شهادة العقول السليمة والفطرة المستقيمة، والنصوص السارية المتنوعة المحكمة الدالة على علوم الله على خلقه وكونه فوق عباده(4).

سابعاً: تخصيص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض.

قال تعالى: "إن الذين عند ربك يسبحون له وله يسجدون"(5).

وقال تعالى: "وله من في السموات والأرض ومن عنه لا يستطيعون عن عبادته ولا يستحسنون"(6) ففرق: سبجانه - في هاتين الآيتين بين من له عموماً وبين من عنده من ملائكته وعبادته خصوصاً.

ثامناً: تصريحه تعالى بأنه في السماء:

(1) سورة مسأة آية: 23.
(2) سورة الأعلى آية: 1.
(3) مدارج السلفين 1/ 31.
(4) شرح الطحاوية ص: 319-328.
(5) سورة الأعراف آية: 207. وتصويب الآية في القرآن: "إن الذين عند ربك لا يستطيعون عن عبادته ويسجرون له ويسجدون".
(6) سورة الأعباء آية: 19.
قال تعالى: «أتممت من في السماء أن يخفف يكم الأرض فإذا هي تمور* أم أتممت من في السماء أن يرسل عليهكم حاصباً فتعلمون كيف نذير» (1).
فهتانان الآيتان: صريحتان في أن الله تعالى - في السماء فلا تقبلان جدًا ولا تأويلًا لأن «من» فيهما لا يمكن أن يراد بهما سوى السرب جل شأنه لا ملكه ولا أمره كما يزعم ذلك المعلقة النافئة.
و (في) في الآيتين إما أن تكون بمعنى الظرفية، ويكون المراد بالسماء العلو. وإما أن يراد بها معنى (على) ويكون المراد بالسماء المبينة.
وليس في هذا خلاف عند أهل الحق من أهل السنة والجماعة، ولا يجوز الحمل على غير ذلك.
تاسعاً: تصريحه تعالى بأنه يدير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يخرج إليه. قال تعالى: «يدير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يخرج إليه» (2).
واللغة العربية التي خاطبتنا الله بها وفهمها العرب الفصحاء تبين بأن تدير أمر السماء إلى الأرض إنما يديره المدبر وهو في السماء لا في الأرض والمعروف عند العرب أن المعارج هي المصاعد.
عاهراً: إخباره تعالى - عن فرعون أنه حاول الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فكذبه فيما أخبره به ممن أنه - سبحانه - فوق السماوات قال تعالى حكايته عن فرعون فياهما ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات أطلعت إلى إله موسى رأي لأظاه راً كاذباً (3).
فالذي ينفي العلماء الجهمية فهو فرعوني، والذي إثبته فهو موسى محمدي.
قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي:
"ففي هذه الآية بيان بين، ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه"

(1) سورة (الملك آية: 16، 17)
(2) سورة (السجدة آية: 5)
(3) سورة (غافرآية: 37)
فوق السماء فمن أجل ذلك أمر بناء الصرح ورام الإطلاع وكذلك نمروذ فرعون إبراهيم اسمه)

الحادي عشر: من الأدلة الدالة على علوه تعالى إخباره تعالى - بأنه استوى على
عرش الذي هو أعلى مخلوقاته وقد ذكر هذه الصفات في كتابه في مواضع عديدة من كتابه،
ومن العجب أن الله تعالى -ما يذكر هذه الصفات إلا وهي مقرونة بما يظهر العقول من
صفات جلاله وكماله فهي صفة من صفات المدح التي مدح الله بها نفسه - سبحانه - وإليك
المواضع التي ذكرت فيها صفة الاستواء الدالة على علوه تعالى -.

- قال تعالى: "إن ربك اللٌّ الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى
على العرش يفشي الليل النهار يطبع حديثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمر ألا له
الخلق والأمور بارك الله رب العالمين" (1).
فهل لأحد أن يتجأ ويمن في هذه الصفات التي دلت على الجلال والكمال أللهم إلا من
كان من أهل الزين والضلال.

- قوله تعالى: "إن ربك اللٌّ الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم
استوى على العرش يدير الأمر وما شفيع إلا من بعد إذنها" (2).

- قال تعالى: "اللٌّ الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش
وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى" (3).

- قال تعالى: "وط * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى *
تنزيلًا من خلق الأرض والسماوات العلي * الرحمن على العرش استوى" (4).

- قال تعالى: "وتوكل على الٌّ الذي لا يموت وسحبح حمده وكنى به بذنوب

(1) الرعد على الجمعية 21.
(2) الآراء 31 الآية 58.
(3) فصيلة 31 الآية 39.
(4) الرعد 24 الآية 2.
(5) الحملة 5 آية 50-1.
عبادة خيبرًا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما [في ستة أيام] ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خيبرًا (۱).

۶- وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهَما فِي سَتِينَ أَيَامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} (۲).

۷- وقال تعالى: {فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَتِينَ أَيَامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُّ فِي الْأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُم مِّنْكُمْ وَلَا تَخْفُرُونَ بِصِيَامِكُم} (۳).

وَلَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

قال العلامة ابن القيم (۴) رحمه الله تعالى: {وَاسْتَوَاءَ وَعَلَوَّهُ عَلَى عَرْشِهِ سَلَّامُ مِنْ أَنَّهُ يُكَانُ مَحْتَاجًا إِلَى مَا يَحْمِلُهُ، أُوْيَ سَتِيَّرَ عَلَيْهِ، بِلِّ الْعَرْشِ مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَحَمْلَتِهِ مَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فَهُوَ الْغَنِّي عِنْ الْعَرْشِ وَعَنْ حَمْلَتِهِ وَعَنْ كُلِّ مَا سُوَاءٌ، فَهُوَ إِسْتَوَاءً وَعَلَوَّةً لَا شُوَّهُ حَصَرَ وَلَا حَاجَةَ إِلَى عَرْشِ وَلَا غَيْرَهُ وَلَا إِحَاطَةٌ شَيْءٌ بِهِ إِلَى سِبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بِلِّ كَانَ سِبْحَانَهُ وَلَا عَرْشُ وَلَمْ يَكَنَّ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ وَهُوَ الْغَنِّي الْحَمِيدُ بِلِّ إِسْتَوَاءٍ وَعَلَوَّةٍ إِلَى عَرْشِهِ وَإِسْتِلَائُهُ عَلَى خَلْقِهِ مِنِّ مُوجَاتِ ملَكِهِ وَفَقْهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى عَرْشٍ وَلَا غَيْرِهِ بُوْجِهَ مَا} (۵) أَ. هَذَا.

(۱) سورة ﴿الفرقان ﴾ آية: ۵۸-۵۹.

(۲) سورة ﴿السجدة ﴾ آية: ۶.

(۳) سورة ﴿الحجر ﴾ آية: ۴.

(۴) هو: محمد بن أبي بكر بن أبو سعد الزرعي البدمطي أبو عبد الله شمس الدين من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار علماء الدين ولد سنة إحدى وتسعين وسبعين سنة إحدى وخمسين وسبعينة وهريرة. له مؤلفات عديدة في مختلف العلوم والفنون.

(۵) بديع الفوارق ۲/۱۳۶. بيونا، لبنان.
وقال عثمان بن سعيد الدارمي: بعد أن سأق كثيرة من الآيات الدالة على علوا الله تعالى، راودًا على الجهمية ومبينًا بطلان مذهبهم في إنكار صفة العلو، أقرت هذه العصابة يعني، الجهمية: بهذه الآيات اتبعتها وادعوا الإيمان بها، ثم نقضوا دعواهم بدعوؤ غيرها، فقالوا: الله في كل مكان لا يخلو منه مكان قلة قد نقضت دعاوا بالإيمان باستواء الرحمن على عرشه إذا ادعتم أنه في كل مكان فقالوا: تسيره عندنا أنه يستوى عليه وعلاه، قلتني: فهل من مكان لم يستوى عليه ولم يعله حتى خص العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه؟

وكذكر فيه مواضع كثرية من كتابه فأي معنى إذا لخصص العرش إذا كان عندكم مستواه على جميع الأشياء وكاستواء على العرش - تبارك وتعالى - هذا محال وباطل في الكلام. (1)

فلو كان الباري سبحانه وتعالى في كل من مكان على حسب زعم الجهمية لجعل كل شيء دكأ، فإنه حين سأله كميه موسى عليه السلام أن يره ينظر إليه قال له: لن تراني ولكن انظر إلى الجل فإن استقر مكاناته فسوف تراي فلما تجعل ربه للجلب جعله دكأ وخير موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانه: نبت إليك وآنا أول المؤمنين. (2)

قال ابن خزيمة في معنى هذه الآية: "أفليس العلم محيطًا بما ذوي الألباب أن الله عز وجل لو كان في كل موضع ومع كل بشر وخلق كما زعمت - الجهمية - المعطلة لكان متجلباً لجميع أرضه سهله ووعده وبراهها ورارتها وما مفرقه ومدنها وقراها وعمرها وخارابها وجمع ما فيها من نبات وبناء لجعلها دكأ كما جعل الله الجبل الذي تجلي له دكأ؟. (3)

وبالجملة فظاهر القرآن يدل على إثبات علوا الله - تبارك وتعالى - وأنه على عرشه، الذي هو أعلى المخلوقات وهو سبحانه - بائن من خلقه ويثني في ذلك التنزيل ولا حاجة لنا إلى تأويل المكتتب به في أنفسهم ويسترون عن ذلك باسم التأويل وليس هو تأويلًا، وإنما هو تحريف وتعطيل وتبدل.

(1) سورة الأعراف آية: 143
(2) كتاب التوحيد وإثبات صفات الله ص: 112
(3) الرد على الجهمية ص: 18
والقارئ للكتب التي ألفت في أسباب نزول آيات القرآن يجد أن الصحابة الذين فسروا كتيب الله تعالى - وبيئاً أحكاماً، وفرائضه وحدوده، يقولون: نزلت آية كذا في كذا، ونزلت سورة كذا في مكان كذا ولم ينقل عن أحد منهم أنه قال: طلعت من تحت الأرض، ولا جاءت من أمام، ولا من خلف بل كل الآيات والسورة يذكرون أنها نزلت من فوق لا من تحت الأرض، ولا خرجت منها.

فقد بين النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أن الله تعالى - متصف بصفة العلويّة الفوقية

ومن تلك الأحاديث ما يلي:

1 -حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: «كانت لي غنم ينفسي من أحد والجوانين(1)» فيها جارية لي، فأطلعتها ذات يوم فإذا البذل قد ذهب منها بشários - وأنا رجل من بني آدم - فصكتها، فأثنت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فجعل ذلك علي فإن يثبت بالرسول الله ﷺ أعتقتها؟ قال: أدعها فدعتها فقال لها: أين الله؟ قالت في السماء قال من أنا؟ قال:
رسول الله ﷺ: أعتقتها فإنها مؤمنة(2)».

فهذا الحديث من أنصب الأدلاء وضوحاً على إبطال مذهب الجهمية وهو صفة قوية لأهل التعديل على رؤوسهم حيث شهد الرسول ﷺ للجارية بالإيمان حين وجب لها سؤالين اختبرهما إياهما، ولما نجحت في الإجابة عليها، وبالأخير السؤال الأول حيث أجابت بأن الله تعالى - في السماء اسمياً على الصلاة والسلام إجابتها وأقرأها عليها وشهد لها بالإيمان، وفي الحقيقة أن إجابة تلك الجارية لا يستطيع أن يجيب بها جهيم، ومن يدور في ركاب لمحلي في قله من الاعتقاد الفاسد لأنه يعتقد أن الله - جل وعلا - في كل مكان ولو سألت متعلماً وقلت له أين الله؟ قال: لا يسأل عن الله بأيمن. قال عثمان بن سعيد الدارمي بعد سياقه لحديث معاوية بن الحكم السلمي: «ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله في السماء دون الأرض فليس بمؤمن ولا كان عبذاً فأعتقت لم يجيز في رقة مؤمنة إذًا يعلم أن الله في السماء(3)».

ولو كان الله في الأرض كما يدعى ضلال الجهمية لأنكر عليها الرسول ﷺ وعلّمها،

(1) الجواني: موقع شمال المدينة بقرب أحد دشري النووي على مسلم/5.423
(2) صحيح مسلم/1، 382، وانظر الرد على الجهمية للدارمي ص 22، كتاب التوحيد لا ين من خزيمة ص 121
(3) الرد على الجهمية ص 22.
ولكنها علمت به فصدقها وشهد لها بالإيمان، ولو كان الله في الأرض لم يتم لها إيمان حتى تعرفه في الأرض كما يعرفه في السماء.

2 - ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أسن بن مالك رضي الله عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: إنك وأمسك عليك زوجك ﷺ قال أسن: لو كان رسول الله ﷺ كاتباً شيئاً لكتب هذه قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجهك أهاليك وزوجي الله تعالى من فوق سبع سموات»(1).

وهذا دليل واضح وصريح في أن الله تعالى - عدل فوق سمواته وعلى جميع مخلوقاته وعلى هذا تلقى أم المؤمنين زينب رضي الله عنها عقيدتها من النبي ﷺ.

3 - ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قصة الذهب الذي يديث به على ابن أبي طالب من اليمين قال النبي ﷺ: «ألا تؤمنون وأنا أمن من في السماء يأتيني اللهم صبابة ومساء»(2).

فقد بين بأنه أمن من في السماء والذي في السماء والمشار إليه إنما هو الله تعالى - لو كان الجهميةعلمون، ولربهم ينفهون، ولقد تلمذ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على رسول الله ﷺ في دينهم وعفعتهم، ونطقوه بما يتعلق به الكتاب والسنة من أن الله تعالى في السماء وأقوالهم في أن الله تعالى - في السماء كثيراً جداً (3)، واعتقادهم في أن¬ تعالى في السماء إنما تلقوا ذلك عن الرسول ﷺ وبلغوه إلى من وراءهم من التابعين لهم بإحسان فقد كان القول بأن الله تعالى - في السماء متدولًا بينهم موقتين به.

قال الحافظ (4) وأخرج البهقي بسنده جيد عن الأوزاعي (5) قال: كنا والتابعون

(1) 281/4
(2) 111/1، 112.1
(3) انظر أقوال الصحابة في كتاب (العلو للذهبي) ص 62 وما بعدها.
(4) هو: أحمد بن علي بن محمد الكتاني المستقلي، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ أصله من عمان. له مؤلفات عديدة في مختلف الفنون والعلوم، ولد ستة ثلاث وسبعين وسبع مئة، وتوفي سنة ثمانية وخمسين وثمانين هجرياً. انظر ترجمته في: القدر الطالب للشوكاني 178/184، الأعلام.
(5) هو: عبد الرحمن بن عمر بن يحيى الأوزاعي، أبو عمر وعالم أهل الشام في زمانه. ولد سنة ثمانية وثمانين.
متوافرون نقول: إن الله – عز و جل – فوق عرشه و هو عن سنع من صفاته (1) فالصحاباء والتابعين أجمعوا على أن الله تعالى – عالٍ على عرشه فوق سموته و علمه في كل مكان لا يخوله شيء.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية (2) – رحمه الله تعالى: قال أبو عمرو بن عبد البر رحمه الله تعالى في التمهيد:

وعلماً الصحيحاء والتابعين الذين جعل عنهم التأويل قالوا: في تأويل قوله تعالى:
"ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادهم" (3) هو على العرش و علمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحته به (4).
فابن عبد البر ينقل إجماع الصحيحاء والتابعين على أنه - سبحانه و تعالى - عالٍ على جميع خلقه ولم يحدث القول بأن الله في كل مكان إلا الجهمية وقولهم لا قيمة له لأن لا عبرة بخلافهم ولا يحته بقولهم لأنهم ضلال مارون.
لذلك كفروا الأئمة الأربعة وضلواهم، و بعث عليهم، و حكموا عليهم بالكفر إن لم يرجعوا عن دعواهم بأن الله تعالى ليس في السماء.
فقد جاء عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي قال: سألت أبا حنيفة (5) عن:

- (1) الفتح (4076)، الأسماء والصفات للبيهي، ص 208، 4، الذي في الخلف 201، الحمية ص 23.
- (2) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي الفاسم الخضر النمري الحراكي الدمشقي.
- (3) هو: عيني، ابن تيمية والإمام ، شيخ الإسلام كان آية في التفسير والاصول، فصيغ اليسان برز في جميع الفنون جاهد المنحرفين عن الدين يقلمه ونسبه، وسبمه. ولد سنة إحدى وستين وستمائة وتوفي سنة عشرين وسبعين هجرية. أنظر ترجمته في: "الدرر الكامنة، 144/4، البداية والنهي.
- (4) سورة المجادلة آية 77.
- (5) هو: النعمان بن ثابت النعمان بن يزيد بن عبد الملك بن العلاء الكوفي، أبو حنيفة الإمام الحنفي، الفقه، المجتهد، المرجح أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد سنة ثمانين وتوفي سنة خمسين ومائتين هجرية. انظر ترجمته في: "تاريخ بغداد 1/302 /1306، وفيات الأعيان 956، النجوم الزاهرة 1/16، 454، البداية 1297/13.

وقال الإمام مالك بن أنس {الله في السماء وعلميه في كل مكان} (3).

وروى الألفتائي (4) في {كتاب السنة} عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس (5) فقال: يا أبا عبد الله {الرحمن على العرش استوى} (6).

كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكًا وجد من شيء كموجهت من مقالته وعلاه الرحضى (7) قال: وأطرقت القوم وجعلوا ينظرون ما يأتي منه في قال: فسأري عن مالك فقال: الكيف غير معقول والإستواء غير مجهول والإيمان به واجب والإستواء عنه بدعاه، فإني أخف أن تكون ضلًا وأمر به فأخرج (8).

وأما الإمام الشافعي (9) فقد أثر عنه أنه قال: {السنة التي أنا عليها ورأيت عليها}

(1) سورة فتى آية 5.
(2) ذكره عنه الذهبي في {العلوم بالله} الفارع ص 111.
(3) المصدر السابق ص 103.
(4) هو: الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي أبو القاسم الألفتائي. حافظ، للحديث، من فقهاء الشافعية من أهل طبرستان. توفى سنة ثمانية عشرة واربعين هجرية. انظر ترجمته في {الكمال} لابن الأثير 36279 تذكره الحفاظ 3 10736 1149 367 936 9 عشرين 921 967 967.
(5) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبهاني الحميري أبو عبد الله إمام دار الهمزة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية. كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملك. ولد له سنتين وتسعين وتوقي سنة تسع وسبعين وعائشة هجرية. انظر ترجمته في {المديج} المذهب ص 17، وفيات الأعيان 1/439، تهيبي النهذة 10، صفة الصوفة 22/99.
(6) سورة فتى آية 5.
(7) الرحضى: العرق.
(8) الرحضى: العرق.
(9) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي الفزالي المطلبي أبو عبد الله أحمد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب الشافعية. ولد له حزن وثاني وقت وتوقي سنة أربع وتسعين هجرية. انظر ترجمته في {تذكرة الحفاظ} 361، تهيبي التهذيب 1/95، وفيات الأعيان 1/447، صفة الصوفة 140/2، تاريخ بغداد 426/487.
الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما إقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وأن الله على عرشه في سماه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء (1).

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال عنه يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال قال: قيل لأبي عبد الله الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدره علماً وكما الإثمة وعلمه بكل مكان؟ قال: "نعم هو على عرشه لا يخلو شيء من علمه" (2)، وكلام الإثمة وغيرهم في إثبات صفة الله للباري - جل وعلا - كثير، وكلهم مجمعون على القول بعلو الله وفوقيته على جميع خلقه إتباعاً لكتاب الله وسنة رسول الله وإجماع الصحابة والتابعين.

وكما تقرر إثبات علوا الله تعالى وفوقيته على خلقه بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، كذلك دلت الفضرة والعقل على علواه تعالى - فوقية.

"أما الفضرة فإنه قد تقرر في فطر ولي آدم علمائهم وجمالهم، أحرازهم ومماليكهم ذكورهم وإناثهم، بالغهم وأطفالهم، وحتى الكفار منهم يعلمون يقبأ بأنه تعالى - عال، عال على جميع المخلوقات إذ كل من دعا الله منهم فإنه يرفع رأسه إلى السماء ويمد يده إلى العلي الأملى لا إلى أسفل (3).

وكم من إنسان إذا أراد جلبه ما ينفعه، أو كشفه ما يضهر شخص بيصره إلى السماء إضافة إلى رفع يده إلى جهة العلم إلى من يعلم السير وأخفي، فإنه توجه إليه بكلبه لعله أن المعبد - بيجائه - فوقه، وأنما يدعى من أعلى لا من أسفل، وليس الإنسان وحده فحسب هو الذي يعرف أن الله يدعى من أعلى لا من أسفل بل الحيوانات قد عرفت أن الله تعالى في السماء أي - جهة العلم - ولذلك فإنها ترفع رأسها عند الجدب والقحط تستلم ريها وفي هذا إيثار لقول الجهمية أن الله في كل مكان فقد أخرج الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "خرج نبي من الأنباء يستسقي فإذا هو (4).

(1) العلول الذهبي ص 130 عون المعبر 41/41 الفنتي الحموية الكبرى ص 240.
(2) ذكره الذهبي في كتاب العلوص 130.
(3) انظر كتاب التوحيد لأن خزيمة ص 110 الفنتي الحموية الكبرى ص 29، شرح الطحاوية ص 3/235.
بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء، فقال ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل شأن النملة.
ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (1) وأقره الذهبي (2) في كتاب الزيارة للإمام أحمد <<خرج سليمان بن داود عليه السلام يستقي إذا هو بنملة مستقلة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ليس بناغي عن سقيك>>.
فقال: ارجعوا فقد سبقتم بدعوة غيركم (3).
قال ابن بني القيم رحمه الله تعالى: "وأخرى بهذه النملة وأخواتها من النمل أن يكونوا أعرف بالله من الجهات" (4).
وفي هذا بيان واضح أن الحيوانات تعرف أن الله عز وجل إنما يدعى من أعلى كما يعرف ذلك المؤمنون، وهذا ما فطر الله عليه خلقه أنعم في هذه ضرورة يحس بها الإنسان والحيوان.
ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبي جعفر الهذاني حضر مجلس الاستذكار أبو المعالي الجويني المعروف بإمام الحرميين وهو يتكلم في نفي صفعة العلوي يقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان!! فقال الشيخ أبو جعفر:
"خيرنا يا أستاذن هذه الضرورة التي نبذها في قلبنا؟ فإنهما ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد في قلبنا ضرورة طلب العلوا لا يلفت بيته، ولا يرث فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا نال: فقم أبو المعالي على رأسه ونزل! وأظهله قال: وبك وقال: خيرن (`الهمذاني حيرني! أراد الشيخ أن هذا أمر فطر الله عليه عبادة من غير أن يتلقؤهم من المرسلين يجدون في قلوبهم طلبًا ضروريًا يوجه إلى الله ويمثله في العلوي" (5).

(1) المستدرك 1 267-268.
(2) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمز، Bipal ذهبي، حافظ، مؤرخ، علامة، محقق. لجنة سنة ثلاث ومائتين وستمائة، وتوفي سنة ثمانية وأربعين وسبعين وستة انتهى وشترات من الذهب 1031/1531، والدر الكامنة 1362/2001، النجم الزاهية 1425/1949، هيئة.
(3) كتاب الذهب 48، إلينا في إسناد أحمد يزيد العمري وهو ضعيف. انظر وميزان الإعتدال 102، وانظر التقرب 146.
(4) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة والجهيمة ص 133.
(5) منهج السنة النبوية 1 215-216، شرح الطحاوية ص 331-332.
وقال أبو الحسن الأشعري: "بعد أن ساق كلاماً كثيراً يزيد منه إثبات أن الله تعالى - مستوعباً عرشه فوق سماواته قال رحمه الله: "وأيضاً المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله - عز وجل - مستوعباً العرش الذي هو فوق السماوات فلولا أن الله - عز وجل - على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرس كما لا يهتمونها إذا دعوا إلى الأرض".

وأما دلالة العقل على ذلك فقول: إن العقل قد دل على أن الله عال على جميع خلقه من وجه:

أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائمًا باكالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بناءً من الآخر.

الثاني: أنه تعالى - لأخليا العالم فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته والأول باطل.

أما أولًا: فبالإتفاق، وأما ثانياً: فإن أنه يلزم أن يكون محلًا للخصائص، والفائدة.

 تعالى الله - عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: يقتضي كون العالم واقعًا خارج ذاته، فيكون منفصلًا فتعينت المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم، وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى - لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول فيكون موجودًا، إما داخله وإما خارجه، والأول باطل، فتعين الثاني فلزم المباينة.

واللجهيمة في إنكارهم صفات الله - عز وجل - قولهم أن الله - عز وجل - في كل

(1) هو أبو الحسن الأشعري علي بن إسحاق بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري. كان من الأئمة المجتهدين. ولد في البصرة سنة سبعين، وتوفي سنة أربع وأربعين، وتلا حزمة من القرآن.

(2) المعجم في أصول الدنية ص 316-320.

(3) شرح الطهوارية ص 325.
مكانه أجاب عنها أهل السنة ووضحوا بطلانها من ذلك استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويلهم ما يكتسبون﴾ (1). على أنه تعالى - في كل مكان ولا يخلذه مكان فهو استدلال باطل وتفسير كتاب الله تعالى - بغير المراد منه فلأية: معناها إله من في السماوات، وإله من في الأرض وهو على عرشه، وعلمه محيط بالعرش وما دون العرش، ولا يخلوه مكان من علم الله سبحانه وتعالى - لا يمكن أن يكون علمه في مكان دون مكان بل إنه تعالى - قد أحاط بكل شيء علمًا فهذا هو المعنى الصحيح للأية.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى مبينًا بطلان استدلالهم بالآية السابقة على أن الله في كل مكان.

فقلنا لما أنكرتم أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى: ﴿الرحمون على العرش أستوى﴾ (2) فقالوا: هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش، وفي السماوات، وفي الأرض، وفي كل مكان، ولا يخلوه مكان، وتلوا آية من القرآن ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب - شيء فقالوا: أي مكان؟ فقلنا: أجسامهم وأجواقهم، وأجواء الخنازير والحسون، والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب - شيء وقد أخبرنا أنه في السماوات. . . إلى أن قال رحمه الله تعالى: أليس تعلمون أن إبليس مكانه والشياطين مكانهم لا ينكن الله ليجتمع هو وإليه في مكان واحد، وإنما يعني قول الله - جل ثناؤه - ﴿وهو والله في السماوات وفي الأرض﴾ (3) يقول: هو إله من في السماوات وإله من في الأرض وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلوه من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان فقال ذلك قوله ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدبير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا﴾ (4).

---

(1) سورة الأنعام آية: 31.
(2) سورة مبيثة آية: 5.
(3) سورة الأنعام آية: 33.
(4) الرد على الجهمية والزنيادة ص: 130-135 والآية رقم 12 من سورة الطلاق.
وقال ابن كثير: 

الآية: ۲۶۰ 

وهؤلاء في السموم وفي الأرض اختلف مفسرون هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية. القائلين - تعالى - عن قولهم علوا كبيراً بأنه في كل مكان حيث حرموا الآية على ذلك فالأصح من الأقوال أنه المدعون الله في السموات وفي الأرض أي يعبده ويوجد له بالله من في السموات ومن في الأرض يسمعون الله، ويذيعون رفعاً ورعباً إلا من كثر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى: ۲۶۰ 

وهو الذي في السماء وفي الأرض إلهك)۲۶۰(...

ومن الآيات التي احتج بها الجهمية على أن الله في كل مكان قوله تعالى: ۲۶۰ 

ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورابهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أيهما كانوا ثم ينبههم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء علم)۲۶۰(...

ويقال لهم: إن مثني الآية ليس كما فهمتها بل معناها المراد منها أنه تعالى - حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق عرشه بعلمه لأن علمه - سبحانه - محيط بمحيط جملة، وبصره نافذ فهم لا يحبب علمه وبصره شيء ولا يستطيعون الشواري منه شيء وهو عالج على عرشه بائن من خلقه (يعلم السماوات)۲۶۰(... لأنه سبحانه - لا يعد عليه شيء ولا تخفف عليه خافية في السماوات ولا في الأرض فهو سبحانه - رابعهم وخامسهم وسادسهم بعلمه المحبط بكل شيء كما بنت الآية ذلك بفتحتها وخاتمتها)۲۶۰(...

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: إذا أردت أن تعلم أن الجهمية كان على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان فقال: أليس الله كان ولا شيء؟ فيقول: نعم فعله: حين خلق الشيء خلقه في نفسه وأدارجاً من نفسه فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بدله من واحد منها.

۴) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن ديني القرشي البصري ثم الدمشقي أبو الفداء عبيد الدين. حافظ، مؤرخ، فقيه، ولد في سنة ۱۱۱۳ ومدحته في سنة ۱۲۳۷ ونافذيته في سنة ۱۲۷۳. 

۵) في تفسير القرآن العظيم (۷۷) والآية رقم (۸۴) من سورة الزخرف، وانظر أضواء البيان ۲/۱۱۲.

۶) سورة المجادلة آية: ۷.

۷) سورة الطو آل آية: ۷.

۸) الرد على الجهمية للدارمي ص ۱۹ مع التصرف في بعض أتفاظ.
إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

2 - وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفرأً أيضاً حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر ردي.

3 - وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه، ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة. 


تثليثت أفاضل البحث حول العلامة ابن العليم وبين أن العلماء انقسموا فيه إلى طائفتين.

(1) الرد على الجهمية والزئادة ص 139.
(2) هو: محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي أبو عيسى من أئمة علماء الحديث وحماة من أهل الترمذي يضرب به المثل في حفظ الحديث. ولد سنة تسع وسبعين وتوفي سنة تسع وسبعين ومائتين هجري.
(4) السنة: الصحاب النهاية 2/313.
(5) سورة (الهدي) آية: 39.
(6) سنة الترمذي 5/77-78.
الطائفة: قبلت الحديث على اعتبار أن سنده ثابت إلى الحسن.

وطائفة ثانية: رفضت الحديث بالكليّة على اعتبار أن الحديث متقطع وأن الحسن لم يرآها هيئة فضلاً عن أن يسمع منه، واكتشافه عليه أخرى وهو أن عبد الرزاق بن همام الصناعي رواه عن عمrium عن قادة عن النبي ﷺ فكان الحديث على هذا مرسلًا، وكان من قبلوا الحديث اختلافاً في عنيه على قولين:

قيل: إن المعنى ينطوي على علم الله وقدره وسلطانه إلى ما تحت النحت فلا يعزم عنه شيء وهذا القول حکاء الترمذي عن بعض أهل العلم.

وقال طائفة أخرى: بل هذا المعنى اسمه - تعالى - المحيط، واسم الباطن فإنه سبحانه - محيط بالعالم كله، وأن العالم العلوي والسفلي في قضاته كما قال تعالى:

"وآلهة من آلهتهم محيط (1)" إخاطته - تعالى - تتضمن علمه وفوقيته على جميع خلقه بالذات فلو فلذي بحيل لسقط في قضاته وهو فوق عرضه والحديث لم ننص عليه أنه يبطه على جميع ذاته فهذا لم يقله أحد البشة.

والتأويل الأول: الذي ذكره الترمذي بين ابن القيم أنه من تصرفات الجهمية قال رحمه الله: قال شيخنا(2): هو ظاهر الفساد من جنس تأويلات الجهمية، بل بتقدير شيوخه، فإنما يدل على الإباحة والباحة ثابتة عقلاً ونقداً وفطرة.

فالجهمية لا دليل لهم على دعواهم التي مضمونها التنقيص لله جل وعلا، ولا من الكتاب ولا من السنة.

وإن استدلوا بإيات من القرآن فإنهم يفسرونها بغير المراد منها، وإن أنوا بأحاديث تكون غير صحيحة، وأحيانًا تكون لا موجودة في كتب الحديث المعتمدة بالكلية، وحاصل ما تقدم أن علائم الله تعالى على خلقه ثابت بخصوص الكتب العريز والسنة المطورة، بل نطقها بذلك جميع الكتب السماوية المنزلة على رسله، وجميع أهل...

(1) سنن الترمذي 5/7877.
(2) المصدر السابق.
(3) سورة البقرة آية: 204.
(4) هو: الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
السموات ومؤمنوا أهل الأرض من الجن والإنس، أتباع الرسول، وشهدت بذلك الفطر السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تاجلها الشياطين عن دينها، كما فعلت بطائفة الجهمية الذين اتبعوا غير سبيل المؤمنين، فأطاعوا الشيطان وابتعدوا عما يريده الرحمن، فجميع الخلق إلا من خلقه الله يشهدون بأن خالقهم وفاطرهم، ومعبودهم الذي يبالهونه، ويزعون إليه، ويدعونه رغباً ورهباً هو فوق كل شيء عالٍ على جميع خلقه، مستوعباً عرشه باطن من خلقه، وهو يعلم أجواهم، ويسمع أفواهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، وجميع تقلباتهم، وما هم عليه لا يخفى منهم خافية، ومن لم يعتقد ذلك فهو ضال عن سواء السبيل.
المبحث الثالث
القرآن كلام الله من推出的
لقد دلت السورة علي أن القرآن منزل من الله غير مخلوق، وأنه صفة من صفاته 
 تعالى، وصفاته - تعالى - كما هو معلوم ليست مخلوقا في عدة آيات:
قال تعالى: تنزل الكتب من الله العزيز الحكيم. إذا أنزلنا عليك الكتاب بالحق 
 فاعبد الله مخلصا له الدين.
وقال تعالى: نزل أحسن الحديث كتابا مشابها مشينا تقشعر منه جلوود الذين 
 يخشون ربهم ثم تلبن جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله بهدي به من يشاء ومن 
 يضل الله فما له من هدى.
وقال تعالى: إذا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلتفسه ومن ضل 
 فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل.
وقال تعالى: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بعثة 
 وأنتم لا تشعرون.
وقال تعالى: وقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يذكرون، قرآنا 
 عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون.
هذه سبع آيات من السورة، الخمس الآيات الأولى منها دلت على أن القرآن منزل 
 من الله تعالى - غير مخلوق كما تضمنت الرد على القائلين بخلق القرآن، وهم المعتزلة وتعد 
 قول القائلين أن المراد من النزول نزول الملك الذي بلغه إلى الرسول، وليس المراد به 
 القرآن الذي هو صفة من صفات الله تعالى - كما قال ذلك الرازي (1).

(1) انتفسير الكبير 2٢٨/٣٢٨.
وجه الرد عليهم بالأيات الخمس الأولى: أنها صرحت بتنزيل وإنزال الكتاب الذي هو القرآن بواسطة الرسول الملكي فهو منزل من الله وهو كلامه حقيقة.

وأما الآية السادسة: وهي قوله تعالى: وقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون.

بين الله تعالى - فيها أنه مثل للمشركين من كل مثل من أمثال الأمم الخالية في هذا القرآن تخويفاً منه، وتحذيراً ليعظوا ويتذكروا علمنهم ينزرون عماهم عليه من التكذيب بالرسول والكفر بالله تعالى.

وأما الآية السابعة: وهي قوله تعالى: قل أراً عرباً عرضاً عوج لعلمهم يتقون.

قال السيوطي (1) حول هذه الآية: فيها الرد على من قال بخلق القرآن.

وروي اللالكاني واللاري (2) يسنده صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما: قرآناً عربياً عوجاً.

قال السيوطي (3): قل عوجاً عوجاً عوج.

فتلك الآيات من السورة دلت على أن القرآن منزل غير مخلوق وكما هو معلوم أن الإمام بالكتب ركن من أركان الإيمان السنة، ومن الإيمان بالكتب الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزل على محمد هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، ولا يؤكد إطلاق القول بأنه حكايته عن كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأ الناس، أو كتبه بذلك في المصاصف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة فإن الكلام إذا يضاف حقيقة إلى في مبتدأ لا

(1) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الديب الخضري السيوطي، جلال الدين إمام حافظ مؤرخ

(2) الكلاسيك في تفسير التنزيل ص 242.

(3) هو محمد بن الحسن بن عبد الله أبو بكر الأيزي. نسبه، شافعي، محدث. توافق سنة سبعة وثلاثمئة هجرية. انظر ترجمته في تاريخ بغداد 2/243.

(4) السنة للالكاني 2/217، كتاب الشريعة للأجري ص 77، الأسماء والصفات للمبيهي ص 311.
القرآن كلام الله منزل غير مخلوق

إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف (1).

و هذا ما يجب اعتقاده في القرآن ولا يجوز العدول عنه حال.

قال الصابوري: "وشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله، وكتابه ووحيه ونزله غير مخلوق، ومن قال بخلقه فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول ﷺ: "أقرأ الله عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً" (2). وكما قال - عزم من قال - "أو إن لتنزل رب العالمين * نزل به الروح الأмин * على قلبك لتكون من المتذنين * بلسان عربي مبين" (3)."}

وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته... إلى أن قال: "سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا الوليد حسن بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا تقبل شهادته ولا يعاد إن مرض ولا يطيل عليه إن مات ولا يبدن في مقابر المسلمين ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه" (4).

هذا الذي ذكره الصابوري رحمه الله تعالى - معتقد أهل السنة والجماعة في كتاب الله تعالى - وهما كان عليه السلف الصالح حيث كانوا على عقيدة واحدة في كتابه - تعالى - وهو القول بأنه كلام الله حقيقي منزل غير مخلوق.

قال العلامة ابن القيم: "وقد تنازع الصحابة رضي الله عنهم في كثير من مسائل الأحكام - وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمه إيماناً ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة" (5).

(1) مجموع الفتاوي 144/2.
(2) سورة فصلت آية: 4 - 4.
(3) سورة الشعراء آية: 191 - 190.
(4) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المبهرة 107/108 - 107.
(5) أعلام الموقعين 49/1.
هذا وواقع الصحابة فقد كان مجتمعهم مجتمعاً سليماً من الشوائب والإنحرافات المشؤومة، ولم يحدث القول بخلق القرآن إلا الجمليمة من العتبة، وهو من أعظم الفتن التي مرت بها الأمة الإسلامية في تاريخها، وكان أول من أحدث القول بخلق القرآن هو "الجعد بن درهم"، سنة أربع وعشرين ومائتي هجرية، ولم تهلك أخذ الراية من بعده "الجعد بن صفوان" سنة ثمانية وعشرين ومائتي هجرية.

ولما بدأ القرن الثالث الهجري تولى نشر هذه البديعة بشر بن غياث المريسي سنة ثماني عشرة ومائتين هجرية، ثم تلقاه أحمد بن أبي دؤس سنة أربعين ومائتين هجرية وزينتها للمائمون حتى اعتنقها، وحول الناس عليها وأكرههم على اعتقادها، وحذى حذوه من بعده أخوه المعتصم والواثق.

وفي زمن هؤلاء الثلاثة الخلفاء العباسيين نزلت المحتة والبلاء بعلماء أهل السنة والجماعة الذين لبوا في اعتقادهم على منهج السلف ورواها كبد المعتزلة في نحورهم بيان الحق في كلام الله تعالى حتى أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى -ضرب في هذه المحتة كي يصلوا منه على أدنى كلمة توافق مذهب الإعتزاز فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، فثبت رحمه الله تعالى -على التمسك بعقدة السلف الصالح حتى كان سبيلاً في حفظ العبيدة السلبية الصحيحة التي حماها الله من التلوث بيراث الجهمية المعتزلة، وبين رحمه الله بموقفه ذلك بطاعة ما دبره الجهمية ومعزلة من الكيد للإسلام، فبلغ الأمه فساد قولهم بأن القرآن مخلوق، ولم ترفع تلك الفتنة وهي فتنة القول بخلق القرآن إلا في زمن المتوكل سنة أربع وثلاثين ومائتين، وسبع تلك المحتة التي امتحن فيها أئمة الإسلام، وثبت فيها إمام أهل السنة أحمد بن حنبل تنازع الناس في القرآن نزاعاً كبيراً.

1) هو الجعد بن درهم مولى موسى بن غزالة أصله من خراسان. سكن دمشق فلم تظهر القول بخلق القرآن أخذ الأمويين في البحث عنه تهرب إلى الكوفة فلقى الجمليمة في فارس وثنى ذلك ففيه عليه أمير الكوفة والخليفة عبد الله الفضل، وفصح به حيث قال وهو على المباركية أنها الناس ضحوا قبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجد نحن من دونك فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكلماً - تعالى الله - مما يقول الجعد ما نقل فلما قرحبه، بدأت المئات 399، الميزان 647/1344،+C398، شروك مخطوطة السعادة رايتاريخ الجهمية والمحتة 130-70.
فالانقساموا إلى طوائف مختلفة في صفة الكلام حتى قيل إن علم الكلام إما سمي بهذا الاسم أخذًا من الكلام في هذه المسألة وسأذكر هنا الأقوال المذكورة عن الفرق في صفة الكلام بطريقة مختصرة:

مذهب السلف:
قالوا: إن الكلام صفة الله كسائر الصفات الأخرى، وهي صفة ذات وفعل، يتكلم مثى شاء وكيف شاء، وهو حروف وأصوات يسمعها من يشاء من مخلوقاته، وإن كلامه وصوته ليس كصوت المخلوقين وكلامهم فهو قديم النوع حادث الأفراد.

كما أنهم أجمعوا على أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من الله تعالى لا من الشجر أو الحجر، أو من غير ذلك كما زعمت الجهمية والمعتزلة لأنه لسمع من غير الله تعالى -لكان بن إسرائيل أفضل ذلك منه فإنهما سمعوهم أفضل من سمع منه موسى. لكونهم سمعوا من موسى عليه السلام وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة، وهو غير معقول.

وذلك لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتاً وحراً، وليس معنى في النفس، فإن لهوكان معنى في النفس كما زعمت الكلابية والاشاعرة والماتريدية لم يكن ذلك تكليماً لموسى عليه السلام ولا هو شيء يسمع.

فالقرآن عند أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً كلام الله تعالى -هوي، وتنزيله فيه معاني توجيهية، ومعرفة آياته، وأنه غير مخلوق بحروفه ومعانيه فهو كلام الله تعالى -حقيقية ويضاف الكلام إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبغاً، ومؤدياً، ولا يجوز إطلاق الفعل بأنه حكاءة عن كلام الله، أو عبارة عنه، كما يزعم ذلك الكلابية، والاشاعرة.

مذهب الفلاسفة:
قالوا: وإن كلام الله هو عبارة عما يفيض من العقل الفعال أو من غيره على النفس الفاضلة الزكية، بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات، وتصديقات

(1) انظر مجمع الفتاوى 390/296-298، مختصر الصواعق المرسلة 140/1-189، شرح العقيدة الطحاوية
بالحسب ما قبلته منه، ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى، قوة التصور، قوة التخيل، قوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعنى ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتصور المعقول صورةً نورانية تخاطبها وتتلمذها بكلام تسمعه الأذان، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية(1).

قال الشيخ الإسلام ابن تيمية فيقولون هذا القرآن كلام الله وهذا الذي جاء به الرسول كلام الله، ولكن المعنى أنه فاض من نفس النبي ﷺ من العقل العصلي، وربما قالوا: إن العقل هو جبريل الذي ليس على الغيب بضبنن أي: بخيل لأنه فاض. ويقولون: إن الله كلام موسى من سماء عقله، وأن أهل الرياضة والصفا يصلون إلى أن يسمعوا ما سمعه موسى، كما سمعه موسى(2).

والله هذا المذهب: من أبعد المذهب عن الحق والصواب إذ مضمونه أن كلام الله تعالى - عن الروهم والخيال ليس له وجود في الخارج إذ أنهم يزعمون: أن موسى سمع كلام الله من سماء عقله أي: بكلام لم يسمعه من خارج. وهذا مناقض للكتاب والسنة وإنكار لربوبة الخالق - سبحانه وتعالى - والكتاب والسنة لا بوضوح على أن الله تعالى - أي: أويحي إلى رسوله ﷺ إلى إخوانه من الأنبياء والرسل، والوحى كان كما بكيلهم الله بل واسطة، أو يوحي إليهم بواسطة الملك الذي يأمره الله بتبليغ الوحي إلى النبي الذي اصطفاه الله لتلبغ رسالته إلى عباده من الجن والأنسان.

قال تعالى: "وما كان ليبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولًا فيحجي بإذن ما يشاء إنه عليُّ حكيم"(3).

فهذه الآية دلت على أن الوحي إلى الرسول كان حقيقة ولم يكن تخيلًا يتخيله الرسول كما زعم ذلك الفلاسفة المارقون ومن جرى في ركابهم من المتكلمين فدعموه ذلك من أبطال الباطل.

---
(1) رسائل إخوان الصفا 4/209، نقص المنطق ص 32، مجموعة الرسائل والمسائل 3/288/3، منهاج السنة
(2) مجمع الفتاوى 12/312، مختصر الصواعق 2/288، إغاثة المهمل 2/216، شرح الطحاوية ص 179.
(3) سورة البشريّة آية: 61.
قول أبو الحسن الأشعري: "وزعت الجهمية كما زعمت النصارى لأن النصارى زعمت أن كلمة الله حواها بطين مريم، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حل في شجرة وكانت الشجرة حاوية له فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام مكتملة، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كلام موسى، وأن الشجرة قالت: "إني أنا الله إلا أنا فاعبدني".

وقال البغدادي وهو يذكر بعض الأمور التي اتفقت عليها الجهمية فقال: "وقال: أي جهم - حدوث كلام الله تعالى - كما قالت القدروة ولم يسم الله تعالى متكملماً به  ".

وقال البخاري رحمه الله تعالى: "وقال بعض أهل العلم: إن الجهمية هم المشهبة لأنهم شبهوا ربه بالصمم والأصم، والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، ولا يخلق، وقالت الجهمية: هو كذلك لا يتكلم ولا يصر نفسه".

مذهب الجهمية:

أما مذهب الجهمية في صفة الكلام فإنهم قالوا: إن كلامه سبحانه مخلوق، ومن بعض مخلوقاته ليس قائماً بذاته - سبحانه - فالكلام بدأ من هذه المخلوقات وليس من الله ولا يقوم بالله كلام ولا إرادة لأنه - سبحانه - كلام موسى بكلام خلقه في الشجرة، وكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء.

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

1. باب البصيرة سورة الفرقان.
2. مختصر الصواعت المرسلة. 288.
3. الملل والنحل 2119، أصول الدين للبدوي ص 34، مختصر الصواعت 288.
4. الإباحة ص 20، الآية رقم 14 من سورة فاطمه.
5. الفرق بين الفرق ص 112.
6. خلق أعمال العباد ص 15.
القرآن كلام الله مخلوق غير مخلوق

ولقد ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى: مذهب الجهمية في صفة الكلام فقال:

"و قالوا: في كلام الله إله مخلوق" (1). و قال الإمام إشاغ بن سعيد الدارمي "باب الاحتجاج للقرآن" أن 과 مخلوق ثم ذكر

حشاً كبيرًا من الأدلة على عدم خلق القرآن ثم قال: ففي هذا بيان بين أن القرآن خرج من الخالق لا من المخلوقين، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين" (2).

فهذا هو مذهب الجهمية السنيق في كلام الله تعالى - حيث يزعمون أن القرآن كلام الله على سبيل المجاز وهو مخلوق، وقولهم هذا ظاهر البطلان لمخالفته الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

مذهب المعزولة:

أما المعلمة فأثرى الجهمية فقد قالوا: "إن كلام الله تعالى - مخلوق، خلقه الله منفصلًا عنه، وهو حرف وصوت وأن موسى سمع كلاماً أحدثه الله في الشجرة، ولم ي سماع كلام الله حقيقة" (3).

قال عبد الحنان بن أحمد ميناً مذهب ومعزولة إخوانه من أهل الاعتراف في القرآن:

"وأما مذهبنا في ذلك فهو أن القرآن كلام الله تعالى - وحيه، وهو مخلوق محدث أزنه الله على نبيه ليكون علمًا ودابًا على نبيه، وجعله دالًا لنا على الأحكام لنرجع إليه في الحلال والحرام" (4).

وقال في كتابه "المغني" "اختلاف الناس في ذلك "كلام" والذي يذهب إليه

شيخنا أن كلام الله - عز وجل - من جنس الكلام المعقول في الشهد، وهو حروف منظومة، وأصوات مقطعة، وهو عرض خلقه الله - سبحانه - في الأجسام على وجه يسمع ويفهم معناه ويؤدي الملل ذلك إلى الأنياب على المعال السلام بحسب ما يأمر به - عز وجل - ويعمل صلاحًا ويستمل على الأمر والنهي وسائر الأقسام ككلام العبادة."

---

(1) الإختلاف في اللظة ص 323 ضمن عقائد السلف.
(2) الرد على الجهمية ص 98-99.
(3) انظر المقالات لأبي الحسن الأشعري 177/1، وما بعدها، أسول الدين للبرودي ص 53، الملل والنحل 40/1.
(4) شرح الأصول الخمسة ص 528.
وقال أيضاً: "ولا خلاف بين أهل العدل في أن القرآن مخلوق محدث مفعول لم يكن، ثم كان وأنه غير الله - عز وجل- وأنه أحدثه بسبب مصالح العباد، وهو قادر على أمثاله وأنه يوصف بأنه مخبر به، وقائل، وأمر، ونهى من حيث فعله وكلهم أنه - عز وجل- متكلم به" أ. هـ. (1)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً وجه تقارب مذهب المعتزلة والجهمية ووجه افتراقهما (ففماههم - أي المعتزلة - ومنذهب الجهمية في المعنى سواء، لكن هؤلاء يقولون: هو متكلم حقيقة وأولئك يرون أن يكون متكلماً حقيقة، وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم، فإنه لا يعقل متكلم إلا من قام ب الكلام ولا ريب إلا من قام بإرادته، ولكن معنى كونه - سبحانه - متكلماً عندهم، أن خلق الكلام في غيره). أ. هـ (2).

والقرآن والسنة يقرران بطلان مذهب المعتزلة من أساسه قال تعالى: "إِنَّمَا أَمْرُهُ أَن يَقُولُ هُل يُخْلِقَ كُنْ"

وجه الدلالة من الآية: أن الله تعالى - خلق كل شيء بقوله "كن" ولو كانت "كن" مخلوقة لأدى ذلك إلى أن مخلوقاً خلق مخلوقاً آخر وهذا من القول المستحيل الذي لا يقول به أحد قط.

وقال تعالى: "إِنَّ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سَنَةٍ أَيْامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَبْعُثُ اللَّيْلَ النهُّارَ يَطْبِعُ حُسْنًا وَالشَّمَسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمَاتِ بِأَمْرِهِ أَلاَّ لَهُ النَّخَلَ وَالْأَمْرُ بِالرَّبِّ الْعَظِيمِ" (3).

وجه الدلالة من هذه الآية: أن الله فرّق بين خلقه وأمره فالمراز بالخلق في الآية هو المخلوقات، والمراد بالأمر في الآية هو القرآن فالآية دلت على إطلاق قول المعتزلة بأن القرآن مخلوق إذ الأمر ما يكون به الخلق.

(1) مجموع الفتاوى 3/114
(2) 12/311-312
(3) سورة بس آية: 82
(4) سورة الأعراف آية: 54
قال تعالى: "ولو شنتا لا تبينا كل نفس هداؤها ولكن حق القول مني لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين". 

وجه الدلالة من الآية:
أن الله تعالى - بين أن القول منه وما كان منه فليس مخلوقاً.

وروي الخطأي بإسناده إلى وكيج بن الجراح أنه قال: "من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق فقيل له: يا أبا سفيان من أين قلت هذا؟ قال: لأن الله - تبارك وتعالى - يقول: "ولكن حق القول مني ولا يكون من الله شيء مخلوق". 

 وقال تعالى: "ولو أنما في الأرض من شجرة أقلاهم والبحر بمدة من بعده سبعة أبوه ما نفت كلمات الله".

وجه الدلالة من هذه الآية:
أن المخلوقات كلها نافذة وقائية، أما كلمات الله تعالى - فلا نفات ولا تفتى ولذلك يقول الباري - سبحانه - عندما تفني الخلق كلها من الملك اليوم؟ فيجيب "الله الواحد القهار".

وروى ابن جرير الطبري بإسناده إلى الحسن البصري في الآية: "ولو أنما في الأرض من شجيرة أقلاها والبحر بمدة من بعده سبعة أبوه". قال: لو جعل شجر الأرض أقلاها، وجعل البحور مدناً، وقال: إن من أمري كذا ومن أمري كذا لنفد ماء البحور ونكسرت الأقلاع. 

وقال رسول الله ﷺ: "يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السموم بيمينه ثم يقول: أنا الملك فأين ملوك الأرض..." الحديث.

---

(1) سورة السجدة آية: 13. 
(2) شرح أصول السنة للإلكانجي 2/219. 
(3) سورة الف.tagName آية: 27. 
(4) سورة غافر آية: 16. 
(5) تفسير ابن جرير 2/81. 
(6) متفق عليه من حديث أبي هريرة. صحيح البخاري مع الفتح 373/11، صحيح مسلم 4/2148.
هذا الحديث والإيات قبلها فيها الرد الواضح الصريح على المعترضات القائلين بأن كلام الله مخلوق لأن كلام الله صفه من صفاته، وصفاته كذاته ليس شيء من ذلك مخلوق والذي حمل المعترضة على القول بأن القرآن مخلوق منفصل عن الله تعالى - خلقه في غيره.

قالوا: إذا أقمنا ذلك لأننا إنما استدللنا على حدوث العالم بحدوث الأجسام، وإنما استدللنا على حدوثها بقيام الحوادث بها وأن ما لا ينفك عن الحوادث فهو محادث لأنتراع حوادث لا أول لها فلو قلنا إنه تقوم به الصفات والكلام للزم قيام الحوادث به لأن هذه الأعراض حادثة.

وهذا الكلام الحدث المبتدع جعلوه أصلاً لهم في نفي صفات الله تعالى -، وظفوا أنهم يصرؤون على الإسلام، ويضربون به أعداءه، ولكن لا الإسلام نصروا ولا أعداءه كضروا وإنما النتيجة التي حصلت لهم من وراء هذا الأصل الباطل أن سلطوا على أنفسهم علماء الشرع والعقل، فعملاء الشرع قاولوا لهم: إنكم خالفتم بقولكم هذا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعلماء الفلسفة قاولوا لهم: إنكم خالفتم بقولكم هذا المعقول رغم أن المعترضة أعرف من الفلسفة بعلوم الدين وأولئك أجهل منهم بالشرع والعقل في الإلهيات، ففتحوا على أنفسهم دخولاً داخلوا عليهم منه، ونقموا عليهم بسبب مخالفتهم للعقل.

وأما استدلال المعترضة على خلق القرآن يقول تعالى: "الله خالق كل شيء" (1).

ويقولون: إن القرآن داخل في عموم "كل" لأن شيء فوق مخلوقاً هذا مما يوجب له العقلاء، إذ إنهم يعزمون أن أعمال العبادات غير مخلوقا لله - جمل وعلا - وإنما يخلقها العباد جميعها لا خلقها الله خلوقا من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفات الله تعالى - به تكون الأشياء المخلوقة إذ المخلوقات تكون بأمره سبحانه - كما تقدم ذلك، ومن قال: فإن صفات الله تعالى - مخلوقة كالعلم والقدرة، وغيرها فهذا من الكفر الصريح لأن علامة تعالى - شيء وحياته شيء وقوته شيء، و...

(1) سورة الرعد آية: 16.
(2) سورة الرعد آية: 2/80 بتنصرف بسير.
فيدخل في العلوم الذي تتضمنه "كل" فيكون مخلوقاً، بعد أن لم يكن - تعالى الله - عما يقولون علواً كبيراً(1).

قال ابن القمي - رحمه الله - تعالى: "احتاج المعتزلة على مخلوقية القرآن بقوله تعالى: (الله خالق كل شيء) ونحو ذلك من الآيات، فأجاب الأثريون بأنه عام مخصوص، يخص محل النزاع كسائر الصفات من العلم ونحوه.

قال ابن عقيل(2) في الإرشاد: ووقع لي أن القرآن لا يتناوله هذا الإخبار ولا يصلح لتناوله قال: لأن به حصل عقد الإعلام بكونه خالقاً لكل شيء وما حصل به عقد الإعلام والإخبار لم يكن داخلاً تحت الخبر قال: ولو أن شخصاً قال: لا أتكلم اليوم كلاماً إلا كان كذباً لم يدخل إخباره بذلك تحت ما أخبر به قلت: ثم تدارت هذا فوجدته مذكورة في قوله تعالى في قصة مريم: (إذا ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرته للرحمن صوماً فلن أكل اليوم إنسياً)(3).

وإذا أمرت بذلك كثلا تسلط عن ولدها قولها: فلن أكلم اليوم إنسياً، بما حصل إخبار بأنها لا تكلم الإنسان، ولم يكن ما أخبرت به داخلاً تحت الخبر إلا كان قولها هذا مخالفًا لنذرها" أ. هـ(4).

فقوله تعالى: (خلق كل شيء) التي استدل بها المعتزلة على خلق القرآن آية عامة في جميع الخلق لا يخرج عنها شيء من هذا الوجود أفعاله وأفعاله، وحركاته وسكناته، ولا يخصص بذات الله تعالى - وصفته إلابار - سببهان خالقها وصفاته وما سواه مخلوق له - تعالى - ونفس اللوغ في الآية قد فرق بين الخلق - سببهان - وبين المخلوق، وصفاته - تعالى - داخلة في مسمى اسمه - تعالى - فإن لفظ الجلالة "الله" اسم لالله.

(1) انظر شفاء العليل ص 53، شرح الطحاوية ص 183.
(2) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفيري، أبو الوفاء، يعرف بابن عقيل. عالم العراق وشيخ الحنابلة بغداد في وقته. كان قوياً الحجة ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعون سنة، وتوفي سنة ثلاث عشرة.
(3) سورة يريم آية 26.
(4) بدائع الفوائد 4/ 218.
القرآن كلام الله منزل غير مخلوق

- تعالى - المصروف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة عيب ونقص ومثال، والخلق
قسمان: أعيان وفعال وهو - سبحانه - الخلق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال)١.

ويقال للمعتزلة أيضاً: إن عموم «كل» في كل مقام بحسبه এবং elkaar إلى،(٢) وبرهان ذلك قوله - تعالى - (تدمر كل شيء بأمر ربي فلا تصبحوا إلا مسكنهم)٢ ومساكنهم قوم عاد شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح وذلك لأن المراد تدمر كل شيء قابل للتدمر بواسطة الريح.

وقال تعالى: (وأوتيت من كل شيء) (٠) والمراد من كل شيء تحتاجه الملوك، والملك مثل هذا يفهم من قرائن الكلام، فمراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أم الملك غير محشدة إلى ما يكمل به أم الملك ولهذا نظائر كثيرة والمراد من قوله تعالى: (خلق كل شيء) أي كل شيء مخلوق وكل موجود سوى الباري - فهو مخلوق فيدخل في هذا العموم أنفعال العباد قطعاً ولم يدخل في هذا العموم الخلق - تعالى - وصفاته تعالى - ليست غيره لأنه سبحانه وتعالى هو المصروف بصفات الكمال، وصفاته تعالى - ملاحظة لذاته المقدسة، ولا ينصرف انفعال صفاته تعالى - عنه بحال) (١).

كما يقال لهم أيضاً: كيف يصح أن يتكلم الله بكلام قائم بغيره ولو جاز ذلك للزم أن يكون كل كلام أحدته في الجمادات كلامه! وكذلك الكلام الذي خلقه في الحيوانات يكون كلامه، ولا يكون هناك فرق بين نقط وأنطق، وإنما قالت الجلود (أنطفسنا الله) (٣) ولم تقبل: نطق الله بل يلزم أن يكون متكلاً بكل كلام خلقه في غيره زوراً، أو كذباً، أو كفرأ، أو هذيانًا. تعالى الله - عموم قوله المعتزلة والجهمية علواً كبيراً، وهذا ما قاله الإتحادية فقد قال ابن عربي:

وكل كلام في الموجود كلامه سواء علمنا بشيء ونظامه

١) شفاء العليل في مسائل الفضاء والقرص ٥٣ تصرف يسير.
٢) سورة الأحقاف آية: ٢٥.
٣) سورة النمل آية: ٢٣.
٤) شرح الطحاوية ص ١٨٥، وما بعدها.
٥) سورة فصلت آية: ٢١.
القرآن كلام الله منزل غير مخلوق  

ولوصح هذا لكان قول فرعون: (أنا ربكما الأعلى) (1) من كلام الله كما أن الكلام المخلوق في الشجرة على زعمهم كلام الله وهذا من باطل القول وزورو إذ الرسل عليهم الصلاة والسلام أخبروا الناس وأفتروهم أن الله نفسه هو الذي تكلم والكلام قائم به لا بغيره ولذلك عاب الله على من بعد إلهًا يتكلم قال تعالى: (إلم يبروا أن لا يكلمهم ولا يهدؤهم سبيلًا) (2)، ولا يحمد شيء بأنه متكلم وهذا بأنه غير متكلم إلا إذا كان الكلام قائمًا به» أ. هـ. (3).

وأما استدلالهم المشتيلة بقوله تعالى: (إنا جعلناه قرآناً عرضاً) (4) على خلق القرآن فهو استدلال ظاهر الفساد فإن الفعل (جعل) إذا كان ميعان (خلق) فإنه يتعادى إلى مفعول واحد كقوله: (سبحانه) (5) وجعل الظلمات والنور) (6) وإذا كان يتعادى إلى مفعولين لم يكن ميعان خلق قال تعالى: (ولا تنضروا الأيمن بعد توكيدها وقيد جعلهم الله علينا كفيلة) (7).

ومثل هذا قوله تعالى: (إنا جعلناه قرآناً عرضاً) (8).

والمتحفة ألمة أخرى غير هذه الأدلة ولكن بحمد الله تعالى - لقين وعلماء السلف عدد ووجهة استدلالهم بها وأن تعلقهم بها لا يساعد على دعواهم في القول بخلق القرآن.

منهج الكلابية:

لقد ذهب عبد الله بن سعيد بن كلاب وأتباعه إلى أن القرآن عبارة عن حكايته معنى قائم بنفسه لا يتعلق بقدرته تعالى - ومشيئة وأنه لا دم لذاته - جل وعلا - كنوز الحياة.

(1) سورة النازعات آية: 24.
(2) سورة الأعراف آية: 148.
(3) منهج السنة 1/ 222-223-184، شرح الطهارية ص 232.
(4) سورة الزخرف آية: 3.
(5) سورة الأعام آية: 1.
(6) سورة النحل آية: 91.
(7) شرح الطهارية ص 182، وانظر الاختلاف في اللفظ لا ينبغي أر 234-235 ضمن مجموعة عقائد السلف.
والقدرة والعلم وأنه لا يسمع على الحقيقة، وليس له حرف ولا صوت، وهو أربعة معاني في نفس الأمر، والنهي، والخير والاستخار، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع وذلك المعنى هو المخلوق المقرئ، وهو غير مخلوق والأصوات والحروف هي تلاوة العبادة وهي مخلوقة، وأن الله سبحانه وتعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته وأنه ليس فيما يقوم به شيء يكون بمشيئته وقدرته لامتنع قيام الأمور الاختيارية به عندهم لأنها حادثة، واللله لا يقوم به حادث عندهم و قالوا: إذا لو قلنا أنه بقدرته ومشيئته لزم أن يكون حادثًا فيلزم أن يكون مخلوقًا، أو قيامةً بذات الحبـ ف قيام الحوادث به وذلك يتلزم تسليسل الحوادث، لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده تسليسل الحوادث ممعن، إذ التفريع على هذا الأصل (1).

فمذهب الكلابية أن القرآن العربي ليس عندهم كلام الله وإنما كلامه المعنى الذي قام بذاته، والقرآن العربي خلق لدليل على ذلك المعنى، ثم ما أن يكون خلق في بعض الأجسام الهواء أو غيره، أو الماء جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي، أو الماء مهدماً فعبر عنه بالقرآن العربي وكما هو معلوم مذهب ظاهر البطلان.

مذهب الأشاعرة:

أما مذهب الأشاعرة فقد قالوا: الكلام عبارة عن معنى واحد قائم بنفسه هو صفة أزليّة قديمة، ليس بصوت ولا حرف، وهو عندما أمر أنس، وعيس عليه، وفي الاستخار، أن كل من أمر واحد ليس له أنواع ولا أجزاء فإن عبر عنه بالعبرانية كان نورًا، وإن عبر عنه بالسربانية كان إنجيلًا وإن عبر عنه بالعربية فهو القرآن. وقالوا: تسمى هذه العبارات كلام الله مجازًا، وأن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله حقيقة بل سمع ما بدل عليه (2).

قال البغدادي: كلام الله عندها أمر ونهي وخبير ووعد ومن فوائد وجهوه العموم،

(1) مقالات الإسلاميين 2/ 257، وما بعدها، مجموع الفتاوي 1211/ 12، ونظير مجموعات الرسائل والمسائل 3/ 378، ومهجورة السنة النبوية 11/ 1، مختصر الصواعت المرسلة 2/ 291– 292، ونظير لعوض الأنوار الوراء 1/ 164، ونظير شرح الأصول الخمسة ص 577.
(2) نظير تلخيص مرشد على جوهرة التوحيد ص 71، شرح العقائد النسفي ص 94، شرح الفقه الأكبر ص 40– 41.
القرآن كلام الله منزل غبر خلوق

والخصوص، والمجمول، والمفسر، وفي أحكام ناسخ ومنسوخ، ولا ينسخ كلامه، لأنه لا يجوز عنه ورفعه وقراءة كلامه بالعربية القرآن، وقراءته بالعبرانية توراة، والبصرانية إنجيل، والقراءة غير المقرر لأن المقروء كلام الله ولا يست القراءة كلامه.

فالقرآن عند الأشاعرة كلام نفسي لأن الكلام ينقسم إلى قسمين: كلام نفسي وهو كلام الله في ذلك قديم، وكلام لفظي وهو حداث مخلوق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: في رده على مذهبهم هذا " فالكلام القديم النفسي الذي أُثبته لم يثبت ما هو؟ بل ولا تصورلاومو وإثبات الشيء فرع عن تصوره من لاتصور ما يتبقى كيف يجوز أن يثبته، وهذا كان أبو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيئاً يعقل بل يقول: هو يعني ينافق السكوت والحرس..." أ. ه. (1).

وقال أيضاً: رحمه الله تعالى:

ومأما قول الأشاعرة إن الكلام عمارة عن معنى واحد فهو خاطئ لأنهم يقال لهم: "هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى، أو بعضه فإن قالوا: سمعه كله فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله، وفساد هذا ظاهر.

وإن قال: بعضه فقد قال: يبتعد وكذلك كل من كلامه الله، أو أنزل إليه شيئاً من كلامه، ولما قال الله تعالى للملائكة: "إني جاعل في الأرض خليفة" (2). أو قال لهم: استجدوا لأدم، وأمثال ذلك فهذى جميع كلامه، أو بعضه؟ فإن قال: إنه جميعه فهذا مكابرة وإن قال: بعضه فقد أعرفه بذلك، وذلك أن معنى أية الكرسي ليس معنى "قل هو الله أحد" (3) ولا معنى "ولا تقربوا الزنا" (4) ولا معنى "بتيدا أبي لب" (5).

(1) أصول الدين 102–107.
(2) مجمع الفتاوى 296.
(3) سورة البقرة 30:1.
(4) سورة التوبة 1:4.
(6) مجمع الرسائل والمسائل 3/154 ط دار الكتب العلمية وانتشار شرع الطحاوية 197.
و بهذا المذهب الأشعري قال المانزيدي في صفة الكلام (1).

ثم إن مذهب الأشاعرة والمانزيدي في صفة الكلام بعد كل البعد عن مذهب السلف، وقرب كل القرب من مذهب الجاهمية والمعلمة كما صرح الأيبي بذلك حيث قال:

"قالت المعلمة أصوات، وحروف يخلقها الله في غيره كاللوي المحفوظ أو جبريل، أو النبي، وهو حادث، وهذا لا نتكره، لكننا نثبت أمرها وراء ذلك وهو المعنى القائم بالنفس" (2) فلقد صدق العلماء في تسميتهم أفرخ المعلمة.

مذهب الكرامية:

أما الكرامية فقد قالوا: "إن كلام - الباري سبحانه - حروف وأصوات وأنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم، بل يتباهي - تكلم به بعد أن لم يكن متكلماً وأنه لا مانع أن توجد الحوادث للصادع - جل وعلا - بعد أن تكلم، فوجود الكلام عندهم في الأزل مثبت بوجود الأفعال، وكذلک إن الكلام ممتنع أن يكون مخلوقاً في غيره والله - تعالى - متكلم.

بمشيته وسقدرة، فيكون كلامه حادثاً، كان بعد أن لم يكن (3).

ودكر البزوتي مذهب الكرامية فقال: "وعند الكرامية الله - تعالى - متكلم على الحقيقة بعلم حادث قائم به، وأنهم يجوزون حدوث الآية بالله - تعالى - تعالى" (4).

وقول هؤلاء الكرامية مشتمل على حق وباطل، فإنهم كلامًا وفعلًا. حقيقة قائمين، بذات المتكلم الفاعل هذا حق، وأما زعمهم أن الباري جل وعلا - تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا فهذا عيب الباطل لأن الكلام من صفات الكمال، وهو سبحانه - منصف بصفاته. الكمال أزلاً وأبدآ.

(1) انظر التوجيه المانزيدي ص 58 - 59، أصول الدين للبزوتي ص 55، شرح العقائد النسفي ص 89.
(2) المواقف ص 294.
(3) مجموعة الرسائل والمسائل 3، 455، منهج السنة النبوية 2/1، 221/1، لوائح الأئمة البهية 137/17، شه.
(4) الطهارة ص 180، أصول الدين للبزوتي ص 56.
المذهب السالميا:
أما السالميا فقد قالوا: بأن صفة الكلام من الصفات القديمة القائمة بذات الرب جل وعلا لم ينزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشتهيه، ومع ذلك يقولون: بأنه حروف وأصوات وسور وآيات، سمعه جبريل منه، وسمعه موسى بلا واسطة وسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان بواسطة، وبحير واسطة ومع ذلك فحروف وكلماته لا يسبق بعضها بعضاً، بل هي مقتارة إباؤه مع السين مع الميم في نح واحد، لم تكن معدومة، في وقت من الأوقات، ولا تعلم بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه - قيام صفة الحياة والسمع والبصر.

ثم إنهم اختلفوا في الأصوات المسموعة هل هي من القارئ أم لا؟
فذهب جمهورهم إلى أن تلك الأصوات المسموعة من القارئين.
وقال قوم: بأن الصوت يسمع من القارئ ثم قد يقولون: تارة إن القديم نفس الصوت المسموع من القارئ.
وبعضهم يقولون: إنه يسمع من القارئ الصوت قديم، وحدثة، هـ.

المذهب الإتحادية والحلولية:
أما الإتحادية والحلولية فقد زعموا: بأن كل كلام في الوجود كلام الله نظمه ونشر، حقه وباطله، سحره وكرره، خبره، وشهر كله ذك كلام الله تعالى - القائم به، وهذا المذهب بنوه على أصلهم الذي أصلوه، وهو ابتداد الخلق بالخلق، وأن الله سبحانه هو عين الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله وأصل هذا المذهب، إنكار مباينة الله لخلقه وعلوه واستوارته على عرضه، ولهما أصلا لأنفسهم القول بأن الله في كل مكان، وأنه سبحانه - غير مباين لهذا العالم بل هو على هذا العالم، فله حينثذ كل اسم حسن وقبيح وكل صفة كمال ونقص، وكل كلام حق وباطل نعوذ بالله من ذلك.

(1) مجموع الرسائل والمصالح 33/ مختصر الصواعق المرسلة 2/612 مجموع الفتاوى 167/12
(2) مجموع الفتاوى 167-167
وَهَذَا قُولُ ابْنِ عَجْرِي، وَابْنِ الغَفَّارِي، وَابْنِ سَبْعِينِ، وَالْبَلْمِسْانِي، وَمِنْ جَرَىٰ فِي
رَكَابِهِمَّ.(١)

تَّلِكَ الْأَقْوَالُ الْوَاسِطَةُ وَمِدَاحِبِهِمُّ فِي صَفَةِ الْكِلَامِ، وَهِيَ الْأَقْوَالُ الَّتِي قَيْتَ فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمَمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أنَّ الْقُولَ الْذِّي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَن يَقِدِّرَ اللهَ بِهِ هُوَ مَا
قَالَ عَلِى نَصُوْصِ الْكِتَابِ وَالْسَنَةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الأُمَّةِ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ جُمِعَهُ كَلَامُ اللَّهِ ﷺ حِرُوفُهُ
وَمَعْنَاهُ لِيْسَ شَيْءًا مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا لَّغِيرَهُ، وَلَكْنَ أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ. وَأَنْهُ - تَعَالَى - يَكْتَلِم
بِصُوْتِ وَكَمَا وَرَدَتْ بِذلِكَ الأَحَدَيْنِ الصَّحَابَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَأَصْوَاتِ الْعَبَادِ، لَا صُوْت
الْقَارِئِ، وَلَا وَقُدْرَةَ اللَّهِ ﷺ كَمَثَلَهُ شَيْءًا لَّا فِي ذَلِكَ، وَلَا فِي صَفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ فَكَمَا
يَشِبُّ عَلَى وَقُدْرَتِهِ، وَحَيَاتِهِ، عَلَمَ المَخْلُوقِ وَقُدْرَتِهِ، وَحَيَاتِهِ فَكَذَٰلِكَ لَا يَشِبُّهُ كَلَامُهُ كَلَامَ
الْمَخْلُوقِ، وَلَا مَعْنَاهُ تَشِبُّهُ مَعْنَاهُ وَلَا حِرُوفَهُ تَشِبُّهُ حُرُوفِهِ، وَلَا صُوْتَ الْرَّبِّ - يَشِبُّهُ صُوْت
الْعَبِيدِ.(٢)

فَهَذَا الْمَذْهِبُ الْحُقُّ لَمَوَافِقَتِهِ الرَّحِيِّ الْأَلِيِّ الَّذِي هُوَ الْفَيْضُ الْحَاسِمُ
عَنْدَ النَّتَبَاعِ وَالْاِخْتِلَافِ.

(١) مَجْمُوعُ الْفَتَارِي ٢/١٧٤، مَنْهَاجِ الْسَّنَةِ ٢/٢٢١، مُخْصُصُ الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَالَةِ ٢/٢٨٧-٨٨٣، شَرَح
الْطَّلَبَاءِ ١٨٤.
(٢) مَجْمُوعُ الْفَتَارِي ٢/٢٤٣-٢٤٤.
المبحث الرابع
إثبات صفة العزة

لقد أثبتت السورة صفة العزة للباري سبحانهٰ في ثلاث آيات:
قال تعالى: {تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم}.
وقال تعالى: {ألا هو العزيز الغفار}.
وقال تعالى: {أليس الله عز وجل ذي إتقان}.
فاسمها تعالى: {العزيز} الوارد في هذه الآيات الثلاث يشتم منه صفة العزة، وهي من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله تعالى، فالعزيز اسم من أسماء الله

- تعالى. وقد جاء في اشتقاقه وجهه:

الأول: أن يكون ممتعًا لا مثيل له ولا نظير من عزة الشيء يكسر العين في المضارع ومنه يقال: عز الطعام في البلد إذا تعذر وجوهه عند الطلب، وإذا اسم الشيء الذي يعجز وجود مثله بالعزيز فإن يسمى الشيء الذي يتمتع عقلاً أن يكون له نظير بالعزيز من باب أولى.

الثاني: أن يكون ممتعى الغالب الذي لا يغلب من عزيز بضم العين في المضارع أي غلب يغلب ومنه قوله تعالى: {وعزيز في الخطاب} (1) أي عزيز ويتقول العرب: من عزيز أي: من غلب سلب فإذا قيل: لمن غلب مع جواز أن يصير مغلوباً لأنه عزيز فالغالب الذي يتمتع أن يصير مغلوباً، والقاهر الذي يستحيل أن يصير مقهورًا أولى أن يسمى بالعزيز.

(1) سورة ص: آية: 23.
الثالث: أن يكون بمعنى الشديد (القوي) يقال: عزيز، بفتح العين في المضارع إذا اشتد وقوي ومنه قوله تعالى: (فعزناهmoةباثل) أي شدنا وقوينا وإذا سمي الوارد: الذي قديم ضعف، والقدرة الذي قديم يعفج (بالعزي) فإن يسمى (القدر) الذي يستحي في حق العجز (عزيزاً) من باب أولى.

الرابع: أن يكون بمعنى (المفعوم) على وزن (فعيل) بمعنى (مفعل) كالألف بمعنى المؤلم وعلى كفعول المعنى الأول يرجع إلى التنبؤ، وعلى المعنى الثاني والثالث يعود إلى صفة الذات، وهي القديمة.

وعلى المعنى الرابع يرجع إلى صفة (الفعل).

وقد ورد هذا الاسم الشريف في مواضع كثيرة من كتب الله تعالى - وكثرة تكراره في ناسغ على إثبات صفة «العزيز» الله تعالى ثبوتًا قطعياً يليق بجلاله - إن سبب المفعول - من غير تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكليف ولا تحريف، ولا عبيرة بن نفسي الصفة وأثبت الاسم كما هو مذهب المعترف (و) ولا قيمة لمن نفسي الأسماء والصفات كما هو مذهب الجهمية (د) النفاة، ومذهبهم في الحقيقة يؤدي إلى القول بالعدم المحض وهو من أقد السعب.

فصفة العزة ثابتة بنص كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإن رسمت أنف الجهمية والمعترف، وإليك بعض الآيات في ذلك: قال تعالى: (واعتز 살ه ورسله وملميين) (ج) فكل من له نوع بصري يعلم أن القوة والغلبة في الحقيقة لبلازي سبائنها وتعالى - وحده ثم لمن أنفواها على من رسله، والصالحين من عباده - عزه تعالى - غلبتهم وقهروا لأعدائهم، وعزله رسوله ﷺ إظهار دينه على كل الأديان، وعزل عباده المؤمنين، نصره لهم على أعدائهم.

(1) سورة يس آية 14.
(2) تفسير أسامة الله الحسن ﷺ لرازي ص 146-150.
(3) يطلق اسم المعترف على الذين يجتمعون قولًا بالأصول الحسنة: التوحيد، والعدل، والوعيد، والمنزلة بين المتزكين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقبوله بإثبات الأسماء ونبي الصفات، أنظر آراءهم، وأقوالهم في مقالات الإسلاميين: 1/225 وما بعدها والملل والملل للشريعي ص: 423 وما بعدها، الفرق بين الفرق ص: 114 النبي في الدين لأبي المظفر الإسفراياني ص: 77.
(4) انظر مقالات الإسلاميين: 1/338، الفرق والإعراب للشريعي ص: 86 وما بعدها الفرق بين الفرق ص: 211.
(5) التصريح في الدين ص: 100-101، إعتقادات فرق المسلمين ومشروعات للرازي ص: 68.
(6) سورة المنافقون آية 8.
قال المؤمنون لهم من العزة بقدر ما منهم من الإيمان وحقائقه فإذا حصل لهم نقص من العلو والعزة فشيئه كشيئ الإسلام علماً وعملًا، ونصرهم وتأييدهم موقف على قيمتهم بتكمل مراتب الإيمان وواجباته.

وقال تعالى: "إنك أنت العزيز الحكيم" (1) وقال: "صلى عليه الشكير" (2) وقال: "الله عزيز حكيم" (3) وقال: "إن ربك هو القوي العزيز" (4) وقال: "إن ربك له العزيز الرحيم" (5) وقال: "وقفرن - سبحانه وتعالى - بين وصف العزة والحكمة بقوله: "كأن الله عزيزاً حكيمًا" (6).

ومعنى: العزيز - الغالب كل شيء، والذي ذل لعزته - كل عزيز والممتنع فلا يغلبه شيء وهو سبحانه - رب العزة ويوهده وحده العزة - تعزيب بما يشاء، ومن يزيد العزة فلا مصدر لها سوى العزيز - سبحانه وتعالى - من كان يزيد العزة فلا الله جميعاً (7) وقد تعود الله المنافقين الذين يلمسو العزة عند الكافرين الذين اتخذوا أولياء من دون المؤمنين بالعذاب الأليم فقال تعالى: "بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أبينغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً (8).

ولقد جاء اسمه تعالى - العزيز - مقتناً بأسماء أخرى من أسمائه - تبارك وتعالى - ولاقترانه ذلك أسرار دقيقة، ومعناها بديعة فقد اقترن باسمه تعالى - الحكيم - في عدة مواضع ذكرنا بعضها قريباً قال تعالى: "إن الله كان عزيزاً حكيمًا" (9) فاقترانه بهذا الاسم

(1) سورة البقرة آية: 129.
(2) سورة آل عمران آية: 18.
(3) سورة إبراهيم آية: 47.
(4) سورة فهود آية: 61.
(5) سورة الشعراء آية: 9.
(6) سورة الأنفذ آية: 7.
(7) سورة غافر آية: 10.
(8) سورة الناس آية: 138-139.
(9) سورة النساء آية: 56.
يُفيد أنه الغالب الذي لا يعجزه شيء سبحانه وهو الحكيم في أفعاله وأفعاله جميعاً يضع الأشياء في محالها التي تناسبها مناسبة تامة.

كما اقترح باسمه تعالى - ذهابان - عدة مرات مثل قوله تعالى - والله عزرا ذو انتقام - 1 وأقترحه به يُفيد أنه الغالب الذي يقدر على أن ينتقم ممن يستحق الإنتقام منه بمنتهى العدل منه - سبحانه -


واقترحه به يُفيد أنه - تبارك وتعالى - العزيز الغالب الذي لا يضمن من لاذ بجنابه المنيع - المحمود في جميع أفعاله وأفعاله، وشرعه وقده، وأمره ونهيه، الصادق في خبره - 4 وهو المحمود على كل حال.

واقترح باسمه تعالى - الرحيم - أكثر من عشر مرات واقتراحه به يُفيد أنه مع عزته و غلبه وقوته - سبحانه - رحيم بخلقه ومعنى ذلك أنه لا يعجل العقوبة على من عصاه بل يؤجل ويوظفه ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

وقد جاء أيضاً مقتراً باسماً تعالى - العالم - واقتراحه به يُفيد أنه العزيز الذي لا يمانع ولا يخلف العالم - بكل شيء فلا يزعب عنه مثل قال ذرة في الأرض ولا في السماء وكثير ما إذا ذكر الله الليل والنهار، والشمس، والقمر، يخم كلمه بالإعراء والعلم.

قال تعالى - زين السماء الدنيا بصياج وحفظاً ذلك تقدير العزيز العالم - 5 فهو - سبحانه - العزيز الذي من عزته انقاذته له كل هذه المخلوقات العظيمة فجرت مذلة بأمره.

1 (سورة آل عمران آية: 4)
2 (سورة الأحزاب آية: 25)
3 (سورة إبراهيم آية: 1)
4 (تفسير القرآن العظيم: 108/11)
5 (سورة فصلت آية: 12)
حيث لا تتعبد ما حدة الله لها، ولا تقدتم عنه، ولا تتأخر العلم، الذي أحاط علمنه بالطوارئ والبوثين والأواذ والأوامر، كما أنه… العزيز… الذي قهر الخلاقين فأذعنوا له، والعلم بجميع الأشياء، والعليم بأقوال المختلفين وعمادًا صدرت، وعن غايتها وسيجازي كلًا بما عمله فيه.

وقد جاء اسمه تعالى "العزيز" مقترناً باسمه تعالى "الغفور" قال تعالى:

"هو العزيز الغفور" (2) وباسمه… تعالى... "الغفار" قال تعالى حكايته عن كليمه موسى عليه السلام (2) وآمره في العزيز الغفار (3) واقتراه بهما يفيد أنه مع عزته وغلبه لكل خلقه فإنه… سبحانه… يغفر جميع الذنوب صغيرها وكبيرها لمن تاب إليه وأقبل عن ذنوبه ويلاحظ هنا أن اسم… العزيز… أقرن باسم "الغفور" و"الغفار" وكل منهما صيغة مبالغة على وزن "فعل" و"فعلا" مما يدل على كثرة غفر… سبحانه… للثالثين المنحيين إليه وورد مقرناً باسمه… تعالى... "المقتندر" مرة واحدة في كتاب الله… تعالى... وذلك في قوله… عز شأنه... "كذبوا بيتاً كلاً فأخذناهم أحد عزى مقدار" (4) واقتراه بهذا الاسم يفيد أنه… العزيز… الغالب الذي إذا أخذ المكلفين أخذهم أخذ غالب في انتقامه قادر على إهلاكهم لا يعجزه شيء… سبحانه… وتعالى... (5) وورد مقرناً باسمه… تعالى... "الوهاب" مرة واحدة في القرآن ومعناه: أنه… سبحانه… العزيز الغالب القاهرة الذي لا يرام جنابه يعني غيبر حساب، ويعطي ما يريد لم يرد عطاءه منه وتفضلاً من خزيائ رحمته التي لا تنتفع قال تعالى: "أم عندهم خزيائ رحمه ربك العزيز الوهاب" (3) كما أقرن مرة واحدة باسمه... تعالى... "الجبار" قال تعالى: "هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار" (7).

واقتراه بهذا الاسم يفيد أنه… سبحانه... وتعالى... "العزيز" القاهرة الغالب الذي لا...
يوجد له نظير هو العظيم صاحب العظمة والجبور ويجوز أن يكون من جبر - إذا أخذه الفقير وجر الكسر (1) وقيل الجبار الذي لا نطاق سطوعه.
فجمع الآيات التي قدمنا ذكرها أداة قطعية واضحة على إثبات صفة العزة - التي هي من صفات ذاته - سبحانه - التي لا تتفك عنه.

وصفة العزة لها ثلاثة معان:

1 - العزة القوة الدال عليها من الأسماء (القوي المتين).
2 - العزة الامتثال فإنه الغني فلا يحتاج إلى أحد ولن يبلغ العباد ضره فيضره، ولا نفعه فيفعوه.
3 - العزة القهر والغبالة لكل الكائنات، وقد ذكر هذه المعاني الثلاثة العامة 알아ية ابن القيم رحمة الله عليه حيث قال: 

"وهو العزيز فلن يرام جنابه وهو العزيز القاهر الغلاب لم يغلبه شيء هذه صفتان وله Guzzle Bcwoe هي وصفه فالعزر حيذاً ثلاث معان (1)

أما من حيث إضافتها إلى الله - جل وعلا - فإنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول:

من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كما في قوله تعالى - حكاية عن إيليس (قال فبعزتك أعوبيهم أجمعين) فبالآية أوضح أن إيليس عرف صفة العزة وأثبتها الله تعالى - وأنكرها أهل التعطيل من جهمية ومعتزلة مكابرة وعنداداً كما أن الآية دلت على جواز الحلف بصفة العزة - وغيرها من الصفات مثلها كما دلت على أن صفاته تعالى ليست مخلوقة لأن الحلف بالمخلوق شرك لله العظيم وكذلك الإستعاذة به.

(1) انظر فتح القدر: 5208/9.
(2) انظر القصيدة النونية مع شرحها توضيح المفاسد، وتصحيح القواعد: 218/2.
(3) سورة (ص آية: 82).
إثبات صفة العزة

القسم الثاني:

بها أنبياء وعوائد الصالحين وهي ما يحصل لهم من النصر والتالي وغزبة الأعداء، وقدنما يبدل على ذلك من القرآن (1).

وحيت قلنا: إن القرآن دل على إثبات صفة العزة - في كثير من آياته كذلك السنة - دلت على ما دل عليه القرآن فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: بينا أيوب يغتصب عربانًا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحب في ثوبه فناده يأبوب ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بل وعزتك ولكن لا غنى لي عن برتك» (2).

وروي أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل يخلف الله وجهه عن النار قبل الجنة، مثل له شجرة ذات ظل فقال: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها قال الله ﷺ عزوجل - هل عسست إن فعلت أن تسانى غيره؟ قال لا وعزتك فيقادمه ﷺ تعاالي - إليها، مثل له ذات ظل وثمر فقال: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها وأكل من شمرها قال الله ﷺ: هل عسست إن أعطتك ذلك أن تسانى غيره؟ قال لا وعزتك فيقادمه ﷺ تعاالي - إليها. وهكذا 

وروي أبو داود(3) في سنته من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي قال: قدمت على رسول الله ﷺ وبي ونجد قد كاد أن يطلي فقال رسول الله ﷺ: إن يجعل ينك في عينه عليه

(1) بدعاق الفوائد لابن القيم: 2/185.
(2) صحيح البخاري 11/1 وسنن النسائي 2011/243/2 المسند 2/284، وأحمد في المسند 394.
(3) صحيح البخاري 2/284 وسنن المصنفات.
(4) هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أبو داود إمام أهل الحديث في زمنه وهو أحد أئمة الحديث السنة ولد سنة الثمانين ومائتين وتوفي سنة خمسين ومائتين وثلاثين هجرية. انظر ترجمته في مكتبة الحافظ للذهبي 591-592، تاريخ بغداد 990-991، وفيات الأعيان 214/214.
ثم قلت: بسم الله أحوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد، سبع مرات ففعلت فشفاني الله -عز وجل- (1).

وروي البخاري: بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: "للهيم لك أسلمت وبيك أمنت وعليك توكذب، وليك أثبت وليك خاصمت أعز بكعزةك إلا إنه لا يموت والجن وإن يموتون" (2).

وروي البخاري أيضاً: عن حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ "تقول جهنم قط، قط (3) وعزنك" (4).

فهذا الحديث بين في النبي ﷺ أن جهنم تحلف بعزة الله - جل وعلا - و هو دليل واضح على إثبات هذه الصفة، كما أنه دليل على جواز الحلف بعزة الله، وغيرها من الصفات مثلها، يجوز الحلف بها.

والذي نخلص إليه مما تقدم من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة يتبين لنا أن الله تعالى - أثبت لنفسه صفة العزة كما أثبتها له أنبياؤه ورسله وملائكته كما قال جبريل عليه السلام حين رأى الجنة وما عهده لها أهلها: "وعزنك لا يسمع بها أحد إلا دخلها" (5).

الحديث (6) كما أثبتها للعباد المؤمنون الموحدون ولم ينكرها إلا من أشر قبله بمذهب التعطيل من الجهمية والمعتزية، فصفة العزة ثابتة لله تعالى - بالأدلة القطعية التي لا تقبل المراء ولا الجدل فلا يمكن أن يكون أحد من الخلق معتزاً إلا به - تبارك وت雏اً - ولا عزة لأحد إلا هو ملكها - جل وعلا - ومن يريد العزة فليطلبها من الله، ولا يمكن أن ينالها أحد إلا بإطاعة - ربه سبحانه وتعالى - و لذل ذلك أثبت الله لرسوله وعبادة وأولاه المؤمنين الذين أخلصوا له العبادة وأطاعوا حق الطاعة طمعًا في ثوابه وفرارًا من عاقباه والتزموا نهج الكتاب والسنة، وابتعوا ما عليه سلف الأمة في إثبات صفات الله تعالى - التي نطق بها الكتاب وتلفت بها السنة وأذاعها السلف في جميع الأمة، وبعد هذه الأدة

1) 1238/2، والأبهي في الأسماء والصفات ص 115.
2) صحيح البخاري مع الفتح 1338/12.
3) قال في النهاية: قط، قط. بمعنى: حسب وتكرارها للتاكيد 4/78.
4) صحيح البخاري مع الفتح 1338/12.
5) رواه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 2/332.
القاطعة المقنعة لا يبقى أي مدخل لمن يقول: إن الله عزيز بلا عزة قادر بلا قدرة لأن هذه الأدلة الجمة تبطل زعمهم، وتفرد مقالاتهم الباطلة، كما ترتذى مذهب الجمهورية الذين ينكرون الأسماء والصفات، كما تبين فساد قول القائلين بتأويل صفاته تعالى بمعنى غير وارد، أو فرق بينهما بأن أثبت بعضها على ما يليق بالله تعالى وادعى وجوب تأويل بعض الآخر كما فعل ذلك بعض الطوائف (1) وهو تصرف خاطئ، ولا شك أن أدلة الكتاب والسنة وإجماع المؤمنين من هذه الأمة كل ذلك صفعة لهم على رؤوسهم وإبطال لكل انتقالاتهم فعلى كل الفرق التي ضللت في صفات الله تعالى تبعاً للهوي والرأي الفاسد أن ترجع إلى الصواب، وتنمém بما جاء في الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، من الإيمان بالأسماء والصفات وتبتعد عن التميثل، والتعرب، وعن التحريف والتكيف ومن ثم لا يترتب على ذلك أي محذر يتصورونه لأنكارهم الضيقة لأنه تعالى ليس كمثله شيء وهو السميم البصير (2).

(1) مثل الأشعرية الكلاشية، انظر مقالات الإسلاميين 4/11 وما بعدها.
(2) سورة الشوري آية: 11.
المبحث الخامس
إบทات صفة الحكمه

لقد دلت السورة على إثبات صفة الحكمه للباري جل علـه في أول آية منها:
قال تعالى: (تنزل الكتاب من الله العزيز الربstile="ar" class="has-tip langtip-desktop" title="الحکیم (al-hakim)") اسمه تعالى «الحکیم»
دـل على صفة الحكمه للرب جـل جلاله واسمه تعالى «الحکیم» مأخوذ من
الحکیم وله معنيان:

أحدهما: بمعنى القاضي العدل الحاكم بين خلقه بأمره الديني الشرعي وأمره
الكوني القدري وله الحكم في الدنيا والآخرة.

الثاني: أنه المحكم للأمركي لا يتطرق إليه الفساد(1).

قال ابن القيم رحمة الله عليه:
الحکیم حکمتان: علمية، وعملية، فالعلمية الإطلاق على بواطن الأشياء ومعرفة
ارتباط الأسباب بمسببتها خلوقا وأمرا وقدرا، أو شرعا.
والعملية: وضع الشيء في موضعه(2).

قال الزجاج (3) الحاكم، والحكم واحد كالوسط، والوسط وأصل الحكم المنع،

__________
(1) النهاية لابن الأثير 418-419.
(2) مدارج السالكين 478-479.
(3) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن السراي بن سهل الزجاج البحري كان من أهل العلم بالأدب، والدين كان يخرط
الزواج في بغداد وله نسبه وله من عدئ وأربعين ومائتين وتوفي سنة إحدى عشرة وتلامسة للهجرة انظر
ترجمته في ذويات الأعيان 111، وله ترجمة في أول كتابه أسماء الله الحسنى، تحقيق أحمد يوسف
الدقاق.
ومنه الحكمة لأنها تمنع الفرس من التمرد، وكذا الحكمة تمنع الرجل عن السفاهة، ومنه الحكمة لأنه يمنع الخصم عن التعدي ومنه قولهم في بيت يؤتي الحكم:  

فاسمه تعالي الحكيم من لوازم ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بفاعلية ويضعه الأشياء في مواضعها، ويحققها على أحسن الوجه فإنكار ذلك إنكار لهذا الاسم ولوازمه، وكذلك سائر أسماه الحسن!

فأسماه الرب - تبارك وتعالى - دالة على صفاته كماله فهي مشتقة من الصفات فهي أسماء، وهي أوصاف، وذلذك كانت حسنى إذا لم كانت ألفاظاً إلا معاني فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مده ولا كمال، ولساع وقوه اسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان والتعمس فيقال: اللهم إني ظلمت نفس فاغفر لي إنك أنت المنتقم واللهم أعطني فإنك أنت الضار والمانع ونحو ذلك.

قصة الحكمة من صفاته تعالي - القائمة به كسائر صفاته الأخرى من السمع، والبصر والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة والكلام وهذه الحكمة هي التي أمر لاجلها وخلق لاجلها، وقد لاجلها سبحة تعالى.

والحكمة نوعان:

أحدهما: حكمة في خلقه وهي ونواع:

الأول: إحكام هذا الخلق وإيجاده في غاية الإحكام والإتيان.

الثاني: صدوره لأجل غاية محمودة مطلوبة له جل وعلا - وهي التي أمر لاجلها، وخلق لاجلها.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وهي تنقسم إلى قسمين أيضاً:

الأول: كونها في غاية الإحسان والإتيان.

الثاني: صدورها لغاية مطلوبة وحكمة عظيمة يستحق عليها الحمد.

(1) تفسير أسماء الله الحسنى ص ٤٣.
(2) مدارج السالكين ص ٣١/١.
(3) المصدر السابق: ٢٨/١.
وقد أشار إلى هذه الأنواع العلامة ابن القيم حيث قال:

والحكمة العلية على نوعين أيضاً

إحداهما في خلقه سبحانه

إحكام هذا الخلق إذ إيجاده

وصرده من أجل غبايات له

والحكمة الأخرى فحكمه شرعه

وابنها اللاتي حمد وكونها

وأوجد كل شيء على أدق نظام، وأحكم إتقان، خلق فسوأ وقرد فهد، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، وخلق سبع عمات طباعاً ما ترى في خلقه من تفاوت ولا فطور

زمن السماء الدنيا بمصابيح، وجعلها رجوعاً للشياطين، وأثبت من الأرض نباتاً يدق بماء واحد، ويحيط به جو واحد، وتتحضيه بريئة واحدة، ولكن منه الحلو اللذذ السائح والمر الكريبه الذي تتفرز منه النفس، خلق من الماء كل شيء حي. ونوع الأحياء المتفقة في أصلها أنواعاً لا يدركها حصر ولا يحصيها عد، وفي كل شيء في السماء والأرض آية بينة

شاهدته على إتقانه - سبحانه - لما صنع ويكفينا آية أنه خلق هذا الإنسان الذي أليمه اختراع الكثير من الآيات والأجهزة الدقيقة، وغير ذلك من الأمور المختصرة - فسبحان ربي - إنه هو الحكيم العليم.

وإذا نظرونا إلى تفسير اسمه - تعالى - «الحكيم» يعني ذي الحكمة الذي بعلبه وحكمته يضع الأشياء في مواضعها - فقد وضع الحكيم العليم سبحانه - كل شيء في الموضوع الذي لا يصلح إلا له، ولا يلبق إلا به، ولو اجتمع علماء الدنيا بأسرها على اختلاف تخصصهم في العلم على أن يضعوا شيئاً مما وضعه أحكم الحاكمين في مكان خير من مكانه لفصل سعيهم وبأوا بالخناسر في مساعهم، فليفكر الإنسان في كل أعضائه فهل يجد لعفوم أعضائه ماكان أخيراً من المكان الذي وضعه فيه أحسن الخالقين؟

كما عليه أن يفكر في أن الله وضع للحيوان الذي يعيش في البحر أوعراءاً تؤم حياته في السماء ووضع لحيوان البر ما يناسبه، ولطير الهواء ما يلزم، ولحشرات الأرض ما به تتم

(1) القصيدة النبوية، مع شرحها توضيح المفهود، تحقيق القرو sodd 2/٢٢٦.
حياتها، وليس المصبوغ هنا حصر مظاهر حكمة الله فيما خلق من المخلوقات، وإنما نقصد بهذا أن نلفت نظر القائلين بأن الله لا يخلق الخلق لحكمة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ومن أراد الإبلاغ بتوسّع على مظاهر حكمة الله في خلقه فليقلب كتاب مفتاح دار السعادة لا يعلم في جميع فيه من مظاهر حكمة الله في خلقه ما لا يتسع له هذا المقام وإذا نظرنا إلى تفسير اسمه تعالى «الحكيم» من حكم على الشيء بأنه كذا، أو ليس كذا، فإنه لا يستطيع أحد أن يحكم على الأشياء بخواصها ومميزاتها، وتنافها، ومضارها إلا الله تعالى - لأنه وحده العليم - بظواهر الأشياء وبريطانها ومازاتها وتاثيرها لأنه خالقها، والعالم بأسرارها، الخبير بخفاياها فحكمه تعالى - عليها أصدق الحكم قال تعالى: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير». (1)

فسِّحَ حَكْمَةُ أَمْثِلَةِ اللَّهِ تَعَالَى - لنفسه في أكثر من ثمانين موضوعاً في كتابه الدال عليها اسمه تعالى - الحكم، وهو كما قدنا قريباً قائمة به - سبحانه وتعالى - كسائر صفاته الأخرى وهذا ما يجب اعتقاده في هذه الصفة.

قال تعالى: «قالوا سبباناك لا علم لنا إلا ما أعلمنا إنك أنت العليم الحكيم». (2)

قال العالمة ابن كثير: أي: «العلم بكل شيء الحكيم في خلقه وأمرك»، وفي تعليمك ما تشاء، ومنعك ما تشاء لك الحكمة في ذلك والعدل التام». (3)

وقال تعالى مثبتاً: «يا صاحب صفة الحكمة المقربة بصفة العزة: فإنزلتم من بعدما جاءكم الأبينات فآصلموا أن الله عزيز حكيم» (4).

وقال تعالى: «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إنه إلا هو العزيز الحكيم». (5)

---

(1) سورة الملك آية: 14.
(2) سورة البقرة آية: 32.
(3) تفسير القرآن العظيم آية: 128/1.
(4) سورة البقرة آية: 240.
(5) سورة آل عمران آية: 62.

مباحث المقدمة: 6
قال تعالى: «شهد الله أنه لا إله إلا هو وملائكته وأولوا العلم قائمًا بالقضط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» (1).
ففي هذه الآية شهد تعالى لنفسه باللوعية، والوحدانية، ثم بين بأنه موصوف بالعزة والحكمة.

وقال تعالى: «ذلك حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم» (2).
وقال تعالى: «نوفر درجات من نشأة إن ربك حكيم عليم» (3).

وفي هاتين الآتيين أخرًا تعالى عن نفسه بأنه موصوف بصفة الحكمة والعلم.

وقال تعالى: «وما كان ليبشر من كتب الله إلا وحيًا أو مهده حسابًا أو مدين رسولًا» (4).
وهي هذه الآية الكريمة وصف الله نفسه بأنه العلي على جميع خلقه الحكيم في خلقه وتدبيره وأمره ونهيه.

والآيات الواردة في إبات صفة الحكمة كثيرة فهو سبحانه حكيم في خلقه وتدبيره وأمره ونهيه، وقيده، وأهل السنة مجمعون على أنه تعالى موصوف بالحكمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة، ولكن تنازعوا في نفس ذلك فقائلة طائفة: الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد إيقاعها على الوجه الذي أراده ولم يثبتوا إلا العلم والإرادة والقدرة.

وقال الجمهور: من أهل السنة وغيرهم: بل هو حكيم في خلقه وأمره والحكمة ليست مطلقة المشيئة إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيماً، ومعلوم أن الإرادة تنقسم إلى محمودة ومدموحة بل تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة، والغابات المحبوبة.

(1) سورة آل عمران آية: 18.
(2) سورة الآلاء آية: 83.
(3) سورة المنشيئة آية: 10.
(4) سورة الشورى آية: 51."
إثبات صفة الحكمة

والقول بإثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة (1) فقط بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من أهل التفسير والفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم.

فأثمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في أحكامه الشرعية وإنما تنازع في ذلك طائفة من نفاة القدر وغير نفاتها، وكذلك ما في خلقه من المنافع والحكم والمصالح لعبادة معلوماً. (2)

وقد أنكر - سبحة الله - على من نسب إلى حكمته النسوية بين المختلفين فقال:

- تعالى - (3) أعجُب الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدون في الأرض أُعجِب

المتقين كالقفار.

وقال تعالى: {أَمْ حَسَبَ الَّذِينَ اجتَهَرُوا السَّيِّئَاتُ أَنْ نَجِلَّهُمْ كَالذِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصالحات سواءً مَحَيَاهم وممات ساء ما يحمون} (4) هم الذين الآتيون: دتنا على أن النسوية بين المختلفين حكمة سيئة بنزه - الباري جل وعلا - عنه ولم ينكره تعالى - من جهة أنه لا يكون، وإنما أنكره من جهة قبحه في نفسه، وأنه حكم سيء يتعالى وينزه عنه لمنافعه لحكمته وغ.probability, and weakness, إما جلية، وإما خفية، وأعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فيظلم يكون من غيره، أو بيني من عدتهم، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تنافياً باختيار العامة وتنصيب الإمامة بتصبح بيني هي قضية أصولية...

وهم تركز متعددة بعضهم يميل في الأصول إلى الإفراد، وبعضهم إلى الشريعة، وجميعهم إلى الشريعة انتظار

{المجل والحل: 147, 148}. وانظر ومقالات الإسلاميين: 150 وما بعدها.

(1) منهج السنة النبوية 34/1-35, وانظر الرسالة الشامية والإرادة والأمر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى.

(2) سورة ص: آية: 28.

(3) سورة المجادلة: آية: 21.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «أي مهماً لا يفوت ولا ينفي»(1).

وقال غيره: لا يشجب ولا يعاقب، والقولان واحد لأن الشواب والعقاب غاية الأمر والنهي فهو - سباحانهم - خلقهم للأمر والنهي في الدنيا والآخرة.

فأنكر - سباحة - على من زعم أنه يركس كسر من جعل في العقل استقبال ذلك واستهجانه، وأنه لا يلبق أن ينسب ذلك إلى أحكام الحاكمين، ومثله قولهم: تعالى - أفصحبتهم أنا خلقناكم عبدياً وأنتم إلى نارٍ ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم(2).

فنزه نفسه - سباحة - ووباعدها عن هذا الحسبان، وأنه تعالى عنه ولا يلبق به لقيبه ولمنافاته لحكمته وملكه وإلهيته. أ. ه(3).

فقال تعالى: لا يخلق شيئاً إلا لحكمة بالغة قد تغير عن فهم الإنسن وقد يعيبه:

{إدراكها:}

قال تعالى: «وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون»(4).

وقال تعالى: «وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار»(5).

والناس في صفة الحكمة أراء ثلاثة:

1- زعم الأشعرا(1) والفلاسفة أن الله تعالى لا يفعل شيئاً للغرض وليس له غاية

______________________________
(1) الأم للشافعي: 271/7
(2) سورة المؤمنون آية: 115 - 116 
(3) مفاتيح دار السعادة: 12 - 11
(4) سورة الدخان آية: 39 - 38
(5) سورة ص آية: 27
(6) هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، وأبو الحسن هذا أمر بقطع ثلاثة حيث نشأ في أول أمر على الإعتزال، وقد تلمسه عليه على أبي على الجبالي، ثم أينظه الله بصبرته، وهو في متصف عموماً ترقيمًا وبداية نضجه، فأعلن رجوعه عن طريقة الإعتزال، ثم سلك طريقًا وسطًا بين طريقة الجدل والناظر، وطريقة السلف، ثم محض طريقه وأخلصها الله بالرجوع الكامل إلى طريقة السلف ومن الإنصاف أن لا ينسب إليه -
يقصدنا تكون باعثة له على فعله بل كل ما مصيره - تعالى - أما بإدارة قديمة اقتضت وقوع هذا العالم على هذا النحو دون غيره وهذا قول الأشاعرة.

وإما أن يكون يمثل النظام الكلي في علمنا - تعالى - السابق مع وقته الواجب اللائق عند الفلاسفة (1).

والفرق بين قول الأشاعرة والفلاسفة واضح وهو أن الفلاسفة يفرون عن الله - تعالى - القصد إلى الفعل، ويقولون بأن كل فاعل بالقصد مستكمال به وله غرض في فعله.

وأما الأشاعرة: فيقولون: بالقصد ولا يقولون بأنه مستلزم للغرض لأنهم يجوزون ترجيح القادر المختار لأحد مقدوريه بدون مرجع أصلاً (2).

وحجة الفريقين: الفلاسفة والأشاعرة على نفي الغرض في أفعاله - سبحانه وتعالى - بأن له خلق الخلق لعلة كان ناقصاً بدونها مستكملًا بها، فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدها بالنسبة إليه سواء، أو يكون وجودها أولى به.

فإن كان الأول امتنع أن يفعل لأجلها، وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملًا بها فيكون قبلها ناقصًا (3).

قال ابن سيئان: (4).

تنبيه: إعلم أن الشيء الذي إنما يحسن به أن يكون عنه شيء آخر، ويكون ذلك أولي به، وأليق من أن لا يكون فإنه إذا لم يكن ما هو أولي وأحسن به مطلقاً وأضلاً لم يكن ما هو أولي وأحسن به مضافاً فهو مسلوب كمال ما يفتقر فيه إلى كسب أ. ه. (5).

وهذه الحجة التي رددها الفلاسفة والأشاعرة قام بتفنيدها الشيخ الإسلام ابن تيمية وبين طلالة ونقضها من وجوه عدة:

الأشاعرة، وإنما ينسبون إليه على اعتبار طوره الثاني إذ فالأشاعرة غير الأشاعري انظر في شأن الأشاعرة.

(1) انظر الإشارات لابن سيئان 3/131.
(2) غابة المرادم للأندلسي ص 224، وانظر شرح حديث النزول، ص 174.
(3) المفصل للمرادي ص 149، وانظر مجموعه الرسائل الكبرى، الرسالة الثامنة الأرادة والأمر 1/277.
(4) هو علي الحسن بن عبد الله بن سيئان المتوفي في سنة 427 ه.
(5) الإشارات: 122/3.
الوجه الأول: أن قولهم لو خلق الخلق لعله لكان ناقصًا بذونها مستكملاً بمنفوض بنفس ما يفعله من المفعولات، فإنه يمكن أن يقال: فيها أيضاً إما أن يكون وجودها وعطاءه بالنسبة إلى سواه، أولاً يكون، فإن كان الأول امتنع صدوره عنه، وإن كان الثاني كان مستكملاً بما كان جوابًا في المفعولات كان جوابًا عن هذا ونحن لا نعقل في الشاهد فاعلاً إلا مستكملاً بفعله.

الوجه الثاني: أن مقتضى الكمال أن يكون الباري لا يزال قادرًا على الفعل بحكمة فلو قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصًا.

الوجه الثالث: قول القائل إنه مستكمل بغيره باطل فإن ذلك إنما حصل بقدرته ومشيئته لا شريك له في ذلك فلم يكن في ذلك محتماجاً إلى غيره وإذا قيل كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه إلى غيره كان كمل كمل، كمل بذاته، أو صناتها فهو مثلًا إذا فرح بتوية عبد التائب وأحب من تقرب إليه بالمرافعة ورضي عن الساققين الأولين، ونحو ذلك لم يجز أن يقال: إنه مفتقر في ذلك إلى غيره، أو مستكمل بما هو الذي خلق هؤلاء ونحدهم وأقردهم حتى فلعلو ما يحبه ويرضاه ويفرح به.

الوجه الرابع: قول القائل كان قبل ذلك ناقصًا إن أراد به عدم ما تجسد، فلا نسلم أن عدمه قبل ذلك الوقت الذي اقتنصت الحكمة وجوده فيها، يكون نقصاً، وإن أراد بكونه ناقصاً معنى غير ذلك فهو ممتنع بل يقال عدم شيء نقصاً، بل عدم ما لا يصلح وجوده وهو النقص كما أن وجود ما لا يصلح وجوده نقص، فتبين أن وجود هذه الأمر حين اقتنصت الحكمة عدمها هو النقص، لا أن عدمها هو النقص عنده، فهذه حجة الفاسفة والأخشعية قد نقضها شيخ الإسلام ابن تيمية وهي حجة فلسفيّة بحثة سرعان ما انتهارت أمام مناقشتها بما أورد عليها من الوجه القوي التي بيبان أن الله تعالى - موصوف بالحكمة.

٢ - المذهب الثاني: مذهب المعتزلة: وهم يثبتون لله تعالى - الحكمة في خلقه وفي أمره غير أنهم لا يقولون إنها صفة قائمة بذاتها - تعالى - بل يقولون: إنها مخلوقة منفصلة عنه، فróżمون مثل أن الحكمة في وجود الخلق هو الإحسان إليهم والحكمة في

(1) مجموعات الرسائل والمسائل: ١٦٢/٥-١٦٣.
تكليفهم هو أنهم يعرضون للثواب ويقولون: إن الإحسان إلى الغير حسن محمود في العقل.
فخلق الله الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود عليه هو من ذلك مصلحة. وهذا المذهب المعتزل: بين شيخ الإسلام بأنه متناقض لأن الإحسان إلى الغير إنما كان محموداً لكونه يعود من إلى فاعله حكم يحمد لأجله إما لتمم نفسه بذلك، وإما لراثاً وعالم يجد في نفسه يدفع بذلك الإحسان الالم، وإما لالتزامه وسروره وفرحه بالإحسان فإن النفس الكريم تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها إلى غيرها، فالإحسان إلى الغير محمود لكون المحسن يعود من فعل هذه الأمور حكم يحمد لأجله.
أما إذا قدر أن وجود الإحسان وعدمه بالنسبة إلى الفاعل سواء لم يعلم أن هذا الفعل يحسن منه، بل مثل هذا يعد عبلاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلاً ليس لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجه لا عاجلة ولا آجلة كان عبلاً، ولم يكن محموداً على هذا، ولذلك لم يأمر الله تعالى - ولا رسوله (ص) - لأحد من العقلاء أحداً بالإحسان إلى غيره، ونفعه إلا لما في ذلك من المنفعة والمصلحة ولا فأمر الفاعل بفعل لا يعود إليه منه لذة ولا سرور، ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجه لا في العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الامر (1).

3 - المذهب الثالث: مذهب عبد الله بن كلاب (2) وأنباهه:
هذا الرجل وأتباعه يشتبه حكمة وغاية قائمة بذاته تعالى - تعالى – ولكنهم يقولون: بأنها قديمة غير ملازمة للمفعول، ويزعمون أن إرادة الله ووجه رضا وغضبه وسخطه ورحمته وكرمه وغير ذلك قديم فيه، سببهم - لم ينزل رضياً عنهم أبداً ويومناً، ولم يزل ساحطاً على من مات كافراً.
وهذا القول باطل: للذين تعالى - إذا كان راضياً في أزله ومحبباً وفرحاً بما يحدثه قبل أن يحدثه، فإذا أحدثه هل حصل له بإحداثه حكمة يحبها وبرضاها وفرح بها، أو لم

(1) مجموعة الرسائل والرسائل 591/17 ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - المحلى للمرازي ص 205 - 206
(2) مجموعة الرسائل الكبرى والرسالة الثامنة الإرادة والأمر 1/1202.
(3) هو: عبد الله بن محمد البصري رأي الطائفة الكلامية توفي سنة أربعين وثمانين هجرية، انظر نجومه في: «طبعات الشافعية الكبرى»، نافذ السبكي 272/199.
يحصل إلا ما كان في الأزل فإن قالوا إنه لم يحصل إلا ما كان في الأزل، قبل ذلك كان حاصلاً بدون ما أحدثه من المعقولات فامتنع أن تكون المعقولات قد فعلت لكي يحصل ذلك فقولهم: "هذا يتضمن أن المعقولات تحدث بلا سبب بحدثه الله"، كذلك يتضمن أن الله يفعلها بلا حكمة يحبها ويرضاها".

فهذه المذاهب الثلاثة كما رأينا ليس عند أصحابها أدلته قوية تثبت أقوالهم في صفة الحكمة، بل كلها اتحادات فلسفية مبنية على شفاه ماهو كلها انتهازت بما أورد عليه من مناقشات صارمة فلم بيق إلا المذهب الحق الصحيح وهو ما عليه أهل السنة الذي شهدت له النصوص الكثير من أن الله تعالى - حكمة تعقله بحبها ويرضاها ويفعل لأجلها فهو سبحانه - وتعالى، يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها وهو يعلم العباد أو بعضهم من حكمة ما يطلبهم عليه وقد لا يعلمون ذلك والأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كأي سلف محسود، فإنه كما قال تعالى: "ومأرسلنا إلا رحمة للعالمين". وله قال إسحاق: "على النبي الذي تضررت منها طوائف كثيرة من الناس كذلنك ونحن من أهل الكتاب والمسكين والرجل على هذا أنهم انتفوا بحسب الإمكان حيث أضعف شرهم الذي كانوا يعملونه ولولا الرسالة بإظهار الحكمة القاطعة، والآيات الربانية التي زلزت ما في قلوبهم، والجهاد والجزية صاروا أذلاء صاغرين لكان شرهم أشد وأعظم، والضرر الذي حصل لهم شيء يسير بجانب ما حصل لهم من النفع الكثير، ومثل ذلك كنوز المطر الذي يعم نفعه البلاد والعباب، ويحصل منه خراب بعض البيوت، أو حبس بعض المسافرين، والمكتسبين فهما كان نفعه ومصلحته عامة كان خيراً مقصوداً ورحمة محبوبة ولو تضرر به بعض الناس فكان إذا في وجوه من الضرر لابد أن يكون فيه حكمة كما قال سبحانه: "صانع الله الذي أقنع كل شيء"، وكم قال سبحانه: "الذي أحسن كل شيء خلقه". والضرر الذي تصرف به حكمة مطلوبة لا يكون شرأً مطلقاً، وإن كان شرآً بالنسبة إلى من ضرره، ولهذا لا يأتي في كلام الله وكلام رسوله إضافة الشروحة إلى الله وإنما يذكر على أحد وجه ثلاثة:

1. مجموعة الرسائل والمسائل 15/164.
2. سورة الأنبياء آية 57.
3. سورة النمل آية 87.
4. سورة السجدة آية 7.
الوجه الأول: أن يكون داخلاً في عموم المخلوقات فإذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعوم وذلك مثل قول الله تعالى: «الله خلق كل شيء» (1).

الوجه الثاني: أن يكون مضافاً إلى السبب كقوله تعالى: «من شر مخلوق» (2) وقوله تعالى: «أو لما أصابتم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتتم أن هذَا قد هم من عند أنفسكم» (3).

الوجه الثالث: أن يحذف فاعله ومثال ذلك قول الجن «وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربُّهم رشدًا» (4).

ولم يذكر صفة الحكمة بالكلية إلا الجهمية فإنهم أصبروا على قولهم بأنه تعالى - خلق المخلوقات وأمر بالمسورات لا لعلة ولا لدعا ولا لا باعث بل فعل ذلك لمحسى المشيئة وصرف الإرادة، قال العلامة ابن القيم مبناً مذهبه الفاسد.

وقد كذلك قالوا ماله من حكمة هي غاية لل أمر والاتجاه ما ثم غير مشيئة قد رجعه مثل بلال رجعان (5) والناون للحكمة والتحليل ليس معهم دليل من كتاب أو سنة، أو إجماع فنفيهم صفة الحكمة مخالف للكتاب والسنة والإجماع والعقل الصحيح والقطرة المستقيمة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وجهاورأمة يثبت حكمة - سببته - الغايات المحمودة في أفعاله فليس مع النقاء سمع ولا عقل ولا إجماع بل السمع والعقل والإجماع والقطرة تشهد بطلان قولهم والله الموفق للصواب وجماع ذلك أن كمال الله - رب - وجلاله وحكمته وعدلته ورحمته وقدره وإحسانه ومجده وحقائق أسمائه الحسن تبني ذلك وشهبد بطلانه» (6).

(1) سورة الرعد آية: 16.
(2) سورة الفرقان آية: 4.
(3) سورة آل عمران آية: 165.
(4) مجموعة الرسائل الكبرى 1/335 337 و الآية رقم (11) من سورة الجن.
(5) الفصيدة النونية مع شرحها توضيح المقاصد وتفسير القراء 1/44 35 204.
(6) شفاء العلي ص 204.
والذي نخلص إليه مما تقدم أن الله تعالى - موصوف بالحكمة وأن كل شيء خلقه أو أمر به في حكمة عظيمة. وحتى ما ينزل بالمخلوق من الشر لا يخلو من حكمة الله التي تبهر العقول وزيد المؤمن إيماناً كما تبين صدق ما أخبر به الله تعالى - (1) سنريهم آياتنا في الأفق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.) (1)
المبحث السادس
تنزيه الله تعالى من نسبة الولد إليه

إن نسبة الولد إلى الله تعالى ؛ فرصة مكذوبة اشترك في القول بها اليهود والنصارى
ومشركو العرب، وكذلك قول الفلاسفة الصالحين في العقول العشيرة، والنفسية
الشبية بقول مشركي العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنتين بغير علم، ففاليهو
عليهم لعائن الله: زعموا أن عزرا ابن الله، والنصارى الضالون قالوا: المسيح ابن الله.
والجهلة من مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله تعالى الله عن قول هؤلاء
جميعاً علواً كبرًا.

ولقد حكي القرآن الكريم زعم اليهود والنصارى ومشركي العرب ورد عليهم ردًا
مفحمًا وبين بطلان هذا الزعم حتى أسكهم، ولنبدأ بما ورد في السورة من إبطال تلك
الفرية.
قال تعالى: {لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله
الواحد القهار}.

هذه الآية من السورة تبين أنه - سبحانه - لا ولد له كما تفسرو بذلك الجهلة من
المشركون ونطق بذلك المعاندون من اليهود والنصارى في العزيزوعيسى.
فقال تعالى - نزه نفسه عن أن يكون له ولد لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد.
- سبحانه: الغني عن كل ما سواء فقر الأشياء كلها فدانت له وذلقت وخشعت: { سبحانه هو
الله الواحد القهار}.

(1) درء تعارض العقل والنقل 26/1.

وقال ابن كثير: "لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى ممَّا يخلق ما يشاء أو كان الأمرعلى خلاف ما يعمون وله هذا شرط لا يلزم وقوعه بل هو محل وإنما قد تجبرهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عزرَج: "لو أرادنا أن نتخذ له لا نتخذن له من الدنيا إن كا فاعلين"، قال: "إن كان للرحمن ولد فأننا أول العبادين". كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم. أ. هـ.

ويمكن نرى أن الآية الواردة في السورة تغني مزاعم الفسائل بأن الله ولدَا، ولو أراد سبحانه تسمية أحد من خلقه بذلك ما جعله عزر وج لِإِلى أحد من خلقه تعالى الله 

(1) سورة الشورى آية: 11.
(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 192/23.
(3) سورة الأنبياء آية: 17.
(4) سورة الزخرف آية: 81.
(5) تفسير القرآن العظيم: 79.
تنصر الله تعالى من نسيلة الولد إليه
عن ذلك علموا كبيراً لأنه صاحب كمال المطلق المستغني عن الصاحبة والولد ومن هذا شأنه من حقه أن يفرد العبادة وحده لا شريك له.
فقد نزل نفسه وبراها عن قول السفهاء من الخلق كما يلقى بجلاله وعظمى سلطانه.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء حديثه عن تنزية الله عز وجل عن الشركاء وكذلك ما استعمله سبحانه - في تنزيهه وتقديسه عما أضافوه إليه من الولادة سواء سموا حسية أو عقلية كما تزعم التصاريح من تولد الكلمة الذي جعلوها جوهرًا لأبن منه، وما تزعم كلاً الفلاسفة الصالحين من تولد العقول العشرة، والنفس الفلكية النسعة التي هم مضطرون فيها هل هي جواهر أو أعراض؟ وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور والنسوب بمنزلة النفس.
ويجعلون ذلك أباؤهم وأمهاتهم وأرائهم وآبائهم القرية وعلمهم بالنفس أظهر لجود الحركة الدورية الدائرة على الحركة الإرادية الدائرة على النفس المحركة لكن أكثرهم يجعلون النفس الفلكية عرضًا لا جوهرًا قائمًا بنفسه، وذلك شبيه يقول مشركي العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنات.
قال تعالى: (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرجوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) (1) وكانت يقولون الملائكة بنات الله كما يزعم هؤلاء أن العقول أو العقول والنفس هي الملائكة وهي متولدة عن الله قال تعالى: (وجعلون لله البنات سبحانه ولهما ما يشتكون) (2).
قول بعض مشركي العرب أن الملائكة بنات الله وإبطاله:
"لما ينفي التبكي عليه أن القائلين بأن الملائكة بنات الله هم بعض قبائل العرب كجهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبد الدار فقد زعموا أن الملائكة بنات الله كما ذكره القرطي" (3).
ونقل الواهيدي (4) عن المفسرين أنهم قلوا: أن قريشاً وأجناس العرب جهينة وبني

---
(1) سورة الآمنة آية: 100.
(2) درر تعارض العقل والنقل: 1/ 136-135.
(3) الجمع لأحكام القرآن 15/ 133.
(4) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مطهر، أبو الحسن الواهيدي، مفسر عالم بالأدب في سنة ثمان وستين، وربيع الأولى هجريًا، انظر ترجمته في وفيات الآخرين. 33/3/1990، الأعلام 5/ 59.
تزويه الله تعالى من نسبا الوالد إلى
سلمه وخرجاعه وبني مليح قالوا: "أنا قريشا وأجنس العرب جهينة وبني سلمه وخرجاعه وبني مليح قالوا: الملائكة بنات الله".
وتقول هؤلاء المشركين في الملائكة الكرام ثلاثية أقوال كل واحد منها يشد كفرًا.
وأعظم كذبًا.
أولاً: جعلوه بنات الله فجعلوا الله ولداً. تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا.
ثانيًا: جعلوه إنساناً فحظوا من مكانة الملائكة ونسبوا الله الوالد النافص ولأنفسهم الوالد الأكمل.
ثالثًا: أنهم بعد كل هذه الإفتراضات السخيفة عبدوا الملائكة من دون الله ولقد دحض القرآن هذه الدعوى الباطلة وبين أنها افتراء ونافضهم منشأة ضيقة عليهم منافذ الباطل وحاجج حتى أجزوا عن الدفاع عما قالوه من الباطل وحاججهم القرآن محاجة تبين معها أذكدهم حيث صور دعواهم أن الملائكة بنات الله، واستجوابهم في ذلك على هذا النحو التالي:
"أيكون للبنات ولكم البنون?"
هل يتفق قولكم هذا مع منطق العقل والعدل والحق؟
إن هذا القول باطل لأنكم معشر العرب تستنكرون من البنات والشيء الذي تستنكرون منه كيف تثبتنه للخالق وهذا ما عنا الله تعالى - يقوله: "ويجعلون للبنات سباحته ولهم ما يستهونه * وإذا بشر أخوه الأثنين ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتواري من انقوم من سوء ما بشربه أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون".
ثم إن القرآن لم يكتف بمجادلة المشركين في موضوع واحد منهم بل حاججهم في مواضع عدأ وألزمهم بالحججه ويبن بطلان سخافاتهم الزائنة كقوله تعالى: "وجعلوا له من عباده جزءًا إن الإنسان للفور مبين * أم اتخذه مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين * وإذا بشر أخوه الأثنين ظل وجهه مسودا وهو كظيم * أو من ينشأ في الحلية وهو في

(1) ذكره عنه الرازي في التفسير الكبير 26/127.
(2) سورة النحل آية: 57-59.
الخصام غير مبين ١ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب
شهاداتهم ويسألون١٠٠.

إن الناظرين في هذه الآيات يلمسن الوحدة الموضوعية بينها وبين الآيات السابقة قبلها
إذ كل آية منها عالجت مفترات المشركين في ملاكهة الرحمن بالأندلس العقلية وناقشته
أولئك المشركين بمنطق الحجة والبيان، فلم يستطيعوا المعارضه، وهم أرباب الفصاحة
وقادة البلاغة والبيان، ثم إن الآيات تحلل في طياتها الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لأولئك
المشركين لشاعة قولهم، ومخالفته للحس والعقل والفطيرة وهذه الآيات ناقشت المشركين
في عدة نقاط هي:

١ - جعلهم الله من عباده جزءًا، أي: عدلًا، أو بعضاً لأن الولد بضعة من والده وجزءًا
له، فإذا كانوا جميعًا عبد الله فهل يصح أن يكون أحد منهم شريكًا لله أو بعضاً منه؟

٢ - مناقشتهم عن السرف في اختيارهم البنين لأنفسهم، وجعلهم البنات لله تعالى:
علماً بأنه قد تقرر لدى هؤلاء المشركين تفضيلهم البنين على البنات، فلما كان مراعٌ القسمة
إلى العقل لكل الله أولى بالبنين من البنات، ولو كان مراجع ذلك إلى العدل بصرف النظر
عن استحالة ذلك، أو إمكانه لكان العدل يقتضي على أسوأ تقدير التسوية في القسمة،
ولكنهم تجاوزوا في الطغيات، والبلادة حدود ما يلفظه الذوق والفطيرة الإنسانية.

قال تعالى: ً{ ألكم الذكور ولله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزي ١١}.
قال الشيخ الإسلام ابن تيمية (أي: جائزة) . فين سبحة أن السرب الخالق
أولى بأن ينزل عن الأمور الناقصة منكم وكيف تجعلون له ما تكرون أن يكون لكم
وتسحرون من إضافته إليكم مع أن ذلك واقع لا محالة، ولا تنزهون عن ذلك وتنغون عنه،
وهما حق يبني المكروهات المنشقات منكمهم أ. ف١٢.

٣ - بنيت الآية الرابعة من الآيات السابقة وهي قوله: ً{ أو من ينشأ في الحلية وهو
في الخصم غير مبين ١٣} أن الأنيث محل نقص في الظاهرة والباطن في الصورة والمعنى

١ - سورة الرفعة آية: ١٩-٢٠.
١٠ - سورة النجم آية: ٢٠-٢١.
١١ - د.و.ر، تعذر الغفل والنقل: ٢٦-٢٧.
١٢ - سورة الرفعة آية: ١٧.
فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر ما فيها من نقص فإذا كانت الأنيثي محل نقص فما ووجه نسبتها إلى الله ولقد بين القرآن الكريم أنهم ليس لهم دليل على صحة دعواهم حيث أنه نفى عنهم طرق العلم الثلاث التي هي: الحسن، أو الخبر، أو النظرة أما طريق الحسن: فهي المراد من قوله تعالى: ﴿أتم خلقنا الملائكة إناذاً وهم شاهدون﴾. (1)

الفوق يقرر أنهم لم يشهدوا كفية خلق الله لملائكته بل المشركين أنفسهم لم يدعوا ذلك فبطلت معرفتهم عن طريق الحسن.

وأما طريق الخبر: فإن الخبر إنما يفيد العلم إذا علم كونه صدقًا وقطعًا كصادرة عن المعصوم الذي قام الدليل على صدقه، فأما الذين يخرون بأن الملائكة بنات الله إنما هم أفاكون كاذبون، ولم يدل على صدقهم دليل، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله: ﴿لا أى أنهم من إفكهم ليقولون ﴿ولد الله وإنهم كاذبون﴾. (2)

وأما طريق النظر: فقد بين بطلان قولهم من وجهين:

الوجه الأول: أن دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لأن الله تعالى لـه الكمال المطلق لا يلقي به اصطيفاء الأنجوس وهو المراد من قوله تعالى: ﴿اصطفي البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون﴾. ومعنى ذلك أن إسناد الأفضل إلى الأفضل أقرب عند العقل من إسناد المفضل إلى الأفضل، فإن كان حكم العقل معتبراً في هذا الباب كان قولكم باطلًا.

الوجه الثاني: يترك الإستدلال على فساد مذهب ويطالبونهم بإثبات الدليل على صحة مذهبهم، فإذا لم يجدوا ذلك الدليل ظهر ضده وهو خروج الدعوى من أي دليل يدل على صحة مذهبهم وهنا هو المقصود من قوله تعالى: ﴿أم لم كف سلطان مبين فأتوا بكتابكم ﴿إن كنتم صادقين﴾. (3) فثبت بما ذكرناه من الآيات القرآنية إيطال قول المشركين في دعواهم أن الملائكة بنات الله لأنه لا يوجد لديهم دليل يؤيد قولهم لا من طريق الحسن، ولا

---

(1) سورة الصفات آية: 100.
(2) سورة الصفات آية: 102-103.
(3) سورة الصفات آية: 104-105.
(4) سورة الصفات آية: 107-108.
تنزهه الله تعالى من نسبه الوُلد إلى...

الخبر، ولا العقل فكان المصدر إليه باطلًا قطعاً، فبطل قول المشركين وسقطت شبهتهم وظهر أمر الله ممثلاً في عقيدته التوحيد النثية من أدران الشرك وأحوال الوثنية.

رددعوي اليهود في أن عزيراً ابن الله:

قالنا: فيما تقدم أن الفرق التي نسبت إلى الله، ولذلك ثلاث فرق هم بعض مشركين العرب، واليهود، والنصاري، وقد تقدم الرد على دعوى مشركين العرب بأن الملائكة بنات الله، بقي أن نعرض لإبطال دعوى اليهود في أن عزيراً ابن الله، وإبطال قول النصارى في زعيمهم أن المسيح ابن الله.

ولقد ذكر القرآن الكريم دعوى اليهود، ورد عليها وبين فسادها وبطلانها قال تعالى: وَقَالَ الْيَهُودَ عُزِيزُ بِنِ اللَّهِ أَٰهَٰلِ الْعَرْبِ وَيَا تَرِى هَلْ الْيَهُودَ جَمِيعُهُمْ يَقُولُونَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ أَمْ بَعْضٌ مِّنْهُمْ؟

بُقِّيَتْ رُوايَةُ عَنْ أُهُلِ الْعَلَمِ فِي أَصَابِحِ هذِهِ الْمَقَالَةِ مِنْ الْيَهُودِ فِي قَلْبِ هُورِجل مِنْ الْيَهُودِ أَنَّهُ فَتَحَيَّنَ بِنِ عَازِرَاءٍ وَهُوَ عَلِيٌّ مَّا جَاءَ فِي بَعْضِ الْرُّوَّاِيَاتِ الْقَائِلِ "إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنَ أَغْنِيَاءٌ".

كَمَا أَخْرَجَهُ أَبِنُ الْمَنْذِرِ عِنْدَ عَبْسَ رَضِي الله عَنْهُمَا أَنَّهُ:

"قَالَ: أَتَى جَمِيعَةُ مِنْ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُمْ سَلَامُ بَيْنِ مَشْكَمٍ وَنَعْمَانٍ بْنِ أَبِي أُفْرَفٍ وَشَاهِدَ بْنِ قَيْسٍ وَمَالِكَ بْنِ الصِّفْفِ فَقَالُوا: كَيْفَ تَبَيَّنَكَ بِمُحَمَّدٍ وَقَدْ تَرَكَ قِبْلَتَهُ وَأَنْتَ لَا تَزَكَّمُ أنَّ عَزِيرًا بْنَ اللهِ فَانْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ "وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزِيزُ بْنِ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ اِبْنَ اللَّهِ".

قَالَ الَّذِي: "وَعَلَى هَذِينَ الْقُولِينَ فَالقَائِلِينَ بِهِذَا المِّذْهَبِ بَعْضُ الْيَهُودِ إِلَّا أَنَّ الله

نَسَبَ ذَلِكَ الْقُولَ إِلَى الْيَهُودِ بِنَأَا إِلَى عَدَادِ الْعَرَبِ فِي أَيِّاعِ أَسْمَ الْجَمَاعَةِ عَلَى الْواحِدِ

١١٨٧،١٦٢،٢٠،١٨١،١٠،١١،١١٤،٣٣،٣١٠،٩٨،٥٠،٧١،٩،٨٧.

مباحث المقيدة م
تزيه الله تعالى من نسباً الولد إليه

يقال: فلان يركب الخيل ولعله لم يركب إلا واحد منها، وفلان يجلس السلاطين ولعله لا يجلس إلا واحداً... ثم قال: وقال الثابت: لعل هذا المذهب كان فائشاً فيهم ثم انقطع فحكى الله ذلك عنهم، ولا عبارة بإناكار اليهود ذلك فإن حكايته الله عنهم أصدق.

أ. ه(1).

وهناك آثار كثيرة وردت في صدور هذه المقالة عن اليهود ومنها الآتي:

قال الإمام الكامل(2) لما قل بختصر علماء اليهود جميعاً وكان عزيز إذا ذاك صغيراً فاستصرعه ولم ينقده فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس منهم من يقرأ التوراة بعد الله تعالى - عزيزاً ليجد لهم التوراة ويكون آية بعدما أتمنى الله مائة عام يقال: إنه آتاه بإله فيهم مفسرة، فعلمت في صدره فلما أتاهم فقال لهم: إن عزيز كذبوا وقالوا: إن كنت كما تزعم فأمثل على التوراة فعل فقالوا: إن الله تعالى - لم ينذف التوراة في قلب رجل إلا لأنه ابنه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً(3).

وروي عن ابن عباس نسي الله عنهما: كان اليهود أضعاف التوراة، وعملوا بغير الحق فأتساهم الله تعالى - التوراة، ونسخها من صدورهم فتضرع عزيز إلى الله وابتل فعاد حفظ التوراة إلى قلب، فبادر قومه بها فلما جربوه وجدوه صادقاً فيه، فقالوا: ما تيسر هذا العزيز إلا أنه ابن الله(4).

وقال السدي: "العمالة قنلوهم فلم يبق منهم أحد يعرف التوراة"(5).

وقال الإمام البيضاوي(6) وإنما قالوا: "عزيز ابن الله" لأنه لم يبق منهم بعد وقعة

(1) التفسير الكبير 16/33.
(2) هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمر بن الحارث الكعبي أبو النضر، نسبه، رواية، عالم بالتفسير والأخبار.
(3) كتاب التسهيل لتعليم التزليج 2/14، تفسير أبى السعد 4/95، تفسير الرازي 16/13.
(4) جامع البيان 111/10، تفسير الرازي 16/33.
(5) تفسير الرازي 16/34.
(6) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو سعيد ناصر الدين البيضاوي مفسر، علامة، ولد سنة 1309/1309، توفي سنة هجري 1309، ومات سنة هجري 1309، هجرية 1488، الأعلام 52/48.
تنزه الله تعالى من نسبة الولد إليه

«بختصر، من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أمل على عيسى عليه التوراة حفظاً، فتعجبوا من ذلك وقالوا: ما هذا إلا لأنه ابن الله». (1)

والذنّين يبين من الآثار المتقدمة، وما جاء في معاها يوضح لنا أن منشأ الشبهة عند اليهود في عزير هو أنه اختصر بحفظ التوراة في زمن من الأزمنة دون سائر اليهود بغض النظر عن صحة تفاصيل تلك الآثار التي أسلفناها نقلًا عن بعض المفسرين، ولذلك زعموا أنها ما حصلت له هذه الكرامة إلا أنه ابن الله تعالى - عن ذلك علواً كبيراً.

وهذا سؤال لا بد منه أمام مزاعم اليهود الباطلة هو: هل يلزم في كل إنسان خصه الله تعالى - بتعالى - بنعمة من إصطفاء بالنبوة والرسالة وأستجابة للدعوة، أو ظهور كرامة من كرامات الأولياء على يديه هل يلزم من هذا أن يكون ذلك الإنسان ابن الله؟

ولو كان الأمر كذلك فهذا موسى بن عمران وأخوه هارون بن عمران عليه السلام قد جاء بالتوراة من عند الله ولهما من الفضل والكرامة ما ليس له عزيز فلماذا لم يدعيا أنهما ابن الله؟

ولكن الحقيقة التي لا شك فيها هي أن اليهود أضاعوا التوراة وتركوا العمل بها فضلوا عن سبيل الله القويم وصراطه المستقيم، وذهبوا يحرفون الكلام عن مواضعه، وأصدق دليل على ذلك ما حكاه الله تعالى - عنهم في كتابه قال تعالى: "من الذين هدوا يحرفون الكلام عن مواضعه" (2)، وقوله تعالى: "فما نقضهم ميشاقهم لنا وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلام عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكرنا به..." (3). وقال تعالى: "أقطعتمون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوا، وهم يعلمون" (4) إذا كان اليهود لا يعتبرون مصدر ثقة فيما استحلفوا عليه من كتاب الله فمن المسلم به أنه لا يوثق بأقوالهم التي تختلف العقل والنقل وتختلف الفطر المستقيمة، وقد حكي الله عنهم كثيراً من مخازنهم كقوله تعالى: "وما قال اليهود بى الله".

---

(1) تفسير البيضاوي ۱۲/۱
(2) سورة النساء آية: ۴۶
(3) سورة المائدة آية: ۱۳
(4) سورة البقرة آية: ۷۵
من نسبه الوالد إليه
مغلولة فرد الله عليهم بقوله:  غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مسولتان ينقض كيف يشاء (1).
إذا فبعد ذلك لا يستبعد أن يفتروا على الله كذباً فينسبون له الأبناء. بل قد ادعوا أنهم أبناء الله وأهجاءه كما قال تعالى:  وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأهجاءه (2).
ولقد نقض القرآن هذا الزعم بقوله:  فلم يعذبكم بمذنبكم ومعنى هذا أن الحبيب لا يهين كرامة حبيبه بالتعذيب فلا يعذبكم في الدنيا بالأسر والقتل والمسخ وقد اعترفتم بأنه سيعذبكم في الآخرة أبداً بعد أن عذبتم العجل، ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدركم ما صدر وما وقع عليكم ما وقع، ثم بين القرآن أنهم كسائر البشر وأنهم محاسون ومحجزون بالإنسان إحساناً، والإساءة عقاباً، وأنهم خاضعون لمشيئة الله النافذة  بل أتين بشر من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله من جميع السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير (3).
وحسبنا أن اليهود عرفوا بنطق العهود والمواثيق وقتل الأنباء غير حق ولستا بصدق تعداد مساوؤتهم فهي كبيرة ولكن الذي نقوله أنه ليس من المستغرب أن تصدق عليهم تلك الفقرة الكبيرة وهي قولهم:  عزير ابن الله  كبرت كثرة تخرج من أفواهم إن يقولون إلا أذنبون (4).
إيطال دعوى النصارى في أن عيسى ابن الله:
مما ينبغي أن يعلم أن قول النصارى المسيح ابن الله يرجع إلى شبهة عرضت لهم فيه وهي خلقه تعالى - إياهم إن أم دون أبي وهو خلاف ما جرت عليه سنة الله تعالى - في التوالد والتناسل فقالوا عن ابن الله كما حكي الله ذلك عنهم بقوله:  وقالت النصارى المسيح ابن الله (5) ولهم شبهة أخرى في قوله:  وكلمته ألقاها إلى مرحم وروح

1 سورة المائدة آية: 24.
2 سورة المائدة آية: 18.
3 سورة المائدة آية: 18.
4 سورة الكفرون آية: 65.
5 سورة التوبة آية: 30.
تنزه الله تعالى من نسبة الولد إليه

منه(1). فادعى بعض النصارى أن «من للتبعيض سيكون عيسى بعضاً من الله تعالى وقد نقل عن محمد بن إسحاق قوله عن النصارى: "إنه يبحثون في قولهم أنه ولد الله بأنهم يقولون: لم يكن لاب في المهد وهو شئ لم يصنعه أحد من ولدآد قبله(2).»

وأصبح هذا القول فهم السطورية ينسبون إلى نسطور، وكان «بطريرك» بالقسطنطينية(3) قول النصارى في المسيح أن إبن الله بهذا الإدعاء الشيع ينسبون إلى الله الولد والولد.

وهذا الزعم الباطل نتيجة الشبهة التي عرست لهم وهو أن الله خلقه من ملأ أنب من البشر، فلابد أن يكون ولدآد الله، وهذه الشبهة قامت الأدلة التقليدية والعقلية على استحالة أن يكون لله ولد، أو صاحبة أو والد أو شريك، والله تعالى - عظم أمر هذه المقالة الشنيعة قال تعالى: "وغالوا اتخذوا الرحمن ولداً * لقد جئت وشيأ أدا * تكاد السموات والأرض يفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا * أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً(4).

وقد أنظر الله تعالى - جميع النطاقات التي تنسب إليه الولد بالوعيد الشديد والتهديد الأكيد قال تعالى: "ومن الذين قالوا اتخذوا الله ولداً * ما لهم به من علم ولا لأبائهما كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبوا(5) * وقد أبطل الله - عز وجل - مزاعم اليهود والنصارى ومشركي العرب في نسبة الولد إليه بقوله تعالى: "بدع السموات والأرض أي يكون له ولد ولم تكن له صاخحة وخلق كله شيء وهو يبكل شيء علينا(6) * ففني النولد عنه لامتنا التولد من شيء واحد، وأن التولد إنما يكون بين اثنين وهو جل علا - لا صاخحة له، وأيضاً: فإنه خلق كل شيء، وخلقه لكل شيء، فإنما قال أن يولد عنه شيء، وهو يبكل شيء علينا، وعلمه بكل شيء يلزم أن يكون فاعلاً بإرادته، فإن الشعور

فآرق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالماً أن يكون كالآمرين الطبيعية التي تتوالد عنها الأشياء، بلا شعور كالحار والبارد فلا يجوز إضافة الولد إليه للمmasına ۱.

وفي قوله تعالى:

"بديع السماوات والأرORAستدل بالخلق السماوات والأرض ابتداءً من غير مثال سابق وكل الطوائف التي نسبت الولد إلى الله تعالى... مقره بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض ابتداءً، ولكن الاستدلال بقوله تعالى: بديع السماوات والأرض على النصاري ألبق من غيرهم لأنهم استغبروا وجود عيسى عليه السلام من غير أب على غير مثال سابق، وهذا قالوا إنه ابن الله ولكن الغرابة تزور إذا عرفوا خلق أدم عليه السلام من غير مثال سابق، كما سنتذكر ذلك قريباً إذا عرفوا خلق السماوات والأرض ابتداءً من غير مادة، فالإبداع عبارة عن تكوين شيء من غير سبق مثال، فكان الآية تقول للنصاري: سلمائنا كن أن عيسى حدث من غير أب، ولا نطقة، بل إنما حدث ودخل في الوجود لأن الله تعالى... أخرج به إلى الوجود من غير سبق الأب ولكنكم تقولون إنه ابن الله، وعلى هذه فلا يخلو الأمر إلا أن تريدوا بكونه ولداً لله تعالى... أنه أحدثه على سبيل الإبداع من غير تقدم نطقة ووالد، وإنما تريدوا بكونه ولداً لله تعالى... كما هو المألوف المعهود من كون الإنسان ولداً لأبيه أما الاحتمال الأول: فإن النصاري والمشريكيين يسلمون بأن الله تعالى... خلق السماوات والأرض ابتداءً، ويلزم على تسليمهم ذلك أن يكون خلقه للسماوات والأرض إبداعاً، فلولا زم من مجرد كونه مبدع للإحداث عيسى عليه السلام كونه والداً له للزم من كونه مبدع للسماوات والأرض كونه والداً لهما، ولما فيهما من المخلوقات، وعلم أن ذلك بات بالاتفاق فثبت أن مجرد كونه مبدع للعيسى عليه السلام لا يقتضي كونه والداً له فبطل بهذا الاحتمال الأول.

وأما الاحتمال الثاني: وهو أن يكون مراد القول من الولادة هو الأمر المعتاد المعروف من الولادة في الحيوانات فهذا أيضاً بات، بدل على بطلان الوجه النتالي:

الوجه الأول: أن تلك الولادة لا تصح إلا من كن مائته صاحبة وينفصل عنه جزء ويتحت ذلك الجزء في بطن تلك الصاحبة وهذه الأحوال إنماثبت في حق من يجوز عليه الأعراض المعروفة في التوالد والتناسل، وكل ذلك على خلق العالم محل، وهذا المراد من قوله تعالى: أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَنَكُونُوا لِلَّهِ وَلَنَكُنَّ لَهُ صَحَابَةٍ".

(۱) الرد على المنطقين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ۲۱۹
تنزيه الله تعالى من نسبه الوارد إليه

الوجه الثاني: أن تحصيل الوارد بهذا الطريق إنما يصح في حق من لا يكون قادراً على الخلق والإيجاد والتكوين دفعة واحدة، فما أراد الوارد وعجز عن تكوينه دفعة واحدة عمداً إلى تحصيله بالطريق المعتمد آنما من كان خالقاً لكل الممكنات قادراً على كل المحدثات، فإذا أراد إحداث شيء قال له: "كن فيكون" ومن كان هذا الذي ذكرنا صفة ونعته امتتح منه إحداث شخص بطرق الولادة وهذا هو المراد من قوله تعالى: "وخلق كله شيء".

الوجه الثالث: وهو أن هذا الوارد إما أن يكون قديماً أو محدثاً، وليس من الجائز أن يكون قديماً لأن القديم يجب كونه واجب الوجود لذاته، وما كان واجب الوجود لذاته كان غنياً عن غيره، فامتنع كونه ولداً غيره، فبقي أن لو كان وهداً لوجب كونه حادثاً فقوله: "إنه تعالى - عالم بجميع المعلومات فإما أن يعلم أن له في تحصيل الوارد كمالاً، ونفعاً، أو يعلم أنه ليس الأمر كذلك، فإن كان الأول فلا وقت بفرض أن الله تعالى - خلق هذا الوارد فيه إلا والداعي إلى إيجاد هذا الوارد كان حاضراً قبل ذلك ومتى كان الداعي إلى إيجاده حاضراً قبله، وجب حصول الوارد قبل ذلك وهذا يجب كون ذلك الوارد أزلياً وهو محال، وإن كان الثاني فقد ثبت أنه تعالى - عالم بأنه ليس له في تحصيل الوارد كمال حال ولا ازدياد مرتبة في الألوهة وإذا كان الأمر كذلك وجب أن لا يحدث البشارة في وقت من الأوقات وهذا هو المراد من قوله تعالى: "وهو بكل شيء عليم".

ولكن لا يقوتنا أن نقول: أنه ليس أعظم جرماً وأفتح إثماً من زعم الله متصف بصفات المحدثين من الجهلة المشركين، واليهود المعاندين والنصارى الضالين، وأن مؤمني الجهل لأحسن حالاً منهم وأكمل إيماناً إذ أنهم نفوا عن الله الصالحة والوليد كما قال تعالى حكايته عنهم: "وأنت تعالى جد رباً ما أتخذ صاحباً ولا ولداً".

ومن الأيات التي ترد على شهبة النصارى أن عيسى وجد من أم بلا بيتضى أن يكون ابن الله تعالى قوله تعالى: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له: "كن فيكون" (3)، وهذه الآية نزلت عند حضر وفد نصارى نجران على الرسول ﷺ كما ذكر

(1) تفسير الرأي 118/119 والأية رقم (111) من سورة الأنعام.
(2) سورة الجن آية: 2.
(3) سورة آل عمران آية: 59.
هذا ابن جرير(1) وادعى الفخر الرازي الإجماع على ذلك(2) ولقد أجاب الرسول ﷺ ذلك الوقد بقطع شهتهم بأنه لزم من وجود عيسى من أم بلا أب كونه إنسا للزم أن يكون آدم ابنا الله تعالى بvoie الأولي فإنه وجد من غير أم ولا أب وأنتم تعترفون بذلك ثم إنه إذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم بل هذا أقرب إلى العقل فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب الباس، وهذا دليل ملزم لهم لأنهم لم يقولوا بأن آدم الله كمأعم ما ذلك في عيسى عليه السلام، وفي قوله: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}. 

قال الزمخشري: {هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمكن اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ولأنه شبهه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظراً، لأن النرويج من غير أب وأم أغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغبره}.(3) وقوله تعالى: {خلقه من تراب} ليس صفحاً لأدم ولا صلة له وإنما هو خبر مستأنف على جهة التنفس لحال آدم كما ذكر ذلك الرازي ونقل عن الزجاج قوله: {هذا كما تقول في الكلام مثلاً كمثل زيد تريد أن تشبه به في أمر من الأمور ثم تخبر بكلمة زيد فقوله: فعل كما وكذا}.(4) وأما شبههم في قوله: {روح منه} (5) حيث قالوا إن هذا الجزء من الآية دليل على أن عيسى جزء من الله ويقولون: {من} في قوله {روح منه} تعبيرية فيكون عيسى جزءاً من الله تعالى الله - عن ذلك علواً كبيراً فالروح هنا قيل: النفخ يكون معنى قوله: {روح منه} أي: نفخة منه لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم بأمر الله وإياه بذلك فنسب إلى أنه {روح من الله} لأنه بأمر كان، وإنماسمي النفخ {روح} لأنه راح تخرج من الروح واستشهدوا على ذلك بقول ذي الرمة:

(1) جامع البيان 3/295.
(2) التفسير الكبير: 76/42.
(3) الكشاف: 1/433.
(4) التفسير الكبير: 8/74.
(5) جزء من الآية رقم (171) من سورة النساء.

بوقلت له ارفعها إليك وأحيها بروحك واقته لها في قدرة (1) يعني بقوله: «أحيها بروحك، أحيها بنفخك.»

وقيل معناها: «الرحمة فيكون قوله: (روح منه) أي رحمة منه كما قال تعالى: (وأبيدهم بروح منه) (2) فجعل الله عيسى عليه السلام رحمة منه على من آمن به وصدقه واتبعه من بني إسرائيل لأنهم هداهم إلى سبيل الرشاد كما ذكره ابن جرير الطبري، وقد أورد أقوال أخرى ثم قال تعقيماً عليها: «ولكن هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد من الصواب» (3).

والأظهر في ذلك مروي عن أبي بن كعب أنه قال: «وعيسى روح من الروح الذي خلقه الله عز وجل وانطقها بقوله: «أسلم بركم قلنا بالبلى» (4) بعثه الله إلى مريم فدخل فيها» (5).

وقال أبو بكر: (روح منه) أي: نفخة منه إذ هي من جبريل بأمره، وسمي روحًا لأنه حدث من نفخة جبريل عليه السلام (1).


(1) ديوان ذي الرمة ص 24 ط: كيميردج سنة 1919م.
(2) جزء من الآية رقم (22) من سورة المجادلة.
(3) جامع البيان 7/367.
(4) سورة الأعراف آية: 172.
(5) جامع البيان 7/367 وانظر تفسير العزيز الحميد 37.
(6) تفسير المعزز الحميد ص 33.
(7) سورة الإجازية آية: 12.

أضافها إليه إضافة تشريف، وهذا كله من قبل واحد ون湄 واحد، هـ.


ومن هذا نفهم أن النفح سبب ظاهر لإيجاد الروح في كل مولود ونقد روى البخاري في صحيحه عن حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال حديثاً رسل الله، وهو الصحيح المصدر في: «إنا أحكم بجميع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فنقه فيه الروح...» الحديث.

(1) سورة الأعراف آية: 73.
(2) سورة الحج آية: 26.
(3) تفسير القرآن العظيم: 2/480-481.
(4) تفسير الألفونسي: 2/486.
(5) سورة فص آية: 72.
(6) قصة عيون الموحدين ص: 18، وانظر تفسير العزيز الحمد ص: 237، فتح المجيد ص: 484.
(7) 202/11.
فإن النفي يحصل من الملك بعد أمر الله تعالى — له.

ولقد نزلت نسخة — سيبانه — من المقالة السيئة التي نسبها إليه اليهود والمشرعين ومشركو العرب وغيرهم فقال تعالى: {ولما اتخذ الله ولداً سباً} نكان له ما في السماوات والأرض كل له قانونية (1).

قال الحافظ رحمه الله تعالى: {وانتفقوا على أن الآية نزلت فيمن زعم أن الله تعالى يهود خيبر، ونصارى نجران، ومن قال من مشركي العرب الملاكية بنات الله فرد الله تعالى عليهم} (2). وفاجأ في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: {قال الله كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك فأنا تكذيبه إيا فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فإنه لي ولداً} (3).

قال الحافظ عقب هذا الحديث: {إنما سماها شتماً لما فيه من التقيص لأن الولد إنهما يكون عن والده تحملاً، ثم تضعه، ويستلزم ذلك سبق النكام، والناكح يستدعي باعتلاه على ذلك والله سيبانه — لكنه عن جميع ذلك} (4). (5) ومما تقدم نعلم أن الله تعالى — أبطل مزاعم اليهود والمشرعين ومشركي العرب في نسبهم الولد إلى الله تعالى — فقد نفي عن نفسه الولاية ونفى اتخاذ الولد جميعاً قال تعالى: {وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذsil} (6).

وقال تعالى: {الذي له ملك السماوات والأرض، ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك} (7) ومما ينبغي أن نعلم أن كل النحل التي نسبها الولد إلى الله تعالى لم يرد العقلاء منهم أنها ولادة — حسب من جنس ولاادة الحيوانات بانفصال جزء من ذكره في أن تأهله يكون منه الولد وإنما يرد من الولادة العقلية الروحانية مثل قول النصارى إن الجوهر الذي هو الله من وجه، وهو الكلمة من وجه تردعت بإنسان مخلوق من مريم فيقولون تدبر

---

(1) سورة البقرة آية: 116.
(2) الفتح: 168/8.
(3) المصدر السابق. بنفس الصفحة.
(4) سورة الإسراء آية: 111.
(5) سورة الفرقان آية: 2.
اللاهوت بالناسوت - فظاهره - وهو الدرع والقيص بشر وباطنه - وهو المتدعر - لا هوت وهو الابن الذي هو الكلمة لولد هذا من الأب الذي هو جوهر الوجود ومن هذا نعلم أن نبأة المزعومة مركة من أصلين:
أحدهم: أن الجوهر هو الكلمة لولد من الجوهر الذي هو الأب كولد العلم والقول من العالم والقائل.
والثاني: أن هذا الجوهر اتخذ بالسيسي وتدعر به، وذلك الجوهر هو الأب من وجه وهو الابن من وجه فله حكى الله عنهم، تارة أنهم يقولون: المسيح ابن الله، وتارة أنهم يقولون: إن الله هو المسيح ابن مريم (1).
ولم يكتف القران بالرد على من زعم أن الله ولدًا بالنبي فحسب بل كفر من جعل له ولدًا، أعيلًا، أو عائلًا، أو شريكًا فقال تعالى في السورة التي تعدل ثلاث القرآن كما جاء بذلك الحديث الذي رواه أبو داود في سنة عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً بقرأ: «قل هو الله أحد»، فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقلاها فقال النبي: «والي الذي نسي بيده أن التعبد ثلاث القرآن» (2) قيل هو الله أحد، اللهم الصمد، لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد».
قال الشيخ الإسلام: فنفى عن نفسه الأصول والفرع والنظرية وهي جمع ما نسب إليه من المخلوق من الأدميين والبهائم والملائكة، والجن، وإن والبات ونحو ذلك فإنه ما من شيء من المخلوقات إلا وليد أن يكون له شيء يناسبه إما أصل، وإما فرع، وإما نظر، أو أثنا من ذلك، أو ثلاثة وهذا في الأدميين والجن والبهائم ظاهر.
وأما الملاكية فإنهم وإن لم يتولدوا بالتناسل فهم الأمثال والأشياء، ولهذا قال سبحانه: «ومن كل شيء خلقنا زوجين للآدم ونذكركم» (3) قال بعض السلف: وعليكم تذكركم فتعملون أن خلق الأزواج واحد»، هـ (4).
وبعد أن سقطت الأدلة النقلية على إبطال فرية المشركين واليهود والنصارى في نسبة

(1) مجموع التناري: 2/433-445, 446.
(2) سنن أبي داود: 1/337, وابن ماجة: 1/1244, والنسائي: 2/171.
(3) سورة النازرات آية: 49.
(4) مجموع التناري: 2/438-439.
الولد إلى الله تعالى، هناك دليل عقلي يدل على بطلان ذلك الإفتراز الباطل الذي نذكره قبل أن نختتم الكلام في هذا الموضوع وذلك الدليل هو:

1- إن يقول: يجب أن يكون الإله واجب الوجود لذاته، فولده إما أن يكون واجب الوجود لذاته، أو لا يكون، فإن كان واجب الوجود لذاته كان مستقلاً بنفسه قائمًا بذاته لا تعلق له في وجوده بالآخر، ومن كان كذلك لم يكن له والد البينة، لأن الولد مشعور بالفرعية والحاجة إلى أصله.

وإما أن يكون ذلك الولد ممكن الوجود لذاته فحينذا يُكن وجودًا بإيجاد واجب الوجود لذاته، ومن كان كذلك فإن لذاته لا يجلد ولا يعترف من هذه الحقيقة لم تتردد في نفي الولد عن الله تعالى.

2- إن الولد مشعور يكون متوعداً عن جزء من أجزاء والده وذلك إنما يعقل فيمن يمكن انتفاض بعض أجزائه عن بعض، وهو من حال في حق الوجود لذاته.

وقد خص النبي عيسى عليه السلام بمزيد من التنبيه لأن عقائد أهل الكتاب كانت فيه بين الإفتراز والتلفيق في العقيدة الصحيح التي يجب أن يلتزمهم الناس فيه بصورة عامة، وأهل الكتاب جميعاً بصورة خاصة فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمه إلهاً إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

فقال القاري، لهذا الحديث يرى أن وجه تخصيص عيسى بالذكر مع نبينا محمد ﷺ دون سائر أولي العزم من الرسل إنما كان لتوضيح الحق فيه، وأنه عبد الله ورسوله.

وجاء في تفسير العزيز الحميد قوله: «وأن عيسى عبد الله ورسوله، وفي رواية وابن أتيم:«أي: خلافاً لما يعتقدون النصارى أن الله أو ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!... إلّا أن قال: ففي شهد بأنه عبد الله» أي: عابد ملكه لله، لا ملك، فليس من الرعبية، ولا من الإلهية شيء، ورسول صادق خلافاً لقول اليهود إنه ولد من يغشي، بل يقال فيه.

(1) انظر التفسير الكبير للرازي: 136-117.
(2) صحيح البخاري 254/2، صحيح مسلم 571، واللفظ للبخاري.
ما قال عن نفسه كما قال تعالى: {قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً} (1) قوله: {وكلمة} إنما اسم كلمة الله، لصدره بكلمة {كن} بلا أب قاله قتادة وغيره من السلف (2).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: {والكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: {وكن في بني إسرائيل ورسول الله وسيداً ونبياً} لابن الله كن: كن كان، ف: {كن} من الله قول، وليس: كن مخلوقاً، وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالت: عيسى روح الله وكلمه إلا أن الكلمة مخلوقة.

وقالت النصارى عيسى روح الله من ذات الله، وكلمه من ذات الله، كما قال: {إن هذه الخرقة من هذا الشوب، وقلنا نحن: {إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة}. أ. ه. (3) وختاماً لهذا نقول: إن الله قد رفع من شأن عيسى، وجعله من أولى العزم من الرسل المذكورين في قوله تعالى: {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً} (4).

---
(1) سورة مريم آية: 30.
(2) تيسير العزيز الحميد ص 22.
(3) الرد على الجهمية والزنادقة ص 124-125.
(4) سورة الأحزاب آية: 47.
المبحث السابع
إثبات صفي الوحدةانية والقهر

لقد دلت السورة على إثبات صفي الوحدةانية «والقهر» لـ البراري سبحةه وتعالى
في آية واحدة منها.
قال تعالى: "لَوْ أَرَادَ اللَّهُ وُلْدًا لا صَفْطًا مَا خَلَقَ سَاحِنًا هُوَ الْوَاحِدُ القَهْرُ".

هذه الآية من السورة تضمنت اسمين كريمين من أسمائهه تعالى - هما "الواحد" و"القهر"، وهذا الأيام يشتق منهما صفتان لـ البراري جل شأنه - هما صفتا "الوحدةانية" و"القهر" فاسمه تعالى - "الواحد" دال على اتصاف البراري سبحانه - بالوحدةانية فقال ابن الأثير (1): في أسماء الله "الواحد" هو الفرد الذي لم يزل ولم يكن معه غيره(2).

وجاء في تهذيب اللغة: "الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد يعني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول: ما جاءني أحد، والواحد اسم يني لمفتها العدد تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول جاءني أحد فالواحد منفرد بالذات، وعدم المثل والنظير والأحد المنفرد بالمعنى" (3).

(1) هو: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو السعادات مجد الدين، المحدث اللغوي الأصولي، ولد سنة أربع وأربعين وخمسة وتوفي سنة ست وستمائة هجرية. انظر ترجمته في "وفيات الأعيان" 1/441، الكامل لأبن الأثير 1288/12، الأعلام 6/105.
(2) النهاية 159/5.
(3) 194/5، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص 58.
وجاء في القاموس: «التوحيد الإيمان بالله وحده أيا: التصديق بما جاء به النبي ﷺ من الخبر الدال على أن الله تعالى واحد في الوهيه لا شريك له» أ. هـ.

ومن هذه النصوص اللغوية يتبين أن هذه المادة وحيدة تدور حول انفراد الشيء بذاته، أو صفاته، أو أفعاله، وعدم وجود نظر له فيما هو واحد فيه، وإذا عدى التضعيف فيقال: وحد الشيء توحيداً كم معناه إما جعله واحداً، أو اعتقده واحداً.

قال تعالى حكايته عن المشركين أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب(1) فاسمه تعالى — الواحد معلناً: الإعتقد الجامع بأن الله تعالى واحد لا شريك له، وفيه المثل والنظر عنه، والتوجه إليه وحده بالعبادة وإذا قال: الله وحده كان معنى ذلك إنفراده بما من ذات وصفات وعدم مشاركة غيره فيها فهو سبحانه — واحد في إلهيته فلا إله إلا هو، وأحد في ربه وبربته فلا رب سواء، وأحد في كل مثبت له من صفات الكمال التي لا تنتفي إلا له — جل وعلا.

وأما تفسير المتكلمين لاسمه تعالى — الواحد بأنه واحد لا يتجزأ، ولا يقسم فقد من الألفاظ المبتعدة المختارة التي لم ينطق بها أحد من سلف الأمة وأئمتها ولم يرد ذكر هذا التفسير في عقائد أهل السنة والجماعة، وإنما هو من جنس ما يذكره أهل البدع من قولهم ليس بجوه ولا عرض ولا جسم، وليس له أعراض ولا أبعاض إلى غير ذلك مما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة، ومن خلال هذه الألفاظ يتوصلون إلى نفي الكثير من صفات الله — عزوجل — قال الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإنهم إذا قالوا لا قسم له ولا جزء له، ولا شبه له، فهذا النفي وإن كان يراد به معنى صحيح فإن الله ليس كمثل شيء، وهو سبحانه لا يجوز عليه أن يتفرق، ولا يفسد ولا يستحيل بل هو أحد صمد، والصدد الذي لا جوف له، وهو السيد الذي كمل سنده فإنهم يدرجون في هذه نفي علوه على خلقه، وعبادته لمصنوعاته ونبي ما ينتهو ويفقودون: إن إثبات ذلك يقضي أن يكون مركباً مونصساً وأن يكون له شبيه، وأهل العلم والإيمان يعلمون أن مثل هذا يسمى في لغة العرب التي نزل بها القرآن تركيباً وانقساماً، ولا تميّزاً وهكذا الكلام في 3:61/1 2:64/1.
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
وقال تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسجَدُ لِهَامِنَ يَسجَدُ لِهَامِنَ وَفُلُوْدَغُ وَالْمُكََّارَنُ وَالْمُحْسِنَاتُ وَالْمُهَادِينَ وَالْمُؤَمِّنَاتُ وَالْمُؤْمِنِينَ" (1) (2).

وللقهلار - سبحةه - سنن فهر بها كل عظيم، وأخضع لحكمها كل جبار عنيد، وتتجلى مظاهر اسمه تعالى - القهار في مصائر الأمم مثل قوم نوح، وهاد، وشمس، وملك فارون، وفرعون، فهؤلاء جميعاً اغتروا بقوتهم، فأمعنوا في الظلم، وأسفروا في الطيغان، فكان يقفهم، وطغيانهم وبالاً عليهم.

قال تعالى: "فَكَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلُ كَانَا هَا وَهَيْ ظَالِمَةٌ فِي حَاوَيْةٍ عَلَى عِروْشُهَا وَبَيْرَ بو حُفَّةٌ وَقَصَرٌ مُشْيَدٌ" (3).

بل قهلار - سبحةه - وتعالي الأخيار والأشرار وكل ذي روح بالموت الذي يدركهم.

أينما يكونون، ولو كانوا في دار مشيدة.

وقهارهم جمعاً بالبعث بعد الموت وواستطلع الأشرار سبيلاً إلى القرار من البعث لأثراً أن يكونوا تراباً حتى لا يعودوا إلى الحياة الأخرى قبلما أعد لهم من عذاب الهون، جزاءاً بما كانوا يعملون يوم ننظر الداء ما قدمت يداه ويفول الكافرون بالليته كنت تراباً (4).

ثم إن الآية التي صدرنا بها هذا السبحة وهي قوله تعالى: "لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَخَذَ وَلْدًا لَصَفْحَتْ إِلَى هَذَا السَّبِحَةِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَارُ".

قالنا: إنها دلت على إثبات صفي الوحدانية والقهار - للباري سبحانه وتعالى - وقد بينا وجه دلالتها على ذلك.

وأيضاً: مع دلالاتها على ما ذكرونا فقد لفتت الأنظار إلى أنه إنما يرغب في الولد من يرغب في ليهش به أروءً، ويعتبر به من قلة، ويعتبر به من ذلك، وللمصارعة للنجدة، والنصرة، وهذا شأن المخلوق الضعيف.

---
(1) سورة الحج آية: 18.
(2) سورة الحج آية: 45.
(3) سورة البقرة آية: 40.
أما الواحد القهر - سبحانه وتعالى، الذي خضع لأمره كل شيء ونستسلم له على جميع هذا الكون فهو الغني عن العالمين لأنه خلقهم ورزقهم ومدير أمورهم ولو شاء أن يتخذ ولداً لاصطفى من خلقه ما يشاء ولكنه سبحانه وتعالى لا يشاء ما يخالف حكمته وينافي كماله سبحانه وتعالى هو الواحد القهر، وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين وحدانيته وقهره في عدة موضع من كتبه:

قال تعالى حكايته عن يوسف عليه السلام: "با صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهر" (1).

فهذة الآية تبين لنا أن النبي محمد سلم عيسى عليه السلام دعا صاحبي السجن إلى الله وإلى الإسلام وقال لهما: أعداء أرباب شتى متفرقين وألهة لا تتناف ولا تضر خير أم عبادة العبد الواحد الذي لا ثاني له في قدرته وسلطانه الذي يهلك كل شيء فذلله. وسخره فاطعه طوعاً وكرهًا (2).

وقال تعالى: "قل من رب السماوات والأرض قل الله فقل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل ها هوا سيدي الأعمى والبصر أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلنا للبشر خلقهم كخلقهم خلقنا خلقهم نشأب الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهر" (3).

بما - سبحانه - في هذه الآية بالإضافة إلى مظهر قهره، وطاعة سائر المخلوقات له من خلق السماوات والأرض، ثم أشار سبحانه وتعالى: بأن الله لا يستوي الأعمى والبصر، كما لا تستوي الظلمات والنور ليوجه أذهان العباد إلى أن الذي خلق السماوات والأرض هو الجدير بأن يخصه الناس بالعبادة ثم أشار إلى ضلال المشتكين الذين أنصرفوا عن عبادة الله ودعوا سهواً، ما الذي صرفهم عن عبادة الواحد القهر؟ أظناً أن له شركاء خلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم فاختلط الأمر في عينهم فلم يميزوا بين خلق البال - خلق غبره - فعبدوا من ظنهم خالقين مع الله، ولو تدبروا وتفكروا قليلاً لعرفوا أن الله سبحانه هو خالق كل

(1) سورة فوسفة آية: 39.
(2) إنظر جامع البيان: 219/12
(3) سورة الرعد آية: 16.
شيء ومليك كل شيء، وأنه لا رب غيره ولا خالق سواء إذا كل الكون ناطق بأنه الواحد القهار.

وقال تعالى: {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا الله الواحد القهار(1).}

وهذه الآية أيضاً: {أشار الله تعالى فيما إلى بعض منظور قهره ونفوذ مشيته في تبديل السماوات والأرض وجمعه الخلق ليوم المعاد الذي لا ريب فيه، ولا جرم أن الذي يستطيع أن يغير السماوات والأرض ويجمع الخلق ليجزؤهم بأعمالهم دون أن يعترض إرادته معترض، أو يحول دون تنفيذ مشيته حائل لا بد أن يكون إلهًا وحدها لا معقب لحكمه ولا شريك له في ملكه فهو يفعل ما يشاء ولا بد أن يكون قهاراً غالباً على كل شيء ولا يغلبه شيء - سبحانك هو الواحد القهار.

وقال تعالى: {فقل إنما أنا منذر وما من الله إلا الله الواحد القهار(2).}

وفي هذه الآية: {أمر الله بي ان بنيا للناس بأنه منذر، ينذر الناس بطشة كم أمره أن بنيا لهم بأنه ليس في الوجود إلا إله واحد هو الواحد القهار.

وقال تعالى: {فمن الملك اليوم الله الواحد القهار(3).}

يشير- جل وعلا - في هذه الآية إلى يوم القيامة حين يبر الواحد القهار الأرض ومن عليها، ويسترد الملك من كل ذي ملك، والسلطان من كل ذي سلطان، ويهذد الخلق جمعاً أن الملك لله الواحد القهار، والمتدبر لإثبات صفوي الوحدانية والقهر الثابتة لله - جل وعلا - على ما يلبث به يدرك شناعة الخطا الذي وقع فيه الفسدون الذين لجسوا إلى غير الله حيث يطلبون منهم الحاجات ويسترعنهم عليهم نبل المطلوب، والمحب لهم كيف سول لهم الشيطان أن يرتكبا الواحد القهار، ويتهمون إلى المقهورين، ويصرعون عن الغالب إلى المغلوبين(4) وأسماء الله وصفاته تنادي جميع المخلوقين بتجريد التوحيد لله وحده لا شريك له، ونابه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(1) سورة إبراهيم آية 48.
(2) سورة سبأ آية 65.
(3) سورة غافر آية 16.
(4) معارج الآلاب ص 220-221.
المبحث الثامن
إثبات صفتي الرحمة والمغفرة

معنى الرحمة:


وقال صاحب القاموس (1): «الرحمة»: الرقة والمغفرة والمططف... أ. هـ.

قال العلامة ابن القيم: وأما الرحمة فهي التعلق والسبب الذي بين الله وبين عباده فالتالية عنهم له، والربوبية منه لهم، والرحمة سبب واصلي بينه وبين عباده بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها مكثوا دار ثوابه ويهزكم وعاقبهم، وأنعم عليهم فيها، ويبني سبب العبودية وبنيه وبينهم سبب الرحمة، واقتراهم تهريبه برحمته كاقتراهم أسوأه على عرشه فان «الرحمن على العرش» (2) مطابق لقوله (رصل العالمين) (الرحمن الرحيم) فإن شمول الرابية وسعتها بحيث لا يخرج شيء منها أقصى.

(1) 390/3.
(2) هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الفيزور أباد. كان من أئمة اللغة والادب، ولد سنة سبع وعشرين ومبعثة وتوفي سنة سبع عشرة وثمانمائة، هجرية. انظر ترجمته في البدر الطالع 148/2، كشف الطائر 257/2.
(3) القاموس وط: 161.
(4) سورة له آية: 5. 
شمل الرحمة وسعتها فوسع كل شيء برحمته وربوبته مع أن في كونه رباً للعالمين ما يدل على علوه على خلقه وكونه فوق كل شيء»(1). هـ.

معنى المغفرة:
قال الزجاج رحمه الله تعالى: «الغفور هو فعول من قولهم غفرت الشيء إذا سأرتته وفعول موضوع للمبالغة وكذلك فعال»(2).
وجاء في القاموس: «غفره ستره وغفر الله ذنبه يغفره غفرًا . . . . غطى عليه وعفائه»(4).
وقال العلماء ابن رجب(5) رحمه الله تعالى: «المغفرة هي وقاعة شر الذنوب مع سترها»أ. هـ(6).
والذي نستفيده من هذه الأقوال التي ذكرت حول بيان معنى اسمه تعالى - الرحيم، واسمه تعالى - الغفور: إن اسمه تعالى - الرحيم يدل على كثرة من تنال الرحمة من خالقه فهي صفة فعل باعتبار تجدها على حسب أحوال المرحمين، وهي صفة ذات باعتبار أصلها لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متضفًا بهذه الصفة.

(1) مدارج السالكين: 35/1.
(2) تفسير اسماء الله الحسنى: 91.
(3) 3/277.
(4) 2/106.
(5) هو: الإمام الحافظ: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم المنشق في الفرج زين الدين ولد في بغداد سنة 321 وتوثق سنة خمس وتسعين وسبع وسبعين وسبع وسبعين وغيره في دمشق. انظر ترجمته في مختارات الذهاب: 339. القدر الكامنة 42/331، طبقات الحافظ للسيروطي ص 450 رقم الترجمة 117.
(6) جامع العلماء والحكم: 344.
وبدل اسمه "الرحيم" على أنه تعالى - يرحم خلقه برحمته وتجاوز عن سيئاتهم
وهم بلغت صغرت أم كبرت إذا أتوا بسماح النوبة وصدقت رغبتهم في طلبتها.
وأما اسمه تعالى - "الغفور" فمعنى هو الكثير المغفرة وأن المغفرة ستر الذنوب
والتجاوز عنها والغضفو عن مقترباتها وصولهم من أن يمسهم العذاب بسبيرها وإيابهم
العفو. عن خطيئتهم فلله - سبحان وتعالى - "غفور" أي كثير الستر لذنوب عباده المؤمنين
عظيم التجاوز عنهم.
وقد دلت سورة "الأزى" على إثبات صفي الرحمة والمغفرة - للرب جل جلاله - في
آيات منها:
قال تعالى: "آله هو العزيز الغفور".
وقال تعالى: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله إن الله
يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم".
فهاتان الآيتان من السورة تضمنتا إثبات صفي الرحمة والمغفرة - للباري جل
علا - فقد أمر الله نبيه في الآية الثانية من هاتين الآيتين أن يبلغ عباده المؤمنين أن لا ياسبوا
من مغفرته فإنه - سبحان وتعالى - "غفور" يغفر الذنوب جميعاً مما أسرفوا على أنفسهم وأفرطوا ما عدا
الإشكال بالله - سبحان وتعالى - فإنه لا يغفر إلا بالتوبة منه بالدخول في دين الله الحق فهو
ساحزه - ذو غفورة عظيمة ورحمة واسعة للمقبلين على النبيين إلى، والمنقادين له أتقاداً
تاماً ظاهراً وباطناً عن طرواغية ورضى.
قال ابن جرير رحمه الله تعالى: عند قوله تعالى: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على
أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله... الآية". اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه
الآية.
فقد قال بعضهم: عنى بها قوم من أهل الشرك قالوا: لما دعوا إلى الإيمان بالله كيف
نؤمن، وقد أشركنا وقتلنا النفس التي حرم الله والله - يعد - فاعل ذلك النار بما ينفعنا مع ما قد
سلف منا الإيمان فنزلت هذه الآية والمذين قالوا: بهذا القول هم عبد الله بن عباس
رضي الله عنه وعثمان(1) وعطاء(2) وزيد بن أسلم وعذادة والسدي وابن زيد(3) والشعبي(4) رحمهم الله تعالى.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أهل الإسلام وقالوا: تأويل الكلام إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء قالوا: وهي كذلك في مصحف عبد الله وقالوا: إنما نزلت هذه الآية في قوم صدهم المشركون عن الهجرة وقرروا أن لا يكون لهم توبة وقال: بهذا يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وعلي بن أبي طالب ومحمد بن كعب القرطبي وكوثيان مولى رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: نزلت في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء، وهذا قول آخر لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما.


فإن قال قائل: فيغفر الله الشرك؟ قبل: نعم إذا تاب منه المشرك، وإنما يعني يقوله: إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء . . . وأن الله قد استثنى منه الشرك إذا لم يتب منه صاحبه فقال: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويفرغ ما دون ذلك لمن يشاء(5).

فأخبر أنه لا يغفر الشرك إلا بعد التوبة يقوله: "إلا من تاب وأمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سبيلاتهم حسنات وثوابهم غفران رحمهم"(6).

---

(1) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج الخزاعي مولاه المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم مات سنة أربيع ومائة.
(2) عطاء هو ابن أبي رباح أسلم القرشي -مولاه، المكي ثقة فقيه فاضل، لكنه كسر الأرسال توفي سنة خمس عشرة وما بعدها.
(3) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العبدي، مولاه المديني روى عن أبيه، تقريب التحديب 14940، طبقات المفتيين للداروي 721.
(4) هو عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل توفي بعد المائة انظر التواريخ 386.
(5) سورة النساء آية: 84.
(6) سورة الفرقان آية: 70.
فأما ما عداؤه فإن صحبه في مشيئة ربه وإن شاء تفضل عليه فعفاً له عنه وإن شاء عدل عليه فنجازه به.


وأما العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى فقد قال: حول الآية قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقتزوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً. هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة. وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زيد البحر إلا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه. (2).

وقد استدل ابن كثير رحمه الله تعالى على أنه لا يصح حمل هذه الآية على غير توبة بما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلو فأثروا، وثرى فأثروا، فأتراك محمدًا فقالوا: إن الذي نقول، وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون من الله إلهًا آخرولا يقللون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون» (3) ونزل قل يا عبادي الذين أسروفا على أنفسهم لا تقتزوا من رحمة الله. (4).

قال ابن كثير: والمراد من الآية الأولى - أي آية الفرقان - قوله تعالى: «ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متباء.» (5).

(1) جامع البيان (٣٤ / ١٤ - ١٧).
(2) تفسير القرآن العظيم (١٠٠، وانظر مجموع الفتاوي (١٦ - ٢٧).
(3) سورة الفرقان آية: (٢٨).
(4) صحيح البخاري (١٨٢، ورواه مسلم أيضاً: (٤ - ٣٢١٨ / ٤) من سورة الفرقان.
(5) تفسير القرآن العظيم (١٠٠، والأية رقم (٢١) من سورة الفرقان.
تبث صفات الرحمة والمغفرة

فاين جوهر وابن كثير رحمهما الله تعالى - اعتبرنا الآية عامة في جميع المسرين في الذنوب من نبي آدم، وحتى تعالى يغفر جميع ذلك مع التوبة النصوح ولا يجوز لعبد أن يقنط نفسه، أو غيره من رحمة الله تعالى - ومغفرته اللتين هما من صفات الكمال ولذلك اتصف بهما ربي العالمين - سبحانه وتعالى - ووصفنا الرحمة والمغفرة ورداً في كتاب الله تعالى في مواضيع كثيرة:

قال تعالى: (وَهُمُ الْهُدُّ إِلَيْهِ وَاحِدُ لَنَأَيْنَ أَحَدُ إِلَّا هُوَ الْرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ).

وقال تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى).

قال العلامة ابن القيم: (وصفات الإحسان والجهاد والبر والردة والصلاة والطهارة أخض بأسلوب «الرحمان» وكرر إدراحاً بضوء الوصف وحصول أثره وتعلقه بتعلقاته، فالرحمان الذي الرحمة وصفه في الرحمان الراحم لعباده ولهذا يقول تعالى: (وكان بالمؤمنين رحمة)، (3) إنه لهم رؤف رحيم).

ولم يجئ رحمان عباده، ولا رحمن بالمؤمنين مع ما في اسم «الرحمان» الذي هو على وزن فعالان من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه المصوصوف به. ألا ترى أنهم يقولون: غضبان للمتلئ غضباً، وندم وحيران، وسكران، ولهفان لمن مليء بذلك فتنة فعالان للسعة والشمول وللهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيراً، ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً.

فاستوى على عرشه باسم الرحمن لأن العرش محيطة بالخلق واسعة لهم كما قال تعالى: (رحمتي ومست كل شيء).

فاستوى على أوعس المخلوقات بأوعس الصفات فلذلك وصفت رحمته كل شيء.

---

(1) سورة البقرة آية: 163.
(2) سورة فهله آية: 60.
(3) سورة الأحزاب آية: 43.
(4) سورة التوبة آية: 117.
(5) سورة الفرقان آية: 69.
(6) سورة الأعراف آية: 156.
وروي البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهوم موضوع على العرش إن رحمني غلب غضبي" وفي لفظ: "فهو عنى على العرش".

فتمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة ووصفه عنده على العرش وطابق بين ذلك وبين قوله: "الرحمن على العرش استوى" و قوله: "ثم استوى على العرش الرحمن فأسأل به خيرًا" يفتح لك باب عظيم من معرفة الله بارك وتعالى – إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهم. أ. ه. (1)

فرحمته تعالي - عمت كل شيء في العالم العلوي والسفلني البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا يخلو مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمته، وغمره فضله، وإحسانه، ولكن هناك رحمة خاصة ليست لكل أحد، وهي المقصودة بقوله: "فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون" (2). ورجل تعالى: "قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة" (3).

هذى الآية أمير الله - تعالى - نبيه محمد ﷺ بأن يقول للمشركين مقرراً وملزمًا بالتوحيد لمن ما في السماوات فإن أجاكوب إلا أنه فقل إن الله هو الذي خلق هذا الكون وهو مالكه، ومتصرف فيه كيف يشاء ثم آخر بعنه كتب على نفسه الرحمة ترغيباً للمتولين عن الإقبال عليه، وإخيرانه بأنه رحيم بالعباد قادر على أن يعجلهم بالعقوبة ولكن كتب على نفسه الرحمة ووعد بها فضلاً منه، وإحساناً ولم يوجهها على أحد، والكتابة تكون شرعية، وتكوين كونية فالكتابة الشرعية الأمرية مثل قوله تعالى: "كتب عليكم الصيام" (4).

(1) صحيح البخاري 2/208، صحيح مسلم 4/107.
(2) سورة البقرة: 5.
(3) سورة الفرقان: 65.
(4) مدارج السالكين 33/34.
(5) سورة الأعراف: 106.
(6) سورة الأنعام: 12.
(7) سورة البقرة: 183.
والكونية القدرية كقوله تعالى: 
(1) (كتب الله لأغلب من أرسله).
فالمقدار بالكتابة في قوله تعالى: 
(2) (كتب ربكم على نفسك الرحمة) كونية قدرية، فقد
كتب على نفسه الرحمة تفضلاً منه، وإحساناً من غير أن يوجها عليه أحد.
وقال تعالى: 
(3) (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربه ويؤمنون به
ويسعون للذين آمنوا به وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاعفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم).

هذه الآية تضمنت إثبات الرحمة والمغفرة للذين يبادرون بالتبوع ويمشون على
الصراف المستقيم - فسنتجانا - ربنا وسعت رحمة وعلمه كل شيء فما من مسلم ولا كافر
بلا وهو يغطف في نعم الله التي لا تحصى ولا ت تعد.

وقال تعالى: 
(4) (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم).

فسورة الفاتحة التي هي أول سورة القرآن دلت على إثبات صفة الرحمة - للباري جل
وعلا - وهي السورة التي اشتملت على أمهات المطالب العالمية.
قال العالمة ابن أبي القيم حول تفسيره لهذه السورة العظيمة: 
(5) (وتضمنت إثبات النبوات
من جهات عديدة):

أحدها: كونه رب العالمين فلا يليق به أن يترك عباده سدى هملاً لا يعرفهم ما ينفعهم
في معاشهم ومعادهم، وما يضرهم فيها فهذا هضم للربوبية، ونسبة - الربي تعالى - إلى ما
لا يليق به وما قدره حق قدره من نسبه إليه.

الثاني: أخذها من اسم "الله" وهو المالك المعبد ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته
بلا من طريق رسله.

الثالث: من اسمه "الرحمن" فإن رحمة تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون
به غاية كمالهم، فمن أعطى اسم "الرحمن" حقه يعرف أنه متضمن لإرسال الرسول وإنزال
الكتب أعظم من تضمن إزالة الغيث، وإثبات الكلا، وإخراج الحب فاقضاء الرحمة لما

(1) سورة المجادلة آية: 21.
(2) سورة غافر آية: 7.
(3) سورة الفاتحة آية: 1-2.
(4) سورة الفاطمة آية: 1.
تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشياء، ولكن المحسوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم وأدرك منه أولو الألباب أمرًا وراء ذلك أ. ه(1).

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه
قال: قدم على رسول الله ﷺ بسي فبذا امرأة من السبي تبتغي إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فأسلمته ببنها وأرضعته. فقال لنا رسول الله ﷺ: "أترون هذه المرأة طائرة ولدها في النار؟" فلنا: لا. والله وهي تقدر على أن لا تطرح. فقال رسول الله ﷺ: "أرحم ببادها".(2)

وأما جاء عنه ﷺ في شأن ثبوت صفة المغفرة لله - جل وعلا - الحديث القدسي الذي
رواه أبو وهيبة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ فيما يحكى عن - ربه عز وجل - قال: "أذنب عبدي ذنبًا فقال: اللهم أغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى - أذن عبدي ذنبًا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذن فقال: أي ربي أغفر لي ذنبي فقال - تبارك وتعالى - أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب إملماً ما شئت. فقد غفرت لك".(3)

فقد غفرت لك.

فهذان الحديثان دل على أنه تعالى - موضع حقيرة بصفتي الرحمة والمغفرة كما يليق بهذا - جل وعلا - كما يقال في سائر الصفات: فالتغالى - هو الذي يتطلب منه المغفرة للذنب، والرحمة للخلق فإما دام العبد مدينًا إلى قارعين فهي ينوب عليهم ويرحمهم برحمته التي وسعت كل شيء، والذي يتضح من الآيات والأحاديث المتقدمة التي سقناها أدل على أن الله تعالى - موضع صفات الرحمة والمغفرة أن الرحمة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: رحمة خاصة يشتركون فيها المسلم والكافر، والبر والفاجر والبهائم وسائر
الخلق دل على هذا القسم قوله تعالى: "ورحمي وسعت كل شيء".(4)

(1) مدارج السالكين 1/8، والتفسير القيم ص 97.
(2) صحيح مسلم 4/2119.
(3) المصدر السابق 4/2111.
(4) سورة الأعراف آية 156.
وقوله تعالى: «ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً» (1).

القسم الثاني: قسم خاص بالأنبياء والرسل وعباده المؤمنين دل على هذا القسم قوله تعالى: «وكان بالمؤمنين رحمة» (2).

وقوله تعالى: «إنه بهم رؤوف رحيم» (3).

والرحمة المضافة إلى الله - تعالى - نوعان:

النوع الأول: من إضافة المفعول إلى فاعله ومثال هذا النوع الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «احتجزت الجنة واللار» . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . (4) فهذه رحمة مخلوقة مضافة إليه إضافة المخلوق بالرحمة إلى خالقه، وسمها رحمة لأنها خلقته بالرحمة وخصوص بها أهل الرحمة، وإنما يدخلها الرحمه.

النوع الثاني: مضاف إليه إضافة صفة إلى موصوف وذلك مثل قوله تعالى: «إن رحمة الله قريب من المحسنين» (5) ورغم كثرة النصوص في إثبات صفات الرحمة والمغفرة وثبوتها الله عز وجل - حقيقة على ما يلبق بجلاله وعظم سلطانه فإنه قد وجد من أنكرها ووجد من أولهم تأويلًا باطلًا يغيير المراد منهما، فالجهيبة مذهبهم كما هو معلوم إنكار صفات الله - تعالى - وأسمائه كلها لا يثبتون له صفة ولا اسمًا (6) ووافقهم المعتزلة في نفي صفاته - تعالى - وأثبتوا له أسماءه بدون صفات (7) وهاتان الطائفتان متفقتان على نفي صفات الرحمة والمغفرة، فقد زعموا أن الرحمة ضعف وخصوص في الطبعة وتأمل على المرحوم وبناءً على هذه الشبهة الباطلة فضوها كلمة ويزعمون أن هذا من التنزيه وهو في

(1) سورة غافر آية 7.
(2) سورة الأحزاب آية 43.
(3) سورة النور آية 117.
(4) صحيح البخاري 2/182.
(5) بدايع الفرائد 2/183 والآية رقم 56 من سورة الأعراف، وانظر هادي الأرواح 258.
(6) مجموع الفتاوى 1/505.
(7) المصدر السابق: 3/20.
الحقيقة تعطيل وحيد لصفات الله تعالى، ومن بعثة الجمجمية في إنكارهم صفة الرحمة أن قدوتهم الأول في الضلال «ال제يم بن صفوان» كان يقف على الجذامى ويشاهد ما هم فيه من البلايا ويلقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا يعني أنه ليس ثم رحمة في الحقيقة، وأن الأمر راجع إلى محض المشيئة الخالقة عن الحكمة والرحمة، ولا حكمة عنده ولا رحمة، فإن الرحمة لا تعقل إلا من فعل من يفعل الشيء لرحمة غيره ونفعه، والإنسان إليه، فإذا لم يفعل لغرض ولا غاية ولا حكمة لم يفعل الرحمة والإنسان».

فإمام الجمجمية في الضلال يتكر رحمة الله وحكمته وعلى ذلك جرى تابعه أما شبهة الجمجمية وأفراده المعتزلة التي أدت بهم إلى إنكار صفة الرحمة وهي قولهم: أن الرحمة ضعف وخرور في الطبيعة، وتلزم على المرء، فهذا زعم باطل من وجه:


الوجه الثاني: أنه لوقد أنها في حق المخلوقين مستلزمات لذلك لم يجب أن تكون في حق الله تعالى - مستلزمات لذلك، كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فيما يستلزم من النقض والحاجة ما يجب تنزيه الله عنه.

الوجه الثالث: إننا نعلم بالاضطرار أننا إذا فرضنا موجودين أحدهما يرحم غيره

(1) مجموع الفتاوى 17/187، إغاثة اللدنان 2/777، شفاء العليل ص 264.
(2) سورة البلد آية: 17.
(3) سورة آل عمران آية: 139.
(4) رواه أحمد بن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 2/301.
(5) متفق عليه: صحيح البخاري 4/1809/4، صحيح مسلم 4/301، كلاهما من حديث أبي هريرة.
(6) رواه أبو داود في سنن 2/278، والترمذي 2/317/280 كلاهما من حديث عبد الله بن عمر.
فيجلب له المنفعة، ويدفع عنه المضرة، والأخر قد استوى عنده هذا وهذا وليس عندهما يقتضي جلب منفعة ولا دفع مضرة كان الأول أكمل(1).

وأما مذهب الأشعري: في صفي الرحمة، والمغفرة فإنهم يقولونهما بغير المراد منهما، فقد تأولوا صفة الرحمة بمعنى الإحسان، أو إرادة الإحسان قال البيجوري(2) و"الرحمن الرحيم" صفتان مأخوذتان من الرحمة بمعنى الإحسان أو إرادة الإحسان لاستحالة ذلك في حقه - تعالى - فالرحمن الرحيم (في حقه بمعنى المحسن، أو مريد الإحسان لكن الأول بمعنى المحسن بجلال النعم، أي: بالنعم الجليلة والثاني بمعنى المحسن بدقائق النعم أي: بالنعم الدقيقة) أ(3).

وذكر صاحب الجهرة مذهب الأشعري في الصفات فقال:

وكل نص أوهم التشبيهاً أوله أو فرض ورم تنزيهاً(4)

وقال الرازي بعد أن ذكر بعض الصفات الفعلية: "إن هذه المتشابهات يجب القطع بأن مراد الله منها شيء غير ظاهريهما كما يجب تفويض معناها إلى الله - تعالى - ولا يجوز الخوض في تفسيرها"(5).

فمذهب الأشعري عموماً إثبات بعض الصفات وتأويل الكثير منها بغير المراد منها فتأولهم صفة الرحمة بمعنى الإحسان، أو إرادة الإحسان مغاولة ظاهرة إذ الحق إثبات صفة الرحمة كما يليق بجلاله - تعالى - كقول في سائر الصفات، والرحمة لانتوقي عن إرادة الإحسان فهي مستدامة للإحسان، أو إرادة استلزم الخاص للعام فكما أنه يستحيل وجود الخاص بدون العام، فذلك الرحمة بدون الإحسان أو إرادةه.

وبعض الأشعري تأول صفة الرحمة بمعنى الثواب، ويرد على هذا التأويل البعد

(1) مجموعة الرسائل والمسائل: 227-228ـ. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
(2) هؤ: إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي الباجوري الموفى سنة 1277ـ.
(3) تحقية المهدي على جوهزة التوحيد ص 1191.
(4) المصدر السابق ص 273.
(5) أساس التدريس ص 273.
عن الحق والصواب - بأن الباري سبحانه وتعالى قد فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل.
فقال: "يبشرهم ربيهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم" (1).
فأثر رحمة والرضوان صفته، والجنة ثوابه وهذا يبطل قول من جعل الرحمة والرضوان
ثواباً منفصلًا مخلوقاً، وقول من قال: "هي إرادته الإحسان فإن إرادته الإحسان من لوازم
رحمنه فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان وكذلك لفظ اللغة والغضب، والمقت هي
أمور مستلزمة للعقوبة فإذا انتهت حقائق تلك الصفات انتهى لازمها فإن ثبوت لازم الحقيقة
مع انتفائها ممتنع، فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها (2).
والذي نخلص إليه مما تقدم أن صفات الرحمة، والمحقفة ثابتان - للباري سبحانه -
على ما يليق به، والذين نفوهما أو أصولهما غير المراد منها ليس معهم ما يؤيدهم على
دعواهم أي دليل لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من العقل، أو النظر، أو اللغة وإنما
الذي حملهم على مزاعمهم الباطلة، إنه هو قياسهم الخالق على المخلوق واتباع الهمى
الذي جرهم إلى النفي والتعطيل وتحرير الكلم عن مواضعه نعوذ بالله من شر ذلك.

(1) سورة التوبة آية: 21.
(2) انظر مختصر الصواعق المرسلة 2/121.
المبحث التاسع
إثبات صفة الغني ﷺ تعالى

لقد ذكرت السورة على إثبات صفة الغني المطلق ﷺ في آية واحدة من عددها وهي قوله تعالى:

"إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشركوا يرضيه لكم ولا تزر وزارة ورث أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبتكم بما كتبتم يعملون إنه عليم بذات الصدور".

هذه الآية الكريمة من السورة أثبتت صفة النعمة النام المطلق لله ﷺ جل وعلا ﷺ من جميع الوجوه والإعتبارات لكماله، وكمال صفاته سبحانه وتعالى - فصفة الغني لله سبحانه وتعالى - ثابتة بنص القرآن والسنة، وغناه سبحانه لا يلزم لذاته.

جاء في النهاية في اسماء الله ﷺ تعالى - "الغني" هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، وكل أحد يحتاج إليه، وهذا هو الغني المطلق، ولا يشارك الله ﷺ تعالى في غيره، ومن أسمائه تعالى - "المغني" وهو الذي يغني من يشاء من عباده(1). ﷺ ه.

وجاء في المفردات في غريب القرآن: "الغني يقال على ضربة":

أحدها: عدم الحاجات وليس ذلك إلا الله ﷺ تعالى - وهو المذكور في قوله فوائد الله لهو الغني الحميد(2) وقول تعالى: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله وهو الغني الحميد"(3).

(1) النهاية في غريب الحديث و الآثر: 3/90
(2) سورة المحج آية: 24
(3) سورة الفاتر آية: 15
الثاني: قلة الحاجات وهو المشارك إليه بقوله: "ووجدك عائلاً فاغني" (1).

الثالث: كثرة القنوات بحسب ضروب الناس ومنه قوله تعالى: "يحسون الجاهل أغنياء من التعفف" (2) أي: لهم غنى النفس، ويحسون الجاهل أن لهم القنوات لما يرون فيهم من التعفف والتخفير". (3).

فالم ذي يستفاد من التعريف اللغوي لاسمه - تعالى - "الغني" فإن الله تعالى - منصف بصفة الغني المطلق من جميع الوجوه فلا ينزف إلى إله نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً لأن غنائه سببهه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقاً، قادرًا رازقاً، محسنًا، فلا يحتاج إلى أحد بحال من الأحوال فهو - تعالى - الغني الذي يبدء خزائن الأرض والسماوات، وهو الذي يغني جميع خلقه غنياً عاماً، وهو الذي يغني خواص خلقه بما يفضح عليه قلوبهم من حقائق الإيمان وعرضهم ثم معرفة تامة تزيدهم إيمانًا وقيمة، فجميع الخلقات مقترة إليه - سبحانه وتعالى - في ويقين، فلا يتوقف إليه في قيامها فلا قوام لها إلا بإله - جل وعلا - فهو الرقيوم، القائم نفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوم لشيء إلا بإله، والقائم على غيره، المدير لأمور خلقه، فالله تعالى - فيه الغني المطلق الكامل، وكل الخلق فقراء إلى الله، وقد وردت آيات كثيرة تبين هذا المعنى، وشبه: قال تعالى: "يا أيها الناس أتمنى الفقراء إلى الله والغالي الحميد" (4) في هذه الآية: "يخبر - تعالى - بهم عما سواه، ويفضلون المخلوقات كلها إليه وتعززها بين يديه فقال تعالى: "يا أيها الناس أتمنى الفقراء إلى الله" أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات وهو تعالى - الغني عنهم بالذات. ولهذا قال: "عز وجل - وله هو الغني الحميد" (5) أي: هو المنفرد بالغني وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدر ويشير عنه" (6).

(1) سورة البقرة آية: 8.
(2) سورة البقرة آية: 273.
(3) المرتفعات للرازي ص 322، ونظر المنهج في شعب الإيمان للحليمي، 1971/1.
(4) سورة فاطر آية: 10.
(5) سورة فاطر آية: 10.
(6) تفسير ابن كثير 5/ 577.
وقال تعالى: "أيما تأكم بنا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالا أولو فكفروا وولا يعف عنهم الله واله غني حميد".  

وهتان الأئنان: أخبر الله تعالى -بهما بأن الأمم التي مضت حل بهم من النكال والويل ما يقدر قدره بسبب تكذيبهم رسله، والكفر بهم وهم جاؤوا به من الحق المبين، فكان أفكارهم السيئة أملت لهم أنهم يضرون الله بعملهم ذلك ولم يفكروا بأنه تعالى - تعالى - غني عن إيمان جمع خلقه وعبادتهم فهو سبحانه - غني حميد - يختار إلى العالم ولا إلى عبادته وهو المحمود - سبحانه - من جميع الخلائق بِلسان المقال والحال وهو سبحانه - لا تضر معصية العاصمين، ولا تزيده طاعة الطائعين وقا تعالى: "له ما في السماوات وما في الأرض وإن له وهو الغني الحميد".  

ففي هذه الآية: بيان من الله تعالى - أي أن كل ما في السماوات وما في الأرض من الأشياء ملك له، وهو غني عما سواه، وكل شيء فقير إليه عبد لديه - سبحانه - من غني كريم.

وقال تعالى: "قل أخبر الله أخذاً ولياً فناطر السماوات والأرض وهم يطعمن ولا يطمع".  

قال ابن جرير: حول هذه الآية: "قل يا محمد ل Hóaؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام، والمتكنين، عليك إخلاص التوحيد لربك الداعين إلى عبادته الألهة والأوثان، أشياء غير الله تعالى - أخذاً ولياً أستنصره واستعينه على النوايب والحوادث".  

فالله - جل وعلا - هو الذي يحتاج إليه الخلق ويلجؤون إليه لينصرهم ويعينهم على ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم لأنهم عاجزون فقراء إلى الله تعالى - لا يستطيعون تحقيق مصالحهم إلا بعونه تعالى - تعالى - لهم ونصره إياهم.

---

(1) سورة البغابون آية: 5-16
(2) سورة المجاد آية: 214
(3) سورة الأنعام آية: 14
(4) جامع البيان عن تأويل آية القرآن: 158/7
قال تعالى: "فما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطمعون* إن الله هو الرزاق ذو القوة المبين".(1)

هذه الآية: بين الله تعالى - فيها أنه خلق الجن والإنس إلا ليوحدوه سبحانه - ويفردو بالعبادة لأنه الخالق لهم، والموجود لهم من العدم وهو الذي حباهم بأصناف النعم ثم بين - تعالى - في الآية الثانية أنه مستغن عن عباده وأنه لا يريد منهم منفعة كما تريد السادة من مواليهم بل هو الغني على الإطلاق الرائر المعطى - سبحانه وتعالى -.

وقد أنكر الله على اليهود حين نسوا الفقر إلى الله ونسوا الغنى إلى أنفسهم الحقيقة العاجزة التي لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعًا وحكم بكفرهم، لأنهم نفوا صفة الغني عن الرب سبحانه وتعالى - الذي خزائه لا تنفده فتال تعالى: "لقد كفر الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنى سنكتب ما قالوا وتقلهم النبي بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق".(2)

- فتعالى الله الكريم - عن مقالة اليهود وأشباحهم عناكم كبيرا، ورد الله عليهم في موضع آخر حين زعموا أن يد الله مغلولة - فرد عليهم - بأن يديه مبسطتان، سحاء الليل والنهر لا تغيبها نفقة، ولهنم على مقالاتهم الجائزة كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.(3)

قال تعالى: "وقالت اليهود بذ الله مغوله غلت أبيديهم وعنا بما قالوا بل يداه مبسطتان يفق كيف يشاء".(4)

كما أن تعالي - رد على المنافقين حين تآمروا فيما بينهم على أن لا ينطقوا على الصحابة الملتقيين حول رسول الله غلبه كي يطرقوه من حوله وتركوه وحيدًا ولم يدركوا أن الصحابة الذين كانوا حول رسول الله فهم نزلت بهم النكبات والكوارث فإنهم لا يتزعمون لأن إيمانهم راضخ لا يتزحزح كالجبال الرواسى، ورد الله على المنافقين بأنهم لا يملكون شيئًا وأن خزائن السموات والأرض بيد سبحانه -.

(1) سورة الطوريات آية: 56 - 58.
(2) سورة الاعص ران آية: 181. وتصويب الآية: "لقد سمع الله قول الذين قالوا ..".
(3) سورة الكهف آية: 5.
(4) سورة المائدة آية: 14.
قال تعالى: "هم الذين يقولون لا نتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يعلمون".(1)

وقال تعالى: "قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربنا إذا لأسكت خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا".(2)

فهذه الآيات التي قدمنا ذكرها فيها الإخبار منه - تعالى - بكم غناه عن خلقه وأنه لا يزيد في غناه طاعة من أطاعه ولا ينقص من غناه معصية من عصبه.

وبينت أنه سبحانه لم يخلق الخلق لجاجته إليهم، وأنه لى شاء لندعب بهم وأتى بغيرهم، وأخبر تعالى - بأنهم فقراء إليه لا غنى لهم عنه في نفس من أشخاصهم وكلهم يعلم ذلك، مقرنين به، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أجدهم وليس لهم قدرة من أنفسهم ولا غيرهم إلا بما أقدرهم الله عليه فإنه - سبحانه - الغني الفعال لما يربرد، كما أن تلك الآيات تتضمن الرد على القائلين أن علة افتقار الخلق إليه - سبحانه - إنما هو الحدوث فلا تحتاج إليه - سبحانه - إلا في حال الإحداث.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى - في صدر رده على الجهمية والمعتزلة القائلين بأن علة افتقار الخلق إليه إنما هو الحدوث فلا تحتاج إليه - سبحانه - إلا في حال الإحداث، وفي رده على ابن سيناء وطائفة الذين يقولون بأن علة افتقار الخلق إليه ربها إنما هو الإمكان الذي يظن أنه يكون بلا حدوث بل يكون المخلول قديماً أزلياً، ويمكن اقترارها في حال البقاء بلا حدوث. فقد بين رحمه الله بطان هذين القولين: وقرر بأن الإمكان والحدوث متلازمان كما عليه. جماهر العقلاء من الأولين والآخرين، وحتى القدماء من الفلاسفة كأرسطو وأتباعه فإنهم يقولون: إن كل ممكن فهو محدث، ولم يخالف في هذا إلا ابن سيناء وطائفة، ولذلك خوانيهم من الفلاسفة أنكروا عليهم رأيهم كابن رشد(3) وغيره . . . إلى أن قال رحمه الله والمخلوقات مفتقرة إلى الخلق فالفقر

(1) سورة المنافقون آية : 74.
(2) سورة الإسراء آية : 100.
(3) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي أبو الوليد الفليسفي من أهل قرطبة اشتغل بعلم الفلسفة وترجمه إلى العربية، وله مؤلفات كثيرة في فنون مختلفة ولد سبعة عشر وخمسة عشر، وتوفي سنة خمس وتسعين وخمس مائة. انظر ترجمته في: شذرات الذهب 4/320، والأعلام للزركلي 6/112.
وصف لازم لها دائماً لتنزل مفقودة إليه، والإمكان والحدود دليان على الإفتقار لأن
هذين الوصفيين جعله الشيء مفقوداً، بل فقر الأشياء إلى خالقاتها لازم لها لا يحتاج إلى علة
كما أن غنى الزينيات لازم ذاته لا يفتقر في اتصاصه بالغني إلى علة، وكذلك المخلوق لا
يفتقر في اتصاصه بالفقر إلى علة بل هو مفتاح ذاته لا تكون ذاته إلا فقرة فقرة إلازماً لها ولا
يستطيع إلا بالله وهذا معنى «الصمد» وهو الذي يفتقر إليه كل شيء ويستغني عن كل شيء
بل الأشياء مفقودة من جهة روبيه ومن جهة إلهيته فما لا يكون به لا يكون، وما لا يكون له لا
يصلح ولا ينتج ولا يدوم وهذا تحقيق قوله تعالى: «إياك نعبد وإياك نستعين» (1).
وقال العلامة ابن القيم رحمة الله تعالى عليه: «يا أيها
الناس أنت الفقراء إلى الله والله هو الغني الخصيم» (2).
بين سببهذا في هذا الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتيه فلغنوه وحده ثابت له ذاته
لا لأمر أوجبه، وفقر من سواء إليه ثابت له ذاته، لا أمر أوجبه فلا يعلل هذا الفقر بحروف ولا
إمكانه، بل هو ذاتي الفقير، فحاجة العباد إليه ربي لذاته لا لعنة أوجبت تلك الحاجة كما أن
غنيه الربي سببه ذاته لا لأمر أوجبه غنوه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:
والفقري ووصف ذات لازم أيضاً كما أن الغني أبداً ووصف له ذاتي
فالمخلق فيقر محتاج إلى ربي بالذات لا بعثة وكل ما يذكر ويقر من أسباب الفقر
والمحتاج إليه أبداً على الفقر والحاجة لا علل لذاته إذما بالذات لا يعمل الفقير بذاته
محتج إلى الغني به ذاته وما يذكر من إمكان وحدود واحتياج فهو أبداً على الفقر لا أسباب
له ولهذا كان الصواب في مسألة علة الحاجة العالم إلى الربي سببه ذاته - غير القولين اللذين
تذكرهما الفلسفة والمتكلمون، فإن الفلسفة قالوا: علة الحاجة الإمكان، والمتكلمون
قالوا: علة الحاجة الحدوث، والصواب أن الإمكان والحدود متلازمان وكلاهما دليل
الحاجة والإفتقار وفرقر العالم إلى الله - سببه ذاته - أمر ذاته لا يعلل هو فقير بذاته إلى ربي
الغني به ذاته ثم يستدل بإمكانه وحدوده وغير ذلك من الأدلة على هذا الفقر، والمقصود أنه
سببهه - أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه - سببهه - كما أخبر عن ذاته

(1) مجموع الفتاوي (14) وآياتين رقم (5) من سورة الفاتحة.
(2) سورة فاطرآية (15).
المقدسة، وحقيقة أنه غني حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي فيستحق أن يكون العبد إلا فقيراً، ويستحيل أن يكون -الرب مسبحان- إلا أنغباً كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبداً ويستحيل أن يكون الرج إرباءً حتى أ (1).

وأما الأحاديث الدالة على أن الله منصف بصفة الغني فكثير جداً.

منها: حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه النبي ﷺ فيما يرويه عن -ربه قال:

"بايعادي إني حرمت الله على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تجالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهديكم، يا عبادي ككلكم عار إلا من كسرته فاستهزؤي أكسمكم، يا عبادي إنكم تخطتون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني فأغاز لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضر لفتن رون فلن تبلغوا نفعاً فتنفعون يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم كانوا على أنقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لى أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد فاسلون فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخطئ إذا أدخل البحر، ولو أن أولكم وأخركم وحيكم ومينكم ورطبكم وعبادك اجتمعوا على أنقي قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلمن إلا نفسه" (2).

ومنه حديث: عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه قالت عائشة: فخرج رسول الله ﷺ حين بدأ حجاب الشمس، فقد على المنبر فكبر ﷺ، وحمد الله ﷺ عز وجل ثم قال: "إنكم شكوتم جدب دياركم واستخبار المطر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم الله ﷺ عز وجل أن تدعوا ووعدكم أن يستجيب لكم" ثم قال: "الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين. . لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله.

(1) طريق البحرين ص 6-7.
لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين» رواه أبو داود وقال: هذا الحديث غريب إسناده جيد (1). والذى نخلص إليه مما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الله تعالى متصرف بصفة الغني المطلق، فلا يحتاج إلى شيء وأن جميع الخلق يحتاجون إليه وفقراء إليه في كل أمر من أمورهم، فلا قوم لهم إلا به - تعالى - في كل حركاتهم وسكناتهم وفي كل حظة من لحظاتهم، وفي كل نفس من أنفسهم فلا غنى لهم عنه طرفة عين.

(1) سنن أبي داود 276.
المبحث العاشر
إثبات صفة الرضا

لقد أثبتت السورة صفة الرضا لله - جل وعلا - على ما يليق به سبحانه - وهي صفة فعلية يفعلها من شاء وكيف شاء.

قال تعالى: «ولا يرضى لعباد الكفر وإن تشكروا ورضه لكم...» الآية.

هذه الآية من السورة إخبار من الله تعالى - بأنه لا يرضى لعباده أن يكلموه ولا يرضون له، وإنما الذي يرضون له أن يؤمنوا به - سبحانه - وطيعوه ويكونوا بمناينة عن الكفر وأهله، وكون الكفر لا يخرج عن المشيئة العامة فليس ذلك مبرراً للكفر الكافر، ومعصية العاصي لأنه تعالى - تعالى - يخلق ما يحب وما يكره من الأعيان والفعالون وكل ما فيه الكون داخل تحت مشيئة فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن.

قال العلامة ابن القيم حول الآية: «ولا يرضى لعباده الكفر» الآية وفالفكر والشكر واقعان بمشيته وقدره، وأحدهما محبيبه لمرضي، والآخر مبغوض له مسخوط، وكذلك قوله عقيب ما نهى عنه: «فكل ذاك كان سبيته عند ربك مكره وما» (1).

فهو مكروه له مع وقوعه بمشيته وقضائه وقدره. (2).

وصف الرضا كثر ذكرها في الكتب والسنة مما يدل على ثبوتها ثبوتًا قطعياً للباري سبحانه - على ما يليق بجلاله وعظم سلطانه كثيراً من الصفات الأخرى كالعلم والقدرة والإبراه والغير ذلك من الصفات الثابتة التي نطق بها الكتاب والسنة.

(1) سورة الإسراء آية: 28.
(2) مدارج السالكين ۱/۲۵۴-۲۵۳.
إثبات صفة الرضا

قال تعالى: (هؤلاء يوم نفخ الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار)

فالصداقين هم الذين يرضون الله عنهم ويشركون بهم، وهم الذين يمتنعون عن المعاصي ويتضامنون مع الله. في هذا الآية إخبار من الله تعالى بأنه يرضى عن عباده المؤمنين ويشركون بهم.

وقال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه).

وقال تعالى: (القد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة).

وقال تعالى: (يستخلفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضي من قولهم).

فقد في هذه الآية بأنه لا يرضى بما يبيتونه من القول المشتمل على شهادة الزور والبهت ورمى البريء وإرباء الجاني إذ الآية نزلت في حادثة هذا شأنها.

مع أن كل ذلك واقع بمثابته، سببته إذ أجمع المسلمون على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولم يخالفهم في هذا إلا القدرية التفاؤل الذي يقولون: يشاء ملا يكون، ويكون ملا يشاء.

فالآيات السابقة دلت دلالة صريحة على إثبات الرضا لله جل وعلا - إثباتاً يليق بجلالة إذا نفاه نافراً أو تأولها متآلف بغير المراد منها فمعنى ذلك أنه يسعى أنه أعلم بصفاته من الله سبحانه وتعالى - تعالى الله عن ذلك عرفاً كبيراً فلا يجوز نفي أي صفة من صفاته تعالى - أو تأويلها بغير ما يديل عليه ظاهراً كأن تؤمل صفة الرضا بإثارة الثواب، وصفة الغضب بإثارة العقاب إذ هذا من تحريف الكلم عن مواضعه، واعتراض على الله فيما أثبت لنفسه، كما لا يجوز أن يقال: إن رضاه تعالى - تعالى كرض الله المخلوقين كما هو مذهب الكرامية المشیبه إذا الفرق بين رضا الخالق، ورضى المخلوق على الفرق بين الذات والذات، ذات الخالق، ذات المخلوق فكما أنه لا تشابه بين ذات الخالق ذات المخلوق، فكذلك لا.

(1) سورة المائدة آية: 119.
(2) سورة التوبة آية: 100.
(3) سورة النجات آية: 18.
(4) سورة النساء آية: 108.
(5) مدارج السالكين 253/1، فتح القدير 1/512/1، لباب التقول في أسباب النزول 81.
تشابه بين صفة الخالق، وصفة المخلوق لأننا وصف الله نفسه لائق بجلاله، وماوصف به المخلوق، يناسب حاله وافتراءه.

وقد ذلت السنة على إثبات صفة الرضا كما ذل عليها القرآن الكريم فقده جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «إني الله - عز وجل - يقول يا أهل الجنة فيقولون: لبتك ربا وسعديك والخير في قدبك فيقولون: هل رضيتون؟ فيقولون وما لنا أن نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقولون ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون يا رب: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانا فلا أسخط عليكم بعدة أبداً».(1)

فالحديث دل على أن رضى الله أعظم وأجل من كل نعيم، كما قال دلالة واضحة على إثبات صفة الرضا والسخط إثباتاً يليق بجلاله.

ومن حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إني الله يرضي لكم ثلاثة: ويكبر لكم ثلاثة فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بجليل الله جميعاً ولا تفرقوه، ويكبر لكم ثلاثة فقيل وقال(2) وكثرة السؤال(3) وإضاءة المال".(4)

فالحديث دل على أنه تعالى يرضي ويكبر وهاتان الصفتان صفتان كمال ولو كان في إثبات هاتين الصفتين وغيرهما محدود لأشار إلى ذلك النبي ﷺ وبيته ووضوحه للأمة، فهو سيحانه - يرضى رضاءاً يليق بجلاله، ويكبر بعض الأعمال كرامة تليق به، ولا داعي لأن نتجاوز الحديث تأتيه بطلة ما أنزل الله بها من سلطان. كتأويل الرضا، والسخط والكرامة من الله - تعالى - بأن المراد بها أمره ونهيه وثوابه وعقابه، أو إرادته الثواب لبعض العباد والعقاب لبعض(5) فإن هذه التأويلات من تصرف بعض الطوائف كالشريعة الكلامية الذين يكلفون تأويلات لم يكلفهم الله بها، بل هي تأويلات باطلة ناتجة عن التصرف

---

(1) منقح عليه: صحيح البخاري مع الفتح 13078، وصحيح مسلم 4/167.
(2) قبل وقث آخر في أخبار الناس وحكاية مال يعنين أحوالهم وصرفاتهم.
(3) كثرة السؤال: هو التفتيش في المسائل والإكثار من السؤال عملاً لم يعرف، وفي المراد به سؤال الناس أحوالهم.
(4) رواه مسلم في صحيحه 4/231.
(5) انظر شرح النووي على صحيح مسلم 1/12.
الخاطئ بإزاء صفات الله تعالى - التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ دون تعديل ولا تأويل، كما أن الحديث يتضمن الرد على القدري الجبرية الذين يزعمون أن كل ما في الكون محروم لله حتى المعاصر - تعالى عن ذلك وتقدس - فقد بين الحديث أنه سبحانه - بكره القيل والقال، وكثرة السؤال وإضاءة المال.

ومن حديث أسن رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلا أصحاب بتر معونة ثلاثين صباحًا يدعون على رفع (1) وذكوان (2) وعاصية (3) عست الله ورسوله قال أسن: وأنزل الله ﷺ عرجل - في الذين قتلا بتر معونة قرأناه حتى نسخ بعد أن بلغوا قومنا أن قد لقينا بنا رضيعنا عنا ورضيتبنا عنه (4).

ففي الحديث دالة صريحة واضحة على إثبات صفة الرضا على المجرم جل وعلا.

حيث أكرم الله ﷺ عرجل - تلك الفتنة المؤمنة من شهداء بتر معونة برضا الذي هو أعظم من كل نعيم ورضوا بما أكرمه الله - تعالى - به من دخول الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشير.

ومما ينبغي أن يعلم أن السلف الصالح كانوا يطلبون الصفات الخبرية على الله بدون توقف، ولكن الأمر انعكس اليوم فأصبح كثير من أتباع العقيدة الأشروية الكلابية يتوقفون من إطلاق الكثير من الصفات الخبرية على الله - تعالى - إلا بيتة تأويلها وتفسيرها بلازمه.

فمذهب السلف الصالح الذي هو الطريق السوي هو التسليم بما جاء في الكتاب والسنة، ولا يتجاوزونهما فله ارضي وغيضب ويفرح كما أكبر بذلك عن نفسه وأخبر رسوله ﷺ.

وأما احتجاج أبي علي الجمالي المعتزل بالآية التي صدرنا بها هذا المبحث وهي قوله تعالى: (والرضي لعباده الكفر وإن شكنوا برضي له كجم آفائه) ﷺ على أن العبد يخلق أفعاله، وقال: لئن الله خلق الكفر لكان قد رضي الكفر من الوجه الذي خلقه، ولو كان...

(1) رعل: قبيلة من سليم بن منصر بن منصور من العدنانية تتسب إلى رعل بن عوف بن مالك. الفتح 1/279.
(2) ذكوان: قبيلة من بني سليم بن منصور من قيس بن ميالة من العدنانية. نظر تاريخ ابن خلدون 2/307.
(3) عاصية: بطن من بني ميالة من قبائل من القحطانية. نظر نهاية الأرث المشرقي 2/196.
(4) رواه مسلم في صحيحه 1/418.
الكفر بقضاء الله تعالى - لوجب على الخلق أن يرضوا بذلك لأن الرضا بقضاء الله واجب، حيث اجتمعت الأمة على أن الرضا بالكفر كفر تلقائه ليس بقضاء الله، وليس أيضاً برضاء الله (1).

وهذا الزعم يرد عليه من وجه ثلاثة:

الوجه الأول:
يقال له: اختلف أهل التفسير في هذه الآية على قولين:
1 -ذهب حارمة عبد الله بن عباس والسدي (2) إلى أن معنى قوله تعالى: "ولا يرضي لعبادك الكفر" خاص بعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته.
2 -ذهب آخرون إلى أن ذلك عام لجميع الناس وعلى هذا يكون المعنى أيها الناس إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضي لكم أن تكفروا به (3).

الوجه الثاني:
يقال له: إن زعمك أن الرضا بالقضاء واجب ففيه تفصيل عند العلماء حيث أن أقسام الرضا ثلاثة:

الرضا بالله، والرضاء عن الله، والرضا بقضاء الله.

الرضا بالله فرض، والرضاء عنه وإن كان من أجل الأمور وأشرفها فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه ومشقتهم عنه، وأوجبه بعضهم وأما الرضا بكل مقتضي فلا يجب بل المقتضي ينقص إلى ما يجب الرضا به وهو الديني الشرعي، ومقتضى كونه قديري، فإن كان فقاً أو مرضاً ونحو ذلك استحب الرضا به ولم يجب، وأوجبه بعضهم وإن كان كفراً أو معصية حرر الرضا به فإن الرضا به مخالف لله تعالى - فهذا - سيحله لا يرضي لعباد الكفر، وأما القضاء الذي هو صفة الله وفعله فالرضا به واجب أه (4).

(1) التفسير الكبير للفخر الرازي 22/447.
(2) هوا إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد الكوفي صدوق بهم ورعي بالتشريع توفي سنة سبع وثمانين ومائة هجرية تهذيب التهذيب 13/131-134.
(3) جامع البيان 22/241.
(4) محاج السالتين 2/256-24، مدارج السالكين 1/414-415، مع التصرف البسيط.
الوجه الثالث:

يقال له: إن الإرادة في كتاب الله نعوان:

1 - إرادة قدرية كونية.
2 - إرادة شرعية دينية.


ومثال الإرادة الشرعية الدينية الأمرية قوله تعالى: ۗ يرقد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكمۚ. وقوله تعالى: ۗ ما يرقد الله ليجعل عليكم من حرجۚ.

فال أمر الشرعي إنما تلازم الإرادة الشرعية الدينية ولا تلازم بينه وبين الإرادة الكونية القدرة.

فقال تعالى أمر الكافر بالإيمان وأرادة منه شرعاً ودنياً، ولم يرده منه كوناً وقدراً ولو أرادة كوناً لحصل ذلك، لأن الإرادة الكونية القدرة لا يتخلف عنها المراد بخلاف الإرادة الشرعية قد يتخلف المراد بها.

ولو اعتذر المعتزلة وقالوا: ما الفائدة من أمر الله بالشيء وهو لا يريد وقوعه؟ يجاب بأن الفائدة في ذلك إبطال الخلق ولتميز المطعوم من غيره ولذلك أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام.

(1) سورة الأنعام آية: ۱۲۵.
(2) سورة هود آية: ۳۴.
(3) سورة النساء آية: ۲۷.
(4) سورة المؤمنة آية: ۶.
(5) انظر مختصر منهج السنة ص ۱۲۱، شفاء العليل ص ۲۸۰، شرح الطحاوي ص ۱۱۷-۱۱۸.
السلام بذبح وله مع أنه تعالى - لم ير وقوع ذبحه كوناً وقلداً، وقد أبان الله تعالى - أن الحكمة في ذلك ابتداء إبراهيم عليه السلام حيث قال تعالى: {إن هذا لهوا البلاط المبين} (1). وبهذا يبطل قول القردية المعتزلة أنه لا يكون أمرًا إلا بإرادته وقوعه، وقولهم هذا الفاسد هو الذي جرحه إلى القول بأن معصية العاصي ليست بمشيئة الله تعالى - لأنه أمر بتركها ولم ير إلا التزام الذي أمر به لأن الأمر لا يكون أمرًا إلا بالإرادة فيرتبد على قولههم نسبة العجز إلى الله واستقلال العباد بالفعل دون الله تعالى - والله منزه عن قولهم تزويها يليق بجلاله (2).

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: {ولا يفعل إلا ما يريد}.

قال الشارح حول هذه العبارة: {هذا رد لقول القدرية المعتزلة فإنهم زعموا أن الله أراد الإنسان من الناس كلهم والكافرون أراد الكفر وقولهم فاسد مردد لمخالفته الكتاب والسنة والمعلقات الصحيح.} . . . . إلى أن قال، وأما أهل السنة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرًا فهو لا يحبها ولا يرضى بها ولا يأمر بها بل يغضبها ويسخطها ويكرهها وينهي عنها وهذا قول السلف قاطبًا فيقولون ما شاء الله كان، ولا يشأ لم يكن!} (3).

وقد حاصل مما تقدم في هذا المبحث أن صفة الرضا من الصفات التي أثبتها الله لنفسه في محكم كتابه، وأنه له رسله في سنته المطورة، وأنه له سلف هذه الأمة حيث آمنوا بما جاء به الكتاب والسنة، ولم يتجاوزوهما إلى غيرهما إثناهما بلا تمثيل وتنزت من خلالها، أما الذين يفرقون بين صفات الله ويوثرون صفة الرضا، والمحبة، والغضب، والكرامة بالإرادة فهذا من تصرفات البشر الخاطئة التي مضمونها التفرقة بين ما ورد به السمع. ولوقيل لهم: لم ننفي صفة الرضا والمحبة والغضب وأثبت الإرادة؟ لقالوا: إذ إن إثباتها في تشبيه المخلوق بالمكانية لأن الغضب غليان دم القلب لقصد الإنتقام، والرحمة، رقية تلحظ المخلوق والرب منزه عن ذلك.

(1) سورة الصافات آية: 106.
(2) التأويل: Abstract للفقه الحديثي، محمد الأمين الشنقيطي ص 190 - 191.
(3) شرح الطحاوية ص 116.
والرد على هذا يقال لهم: وكذلك الإرادة: ميل الإنسان إلى ما ينفع ودفع ما يضره، والله متزه عن ذلك، فيضطرون إلى القول بأن للإنسان إرادة تلية به، وللرب إرادة تلية به، ومن خلال قولهم هذا يلزمهم أن يقولوا كذلك: في بقية الصفات من الرضا والمحبة والرحمة والغضب والكراءة، وإن لم يقولوا بهذا فإنهم وقعوا في التفريق بين صفات الله تعالى - وليس في العقل ولا في السمع ما يدل على التفريق فلا يحل أن يثبت له بعض الصفات - سبحاته - وينفي عنه البعض الآخر (1) مما أثبته لنفسه.
المبحث الحادي عشر
إثبات صفة العلم

لقد ذم السورة على إثبات صفة العلم الله - عز وجل - في ثلاث أيات منها: قال تعالى: "فلم إلي رجعكم فنعتكم بما كنتم تعملون إنه علم بذات الصدور" وقال تعالى: "قل الله فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون".

وقال تعالى: "وويل كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون".

فالآية الأولى: من هذه الآيات الثلاث تضمنت اسمه تعالى - "العلم" الدال على صفة العلم الله - تعالى - التي بها يدرك جميع المعلومات على ما هي عليه فلا يخفى عليه شيء فقد بين الله - تعالى - بقوله: "إنه علم بذات الصدور" أنه لا يخفى عليه ما أضرمه صدور عباده مما لا تدرك أعينهم كيف كى تدرك العيون وترى الأ بصار.

وأما الآية الثانية: "قل الله فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة" ففيها الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول للناس إن الله خلق السماوات والأرض، وأنه يعلم الغيب الذي لا تراه الأ بصار، ولا تحسر العيون، كما يعلم الشهادة الذي تشهده أ بصار الخلق وتره عيونهم.

وأما الآية الثالثة: "وويل كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون" فقد أخبر الله تعالى - فيها - أنه أعلم بما يفعله العباد في الدنيا من الطاعات أو المعاصي، ولا يعذب عنه علم شيء من ذلك وسيجزيه على ذلك يوم القيامة فيثيب المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء على إساءته.

فالآيات الثلاث المتقدمة دلت على أنه تعالى - عالم - بعلم، وأن علمه محيط
بكل الأشياء الشاهدة والغائية من الكليات والجزئيات وعلمه تعالى - من صفاته الذاتية وهو أزلي بآليته فقد علم تعالى - في الأزل جميع ما هو خالق، كما علم جميع أحوال خلقه وأزراقه وأجاقه وأعمالهم وشفاهم وساعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، وعلم تعالى - عدد أنفسهم، ولحظاتهم وجميع حركاتهم وسكناتهم أين تقع؟ ومتى تقع؟ كل ذلك بعلمه وبرأى منه وسمع لا بخفي عليه منهم خافية سواء في علمه الغيب والشهداء والسر والجهر، والجليل والمحقق، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فله تعالى - العلم المطلق بجميع الأشياء جملة وتفصيلاً، وقد جاءت في كتاب الله تعالى - آيات كثيرة دلت على شمول علم الله وإخاطته بما لا تبلغه علوم خلقه.

قال تعالى: (يعلم ما يخرج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يخرج فيها وهو متكلم أينما كتب والله بما يعملون بصير) (1).

فقد هذه الآية بينت بأنه تعالى - يعلم ما يدخل في الأرض من الحب والبذور والمياه والجذور والمعادن، وما يخرج منها من الزرع والأشجار والعيني الجارية والمعادن النافعة، وعلم كذلك ما ينزل من السماء من الثقل والأمطار والصواعق والملائكة كما يعلم ما يصعد فيها من الملائكة والأعمال والطير الصواف إلى غير ذلك مما يعلمه العلم.

قال تعالى: (وعند مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسبط من ورقة إلا وحيه ولا حبب في ظلمات الأرض ولا رطب ولا بابس إلا في كتاب مبين) (2).

وهذه الآية أخرى - تعالى - فيها بأن عند مفاتيح الغيب وأنه لا يعلمه إلا هو ومفاتيح الغيب:

قيل: خزائنهم، وقال: (طريقه وأسبابه التي يتكون بها إليه وهي جميع مفتاح بكسر الميم، أو مفتاح بحذف ياء مفاعيل) (3).

---

(1) سورة الحديقة آية: 44.
(2) سورة الأعام آية: 89.
(3) فتح القدر: 123/2.
وقد فسرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمنهم إلا الله، ثم تلا قوله تعالى: \( \text{إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس وما تدرى نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير} \)\(^1\). 

فالآية الأولى: وهي قوله: \( \text{وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو} \) الآية دلت على أنه تعالى لا يخفى عليه شيء في هذا الكون ودلت على وصول علمه إلى كل مخالف وفق من الحسيات والمعنويات حيث بنيت أنه تعالى -يعلم سقوط الورقة من الشجرة وكم من أشجار على الأرض؟ وكيف كن كل شجرة من الورق؟ فما من شجرة أو ورق إلا وهي في الكتاب المبين.

كما أوضح أنه يعلم الرطب والليابس فدلت على إحاطة علم الله تعالى -بهذا الكون إذ الكون إما رطب أو ليابس -فسبحان من هو عالم الغيب والشهادة.

وقال تعالى: \( \text{إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أشيء ولا تضع إلا بعلمه} \)\(^2\). 

وقال تعالى: \( \text{إلينا أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماء} \)\(^3\). 

وهتان الآيتان أيضاً: فيهما الخبر بالإحاطة علم الله بحمل كل أشياء ووضعهما متى تضع وكيف تضع كما أخبر بعومه قدرتهم وتعرفها بكل شيء وأن علمه محيط بجميع الكائنات.

وقال تعالى: \( \text{لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون} \)\(^4\). 

وقال تعالى: \( \text{يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور} \)\(^5\).

\(^1\) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما صحيح البخاري 19/1 صحيح مسلم 1/29.

\(^2\) الآية رقم (44 من سورة الجماعة).

\(^3\) سورة \( \text{فصلت آية} \) : 44.

\(^4\) سورة \( \text{الطلاق آية} \) : 12.

\(^5\) سورة سورة \( \text{الأعراف آية} \) : 162.

\(^6\) سورة سورة \( \text{غافر آية} \) : 19.
قال تعالى: {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء} (1).

والآيات الواردة في كتاب الله الدالة على أن الله تعالى - منصف بصفة العلم مملاً يكاد أن يحصى إلا بكثرة لكثرتها، وكلها ترد مذهب المعزلة الذين نفوا صفاته - سبحانه وتعالى، وهم ومنها صفة العلم فمنهم من زعم أنه تعالى - عالم بذاته وقدر بذاته.

ومنهم: من عمد إلى تفسير أسمائه - سبحانه وتعالى - بالمعنى السلس.

قال تعالى: {عليه متعناه: لا يجهل، وقدر معناه: لا يعجز} (2).

ولقد قدر الإمام وعبد العزيز المكي (3) في كتابه (الحيدرة) على (4) بشر بن غياث المarsiدي المعزلي وهو ينظر في مسألة العلم {إن الله عز وجل} لم يبدح في كتابه ملكاً مقرأً ولا نبأً مرهلاً ولا مؤنثاً تقياً بنفي الجهل عنه ليدل على إثبات العلم له، وإنما مدحهم بإثبات العلم لهم بنفي ذلك الجهل عنهم، فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم؟! (5).

وقد ذكر عبد الجبار بن أحمد: اختلاف إخوانه المعزلي في صفة العلم وبين أنها ثلاثة أقوال: وأطلال الكلام والمناقشة حولها ونحن نذكرها هنا باختصار.

الأول: إن الله عالم بعلم هو ذاته وإليه ذهب أبو علي الجبائي.

الثاني: إن الله عالم لذاته وله قال أبو الهذيل العلاف.

---

(1) سورة البقرة آية: 255.
(2) انظر مقالات الإسلاميين 54 وما بعدها.
(3) هو: عبد العزيز بن بحبي بن عبد العزيز الكتاني المكي: فقهه، منظور كان من تلاميذ الشافعي قدوم بغداد في أيام العمان، فجرت بينه وبي بشر المarsiدي منظرة القرآن توفي سنة أربعين وثمانين هجرياً. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: 326/2333، الأعلام 54/54.
(4) هو: بشر بن غياث بن أبي كريمة عبدالله المريسي العدوي بالولاية بأبوعبد الرحمن قديم معزلي زنديق، انتقى مالح الجهيمي توفي سنة ثماني عشرة وثمانين هجرياً. انظر ترجمته في وفيات الأعيان 91/91، النجم الزاهري 238/238، وزان الإعتدال: 432/432.
(5) لحيدة ص. 54.
الثالث: إن الله عالماً لما هو عليه في ذاته وهو مذهب أبي هاشم من المعزولة(6).

وأما الفلاسفة: الذين يلقبون بالحكماء فقد أنكروا علماً تعالى بالجزئيات وزعموا أنه تعالى -علم الأشياء على وجه كلي ثابت(7). وحقيقة هذا القول أنه تعالى لا يعلم شيئاً إذ ما في الخارج هوجزئي والأخرى أنهم يلقبون بالجلاءة لأن الحكماء ومذهبهم ظاهر الفساد لبده بهما أنه علماً الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في أنه تعالى - قد أوحى علماً بالكليات والجزئيات ولا يخفى عليه شيء.

قال السفاريدي(8) رحمه الله تعالى - يجب الجزم بأنه تعالى - عالم بعلم واحد وجودي قديم لا ذي تكشف به المعلومات عند تعلقه بها، وإذا قلنا: أن علمه ذاتي كسائر صفاته - تعالى - للرد على الحكماء القائلين بني الصفات وإثبات غاياتها وللرد على المعزولة القائلين بأنه علماً بالذات لا بصفة زائدة عليها، والدليل على أن صفاته زائدة على ذاته وورود النصوص بأنه تعالى - عالم - عالم عالم ويода وقادر ونحوا، وكمنه عالمًا يفعل بقيام العلم به في الشاهد فكل ذلك في الغائب وقسوه سائر الصفات(9) - هذى.

وأما الغلاة من القدرية: فقد أنكروا علماً تعالى - تعالى - بفعل خلقه حتى يعموا(10) توهماً منهم أن علمه تعالى - تعالى - بالفعل خلقه يضفي إلى الجبر وقولهم هذا معلم البلتان بالضرورة في جميع الأديان.

قال العلماء ابن القيم في ذكره لمراتب القدر: "فأما المرتبة الأولى: وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتهم، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة وخلفائهم مجويس الأمة". - هذى.

---

(1) شرح الأصول الس الأخيرة ص 187 - 188، وانظر مقالات الإسلاميين/ 244/ - 245/، اعتقادات المسلمين والمشركيين للرازي ص 28، أصول الدين للبغدادي ص 90 - 91، الرد على الجهمية للدارمي ص 90 - 99.
(2) الإشاعات لابن سينا 2/ 484 وما بعد، وانظر مجموعة الرسائل والمسائل 4/ 1 ولومان الأصول 1/ 159.
(3) هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريدي شمس الدين أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب ولد سنة أربع عشرة ومائة وألف وثاني سنة ثمانين وثمانين ومائة وألف هجرية. انتظر ترجمته في "العلم بالزنكي" 145/ 2400.
(4) لومان الأصول 1/ 145، - 146.
(5) التصيص في الدين ص 108، الرد على الجمعية للدارمي ص 68 - 69.
(6) شفاء العليل ص 29.
وقد دلت السنة والعقل على أن صفة العلم من الصفات الذاتية الثابتة لله - عز وجل.

فقد روى البخاري: في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها. كما يعلم السورة من القرآن يقول: إذا هم أحدهم بالأمر فليركع ركعتين من غير الضربة، ثم ليبن: ألحهم إني أستخبرك بعلمك وأستدرك بقدرتك، وأسألك عن فضلك العموم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيب. . . الحديث.

وقال ﷺ: "ما من مولود بولد إلا على الفطرة فأبروا بهودانه أو بقصرانه، أو بمجسائه، كما تنتج المبهمة جمعة هل تحسن فيها من جدعان حتى تكونوا أنتم ت🎶ونا" قالوا: يا رسول الله أقرأت من يموت منهم وهو صغير قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين"(1)

ومعنى الحديث: الله أعلم بما كانوا عاملين لوعاشوا أ. هـ.

والآثار الواردة في إثبات صفة العلم كثيرة جداً لتوبيعت وجمعها لتكون منها مصنف كبير.

وأما الدليل العقلي على علمه تعالى فقد نوح: أولاً أنه يست傾 إيجاد الأشياء بغير علم سابق قال - جل شانه - "لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"(2).

ثانياً: إن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان وعجيب الصنعة ودقيق الخلق مما يشهد بعلم الفاعل لها لمروض صدور ذلك عن غير علم.

ثالثاً: إن في المخلوقات من هو عالم والعلم صفة كمال الفن فلن يكون لله عالماً لكان في المخلوقات من هو أكمل منه، وكل علم في المخلوق إلا استفادة من خالقه وواهب الكمال أحق به، وفاقد الشيء لا يعطيه(3).

(1) صحيح البخاري مع الفتح 1/93 وصحيح مسلم 4/208، وكمهما من حديث أبي هريرة.
(2) شفاء العليل ص 30.
(3) سورة الملك آية: 14.
(4) شرح العقيدة الإصفهانية ص 24، وальнور 1/188-149.
وما قدمناه من الآيات القرآنية، وبعض الأحاديث النبوية والأدلة العقلية كلها نصوص قطعية صريحة في إثبات صفة العلم لله تعالى - وكلها تشهد ببطلان مذاهب أهل الأهواء في صفة العلم من الفلسفة والجهمية والمعتزلة الذين يفكون هذه الصفة وغيرها من صفات الله جل وعلا - وهي أي تلك الأدلة صنعة على رؤوس الجمهوية الذين يجدون علم الله السابق بخلقه، ويزعمون أن علمه بأنفع عباده قبل كونها يفضي إلى الجبر وهذا من علامة زيت القلوب والعباذ لله إذ العلم صفة كاشفة تكشف الأشياء على ما هي عليه فالباري سبحانه يعلم أزلًا ما يكون من عبده المختار من السعادة والشقاوة وما يحصل له من الغنى والفقر، ومن ناحية تحديد عمره والقضاء أجله ثم كتب ما علمه في اللوح المحفوظ فهوا كتاب - سبحانه لا ليجبر أحدًا من عباده على حسب ما كتب بل كتب - سبحانه لأنه علم في الأزل ما يكون من العبد بمحض اختباره وإرادته، فعلمه تعالى - صفة اكتشاف الماضي والحاضر والمستقبل وهومعنى قول أهل العلم علماً ما كان، وعلم ما يكون، وعلم مال مكن أن لو كان كيف كان يكون.
المبحث الثاني عشر
بيان معنى اسمه تعالى (الوكيل)

لقد ذكرت السورة على أن من أسمائه تعالى -الوكيل-. قال تعالى: ﴿لله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيلاً﴾. جاء في النهاية: وفي أسماء الله تعالى -الوكيل- هو القيم الكفيع بأرزاق العباد وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكل إليه، وقد تكرر ذكر الوكل والوكيل في الحديث يقال: توكيل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكيل أمرى إلى فلان: أي ألجأته إليه واعتمدته فيه عليه ووكيل فلان فلا أنا إلا استكافاه أمره ثقة بكفائته، أرعي주시 عن القيام بأمر نفسه؛ اهـ (1).
وجاء في المفردات لغزير القرآن: الوكلال التوكيل: أن تعتمد على غيرك وتجلع نائبًا عنك والوكيل -فعل- بمعنى المفعول قال تعالى: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ أي: اكتشف بأن يتولى أمرك ويكون وكيل لك وعلى هذا ﴿حسينة الله ونعم الوكل﴾ (2) وما أنت عليهم بوكيل؟ أي: بموكول حافظ لهم كقوله تعالى: ﴿لست عليهم بمصيصر﴾ (3) فعلى هذا قوله: ﴿أرأيت من اتخذ إليه هواه أفانم ت كون عليه وكيلًا؟﴾ (4) أي: من يتوكل عليهم والوكيل على وجوهين:

(1) سورة الأحزاب آية: ۲۲۱.
(2) سورة ال آل عمران آية: ۱۳۷.
(3) سورة الأنعام آية: ۱۰۷.
(4) سورة الغاشية آية: ۲۲۱.
(5) سورة الفرقان آية: ۴۴.
بيان معنى اسمه تعالى (الوكيل)

يقال: تولك لفلان بمعنى توليت له، وقيل: وكلته تتوكل لي، أو توكلت عليه بمعنى اعتمده قال: عزوجل: (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (1). إلى أن قال: *وَبَعْدَمَا فَسَرَ الْوَكِيلُ بَكْنِيْلِكَ وَالْوَكِيلُ أَمَّنَ أَنْ كُلْ كَفِيلْ وَكِيلْ وَلِيسْ كُلْ كَفِيْلْ كَفِيْلًا أَهْمَ (2)* وَجَاءَ فِي الْقَامُوسِ: وَكُلُّ بَالِدٍ يُكَلُّ وَأَوَّلُ وَأَتَكلَّ استسلم إليه وَوُكِلَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ وَالْوُكِلَّ سَلَمَهُ وَتَرَكَهُ اهْمَ (3)

والذي نستفيد من هذه التعريف اللغوية لاسم الله تعالى - بالوكيل - أنَّهُ من توكَّل إلى عَلَمَهُ وَقُدرَتَهُ وَحَكْمَتَهُ أَمْرَ الخَلْقِ وَشَوْقُهُمُ الَّذِي بعَجَزُونَ عَنِ الْقَيَامِ بِهَا بَانَفْشِهِمُ عَلَى الرَّغْمِ بِمَا قَدْ مَنْحَاهُ بِمَوْحِدَةِ الأَرْضِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَتوكل لِهَا وَيَوُتَّ لَهَا وَقُدْ وَكُلُّ سَبِيحَةٌ - إِلَيْ نَفْسِهِ أَمْرَ الخَلْقِ فَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهَا بَالْحَقِّ وَتَكَفَّلَ بِذَلِكَ فَأَوْجَدَهُ عَلَى أَبْدِ عَظَمَّهُ وَاخْسِ إِفْتِقَانٍ، وَتَكَفَّلَ بِمَا يَحْتَاجُهُ خَلِقِهَا مِنَ المَصَّاَلِ لَهَا لا طَاقَة لِهِم بِالْبَعْثِ إِلَّا بِرَوْقَاهُ وَقَدْ سَبَقَتْ إِرَادَتُهُ سَبِيحَةُ - بِأَنْهُ خَلَقَ عَلَى هذِهِ الأَرْضِ كَانَاتِ حَيَّةٌ لَا تُعْيِنُ إِلَّا بِالْمَاءِ وَالْهَوَاءَ فَتَوَكَّلَ لَهَا مِنْ بَيْنِ أَنْ خَلَقَهَا، بِالْمَاءِ وَالْمَاءِ كَمَا أَنْهُ - سَبِيحَةُ تَوَكَّل بِجُلُبْ أَجْهَزَةٍ مَحْكَمَةٍ لِلَّأَجَسَامِ الْحَيَّةِ وَجِلَّ كُلِّ جِهَازٍ يَوْمَيْدُ وَظِيفَةٌ خَاصَّةٌ لِحِفْظِ بِذَلِكَ حَيَاةَ الإِنْسَانِ، وَتَوَكَّلٌ سَبِيحَةٌ - بِرَزْقِ لِلْأَحْيَاءِ جَمِيعًا مِنَ العَاقِلِ وَغَيْرَ الْعَاقِلِ، مِنَ الْمَوْمِينِ وَكَافِرٍ كَمَا تَوَكَّل بِحَفْظِ حَيَاتِهِمْ وَلَوْ رَكِلُهُمْ إِلَى أَنفَسِهِمْ طَرْفَةَ عِنْ لِهِلَكَوْا وَلَكِدَ يَغْفِلُ النَّاسَ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَيَسْبِرُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَالْغَفْلَةَ تَغْفِلُهَا حَتَّى إِذَا مَنَزلُ بِهِمُ الْضَّرَرُ أَسْتَيْقِطُوا مِن غَفْلَتِهِمْ تَرَجُوُوا إِلَى رَبِّهِمْ "الْوَكِيلِ" يَكُونُ إِلَيْهِ قَدْرَتُهُ وَرَحِمَتُهُ وَحَكْمَتُهُ مَا عَجِزَ عَنْهُ مِنَ دَعُوَّةِ الْبَلَاءِ عَنْ أَنفَسِهِمْ.

قال تعالى: (فَإِذَا غَشَّيْهُمْ مَوجَّ كَالظُّلْمِ دَعُوَّالِهِمْ مَلَكٌ لِهْدِينَ) (4)

وَمَا الدَّعَوَّةِ المَذْكُورَ، وَالْمَنْوِهِ عَنْهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ إِلَّا أَثْرَى الْبَيْنِ بِنَبَأٍ لَّهُمْ رَبَّهُ قَدْ أَقَرَّ إِرْخَيْمًا يَكُونُ إِلَيْهِ كَلِّ مَا عَجِيزُوا عَنْ تَدِيرِهِ بِأَنفُسِهِمْ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ فِي مَا أَعْجِيزُهُ أَمْرُهُ وَأَعْجِيزُهُمُ الْحِيَلَةُ فِيهِ، وَالْإِنسَانُ مَا هُمْ أَوْتِيُّهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعَقِيلِ وَالْمَكَافِئِ وَالْفَقْهُ، فَإِنَّهُ عَاجِزُ عَنْ

(1) سورة التغابن آية: 13.
(2) ص 17/4.
(3) سورة القصاء آية: 42.
(4) سورة التغابن آية: 13.
إدراك ما يخفى عليه من أمور الغيب التي استأثر الله بعلمه لا يدري كيف يقدر الله الأزراق ولا كيف يسوق الخير ولا كيف يدفع الشر.

ولقد منع الله تعالى الإنسان من القوى ما يستطيع به أن يدبر الأمور الظاهرة التي تبلغها مداركه وتلتها قوته أما ما وراء ذلك مما لا تناهه قوى البشر، ولا تصل إليه مداركهم، فعليهم أن يكلوه إلى «الوكيل» مسحاته.

ولذلك ووجه الله نبيه محمدًا ﷺ بأن يتخذوه وكيلًا يتوكل له بين أمور الرسالة وهديته الناس ودفع أذاهم عنه، ونشر الدعوة وإزالة العواائق من طريقها بما يعجز عنه بقوة البشرية التي منحه الله إياها.

قال تعالى: "رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو واتخاذه وكيلاً".

ولما أكثر المنافقون من الدس والكيد والرباء أمر الوكيل - مسحاته - أن يتوكل عليه ليكشف أمره ويدفع عنه أذاهما وكل ما لا يقدر على دفعه بنفسه.

قال تعالى: "ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي يقولون والله يكتب ما يبينون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكتبه بالله وكتبه بالله وكيلًا".

ولما حاول الكافرون فتنة الرسول ﷺ عن بعض ما أنزل الله إليه وساعدهم المنافقون على ذلك وأرادوا أن يخدعونه بقولهم إنه لم أجابتهم إلى بعض ما يطلبون لأنواعه، واتبعوه نهاء الوكيل - مسحاته - وهو العليم ببناتهم الخبير ببعض أمورهم - أمره بابتاع الوحي الذي أنزل عليه وان يتوكل عليه ليكشفه أمر فتنهم ويبصره بما خفي من أمورهم العدوانية.

قال تعالى: "في أبها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيماً. واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل على الله وكتبي بالله وكيلي".

ولقد أخبرنا الله تعالى - في كتابه الكريم - أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حين أخبرهم المنافقون بأن الكفار يجمعون لهم الناس ليحاربوهم ولينكلوا بهم لم يبالوا.

(1) سورة olmuş آل آية: 9.
(2) سورة النساء آية: 81.
(3) سورة الأحزاب آية: 34-35.
ولم يكن بهم بل ازدادوا إيماناً على إيمانهم بأن الله ناصرهم ومؤيديهم على طاغوت الكفر، وأبقوا بأنهم متصورون على عدوهم ويزعون عليه لأنهم قد اتخذوا الله وكيلًا يتولى شؤونهم ويدبر أمر انصارهم على كل من ناوهم ونآوا العقيدة الإسلامية التي هي دين الله الذي لا يرضي دينًا سواء قال تعالى: "الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فأخسواهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" (1).

ومعنى الآية: "أنهم لم يفضلوا لما سمعوا ذلك ولا ج对自己的ه بل أخلصوا الله وإزدادوا طمانينة وقيتًا فيه دليل على أن الإيمان يزيد ويتقاس وقوله: "حسبنا الله ونعم الوكيل" حسب مصدر حسبه: أي كافه وهو معنى الفاعل أي: محسب بمعنى كافٍ" (2).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: عند قوله تعالى: "الله خلق كل شيء وهو على كل شيء وكيل".

والشاهد من هذا أن الله تعالى أخبر عن نفسه الكريمة أنه خلق لجميع العالم العلوي والسفلي، وأنه على كل شيء وكيل والوكالة النام ء لا بد فيها من علم الوكيل بما كان وكيلًا عليه وإحاطته بتفاصيله ومن قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه ومن حفظ لما هو وكيل عليه وحكمه ومعرفة بوجه التصرفات ليصرفها ويدبرها على ما هو الأليم فلاتتم الوكالة إلا بذلك كله، فما نقص من ذلك فهو نقص فيها، ومن المعلوم المتقدر أن الله تعالى منزه عن كل نقص في أي صفة من صفاته، فإخباره بأنه على كل شيء وكيل بدلاً على إحاطة علامة بجميع الأشياء وكمال قدرته علي تدبرها وكمال تدبره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها اه " (3).

وقال تعالى: "لابن الله ربيكم إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل" (4).

ففي هذه الآية الكريمة إخبار من الله جل وعلا بأنه الإله الحق وحده لا شريك له وهو الذي خلق كل شيء وهو الوكيل على كل شيء بالوكيل كما تقدم هو من توكيل إليه.

(1) سورة آل عمران آية: 173
(2) فتح القدير للشهواني 161
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 427
(4) سورة الأنعام آية: 102
الأمور فنعم الموكل إليه أمرنا وهو الذي يستحق أن يعبد ويقره بالوحدانية وأنه لا إلا هو وأنه لا ولد له، ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل. هو على كل شيء وكيل بمعنى حفاظ ورقيب يدب ركازهم ويرقهم بالليل والنهار.

وقد بين موسى عليه الصلاة والسلام أن الله شهيد وحفيظ فلا يستطيع أحد أن يعمل عملاً ما سواء كان ذلك العمل صالحاً أو سيناء إلا والله يقبض وشهيد عليه.

قال تعالى حاكياً عنه ذلك بشأن العقد الذي أبرم بينه وبين صهور على رعي غنمه ثماني حجج: قال ذلك بيني وبينك أيا الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله علي ما نقول وكيل (1).

فهو سبحانهـ الموكل بالعدل بين المتعاقدين الشهيد عليهما والعلم بعدهما وما اتفق عليه بينهما.

فهذه الآيات التي قدمها ذكرها كلها تدل دلالة صريحة واضحة على أن الله تعالى هو الحفاظ لعباده يكلؤهم بحفظه آناء الليل وأطراف النهار، كما دلت على أنه يقبض وشهيد على أعمال عباده لا يخفى عليه من عملهم شيء فعلى العباد أن يبتغوا لهذا ويفهمون علماً بيتدون عما يقربهم من سخط الله تعالى وغضبه ويففعون إلى ما يقربهم من رضوان الله ورحمته.

وبعد أن أوردنا الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي أثبتت اسمه تعالى «الوكيل» وبينا أنها دلت على إثبات ذلك الإسم والصفة التي تضمنه صرامة لا تقبل المرأة ولا العدل لوضع النصوص في ذلك من الكتاب والسنة، ورغبة النصوص الواردة من قرآن وسنة في إثبات اسمه تعالى «الوكيل» فإنه قد وجد من أهل الباغ من منع إطالة على الله تعالى...

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى...

واختلفت المتخلطة في "الباري" هل يقال إنه وكيل وإن له طيف؟ على مقالتين:

1- فمنهم من زعم أن المباري لا يقال: إنه وكيل وأنكر قائل هذا القول أن يقول:

(1) سورة القصص آية 28.
حسينا الله ونعم الوكيل ﴿۱﴾ من غير أن يقرأ القرآن وأنكر أيضاً: أن يقال: «طيف» دون أن
يوصل ذلك فيقال: «طيف» بـ "الوكيال" و"الطيف" وإن لم يقيد ＿(٢)﴾.
2- ومنهم من أطلق "الوكيال" وأطلق "الطيف" وإن لم يقيد ＿(٣)﴾.

وتنقول: للجهمية والمعتزلة إن اسمه - تعالى - "الوكيال" وما دل عليه من صفة
للباري - جل وعلا - فإنه قد نسب ذلك بالكتاب والسنة وإجماع السلف من هذه الأمة وقد
أطلق الله على نفسه اسمه "الوكيال" في مصحف كتابه في مواضع كثيرة من كتابه وقد قدمنا
طرفا منها، كما أطلقه عليه رسوله الكريم ﴿۴﴾ في سنته المطهرة ولا يجوز القول بأن هذا
الاسم لا يطلق على الله إلا عند قراءة القرآن. فهذا الإسم يطلق على الله دون تقييد.
روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسينا الله
ونعم الوكيل" قاله إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقامه محمد ﴿۱﴾ حين
لهما الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاختشوهم فزادهم إيمان وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيال﴾(٤).

وروى البخاري أيضاً: عن ابن عباس قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار
"حسين الله ونعم الوكيل" ﴿۱﴾.

فقال للمعتزلة إن الرسول ﴿۴﴾ وكذلك إبراهيم الخليل أطلق اسم "الوكيال" على
الله - سبحانه وتعالى - فإبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام كان آخر قولي حين
ألقى في النار "حسين الله ونعم الوكيل" والرسول ﴿۴﴾ قالوا عندما أرسل أبو سفيان ناساً
فأخبروا النبي ﴿۴﴾ أن أبي سفيان وأصحابه يجدونون فقال: "حسينا الله ونعم الوكيل" ولم
يقلق: لا يطلق اسم الوكيال على الله إلا في القرآن كما قال بذلك بعض المعتزلة ولكن
الآراء التي تصدر عن هو واعتقاد السلم غالباً ما تلفت بأصحابها في الأخطاء التي
تعارض النصوص الظاهرة المشهورة نسأل الله العافية من ذلك.

(١) جزء من الآية رقم (١٧٣) من سورة آل عمران.
(۲) مقالات الإسلاميين ١٧١/ ٢٧٢ - ٢٧١.
(۳) صحيح البخاري ٣/ ١١٤.
(۴) المصدر السابق ورواه أحمد في مسنده ٢١٧/ ٨٤٦.
المبحث الثالث عشر
إثبات صفة اليدين

لقد دلت السورة على أن الله تعالى بيدين حقيقين وهمان من صفات الكمال التي
اصف بها سبحانه وقد جاء في السورة الإشارة إلى صفة اليدين في آية واحدة منها:
قال تعالى: {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عمدا يشركون}.

هذه الآية من السورة بدأت بنعى حال المشركين الذين لم يعومذوا الله حق التعليم
اللاائق به سبحانه وتعالى حيث عهدوا به روآه وأشركو فيه في العبادة لم بنت بأن الأرض
كلها قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، ومذهب سلفنا الصالح إثبات القبضة
واليمين كما وردت بلا تكييف، ولا تأويل، ولا تحريف، فيجبر الإيمان بكل مأصفر الله
به نفسه مع القطع بأنه وصف يلبق بجلالة ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}.

قال العالمة ابن كثير: {يقول تبارك وتعالى: {وما قدروا الله حق قدره} أي ما قدر
هؤلاء المشركين الله حق قدره حين عهدوا به غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر
على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قدره وقدرته} إلخ. إلى أن قال: {وقد
وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف،
وهو إمارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف}.

وقد روى الإمام البخاري بإسناده عند هذه الآية إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

١٢ سورة {الشورى} آية: ١١.
١٣ تفسير القرآن العظيم ٦/١٠٧-١٠٨.

هذا الحديث قال فيه المعطلة نفاه الصناف: إنه من كلام اليهودي، وليس من كلام الرسول ﷺ، واليهود غالب عليهم التشبيه وقد نهينا عن تصديق أهل الكتاب، أو تkipهم وضحكون الرسول ﷺ على مقالة الحبر إنما هو من تشبيه اليهود للخلاق بالمخلوق، وليس إقرار له بل هو استنكار أهـ.

والجواب: أما كون ذكر الأصابع في الحديث من قول الحبر لا من قول الرسول ﷺ.

فهذا صحيح كما نظم بذلك الحديث.

وأما أنه عليه الصلاة والسلام لم يتلفظ بما يؤيد قول الحبر فهذا باطل إذ الثابت عنه ﷺ ما هو أول من ذلك وهو أنه عليه الصلاة والسلام ظهر عليه علامة السرور بقول الحبر، ولو كان في قوله نوع تشبيه للحبر ﷺ وعلاقته بخلقه لمعرفة وجهه ولغضب غضبة شديدة، ولزجر اليهودي وبين الأمة أنه غير صادق فيما قال لأن ذلك طمن لعقيدة الإسلام في صميمها، ولكن ضحكك ﷺ صادق دال على إقرار له، وأن ما قاله مما يؤيد الإسلام ويقره وقال لهؤلاء النفاه أيا: لست أعرف بحال الرسول ﷺ من الصحابي الراوي لهذا الحديث.

قال ابن خزيمة رحمه الله تعالى: "... وقد أجز الله قادر نبيه ﷺ أن يوصف الخلاق الباري - بحضرته مما ليس من صفاته فسمعه فضحك عنده ويجعل بدل وجه النكر والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجده تصديقاً وتعجبأً لقائله لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة ممن صدقو برسالته أهـ." 

(1) صحيح البخاري 3/182.
(2) انظر كتاب الأمام والصفات للبيهقي ص 425 وما بعدها، فتح الباري 8/551.
(3) كتاب التنوير، ص 76.
وروي مسلم في صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يطري الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذن بيده اليمين، ثم يقول أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطري الله الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وروي ابن خزيمة رحمه الله تعالى بإسناده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«لماعلق اللدود آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله محمد الله عز وجل - بإذن الله - تبارك وتعالى - فقال له ربه ربك يا آدم، وقال له يا آدم إذهب إلى أولك المنكاة إلى ملامعك فقل السلام عليك، فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم رجع إلى ربه - عز وجل - فقال: هذه تحكيك وتحية بنيهم فقل الله - تبارك وتعالى - له ويهاد مقبوضتان إكره أيها السماوات وقى في أيدي ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذرته... الحديث».

هل هذا الحديث والذي قبله قد تدوم بعض الناس أن بينهما تعارضًا حيث أن الأول ورد فيه ذكر الشمال، وهذا ينص على أن كتب إياه سبحةه - يمين. وقال ابن خزيمة: «باب ذكر سنة ثمانية بني وتوضح أن لخالقنا - جبل وعلا - يدين كلاهما يمينا لا يسار لخالقنا - عز وجل - إذ يسار من صفه المخلوقين».

والجواب: أنه لا تعارض بين الحديثتين عندما نقول: إن كتب إياه سبحةه - يمين مع ورد الحديث الصحيح لابن عمر الذي جاء فيه ذكر الشمال لا يلزم منه أن اليمين أكمل من الشمال كما هو شأن يدي المخلوق، فلله - جبل وعلا - له الكمال المطلق وليس للإنسان من الكمال إلا ما منحه إياه خالقه، وباركه فلا يترتب على قول العلماء كلاهما يدي روبه يمينا استتقاض لشماله - سبحةه - فهو - تعالى - منزه ومقدس له المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم».

وروي الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
إيثات صفة اليدين

رسول الله ﷺ: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت ثمرة فترب في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه، أو فصيلة" (1).

وعلى هذا نقول: إن ورود ذكر اليمين والقبضة في الآية، وذكر البند والكف والأصابع في الأحاديث التي سمعناها بعدها زيادة لتوضيح معناها كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن للباري سبحانه وتعالى حقيقتين ليستا مجازًا في النعمة (2) والقدرة (3) كما ادعى ذلك الجهمية والمعتلة، وصفة اليدين من الصفات الذاتية التي لا تتفن من الله تعالى - فيجب الإيمان بها وإثباتاً حقيقةً على ما يلب بجلاله وعظم سلطانه.

وقد بين تعالى - في مواضع من كتابه أن له بدبن خلق بهما آدم وأنهما مسوطنان بالإفانق وأن يده هو الذي يصدر العبيد فيهما لرسول الله ﷺ. قال تعالى: "يا إبراهيم ما معننك أن تسجد لما خلقته بيدي أستكبرت أم كنت من العالين؟" (4) فهذه الآية بين - تعالى - فيها أنه قرع إبراهيم ووبخوه حين منعه الكبر عن أن يسجد لأدم الذي خلقه الله بيديه.

وقال تعالى: "وقالت اليهود بمثله غلت أبديهم وعلينا بما قالوا بل يداه مسوطنان يفق كيف يشاء" (5).

وهذه الآية إخبار من المولى - جل شأنه - أن اليهود وصفوه - تعالى - بالبخل حيث قالوا: "يد الله مغوله" فأكلذوه الله ولعنهم على مقالتهم التي تبند عمها هو متمكن في نفوسهم من الشح عن الإنفاق في وجه الخير، أما ياداه سبحانه - فهما مسوطنان بالإفانق على عباده كيف يشاء، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "يمين الله ملأى لا يغيبها سحاء" (6) الليل والنهار،

(1) 77/4.
(2) 77/4.
(3) 77/4.
(4) سورة ص آية: 75.
(5) سورة المائدة آية: 64.
(6) سحاء: أي دائمة الصب والهطول بالعطاء النهاية 2 3/450.
أرأيت ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه؟ قال: «وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض»(1).

وقال تعالى: «إن الذين يباعونك إنما يباعون الله بيد الله فوق أبيديهم»(2) وهذه الآية صرحت بأن الله يدأ تكون فوق أبيدي المبايعين لرسول الله ﷺ.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: «ما منك أن تسجد لما خلقته بديي»(3).

«إن لحظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع: مفردآ، ومشتى، ومجموعآ. فالفرد كقوله تعالى بيد الملك»(4).

والمشتى كقوله تعالى خلقته بديي.

ومجموع كقوله تعالى عملت آيدينا(5) فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدي الفعل بالباء إليهما وقال خلقته بديي، وحيث ذكرها مجموعة أضاف الفعل إليها ولم يعد الفعل بالباء، فهي ثلاثة فروق فلا يحتمل خلقته بديي من المجاز ما يحتمله عملت آيدينا فإن كل أحد يفهم من قوله عملت آيدينا ما يفهم من قوله عملنا وخلقنا كما يفهم ذلك من قوله فيما كسبت آيديكم(6) وأما قوله خلقته بديي فلكان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معيّن فكيف وقد دخلت عليها الباء؟ كيف إذ أثبت، وسر الفرق أن الفعل قد يضاف إلى يد اليد والمراد الإضافة إليه كقوله بما قدنت يداك(7) وبما كسبت آيديكم. وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عدي بالباء إلى اليد مفردة فهو مما باشرته يده ولهذا قال عبد الله بن عمر: «إن الله لم يخلق بيه إلا ثلاثًا خلق آدم يبدع، وغرس جنة الفردوس».

(1) سورة التوبة آية: 71.
(2) سورة الفتح آية: 10.
(3) سورة غافر آية: 65.
(4) سورة الملك آية: 1.
(5) سورة يس آية: 71.
(6) سورة الشورى آية: 30.
(7) سورة الحج آية: 10.
بيده، وكتب التوراة بيده (1) فلَوْ أَكَنتِ الْيَدَ الْمُقَدَّسَةُ الْكَوْرَةُ لِسُكْنَى أَذِىٰ. (2) كانت لآدم فضيلة بذلك على كل شيء مأخوذ بالقدرة» اهـ (3).

فَابن القيم رحمه الله تعالى أراد بهذا البيان الرد على النفا الذين يقولون: إذا قلنا: إن الأد في قوله تعالى (4) مما عملت أنيم (5) صفة نكون قد أثبتنا أنيم كثيرة، أو أَنَا نقول: بإشراف غير آدم مع آدم في الخصائص وهي أن الله خلقه بيده كما قال تعالى (6) لما خلقته بيدي (7) في عليمهم بأن بين الآتيين فرقًا من وجهين: الووجه الأول: أنه أضاف الفعل إليه في قوله (خَلَقْتُ بَيْدِي) (6) بين أن خلق آدم بيديه، وهناك أضاف الفعل إلى الأيدي.

الوجه الثاني: أن العرب يضعون اسم الجمع موضع الثانى إذا أمن الاسم كقوله تعالى (وَالسَّارِقَةَ وَالسَّارِقَةَ فَاقْطَعْوهَا أَيْنَما) (8) أي: يديهما. قوله تعالى (9) فقد صغَّت قُلُوبُكُمَا (10) أي قلباً كباً فكذلك قوله تعالى (10) مما عملت أنيم (5).

قال أبو الحسن الأشعري: "إِنَّ الْقَالِ: إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ الْأَيْمَانِ وَأَرَادَ يَدَينِ فَمَا أَنْكَرَتْ أَنْ يَذَكَّرَ الْأَيْمَانِ وَبِرَيْدَةً وَحِيٌّ؟ قَالَ لَهُ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْمَانَهُ وَأَرَادَ يَدَينِ لَانْتَقَمُّوا عَلَى بَطَالَ بَوْلِهِمَّ: وَقَالَ مِنْ قَالَ بِرَيْدَةً وَحِيٌّ فَقَالَ: "بَيَائِنَ النَّقَامِ عَلَى ظَاهِرٍ، إِلَّا أَنْ تَبْعَدْ حَجةً نَّقَامُ عَلَى خَلَقَ الظَّاهِر هـ (8)." والذي يفهم من هذا الله تعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهرًا أو مضمرًا، وتارة أخرى يذكر نفسه بصيغة الجمع كقوله تعالى (إِنَّا فَتْحَا لَكُنَّا فَتْحًا) (1) وأمثال

(1) انظر جامع البيان للطبري 33/185.
(2) مختصر الصعود المرسلة 38/1.
(3) سورة يس آية 71.
(4) سورة ص آية 75.
(5) سورة العائلة آية 64.
(6) سورة التحريم آية 4.
(7) مجموع الفتاوى 177 والآية (71) من سورة يس.
(8) الإبانة عن أصول الدبابة ص 27.
(9) سورة الفتح آية 1.
إثبات صفة البدين

ذكى ولا يذكر نفسه بصيغة المنصية قط لأنها تدلت على العدد المحصور وهو سبحانه - منه عن ذلك(1).

وهذا تبطل شبهة المعطين القائلين إن البد قد أفردت في بعض الآيات ووجه بلقظ الجمع في بعضها، فلا دليل لهم في ذلك فإن ما يصنع بالاثنين قد ينسب إلى المفرد تقول: رأيت بعيتين، وسمعت بذئني، والمقصود عنياي وأذني وتعلق الذي الجمع يأتي بمعنى المشى كما قدمنا ذلك قريباً.

فكتب الله نسبه رسوله ﷺ قد لا دلالة قاطعة على أن للباري سبحانه وتعالى - البدين مختصتين به ذائتين له، كما يليق به، وأنه تعالى خلق آدم بديهي دون الملائكة وإبليس.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: داحت آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى لأدم: يا آدم أنت أبوناخيبنا وأخرجتنا من البعله فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بكفاحه وخط له في الألوى بيده أنزله على أمر قضاء الله على قبائل بارعين عاماً «فقال رسول الله ﷺ: فحجب آدم موسى»(2).

قال ابن خزيمة: «فكلم الله موسى خاطب آدم عليه السلام شفاهاً أن الله خلقه بهده، ونفح فيه موسم لم يره بين المخلوقين من إعلام الله - جل وعلا - عباده المؤمنين أنه خلق آدم عليه السلام بیده(3).

وجاء في حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن حديث أنى رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يجمع المؤمنون يوم القيامة فيهم نحول أفرادهم ويستلطفنا على ربي معاً حتى يرحبنا من مكاناً هذا فيأتيون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو الناس خلق الله بهده وأستلطفنا على ربي معاً لعلك تلمس كلامه وعلمك أسماء كل شيء إشفع لنا إلى ربي حتى يبرحنا من مكاننا هذا....» الحديث(4).

(1) الرسالة التدمرية مع شرحها التحفة المهدية 129/4.
(2) صحيح البخاري 4/300، صحيح مسلم 4/204.
(3) كتاب التوحيد 55.
(4) صحيح البخاري 4/279، صحيح مسلم 1/180.
فالحديث نص في إثبات اليدين حقيقة، ولو كانتا بمعنى النعمة أو القدرة لقالوا: أنت أبو الناس الذي خلقك الله بقدرته، أو ببنعته.

قال ابن القيم: وهذا التخصيص إنهما فهم في قوله: "خلقت بدي" (1) فلو كان مثل قوله: "amaño عملت أبدنا" (2) لكنه هو الأعظم في ذلك سواه، فلما فهم المسلمون أن قوله: "ما منعك أن تجدت لما خلقت بدي" (3) يوجب له تخصيصاً وتفضيلاً، لا يكون محظوراً باليدين عليه من أمر أن يجد له وفهم ذلك أهل الموقف حين جعلوه من خصائصه كانت السوية بينه وبين قوله: "أئم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أبدنا أنعاماً" (4) خطاً محضاً.

(5)

ويجب على المسلم أن يسلك في صفات الله تعالى مسلك السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين، وهو إثباتما وصف الله به نفسه ووصف به نبي من غير اعتراض فيه وانكريف له، وأن الإيمان به واجب، وتلك التكليف له لازم (1).

قال عبد الرحمن بن القاسم: "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بماوصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه بديه شيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب فإنه - نيارك وتغالي - لا مثل له ولا شبيه ولكنه هو الله لا إله إلا هو" (6).

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: "في باب فضل الصدقة قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها، ولا نتروهم ولا يقال كيف؟ كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أموها بلا كيف وهذا قول أهل اللم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية، فأنكروها.

(1) سورة ص آية 75.
(2) سورة فس آية 21.
(3) سورة ص آية 75.
(4) سورة فس آية 21.
(5) مختصر الصحّاح 1/391، التفسير القيم، 442.
(6) رسالة أبي الحسن الأشعري إلى أهل التغالي، 1/1.
(7) رسالة الإعتقاد لمحمد بن عبد الله بن أبي زمين، 2/1.
و قالوا: هذا تشبهه، وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه لوقيل يد كيد وسمع كسمع.(1)
وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "فما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته ونعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والأعتزال ولكن يده صفتة بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف".(2)
وقال الإمام عثمان بن سعيد البخاري: "وله الأسماء الحسنى يسمع له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم بقير، وبيست ويتكلم ويرضى ويستغف وينبب ويملف وي.hover ويضع وكريم وبر.truth ويأوى ينها ذي الوجه الكريم والسمع السميع، والبصیر البصير، والكلام المبين، واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظماء والعلم الأزلي لم يزل كذلك ولا يزال... استوى على عرشه فان من خلقه لا تخفي عليه منهم خافية علمه بهم محيط، وقرر فيما ناقبه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(3).
وقد البيهي بابا في كتابه "الأعتقاد" ذكر فيه آيات وأحاديث وردت في إثبات صفة الوجه واليدين والعين ثم قال: "وهذه صفات طريق إثباتها السمع فثبتها لورد خبر الصادق بها ولا تكيفها".(4)
وقال الشهرستاني: "وقال أن جماعة كثير من السلف كانوا يثبتون الله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة... ولا يفرقون بين صفات ذات وصفات الفعل بل يسقون الكلام سوقيا واحدا، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤذون ذلك إلا أنهم يقولون: هذه الصفات قد وردت في الشرع فسميناها صفات خبرية". أ. ه(5)

(1) عارضة الأحذري شرح الترمذي لابن العربي 1/165.
(2) شرح الفقه الكبير ص 56-58.
(3) الرد على الجهمية ص 4.
(4) ص 24.
(5) لملل والتحل 19/92.
وذكر أن من هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وسفياني الثوري وداود بن علي الأصفهاني (1).

وعلى هذا درج السلف رأي هذه الخلف رضي الله عنهم كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسورة سرヘル من غير تعرض له أوهيل وقد أمنروا بالقضاء أثاثهم والإهتداء بمنارهم، وحذروننا المحدثين وأخبرنا أنها من الضلالات (2).

ومن خلال هذه الأقوال المتقدمة نعرف أن مذهب السلف إثبات يديني حقيقيتين من غير تكييف ولا تحريف، ولا تأويل ولا تعطيل، ولا يزالون أفاظ الشارع عماره المهرب وتضعه عليه بالتأويل الباطل بل يجعلون الفقه على ظاهره، ويكتون كيفيته وكنها إلى الله تعالى - ويخضلون: ذلك في جميع الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها الآثار الصحيحة.

قال أبو عمر بن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكفين شيئاً ولا يحذرون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم من أنثأت تأوفهم المعبود والمحقق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسورة رسوله وهم أئمة الجماعة والمحمدية (3).

وهذا الإجماع الذي نقله ابن عبد البر عن السلف في رحه على من يقول: أن مذهب السلف هو التفويض في صفات الله تعالى - وإن من نسب إليه ذلك فهو جاهل تمامًا لمن مذهب السلف في هذا الباب، والصحيح أن مذهب السلف هو حمل صفات الله الواردة في القرآن والسنة على الحقيقة ولا يفوضون إلا في الكيفية فقط لأن لا يعلم كن ذلك إلا - هو سببهان - ولأن ذلك مما استأثر الله بعلمه فعبارة السلف «أموها كما جاءت» (4) لا تدل على

المصدر السابق 93/1
(1) لمعة الإعتقاد ص 12
(2) التهديد 145/7، الفتوى الحمديا الكبرى ص 51
(3) الفتوى الحمديا الكبرى ص 51
(4)
إن مذهبهم التفويض في المعنى، وإنما معنى هذه العبارة هو ما قررناهنا، والعلم الله تعالى.

ثم إن صفة اليدين ضلأت فيها طوائف مختلفة كالمشيبة والمعتزلة والأشعري.

أولاً: المشبهة:

أما المشبهة: أتباع محمد بن كرام السجستاني فقد زعموا: أن يدي الله تعالى جارحتان وعوضان فيهما كفان وأصابع ككفي الإنسان وأصابعه(1).

وهذا الزعم باطل شرعاً وعقلاً.

أما شرعاً فقد قال تعالى: "ليس كمثله شيء وهو السماع البصير"(2). وم蹿ى الآية: أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يشبه شيء من خلقه قصفات الباري سبحانه _ كلها خلف صفات المخلوقين فهو سبحانه _ مباين لخلقه له يدان لا كأيدي المخلوقين، فيه قدرة لا كقدرة المخلوقين، ولا بصراً كبصر المخلوقين وقال تعالى: فلا تضرروا الله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون(3). قال ابن كهير: "فلا تضرروا الله الأمثال! أي: لا تجعلوا له أنداداً وأشباهًا وأمثالًا(4) فالمشبهة عندما يزعمون أن يدي الله كأيديهم وسمعه كسمعهم وغير ذلك فقد جعلوا الله أمثالاً وأشباهه - تعالى الله - عما يقولون علواً كبيراً.

وقال تعالى: "هل تعلم له سماياً(6) يعني هل تعلم _ للرب _ مثلها أو شبيهاً وقال تعالى: "وأي الله المثل الأعلى(7) وهذه الآية أثبتت الكمال المطلق لله - تعالى - من جميع الوجوه والمشبهة ساوحو بالناصصات - تعالى - وتقدس عن قولهم علواً كبيراً.

(1) الفرق بين الفرق ص 215 وما بعدها، الملل والنحل 108 ، 109 وما بعدها وأصول الدين للمبتدائي 91/1
(2) سورة الشعرى آية: 11.
(3) سورة النحل آية: 74.
(4) تفسير القرآن العظيم : 212/21.
(5) سورة مريم آية: 65.
(6) سورة النحل آية: 20.
قال نعم بن حداد: «من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيها وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبهه.»

وقال إسحاق بن راهويه: «من وصف الله بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم.»

وقال: علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل السنة والجماعة مما أعلموا به من الكذب وأنهم مشيئة بل هم المعطلة، بهذا القول قال كثير من أئمة السلف، حتى قيل إن المشيئه عابد صنم والمطلق عابد عدم.

وأما بطلان مذهبهم عقولًا:

«فإن المتعلقين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر، ويجب له ما يوجب له، ويمنع عليه ما يمنع عليه، فلا كان المخلوق مماثلًا للخالق للزم اشتراكهما فيما يوجب وما يجوز وما يمنع.

والخالق يجب وجوده وقديمه، والمخلوق يستحيل وجوده وجوده وقديمه، بل يجب حدوثه، وإمكانيه، فلا كانا مماثلين للزم اشتراكهما في ذلك، يجب وجوده وقديمه ويمتاع وجوب قديمه، وجب حدوثه وإمكانيه، فتكون كلًا مماهما واجب القدوم واجب الحدوث واجب الوجود، وما ليس بواجب الوجود يمنع قدمه، لا يمنع قدمه، وهذا جمع بين النقيضين.»

فالمشتبه وقعوا في محظور لم يسبقا إلى مثله حيث شبهوا الخالق بالمخلوق، ومن العجب أنه لو طلب من المشبه أن يصف روحه التي بين جنبيه كيف هي؟ لقال: إنه عاجز عن ذلك فإذا كان يعجز عن وصف مخلوق وينتج على تشبه الخالق، فإن ذلك من المحادة الله ورسوله.

ولوقبه أيضاً: «إن الله أخر عما في الجنة من المطاعم والملابس والمناكح فهل هي كالوجودات في الدنيا؟ لسارع إلى الإجابة بأنها لا تتفق معها إلا في الاسم فقط، وقال: وبينهما من المباينة مالا يعلمه إلا الله.»

(1) شرح الفقه الأكبر 24: 25-50، شرح الطحاوية ص 120.
(2) شرح الفقه الأكبر 25-24، شرح الطحاوية ص 124-125.
(3) انظر مقدمة قصيدة ابن القيم المسمار: «الكافية الشافية في الإنصار للفرقة الناجية» ص 10.
(4) شرح العقيدة الأصفهانية ص 10-9.
ومن هنا يعرف المؤمن بعظمة الله وجلاله أن المشبهة عموماً عقولهم في غطاء عن صفات الله التي تليق به - سبحانه -، ومذهبههم فاسد خارج عن نطاق الشرع والعقل مع اعترافهم وإقرارهم بذلك إذ أنهم يثبتون المباني والظروف بين المخلوقات ولا يدركون المباني العظمى بين الخالق والمخلوقين - تعالى الله - عن ذلك علواً كبيراً (1).

ثانياً: مذهب المعتزلة والأشعري:

زعمت المعتزلة أن صفة اليدين مجاز في النعمة، والقوة وقال أفرادهم الأشعري:
إن صفة اليدين المراد بها القدرة قال عبد الجبار بن أحمد (2) عند قوله تعالى: "وقالت اليهود مخلوقاً غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا به يدا مسلطان يرفع كيف يشاء" (3).
والمراة بذلك أن نعمته مسلطان على العبد وأراده بنعمة الدين والدنيا والنعمة الظاهرة والباطنة وقد يعبر باليد عن النعمة فيقال: "فلان عندك يده" (4).
وقال أيضاً عند قوله تعالى: "لما خلت بدي" (5) قالوا: فأثبت لنفسه اليدين، وهذا يدل على كونه جسماً، والجواب عنه أن اليدين ها هنا بمعنى القوة وذلك ظاهر في اللغة يقال مالي على هذا الأمر، أي: "قوة" (6).
فعبد الجبار هذا يعد من أكبر علماء المعتزلة، وهذه التأويلات التي ذكرها لصفة اليدين من التأويلات الباطلة، وهي عين التحريف الذي ذم الله عليه أهل الكتاب الذين يحرفون الكلام عن مواضعهم.
وأما الأشعري فقد أفصح عن مذهبه "عبد القادر بن ظاهر البغدادي" حيث قال:
في صفة اليدين "وتأولهما بعض أصحابنا على معنى القدرة . . . وذلك صحيح على

(1) انظر الرسالة التدمرية مع شرحها النحوة المنهدة 1/1.
(2) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار المحمدي الأسد أباد، أبو الحسن، قاضي أصولي شيخ الإعتزال في زمنه لقبه المعتزلة بقاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره، له تصنيف كثير في سنة خمس عشرة وأربعين سنة هجرياً. ميزان الإعتثال 2/123.
(3) سورة الإخلاص آية: 30.
(4) مشاهب القرآن 1/320، وانظر المقالات الأشعري 1/271.
(5) سورة البقرة آية: 74.
(6) شرح الأصول الخمسة ص 228.
المذهب إذ أثبتن الله القدرة، وبها خلق كل شيء ولذلك قال في آدم عليه السلام (خلقت بيدي) ووجه تخصيصه آدم بذلك أن خلقه بقدرته لا على مثال سباق، ولا من نطقة، ولا نقل من الأصلاب إلى الأرحام كما نقل ذريته من الأصلاب إلى الأرحام (1).

وقال البيرجوري: فالسالف يقولون الله وجه ويد وأصابع لا تعلمهما، والخلف يقولون: المراد من الوجه الذات، وباليد القدرة والمراة من قوله بين أصباغ الرحمن (بين صفنتين من صفاته وهاتان الصفات القدرة والإرادة) (2).

هذه التأويلات المتميزة للمعتزلة والأشعرية لصفة اليدتين بالقدرة والقدرة والقوة تأويلات باطلة بعيدة عن الصواب بمسافات بعيدة ويرد على الفريقين من وجوه:

الوجه الأول: إن الأصل في الكلام الحقيقة، فدعو المجاز مخالف للأصل.

الوجه الثاني: أن ذلك خلاف الظاهرة فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى.

الوجه الثالث: إن اطراد لفظها في موارد الاستعمال وتتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز. ألا ترى إلى قوله (خلاصة بيد) (2) وقوله (بل يدائه ممسوتان) (3) وقوله (وأما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمته) (4)، فلو كان مجازاً في القدرة أو النعمة لم يستعمل منه لفظ يمين، وقوله في الحديث:

المقطعون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين (5).

فلا يقال: هذه بد النعمة، أو القدرة، وقوله (يقبض الله سماواته يبهد، والأرض يبهد الأخرى، ثم يهزم ثم يقول: أنا الملك) (6) فهناه هز وقبض، وذكرتين، ولما أخبر جعل يقبض يديه ويبسطهما تحقيقاً للصفة لا تشيئها لها.

الوجه الرابع: أن مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ الثنية، ولا يستعمل إلا مفرداً،

(1) أصول الدين ص 111
(2) تحققة المريد شرح جزء التوحيد ص 93
(3) جزء من الآية رقم (85) من سورة التوبة
(4) سورة المائدات آية 14
(5) رواه البخاري في صحيحه 4/280 من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
(6) متفق عليه: صحيح البخاري 4/300، صحيح مسلم 4/2147 كلاهما من حديث ابن مسعود
أو مجموعًا، كقولك: "له عدنية يد يجزيه الله بها وله عتنية أيادي، وأما إذا جاء بلفظ الشنية، لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية.

الوجه الخامس: أن ليس في المعهد أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعم.

للفظ الشنية، بل يطلق الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله تعالى "أن الله جليل عليم"(1) وكقوله تعالى "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها"(2) وقد يجمع الله النعم كقوله "وأسغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة"(3) وأما أن يقول: "خلقتك بقدرتين وبنعمتين فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله.

الوجه السادس: أن لو ثبت استعمال ذلك للفظ الشنية لم يجز أن يكون المراد هنا.

القدرة فإنه يبطل تخصص آدم فإنه ومع جميع المخلوقات حقًا - إيليس - خلقوا بقدرة الله.

الوجه السابع: أن هذا التركيب المذكور في قوله "خلقت بISTORY" يأتي حمل الكلام على القدرة لأنه نسب الخلق إلى نفسه - سببهانه - ثم عدى الفعل إلى اليد ثم ثانيا، ثم أدخل عليها البناء التي تدخل على قوله كتب بالقلم ومشه هذين نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه.

قال ابن خزيمة في صدر رد على الجماعية المؤلوف لبيد بالنعمية "وزعمت الجماعية والمعطلة أن معنى قوله "بل يداه مبسوطتان" أي: نعمته، وهذا تبديل لا تأويل والدليل على نقض دعوَّات هذا أن نعم الله كثيرة لا يحبها إلا الخالق الباريء وله يهدان لا أكثر منها كما قال إسحاق: "فيما منك أن تسجد لما خلقته بISTORY"(4) فأعلمنا الله - جل وعَّال أهَل آدم بيديه من زعم أنه خلق آدم بنعمته كان مبدلاً لكلام الله"(5).

وقال العامية أبو الحسن الأشعري: "وقد اعتت معتل بقول الله - عز وجل -

---

(1) سورة البقرة آية: 165.
(2) سورة النحل آية: 18.
(3) سورة لقمان آية: 24.
(4) هذه سبعة وجه من عشرين وجه ذكرها العامية ابن القيم في مختصر الصواعق 2/153 وما بعدها.
(5) سورة سمع آية: 75.
(6) كتاب التوحيد وإثبات صفات رب ص 86-85.
والسماء بنيناهَا بأيَّد وإنما للموسعون١ الأيدي القوة أن يكون معنى قوله (بدي)
بقدرٍ وقيل لهم: هذا التأويل فاسد من وجه آخر، أن الأيدي ليس بجمع لليد لأن جمع
يد التي هي النعمة (أيَّد) وإنما قول (لما خلقت بدي) فطل بذلك أن يكون معنى قوله
(بدي) معنى قوله (والسماء بنيناهَا بأيَّد) وأيضاً فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك
بقدرٍ ولهذا ناقض لقول مخالفنا وكاسر لمذاهبهم لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة فكيف
يثبتون قدرتين؟ اهـ.

وخلاصة القول مما تقدم في هذا المبحث أن الله تعالى يدين حقيقيتين تليفان
بجلاله، وأن ما ورد في شأن اليد من الإمساك والطي والقبض والبسط والحبات والخلق
باليدين وكتب الثورة بيد وغرس جنة عدن بيده، وكون المقتسطين عن بعينه، وتخير آدم
بين ما في يدبه وأخذ الصدقة بعينه يربوه لصاحبه وأنه مسح ظهر آدم بيده إلى غير ذلك مما
ورد في شأنها يدل دلالة واضحة على أنها يد حقيقية، كما أخبر بذلك جل وعلا - وأن
تأويلها بالقدرة، أو النعمة تأويل ظاهر البطلان٢.

---

(١) سورة ﴿الذاريات ﴾ آية: ٤٧.
(٢) الإبئدة: ص ٣٥.
(٣) انظر مختصر الصواعق: المرسلة: ١٧١.
الفصل الثاني

دلالة السورة على توحيد العبادة

ويشمل على المباحث الآتية:
المبحث الأول: تعريف توحيد العبادة.
المبحث الثاني: وجوب إفراد الله تعالى بتوحيد العبادة.
المبحث الثالث: أهمية الإخلاص في توحيد العبادة.
المبحث الرابع: عبودية الدعاء.
المبحث الخامس: عبودية الخروف.
المبحث السادس: عبودية الرجاء.
المبحث السابع: انسجام العبودية إلى عامة، وخاصة.
المبحث الثامن: الإسلام دين جميع الأنباء والرسل.
المبحث التاسع: بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عبادة أن يجتنبوه.
المبحث العاشر: عبودية الإبة.
المبحث الحادي عشر: عبودية التوكل.
المبحث الثاني عشر: الشفاعة نوعان منفية، وثبتة.
المبحث الثالث عشر: الرسول بعثوا للدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة.
المبحث الأول
تعريف توحيد العبادة

هو إفراد الله تعالى - بفعال عبادة التي تعبدهم بها كالنحر واللذر والدعاء، والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والإ習ابة والخشوع والخشية والإستعارة والإستعيناء والإستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة التي شرعها الله وأمر بها.

ومعنى: بعبارة أخرى: أن يعتقد الإنسان الإعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده سبحانه بالعبادة، وب فإن ذلك أن الإله هو المألوه(1) أي المعيب والعبادة في اللغة: هي الإتيان والانذال، و الخضوع يقال: طريق معبد أي: مذل(2) وقد عرفه بعض أهل العلم بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع والخوف(3).

قال العلامة ابن القيم:

وعبادة الرحمن غاية حبـه
مع ذل عابده لما قطـان
بالأمر قال الله قـال رسوله
لا بالهوى والنفس والشيطان(4)
 فلا بد في عبادة الله من أن يجمع الأمور، فلا يكفي أحدهما في عبادته، بل يجب

---
(1) انظر الحسن والسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 126، مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما: الرسالة الأولى ص 4، تسير العزيز الحميد ص 20، كشف الشبهات ضمن مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره ص 217، تطهير الإعتقاد 9، الدين الخالص 1/12 شرح الطحوية ص 71، لوازم الأنوار البهية 1/129.
(2) القاموس المحيط 4/287، مختار الصحاح ص 22، المصباح المنير 1/19.
(3) مختار الصحاح ص 408، المخصص لابن سيدية 1/16، لسان العرب 3/279، النهاية 3/179.
(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/71.
(5) القصيدة النبوية مع شرحها توبيط المقصود وتصحيح القواعد 1/253.

مباحث المقيمة م.
على الإنسان، أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء
بل لا يستحق المحبة، والذل الكامن إلا الله وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما أعظم
بغير أمر الله فتعظيمه باطل (1).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه الشامل لمعنى العبادة:

العبادة اسم جامع لما يحبه الله ورضاه من الأقوال والأعمال الباطنة، والظاهرة
فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة
الأرحام، والوقوف بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفارة
والمنافقين والإحسان للجار والبيت، والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله
ورسوله وطهيه الله، والإنسان إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكور لنعمه
والرضاء بفضائله، والتسليم عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من
العبادة (2).

ومن هذا التعريف الجامع لمعنى العبادة التي هي حق الله على عباده يتبين أنه لا بد
للعبادة من أمرين:

الأمر الأول: هو أن يلتزم العبد بما أمر الله به ودعت إليه رسول الله الكرام عليهم
صلاة السلام بامتثال الأواخر واجتناب النواحي، وبهذا الأمر يكون معنى العبادة الطاعة
والخفض إذا الذي لا يستسلم لأمر الله ويحرم ما حرم الله فلا يكون عبادا ولا عابدا لله
تعالي (3).

الأمر الثاني: أن يكون هذا الالتزام صادرا عن قلب معنوي بمحبة الباري
 سبحانه أنه ليس في هذا الوجود من يستحق المحبة الكاملة إلا الله جل وعلا لأنه
 سبحانه هو الذي خلق الإنسان ولم يكن شيئا مذكورا وسخرا ما في السماوات وما في
 الأرض جميعا منه وأسمع عليه النعم الظاهرة والباطنة، وترحيد الإلهيه أساسا إخلاص العبادة
 لله وحده في باطنها وظاهرةها بحيث لا يكون شيء منها لغيره ي سبحانه فيجب على المرء
 أن يخلص الله جميع أنواع العبادة من المحبة والخوف والرجاء، والدعاء، والتوكل،
والطاعة والتنزل والخفض، وأن يتوجه به الله وحده دون سواء.

(1) المنشور السابق ص 228.
(2) المنشور السابق ص 44.
المبحث الثاني

واجب إفراد الله تعالى بتوحيد العبادة

لقد وردت آيات كثيرة في السورة كلها توجب على العباد أن يفردوا الله بتوحيد العبادة، ويخصوه بها وحده دون سواء.

قال تعالى: فاعبد الله مخلصاً له الدين. ألا الله الدين الخالص.

وقال تعالى: فقل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين.

وقال تعالى: فقل الله أعد مخلصاً له ديني. فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذي خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسرين المبين.

وقال تعالى: فقل أفغير الله تأموني أعد أيها الجاهلون.

وقال تعالى: فقل الله فاعبد وكن من الشاكرين.

هذه الآيات الكريمة من السورة تقرر أنه - سبحانه - هو الذي يستحق أن توجه له العبادة بجميع أنواعها الإعرابية والقولية والعملية، وليس لأحد سواه كائناً من كان أي شيء من أنواع العبادة، كما تقرر أن أي نوع من أنواع العبادة لم يوجه له، أو وجه له، ولكن فيه شركة لغيره معه، فإنها باطلة، وغير مقبولة، لأن الله - تعالى - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وأن من عمل أي عمل له، وأشرك معه فيه غيره من المخلوقين كائناً من كان فإن الله يترك وشركه، لأنه - سبحانه - أغنى الشركاء عن الشرك.

فالآيات المتقدمة عددها ثمان آيات كلها دلت على وجب إفراد الله - تعالى - بتوحيد العبادة وتجريدها له وحده دون سواء.
فقال العلامة ابن جرير حول هذه الآية: (فأعبد الله مخلصا له الدين)

وقال تعالى ذكره: (فأتخذ الله يا محمد بالطاعة، وأخلص له الألوهة وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكًا كما فعلت عبدة الأوثان) اهـ.

وقال ابن كثير: أي: (فأعبد الله - وحده لا شريك له وداع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أن لا تصلح العبادة إلا له - وحده) وأنه ليس لشريك ولا عديل ولا نديء.

وأما الآية الثانية: فهي قوله تعالى: (ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، فكما أنه - سبحانه له الكمال المطلق، وله التفاضل كل على عباده من جميع الوجوه، فذلك له الدين الخاص الذي صفي من كل شوائب الشرك صغيراً، وكبيراً، وهذا هو الدين الذي أرضاه لنفسه وارضاه لرسله الكرام عليهم الصلاة وسلام، وأمرهم به لأنه يتضمن التألله في حبه ورجائه، وخوفه، والإبادة إليه في العبودية، والرجع إليه في تحصيل جميع المطالب لعباده، ومن كانت العبادة خالصة الله كانت سابياً لصالح القلوب وتركيزها وتطهيرها، أما إذا كانت ملوثة بالشرك فإن الله بريء منها، وليس له فيها شيء فهو الغني عن عبادة سابها شرك لأنه - سبحانه أ أغنى الشركاء عن الشرك الذي هو مفسد للقلب والأرواح ومشقي للنفس في الآخرة والأولى.

وأما الآية الثالثة: فهي قوله تعالى: (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين)

فهذه الآية أيضاً: فيها الأمر من الله - تبارك وتعالى - لنبيه محمد ﷺ بأن يقول للمشركين من قومه: إن الله أمره أن يعبد مفردآله الطاعة دون كل ما يدعى من دونه من الألهة والأنداد التي يعبدها المشركون.

(1) جامع البيان 23/190.
(2) تفسير ابن كثير 78/6.
قال ابن كثير: "وقوله "قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين" أي: إنما أمرت بإخلاص العبادة - وحده - لا شريك له".(1)

وأما الآية الرابعة: فهي قوله تعالى: "وأمرت لأن أكون أول المسلمين".

وهذه الآية أيضاً: فيها أمر من الله - جل جلاله - لنبيه محمد ﷺ بأن يكون أول المسلمين من أمته.

قال أبو عبد الله القرطبي (2): "وكذلك كان فإنه كان أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام، وحوطمه وأسلم الله وأمان به ودعه إليه ﷺ".(3)

والحال كما أخبر به القرطبي فإنه عليه الصلاة والسلام كان سابقاً إلى امتثال أمر الله لأنه الداعي للخلق إلى ربهم فيقضي أن يكون أول منفذ لأمر الله وطبيق له وأول من يسلم وجهه الله، وهذا الأمر لا بد من وقوعة منه عليه الصلاة والسلام، وكذلك لا بد أن يكون من ادعى أنه من أتباعه، فلا بد من الإسلام في جمع الأعمال الظاهرة والإخلاص لله في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة.

وأما الآية الخامسة: فهي قوله تعالى: "قل الله أعبد مخلصاً له ديني".

هذه الآية أيضاً: نصت على أن الله أمر نبيه ﷺ أن يعلن لكفار قريش أنه لا يعبد إلا الله العبادة الخالصة ويفرده وحده بالأطعمة.

قال ابن جرير حول هذه الآية: "قل الله أعبد مخلصاً له ديني" يقول با محمد المشركي قوله: "ألا أعبد مخلصاً، مفرداً، لا شريك له، ألا أجعل له في ذلك شريك ضريراً، ولأتي أذك ربه الألوه، وأأنا مسلمة من الأنداد والألهة".(4)

وأما الآية السادسة: فهي قوله تعالى: "فأعبدوا ما شتم من دونه قال إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلههم يوم القيامة، إلا ذلك هو الخسارة العمياء".

(1) تفسير القرآن العظيم 6/303.
(2) هم: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين، صاحب مبتدء من أهل قرطبة في سنة إحدى والسبعين وسنتين، توفي في مقدمة كتاب "الجامع لأحكام القرآن"، طبقاً للمفسرين 2/ 79-71، الأعلام 6/ 217.
(3) الجامع لأحكام القرآن 242/ 15.
هذه الآية: سببتها التهديد والوعيد الشديد لمن خذل نفسه وأصر على كفره وإشراكه بالله - تعالى - بعبادته ما سواء من الأحجار وغيرها من المعبدات التي عبدت من دون الله، فلم يستجب لأوامر الله التي تقضي بإفراده - سبحانه - بالعبادة التي هي خالصة حقه على عباده.

كما تضمنت التبري من حالتهم كذلك، وبينت الخسارة التي تلحق أهل الإشراك وتحل بهم في الآخرة، وتكلي الخسارة هي خسارة الأنس والأهل يوم القيامة حيث يتفرقون فلا يلتقون. سواء ذهب أهلهم إلى الجنة، وقدذهبواهم إلى النار، أو أن الجميع أمر بهم إلى النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور.

قال عباس بن عبد الله عنهم: «ليس من أحد إلا وقد خلق له زوجة في الجنة فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله»(1).

وقال ابن زيد: «قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القدر» قال: هؤلاء أهل النار خسروا أنفسهم في الدنيا وخسروا الأهلين، فلم يجدوا في النار أهلًا وقد كان لهم في الدنيا أهلًا.

وقال مجاهد: «غبنوا أنفسهم وأهلهم قال: يخسرون أهلهم فلا يكون لهم أهل يرجعون إليهم، ويخسرون أنفسهم فيهلكون في النار فيموتون وهم أحياء فيها وهم»(2).

وهذا هو الخسارة الظاهرة الحزينة الذي لا يصل في درجه أي خسارة وسيلة بهم هذا الخسارة عقوبة لهم على إشراكهم بالله العليم حيث عبدوا معه من لا يستحق العبادة، وطلائهم ورؤوسهم لمخلوقين مثلهم لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وبذلك حل بهم خسارة ليس مثله خسارة، وهو خسارة دائم لا يربح بعده ولا سلام.

وأما الآية السابعة: فهي قوله تعالى: «قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون»(3).

هذه الآية تضمنت استنكارًا بلعفًا صدح به الرسول ﷺ بعد أن أمره الله - تعالى - به، وهو باجول للمشركين الذين طلبا منه أن يعبد آلهتهم أواكفاً عن تحقيقها: « أفغير الله»(4).

(1) الحامٌ لاحكام القرآن، 243/15.
(2) جامع البيان، 236/2005.
وجوب إفراد الله تعالى بتوحيد العبادة

تأمروني أعبد أيها الجاهلون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "إن قريش دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوهما مالاً فيكون آمنا رجل بركة ويزوجوا ما أراد من النساء فقالوا: هذا لك يا محمد، وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكروا بسوء فإن لم تفعل فعبد الله ﷺ سنة قال: حتى أنظر ما يأتيين من رب فأنزل الله ﷺ قال يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما أعبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين، وأنزل ﷺ قال أففيرих الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون".

وهذا العرض من المشركين يبنى على فرض جهله وسخافة عقولهم حيث ظنا أن القضية مساومة، ولم يدركوا أن أمر العبادة والعقيدة هو أمر الله وحده، وليس للرسول ﷺ من ذلك شيء، وإنما الأمر في ذلك الله وحده لا شريك له فهو سبحانه ﷺ الأمر الذي لا راد لأمره وهو الذي يحكم ولا مقبر لحكمه، فيتضح من هذا أنه لا القاء بين التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ وبين الشريك الذي امتلأت به قلوب المشركين، وخيم على عقولهم لأنهم ليسوا على دين وليسو بمؤمنين وإنما هم كافرون بوجيههم العبادة التي هي على عبادة إلى من لا يستطيعها من المخلوقات، والجماعات بدعوى أنها تقربهم إلى الله زلفى وليس كذلك، وإنما تزيدهم عن الله بعدا، ومن النار قربا.

وأما الآية الثامنة: فهي قوله تعالى: "بِلَلَّهِ فَاوَعَدَ وَكَنَّا مِنَ الشَاكِرِينَ".

قال العلماء ابن جريج: "يقول تعالى ذكره لبني محمد ﷺ لا تعد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته بل الله فاعبد دون كل ما سواء من الآلهة والأوثان والأندلس (وكان من الشاكرين) ﷺ على نعمته عليك بما أنعم من الهداية لعبادته، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان" ﷺ.

وقال ابن كثير: "بِلَلَّهِ فَاوَعَدَ وَكَنَّا مِنَ الشَاكِرِينَ أي: أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن تابوك وصدقك" ﷺ.

وهذه الآيات المتقدمة يتبني لنا أن توحيد الألوهية هو أول الدين وآخره وباطنه.

---

(1) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص 236.
(2) جامع البيان 4/ص 25.
(3) تفسير القرآن العظيم 1/106.
وجوب إفراد الله تعالى بتوحيد العبادة
وأظهره، وهو أول دعوة المرسلين وأخريها، ومن أجله خلق الله الخلق قال تعالى (100 وما خلت الجن والإنس إلا ليعبدون).  
قال العالم الإمام الشافعي: "إن الله سبحانه - إنما خلق الخلق لعبادة الجامعه لمحبته وإخلاصه وطاعته، وهذا هو الحق الذي خلت به السماوات والأرض، وهو غاية الخلق والأمر، ونفيه كما يقول أعداؤه: هو الباطل والعبث الذي نزل نفسه عليه أن يترك الإنسان عليه وهو سبحانه - يحب أن يعبد ويطاع، ولا يعبأ بخلقه شيئاً لولا محبتهم له، وطاعتهم له، وداعاؤهم له، وقد أنكر على من زعم أنه خلقهم لغير ذلك، وأنهم لو خلقوا لغير عبادته وتحيده وطاعته لكان خلقهم عبأ وباطلاً وسدي، وذلك مما يتعالى عنه أحكم الحاكمين، والإله الحق، فإذا خرج عن أحب الأشياء إليه، وعن الغاية التي لأجلها خلت الخليقة، وصار كأنه خلق عبأ لغير شيء إلا لم تخرج أرضه البذر الذي وضع فيها بل قابلته شركاً ودغلاً، فإذا راجع ما خلق له، وأوجد لأجله فقد رجع إلى الغاية التي هي أحب الأشياء إلى خالقه وفاضره، ورجع إلى مقتضى الحكمة التي خلق لأجلها وخرج عن معنى العبث والسدي والباطل فاشتدت محبة رب - فإن الله يحب المتطهرين،  
من أجل هذا النوع من أنواع التوحيد - توحيد الألوهية - انقسم الخلق إلى مؤمنين وكافرين.
قال شيخ الإسلام: "وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة فمن لم يأت به كان من المشركين".  
(1) سورة الفاتحة آية: 56.
(2) مدارج السالكين 215/1، وانظر مجموع الفتاوى 123/1.
(3) الحسنة والṣيَّة 121.
المبحث الثالث
أهمية الإخلاص في توحيد العبادة

لقد ذلت السورة على أهمية الإخلاص في أربع آيات:
قال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين. ﺍًﻵله ﺍًﻟﺪين ﺍًﻟﺨﻼص﴾.
وقال تعالى: ﴿قل إنني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾.
وقال تعالى: ﴿قل الله أحد مخلصاً له ديني﴾.

هذه الآيات الأربع من السورة فيها بيان أهمية الإخلاص في توحيد العبادة، وكما نرى أن الأمر بالإخلاص جاء مشفوعاً بالأمر بالعبادة، لأن الإخلاص هو روح العبادة وعمودها الذي تقوم عليه، فالعبادة بدون إخلاص عبادة مرفوعة على صاحبها لأنها لم توجه إلى الله - وحده - لا شريك له، ومنشابة العبادة قصد غير الله - تعالى - اعتبرت لاغية لا قيمة لها، ولا فائدة منها سوى التعب لصاحبها لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه.

فالآيات الأربع دلت على وجب الإخلاص في العبادة.
فالآية الأولى هي قوله تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أمر الله نبيه ﷺ بان يعبد الله تعالى عبادة مضبوطة بالإخلاص وأمته تبع له في هذا الأمر والأمر دال على الواجب ففيجب عليهم أن يخلصوا دينهم لله ويعدوا أنفسهم عن كل شرائط الشراك.
وأما الآية الثانية من تلك الآيات هي قوله تعالى: ﴿لا إله إلا الله الدين الخالص﴾.
قال القرطبي: "أي الذي لا يشوه شيء" (1).

(1) الجامع لأحكام القرآن 367/15 1333.
أهمية الإخلاص في توحيد العبادة

وروي ابن جرير عن قتادة أنه قال: "الله الدين الخالص" قال: "شهادة أن لا إله إلا الله" (1) وعلى هذا التفسير يكون معنى الآية "الله الدين الخالص" أي: التوحيد الصفي من شواويب الشرك وهو المستحق لذلك وحدة. و قال العالمة ابن كثير: "الله الدين الخالص" أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله - وحده - لا شريك له - (2).


وأما الآية الرابعة: فهي قوله تعالى: "قل الله أكبر مخلصًا له ديني" وهذه الآية إخبار بأنه علية الصلاة والسلام أمر بأن يخص الله تعالى - وحده العبادة مخلصًا له دينه ولا يعبد إلا هذا وقوله "الله أكبر" يفيد الحصر أي: لا أعبد أحداً غير الله تعالى.

فالسورة بنت من خلال تلك الآيات الأربع أهمية الإخلاص ودلت على أنه يجب على كل إنسان أن يحققها في عبادته به لتكون عبادته مقبولة عند الله تعالى -، وطالما أن للإخلاص هذه الأهمية فإنه ينبغي للمرء معرفته كي يعينه ذلك على تحقيقه في توحيده به - جل وعلا - في جميع الأعمال.

وقد تعرفه هنالك تفسيرًا لفهمه، وإدراكًا لمعناه:

معنى الإخلاص في اللغة:

 جاء في المصباح المblind: "خلاص الشيء من التلف" من باب - قعد - وخلاصاً ومنصوصاً ومخلصاً - ونجمًا ومخلصاً - الدمع من الكدر صفاء، وخلاصته بالتقشير ميزته من غيره - (3). وهكذا مدار الإخلاص في كتب اللغة على الصفاء والتمييز عن الشوائب التي تخلط إليه الشيء يقال: هذا الشيء خالص لكي لا يشارك فيه غيرك، وتطلق العرب الإخلاص على الزبد إذا خلط من اللبن والثقل.

(1) جامع البيان 2/3191.
(2) تفسير القرآن العظيم 3/88.
(3) 177/1٨٧.
أغنية الإخلاص في توحيد العبادة

والخلاص في لغة العرب. ما أخلصته النار من الذهب والفضة والخالص من الألوان عندهم ما صفا ونصع، وقيلون: خالصه في العشرينات اصافاه. وهذه المعاني جاءت في القرآن الكريم قال تعالى: "نسقيكم مما في بطنك من بين فرث ودم لبناً خالصاً". أي: لا يخالطه دم ولا فرث.


وأما حقيقة الإخلاص في الشرع:

فقد توجهت تعرفات العلماء له، ولكن مدارها على قصد الله بالعبادة دون سواء.

جاج في المفردات غريب القرآن: "فرحَة الإخلاص: التبجي على كل مادون الله تعالى".

وعلَّهُ أبو القاسم القشيري: "أن "إفراد الحق - سبحانه وتعالى - في الطاعات بالقصد، وهو أن يزيد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنيع مخلوق، واكتساب محمد عند الناس، أو مرحدة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - ".

وقال في موضوع آخر: "يصبح أن يقال: الإخلاص تصنيفي العمل عن ملاحظة المخلوقين".

(1) انظر الصحاح للجهاز 370، القاموس 2/12، قسم 313-313، لسان العرب 7/261-262.
(2) سورة النحل آية: 67.
(3) سورة يوسف آية: 30.
(4) سورة الأنعام آية: 139.
(5) ص 105.
(6) هو عبد الكريم بن حوارين بن عبد الملك اليسابوري من بني قشير بن كعب شيخ خراسان في عصره ولده سنة 1/299، تاريخ بغداد 11/83، تبين كذب المفتري 271، الأعلام 4/180.
(7) الرسالة القشيرية ص 95.
(8) المصدر السابق.
أهمية الإخلاص في توحيد العبادة

وعرفه العزيز عبد السلام قائلاً: "الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا توقراً، ولا جلب نفع ديني ولا دفع ضر ديني"(1).

وقال سهل بن عبد الله(2): "الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته الله تعالى خاصة"(3).

قال الغزالي بعد ذكره لهذا التعرف: "وهذه كلمة جامعة محيدة بالغرض"(4).

وقد ذكر الإمام ابن القيم في إثابه الرحمان(5) عن إثباته أنه ترجع إلى معرفة واحد: وهو أن يقدس العباد بأقواله، وأعماله وإرادته، ومنتهى وجه الله تعالى دون سواه من غير أن ينظر إلى مغني، أو جهاد، أو لقب، أو تقدم، أو أتآثر إلى غير ذلك من أعراض الدنيا(6).

وقديم ابن القيم أن بالإخلاص ثلاثة أركان قال رحمه الله تعالى:

فحثنة الإخلاص: توحيد الطلب، وحقيقة الصدقة: توحيد الطلب والإرادة ولا يشرمان إلا بالإسلام المحض للمتابعة، فهذه الأركان الثلاثة هي: أركان السير وأصول الطريق التي لم ينفذها سلوكه، وسيران فهو مطوع، وإن ظن أنه سائر ضيروف، إما إلى عكس جهة مقصودة، وإما سير المقدم والمقيض، وإما سير صاحب المبدأ العام، كلاماً مشت خروطه إلى قدام رجعت عشرة إلى خلف، وإن لم يبذل جهده، وحده طلب سار سير المقدى وإن اجتمعت له الثلاثة: فذلك الذي لا يجري في مضمار سيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(7).

(1) قواعد الأحكام 146/1.
(2) هو: سهل بن عبد الله التسبري أحد أئمة الصوفية المتكلمين في الإخلاص والرياضة ولد سنة 210، وتوفي سنة 211/1188.
(3) إحياء علوم الدين 381/4.
(4) المصدر السابق.
(5) مدارج السالكين 2/91-92.
(6) راجع "رسالة السنة" ضمن مجموعة "التحويش للمالكية".
(7) مدارج السالكين 2/97.
أهمية الإخلاص في توحيد العبادة

ولا أهمية الإخلاص في توحيد العبادة كان أحد ركنيه، والصدق ركني الآخر.

قال العلماء ابن القيم:

أعني سبيل الحق والإيمان
فلا أحرمك واحدًا في واحد
هذا وثني المتوحيد توفر
فقد أن Ана الإخلاص والصدق والإخلاص ركنا ذلك النص
وحيد كالآركين للبنيان

فوق تضاوت الأدلة من الكتاب والسنة، وكثرت أقوال الأئمة في اشتراع الإخلاص
لالأعمال والأقوال الدينية، وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً وابتنى به وجهه.
قال تعالى: قل إن صلاتي ونسكني ومعايي ومماتي نور الله رب العالمين لا شريك له

وذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

فهذه الآية فيها توجيه من الله تعالى لنا، لأن يقول للمشركين أنه لا يصل إلى الله، ولا يذبح إلا له، وأن محيا وعظه كل ذلك الله وحده لا شريك له بخلاف المشركين، فإنهم كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بهم، وبالمختلف، والإبتعاد عناهم عليه والإقبال بالقصد والنية والعزم والإخلاص لله تعالى.

وقال تعالى: الذي خلق الموت والحياة ليلولكم أيكم أحسن عملًا وهو العزاب

الفور.

قال الفضيل بن عباس: هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟
قال: إن العمل إذا كان خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخلاص أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: فمن كان يرجول ذلك بصدقًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا، فلا يمكن أن يكون العمل خالصاً إلا إذا جرد

(1) القصة النبوية من شرحها توضيح المقاصد وتصحيح القواعد 2/258.
(2) سورة الأنعام آية: 132-133.
(3) انظر تفسير ابن كثير 3/139.
(4) سورة الملك آية: 2.
(5) مدارس السلفتين 2/89 والآية رقم (11) من سورة الكهف.
أهمية الإخلاص في توحيد العبادة

الإنسان المنatee للكتاب والسنة في عبادته، وافتقى ما خلت له فيهما فقبول الأعمال مرهون وموقف بصدق الإخلاص.

وقال تعالى: (ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) (1).

إسلام العبد ووجهه لا يتحقق إلا بإخلاص قصده وعمله لله تعالى والإحسان في ذلك لا يتحقق إلا بمتابعة الرسول (ص). ولقد أخبر الله تعالى أن الأعمال التي تكون على غير الكتاب والسنة أو قصد بها غير وجه الله تعالى فإنها تصير هباءً مثيراً ليس لها قيمة وليس فيها فنع لصاحبحا. قال تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً مثيراً) (2).

والآيات الواردة في الحض على إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كثيرة جداً في كتاب الله تعالى - وكلها تدل على اهتمام الإسلام بإصلاح الفرد ظاهرًا، وباطنًا.

والقرآن الكريم عندما يطلق اسم «الإخلاص» لا يريد به التوجه إلى الله في عمل من الأعمال بل المقصد به أن توجه المكلف بأعماله كلهما إلى الله وحده دون سواء فلا يقصد بعبادته ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا بعيد شجرأً، ولا حجرًا، ولا شمسًا، ولا قمرًا، الإخلاص يعني أن توجه بالأعمال القبلية لله وحده، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة، والإخلاص هو الدين الذي بعث الله به الرسول جميعاً فكان محور دعوتهم ولها، وهو الدين الذي طالبته الرسول الأمم التي أرسلت إليها (وما أدرى إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويعتبروا الصلاة ويعظون الزكاة وذلك دين القيمة) (3).

وقد أكدت السنة على أهمية الإخلاص في عبادة الله تعالى في أحاديث كثيرة منها:

1 - مروة الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سائل رسول الله (ص): عن الرجل يقاتل رداءً ويعتبر شجاعة ويعتبر حمية أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: (عن قائل لتكون كلمة الله هي العليا فهؤلاء في سبيل الله) (4).

فقد بين أن القتال الذي يكون لله وفي سبيله إنما هو القتال الذي يكون الغاية منه.

---

(1) سورة الفاتحة آية: 1.
(2) سورة الفرقان آية: 134.
(3) سورة البقرة آية: 24.
(4) صحيح البخاري/ 290، صحيح مسلم/ 3/ 1512.
أهمية الإخلاص في توحيد العبادة

رفع رأية الإسلام، أما القاتل لأجل مراوات الناس، وإظهار الشجاعة، أو يقاتل حميتة كل
هذا في سبيل الشيطان، وليس في سبيل الرحمن.

2- وروى الإمام أحمد عن حديث أنب رضي الله تعالى عنه قال:
رسول الله ﷺ: "ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة
الأمر، ولزم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم".(1)

قال العلامة ابن القيم: "أي لا يبقى فيه غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة بل تنفي
عنه غله وتنقيه منه، وتخرج عنه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل
على الغل، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة، والضلاله فهذه الثلاثة تملؤه
غلة، ودغلة، ودواه هذا الغل، واستخرج أخطاه بتجريد الإخلاص والنصوح ومتابعة
الرسول ﷺ".(2)

3- وأخبر أن الإنسان إذا قصد يعمل وجه الله تعالى زاده الله رفعة ودرجة في
ذينه وآخربة.

dل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: جاءني
رسول الله ﷺ يعودني في حجة الوداع من وقع اشتد بي ... وفيه قوله: يا رسول الله
أخلف بعد أصحابي قال: "إنك لن تخلف فعلماً تبتغيه وجه الله إلا ازدت
به درجة ورفعة ... الحديث".(3)

4- وأخبر عليه الصلاة والسلام أن العمل بقصد الربعاء والسمعة محبط للعمل
وموجب للنار كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من تسربهم النار "قارئ القرآن
والمجاهد، والمتصدق بماله".(4)

فقرأ القرآن قرأه ليقال: فلان قاريء، والمجاهد جاهد ليقال: فلان شجاع
والمتصدق تصدق ليقال: فلان جواد، ولم تكن أعمالهم خالصة لله تعالى - فكانوا من

(1) المسند ۵/۸۰۸،۸۲.
(2) مدارج السالكين ۲/۹۰.
(3) رواه مسلم ۳/۱۲۰۱-۱۲۰۰.
(4) رواه مسلم ۳/۱۰۱۴-۱۰۱۳ م- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
 أصحاب النار لأنهم قصدوا بأعمالهم غير الله ووقعوا في الشرك والله تعالى أخذ الشركاء عن الشرك.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عمالاً شركاً فيه معي تركه وشركه» (1).

فعلى الإنسان أن يجهد في تحقيق الإخلاص في أقواله وأفعاله التي يتقرب بها إلى الله جل وعلا - وأن يحاول جاهداً أن يربي نفسه ويعودها الأخذ بالأخلاق في جميع أعماله إذ الإخلاص من أشق الأشياء عليها.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «أمّ النية شديد». قال سفيان الثوري: «ما عالجت شيئاً أشد علي من نيت لا تقلب عليّ».

وقال يوسف بن أساط: «تخليص النية من نساءها أشد علي العاملين من طول الاجتهاد».

وقال سهل بن عبد الله النستري: «ويل على النفس شيء أشد من الإخلاص لأنه ليس لها في نصيب».

وقال يوسف بن الحسين: «أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجهد في إسقاط الرياء على قلبي، وكأنه بني في علي على لون آخر فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته وتخلصها من الشروائر فوق اهتمامه بكل شيء لأن الأعمال بالنيات وكل أمره ما نوى» (2). فالسلف كانوا يجهدون غاية الإجهاد في تصحيح نياتهم ويرون الإخلاص أعز الأشياء، وأشقاها على النفس، وذلك لمعرفتهم بالله، وما يجب له وبعمل الأعمال، وأثنتها، ولا يهملهم العمل لسهوه عليهم، وإنما يهملهم سلامة العمل وخلوه من الشوارب المبطلة لثواب أو المنقصه له، فقلب الإنسان هو الأساس في عبادة الله تعالى - وهو موضع نظر الله تعالى، وعمل عنايته كما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

(1) رواه مسلم: 4/268.
(2) انظر هذه الأقوال في الرسالة السابعة: تعرف العبادة وتوجيه العبادة والإخلاص - للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطن - ضمن مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما. 186.
أهمية الإخلاص في توحيد العبادة

رسول الله ﷺ قال: "إذا الله لا ينظر إلى أجزادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". (1)

فصال القلب أساس قبول العمل ولا يعتبر العمل إلا إذا كان عن نية طيبة خاصة.

وجه الله تعالى - أما العمل إذا كان مقصوداً به مرات الناس، أو السمعة فإن ذلك مبطل للعمل من أساسه بالكلية ويفضح الله السريرة صاحبه يوم القيامة عامة، فعلى العبد أن يتقى الرياء ويخلص العمل لله تعالى - فإن الركأ من الأعمال الدنيئة التي تهبط بالإنسان إلى أسفل الدرجات، أما إذا أظهر الإنسان الطاعات للناس دون قصد منه، وكانت مصحوبة بالإخلاص، فاعجبهم عمله ومحمدوه على ذلك فهذا لا يحب عمله، ولا ينافي ذلك إخلاصه.

برهان ذلك ماروأه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ قال: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه؟ قال: "هذا عاجل بشرى المؤمنين". (2)

ولأنا نذكروا كلمة ابن القيم ووضعها رحمه الله كتبه ل لتحقيق الإخلاص.

في القلب قال رحمه الله تعالى: "لا يجمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجمع العلماء والنار، والضب والحوت فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص، فاقتلي على الطمع أولاً، فإذا فتحك بسكون الابتسام، وأقبل على المدح والثناء فازده فيهما زهد عاشق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطعام والزهد في الشيء والمدح سهل عليك الإخلاص.

فإن قلت: وما الذي يسهل على ذبح الطعام والزهد في الشيء والمدح؟

قلت: أما ذبح الطعام فسهله عليك علمك يقين أنه ليس من شيء يطعم فيه إلا وبد الله - خذاته لا يملكها غيره ولا يؤدي العبده منهما شيئاً سواء.

وأما الزهد في الشيء والمدح فسهله عليك علمك أنه ليس أحد يفعلى مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إلا الله - وحده - كما قال ذلك الأعرابي ﷺ أن مدحي زين، وذي مباحة العقدة م 13
 أهمية الإخلاص في توحيد العبادة

شين، فقال ذلك الله عز وجل (1). فازدهر في مدح من لا يشتكك مسحته، وفي ذم من لا يشتكك ذمه، وأزهق في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه، ولم يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين، فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب.

قال تعالى: فاصفر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون (2).

وقال تعالى: وجعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا مما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون (3).

اهم.

والذي نخلص إليه مما تقدم أن الإنسان مأمور بأن يصني وينفي عمله من جميع شواطئ الشرك، وأن يفعل كل الطاعات على وجه الإخلاص ولا بد.

قال شيخ الإسلام ابن نمي رحمه الله تعالى: فجعل ما يفعله المسلم من القرب الواجب والمستحب كالإيمان بالله، ورسوله، والعبادات البدنية، والمالية، ومحبة الله ورسوله والإحسان إلى عبادة الله بالنفع، والمال هو مأمور بأن يفعله خالصاً لله رب العالمين لا يطلب من مخلوق عليه جزاء لادعاء ولا غير دعاء، فهذا مما لا يسوغ أن يطلب عليه جزاء لادعاه، ولا غير دعاه (4).

(1) رواه أحمد في المسند 3588 من حديث الأقرع بن حابس، الثومذي 14/5 من حديث البراء بن مالك.
(2) سورة الروم: آية 160.
(3) الفوارش 147-148 والآية رقم 6 من سورة السجدة.
(4) مجموع الفتاوي 190/1.
المبحث الرابع
عبودية الدعاء

قبل أن نبدأ بعرض الآيات الوردة في السورة التي تبين أن الدعاء عبادة لا يستحقها إلا الله -جل وعلا- نذكر معنى الدعاء في اللغة والشرع ليتضح مفهومه أكثر.

أما الدعاء في اللغة:
فقد جاء في الصحيح للجوهري (1) "ودعت فلاناً أي: صحت به واستذاعته ودعت الله له وعليه دعاء، والدعاء المرة الواحدة والدعاء الواحد الأدية" و�ي (2).
وجاء في القاموس: الدعاء الرغبة إلى الله تعالى -اهـ (3).
وقال في المصاحف: "دعوت الله أدعو دعاء أبتلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعت زيداً ناديته وطلبت إقباله" (4).

وأما الدعاء في الشرع:
إنه يؤخذ من التعريف اللغوي وهو: الإنجاب إلى الله تعالى - بطلب نفع أو دفع ضر، أرفع بلاء، أو النصر على عدو، أو نحو ذلك.
فهذا الإنجاب بالسؤال المنبعث من القلب لله تعالى - هوروح العبادة ومخها كما ورد بذلك قول المصطفى ﷺ "الدعاء هو العبادة" (5).

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة هجرية.
(2) 323/7 \ 1299/4
(3) 329/1
(4) 194/1
(5) رواه الترمذي 52/5 من حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه.
فيتتين من تعريف الدعاء في اللغة والشرع أن الدعاء في الأصل هو الطلب ويطلق على العبادة، وقد دلت السورة على أن الدعاء عبادة وأنه الله - وحده - لا شريك له في آبائين منها: -
قال تعالى: {وإذا مس الإنسان ضر دعا به منيباً إليه ثم إذا خولته نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعله أسداداً لبض في سبيله قبل يتعت بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار}.
وقال تعالى: {فإذا مس الإنسان ضر دعا أن يعم نوع من يقول إني أبتكي على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما أغني بهم ما كانوا يكسبون، فأصابهم سبيتهم ما كسبوا والذين ظلوا من هؤلاء سببهم سبياتهم ما كسبوا وما هم بمعجزين}.
فالآيات الأولتان من هذه الآيات الأربع بين الله تعالى فيما أن العبد إذا نزل به البلاء وأحاطته به المحن جاز إليه الله وفعلاً إليه الدعاء لما قرر في فطرته أنه لا يكتشف ما ببه من البلاء والمحن إلا الله تعالى الذي أوجده من قبل ولم يكن شيئاً، ثم إنهما توضحان ما تنطوي عليه تلك الفطرة، وما يعتر بها من التغيرات والتقلبات في حالتنا الشدة والرخاء.
فالآية الأولى: وهي قوله تعالى: {وإذا مس الإنسان ضر دعا به منيباً إليه} الآية.
يخبر الله تعالى فيها عن عبده وإحسانه وبره وعده وقضة شكر عده على ذلك وأنه حين يمسه الضر من المرض، أو الفقر، أو الوقوع في الكربات يعلم أنه لا ينجيه ولا ينقذه منها إلا الله فيدعوه مهلاً متضرعاً متيباً، ويستغاث به في كشف ما نزل به ويلح في ذلك فإذا ما أتى الله عليه بكشف ما نزل به من الضر والضرب نسي ذلك الذي دعا الله من أجله ولم كأنه لم يصبح شيء، فرجع إلى الشرك بأنجعل الله الأنداد وحده الشركاء والأمثال والآشقاء فضل نفسه وأضل غيره لأن الإضلاع له غيره متوارد ونتاج عن ضلاله ثم أمر الله نبيه بأن يقول لمن اشتهى بهذا العنت، وهو تبديل نعمة الله كفرأ {يتعت بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار} فلا يتعت ما يتمتع به في هذه الدنيا من الأموال وزار النعم إذا كان المال هو النار}.

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 23/199-200، تفسير القرآن العظيم 81/81، الجامع لاحكام القرآن 237/238-239، فتح التقدير للشوكاني 4/452.
وأما الآية الثانية: وهي قوله تعالى: "فإذا مس الإنسان ضر دعانيتم إذا خولنا نعمة من قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون".

وهذه الآية أيضا: كسابقتها تبين أن العبد حين يصاب بالشدة والبلاء تقوى صلته برية في هذه الحال فيدعو ويضرع إليه أن يزيل عنه ما محل به من الكوارث وينب إلي إبدا صادقة وينب إلين كربة السرائر المستقيم ويعلم علم يقين أن كل ما سوى الله من الأنداد والأوثان والأصنام وغيرها من المخلوقات ليس لهم القدرة على كشف ما به. فعند ذلك يلجأ إلى الله ويفق من ظلمات الجهل وركام الشرك ويقشع عنه كل ما يخلجه من الأوهام الباطلة فتوجه إلى الله بالدعاء الخالص واللجوء الصحيح ويكفر بكل ما سوى الله تعالى - من الشركاء والشفعاء المزعمين.

أما إذا ذهب عنه الضر وحل به الرخاء وخوله الله بشي النعم فإن حامله يتعكس غالباً، وهنا بذل الله ظرته التي كانت قد استيقظت في حالة الشدة فليسها لباس الشرك وإنما توحيدة لربه وإياه إلى تطلعه إليه في إزالة ما به من الفقر والمرض وسائر أنواع الكرب فيبدأ بالكثر بينه الله ويهبه إلى نفسه وأنها إنما جاءت إليه لذكائه ودفقة حبله ويكفر برغمه الذي هو مصدر كل النعم.

ثم إذا خولنا نعمة من قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون.

قال الحافظ ابن كثير: "يخبر تعالى أن الإنسان في حال الضر يصرع إلى الله وينب إليه، ويدعوه، ثم إذا حوله نعمة منه طغى وبغي وقال: "إنما أوتيته على علم" لعلم الله بياني استحق ذلك ولا أني عند الله خصيص لما خولوني هذا. قال قتادة: على علم علني قال الله: "والله فتنة: أي لبس الأمر كما زعم بل إنما أتمعنا عليه بهذه النعمة لتخبره فيما أتمعنا عليه أبطع أم يعسى؟ مع علم الله المتقدم بذلك في فتنة أي اختبار ولكن أكثرهم لا يعلمون"، ولهذا يدعون ما يدعون و يقولون ما يقولون". 

فيفجب على الإنسان أن يعلم أن كل ما به من نعمة فهي من الله تعالى - وأنه ليس له حول ولا قوة في جر التفع إلى نفسه أو دفع الضر عنده والإنسان عندما ينسب النعمة التي حياه

(1) تفسير القرآن العظيم 99/6.
لا تهب إلى نفسه وأنها إنما جاءت إليه بخيلته وذكائه، وال菲律宾ة بوجه المكاسب لا شك أن ذلك جهد لله وهم يؤدي إلى الكفر بالمنع الذي هو تعالى- مصدر كل النعم، فيجب على العبد أن يعرف المنع بذلك حتى يكون شاكراً لربه الرزق العليم.

وأما الآيات الأخرى من الآيات المتقدمة وهما قوله تعالى- (1) فقد قالها الذين من قبلهم فما أغني عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم شيئان ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم شيئان ما كسبوا وما هم بمعجزين.

فهاتان الآيتان تضمنا التهديد والوعيد لمن يسب نعم الله إلى نفسه وأن من زعم ذلك فإنما هو مقعد بقارون الذي اغتى بكره ماله، وما أعطاه الله من أصناف النعم فكانت عاقبته النهائية أن خسف الله وبداءه الأرض فلم بجد معيتاً ولا نصيراً يمنعه من بأس الله الذي لا يرد من اليوم المجرمين فقوله تعالى- (1) قد قالها الذين من قبلهم- الآية. أوضحت بأنه قد سبق من الأمم من زعم أن آتاه الله المال لما يعلم الله تعالى أن وولا أنه خصصعيد الله لما خوله الله تلك النعم فهذه المقالة المبغيضة عند الله تعالى- بنيت السورة أنها متدولة لدى الجبارة من سائر الأمم يوارئها الجاحدون لنعم الله - تعالى - كما أوضحها أن كسبهم لا يعني عنهم شيئاً من عقاب الله وأن وبال ذلك راحون عليهم، كما أوضحها أن المنظمة من المخاطبين سيصيبهم ما أصاب المنظمين من الأمم قبلهم فأصابهم شيئان ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم شيئان ما كسبوا وما هم بمعجزين وقال تعالى مخبراً عن قارون أنه قال له قومه- (1) لا تavr إن الله لا يحب الفرحين* وابن فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن مما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندي أولاً ولم يعلم أن الله قد أحلك من قبله من القرى من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون.

(1) سورة القصص آية: 76-77, 78-79.
عن عبد الله بن الحارث بن نوفل سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام فيما أوتي من الملك، ثم قرأ قوله تعالى: "هذا من فضل ربي ليعلوني أشكر أم أكثر" (1).

ولم يقل هذا من كرامتي، ثم ذكر قارون وقوله: "إذا أوتيت على علم عني" (2).

يعني: أن سليمان رأى ما أمرته من فضل الله عليه ورآى أن أتيت به فشكته، وقارون رأى ذلك من نفسه واستحقاقه. وكذلك قوله سبحانه: "ولن أذقنا رحمة من بعد ضرائه مسته ليقولون هذا لي" (3).

أي أنت أهله و حقيقي به فاختلاف في كاختصاص المالك بملكه.

والمؤمن يرى ذلك ملكاً لربه وفضلاً من يه عبده من غير استحقاق منه بل صدق تصدّق بها على عبده، وله أن لا يتصدّق بها. فلمن شاء إياها لم يكن قد معه شيئاً هو له يستحقه عليه، فإذا شاء ذلك رأى فيه أهلاً ومستحقاً فأعجقه نفسه وطلت بالنعمة.

وعمل بها واستطالت عليه غيرها فكان حظها منها الفرح والفرح كمال تعالى: "ولن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناه من إنه ليتسر كفرور ولن أذقناه نعماً بعد ضرائه مسته ليقولون ذهب السينات عني إنه لفرح فخره" (4). فذهم بالباس والفرح عند الامتحان بالبلاء والفرح والفرح عند البتلاء بالنعماء واستبدال بحمد الله وشكره والثناء عليه إذ كشف عنه البلاء قوله: "ذهب السينات عني"، ولو أنه قال: "ذهب الله السينات عني برحمته ومنه لما ذم على ذلك، بل كان محموداً عليه ولكنه غفل عن المنعم بكشفها ونسب العذاب إليها وفرح وفرح فإذا علم الله سبحانه: "هذا من قلب عبد ذلك فلن أعظم أسباب خذالاته".

(1) سورة النمل آية: 40.
(2) سورة القصص آية: 78.
(3) سورة فصلت آية: 50.
(4) سورة هود آية: 9-10.
وعذره عن عه، فإن محله لا تناسبه النعمة المطلقة الشامه كما قال تعالى: "إذن شر الدواب عند الله الدم البكم الذين لا يعقلون* ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لنؤلا وهم معرضون)
(1).
فأخبر - سبحانه - أن محلهم غير قابل لنعمته ومع عدم القبول ففيهم مانع آخر يمنع وصولها إليهم وعند توليهم وإعراضهم إذا عرفوها وتحققوا اهـ
(2).
وأما ينبغي أن يعلم أن توسيع الرزق على بعض العباد ليس ذلك دليلاً على أنهم محبوسين عند الله تعالى - كما أن تضيقه عليهم يدل على بعضهم فإن الدنيا يؤت بها الله من يحب ومن لا يحب توسيع الرزق إنما هو إبلاء وامتحان منه - سبحانه - وتعالى لعيده لينظر أيا كرمه أيا كفره، وفي ذلك عرفة للمعبدين وحجة على المعاندين.

وبعده هذه اللهمة ليبيان من من الآيات الأربع المتقدمة التي جاء في بعضها التنبية على عبودية الدعاء، نقول: إن الدعاء من أجل العبادات، بل هو أكرمهما على الله - عز وجل - وقد حث الله في كتابه العزيز على إخلاص الدعاء له وحده لا شريك له، وبذلك جاءت السنة التي أوجها الله إلى نبينا محمد ﷺ.

الدعاء نوعان:

- إن الدعاء الذي أمر الله به عباده في كتابه الكريم نوعان: 
  1 - دعاء عبادة.
  2 - دعاء مسألة.

ولفظ الدعاء في القرآن الكريم يرد به هذا تارة، وهذا تارة يرد به مجموعهما وماه متلازم كمما سنوضح ذلك.

فأما دعاء العبادة: فهو التقرب إلى الله تعالى - بأنواع العبادات من الصلاة، والزكاة، والندى، والصيام، والحج وغيرها خوفاً من عقبات الله وطماعاً في رحمته وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب، فالعالاب الذي يرغب في حصول مطلوبه ويخفى على فواته هو سائل لما يطلب بامتثال أمر الله تعالى -

(1) سورة الأنفال آية: ۲۲ ۲۳-۲۴.
(2) التوائده: ۲۰۰۱-۲۰۱۰.
وأما دعاء المسألة: فهو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه ومن يملك الضر والنفع هو المعبد حقًا، والمعبد لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر.

ولقد أنكر البصائر الباري - مسجنه على الذين يعبدون غيره فمن لا يملكون لعبادهم ضراً ولا نفعاً، وذكر أسلوب الإناكار في القرآن الكريم من أجل هذا.

قال تعالى: "قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً" (3).

فهذه الآية تضمنت الإنكار الشديد على عباد الأصنام والأندلاء والأوثان وبدابة الآية كما هو مشاهد أمر موجه للنبي ﷺ بأن يقول لعوم العباددين لغيب الله تعالى - من سائر بني آدم بما فيهم النصارى: "أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً" أي لا يقدر على دفع ضر عنكم ولا إصال نفع إليكم، أما الله - جل وعلا - فإنه يسمع أقوالكم ويعلم أحوالكم أطم علهم عنه إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يصر ولا يعلم ضراً ولا نفعاً لا يغيره ولا نفسه (3).

وقال تعالى زيادة في الإنكار على الذين يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً: "ويا بني آدم ما لا يضركم ولا ينفعهم" (4). وقال تعالى: "ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك" (5). وقال تعالى: "واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون مرتين ولا حياة ولا نشور" (6).

وغيرها من الآيات كثير كثيرة تغني عن المعبدون من دون الله النفع والضر القاصر والمعتدية فلا يملكون لأنفسهم ولا عبادهم ضراً ولا نفعاً فالمعبد بيدعى للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعى على طريق الخوف، والرجاء دعاء العبادة ومن هذا يعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة يتضمن دعاء العبادة. ومن هذا قوله تعالى: "إذا سألك عبادي عن فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان" (7).

---

(1) مجموع الفتاوى 10/103، تذكرة الفوائد لابن القيم 3/2، تيسير العزيم الحميد 180، 182.
(2) سورة المائدة آية: 77.
(3) أنظر تفسير ابن كثير: 2/107.
(4) سورة يونس آية: 18.
(5) سورة يونس آية: 106.
(6) سورة الفرقان آية: 36.
(7) سورة البقرة آية: 186.
فهذه الآية اشتملت على نوعي الدعاء وفسرت بهما: 
فقيل: أعطيه إذا سألتني.
فقيل: أثبته إذا عبدني (1). 
وكلنا التفسير متلازمان «وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنيه كليهما
أو استعمال اللفظ في حقيقته ومعناه بل هذا استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة
للآمين جميعاً فتأمله فإنه موضوع عظيم الفتح قل من يفطن له وأكثر أنظاظ القرآن الدالة على
معني فصاعداً هي من هذا القبيل» (2).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «قل ما يعاب بك من الله دعاءكم» (3).

وهذه الآية فيها قولان للمفسرين:

الأول: قيل لولا دعاوكم إياه.
الثاني: قيل لولا دعاؤه إياكم إلى عبادته (4).

فعلى القول الأول: يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل، وعلى القول الثاني: يكون
المصدر مضافاً إلى المفعول. ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله -
 تعالى - الأول (5) وعلى هذا الفاردر بلغة الدعاء في الآية نوعاً دعاء وهو في دعاء العبادة
أظهر والممعي أي ما يعاب بك لولا أنكم تجدونه عبادة تستلزم طلبه وسؤوله.
وقال تعالى: «وقال ربك ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادي
سيدخلون جهنم داخرين» (6).

وهذه الآية أيضاً تضمنت نوعي الدعاء معاً إلا أنها في دعاء العبادة أظهر ولذلك جاء

(1) مجموع الفتاوى 11/15، بدائع الفوائد: 3/3.
(2) بدائع الفوائد 3/3.
(3) سورة الفرقان آية: 77.
(4) البحر المحيط لأبي حيان 5/175، وانظر إملاء مسمى به السرحان من وجه الإعراب والقراءات في جميع
القرآن 162.
(5) مجموع الفتاوى 12/15، بدائع الفوائد 3/3.
(6) سورة غافر آية: 40.
التعقيب بعد الأمر بالدعاء فيها بقوله: "إن الذين يستكبرون عن عبادي سيدخلون جهنم داخرين".

وقد روى الترمذي بإسناده إلى التهام بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: "إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ: "ادعوني أستجب لكم وإن الذين يستكبرون عن عبادي سيدخلون جهنم داخرين". قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (1).

فهذه الآيات التي قدمنا ذكرها دلت دلالة صريحة على أن نوعي الدعاء بينهما تلازم كما قدمنا ذلك قريباً، فإنني للإنسان أن يكون على معرفة بهذا وأن يحققه جيداً حتى يستطيع الرد على القريبين الذين يدعون أهل القبر من دون الله تعالى - ويحتجون على من أنكر عليهم فعلهم ذلك بأن الدعاء الذي أمر الله بأن يكون خالصاً له وحده لا شريك له إنما هو دعاء العبادة وليس المسألة ويزعمون أن قوله تعالى: "وأن المساجد الله فلا تدعوا مع الله أحداً" (2) أن لا تعودوا مع الله غيره، والرد عليهم سهل ويسير.

فيقول لهم: سلمناكما جدلاً أن المراد به دعاء العبادة لكن لا يمنع ذلك من أن يدخل فيه دعاء المسألة لأن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة ويدعوكما أيضاً: إن الله تعالى - أمر عبادته بأن يدعو دعاء مسألة في مواضع كثيرة من كتابه. قال تعالى: "قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن إياكم ندعو فلله الأسماء الحسنيات" (3) هذه الآية واضحة في دعاء المسألة، ويؤيد ذلك سبب نزولها وهو أن ﷺ كان يدعوهم فيه يقول مرة: "يا الله، ومرة "يا رحمن"، فظن الجاهلون من المشكرين أن يدعو لهؤلاء فنزل الله هذا الآية. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "سمع المشركين النبي ﷺ يدعو في سجوده "يا رحمن يا رحيم" فقالوا: هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى مثنى، فنزل الله هذه الآية قول ادعو الله أو ادعوا الرحمن" (4) ومعنى هذه الآية الكريمة: الأمر للنبي ﷺ بأن يقول للمشركين الذين أنكروا صفة الرحمة الله عز وجل - المانعين من تسمية

(1) سنن الترمذي 5/52.
(2) سورة البقرة آية: 18.
(3) سورة الإسراء آية: 110.
(4) مجموع الأنوار 14/15، بدلائع الفوائد 2/259.
(بالرحمن) "ادعوا الله أو أدعوا الرحمن" أي لا فرق بين دعائكم له باسم "الله" أو باسم "الرحمن" فإنه ذو الأسماء الحسنى.

وقال تعالى: "ادعوا ربك تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين" (1)

وهذه الآية تضمنت إرشاداً من الله لعبادة بأن يدعوهم تضرعاً وتذللاً لأن الدعاء فيه صالح دنياهم وأخراهم، كما أنها تتناول نوعي الدعاء لكنها ظاهرة الدلالة في دعاء المسألة المتضمن دعاء العبادة لهذه الأمر سبحانه بإخفائه وإسراره (2). وقوله تعالى في هذه الآية: "إنه لا يحب المعتدين" فسر الاعتداء بتفسيرين:

1- قيل: المراد إنه لا يحب المعتدين في الدعاء كسائر الناس ليس بِه من مزائل الأنبئاء وغير ذلك. وقد جاء في سنن أبي داوود رحمه الله تعالى عن عبد الله بن معقل أنه سمع ابنه يقول: اللهم إنك أرسلت القصر الأبض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال: يا بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سبيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في ظهور الدعاء" (3).

وعلى هذا فال اعتداء في الدعاء تارة يكون سؤال الله ما لا يجوز له سؤله كسؤاله العون على المعصية، وتارة يسأل الله سؤالاً ليفعله كطلب الخلود إلى يوم القيامة أو يدفع عنه لوازم البشرية بأن يرفع عنه الحاجة إلى الطعام والشراب أو يطمئنه على الغيب أو يجعله في المعصومين، أو يطلب من الله الولد من غير زوجة وغير ذلك مما ساؤه اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله.

التفسير الثاني للآية: قبل الإعتداء يرفع الصوت في الدعاء (4)

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الآية تكون أعم من ذلك كله وإن كان الإعتداء في الدعاء هو المقصود بها فهو من جملة المراد "إنه لا يحب المعتدين" (5) في كل شيء دعاء

(1) سورة الأعراف آية : 55.
(2) مجموع النافع 15/15، بدعائ القوائد لابن القيم 3/6.
(3) مجموع النافع 22/22، تفسير ابن كثير 3/180.
(4) مجموع النافع 22/15، تفسير ابن كثير 3/180.
(5) سورة الأعراف آية : 55.
كان أو غيره، كما قال تعالى (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (1). وعلى القول بعومل الآية فإن من أعظم الاعتداء أن يدعى غير الله تعالى من الخلق، سواء أكان الدعاء يوجهه إلى بشر أو يدعون الله بهم كل ذلك اعتداء لا يمحوه الله تعالى، لأنه وضع للعباد الجير موضعها ومن الاعتداء أن يدعو الإنسان ربه بترك وتعالى وهو غير مظهر للتضمر والتنذل فيكون دعاء هذا كدعاء المستغني المدل على ربه وهذا من الاعتداء الذي لا يمحوه الله لمن احتفظ به دعاء العبد المتذلل فمن لم يسأل ربه مسألة مسكين متضرع خائف فهو من المعتدين كذلك من الاعتداء عبادة الله بما لم يشرعه ولا أذن فيه أو يتي على الله بما لم يذكبه على نفسه. فذلك من الاعتداء في دعاء الشفاعة والعبادة، وهو شبه الإعداء في دعاء السألة والطلب قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وعلى هذا فتكون الآية "دالة على شيئين:" 

أحدهما: محروح للرب - سبحانه و هو الدعاء تضرعاً وخفية.

والثاني: مكره له مسخط وهو الاعتداء، فأمر بما يحبه وندب إليه وحذر مما يبعضه وزوج عنه بما هو أفضل طرق الزجر والتحذير وهو لا يحب فاعله ومن لا يحبه الله فأي خير يناله ... إلى أن قال فقسمت الآية الناس إلى قسمين دعا الله تضرعاً وخفية ومعتقد بترك ذلك. (2).

وقال تعالى: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعو خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين) (3).

والآيات كثيرة جداً في إثبات دعاء المسالمة المتضمن دعاء العبادة ويكفينا منها هذا الأقدر الذي قدمنا ذكره وكلها فيها الرد الواضح على من ينكر عبودية دعاء المسالمة ويكرب مناصرة لدعاء الموتى من أهل القيوم، يزعم أن الدعاء الوارد في القرآن إنما المراد به دعاء العبادة، ليسوؤوا لأنفسهم سؤال غير الله - تعالى - ودعاء أهل القيوم، وقد اعتبر القرآن دعاء غير الله - تعالى - من أبلغ الضلال قال تعالى: (ومن أهل ممن يدعون من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء.

(1) مجموع الفتاوى 2/33 والآية رقم (190) من سورة البقرة.
(2) مجموع الفتاوى 2/24.
(3) سورة الأعراف آية: 65.
ولكانوا بعبادتهم كافرين (1) فالآية الأولى بنيت أنه لا أصل ممن يدعو أحداً من دونه كائناً من كان وأن المدعو ليس لديه استجابة لما طلب منه من ميت أو غائب أو صمم أو وحى فان الداعي لغير الله حظه من ذلك الخسارة والخيبة، وأما الآية الثانية فقد بنيت أنه إذا كان يوم القيامة فإن المعبود من دون الله يبتآر ممن عده ومن عبادته بيتقبل له عدواً.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «فدلت أيضًا: أي الآية على أن دعاء غير الله عبادة له وأن الداعي له في غاية الضلال وقد وقع من هذا الشرك في هذه الأمة ما اطم وعم حتى أظهر الله من بينه بعد أن كان مجهولًا عند الخاصة والعامة إلا من شاء الله تعالى - وهو في الكتاب والسنة في غاية البيان لكن القلوب انصرفت إلى ما زين لها الشيطان» (2).

وهو كما قال رحمه الله تعالى - فإن الشيطان زين لبعض المسلمين دعاء أهل القبور واللجوء إليه عند البداء والإستغاثة بهم في الملل، والعناصر بين الصريرة لما علية القبوريون في أغلب الأقطار الإسلامية يقتعن بقيادة بأنهم يجدون في عينهم نورًا يشعون بهم مما يمدهم من إتيانهم القبور للدعاء لأهلها بالمغفرة والرحمة وسواه العافية لهم تجدهم يدعونهم ويسبلون مطالب لا يقدر عليها إلا الله تعالى - أو يدعون الله - تعالى - بهم بقصد القربى وأنهم يشعرون لهم عند الله تعالى - ونسو أن المقصود من زيارة القبور أمران: 

الأمر الأول: تذكر الآخرة والإعتبار والإلعقاع وقد أشار إلى ذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث بردة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كانت نهيكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة» (3) وهذا من إحسان الجلي إلى نفسه.


---

(1) سورة الأنفال آية: 56.
(2) فرة إبراهيم النحاسين: ص 104.
(3) سنن الترمذي: 299/2.
(4) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: 2/679.
هذه هي الزيارة المشروعة التي يؤديها أهل التوحيد، وأما زيارة الذين أشربت
قلوبهم بعبادة غير الله فإنهم يزعمون أن الميت المعظم الذي لروى قرب ومنزلة عند الله
تعالى - لا يزال تأتيه الألفاظ من قبل الله تعالى - ويفيض على روح الخيرات، فإذا علق
الزاير روحه به، وقرب ومنى يفاصح له الفضيض من روح ذلك البزور ويتكسب من تلك
الألفاظ بواسطة وكا يعكس شعاع الخصائص الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل،
وكلوا لا يتم الزيارة إلا إذا توجه الزيارة بروح وقلب إلى الميت وعرف بهمته إليه وجه
قصده وإقباله عليه بحيث لا يبقى فيه النفايات إلى غيره وكلما كان جمع همته، وقلب عليه
أعظم، كان أقرب إلى الانفاع به والذى قرر هذه الزيارة الشركية على هذا النحو ابن سيناء
والفارابي وغيرهما(1) وهذا ما كان عليه عبد الكواكب وعبد الأصام، ومن ثم تسليسل هذا
الاعتقاد الباطل إلى عبد القبور فاتخذوها أعيادا، وعلقوا عليها الستور، فأوقفوا السرح
عليها، وبينوا عليها المساجد والبابا، وهذا ما قدص رسول الله ﷺ إبطاله ومحو أثره كليه
وقد كل ذريعة تفضي إليه وله مراع، كن شرب القرآن بتكفيرهم وله وقفا في طريق وناقضوه في قصده
وكان في شق ومثل ذلك كان القرآن ينزل بتكفيرهم ولعنهم وإباحة دمائهم
أموالهم وسبي ذرائهم، وأوجب لهم النار، والقرآن من أوله إلى آخره مملوء بالرد عليهم
وإبطال كل معتقد لهم في ذلك.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بعد أن بين دعا العبادة ودعاء المسألة:
"إذا تبين ذلك فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئاً من نور الدين لغير
الله فهو مشرك ولقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام، إذ شرط الإسلام مع
التلظ بشهدات أن لا يعبد إلا الله فمن أتى بالشهادتين، وعبد غير الله فما أتى بهما
حقيقة، وإن تلفظ بهما كاليهود الذين يقولون: لا إله إلا الله وهم مشركون ومجرد التلظ
بهم لا يكيف في الإسلام بدون العمل بمعناهما واعتقاده إجماعاً"(2).

(1) إغاثة لله من 101/219.
(2) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أحد السلسلة الذهبية التي قيهم البازاري-
سماحة للدعوة إلى التوحيد الخالص وبد الشرك والبع والعبارات في الجزيرة العربية كان رحمه الله بارعاً
في التنوير والحديث والفقه توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثة وألف هجرية، انتخراج ترجمته في كتاب "عنوان
المجد في تاريخ نجد"، 1/212، هيئة الوفاق 208/4، معجم المؤلفين، 268/4.
(3) تسير العزيز الحمدي ص: 192.
وعد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن الدعاء عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نزل رابع بأول ليلة إلى السماء الدنيا بحث الملي يقتل الآخر ثم يقول: من يدعوني فاستجبي له؟ ممن يسألوني فأعطوني؟ من يستغفرني فأغفر له؟... الحديث».

وروي الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء».

وإذا كان الدعاء من أجل العبادات وأكرمه على الله - عزوجل - فعليه أولاً القبور الذين ينادون أهل القبر ويستغفرون بهم ويطلبون منهم المطالب التي لا يملكها إلا الله من جلب النفع ودفع الضر وله ينتهي أولئك الضلال الذين يدعون أنهم أولياء فيقومون في طريق العوام يرثون لهم دعاء الأمهات والإستغاثة بهم فيضلونهم ويصدون عن سبيل الله وصول الحد من يدعو الولاية أنه يضمن لتابعه دخول الجنة والنهاة من النار وقد قال تعالى مماثلةً سيد الأولين والأخرين: «أفنم حتى عليه كلمة العذاب أتى منه نذاق من في النار؟» أفنى هؤلاء الجهلة من هذه الآية؟ فإذا كان سيد الأولين والأخرين لا يقدر على إتفاق من حقه كلمة العذاب فكيف يدعى أولئك العصاة أنهم يملكون ذلك فعالجوب على كل مكلف أن يعرف ما لرب من اللواجع عليه وأن يخلص له الدين حتى يكون من عبادة الموحدين وليعلم أن ربه أوعي إلى نبيه بأسلوبه أن يسألوا الله من فضله الذي عطاوه لا ينفدو وحزانه ولا تنتصب كما في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ إذا سألت فاسأل الله وإذا استعن فاستعين بالله وأعلم أن الأمة لاجتمع على أن ينفعك بشيء لم ينفعك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأعلام وجففت الصحف قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح (2). فلا يسأل إلا الله ولا يدعى إلا هو وحده لا شريك له لأن غير الله لا يقدر على الإعطاء والمنع.

(1) صحيح البخاري مع الشرح البخاري 2/29، صحيح مسلم 3/211.
(2) صحيح البخاري 2/362.
(3) سنن الترمذي 4/271.
ورفع الضرر وجلب النفع لأن ذلك من خصائص الرب - سبحانه - وتعالى وقد حصر الرسول العبادة في الدعاء فقال على الصلاة والسلام: "الدعاء هو العبادة" (1).

جاء في عون المعبد أي: "هو العبادة الحقيقية التي تتأمل أن تتم العبادة لدلالة على الإقبال على الله والإعراض عن سوءه بحيث لا يروع ولا يخف إلا إياها قانوياً بوجوب العبودية معترفاً بحق الروبية عالماً بنعمة الإبادة" (2).

فهذه الأحاديث التي قدمها ذكرها تدل على أن دعاء غير الله من ميت وغائب وحاضر فيما لا يكون علي إلا الله من جلب النفع ودفع الضر أو تحويله هو الشرك بعينه بل ذلك من الشرك الأكبر إذ أن الداعي إنهما يدعو الله إذا انقطع عمله مساوي لله وذلك هو خلاصة التوحيد في دعا غير الله تعالى - أي ناداه فقد سوى بينه وبين الله تعالى - وذلك عن الشرك.

والنازح لحال بعض المسلمين اليوم من الذين يندوا أهل القبر ويستغيثون بهم ويطوفون بقربهم، ويذبحون لهم ويدرون لهم فإنه يري حاليه ويلعب تمهد العقيدة الصحيحة في قلبهم، والموجب لهم ذلك أنهم عن كتاب رحب معرضون وعن سنة رسول الله غافلون، وسبب ذلك فعله المشركون الذين كانوا يدعون أنهم ما يعبدون الآلهة إلا لكي تشفع لهم عند الله، وهذا ما وقع فيه جهالة المسلمين من الخضوع والتذلل عند القبور، ويطلبون من أصحابهم مطالب لا يقدر عليها إلا الله تعالى.

وعندما يشاهد الإنسان الذي عرف العقيدة الصحيحة بعض المفتيين من القبورين الذين يندوا أهلها الذين لا يملكون لغيرهم ضراً ولا فائناً، ولا موتاً ولا حياً، ولا نشوراً يتساءل عن الذي جعلهم بعضون على فعلهم ذلك المتكر الشنيع الذي يجعل فاعله هو وعيدة الأنصاد على حسن سواء في دعوتهم غير الله تعالى - والسبب الذي دفعهم إلى ذلك يتمثل في الأمور الآتية:

1 - جعلهم أولواً: بحقيقة ما أرسل الله به رسله عليه الصلاة والسلام، بل جعلهم بما دعا إليه جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من تحقيق التوحيد، وقطع كل صلة تؤدي إلى

(1) المصدر السابق 5/25، وانظر سنن أبي داود مع شرح عون المعبد 3/264.
(2) مباحث العقيدة 14.
الشرك بالله العظيم فكان حظهم من ذلك قليلًا، فدعاهم الشيطان إلى تلك الفتنة لأنهم لا يوجد عندهم من العلم ما يحذرون به دعوته فاستجابوا لدعوته بقدر ما عنههم من الجهل وعصموا بحسب ما عنههم من العلم.

2- من الأسباب التي جعلتهم يدعون أهل القبور الأحاديث المكدوذة المختلفة التي وضعها على الرسول ﷺ أمثال عباد الأصنام من القبوريين ومناقضة دين الإسلام وعزعة العقيدة المحمدية من النفوس مثل حديث: "إذا أعيتكم الأسور فعليكم بصحاب القبور" وحديث "لو أحسن أحدكم ظله بحجر لنفعه" وأمثال هذه الأكاذيب التي تناقض قواعد الدين، وضعها المشروكون، وراجت عند الجهل من بعض المسلمين، فالرسول ﷺ ما بعث إلا لقتل من حسن ظنه بالاحجار وتجنب الأمة فتنة القبور.

3- من الأسباب التي جعلت القبوريين يصرفون عبودية الدعاء لغير الله تعالى، الحكایات المكدودة لأصحاب تلك القبور مثل: أن فلاناً استغنا بقاير الفلاطي في شدة نزلت به، فخلص منها، وفلاطن دعاه، وودعاه في حاجة فقضيت له وفلانانة نزل به ضر فرجاً صاحب القبر الفلاطي فكشف ضره، وعند سدنة القبور من الأكاذيب الأساطير الباطلة الشيء الكثير، وهم من أكذب الناس على الأحياء والأموات ونفسون بني آدم مفتوحة بحب من يقضي حوائجها ويزيل ضروراتها، فعندما يسمعون أن القبر البلاطي تربخ مجارب والشيطان يستخف في دعوة المضراع المحرق القلب، فقد يجيب الله دعوتهن إبلاً أو امتحانات، فالجاهل عندما تحصل له إجابة الدعوة يظن أن لذلك القبر تأثيراً في إجابة الدعاء، والله سبحانه وتعالى: يجيب دعوة المضرع إذا دعاه، ولو كان كافراً ومصداق ذلك قوله تعالى: "كلم تمد هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً" (1).

فليس كل من أجاب الله دعوته يكون راضياً عنه، ولا محباً له ولا راضياً بفعله، فإنه سبحانه يجيب دعوة البر والفاجر والمؤمن والكافر" (2).

وقد تعلق القبوريون بعض الأحاديث، وظواه: أنه دليل يجيئهم ما يفعلونه عند القبور، ومن تلك الأحاديث ما رواه الإمام أحمد في منسده والحاكم في مستدركه

(1) سورة الإسراء آية: 20
(2) انظر إجماع اللهانون: 214/5 215-215
عبودية الدعاء

بالإسنادما إلى عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله ﷺ بعفافيني قال: "إن شئت أخرى ذاك فهو خير، وفي رواية (وإن شئت صبرت فهو خير)
لك" فقال: ادع فأمره أن يتوعد فيحن وضوء، فيصلو ركعتين ويدعو بهذا الدعاء:
الله أني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد إن توهدت بك إلى روبي في حاجتي هذه فتقصي لي، اللهم فشفعه في وشفعني فيه...
الحديث.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقة الذهبية (1).

هذا الحديث ضعفه بعض العلماء بحجة أن في إسناده أبا جعفر.

قال الترمذي: "لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وليس الخطيبي" (2).
فظن أن أبو جعفر الرازي، ودرجة الرازي صدوق ولكنه سيء الحفظ (3).
والصواب: "أنه أبو جعفر الخطيبي حيث أن الإمام أحمد نسبه في إحدى روايات
الحديث بأنه الخطيبي، ونسبه في أخرى فقال: المدني" (4).
فإذا الحديث صحيح، وإنما الكلام في الزيدية التي تنسب إلى عثمان بن حنيف مع
الرجل في زمن خلافة عثمان وسياطي الكلام عليها قريباً.
فقد تعلق الفقهيون بقوله: "يا محمد إن توهدت بك إلى روبي".
وقالوا: لو أن دعاء غير الله شرك لم يعلمه النبي ﷺ هذا الدعاء الذي فيه المناداة
لغير الله.
والجواب: أن يقال: إن شهبتكم هذه باطلة من وجوه:
الوجه الأول: أن الضرير كان مجيئه إلى النبي ﷺ لأجل أن يدعو له بدلى قولته في
الحديث "ادع الله أن يعفافيني"، فيجب أن تفهم هذه الفقرة أولاً، وقبل كل شيء حتى يعرف
الفرق بين طلب الضرير من النبي ﷺ، وتوجهه بدعائه مع حضوره، وبين دعاء الجهلة
للأموات، والمسجود لهم وأضرحهم، والتوكل عليهم واللجوء إليهم في الشدائد

(1) المسند 4/138، المستدرك 19/19، الترمذي 229/5، ابن ماجة 1/418.
(2) سنن الترمذي 229/5.
(3) أنظر التقرير 2/206.
(4) المسند 4/138.
وطهثهم بالحوائج من الأمكنة القرية والبعيدة، فالشرير طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، ويشفع له، وهذا نوع من التواصل المشروع، وهو التواصل بدءه أهل الصلاح والنقى فاؤين هذا من دعاء غير الله والإستغاثة به.

الوجه الثاني: أن الرسول ﷺ أمر ذلك الضرير أن يدعو الله بنفسه ويسألهم قبل شفاعة النبي ﷺ. وهذا من أوضح الأدلة على أن دعاء غير الله شرك بالله العظيم، فلا مخالوق لا يدعو من دون الله سواء كان ملكًا مقرّباً أو نبيًا مرسلاً، أو رجلاً صالحًا لأنهم لا يقدرون على النفع والضر إذ ذلك خاص برب العالمين بدبل أن النبي ﷺ لم يقدر على شفائه إلا بعد دعا لله.

الوجه الثالث: أن قوله في الحديث بين محمد ﷺ توجهت بك إلى ربي، لا يدل على جواز سؤال الغائب، ولا على جواز سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا فاطر السموات والأرض، لا عن طريق العبارة، ولا عن طريق الإشارة، ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذبًا لأنه لا يخول الأمر من حالين، إلا أن يكون ذلك الضرير سأل النبي نفسه، وهذا سؤال للمخلّط فيما يقدر عليه، وهو أن يدعو له ولا ينكروه أحد لأنه أمر جائز لا محذور فيه.

وإذا أن يكون توجه بالنبي ﷺ دون سؤال أن يدعو له فهوم يسأل منه، وإنما سأل من الله سواء كان متوجهًا بدعائه كما هو لفظ الحديث، أو كان متوجهاً بذلك عليه الصلاة والسلام، وهو القول الصحيح، لأن التوجه بذوات المخلوقين، والإقسام بهم على الله من البديع المنكرة التي لم تؤثر في النبي ﷺ ولا على أحد من الصحابة الكرام، ولنا في التابعين لهم بإحسان، ولا على أحد من أئمة الدين عليهم رحمة الله أجمعين. (1)

ومن حجتهم التي احتجوا بها على جواز التوجه إلى القبور ودعاء أهلها ما أخرجهم الطبرياني من قصة الرجل مع عثمان بن عفان رضي الله عنه، من طريق عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الحضري المدني عن أبي أمامة سهيل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في زمن خلافته، فكان لا يلبثت إليه، ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكاه ذلك إليه فقال له عثمان: إثل الميضة، فتوضاً، ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم

(1) انظر تيسير العزيز الحميد ص 208-9.
إنني أسألك وأتوجه إليه بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إنني أتوجه بك إلى ربك عز وجل لفيضي لي حاجتي . (1)
قال الذين تعلقته قلوبهم بدعاء عين الله من الأموات أم حجة الله: هذا دليل على جوانب دعاء غير الله من غائب ومتى صالح لآن عثمان بن خليفة علم الرجل أن يدعو السوول بعد موته وناداه فقضية حاجته
وهذه القصة باطلة متناوسة وسنداء.
"أما من ناحية المتن فهي تدل تركيها، وترتبها على أن هناك من وضعها واختلقها، وأن الصحابي الجليل عثمان بن خليفة يري بها لأن يعلم أن التوسل المشروعة إنما يكون بدعاء الشخص المتسول به لا بذاته كما هو المعهود عند من يجهل حقيقة التوسل المشروعة.
ثم إن المعروف من حياة عثمان قبل الخلافة وبعدها أنه كان ليناً رقيقاً عطوفاً كثير الاهتمام بصالح المسلمين العامة والخاصة، ولم يثبت أنه أحبأ أحداً من قضاء حاجته بل إنه كان يتبع احتياجات المسلمين دون أن يعلموا ذلك فضلًا عن أن الشخص يدخل على عثمان ويرتعد عليه مرارةً، ولم يسأله عن حاجته فهذا بعيد جداً، فلا يلبق بمكانة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولا بمكانة من دونه من الصحابة" (2)
وأما من ناحية سندها فإن هذه القصة فهو ضعيف لأن فيها شبيب بن سعيد قال الذهبي في الميزان: "شبيب بن سعيد صدوق يغزب" (3)
وقال ابن عدي (4): "كان شبيب لعله يغلط ويهم إذا حدث من حفظه، وأرجو أنه

(1) القصة ينتميها في المعجم الصغير للطبرياني 184-185، المعجم الكبير (13/1-2).
(2) أنظر التوسل إلى حقيقة التوسل 242-243 بتصريف.
(3) الميزان 262.
(4) هو عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني أبو أحمد علاء بالحديث ورجاله ولد سنة 42 ومائتين، وتوفي سنة خمس وستين وثلاثمائة هجرياً. أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء 16/154-155، تذكر الحفاظ 442-443.
لا يعتمد. فإذا حدث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس، فكان شبيب آخر يعني يجدوا

ه(1).

وَاذَكَرَ الْكَلَامُ لِبِنِ عَدْيٍ يَفْعَدْ أَنْ شَبِيبًا هذَا لَا بَسْ بِحُدْيَتِهِ إِذَا كَانَ مِنْ رُوَايَةِ ابنِ أَحْمَد

زِيَادَ، وَيُكْونُ شَبِيبَ يُروِيْ عَنْ يُونُسِ.

وَلا تُسْبِبَ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ اِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي الْجُرْحِ وَالْتَحْدِيدِ "هُوَ أَنَّهُ كَانَ لِدِيْهِ كَتْب

يُونُسِ بِنْ يَزِيدَ فَهُوَ أَحْدَثُ مِنْهَا أَجَادٍ، وَإِذَا حَدِثَ مِنْ حَفْظِهِ وَقُعِّ في الْوَهْمٍ(2).

وَقَالَ شِيْخُ الْإِسْلاَمِ اِبْنُ تِبْرِيْقَةِ رَحْمَهُ الْلَّهُ تُعَالِيْ: بَعْدَ أنْ سَاَقَ قَصَةَ اِبْنِ حَنِيفٍ "فَهَذِهْ

الزَّيَادَةُ فِيهَا عَدَةُ عَلِيٍّ: اِنْفَرَادُ هَذِهِ بِهِ - أَيْ: شَبِيبٌ declaration who أَكْبَرُ مِنْهُ، وَاحْفَظَ، وَإِعْرَاض

أَهْلِ الْسَّنَةِ عَنْهَا، وَاضْطَرَابٌ لِفِظْهَا، وَأَنْ رَاوِيَهَا عُرِفَ لَهُ عِنْ رُوحِ هَذَا اِحْدَاثٌ مَنْكَرَةٌ،

وَمَثْلُ هَذَا يَفْتَضِيُ حُصُولِ الْرِّيْبِ وَالشَّكِّ في كُونِهَا ثَابِتَةً فَلا حَجْةُ فِيهَا إِذَا الْعَبْرَاءُ بَعْدَ رُوَا

السُّحَابِيِّيَّ لا بَعْدَ فَهُوَ إِذَا كَانَ الْلِّفْظُ الْذِّي رُوَاهُ لَيْدَلُّ عَلَى مَافَهِمَهُ، بَلْ عَلَى خَلَافِهِ.

ه(3).

وُبِهِذَا نَعُرِفُ أَنْ هَذِهِ الْقَصَةُ لَا أَنْتِجُ لِإِنْهَارَهَا مِنْ تَأْوِّيْ وَسَنَدَةٍ.

وَمِنْ حَجْجِ الْقُبُورِيَّينِ الَّذِينَ يَحْتَجُوْنَ بِهَا عَلَى دِعَائِهِمُ غَيْرِ الْلَّهِ مَا رَوَاهُ اِبْنُ السَّنِي فِي

عَمْلِ الْيَوْمِ وَالْلَّيْلَةِ بِإِسْتِنادِهِ إِلَى اِبْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَنْفِلَتْ دَابَّةُ,

أَحْدَكُم بِأَرْضِ فَلَانَةٍ: يَا عَبْدُ اللَّهِ اِحْسَنُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلّ‏-‏حَاضِرٌ أَسْبِحُهُ(4).

هذَا الْحَدِيثُ غَيْرُ صَحِيحٍ لْاَنَّ فِي سَنَدِهِ مَعْرُوفٌ بِحَسَانٍ ابْنِ عَمَّارٍ السَّمْرِقَنِدِي عَن

عُمْرَ بْنَ ذِرَّ. قَالَ ابْنُ عَدِي: "مَنْكَرُ الْحَدِيثِ قَدْ رُوِىَ عَنْ عَمَّرِ بْنِ ذِرٍّ نَسْخَةٌ طَوْبَةٌ كَلِها غِيْر

مَحْفُوْظَةٍ". ه(5).

فَهَذَا الْأَخْبَارُ الْثَّلَاثَةُ مُوْجَدَةُ فِي كِتْبٍ مَشْهُورَةٍ، وَكَمَا مَرَّ مَعْنَا بِأَنْ حَدِيثَ الْأَعْمَى

صَحِيحٌ لَّا غَيْبَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْهُ لَيْسَ فِي مَنْحِ النَّزَاعِ بِلِبَاءَ عَنْهُ.

كَلِمَةُ (1) الْكَلِمَةُ فِي ضِفَاعَةِ الْرَجُالِ ۴۷، ۱۴۳۶، ۱۳۴۷، ۲۱۲، الْمِيزَانِ ۲/۲۵۹.

(۲) الْجُرْحُ وَالْتَحْدِيدِ ۲۵۹/۴.

(۳) مَجمُوعُ الغُنْدَاءِ ۱۲۷، وَاَنْتَهَى الْتَوَلُّسُ وَأَنْوَاعُهُ وأَحْكَامِهِ لِلْأَلْبَانِيِّ صَصُ۵،۸۷-

۸۵/۴۸۷.

(۴) صَصُ۵۰۰۰۱۹۰.

(۵) الْكَلِمَةُ ۶/۶۳۲۷۴، الْمِيزَانِ ۴/۱۴۲۳. 
عِبَودَیة الْدِّعَاء

وأما قصة عنترة بن حنين، والحديث الذي عند ابن السني لم يحظبا بالصحة بل هما باطلان، وما جاء به القبريون بعد ذلك فإنما هو من اختلافهم أنفسهم مثل الحديث "إذا أعبتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبر" وقد تقدم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فهذه الحديث كذب متفرع على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، ولم يرو أحد من العلماء بذلك ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة" (1).

فالأخبار التي يضعها القبريون في جوام دعاء أهل القبر والإستغاثة بهم يعرف كذبها بمجرد مروتها على السامع لأن لفظها ليس عليه رونق، وجمال الألفاظ النبوية.

والذي نخلص إليه مما تقدم أن الدعاء من أوضح صور العبادة، فلا يجوز أن يصرف لغير الله تعالى - لأنه حق من حقوقه على عباده بالدعاء يظهر ذلك العبودية ويعرف العبد عزة الروبية، وهذا هو الغرض المقصود من جميع أنواع العبادات ذلك أن العباد حينما يقدم على الدعاء فإنه لا يقدم عليه إلا إذا عرف من نفسه أنه محتاج إلى ما يطلب من ربه - تبارك وتعالى - ويعرف أنه عاجز عن تحصيل مقصده إلا بعون الله عليه ذلك فإذا علم أن الله يسمع دعاه، ويعلم حاجته، وأنه له القدرة على دفع تلك الحاجة فهو الإله الرحيم الذي تقتضي رحمة فضائل حاجات عباده ومن هنا كان المقصود من جميع التكاليف الشرعية معرفة ذل العبودية، وعزة الروبية والدعاء انتم تحته الأمران ولذلك كان الدعاء من أعظم أنواع العبادات فلا يجوز أن يدعى غيره من المخلوقين أي ما أنواع الدعاء، لا دعاء العبادة ولا دعاء المسألة، ومن فعل ذلك فهوشرك بالله العظيم، كذلك لا يجوز الدعاء عند الأضحية والقبور، فإن ذلك وسيلة إلى الشرك، وجعلها أنداداً من دون الله تعالى - ولا يجوز أن يدعى الله بأحد من خلقه، أو يقسم عليه، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه، أو يسأل بأحد من خلقه، وقد انكر ذلك كله أئمة الدين (2) عليهم رحمة الله أجمعين.

(1) مجموع الفتوى 1/ 357
(2) انظر إجابة اللينان 1/ 216-217
(3) انظر إجابة اللينان 1/ 217
المبحث الخامس
عبودية الخوف

الخوف في اللغة: الفزع.

قال في القاموس: «خف يخف خوفاً ومخافة خفيفة بالكسر. . . فزع» (1) و웨ه في
اللسان: «الخوف: الفزع خائف يخف خوفاً ومخافة ومخافة» (2).

وأما تعريف الخوف شرعًا:

فقد عرفه العلامة ابن القيم بقوله: «الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر
المخوف، اهـ» (3).

ومقصودنا الذي نريده هنا هو: أن الإنسان لا يخف خوف السر إلا من - الباري -
سبحانه وتعالى، ومعنى خوف السر أن يخف العبء من غير الله - تعالى - أن يصيبه منه
مكروه بمشيئته وقدرته، وإن لم يباشره، فإذا وقع الإنسان في شيء من هذا فإنه وقع في
الشرك الأكبر (4) لأنه اعترف حلول الضرب به الذي لا يقدر عليه إلا الله - تعالى - من غيره
الذي هو عاجز أن يفعل به ذلك.

فالضار والنافع إنما هو الله - تعالى - لأنه هو الذي يملك ذلك أما غيره فليس له من
ذلك شيء، وقد جاء في السورة أن الخوف عبادة لا يستطيعها إلا الله - تعالى - فلا خوف ولا
رهبة إلا من - تعالى -.

قال تعالى: «قل إني أفأخف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم».}

(1) الله 1308/3/2
(2) الله 99/100 وانظر المصاحف المتنية 184/1.
(3) مدارج السالكين 1/122، التعريفات للجرجاني 334.
(4) انظر تفسير المعزز الحمد ص 24.
وعندما تألف: "أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فما له من داء؟".

فهانات الآيتان من والسورة فيهما بيان أن الخوف لا يكون إلا من الله تعالى - لأنه وحده قادر على جلب الفزع للعبد، ودفع الضرر عنه، أما غيره فلا يملك من ذلك شيئاً.

فقوله تعالى: "قل إني أخوف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم"، هذه الآية بين أن الرسول ﷺ أمر أن يخوف عذاب يوم عظيم من هؤلاء على الله تعالى - فيما أمره به من إخلاص العبادة والطاعة له - وحده لا شريك له. وكأن الرسول ﷺ يخوف عذاب يوم عظيم الذي هو يوم القيامة ذلك اليوم الذي يعلم هؤلاء ويشد حظه لهؤلاء من أبلغ السجارة لغبره، إذ غيره ﷺ يجب أن يعلم عذابه من باب أولى لأنه تعالى - قد أخبرنا في محكم كتابه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر.

قال تعالى: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر" (1).

وقد ذكر القرطبي: في تفسيره عن سعيد بن المسيب وأبي حزم (2) الثماني: " أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: "قل إني أخوف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم". فكان هذا الخطاب موجها للرسول ﷺ من قبل أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر" (3).

وأما قوله تعالى: "أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه؟" الآية.

ففيها إخبار من الله - جل وعلا - بأنه الكافيف لعبده العابد له وحده لا شريك له إذا صدق في التوكل عليه سمحانه تعالى - وفيها أيضاً: بيان أن المشركين كانوا يخوفون الرسول ﷺ بما يعبدون من دون الله من الأرواح والآلهة الباطلة أن تصبحي بذئ لا أعلم البراء منها وعبادتهم إياها وترجيهما العبادة لمن ليس له حق فيها وجعلوا أنه قد أوى إلى ركن شديده، وعلم بأنها لا تقدر على شيء من تلك المزاعم التي اختلقها وهي زعمهم بأن آلهتهم مستحبة بلذئ، أو تحبُّله إلى غير ذلك من المزاعم التي نسبوها إليها، ولكنه ﷺ يتصدى لها وينب Battlefield عبادتهم لها حتى أرسى قواعد العقيدة الصحيحة، وبين...
لهم أن يملك التفع ويدفع الضر إنما هو الله - وحده - ومن كان ذلك شأنه هو الجدير
بأعد وحده، وتوجهه للعبادة الخالصة دون سواء.
قال ابن كثير رحمه الله تعالى حول قوله تعالى: (ويخفونك بالذين من دونه) يعني
المشركين يخفون الرسول ﷺ ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله
جهلاً وضلالاً إهٌ.

وقال الرazi: جرت العادة أن المسلمين يخفون المحقين بالتخويفات الكبيرة
فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله تعالى: (أليس الله بكاف عبده) وذكره بلفظ الإستفهام,
والمراد تقرر ذلك في النفوس والأمر كذلك. إلى أن قال: لما ثبت أن الله كاف عبده
كان التخويف عيناً وباطلاً إه.

فعلى الإنسان أن يصدق الله تعالى - في الإلقاء إليه - ويخلص عبودية الخوف له
وحله لا شريك له. ويجذر دعوة أهل الأهواء الذين يصدون عن سبيل الله فإذا صد في
ذلك مع الله، فإنه عند ذلك لا يخف إلا الله تعالى - وقى أيماه، وثقت بالله، مما
خوفه أهل الباطل بالتخويفات الباطلة، فإنه لا يكثر به لأنه يعلم أن الله كاف كله
الأختار التي تحيط به، ولعلم كل عبد أن الخوف فرضه الله على جميع عباده بدون
استثناء.
قال تعالى: (فلا تخافوه وخوفون إن كنتم مؤمنين).

قال ابن القيم حول هذه الآية: (ومن كيد عبد الله أنه يخو في المؤمنين جنده وأوليه)
لئلا يجازوه، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوه عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من
كيد الشيطان، وتخويفه ونهانان أن نخافهم، والمعنى عند جميع المفسرين يخوفهم
بأولئك، قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، وللهذا قال: (فلا تخافوه وخوفون إن كنتم
مؤمنين) فكلما قوي إيمان العباد مال من قلبه خوف أولاء الشيطان، وكلما ضعف إيمان
العبد قوي خوف منهم) إه.

(1) تفسير ابن كثير 6/94.
(2) التفسير الكبير 26/281.
(3) سورة آل عمران آية: 75.
(4) إغاثة الليثاني 1/110.
شروط في إيمان الإنسان وأن العبد إذا فقد الخوف من الله تعالى فقد الإيمان الواجب نسأل الله السلامة من ذلك.

وقال تعالى: (وإيا فاربهون) (1).

وهذه الآية فيها الأمر بإخلاص الخوف لله تعالى -وكما أنه تعالى جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة حيث قال تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا ونجلدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) (2) جعل كذلك الخوف لأهل الأعمال الصالحة إشارة منه - تعالى - أن الرجاء والخوف النافع هما أقرنان به العمل الصالح.

قال تعالى: (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون* والذين هم بلآيات ربهم يؤمنون* والذين هم برهم لا يشركون* والذين يؤمنون ما أنوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون* أولئك يسأرون في الخيات وهم لها سابقن) (3).

فهذه الآيات ثناء من الله تعالى على الخالفين منه، وصدح لهم إلى أن يبرت الله الأرض ومن عليها.

روى الإمام أحمد في مسنده وابن ماجة في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله قول الله تعالى: (وَالذِّين يُؤْمِنُونَ مَا أَتَوْنَ وَقَلِوُبُهُمْ وَجَلْةُهُ الَّذِي يَبْنِي وَيَشْرُبُ الْخَمْرَ وَيَسْرُقُ قَالَ: لَا يَا بْنَةُ الْبَصْرِيُّ لَكَنَّهُ الرَّجُلُ يَصْرُومُ وَيُصْلِي وَيَتَصَدَّقُ وَيُخَافُ أَنْ لَا يَقَلِ مَنْهُ) (4).

فقال الله سبحانه وتعالى: قد وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمين قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن تردُّ عليهم أن المؤمن جمع إحسانًا وخشية، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا) (5).

(1) سورة البقرة آية: 48.
(2) سورة البقرة آية: 218.
(3) سورة المؤمنون آية: 47-48.
(4) المسند 20/6، سنن ابن ماجة 2، 2004، 14/4.
(5) ظهر فسير ابن جريير 18/32، وانظر مدارج السلاطين 512/1.
وقد بين العلامه ابن القيم الفرق بين الرجل، والخوف، والخشية، والرهبة فقال:
«الرجل، والخوف والخشية، والرهبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة».
 فالرجل: رفعان القلب وانسحابه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أولؤيه.
 والخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكر الخوف.
 والخشية: أخص من الخوف، فإن الخشية للعطاء بالله قال الله تعالى: «إِنَّمَا يِخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْأَلَّمَاءِ» (1) فهي خوف مقرر بمعرفة، وقد قال الله تعالى: «أَمَّا اللَّهُ إِنَّ لَهُ أَخَاشِيَّاتُ مَا أَنْتُمُ لَهُ أَنْفَكَمُ لِلْحَدِيثِ» (2).
«وَأَمَّا الرَّهْبَةِ» فهي الإيمان في الهرم من المكره وهي ضد الرغبة التي هي: سفر القلب في طلب المرغوب فيه. إلى أن قال رحمه الله وأما الهيئة: فخوف مقرر للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون من المحبة والمعرفة والإجلال تعظيم مقرر بالحب، فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية».
 وقد ملح الله رسوله بأنهم لا يخشون أحداً سواه. قال تعالى: «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونها ولا يخشون أحداً إلا الله» (4).
 وقال تعالى: «أَفَيْ غَفِيرِ اللَّهُ تَنْقَوْنُ» (5) «أَيْ: أَفَيْ غَفِيرِ اللَّهُ أَيْ هُمْ تَنْقَوْنُ: أي ترهبون وتحذرون أن يسلبكم نعمة الله عليكم بإخلاصكم العبادة لكم، وإفرادكم الطاعة لهم، وما لكم نافع سواه» (1).
 وقال تعالى في شأن الملائكة المقربين وأصفاً لهم بتحقيق عبودية الخوف:
«يَخْفَفُونَ رِبَاتَهمْ مِنْ فُوَقِهِمْ وِيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ» (6).

(1) سورة فاطر آية: 28.
(2) رواه البخاري في صحيحه من حديث أسى رضي الله عنه 227/3.
(3) مدارج السالكين 1/125-126.
(4) سورة الأحزاب آية: 40.
(5) سورة النحل آية: 72.
(6) جامع البيان 17/120.
(7) سورة النحل آية: 850.
فالخوف عبادة جليلة تعبد الله به جميع عباده من الملائكة المقربين والأنبياء والمشردين وسائر عباده المؤمنين.

وقد بين بعض العلماء أن الخوف أربعة أنواع:

أحدها: خوف السر وهو أن يخف الإنسان من غير الله - تعالى - أن يضيعه أي أذى من مرضاً، أو فقره، أو قتل ونحو ذلك، ويعتقد أن ما أصابه بذلك إلا بقدرته ومشيئته، وسواء زعم أن ذلك من باب الكرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال فهذه النوع لا يجوز أن يعلق بغير الله - تعالى - يحال من الأحوال لأن هذا من لوازم الإلهيّة، فتن جعل مع الله نداً يخف منه هذا الخوف فقد أشرك الله العظيم إذ هذا معتقد المشركين في أصنامهم وآلهتهم، ولذلك فإنهم كانوا يخفون بها الأنبياء عليهم الصلاة وسلام قال تعالى في شأن إمام الحفاء إبراهيم عليه السلام عندما خوفه قومه بالله أن يضيعه، بسوى: ولا أخف ما تشركون به إلا أن يشاع ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علمًا فألا تذكرون وكيف أخف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل عليه سلطانًا فأي الفريقين أحق بالآمن إن كنتم تعلمون* الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

هذه الآيات تبين لنا موقف إبراهيم عليه السلام تجاه تخوف قومه له بآلهتهم المزروعة. فقد خافه أن يعبدهوا وكرمه، وكان ما تشركوا به: ثم رد الأمير إلى مشيئة الباري سخانه تعالى - لأن هو الذي خاف، ورجى فقال: «إني يشاع ربي شيئاً»، وهذا الاستثناء يسمى عند النجاح استثناءً منطقاً ومعنى ذلك لا أخف من تلك الآلهة التي تخوفون بها فإنها لا مشيئة لها ولا قدرة لكن إذا شاء الله أن يباح شيء لا راد لذلึก لأن الله تعالى - له المشيئة النافذة وقد وسع كل شيء علم أياً آلهتهم لت chaud, ولا تعلم فيما يجري من الأولى أن يخف ويُبعد أهؤاً سببه فيه أن آلهتهم التي زعموها آلهة من عند أنفسكم؟ فلا تذكرون فسناذرون ما أنت عليه من الإشراك لمن لا مشيئة له ولا علم مع من له المشيئة المطلقة والعلم النافذ وهو الله - تعالى - ثم استرسل الخيل عليه السلام في دحض دعوته من أن

(55) (1) (ال рейтинг آية : 80 - 82)
آلهتهم ستصبحه بسوء وجعل دعواهم من أعظم الأدلة على فساد قولهم وبطلان مذهبهم
وبين لهم بطلان إلهيتها وأن عبادتهم لها ستكون مذكرة عليهم فقال:

وكيف أhổما ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به علكم
سلطانًا؟ أي: كيف يتزرب الخوف إلى قلبي من وأواثاكم، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله
في عبادته ألكم فتأي الفريقين أحق بالأيمن، وأولق بأن لا يلحق الخوف أهو فريق
الموحدين أم فريق المشتركون؟

فلقد صدر الحكم بين الفريقين من عند أحكم الحاكمين وأعدل العادلين الذي لا
أصح من حكمه فقال عز شأنه: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، أي: بشرك
أولئك لهم الأمان وهم مهتدون، فكان الحكم من قبل الله تعالى، أن الهدى والأمن
لأهل الوفجع، وحكم لفريق الشرك بالضلائل والخوف بعكس ما حكمن به لأهل الوفجع،
وذلك على حجة أبا إبراهيم على قومه كما قال تعالى: وتلك حجتنا أتيناها إبراهيم
على قومه نرع درجات من نشاء إن ربك حكم على عالم،(1) وقال تعالى في قصة هود عليه
السلام عندما خطفه قومه بالله (إن تقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله
واشهدوا أن بي بري مما تشركون من دونه فكيدونني جميعاً ثم لا نظرون(2).

هاتان الآيتان بين الله فيما موقف هود عليه السلام من مقالة قوم له حينما نصح لهم
في الدعوة إلى توحيد الله وتصديه وخلع الأوثان والثير و منها، ولما أيدنو أن هوداً لا يتركهم
من الدعوة إلى الله وإلي عبادته وحده لا شريك له حينذاك كان قولهم ما يحمله على ذم
آلهتاه إلا أنه أصاب منها خلل وجعل فكان جواب هو مس عليه السلام لهم جواب من وقته برهم
واعتمد عليه وأصح وأكثر بأتي تخريب كان من غير الله تعالى فقال لهم: إني أشهد الله
على نفسه، وأشهدكم أيضاً أيها القوم أنى بريء من هذه الآلهة التي أشركموها مع الله
في العبادة من دونه (فكيفوني جميعاً) يقول: إعملوا كل حيلة أنتم وآلهتكم في ضرري

(1) روي الشيخان في صحيحهما من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت قوله تعالى: الذين آمنوا ولم يلبسوا
إيمانهم بظلم قالوا: يا رسول الله وأبنا لبظيم نفسه؟ فقال: إنما الشرك ألم تسمعوا قول العبد الصالح
إن الشرك ظلم عظيم، صحيح البخاري 3/128، صحيح مسلم 1/114، المسند 378/1.
(2) سورة الأعلى: 83، سورة هود: 54.
(3) سورة الأعلى: 82.
وعمروهُنَّ (ثم لا تظرون) أي: لا تؤخرون ذلك، ثم انظروا ما عجز أن تنالوني به من السوء أنتم والهتكم، فإن مارههم وعودهم السلام بينما أن خوف السرا لا يكون إلا من الله وهو الذي بعث الله النبيين من أجله، وهذا النوع من الخوف هو ما وقع فيه القبورون في زمننا هذا، فإنهم يخفون الصالحين وطواعتهم كما يخفون الله بل أشد، بل إنه وصل الحد بهم إذا وجب اليمين على أحدهم، فإنه يحرف بالله إيمانًا لا حد لها سواء كان كاذباً، أو صادقاً الأمر عنه صيان، وإذا طلب منه اليمين يصاحب القبر لم يحرف إن كان كاذباً وما ذلك إلا لأنه يعتقد أن الضرار الذي يلحقه من صاحب القبر أسرع وأقرب فالتzbek في قلبه لذلك الولي أقوى من تعظيم الله بكثير، وهذه الحال لم يصل إليها المشركين الأولون، بل غاية الأمر عندهم أنهم كانوا يحرفون بالله جهد أيمانهم.

النوع الثاني: من أنواع الخوف أن يترك العبد وما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد لأعداء الله وليس هناك أي عذر سوى أنه يخف غير الله من بني الإنسان ولهذا nihilه الله عن هذا يقوله: عز وجل: إنهما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخفواهم ويخفون إن كنتم مؤمنين).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحرفون أحدكم نفسه إذا رأى أمر الله فيه مقال أن يقول فيه فيقال له يوم القيامة ما منعك أن تقول فيه فيقول يا بار خشي الناس قال: فأنا أحق أن تخشى».

فالحديث بين أن أحق من بخشى إنما هو الله - تعالى -

النوع الثالث: خوف الوعيد الذي ترعد الله به العاصرين قال تعالى: «يوفون بالذر ويخافون يومما كان شره مستطيرا» وقال تعالى: «قنا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين» وهذا النوع يعتبر من

(1) سورة آل عمران آية: 170.
(2) المسنن 2/480.
(3) سورة إبراهيم آية: 14.
(4) سورة الدهر آية: 7.
(5) سورة الطورآية: 26.
أتيرو متسبب الإيمان فالفخو الحقيق هو الذي يكون حائلاً بين المرء وبين حرمت الله تعالى.

النوع الرابع: الخوف الطبيعي كخوف العدو والحرب المفترس وخشية الإصابة بالحرق أو الغرق، لهذا الخوف طبيعي في الإنسان وهذا النوع لا يذكر عليه العبد.

وهو المراد بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (فخرج منها خائفاً يترقب) (1) فإذا أتضح هذا للإنسان فإن قوله تعالى (إنا لكم شيطان يخوء أولياءه) (2) إنما معناه: إنه يوهم أولياء الله أن الموالين له أهل أس ومعدة وهو غير صادق في ذلك، ولذلك فإن الله تعالى أرشد عباده بقوله (فلا تخافوهم ولا خافون إن كنتم مؤمنين) (3) فلا يجوز الإصابة لإيام الشيطان وتسويبه، بل الواجب على المؤمنين أن يعلموا أن الله كافيه وناصرهم على أولياء الشيطان وأمرهم بقتلهم وبين أن كيد الشيطان ضعيف.

قال تعالى: (فقاتلوا أولياء الله الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً). (4)

فكلما قوي إيمان العباد ذهب من قبل الخوف أولياء الشيطان وإذا ضعف إيمانه فإن الخوف أولياء الشيطان يعود في قبله فيجيب على العباد أن لا يخاف إلا الله وحده oran يخلص ذلك لوجه – تعالى – دون سواه، بل جعل الله ذلك شرطاً من شروط الإيمان كما قال تعالى: (فلا تخافوهم ولا خافون إن كنتم مؤمنين). (5)

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

«وبعض الناس يقول: يا بار إني أخفى وأخفى من لا يخفاه، وهذا كلها ساقط لا يجوز، بل على العباد أن يخفى الله وحده ولا يخفى أحداً لا من يخفاه الله ولا من لا يخفاه الله، فإن من يخفى الله أحسن وأذل أن يخفى، فإنهُ طالب وهو من أولياء الله شيطان فالخوف منه قد نهى الله عنه).» (6)
عبودية الخوف

وقال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمَرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَّامِ بَنِي إِسْرَعَةِ الْيَوْمِ الْآخَرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزكاة ولم يبخش إلا الله} (1) دلت هذه الآية على أن خشية الله وحده دون أحد من خلقه من علاءمة صحة إيمان العبد بره ببارك وتعالى...

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: "ولم يبخش إلا الله. يقول: ولم يرهب عقوبة شيء على مقصية سوى الله". (2)

وكمدا القرآن على أن الخوف عبادة يثبت إخلاصها لله تعالى - كذلك دلت السنة على أن الخوف لا يكون إلا من الله، ولا يصرف لأحد سواء فلا خوف ولا خشية إلا منه - جل وعلا.

روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فخرج في في فتمازجه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب محمد الله ثم قال: "ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه فوالله إنني لأعلمهم بالله وأشهد لهم عليه". (3)

هذا الحديث بين ما يجب أن يكون عليه العبد المسلم وهو أن يكون على معرفة بالله أولاً: وقبل كل شيء، فإذا عرف الله، واستثرت معرفته في قلبه، فلك يكون من أشد عبادات الله خشية منه ومحبة له وإتباع إليه. سبحة وتعالى...

وروي مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم الله وأعلمكم بما أترك (4).

وقد كان أخشي عباد الله على الإطلاق وأعلمهم بما يتقني من الأمور، وقد أكرمه الله بذلك، وهذا الإخبار منه تعالى لتأكيدي على علبه الصلاة والسلام، فالخوف من الله تعالى - له فضل عظيم عند الله تعالى يورث العبد رحمة الله وعفوه.

روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر

(1) سورة فرودآية 18
(2) جامع البيان 94/10
(3) propriétaire 66/7
(4) مباحث العقيدة 781/2

15
واجهة، فكيف فصل 같은 كلمة يعني أعزاء الله مالاً ونالاً في حضرت

والتوبة قال النبي: أي أي كنت لك؟ قالوا: خير أب قال: فإنه لم يبتر، ولم يبتر ١.

الله خير وإن قدر الله عليه يعذبه فانظرنا إذا مات فاعتبره فإذا كان يوم ريح عاصف فأدر بنا في يوم عاصف فقال الله عز وجل - كن

فأخذ موافقةهم على ذلك وربنا فعلوا ثم أمره في يوم عاصف فقال الله عز وجل - كن

فإذا هورجل قائم قال لله أعيدي ما أملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال مخافتك؟ قال: ففرق منك ٢. قال: فما تلاقف أأن رحمه عدنا وقال مرة ما تلاقوا غيراً ٣.

فهذا الحديث دل على أن العبد إذا أخلص العبادة الله ولم يبتغ بها أحداً سواء وأخلص

الخوف لله جل وعلا - أورثه ذلك مغفرة الله تعالى ورحمة، فعلى الإنسان أن

لا يخف إلا ربه العلي الكبير، أما ما سواء فلا يخفف منه لأنه لا يستطيع أن يضره إلا إذا ذكر

الله تعالى - ولا يقدر على نفعه إلا بما كتبه الله له الفضل كله عائد إلى الله تعالى - بداية

ونهاية.

وروى الشيخان في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة خسوف

الشمس على عهد الرسول ﷺ حيث صلى بهم صلاة الكسوف ركعتين في كل ركعة

ركوعان ثم انصرف إلى الناس وقد انجلت الشمس ووعظهم موعظة بين له أن الشمس

والقمر أيتان من آيات الله لا يتخسفان لموت أحد ولا لحيائته وأرشدهم أنهم إذا رأوا ذلك

دعوا الله تعالى وكبروا وصلوا وتصدقووا.

ثم قال: يا آية محمد لم تعلموا ما أعلم لضحكتم قليلاً وليكتم كثيراً ٤.

فقد بين لنا الرسول ﷺ أن آمنه لم تعلم ما يعمل من عظيم قدرة الله وشدة انتقامه من

العصاة الفاسقين لتركوا الضحك، ولم حصل منهم إلا في النادر لشدة غلبة الخوف

والحزن الذي يعلو قلوبهم.

١ (اي: لم يبتر.
٢ (الفرق: الخوف.
٣ صحيح البخاري ٤/٢٩٨.
٤ صحيح البخاري ١/١٨٥، صحيح مسلم ٢/٦١٨.
قال صاحب تحفة الأحوزي: «لو تعلمون ما أعلم، أي: من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب لضحكتم جواب لولي بكتيم كثيراً، أي: بكاءاً كثيراً، أوزماناً كثيراً: من خشية الله ترجيح للخوف على الرجاء، وخوفاً من سوء الخطأة.» (1)

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج(2) ومن أدلج بلغ المنزل آلا إن سلعة الله غالبة آلا إن سلعة الله الجنة!» (3)

هذا الحديث من الأمثلة النبوية التي ضربها الرسول ﷺ لمن يسلك طريق الآخرة إذ الشيطان وافق على طريقه، والنفس تعنيه الأماني الكاذبة فإن كان متبها في سيره، وأخلص النية في العمل أمره الله من الشيطان، ومكره طريق الآخرة يحتاج إلى جهد كبير لتحقيق العمل الصالح لأن الجنة منها الأعمال الصالحة قال تعالى: «إن اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقاتلون وعداً عليه حقاً في النزوة والإنجيل والقرآن» (4).

وروى الترمذي أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شنت قال: «شيبيتي هود والواقعة والرسلات وعمت نساؤون وإذا الشمس كورت» قال الترمذي هذا حديث حسن غريب (5).

فهذا الحديث تضمن شدة خوف النبي ﷺ من الله تعالى - فلما تضمنت السور المذكورة في الحديث كثيراً من أهوال يوم المغادر، وما نزل بالأمم التي خلت من قبل أمحمد من النوازل أخذت تلك السور من النبي ﷺ مأخذيها حتى ظهر فيها الشيب قبل وفته الذي فيه فينبغي لكل مسلم أن لا يخف إلا الله تعالى الذي يبده أزمة الأمور جميعها، ويسعى في تحقيق عبودية الخوف ويجعلها خالصة الله تعالى، امتثالاً لأمر الباري - سبحانه - (6).

---

(1) اسمه محمد بن عبد الرحمن المباركفوري المتوفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة.
(2) سنة 145/5
(3) الدلالة: السير الأول الليل.
(4) سنة الترمذي 20
(5) سورة التوبة آية: 111.
(6) سنة الترمذي 276.
وابتداءً، بنبيه محمد ﷺ، ولقد حقق الصحابة عبودية الخوف على أمل وجه وأتنه فهذا هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سمع قارئة يقرأ سورة الطور حتى بلغ فيه عذاب ربك لواقع ١٠١١، كان واشتد بعده حتى مرض وعاد به.

وهنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبره حتى ييلة فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فإنه أيسر منه، فإن لم ينج منه فما بعده أشد منه. ١٠١١.

والمتأثر عن الصحابة من هذا كثير بطول تبوع وقد ذكر العلامه ابن القيم نصائح عنهم رضي الله عنهم في تحقيقهم عبودية الخوف في كتابه: "المجاب الكافي"، والذي نخلص إليه مما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الخوف عبادة لله تعالى، فرضه الله تعالى على جميع عباده، فلا يخف الخلق من الخلق خوف السر لأن ذلك لله، وحده لا شريك له، لأنه تعالى هو الذي يملك النفع والضر دون سواه وما دام الأمر كذلك فهو وحده المتبع بذلك.

---

(1) سورة الطور آية ٦٧.
(2) تفسير ابن كثير / ١٠١١/٤٣٠.
(3) سنن الترمذي / ١٠١٣/٥٧٩.
(4) انظر ص ٤٣ وما بعدها.
المبحث السادس
عبودية الرجاء

قبل أن نذكر ما يدل على عبودية الرجاء من السورة نذكر تعريفه أولًا في اللغة والإصطلاح لفهم معنى الرجاء الذي تعبد الله به عباده والذي لا يجوز صرفه لغير الله تعالى...

فأما تعريفه في اللغة:

فقد جاء في الصحاح: الرجاء من الأمل مدود يقال: رجوت فلانا رجوا ورجاءً ورجاءً...

وقد يكون الرجوع والرجاء بمعنى الخوف قال الله تعالى: «ما لكم لا ترجون الله وقاراء» (1) أي تخافون عظمة الله (2).

وجاء في القاموس: «الرجاء ضد اليأس» أ. هـ (3).

وجاء في النهاية لابن الأثير: «الرجاء بمعنى التوقع والأمل» (4).

وقال في المصباح المنير: «الرجاء بالمفرد ورجحه أرجحه من باب رمي لغة ويستعمل بمعنى الخوف لأن الراجى يخف أنه لا يدرك ما يترجاه» (5).

وأما تعريفه في الإصطلاح:

فقد قال العلامة ابن القيم: «الرجاء حادب حد الوالد بالقلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الأخرى ويطيب لها السير.

(1) سورة نوح آية: 13.
(2) الصحيح 235/2 348/2 407/2 22/1 1(3)
وقيل هو إلا اشتبار بجود وفضل الرب - تبارك وتعالى - والارتياح لمطالعة كرهه - صلى الله عليه وسلم.

وقيل: هو الثقة بجود الرب - تعالى - {1}.

وقال الجرجاني: "الرجاء في اللغة: الأمل وفي الإصطلاح تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل". {2}

والذي نستفيده من تعريف الرجاء في اللغة والإصطلاح أن الرجاء هو الأمل في الخير وترقب حصوله وانتظاره ممن يملكه ويدر على تحقيقه لمن أملته فيه وواجه منه، ولا يكون ذلك إلا من الله - جل وعلا - فعلى العباد أن يجعل قلبه ملعاً بالله خوفاً ورجاءً فلا يرجع إلا الله - تعالى - وحده لا شريك له، ولا يجوز للإنسان أن يرجع سواه فيناله يقترد عليه إلا هو - صلى الله عليه وسلم -، كما يفعله الذين ينادون الأموات، أو غيرهم رجاء حصول مطالبهم من جهتهم لأن هذا شريك أكبر إذ الرجاء نوع من أنواع العبادات التي لا يستحقها إلا الله - جل وعلا - فلما رجاء إلا في الله - تعالى - وقد ذلت سورة "الزمر" على أن الرجاء عبادة، وأنه حق من حقوق الله - تعالى - على خلقه في آية واحدة منها قال تعالى: "فمن هو قانت آناء الليل ساءدة وقائماً يحذر الآخرة ويرجع رحمة ربه فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الآباد".

هذه الآية من السورة فيها مقابلة بين العام بطاعة الله وغيره وبين العالم والجاليل، وهذه الأمور متفرغ في العقول تباينة وتفصيلها، فليس المعرض عن طاعة الله والذي يتعين هو ميري مما يعطي أفضل العبادات، وهي الصلاة في أفضل الأوقات وهو الليل فوصفه بكره العمل وأفضلها، ثم وصفه بالخوف والرجاء وذكر تعالى - أن متعلق الخوف عذاب الآخرة على ما سلف من الذنب، وأن متعلق الرجاء رحمة الله، ووصفه بالعمل الظاهر والباطن، فعلى العباد أن يكون في عبادته خائفاً من عقاب الله راجياً لرحمته، ولا بد من الجمع بين الخوف والرجاء في العبادة، وفي الآية رد على من ذم العبادة خوفاً من النار أو رجاء الجنة.

{1} مدارج السالكين 320.
{2} كتاب التعريفات ص 101.
روى ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: "ما تقول في الصلاة؟" قال: أشهد ثم أسأل الله الجنة وأعود به من النار، أما والله ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ فقال: "حولها ندندن".(1)
فبين لنا ﷺ أن نعبد الله تعالى - خوفاً من عقابه وطمعاً في رحمته، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليهره الله في ظلمة الليل ساجداً وقائماً بحذر الآخرة ويرجورحمة ربه".(2)
ثم إن القايت في الآية ذكر القرطبي في معناه أربعة أقوال:
قيل: إن القايت هو المطيع.
وقيل: هو الخاضع في صلاته.
وقيل: هو القائم في صلاته.
وقيل: هو الداعي لربه، وكلها تدخل تحت القول الأول لأنه أعم وأجمع.(3)
والقونوت يقسم إلى خاص، عام، والسجود كذلك.
والآية التي معناها في هذا المبحث وهي قوله تعالى: "أَمَّنْ هَوَاقْتَ أَنَا الْلِّيْلُ سَاجِدًا أَوَّ قَائِمًا . . ." الآية المراد بالقونوت فيها القونوت الخاص، ومثل هذه الآية قوله تعالى في حق مريم: "وُكَتَتْ مِنَ القَانِتِينِ".(4)
وأما القونوت العام فكقوله تعالى: "وَلَهُ مِن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَا قَانَ نٌ" أي: خاضعون أذلاء.
وأما السجود الخاص فكقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَرْبِكَ لا يَسْتَكِبِرونَ عَنْ عِبَادَتِهِ".
ويسبونه وله يسجدون".(5)
(1) سنن ابن ماجة/ 295.
(2) تفسير القرطبي/ 239.
(3) الجامع لأحكام القرآن/ 239.
(4) سورة التحريم آية: 14.
(6) سورة الأعراف آية: 206.
وأما السجود العام فكقوله تعالى: 

ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعًا
وكهراً وظلالهم بالغدو والغروب(1)

فهذا السجود هو سجود عام لكل مخلوق طوعًا وكهراً وهو أعلم من السجود الذي ذكره الله في قوله تعالى: 

ألن ترو أن الله يسجده من في السماوات ومن في الأرض والسموم والقمر والنجوم والجبال والشجر والجناك و كثير من الناس(2). 

فهذه الآية خص فيها بالسجود كثيراً من الناس وعمهم بالسجود في قوله: 

ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والماء(3).

و هذا السجود هو سجود الذل والقهور والخضوع فكل أحد خاضع لربوبته تعالى -ذليل عزته مقهور تحت سلطانه تعالى -(4).

وأما قوله تعالى في تمام الآية: 

هل يسوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب(5).

بين الله في هذا الجزء من الآية أنه لا يسوى عهده من وحدة وأنخلص له العبودية ومن جعل الله الأنداد وأشرك بالله غيره ولم يخلص له العبادة.

قال ابن كثير: أي: هل يسوى هذا والذي قبله بمن جعل الله أنداداً ليس من سبيله. إنما يتذكر أولو الألباب أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل(6). فإن أولو الألباب أهل العقول السليمة هم الذين يدرون الفرق بين مكانة الموحد الطائع لربه آتين الليل، وآتين النهار ومكانة المشرك بالله العاصي لخالقه، فإن عبادة الله الذي أفرد الله جميع أنواع العبادات كريم عند الله تعالى -، وأما من جعل له الأشياء والنظائر فهم مهين عنده - سبحانه - قال تعالى: (ومن يهين الله فما له من مكرم)(1).

(1) سورة الرعد آية: ١٥
(2) سورة الحج آية: ١٨
(3) سورة النحل آية: ٤٩
(4) مدارج السالكين: ١٠٧-١٠٨
(5) تفسير ابن كثير: ٦٣٠-٦٣٢
(6) سورة الحج آية: ١٨
وبعد هذا الإستطراد البسيط الذي لا يخلو من الفائدة نرجع إلى عبودية الرجاء
فمثلاً: إن مما ينبغي لكل إنسان أن تكون حياته بين الخوف والرجاء يخفف عقاب الله ويرجع حنمو. وروى ابن جرير بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "يحذر الآخرة ويرجع حنمو" قال: "يحذر عقاب الآخرة ويرجو أن يرجع الله فيدخله الجنة".

وختلف العلماء في أيهما يكون الغالب على العبد؟
قال: فإن العبد إذا كان صحيحًا يستحب أن يغلب عليه جانب الخوف، وإذا كان في حالة المرصد يغلب جانب الرجاء.
قال قوم: يستحب الإقتصر على الرجاء عند الإشراف على الموت لما يتضمنه الرجاء من الافتقار إلى الله تعالى ولأن المحبور من ترك الخوف قد تضر في عينين حسن الظن بالله برجاء عفوه ومغفرته واستدلوا بحديث "لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله".

وقالت طائفة ثالثة: لا يهمل جانب الخوف أصلاً بحيث يلزم بأنه آمن، واستدلوا بحديث أن نقص عند الترمذي أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له: "كيف تجدك؟" فقال: أرجو الله وأخف ذنوبني فقال رسول الله ﷺ: "لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخف" قال الترمذي: هذا حديث غريب. وقد رويا بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً قال الحافظ بعد أن أورد هذا الحديث: "وعلل البخاري أشار إليه في الترجمة ولما لم يوافق شرهه أورد ما يؤخذ منه وإن لم يكن مساوياً له في التصريح بالمقصود".

ولقد حث الله تعالى عبادة في مواضيع كثيرة في كتابه على أن يتعبدوه بالرجاء وحده.

---
(1) جامع البيان 16/2.
(2) رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله 4/226.
(3) سنن الترمذي 2/227.
(4) فتح الباري 2011/11، تفسير ابن كثير 8/2.
لا شريك له قال تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجووا الله واليوم الآخرة» (1).

ففي هذه الآية إشارة على أن التأسي بالرسول سلسلة وعملًا وحالًا مما يعين على تحقيق عبودية الرجاء وقال تعالى: «فمن كان يرجو لقاءه فليعمل عملًا صالحاً ولا يشرك بعفادة ربه أحدًا» (2).

وهذه الآية توضح لنا أن العبد إذا كان يرجو لقاء الله صادقًا مخلصًا في ذلك فإن عاقبة ذلك ونتيجته يؤدي به إلى إصلاح عمله.

قال ابن كثير رحمة الله تعالى عند قوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه»: أي ثوابه وجزاءه الصالح الهام (3). وإضافة إلى قول ابن كثير أيضًا إن الآية فيها إشارة قاطعة إلى أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل ورجاء العبد لقاء ربه الذي خلقه هو من أفضل ما يرجوه العبد المؤمن وسامله قال العلامة ابن القيم: وهذا الرجاء هو محض الإيمان وزيدت عليه شخصته أخرى المشتاقين وذلulkan سلامهم لله بإتيان أجل لقائهما وضرب لهم أجلًا يمكن نفوسهم وبطمتهما (4). قال تعالى: «إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم» (5) وهذه الآية ب인터넷 أن من صفات المؤمنين أنهم يرجون رحمة الله بمعنى أنهم يطمرون في رحمة الله ويرجو أن يدخلهم الجنة برحمة إياهم وفضلهم عليهم.

قال قنادة رحمة الله تعالى: أثني الله على أصحاب نبيه محمد أحسن الثناء فقال: «إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم» هذه خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسعودون وأنه من رجا طلب ومن خاف هرب الهام (6).

---
(1) سورة الأحزاب آية: 21.
(2) سورة الكهف آية: 110.
(3) تفسير القرآن العظيم 4/432.
(4) مدارج السالكين 2/54.
(5) سورة البقرة آية: 218.
(6) انظر جامع البيان عن تأويل آية القرآن 2/357.
وقد أخبرنا العلماء الخبر بأن خواص عبادة الذين كان أهل الشرك يعترضون أنهم
ما كانوا يعبدونهم إلا رجاء أن يقربهم إلى الله ولقى أنهم كانوا من أشد الناس تحققاً
لعبودية الرجاء وعبودية الخوف قال تعالى: {قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلاً* أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربه الوسيلة أيهم أقرب
ويرجون رحمته ويحافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً(1).}

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى يقول تعالى : هؤلاء الذين تدعونهم من دوني
هم عبادي، يتقربون إلي بطاعتي ويرجون رحمتي ويحافون عذابي فلاذاما تدعونهم من
دوني؟ فأتيني عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء. اه(2).

واختلف المفسرون في هؤلاء المدعون:
قال: إنهم نفر من الجن كان يعدهم نفر من الإنس فأسلمن النفر من الجن وتمسك
الإنسون بعبادتهم فأنزل الله الآية.
وقال: إنهم صفف من الملائكة يقال لهم الجن كان قبائل من العرب يعبدونهم
ويقولون لهم بنات الله.

وقال: إن المراد بهؤلاء المدعون الملائكة والمسيح وعُزيز كان المشركون
يعبدونهم(3) قال شيخ الإسلام بعد ذكره الآية السابقة: قال طائفة من السلف كان أقوام
يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسيح فين الله تعالى أن الملائكة والأنبياء عباد الله كما
أن الذين يعبدونهم عباد الله وربين أنهم يرجون رحمته ويحافون عذابه ويقربون إليه كما
يفعل سائر عبادة الصالحين. اه(4).

فالمي توضح لنا من هذا أن المشركين كانوا في واد والذين يدعونهم في واد آخر
حيث أن المدعون كانوا مشتغلين بأنفسهم متجهين إلى ربهم يدعونه خوفاً من عذابه
ورجاء رحمته.

(1) سورة الإسراء آية : 57 , 67
(2) مدارج السalanكين 2/ 42
(3) الدر المثير للسوطي 305/ 5
(4) مجموع الفتاوى 1/ 158
ويقولون للوافدين هذا ليس من الشرك في شيء وإنما هو من باب محبة الصالحين أو التوسل بهم.

وقد يتبداء إلى ذهن بعض البسطاء من هذا أننا نكره الأولباء والصالحين وندليهم ونستخف بهم، حاشا وكلاً ليس ذلك فنا بلى إننا نحبهم في الله ونولاهم فيه ونطلب منهم الدعاء في حال الحياة لا بعد الفراق وحال الاغتال، وذلك ما يسمى بالتوسل بدعاء أهل الصلاح ويجب أن نقف عنا أكنا نفرق بين محبتهم في الله ومحبتهم مع الله، فمحبتهم في الله من الأعمال الصالحة ومحبتهم مع الله هو الشرك الذي وقع فيه كفار قريش قال تعالى:

والأمر الحاصل بين صفوف المسلمين له خطره العظيم في إيقاع العامة من عباد الله في عبادة غير الله بحيث جعلوا الأولباء أداناً لله وشركاء له في صرف العبادة لهم باسم التبرك والمحبة وهذا يبعد الشرك وإعادة الوثيقة التي كانت شائعة في القوم الذي بعث الله فيهم رسوله عليهم الصلاة والسلام لتطهير أنفسهم من عبادة غير الله وخلع الأوثان التي كانت تعد من دون الله.
ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الله فهو شريك ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله»(1).

ولنعد إلى موضوع الرجاء فنقول: إن الواجب على العبد أن يكون رجاءً في الله تعالى لا في غيره فإن رجاءه لله بصدق وخلاص قال تعالى: «من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لا يأتي إلا من السمع العليم»(2) فهذه الآية فيها حث الإنسان على أن يكون راجياً في ثواب المصير إلى الله تعالى فالرجاء سبب من الأسباب التي ينال بها العبد ما عند الله من مغفرة ذنوبه وحذره وتوفيقه وإعانته على طاعته ودخوله الجنة ونجائه من النار فالرجاء هو قطب الرحم الذي يدور عليه صلاح العبادة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولولا روح الرجل لم يعطله عبدة القلب والجوارح وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، بل لولا روح الرجل لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات».

ولما قال أن الرجاء اعتراض من العبد على ما سبق به حكم الله فليس الأمر كذلك بل إنما هو تعلق بما سبق به الحكم فإن العبد إنما يرجو فضلاً وإحساناً ورحمة سبق بها القضاء والقدر وجعل الرجاء أحد أسباب حصولها فليس الرجاء اعتراضاً على القدر بل هو طلب لما سبق به قدر الله(3).

وقد ذم الله الكافرين الذين لا يرجون لقاءه ورضوا بالحياة الزائفة واطمئنوا إليها فقد

---

(1) سورة البقرة آية: 165.
(2) مجموع النزاهي 15/49.
(3) مجموع المكيوت آية: 60.
(4) مدارج السالكين 2/42.
(5) مدارج السالكين 2/46.
حكّم لهم بأن مأواهم النار قال تعالى: «إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا، واطمئنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون» (1).

والآيات في عبودية الرجاء كثيرة ونكتفي منها بهدف دارد ونذكر بعض ما ورد من السنة في هذا المعنى ليكتمل هذا المبحث إذ السنة دلت على عبودية الرجاء كما دل على ذلك القرآن فقد ورد عن النبي ﷺ شيء الكثير في هذا الجانب.


قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قوله: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبد بي» أي قادرون على أن أعلم به ما أظن أو نعلم به، وقال الكرماني: وفي السياق إشارة إلى تجريد جانب الرجاء على الخوف وأن يكون أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ذن إيقاع الرجاء وهو جانب الخوف لأنه لا يختار له نفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الموعد وهو جانب الرجاء وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحترم. أه (3).

وروى البخاري أيضاً في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة. وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلуйعل الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو علم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار» (4).

فهذا الحديث دل على أنه يستحب للعبد أن يجمع بين الخوف والرجاء ولا ينغي له أن يغلب أحمد، فإنه لو غلب جانب الرجاء وانهمك في العصيان لربه فإن ذلك قد يؤدي به إلى أن يمكر الله به وإذ غلب عليه جانب الخوف ربما يجره ذلك إلى اليأس والغفر من الرجاء أن الإنسان لوقوع في تقصير فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويرجو

(1) سورة ف囹١ آية: ٨٨، ٨٧.
(2) صحيح البخاري مع الفتح ٣٨٤/١٣، وانظر صحيح مسلم ٢٠١١/٤، ٣٨٥/١٣, ٣٨٥/١٣.
(3) الفتح ٣٠١/١٢, وانظر صحيح مسلم ٢٠١١/٤, ٣٠١/١٢.
عبدية الرجاء

منه أن يمحو عنه الذنب وكذلك إذا وفقه الله للإيام بالطاعة يرجو من الله أن يقبلها منه. أما أن يقع في معصية الله يرجو عدم المؤاخذة بدون أن يندم على فعله أو يقطع فهذا مساب بالغرو. قال أبو عثمان الجيزي: "من علامة السعادة أن تطيع وتخفف أن لا تقبل ومن علامة الشفاء أن تعتمد وترجو أن تنجز" (1). ومن الأحاديث الدالة على عبدية الرجاء الحديث القدسي الذي رواه الرمذي في سنة من حديث أناس بن مالك قال: سمعت النبي ﷺ يقول قال الله تبارك وتعالى: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي" (2).

روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: "لا يصوت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل" (3).

وأما جاه يدعوا المكراب عند أبي داوود من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "دعوات المكراب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله إلا إله إلا أنت" (4).

والذي ننصح إليه من الآيات والأحاديث المتقدمة أن الرجاء عبادة قلبية لا تكون إلا لله عز وجل ويحرم على الإنسان أن يرجوسوا الله تعالى أيا كان فيما هو من خصائص الألوهية لأن ذلك من حق الله على خلقه فعلى العبد أن يرجوه طمعا في رحمة وخوفا من عقابه.

ولا تبتغى إلى قول بعض السويفية كاللهروي بأن الرجاء وقوع في الرعونة (5).

فهذا يعتبر من شنادات القوم لأنه لا رعونة فيهن يتجه إلى الله يرجوه ويطمع في به وإحسانه وفضله وسائر ذلك من ربه بقلبه وسأله فإن الرجاء استشراق القلب لئيل ما يرجوه فإذا كان جلال العبد على هذا فلا رعونة هناء وإنما الرعونة في خلاف ذلك.

---

(1) الفتح 371/11 20/9/5 229/4 220/2 218/2 37/2
(2) نظر مواقف السائرین مع شرح مدارج السالکین 27/2.
قال العلامة ابن القيم: "وهل الرعونة كل الرعونة إلا دعاوا؟ أنه يحب ربه لعذابه لا لثوابه، وأنه إذا أحبه وأطاعه لثوابه كان ذلك حظاً وإثارة لمراد النفس بخلاف ما إذا أحبه وأطاعه لياضبه. فإنه لا حظ للنفس في ذلك، فوالله ليس في أنواع الرعونة والحماقة أصح من هذا ولا أصح، وماذا يلعب الشيطان بالنفوس؟ وإن ناسا وصل بها تلبس الشيطان إلى هذه الحالة المحتاحة إلى سؤال المعافاة؟ 

1.

وقد سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه النبي ﷺ أن يعلمه دعاء يدعو به في الصلاة فقال: "قل: اللهم إنك ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنب إلا أن أستغفرك. فأغفر لي مغفرة من عندك وأرحمني إنك أنت الغفور الرحيم".

وقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ أن يعلمنا دعاء تدعو به إن هي وافقت ليلة القدر فقال لها: "قلوا: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف علي". قال أبو عبيدة الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد أخبرنا سبحانه وتعالى بأن أولي الألباب الذين هم أوليؤه وخصمه سأله أن يقهن عذاب النار فقال تعالى: "إنيما خلقتهن هذا باطلًا سب hữuن فقتا عذاب النار".

فأيى هذا من حال من يقول إنه لا يحب الله من أجل ثوابه لأنه عين حظه وإنما يحبه لعقابه. لأنه لا حظ له فيه ويزعم أن المرء عين حظه فهذا يبدل على فساد العقل واتباع الهوى.

---

2- الحديث رووه مسلم في صحيحه من حديث عائشة 3/521.
3- صحيح البخاري مع التنح 4/371، صحيح مسلم 4/2078.
4- سنن الترمذي 5/195.
5- سورة آل عمران آية: 191.
وهيؤلاء الصوفية قد يخطر على بال أحدهم أن الله أوعده في الوعظ بذلك العذاب كما يرضى صاحب الثواب بثوابه. ويغزو على ذلك بقلبه ولكن هذا من أماني الشيطان الخادعة. إذ عند حصول الحقيقة لا يكون لتلك الأيمنة أمر أبنية ولومتحن الله أحدهم لأدئ مهنة لصاحب واستغاث وجئ إلى الله أن يعافيه من ذلك، وقد ذكر ابن القيم أن رجلاً يقال له سمون كان يقول:

وليس لي من هواك بد فكيفماشت فامتحني فامتحنه الله بعسر البول فذاعت هذه الدعوى عنه واضححة وجعل يطرف على الصبيان في المكاتب ويقول: أدعوا لكم الخذام فالرضى على الرضى لون وقيقته لون آخر (1).

فعلى العباد المسلم أن يلب عهاده ويرجو ويستسلم الله في ذلك ويحذرون تلاعب الشيطان به في ذلك إلى ترك الرجاء وإذا وقع في ذلك لم يكتمل عبوديتهم له سبحانه وتعالى وكلما قوي تلقع العباد برجائه ربه وخوفه من كثر فرحه يوم القيامة بحصول مرجه فينيغي للعباد أن يكون خائفاً راجباً لأن الخوف مستلزم للرجاء والرجاء من ضمن للفحوف فكل راج خائف وكل خائف راج وذلك جاء الرجاء في موضع يصلح فيه وقوع الخوف في قوله تعالى: «ما لأكم لم تزلعن لله وفاراً» (2) قال الشهودي (3) رحمه الله تعالى: «أي أي عذر لكم في ترك الرجاء، والرجاء هنا بمعنى الخوف أي ما لكم لا تخافون الله».

وقبل أن ننتمي هذا الناحية نقول: إنه ينبي لكل مكلف أن يمضى حياته بين الخوف والرجاء ولا يفرط في الرجاء حتى يصير مع المرجئة الذين يقولون لا يعترفون الإيمان

(1) مدارج السالكين 2/49-50 بتصرف يسر.
(2) سورة الفاتحة 13.
(3) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوقي: فقه، مجهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ولد بهجة شوكان (من بلاد خوكان باليمن) ونشأ يصنع ولي فضاءه، ومات حاكماً بها ولدهما ثلاث وسبعين، ومات وشوفي سنة خمسين وعشرين وألف محرجة. انتهى تجربته في كتابه البحر الطالب 14/214-225، في اليومن من تراجع رجال اليمن في القرن الثالث عشر 1/297-298، جلاء العينين 146.
(4) فتح القدير 5/298.
شيء ولا يوغل في الخوف حتى يكون في صف الخوارج والمعتزلة الذين قالوا إن صاحب الكبيرة مخلد في النار إذا مات ولم يبت عليه أن يلزم الطريق الوسط بينهما كما قال: "حسن وجل "يرجون رحمته ويخافون عذابه\(^1\)" والذي يعن النظر في دين الإسلام بجد قواعده أصولاً وفروعاً كلها في جانب الوسط وبهذا التوفيق وهو المستعان.

\(^1\) سورة**الإسراء** آية: 57.
المبحث السابع
انقسام العبودية إلى عامة وخاصة

لقد جاء في السورة ذكر العبودية العامة، والخاصة في عدة آيات منها:

فالعبودية العامة:
هي عبودية أهل السماوات والأرض جميعهم عبده تعالى - برهم، وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم وهذه العبودية هي عبودية القهر والملك وهذه العبودية أشار إليها الله في السورة بقوله تعالى: {قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون}.
وقوله تعالى: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله} الآية.
فلظ (العباد) في هاتين الآيتين يتناول العبودية العامة والخاصة مثل قوله تعالى: {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً}. فهذه يدخل فيها كل عبادة مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم.

العبودية الخاصة:
وأما العبودية الخاصة فهي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر والبعد عن النواهي وقد جاء ذلك في السورة في عدة آيات قال تعالى: {قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكما للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة} الآية.
وقوله تعالى: {فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنهم} الآية.
وقوله تعالى: {أليس الله بكاف عبده} فالعبودية المذكورة في هذه الآيات هي

(1) سورة مريم آية: 93.
عبودية أهل طاعته وولايته وهم عبيد إلهيته الذين أخصنوا له كل أنواع العبادة فلم يصرفوا منها شيئا لسواه قط.

ولا يجري في القرآن إضافة العباد إليه على سبيل الإطلاق إلا لهؤلاء:

وأما وصف عبيد الرحبة فلا يأتي إلا على أحد خمسة أوجه:

الوجه الأول: أن يأتي منكرا مثل قوله تعالى: "إن كل من في السموات والأرض آلا آتي الرحمن عبدا" (1).

الوجه الثاني: أن يكون معرفا بالسلام كقوله تعالى: "وما الله يريد ظلمه للعباد" (2).

الوجه الثالث: أن يكون مقيداً بالإشارة كقوله تعالى: "أتتم أصلتم عبادي هؤلاء" (3).

الوجه الرابع: أن يذكر في عموم العباد فيندر جوامع أهل طاعته في الذكر كقوله تعالى: "أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون".

الوجه الخامس: أن يذكر في موصوفين بفعلهم كقوله تعالى: "قيل يا عبادي الذين أسروا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله".

هذه الآية من السورة قديمة فيها:

إنما سماه الله (عبادة) إذ لم يقنطوا من رحمة وأتتابع إلهيته بالطاعة واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، فتكون من عبيد الإلهيته والطاعة والسرفي التقدم العبودية إلى عامة وخاصة لأن أصل معنى النسبة "الذل والخضوع" يقال "طريق معبود" إذا كان مذللاً بوطء الأقدام و"فلان عبده الحب" إذا ذُكره لون أولاء الله خضعوا له وذلوا طوعاً واختياراً، وانقياداً لأمره ونهيه، وأما أعداؤه فخضعوا لهم إنما كان فهراً ورغبأ" (4).

(1) سورة مريم آية: 93.
(2) سورة غافر آية: 32.
(3) سورة الفرقان آية: 17.
(4) مدارج السالكين 106-105/1، العبودية لشيخ الإسلام ص 47، 51.
اتساع العبودية إلى عامة وخاصة

وجعل العبودية هو الكمال ولقد كان للأنبياء عليهم الصلاة وسلام النصيب الأول من ذلك وكلما كان الإنسان أكثر تحقيقاً للعبودية لله تعالى كلما كان أكثر رقياً في سلم الكمال الإنساني، وكلما ارتفعت عن تحقيق العبودية كلما هبط وانحدر والرسول حازوا قصب السبق في هذا الميدان فقد كانت حياتهم انطلالة جادة في تحقيق هذه العبودية وهذا خاتم الرسول وسيد الأولين والآخرين يبني عليه ربه في أشرف المقامات بالعبودية فيصف به في مقام الوحي.

قال تعالى: "فأوحي إلى عبده ما أوحي (1) وأثني عليه بها في مقام إنزال الكتاب (2). تبارك الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً (3).

وأثنا عليه بها في مقام الإسراء قال تعالى: "سبيان الذي أسرى بعيد ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركتنا حوله (4)."

وبهذه العبودية التامة استحق عليه الصلاة وسلام التقدير على الناس في الدنيا والآخرة ولذلك يقول عيسى عليه السلام للناس إذا طلبو منه الشفاعة بعد طلبه من الرسول من قبله يقول: "أنا محمدًا عبداً غفر له ما تقدم من ذنه وما تأخر" (5) فالسعادة كل السعادة في أن يتحلى الإنسان بتحقيق العبودية الخاصة فيدين الله بالطاعة، والمحبة وامتثال الأوامر والإجتناب عن النواهي.

---

(1) سورة التمجيد آية: 16.
(2) سورة الفرقان آية: 1.
(3) سورة الإسراء آية: 1.
(4) رواه البخاري في صحيحه من حديث أحمد رضي الله عنه 4/279.
المبحث الثامن
الإسلام دين جميع الأنبية والرسل

الإسلام هو: "الإسْتِسْلَامِ اللّه بالتواحيد والإنقياد له بالطاعة وإخلاص العمل من شوائب الشرك" (1).

ولقد جاء في سورة "الزمر" الأمر للرسول ﷺ بأن يكون أول المسلمين من هذه الأمة، واجه الأمر فيها أيضاً: لجميع عباد الله بأن يتزعموا بدين الإسلام على وجه العموم. قال تعالى في حق نبيه ﷺ: "أمرت لأن أكون أول المسلمين".

وقال تعالى في حق عباده عموماً أمرأله بالالتزام بدين الإسلام: "أمنوا إلى ربيكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغية وأنتم لا تشعرون". ففي الآية الأولى: أمر الله جل وعلا نبه بأن يكون أول المنقادين.

قال العلامة ابن كثير: "أمرت لأن أكون أول المسلمين". قال السدي: "يعني من أمته" (2).

وقال الشوكياني حول هذه الآية: "أمرت لأن أكون أول المسلمين" أي: من هذه الأمة، وكذلك كان من إلهامه إلهام أrients إلى التوحيد (3).

وأما الآية الثانية: فهي أمر لجميع العباد بأن يتزعموا بدين الإسلام، وإن لم يفعلوا ذلك فسحل بهم العذاب على كفرهم به. ولا ينصرهم ناصر يسرع لإنقاذهم من عذاب الله النازل بهم فقاله تعالى: "أمرتموا له" أمر لجميع العباد بالخضوع لله - تعالى - بالطاعة.

(1) انظر عقيدة الفرة الناجية أهل السنة والجماعة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص 17، الأصول الثلاثة ص 10.
(2) تفسير ابن كثير 2/83.
(3) فتح القدر 4/454.
الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل

والإقرار بهدين الحنيف والإلتزام بالإسلام الذي هودين الأولين والآخرين، وإذا كان الرسول ﷺ أمر بأن يكون أول الموحدين والمتقادمين لله بالوحدة الاحادية التي لا تشوبها أي شائبة من الأشراف ففيه توجه إليه الخطاب من باب أولي فيجب على كل مكلف أن يعرف دينه الذي لا فلاح له إلا به، ويكون داعية إليه. اقتداء بأمر الرسول ﷺ وبجميع الرسل قبله.

فالإسلام هودين جميع الأنبياء والرسل، كما صرح بذلك القرآن والسنة قال تعالى: {إن الذين عند الله الإسلام} (1).

قال العلامة ابن القيم: يعني الذي جاء به محمد ﷺ وودين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ليس الله دين سواه ومن يتبع غير الإسلام ديناً فإن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين} (2) وقد ذل قوله تعالى: {إن الذين عند الله الإسلام} على أن الدين جميع أنبياءه ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم وأن لمن لم يكن الله قد قل بهم سواه. أ. ه. (3).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: {كان الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره إلا من الأولين ولا من الآخرين} (4). فمهمه تدين مدين، أو تعبدي متعد على غير نهج الإسلام فعمله مرفوض وليس له من ذلك العمل شيء سواء العنان والتعب والشفاء، وعمله ليس بمقبول كما قال تعالى: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منئوراً} (5).

فاليهود والنصارى وغيرهم من الكافرين إذا تريدوا وتدنيوا غير دين الإسلام فعبادتهم وذبائحهم مرودة عليهم لأن الله لا يقبل ديناً غير دين الإسلام.

كما تقدم في الآية {ومن يتبغ غير الإسلام دينًا فإن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} (6).

ويدخل في هذا العهوم كل من يتبع دينه في عمله وعبادته بدعنة لا أصل لها في الإسلام.

(1) سورة آل عمران آية: 169.
(2) سورة آل عمران آية: 85.
(3) مدارج السالكين 3/476.
(4) العبودي لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 115-116 ط: المكتب الإسلامي.
(5) سورة الفرقان الآية: 23.
لقوله: "من أحمد في أمرنا هذا ماليس منه فهوورد" (1) فالإسلام دين جميع الأنباء وجميع الأمم فمن آمن ومنهم من كفر وقد أخبرنا الله تعالى أن رسله الكرام عملوا بدين الإسلام ودعو إلى أمهم فدین الإسلام اشتملت على العقائد والأحكام والعبادات والشيء المهم في دين الإسلام هو توحيد الله وإفراده بالعبودية، وهذا يتضمن إبطال كل عبادة لأغير الله والعبادة أنواع في الدعاء والرجاء والتوكيل والذرخ والذبح فمن صرف منها شيئاً لغير لله فقد كفر وأشرك مع الله غيره.

وقد بين الله تعالى أن جميع الأنباء دعوا أمهم إلى الإسلام فدقال نوح عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه: "فإن نومنهم فما سألتمهم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين" (2).

وقد ذكر الله تعالى في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام: "ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سره نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين" إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين* وصي بها إبراهيم بنه ويعقوب يا بني إبن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتون إلا وأنتم مسلمون" (3).

أما يوسف عليه السلام فإنه قد دعا الله تعالى أن يتوفاه مسلمًا وأن يلتحقه بالصالحين قال تعالى حكاه عنه: "رب قد آتيني من الملك وعلمني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توقي مسلماً وألحق بالصالحين" (4).

وكليم الله موسى ووجه قومه إلى الإيمان بالله والتوكيل عليه وإسلاموجه له سبحانه وتعالى قال تعالى: "وقال موسى يا قوم إن كنتم أتمنتم بالله فعليه تولوا فإن كنتم مسلمين" (5).

وأما سليمان عليه من الله الصلاة والسلام فإنه دعىBLECS إلى الإسلام قال تعالى:

---

(1) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها 1/1243.
(2) سورة يوشع آية: 47.
(3) سورة البقرة آية: 130, 131, 132.
(4) سورة يوسف آية: 111.
(5) سورة يونس آية: 84.
الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل

"فإنه من سليمان وإنه بسوم الله الرحمن الرحيم* ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين*"(1) وفي العصور القديمة بعض أهل الكتاب -وهم اليهود والنصارى- كانوا يدينون بدين الإسلام.

قال تعالى: "الذين أتباهتهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون* وإذا أتى عليهم قالوا آمنا به إن الحق من ربا إنا كنا من قبله مسلمين*"(2).

وقالت بلقيس: "ربنا ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان الله ربي العالمين*"(3).

وحكى الله عن روح الله عيسى ابن مريم والحواريين أن دينهم الإسلام قال تعالى:

"فلا أحب عيسى منهم الكفر قال من أنصار الله نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنآ مسلمون*"(4).

وحكى الله عن سحرة فرعون أنهم قالوا: "ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين*"(5).

وقال تعالى عن سيد ولد آدم عليه من الله الصلاة والسلام أنه قال: "قل إن نهيت أن عبدنا الذين تدعون من دون الله لم يأتني البيئات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين*"(6) فهذه الآيات التي سقناها بين أن جميع المسلمين وجميع من امثة أمر بعبدتهم هو الإسلام ووعبادة الله وحده لا شريك له.

وقد بين أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد وإن اختلفوا في فروع الشرايع.

فقد روى الشياح في صحيحهمما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله *: "أن أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والأخرة والأنبياء إخوة لعلات*"(7) أمهاتهم مثلي ود街头 واحد*".

(1) سورة التل أية: 313.
(2) سورة التصف أية: 205.
(3) سورة النمل أية: 64.
(4) سورة الأعراف أية: 50.
(5) سورة آل عمران أية: 52.
(6) سورة النمل أية: 67.
(7) العلل: فتح المهمة: الضارع، وأصله من تزوج أمه أمه وأيهم تزوج أخرى كانه عل منها... وأولاد العلل الأخرى لاب. ذكره الحافظ في الفتح 6/489.
(8) صحيح البخاري مع الفتح 6/478، صحيح مسلم 4/1877.
قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وفي الإسلام دين أهل السماوات، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض لا يقبل الله من أحد دينين سواء، فأدباً أهل الأرض سنة، واحد للرحمن، خمسة للشيطان: اليهودية والنصرانية، والمجوسية والصائبة، دين المشركين»،(1).

ومما تقدم يتبين أن الإسلام دين الأولين والآخرين من بني آدم، وأن أول المسلمين في جميع الشعائر الإلهية هم الرسل، لأن الرسول هم أول من يعرف الشرائع، والكتب المنزلة عليهم من عند الله تعالى. فالخير كل الخير بالأخذ بالإسلام الذي رضيه الله ديناً لعباده المؤمنين.

(2) مدارج السالكين 2/ 476.
بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن يبتونو

المبحث التاسع

بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن يبتونو

لقد ورد في هذه السورة المدح والثناء الحسن لمن ابتنث عبادة الطاغوت، وتوجه العبادة الخالصة لربه جل وعلا فأفرده بها وحده لا شريك له. قال تعالى: "والذين ابتنث الطاغوت ان يعبدوا وأنبوا إلى الله لهم البشير فبشر عباد* الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنت أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب".

هاتان الآيتان من السورة فيما بنيتها العبادة الأصنام وتفانوا في عبادة الملك العالم، وكفراء بعبادة الطاغوت الذي عده الجاهلون بالباطل زوراً وبهتاناً، والمقصود بالطاغوت هنا هو عبادة غير الله تعالي - فمدحهم الله وأثنى عليهم بابتنثهم عبادة الطاغوت وإقبالهم بكليتهم على العبادة الله وحده وإخلاص الدين له دون غيره، وأقلعوا عن الشرك والمعاصي إلى إخلاص التوحيد والطاعات لربهم وخلقهم سباحين تعالى.

وقيل المقصود بالطاغوت الشيطان ذكره ابن جرير عن السدي ومjahad وابن زيد(1) والذي يظهر أن المراد بالطاغوت في الآية كل معبود من دون الله والنصيب الأكبر من ذلك للشيطان لأنه رأس كل ضلالة كما قال تعالى - فلم أهدّه إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين(2).

وقد ذكر الله الجراء الذي ينطوي عباد الله الموحدين وهؤلاء لهم البشير في الحياة الدنيا بالثناء الحسن ويكذؤهم الله بعانيته ويوافقهم بالأعمال الصالحة التي يشاهدون من...

(1) جامع البيان 26/ 206.
(2) سورة يس آية: 60.
بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن يبت دونه
خلالها أنه تعالى يريد إكرامهم، كما أن لهم البشرى في الآخرة عند الموت وفي القبر، وفي القيامة وخلاصهم في الآخرة و تعالىهم، ونطرار إلى وجهه الذي هو أعظم نعيم أهل الجنة وقد أمر الله نبيه أن يبشر عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أخسه.
قال الشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: «والمراة بالقول القرآن كما فسره بذلك سلف الأمة وأبنائها». (1)
فقد وصف الله عباده البشرين بأنهم يستمعون القول فيفهمونه ويعقلونه ويتبعون أخسه، وأحسسه على الإطلاق كلامه هيباري سبحانه و كلام رسوله.
قال العلامة ابن كثير: «فبشر عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أخسه».
يفهمونه، وعملون بما فيه كفولة تعالى لمسى على السلام حين آتى التوراة فخذها بقوة وأمر قومه بأخذهمها (2) »أولئك الذين هداهم الله» أي: المتصنفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة (3) »أولئك هم أولو الألباب» أي: ذوو العقول الصحيحة والفكر المستقية (4).
وقد ذكر في أسباب النزول أن الآتيين نزلتا في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم كانوا في الجاهلية يقولون: «لا إله إلا الله» واجتبتوا عبادة الطاغوت (5) »ولأصح أن الآتيين تشمل النفر الثلاثة المذكورين وغيرهم ممن اجتبت عبادة الأوثان وأتسب إلى عبادة الرحمن وهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة (6).
وبعد هذه اللمسة لبيان معنى الآتيين نأتي لتعرف الطاغوت الذي فرض الله علينا.

اجتمعبه.

(1) مجموع الفتاوى 16/160، دائق التفسير 2/252.
(2) سورة الأعراف آية 145.
(3) تفسير القرآن العظيم 6/84.
(4) جامع البيان 33/207.
(5) تفسير ابن كثير 6/84.
بيان الطاغوت الذي أوجب الله علی عبده أن يجتبوه

معنى الطاغوت في اللغة:

 جاء في الفاموس: "الطاغوت اللات، العزى، والكاهن، والشيطان وكل رأس ضلال، والأصنام، وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب للواحد والجمع "فعلته" من طغوين، والجمع طوغية طواغ (طاغوت)، أو الحجت حبي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف وأطغاه جعله طاغياً والطغوة المكان المرتفع". (1)

 وقال في المصباح المنير: "والطاغوت يذكر ويؤثث والإسم (الطغيان) وهو مجاوزة الحد وكل شيء جاور المقدار والحد في العصاين فهو (طاغ) و"أطغيته" جعله "طاغياً" وطغي السيل ارتفع حتى جاور الحد في الكثرة و"الطاغوت" الشيطان وهو في تقدير فعلته بفتح العين لكن قدمت اللام موضع العين، واللام وأو محركة مفتوحة ما قبلها فقلت ألفاً فتفي في تقديم فعلته وهو من الطغبان (2)". (3)

 وجزاء في فتح المجيد: "الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد". (3)

 والذي نستفيده من هذه التعريف اللغوي أن الطاغوت كل ما تجاوز حد فصار معبداً من دون الله سواء كان إنساناً أو صنعاً أو ثيناً أو كان ما كان من أي شيء وسواء عبد بطاعة من عابديه أو بقهر له حتى عبده فهوا طاغوت.

معنى الطاغوت اصطلاحاً:

 روى ابن جرير وأبو كثير بإسنادهما إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

"الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان". (4)

 قال ابن كثير: "معنى قوله "إنه الشيطان" قوي جداً فإنه يشمل كل شرك كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والإستصار بها" اله. (5)

 وذكر ابن كثير: بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سئل عن الطاغوت:

 فقال: هم كهان تنزل عليهم الشياطين.

---

(1) مختصر الصحاح 393
(2) 372-373/1
(3) ص 19
(4) جامع البيان 131، تفسير ابن كثير 310
(5) تفسير القرآن العظيم 5/1
بيان الطاغوت الذي أوجب الله علی عباده أن يجتبوه

وقال مجاهم: الطاغوت الشيطان في صورة إنسان يحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم.

وقال الإمام مالك رحمه الله: «هوكل ما يعبد من دون الله عز وجل» (1). وتعريف
الإمام مالك يقيد بمن عبد من دون الله وهو راض لبهرج بهذا القيد من عبد وهو غير راض
مثل المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة و السلام، والملائكة فإنهم عبدوا من دون الله
وهم غير راضين بذلك بل إنهم يراهون ممن عبدهم ومن عبادتهم.

وقال الواحدي (2): عند قوله تعالى: «يمؤمنون بالجبروت والطاعون» (3) "كل معبود
من دون الله فهو جبروت وطاعون" (4).

وقال عبد الله بن عباس: «الجبروت الأنصام والطاعون الذين يكونون بين أيدي
الأصنام يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس».

قال ابن جرير: "وزعم رجال أن الجبروت الكاهن والطاعون رجل من اليهود يدعى
كعب بن الأشرف وكان سيد اليهود" (5).

وقال بعض السلف: عند قوله تعالى: «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاعون» (6)
إنه كعب بن الأشرف، وقال بعضهم: حبي بن أخطب وإنما استحقا هذا الإسم لكونهما
من رؤوس الضلال والإفرطاء في الطغائين وإرغواهما الناس وطاعة اليهود لهما في مقصبة
الله فكل من كان بهذه الصفة فهو طاعون» (7).

وهذه التعريفات المتقدمة عن السلف الصالح من باب توضيح الشيء بعض إفراده

المصدر السابق (1): المجلد ٣١٦/٣، هيئة المعارج ٢٠١٩.

(2) هو علي بن أحمد بن علي بن متينة، أبو الحسن الواحد في عالم النحو والمفردات
علماء التأويل توفي سنة ثمانون وستين وأربعمئة هجري. أنظر ترجمته في "الأساطير לדעתه"، ٤/١٠٠، الوفات.

(3) سورة الناس آية: ٥١.

(4) أنظر مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٤٧.

(5) جامع البيان /٥٣٠.

(6) قراءة "الناس" آية: ١٦٠.

(7) مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٤٣ والكلام للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطن
رحمة الله تعالى.
بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن يجتنبه

وإلا فالحمد لله تعالى لمعنى الطاغوت هو ما عرفه ابن القيم رحمه الله تعالى - فقد قال: "الطاغوت كل ما تجاوز به العبده من معبر أو متبوع أو مطبع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يجدون من دون الله أيتبعونه على غير البصرة من الله أو يبطعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله فهذه طواعية العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله ـ تعالى ـ إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعة رسول الله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته". (1)

فلو تأملنا هذا واستعرضنا حالة أكثر المسلمين لوجدناها طبقا لما قال هذا الإمام رحمة الله عليه إلا من رحم الله، وبعد أن عرفنا معنى الطاغوت في اللغة والإصطلاح نقول: إن الله فرض على جميع خلقه أن يكفروا بالطاغوت ويعتقدوا اعتقاداً جازماً أن عبادته باطلة وأن من عبده كافر بالله العظيم.

قال تعالى: "وقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن يعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت": (2) وهذه الآية فيها الإخبار بأن ـ تعالى ـ أمر جميع خلقه بالاجتناب عبادة الطاغوت مطلقًا سواء كان إنساً أو جناً، أو شجراً، أو حجراً، أو وحى، أو وحي، أو وحيها، أو وحيها، أو وظيفة، وأن يعبدوا سبحانه وحده دون سواه.

وقال تعالى: "فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الالبديّة": (3)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (4) "واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت والدليل هذه الآية". (5)

(1) تسير المعز الحمید ص 33، فتح المجيد ص 20، 0 إعلام الموقعين 1/050.
(2) سورة النحل آية: 36.
(3) سورة البقرة آية: 262.
(4) هو: إمام الدعوة المجيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التيمي المجيد لزعم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في الجغرافة العربية وقد نجح رحمة الله منه وذلك السلف داعياً إلى التوحيد الخاص ونبذ الشرك والبدع والخرافات، وتحريم ما عاقب بالإسلام من أهوام. ولد رحمة الله سنة خمس عشرة وثمانية وألف، وتوفي سنة ست وثمانين وألف هجري. أنظر ترجمته في كتاب عوائد المجيد في تاريخ نجد 1/6 وما بعده، هديمة العارفين 2/00، الأعلام 7/137، معجم المؤلفين 10/4289.
(5) الدار السنوية 1/095.
بيان الطاغوت الذي أوجب الله علی عباده أن يجتبوه
وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن(1) رحمه الله تعالى - عند شرحة للآية: "وهذا معني ولا إله إلا الله فإنها العروة الوثقى" أه(2).
وقال تعالى: "لئن ترتد الذين يزعمون أنهم آمنوا بما ننزل إليك وما أرسل من قبلك يردون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أموا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً مبيناً(3).
والآيات في هذا المعنى كثيرة وهي تدل على أنه يجب الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.
وضابط الكفر بالطاغوت: أن يعتقد الإنسان اعتقاداً جازماً بطلان عبادة غير الله وتركها والبضغ لأهلها ومعاداتهم.
وضابط الإيمان بالله: الإعتقاد الجازم بأن الرب سبحانه هو الإله المعبد وحده دون سواه وإخلاص جميع أنواع العبادة كلها له وحده لا شريك له ونيها عن كل معبد سواء.
وإذ أن عرفنا أن الطاغوت عام في كل ماعبد من دون الله تعالى - إذن فالطاواغيت لا تقصي لكي تدعا ونوعها إلا أن رؤوسها خمسة(4)، وهي:
الأول: إيليس الذي لا يزال جاهداً آنها الليل وآنها النهار في الدعوة إلى عبادة غير الله تعالى.
قال تعالى: "أَمَّا أَعْهَدْ إِلَيْكُم بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبَدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُم مُّخْرَجٌ(5).

---
(1) هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، فقه، حنفي من علماء نجد وهو وحيد العلامة الشيخ.
(2) هو عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب صاحب الدعوة إلى التوحيد والتي عرفت بإسمه وعرف هذا البيت بالشيخ توفي.
(3) الشيخ عبد الرحمن بن حسن سنة خمس وثمانين ومائتين وعشر وعشرين. أنظر ترجمته الأعلام 4/70.
(4) هو عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب ص 260-261.
(5) هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب ص 111-112.
بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن ينتبهوا

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى - وقد ذم الله من تلبس بذلك قال:
تعالى: "فلم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن
يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً
بعداً".(1)

قال العامية ابن كثير: بعد أن ذكر أنها نزلت فيمن طلب التحاكم إلى كعب بن
الشرف أو حاكم الجاهلية وغير ذلك قال: "والآية أعم من ذلك كله فإنهما ذاته
عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل وهو المرض بالطاغوت هناء
أخه.(2)

وقد أقسم - الباري سبحة بنفسه - على عدم إيمان من لم يحكم الرسول ﷺ -
تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجروه بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم
حرجاً مما قضيت وتسليموا تسليماً".(3)

قال العامية ابن القيم: "أقسم - سبحة - بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنهي قبله
على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجروه بينهم من الأصول والفراع
وجríاح الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا
التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج، وهو ضيق الصدر وتشير صدورهم لحكمه كل
الإرشاح، وتفسح له كل الإنستاح وتقبل كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً
حتى يضاف إلى مقابلة حكمه بالرضي والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضه
والأعراض فهنا قد يحكم الرجل غيره وقحده حرج من حكمه، ولا يلزم من انطفاء الحرج
الرضي والتسليم والإقبار إذا يحكمه وينتفي الحرج عنه في تحكيمه ولكن لا ينقذ قلبه
ولا يرضي كل الرضا بحكمه، والتسليم أخص من انطفاء الحرج، فالحرج مانع،
والتسليم أمر ووجود ولا يلزم من انطفاء الحرج حصوله بمجرد انطفاؤه إذ قد ينتفي الحرج
ويبقى القلب فارغاً منه ومن الرضا به والتسليم له، فتأمله، وعند هذا يعلم أن الرحب -

---

(1) سورة الناس آية: 60.
(2) تفسير ابن كثير 3/237.
(3) سورة الناس آية: 65.

مباحث العقدية م 17
بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن يختبئ به تبارك وتعالى ـ أقسم على انقضاء إيمان أكثر الخلق وعند الإمتثال تعلم هل هذه الأمور الثلاثة موجودة في قلب أكثر من يدعي الإسلام أم لا؟ اهـ ١)

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله وهذا يخرج صاحب من ملة الإسلام إلى الكفر
 قال ـ تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فآكره هم الكافرون} ٢).

هذا النوع من أخطر الأمور وأعظمها جرماً على من يحكم بغير ما أنزل الله ويقرر شريعة للناس من عند نفسه ويحرم ما لم يأذن به الله ـ تعالى ـ وهذا من نواقض كلمة التوحيد التي هي الشهادة بأن الله هو الإله الذي أتله القلوب بالحب والتعظيم والطاعة والإتقان، ومن أثدها أيضاً مناقض للشهادة بأن محمدًا رسول الله فهو المطاع فيما أمر ونهى عنه وزجر ولههم العباد هذا لما بقي لطاعية في الأرض وجود وله استغاثة مخلوق وهما كانت مكانته أن يضع تشريعًا مضمونه الكفر بالله ويكون سبباً في تنحية شرع الله الحكيم ويرفع من شأن القانون الأثم.

والناظر في حال المسلمين اليوم يجد أنهم اهتمموا اهتماماً بالغًا بالقوانين البشرية وزهدوا في الأحكام السماوية إلا من رحم الله، ونتيجة لهذا الأحرار نزل بهم الذل والهوان وتسبيب الأعداء وسلبهم أراضيهم وقتلوا شيوخهم وأطفالهم وانهوا أعراضهم وذلك بسبب بعد المسلمين عن حكم الله ورسوله وتحكيم ما اختيره العقول الضالة، أصحابها يعادون الإسلام والمسلمين بكل ما أوتوا من قوة ولستنتم إلى ما ذكره ابن كثير في شأن ماح بالمسلمين أيام النتار وذلك عند قوله ـ تعالى ـ: {أفحكم الجاهلية يغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون} ٣).

قال رحمة الله ـ تعالى ـ على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، النافي عن كل شر، وعدل إلى ما سواء من الأراء والأهواء والإصلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهل الملقها، مما يضعونها بآرائهم، وكما يحكم به التيار من سياسات الملكية المعذرة عن ملكهم {جنكيز خان} الذي وضع لهم الياسق {وهو عبارة عن كتاب مجموع}
بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عبده أن يجيبه من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتي من اليهودية والنصارائية، والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره، وهو فصارت في يدي شرعاً منتباً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا يحكم سواء في قليل ولا كثير» أهـ 1). ولقد وضع لنا الشيخ محمد بن إبراهيم (2) رحمه الله تعالى - الاصور التي إن فعلها الحاكم أخرجته من الملة فقال:

الصورة الأولى: إذا جدد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهو معنى ما روي عن ابن عباس واختاره ابن جرير (3) وعوده ما أنزل الله من الحكم الشرعي لا نزاع فيه بين أهل العلم، فإنه من الأصول المقررة المتفق عليها بينهم أن من جدد أصلاً من أصول الدين أفورعًا مجمعاً عليه، أو أتكر حرفًا مما جاء به الرسول ﷺ قطعياً فإنه كافر كفر ينقل عن الملة.

الصورة الثانية: إن لم يجاد الحاكم بغير ما أنزل الله أن حكم الله ورسوله حي ولكنه اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه، وأنه واسمه لما يحتجه الناس وما استجدي لهم من حداث نشأت عن تطور الزمان وتعيير الأحوال فهذا لا يربح في كفره لتفضيلة أحكام المخلوقين التي هي زبالة الأذنان وتحالبة الأفكار على حكم الحكيم الخبير، فإن ماما من قضية كائنها ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله تعالى - سنة رسول الله ﷺ نصاً أو ظاهرًا أو استنباطًا أو غير ذلك علم ذلك من علمه وجهله من جهله.

الصورة الثالثة: أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله ولكن اعتقد أنه مئة وهذا كالنوعين السابقين كافر كفر ينقل عن الملة لما في ذلك من تسوية المخلوق بالخالق.

(1) تفسير القرآن العظيم 2/590.
(2) هو الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ولد سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف هجرية، نشأ في بيت علم وفضل، حفظ القرآن وهو في الحادية عشرة من عمره وفاضل بصره وهو في الرابعة عشرة من عمره فصار واحسب تلفيق العلم على الشيخ معد بن عتيق وتوفي في رمضان سنة ثمانين وثمانين وثلاثمائة وألف وف عن عمر يائز الثمانين عاماً. انظر ترجمته في كتاب علماء تجد للسما 1/88 ولشيخنا عبد المحسن العباد ترجع لهذا العالم الجليل في مؤلف صغير بعنوان «عالم جهيد ولملك فذ».
(3) جامع البيان 6/267.
بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن يحبوه

الصورة الرابعة: من اعتقاد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهو كالذي قبته

الصورة الخامسة: من أعظم ذلك وأظهرها معاناة للشرع ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ورسوله: إيجاد المحاكم الوضعية التي مراجعها القانون الوضعي كالقانون الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو غيرها من مذاهب الكفار، وأي كفر فوق هذا الكفر؟ وأي مناقضة للشهادة بأن محمد رسول الله بعد هذه المناقضة.

الصورة السادسة: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البواذي ونحوهم من حكيمات أبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها «سلموهم» يتواضعون ذلك منهم ويجرون به رغبة وإرادة من حكم الله.

أما الكفر الذي لا ينقل عن الملة: والذي ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بأنه كفر دون كفر قولته أيضاً: ليس بالكفر الذي تذهبون إليه» فذلك مثل أن تحمله شهوره، وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، والعشاء على نفسه بالخطأ ومجانين الهدى وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة فإنه معصية عظيمة أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة وغيرها فإن معصية سماها الله في كتابه كفر أعظم من معصية لم يسمها الله كفر أهوا.

ولخطورة هذا النوع من رؤوس الطواويش أسهمها في الكلام حوله إذ الحكم بغير ما أنزل الله قد وطم الكثير من الكرة الأرضية إلا من رحم الله تعالى - مثل بعض البلدان التي أراد الله لها الخير فتمسك بكتاب ربه وسنة نبيها فحماها الله من الاضطرابات وعمها الخير والراحة.

النوع الرابع من رؤوس الطواويش: من اصطدام الشيطان وأحكمه في شراكه فيديعي العلم بالغيب من دون الله تعالى - وهذا مما اختص الله به دون غيره. قال تعالى:

وَعَنَّاهُ مَفَاتِحِ الْغِيبِ وَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَوْمَ يُقَسَّمُ هُمْ走得 من لون القمر إلا يعلمها إلا هو وعلم ما في البر والبحر وما تسبق من ورقة إلا

يعلمها ولا حجة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا ياسب إلا في كتاب مبين(1).

(1) تحكيم الفواني ص 114
(2) سورة الأعراف آية 59
بيان الطاغوت الذي أوجب الله علية عباده أن يجتيبه

فالعراط والكاهن والمرء والمنفعهم كلهم محادون الله ورسوله إذ أنهم يدعون العلم بالغريبات وذلك تكذيب للقرآن والسنة إذ التصريح فيهما بأن علم الغيب من خصائص الإلهاوية، ومن ادعى علم الغيب فقد أنزل نفسه منزلة الإلهاوية وكل من ادعى ذلك يعد من المردة أهل الفجوء ولو ادعى الصلاح والتقوى فإن ذلك كذب و置いて، لأن التقوى الصالح لا يدعو علم الغيب ولا ينزع الله في روبته ولو ادعى هذا لخرج من الإسلام لأن مدعى ذلك كذب الله ورسوله فقد قال تعالى لرسوله ﷺ: "أمَرَ أَنْ يَقُولَ: "ولو كنت أعلم الغيب لا استثمرت من الخير وما مسي السوء".

وأن يقول: "قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إلا ملك أن أعبد إلا ما بعثني إلى". 1 إلى غير ذلك من الآيات التي تجرد علم الغيب وحده وتتفق عن غيره من الأنباء والمرسلين فضلًا عن غيرهم والذي يتأمل ما عليه الفبوريون من الاعتقادات الباطلة في أن الأولين يعلمن الغيب وأنهم النور الفائض من الله وأن فيهم من صفات الرؤية مثل العلم والقدرة والكرم ولذلك ينزعون إليهم في يسرهم وعسرهم ويبحرونهم كما يحب المؤمنون رحمهم ويدعونهم كدعاء المؤمنين إليهم لا قوة إلا بالله.

النوع الخامس: من رؤوس الطوافتين الذي يعبد من دون الله وهو يصلي بالعبادة

قال تعالى: "فمن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجيزيه جهنم كذلك نجيزي الظالمين". 2


وقيل: عن بهذة الآية إيليس، وقال قائلون ذلك: إنما قلنا ذلك لأنه لا أحد من

1 (سورة الأعراف آية: 188).
2 (سورة الأعام آية: 50).
3 (سورة الأنباء آية: 21).
بيان الطاغوت الذي أوجب الله تعالى عباده أن يجتنبوه:

الملائكة قال: إنِّي إله من دون الله سواه. وروى عن ابن جريج وقَتَةَةً آن الآية خاصَّةَ بَابَليسَ لَهُنَّ دعا إلى عبادة نفس فنزلت الآية في إبليسٍ(1).

والذي نخلص إليه مما قدمنا ذكره أن الطاغوت شاطل لكل معبود دون الله وكل رأس ضلال يدعو إلى الباطل ويزينه لمتبعيه كما أنه يشمل كل من نصبه الناس للحكم بينهم، فحكم بأحكام الجاهلية المنتدبة لحكم رب العالمين وحكم رسوله الأمين السليمان، فالحاكم بيغير ما أنزل الله طاغوت لأنه نصب نفسه منصب الإله المشرع، وهنا يظهر معنى مجاوزة الحد في معنى الطاغوت فإن الحاكم ملزم بأن يقيد بأحكام الرب سبحانه الذي أزلها عبيده وأوضحها لهم فعليه أن يطبقها في غايته من الدقة والتحري سواءً بسواً وإذا ما عدل عنها وحكم برآية وهو فإن نزل نفسه منزلة الإله المشرع لخلقه وتجاوز حد الحدود له من كونه عبداً لله يئذى أحكامه إلى إله مشرع يحكم بما يريد فتجاوز حد العبودية إلى منزلة الألوهية فصار بذلك طاغوتاً لتجاوز حد الحد الذي حد له، كما أنه يدخل في معنى الطاغوت الكاذب والساحر وسدناء الأوثان الداعين إلى عبادة المقربين لأنهم ينسجون من الحكَّاجات المضللة للجهال والموهبة بأن المقرب وتحريه يقضي الحاجات للذين يقصدونه ويتوجهون إليه وأنه فعل كذا ولهذا مما هو كذب صريح، أو هو من فعل الشياطين.

ويتمل هذه الأكاذيب والأباطيل يوقعون الناس في الشرك الأكبر ولواحقه. فكلما صرف الناس عن عبادة ربهم وطاعته فهو طاغوت. فالأوثان والمشاهد والأشجار والقباب التي تعد من دون الله إما هي طوايت لأنها صرفت الكثير من الناس عن عبادة ربهم بحيث صرفوا بها كثيراً من أنواع العبادات وأغلبهما. وأصل أنواع الطوايات كلها وأعظمها إبليس فهو الطاغوت الأكبر والعدو الأعظم لأنه يصرف الناس عن عبادة خالقهم ويغويهم فيبتدون غير الله ويسكونون الدماء ويحلون الحرام ويحرمون النحل نسأله - تعالى - أن لا يجعل للشيطن علينا سبيلًا(2).

(1) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن 17/17.

(2) انظر الرسالة الثالثة "تعريف العبادات وتوجيهها وإخلاص" للمشير عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطن. ضمن مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعض آثاره وأحاديثه ص 401.
المبحث العاشر
عبودية الإنسان

إن الإنسان نوع من أنواع العبادة التي لا تصح إلا الله سبحانه - ولا يجوز صرفها إلا له وحده لا شريك له وقبل أن نذكر الآيات الواردة في السورة التي ذلت على أن الله تعالى - تعبد به عبادة نذكر تعريفها في اللغة والشرع حتى يعرف الإنسان حقيقتها ويجدها إلى ربه جل وعلا -.
أما تعريفها في اللغة:

فقد جاء في الصحيح للجوهر: «وأناب إلى الله تعالى - أقيل وتتاب»(1) وجاء في القاموس: «وأناب زيد إلى الله - تاب -» (2)

(1) 229/1 (2) 140/1 (3) 226/2 (4) الآية رقم (32) من سورة الروم. (5) 776/1
وأما تعرفها في الشرع:
فقد ذكر لها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى تعريفين:
فقال: «الإبانة هي: عكوف القلب على الله وعز وجل ك اعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال، والتعظيم و عكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له، والمتبغبة لرسوله، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على النماذج المتنوعة كما قال إمام الحنفاء ما هذه النماذج التي أتمنى لها عاكسون؟ (1) فكان حظ قومه العكوف على النماذج وكان حظه العكوف على النماذج الجليل (2)».

قال رحمه الله تعالى لها تعريف آخر:
والإبانة الجلوم إلى الله وانصارف دعائي القلب وجوائزه إليه وهي: تتضمن المحبة والخشية فإن المنبج محب لمن آتاهه خاضع له خاشع ذيل (3)».
وقد دلت سورة الزمر على أن الإبانة عبادة الله وعز وجل في ثلاث آيات منها: قال تعالى: «وإذا مس الإنسان ضر دعاه بنبيه إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل الله أنداد ليضل عن سبيله قيل تمتع بكفره قليلاً إنك من أصحاب النار».
و قال تعالى: «والذين اجتبنوا الطاغوت أن يعبدوا وأنابوا إلى الله لهم البشري فبشر عباد».
و قال تعالى: «أنيبوا إلى ركض وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا ننصرون».
فهذه الآيات الثلاث دلت على أن الإبانة نوع من أنواع العبادة التي يجب إخلاصها.

(1) سورة الأنبياء آية: 52.
(2) الفوائد ص: 190.
(3) طريقة الهجرتين ص: 173.
فالآية الأولى: وهي قوله تعالى: "وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه" الآية: فقد أوضح الله تعالى فيما في نفسه، أو ماله، أو لده فإنه يلجب إلى الله عز وجل منيباً إليه، وتعلقه المضرة إما في نفسه، أو ماله، أو لده، فإذا ما تفضل الله عليه بالنعم، والعطاء والرحمة، ربي - الذي أتب إلهه وقت الشدة ونسي حالته التي كان عليها في حال الشدة فجعل الله الشركاء والأنداد فيبعدهم مع الله عز وجل أوصوا بهم دونه بالعبادة ليضل نفسه وغيره عن دين الحق والتوحيد الذي هو الطريق الموصل إلى الله سبحته.

قال العلامة ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: "وإذا مس الإنسان" بالله في جسد من مرض، أو عاهة، أو شدة في معيشته وجه وضيق" (دعارة). يقول استغاث برهر الذي خلقه من شدة ذلك ورغب فيه كشف ما نزل به من شدة ذلك، وقوله: "منيباً إليه" يقول: تأتيه إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به، ويشراك الألهة والأوثان في عبادته، راجعةً إلى طاعته" (1).

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى: "والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشري فيشر عباد".

فهذه الآية: إخبار من الله جل وعلا أن البشرى منه إما هي لأهل الإنابة الذين أتبابوا إلى الله بعبادته وإخلاص الدين له فانصرفوا دواهم عن عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات والبشارى التي ذكرها الله تعالى - لأهل الإنابة لا يعلم وصفها إلا هو سبحانه و تعالى. وهي شائمة للمبشرى في حياتهم الدنيا بثناء الحسن، وتكلؤهم عناية الله التي يحمون من خلالها أنهم إذا قدموا على رحب فهم عنده الكرامة في الدار الآخرة بحيث يحل عليهم رضوانه وبره وإحسانه وآمنه في الجنة، وما أعظمها من كرامته التي لا تساويها أي كرامه.

قال العلامة عماد الدين ابن كثير: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه: "والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها" نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلامان الفارسي رضي الله تعالى عنهم، والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتهذ عبادة

199/23 جامع البيان
الوءان وأتباعه إلى عبادة الرحمن فهؤلاء الذين لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة
(1)
وأما الآية الثالثة: وهي قوله تعالى: ويأتينا إلى ربك وأسلاموا من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون.

فهذى الآية تضمنت الأمر من الله تعالى -لجميع عبادة إليه وحده دون سواه، وأن يسلموا وأنفسهم وقوموها وينقادوا الهانئين -تأماظر آباؤنا وساعة عقوتها ورضاعها، لأن ينزل بهم العذاب فلا يجدون من ينصرهم من دونه ويدفع عنهم عقابه لأنهم لا طاقة لأحد في مواجهة عذاب الله الذي يحل بالمتمردين على أواره ونواهيه.

قال العلامة ابن جرير حول قوله تعالى: ويأتينا إلى ربك وأسلموا له: يقول تعالى ذكره: وأقبلوا أيها الناس إلى ربك بالتوبى وارتجعوا إليه بالطاعة واستجيبوا له إلى ما دعواه إليه من توحيده، وإفراد الألوهية له، وإخلاص العبادة له ... إلى أن قال: قال ابن زيد: الإناية: الرجوع إلى الطاعة، والنزوع عما كانوا عليه (وأسلماهم له) يقول: واخضعوا له بالطاعة أه (2).

فتبين من الآيات الثلاث الواردة في السورة في شأن الإناية، أن الإناية نوع من أنواع العبادة يجب على العبد أن يحققها ويجعلها من خلال حقه... تعالى - فلا ينطبق إلا إلى ربه، ولا يتوب إلا إليه لأن معفرة الذنوب من حقه... تعالى - وليس لأحد سواء من ذلك شيء.

الإناية نوعان:

النوع الأول: إناية لربوبية - تعالى - وهي إناية كل المخلوقات وهذا النوع مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر قال تعالى: فإذا سس الناس ضر دعوا ربهم منيين إليه (3) فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع وهذه الإناية ليس من مستلزماتها الإسلام، بل تجمع مع الشرك والكفر كما جاء في تبام هذه الآية (فم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون - ليكفروا بما أذنوا به) فهذه حالهم بعد الإناية.

1. تفسير القرآن العظيم 84/6، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 244/15.
2. جامع البيان 24/17.
3. سورة الروم آية: 33.
4. سورة الروم آية: 34.
الموضوع الثاني: إبّانة أولياء الله الموحدين المخلصين المتقدّمين وهي إبّانة إلهيّة،
إبّانة عبودية، ومحبة وهذه تتضمن أربعة أمور:
الأمر الأول: محبة الله تعالى.
الأمر الثاني: الخضوع له سبحانه.
الأمر الثالث: الإقبال عليه دون سواء.
الأمر الرابع: الإعراب عمّاس سواه تعالى - ولا يستحق اسم "المنب" إلا من
اجتمعت فيه هذه الأمور الأربعة، وتفسير السلف لهذه النفظة يدور على ذلك، وفي
اللفظة معنى الإسراع، والرجع والتقدم و"المنب" إلى الله المسرع إلى مرضاته الراجع
إليه كل وقت، المتقدم إلى محبه(1) اهـ. وعندما تصفح كتاب الله الذي أنزله الله معهظة
للناس وشفاء لما في الصدور وهدى، ورحمة لعباده المؤمنين نجد أن الإبّانة أخر وصف
أثني الله به على أنيائه عليهم الصلاة والسلام، وجعلها - سبحانه - من أبرز صفات عبادة
الموحدين.
قال تعالى في معرض ثنائه على خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: "إني إبراهيم
لحيّم أواه منب"(2). فلقد وصف الله إبراهيم بثلاث صفات في هذه الآية آخرها الإبّانة.
وقال تعالى عن نبيه داوود عليه الصلاة والسلام: "فاستغفر ربه وخر راكعًا
وأناب"(3).
وفي هذه الآية أيضاً: وصف الله نبيه داوود عليه الصلاة والسلام بثلاث صفات آخرها
الإبّانة.
وقال تعالى حكايّة عن نبيه شعيب عليه الصلاة والسلام: "وما توفّيقي إلا بالله عليه
توكلت وإليه أنب"(4)، وأخير - تعالى - أن آيته الدالة على روبّيته وألوهيته إنما يتصريّبها
وينذك أهل الإبّانة قال تعالى: "أفلم ننظر إلى السماء فوقهم كيف بنيها وزيناها وما لها

(1) سورة هود آية: 75.
(2) سورة هود آية: 24.
(3) سورة سج آية: 88.
(4) سورة سج آية: 88.
من فروج* والأرض مدنناها وألفينا فيها رواسي أوبنتنا فيها من كل زوج بهج** نبضاً
وذكرى لكل عبد منيب (1).

وقال تعالى: "هو الذي يريكم آياته ويزن لكم من السماء رزقاً وما يتذكروا إلا من
نبيهم" (2).

وقال تعالى مخاطباً نبيه عليه الصلاة والسلام وأماته تبع له في ذلك: "فأقم وجهك
للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين فيهم ولكن أكثر
الناس لا يعلمون مننبيين إليه واتقوه وأظموا الصلاة" (3).

وقوله "منبيين إليه" في إعرابها ووجهان:

الوجه الأول: إما أن تكون منصوبة على الحال من الضمير المستقر في قوله ( فأقم
وجهك) إذ الخطاب له ولأمته أي أقم وجهك أنت وأمتك منبيين إليه ومثل هذا قوله تعالى:
"يا أبا النبي إذا طلقت النساء" (4).

الوجه الثاني: أن تكون حالاً من المفعول في قوله تعالى "فطر الناس عليها" أي
فطرهم منبيين إليه فلو تركوا وطرهم لما حادت عن الأنبياء ولكنها تنحرف وتنفس فطرت
نتيجة للمؤثرات الخارجية. قال: "كل مولود يولد على الفطرة فأبوه يهدوه أو
ينصراته، أو يمجساه" (5) وقوله عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى: "خلقت عبادي
حتفاء كلههم وأتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم" (6) وقال: "ما من مولود إلا يولد
على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إذا أعلم عنه لسانه إما شاكراً وإما كفراً" (7).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فالفس إذا تركت كانت مقرة الله"

(1) سورة فقيه آية 6-8.
(2) سورة غافر آية 13.
(3) سورة الروم آية 30-31.
(4) سورة الطلاق آية 1.
(5) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ج:1/240 وصحيح مسلم 4/477.
(6) رواه مسلم من حديث عياض بن حماد المجاشعي: 4/1197.
(7) رواه أحمد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: 3/253.
بالإلهية محجة له تعدد لا تشرك به شيئاً ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الإنس والجَن بما يوجب بعضهم إلى بعض من الباطل» (1).

ولقد أعلمنا سبحانه أن شوابه العظيم وجوته التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إنما هي لأهل الخشية والإثابة قال تعالى: {وأزلفت الجنة للمتقين غبر يعد} هذا مما توعدوه لكل أواب حفظ من خشى الرحمن بالغيب وفاء بقلب منيب {أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود} (2).

ومن علامة إسقاء الله تعالى - عهد أن يرزقه الإثابة والرجوع إليها سبحانه - ومن علامة الشفاعة للعبد أن يجوزه الشيطان فتكون محجةً بعمله ولا ينسب إلى ربه. روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {لا تنها الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويزرعة الله الإثابة} (3).

مراتب الناس في الإثابة:

إن الناس على مراتب في إثابتهم إلى الله تعالى - وأنهم فيها على درجات متتالية.
فهم متربعون في رجوعهم إلى ربهم الذي خلقهم ورزقهم من حيث السداق لهم وهم أقطام.

القسم الأول: من ينبب إلى الله سبحانه - بالرجوع إليه من الخلفيات والمعاصي.

وعلى أن هذه الإثابة منيعة مطالعة الوعد الذي أعد الله للمخلوقين العصاة والباحث عليها العلم والخشية والحذر.

القسم الثاني: من الناس من ينبب إلى الله ﷺ - عزوجل - بالدخول في أنواع العبادات والقربات،
وعلى أن هذا الصف يسعى بجد واجتهاد لأن فعل الطاعات وأنواع القراب محب إليه،
وعلى أن هذه الإثابة مصدرها الرجاء ومطالعة الوعد، والثواب ومحبة الكرامة من الرِّب - سبحانه -
وعلى أن هذا الصف من الناس هو أسطف نفوذًا وأشرف من القسم الأول لأن جانب الرجاء ومطالعة.

(1) مجموع الغزالي: 270/14.
(2) سورة فاتحة: 14.
(3) المسند: 322/332، الجامع لأحكام القرآن للفرطني.
الرحمة والمنة أغلب عليهم وإلا فكل من الفريقين منيب إلى الله بالأمرين معًا ولكن خوف
هؤلاء دخلى رجائمهم فأتاتوا إلى الله بالعبادات وأنواع الفرائض والطاعات، ورجاء
الفريق الأول اندوك تحت خوفهم فكانت إنباتهم إلى الله بترك المخالفات.

القسم الثالث: من الناس من ينبي إلى الله بالدعاء والتضرع والإفتقار إليه والرغبة
وسؤال الحجات كلها منه ومصدر هذه الإنباة أنهم شهدوا الفضل والمنة والغنى والقدرة
والفكر فأنزلوا بالله حواتهم وعلقوا به أمثالهم إنباتهم إلى الله من هذه الجهة مع قيامهم
بالأمر والنهي، ولكن إنباتهم الخاصة إنما هي من هذه الجهة، وأما الأعمال التي
يعملونها، فلم يرزوا فيها الإنباة الخاصة، وأملهم الإنبابة إلى الله عند الشدائد والضراء.
فقط، إنباتهم الضرورة لا إنباة اختيار ورغبة وحلامهم كان الذين قال الله تعالى في
شأنهم: [(وإذا مسكون الضر في البحر ضل من تدعو إلا إياه)] (1) وقوله تعالى: [(فإذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) (2)] وهؤلاء كلهم قد تكون نفس أرواحهم
منصرفة عن الخالق سباحة معرضة عنه إلى ملؤف طبيبي نفسياني صار حائلا بينا وبين
إباتهم بذاتها إلى معبدها الحق وإلهاها الحق فهي ملتقة إلى غيره، ولها إليه إنباة ما يحسب
ما عندها من الإيمان بالله ومعرفتها له، فأعلى أنواع الإنبات إنباة الروح بجملتها لشدة
المحبة الخالصة المغنية لهم عما سوى محبوبهم ومعبودهم، وحين أتبت إليه أرواحهم لم
يتخلف منهم شيء عن الإنبابة إذا أناب العبد إلى ربه بروحه إنباة صادقة المحبة فإن جميع
قواه وجواهره ستكون منبية إلى الله تبعا لروحه.

فينيب القلب: بالمحبة والتضرع والذل والإنكار.

فينيب العقل: بانفعاله لأوامر المحبوب ونواهيه وتسليمها لями وتحكيمه إياه دون
غيرها، فلم بيق في منازعة شبهة معترضة دونها.

فينيب النفس: بالانقياد والإخلاص عن العوائد النفسانية والأخلاقي السائدة
والإرادات الفائضة، فتنقاد لأوامر الله، وتتخضع له، ولم يبق فيها منازعة شهوة تعارضها دون
الأمر.

(1) سورة (الإسراء: آية 67).
(2) سورة (العنكبوت: آية 65).
وبنات الجسد: في الأعمال ويقوم بها فرائض وسننًا على أكمل الوجه، فلم يبق في
العبد عضولاً جارحة إلا وأناب إنشابه الخاصة فعند ذلك لم يبق في العبد المنيب هذه
الإنبذة عرق ولا مفصول إلا ولإنبذة ورجوع إلى الحبيب الحق الذي كل محبة سوى محبته
عذاب على صاحبها، وإن كانت عذبة في مبادئها فإنها عذاب في عواقبها (1).

وخلاصة القول مما تقدم أن من المقطوع به يقينًا أنه لا يوجد في الخلق أجمعة من
يعطي، أو يمنع، أو ينفع، أو يضر إلا بإذن الله، ولا من يسعد أو يشقي إلا الله، فعلى هذا
يكون من غير المعقول ولا المقبول أن يناب العبد إلى غير الرحب．سبحانه وتعالي، رغبة
أورهبة، خوفًا أو طمعًا، ولو حصل ذلك كانت الإنبذة إلى غير الله．سبحانه وتعالي باطلًا
وشرعًا، وكان من أناب إلى ذلك الغير ابتداء حصول خير منه، أو خائفة من سخطه، أو
عقابه، فقد أشرك مع الله غيره فيما هو من خالص حقه．سبحانه وتعالي -

سما الإله السلمة من ذلك.

(1) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص 173 - 174 بتصريف.
المبحث الحادي عشر
عبودية التوكل

قبل أن أذكر دلالة السورة على عبودية التوكل أذكر تعريفه في اللغة والإصطلال كما هو الشأن في المباحث التي تقدمت ولكي يفهم الإنسان - التوكل - الذي فرضه الله على جميع عباده وأمرهم أن يخلصوه له - وحده لا شريك له.
أما تعريفه في اللغة:
فقد جاء في الصحاح: «التوكل إظهار العجز والإعتماد على غيرك والإسم التكلان»، واتكلت على فلان في أمري إذا اعتمدته(1).
وأما تعريفه اصطلاحاً:
فمن خلال معرفة التوكل في اللغة نعرف حقيقة التوكل. اصطلاحاً فان التوكل على

(1) 1845/5/18، وانظر القاموس 4/27.
(2) لسان العرب 11/114، وانظر فتح الباري 11/1205، تيسير العزيز الحميدص 437.
(3) 2/270.
عبودية التوكل

الله: هو الثقة به، والإعتماد عليه, وتفويض الأمر إليه, والإستعانة به في كل شأن, والإيقان بأن قضاءه نافذ, والبسط بينه من المستمع والملبس والمسكن, والإحتراس من العدو مطلوب كما هو منهج الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.
قال العلامة ابن القيم معرفاً التوكل:

"هو اعتقاد القلب على الله وحده، فلا يضفره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الإعتماد عليها، والركن إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله مع إعتماده على غيره وركونه إليه، وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إقرار القلب شيء، وتوقيع القلب وإن لم ينطق اللسان شيء فقوله: توكلت على الله، مع اعتقاد قلبه على غيره مثل قوله "ثبت إلى الله، وهو مصر على معصيته مرتكب لها".

وقد دلت السنة على أن التوكل عبادة تعبد الله به عبادة وأمرهم بأن يعتمدوا عليه وحده دون سواه في آيتين منها:
قال تعالى: "أليس الله بكاف عبده ويخفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فما له من حساب".
وقال تعالى: "ولكن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولون الله إذ أقرأتم ما نذرون من دون الله إذ أرادني الله بضررب هن كاذبات ضرر أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قال حسب الله عليهم يتوكل المتكولون".
هاتان الآيتان: من السورة بينما أن الله تعالى هـ الكافي وهو الذي يتوكل عليه وحده لا شريك له.
فالآية الأولى: وهي قوله تعالى: "أليس الله بكاف عبده الآية بين الله تعالى فيها بأنه سبحانه عبده ورسوله محمدًا، كل ما أهله في أمره ودونه ويدفع عنه كل من أراده بسوء كائناً من كان وما دام الله هو الكافي لعبده فمن الضلال والغغني أن يخوذه المشركون ب أصحابهم وأونائهم أن تناه بسوء إذ أنها جمادات لا تقدر على جلب نفعه، أو ودعه ضر بحال من الأحوال.

(1) ألفوندص 86.

مباحث المعينة م 18

وقال أبو عبد الله الفزائي: «قراءة العامة «عبده» بالتوحيد يعني محمدًا يكفيه الله وعبد المشركين وكيدهم، وقرأ حمزة والكسائي «عبادة» وهم الأنياب أو الإنابء والمؤمنون بهم» أي: (3).


قال ابن جبريل: «قل حسبي الله مما سواء من الأشياء كلها إياه أعباد وإليه أنزاع في أموري دون كل شيء سواء فإنه الكافي وبيده الضر والتفع لا إلى الأنصام والأوشن التي لا تضر ولا تتفع «عليه يتوكل المتولكون» يقول: على الله يتوكل من هو متولى وبه فليتق لا بغيره» أي: (4).

وقال الرازي: حول الآية: «وإذ أثبت أن هذه الأنصام لا قدرة لها على الخبر والشر، وإذا كان الأمر كذلك كانت عبادة الله كافية، وكان الاعتماد عليه كافياً وهو المراد من قوله: (5)

 barrage 24/7

(1) جامع البيان ۵/۶۰.
(2) تفسير القرآن العظيم ۹۴/۶.
(3) جامع لأحكام القرآن ۵/۲۵۷.
(4) جامع البيان ۲۴/۷.
فقيل حسب الله عليه يتوكل المتواكلون. فإذا ثبت هذا الأصل لم يلفت العاقل إلى تخويف المشركين. فكان المقصود من هذه الآية هو التنبية على الجواب فما ذكره الله تعالى قبل هذه الآية وهو قوله تعالى: "ويخفونك بالذين من دونه.« (4). هـ.

وما تقدم يتبين لنا أن المشركين لم حكموا اعتقالهم في شأن أصنامهم لم يعرفوا أن تخويفهم الرسول ﷺ بها لا قيمة له ولا معنى، إذ هم يعلمون أنها لا تقدر على جلب النفع ولا تدفع الضرب بحال ولذلك جاء الوحي الإلهي بأنه لا كافي إلا الله، ولا قادر على كل شيء سواء، ولا عالم بكل شيء غيره، وبذلك كان التوكل على غير الله باطلًا وشركًا فالمشورة بنبت بأن الكفاية لله وحده والاعتماد عليه دون سواه لأنه قادر على كل شيء والمحيط بكل شيء علمًا.

وقال فرض الله التوكل على عباده وأوجب عليهم أن يخلصوه له وحده لا شريك له لأنه من أفضل العبادات ومن أجل مقامات الدين ولا يوفق للقيام به على وجه الكمال إلا أولباء الله وحوزبه المؤمنون ومنما يدل على فرضيته أن الله تعالى - أميره - في موضع كثيرة من كتابه المنزل على رسوله ﷺ. قال تعالى: "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين" (5). قال ابن القيم: فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان فدل على انطفاء الإيمان عند افتنائه. أ. هـ (6).

قال صاحب قصة عيون الموحدين (7) حول شرحه للآية السابقة: "وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فرضه يجب إخلاصه لله لأنه من أجمع أنواع العبادة الباطنة فإن تقديم المعمول يفيد الحصر فلا يحصل كمال التوكل لأنواع الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله كما في هذه الآية. أ. هـ (8).

ومما دل على فرضية التوكل أن المولي - سبحانه - جعله من شروط صحة الإسلام والإيمان، والمفهوم من ذلك انطفاء الإسلام والإيمان عند عدم التوكل قال الله تعالى فيهما.
حكاية عن نبي موسى عليه السلام: «وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكولوا إن كنتم مسلمين» (1). وقال تعالى: "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين" (2). فهياتان الآيتان دلتا على أن صحة الإسلام والإيمان متوافقة على صحة التوكل.

وقال تعالى: "فتوكل على الله إنك على الحق المبين" (3). وهذه الآية فيها الأمر بالتوكل على الله، وأردف هذا الأمر بما هو الموجب للتوكل والمصحح له وذلك ما تضمنه قوله تعالى: "إنك على الحق المبين" فإن العبد إذا اتبع الحق وسار عليه كان مقتضى ذلك تحقيق مقام التوكل على الله - عز وجل - والإكتفاء به، والابتعاد إليه دون سواه فإنه تعالى - هو الحق وهو ولي الحق والنصير وكلامه وكافي من قام به، فعلى صاحب الحق أن يقوي توكله على الله، ولا يخف لأنه على الحق، ويعتبر بالرسل الكرام الذين قال الله عنهم: «وما لنا إلا نتوكل على الله وقد هدناؤا سبلنا» (4) فتعجبوا من تركهم التوكل على رب العالمين وقد من عليهم بالهدية، وأخبروا بأن ذلك لا يكون أبداً وهذا من أبرز الأدلة على أن الهدية والتوكيل متلازمان.

وقال تعالى: "وعلى الله فليتوكل المؤمنون" (5) «في هذه الآية دليل على أن التوكل على الله عبادة، وعلى أنه فرض، وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شريك» أ.ه. (6).

ولقد جمع الله في كتابه العزيز بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان وبين التوكل والعدة، وبين التوكل والثقة، وبين التوكل والهدية، وما ذلك إلا لتأكيد عبودية التوكل على كل إنسان، ولعلم أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس فكم لا يقوم الرأس إلا على البدن فذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل.

(1) سورة بني سيد: 84.
(2) سورة المائدة: 23.
(3) سورة النمل: 69.
(4) سورة إبراهيم: 11.
(5) سورة إبراهيم: 12.
(6) تيسير العزيز الحميد ص 439.
أما الجمع بين التوكل والعبادة فقد ورد في كتاب الله تعالى في مواضع سبعة.

أوقدها: في أم القرآن قال تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) (1).

ثانيها: ماحكاه الله من نبيه شعيب عليه السلام وما توفيقي إلا بالله عليك توكلت وعليه أنيب (2).

ثالثها: ما حكاه الله عن أوليائه وعباده المؤمنين حيث قالوا: (ربنا عليك توكلت وعليك أنت وأليك المصير) (3).

رابعها: قول الباري سبحانه: مخاطباً خاتم الأنبياء والرسلين وذكر اسم ربك وتبت إليه تبتلاً، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذته وكيلاً (4).

خامسها: قوله تعالى: (وَلَهُ الْحَمْدُ الْكَامِلُ وَإِنَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحُquivos وَرَبُّ الْعَزَّةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ) (5).

سادسها: قوله تعالى: (فأقموا الصلاة وآتينا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم الموالي ونعم النصير) (6).

سابعها: قوله تعالى: (قل هو برب لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متب (7).

فهذه سبعة مواضع جمع الله فيها بين أباها في الوسيلة والغايية فالوسيلة هي التوكل والغاية هي الإنصب، فإن الإنسان لا بدله من غاية يطلبها، ووسيلة توصله إلى تلك الغاية، وأشرف غاية للإنسان وأجلها في هذه الحياة هي أن يعبد رب ويبني إليه، ومن أعظم الوسائل التي لا وسيلة سواهما التي أن يтолك العباد على الله ويستعين به، ولا سبيل له إلى تحقيق عبودية الله والإنصب إليه إلا بهذه الوسيلة.

---
(1) سورة الفاتحة آية: 5.
(2) سورة هود، آية: 88.
(3) سورة المنتنة آية: 44.
(4) سورة الرمأل آية: 48.
(5) سورة هود، آية: 123.
(6) سورة الحج، آية: 78.
(7) سورة الرعد، آية: 30.
وأما الجمع بين التوكل والإيمان فقوله: سبحانه وتعالى: «قل هو الرحمن أمنا به وعلى توكلك فستعلمون من هو في ضلال مبين»

وقوله: «الله لا إله إلا هو وعلي الله فليتوكلك المؤمنون».

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «فذكر اسم الإيمان هنا دون سائر أسماهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل، وإن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإمام ولا أبد».

وأما الجمع بين التوكل والإسلام: فمثل قوله تعالى: « وقال موسى يا قوم إن كنتم أمنتكم فالله فعليه توكلو إن كنتم مسلمين».

ومثال الجمع بين التوكل والنقوة: ففي قوله تعالى: «ومن يتبق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن توكله على الله فهو حسبه».

وأما اقتران التوكل بالهدية ففي قول رسول الله عليهم الصلاة والسلام لأمهم: «ولنا ألا تتوكل على الله وقد هدانا سبئنا».

فالعبد إذا سلك طريق الحق والهدى يكون قوياً في توكله عليه ربه ببركة وتعالى ومن استمع على ربه كفاه كلما أشبه وما لم يسمع قال تعالى: «يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» 

أي: الله وحده كافية وكافي أنابعك فلا تحتاجون معه إلى أحدث.

وقيل: المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون، وهذا خطأ محض لا يجوز حمل الآية

والمراجع:
(1) سورة الملك آية: 29.
(2) سورة النذور آية: 34.
(3) طريق الهجرين ص: 255.
(4) سورة بورس آية: 84.
(5) سورة الطلاق آية: 2-3.
(6) سورة إبراهيم آية: 12.
(7) سورة الأنفال آية: 64.
عبداً التوكل

على فإن الحساب والكفاية لله - وحده - كاليه التوكل والتقوى والعبادة قال تعالى: (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك هو الذي أبدك بنصره وبالمؤمنين) (1).

ففرق بين الحساب والتأيد فجعل الحساب له وحده وجعل التأيد له بنصره وبعباده، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفرده بالحسب فقال تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (2).

ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله فإذا كان هذا قولهم ومدح الرسول - تعالى - لهم بذلك فكيف يقول لرسوله: الله وأتباعك حسبك؟ وأتباعه قد أفردوه بالحسب ولم يشركوا بينه وبينرسوله هذا من أنفسه وابن البتال، ونظر هذا قوله تعالى: (ولآنهم رضوا ما آتائنا الله ورسوله وقولوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسله، إننا إلى الله راغبون) (3).


أقسام التوكل على الله - تعالى -

التوكل على الله - تعالى - نوعان:

أحدهما: توكليه في جلب حوائج العبد وحظره الدينوية أو دفع مكروهاته ومصائب الدينوية. وهذا النوع وإن لم تكن غايته المطلوبة عبادة لأنها محضة حق العبد إلا أن التوكل على الله في حصولها عبادة لأن العبد أنشأها لمصلحة دينه ودنياه.

(1) سورة الأنفال آية: 22.
(2) سورة آل عمران آية: 173.
(3) سورة النور آية: 59.
(4) سورة الحج آية: 7.
(5) سورة النور آية: 59.
(6) سورة الإسراء آية: 8-7.
(7) زاد المعاد 11-17/11-12.
عبودية التوكل

الثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ورضاه من الإيمان والقيم والجهاد والدعوة إليه. فغايته هذا النوع عبادة وهو في نفسه عبادة فإن العبد استعان بالله على ما يرضى به فصاحبه محقق بإياك نعبد وإياك نستعين فإن تركه فقد ترك شرده، وبين هذين النوعين من الفضل ما يحبه إلا الله تعالى - فتمت تولك عليه العبد في النوع الثاني حق تولك كفاء النوع الأول تمام الكفاية وتمت تولك عليه من النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً، لكن لا يكون له عاقبة المشوكل فيما يحبه ويرضاه، فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد و手続き الرسول وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسول وخاصة أتباعهم(1).

وأما التوكل على غير الله تعالى - فهو أيضاً نوعان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كاذين تتوكلون على الأمون والثاني: التوكل على الأحياء الحاضرين من ولاة الأمون وهو فيهما قدرة عليه من رزق أو وفع أدى ونحو ذلك فهذا شرك حتمي في الأسباب العادلة الظاهرة وهو أيضاً نوع شرك أصغر. والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان أخاه في فعل ما يقدر عليه نياة عنته ولكن ليس الاعتماد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله في تسيير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ولا يعتمد عليه بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب(2).

والتوكل على الله تعالى - فضل عظيم وثواب جزيل في الدنيا والآخرة وقد جاء في الكتاب والسنة الكثير من ذلك.

فمن فضائله أن صاحبه موسوم بمحبة الباري - سبحانه وتعالى - وأكرم بمقام موسوم

(1) الفوائد ص 265، طريق الهجرتين ص 36.
(2) تبيير العزيز الحميد ص 329، ونظرية عيون الصحيحين ص 205 ونظر فتح المجيد ص 290. ط: السلفية.
صاحب بمجبة الله - عز وجل - قال تعالى: »فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين« (1) ، ومن أحبه الله تعالى - ناله كل خير ، ومن أغبضه فأي خير تئله؟

وبه فضائله أن الله تعالى - ضمن الكفاية لمن توكّل عليه.

قال تعالى: »ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتولّى على الله فوهسه« (2) ، ومن كان الله حسبه وكفيه ومرايديه فقد ظفر بفؤوز عظيم ، فالله وحده هو الذي تطلب منه الكفاية - وحده - ومن طلبها من غيره له الخيرة والخسارة.

قال الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:


وعلى هذا نقول: فمن كفاه الله - تعالى - ووقاه فلا يكون هناك سبيل لعدوه في أن يطمئن في الإضراب به أو التنكيل به لأنه جعل الله ملجأه وعادته فهو الذي يكفيه كل مهمة ويسرف عنه كل بلية.

قال ابن الفقيه رحمه الله تعالى: »وأخير: أن كفاهته لهم مقرونة بتوكّلهم عليه وأنه كاف من توكل عليه وحبسه وجعل لكل عمل من أعمال البر ومقام من مقامات جزاء ألمعوماً ، وجعل نفسه جزءاً المتوكل عليه وكفاهته فقال: »ومن يتق الله يجعل له مخرجًا« (6) ، ومن يتق الله يكفر عنه سياساته« (7) ، ومن يتق الله يجعل له من أمره

---

(1) سورة آل عمران آية: 159.
(2) سورة الطلاق آية: 2.
(3) سورة هود آية: 32.
(4) سورة المجتمعة آية: 44.
(5) مجموع الفتاوي 565/16.
(6) سورة الطلاق آية: 2.
(7) سورة الطرق آية: 5.
يسراً(1). ﴿ثم قال في التوكل (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)﴾(2) فانظر إلى هذا الجزء الذي حصل للمتوكل ولم يجعله لغيره، وهذا يدل على أن التوكل أقوى السبل عند الله وأجمه عليه وليس كونه وكيل الأمور إلى نفسه لأن العباد إذا علم ذلك وتحقيق معرفة: صارت حالة التوكل قطعاً على من هذا شأنه لعله بأن الأمور كلها موكولة إليه، وأن العباد لا يملك شيئاً منها﴾(3).

ومن فضائله أنه من صفات أولياء الله وخاصته وهم المؤمنون به حقاً: وفي مقدمتهم أنبياء الله ورسله قال تعالى: ﴿إذا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلّت قلوبهم وإذا تلبت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربه يتولون﴾(4) فهذه الآية فيها دليل على انحصار المؤمنين الكامل فيمن تلبت بهذه الصفة. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ﴿الموافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتولون على الله، ولا يصبون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة مالاً، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين﴾، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إذا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلّت قلوبهم وإذا تلبت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾(5).


وقوله تعالى: (وعلى ربه يتولون) بين بأن المؤمنين لا يستمدون بقولهم إلا على ربه ويفوضون إليه جميع أمرهم، فلا يرجعون سوى ولا يقضدون إلا أبحاهم ولا يرغبون إلا إليه مع يقينهم بأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه صاحب التصرف في الملك وحده والمستحق للعبادة دون سواه.

وقال في ﴿ففتح المجيد﴾: ﴿وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بششان مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان، وحصول أعمال الباطنة والظاهرة﴾(7).
وقال تعالى في وصفه رسوله ونبيه بالتوكل عليه:

وَلَا تَتَوَكَّلُوا عَلَى الْجَمِيعِ (1) فَهَذَا الْآيةُ عَلَى أَنَّ الجَمِيعَ بِالْوَكَّلَةِ وَالْهُدَايَةِ إِلَى الْأَيْمَانِ وَمَصِيبَةَ الإِنْسَانِ إِلَى عَمَّامِهَا إِمَامًَٰ عَمَّامٍ إِمَامًَٰ عَمَّامٍ (2) وَلَا تَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَحَدًّا وَقَلْنَا مَثَلًا بِذَلِكَ الْوَكَّلُ إِمَامًا أَمَّأَبَاهُ وَإِمَامًا إِخْبَارًا عَنْ خَاصَّةِ اللَّهِ وَأُولِيَائِهِ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِهِمُ الْعَبْدُوُّ دَيْنٌ الْوَكَّلَةِ وَالْهُدَايَةِ إِلَى الْأَيْمَانِ وَمَصِيبَةَ الإِنْسَانِ كَمَا رَوَى ذَلِكَ البَخَارِي مِنْ حَدِيثِ عِبَادِي اللَّهِ بِنْ عَمْرٍ وَنَعْمَةٍ إِنَّهُمْ يَمْحُونَ أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ فَبِأَيْهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (3) قَالَ فِي الْبُنَاءَ: "بِأَيْهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِلْأَلَّمِينَ أَنْ عَبْدِي وَرَسُولِي عَسُطِتِكَ الْوَكَّلَةِ لِيَسْبِعُونَ لَا غَلِيظٌ وَلَا سَخَابٌ (4) بِالأَسْوَاقِ... (5) البَحْثُ (6) وقد أَخْرَجَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السَّبعينَ الآلِفَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ الْجَنَّةُ بِلَا حَسَابٍ لَا عَذَابٍ بَعْدَهُمُ النَّصِيبُ الأَوْفِرُ فِي تَحْقِيقِ مَقَامِ الْوَكَّلِ.

روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "بدخل النجينة من أمتى سبعون ألفاً بمجرد حساب. هم الذين لا يسترون ولا يتطاون على ربهم يتولون". (1)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى حول هذا الحديث: "إن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء هودت ودخلون النجينة بمجرد التوحيد، وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يتطاون، على ربهم يتولون، والطيرة نوع من الشرك، ويتولون

(1) سورة إبراهيم آية 12.
(2) سورة الأحزاب آية 45.
(3) الفظ: سبب الخلق وفسأل أنفس من فلان أي أصعب خلقًا.. ومراد هنا أنه رقيق بناته في البليغ غير فظ ولا غلظ النهاية 3/459.
(4) السِّبَحُ والصحب: بمعنى الصباح. النهاية 2/449.
(5) صحيح البخاري 2/169، المسند 2/174.
(6) صحيح البخاري مع الفتح 2/305.
عبيد الله التوكيل

علي الله وحده لا على غيره وتركهم الإسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله اه(1).

وجاء في قرة عيون الموحدين عقب قوله ﷺ: "هم الذين لا يسترقوان ولا يتطيرون كاتبهم وتركه نسواً".

وعلى ربه يتوكلون أي: لا يطلبون الرقية من أحد ولا يكتون إن كان فيهم ما يشتفى
بالكي منه، ولا يتطيرون، والطيرة شريك تركوا الشريك رأساً ولم ينزلوا حوائنهم بأحد
فيسألون الرقية فما فوجوا وتركوا الكي، وإن كان يراد للشفاء، والحامل لهم على ذلك قوة
توكلهم على الله وتفويضهم أمورهم إليه، وأن لا يتعلق قلوبهم بشيء سواء في ضمن ما
دبره وقضاء، فلا يرغبون إلا إلى ربهم، ولا يرهبون سواء، ويعتقدون أن ما أصابهم قدره
وأخيارهما لهم فلا يفزعون إلا إلى وحده في كشف ضرهم قال تعالى عن عقوب عليه
السلام: "إِنَّا أُشْقِيَّتُوهُ وَحَزَّنِي إِلَى اللَّهِ" (1). فالحديث بين في النبي ﷺ أن السبعين
الألف حققوا مقام التوحيد الذي بعثه الله الرسول من أجله وهو: أن يفرد سبحانه بالعبادة
وحده لا شريك له، ومن أبرز صفاته الإيمانية التي اتصف بها أنهم لا يسألون غيرهم أن
يرقبهم، ولا يكلونه، وليشمون بالطول كما كان يفعل أهل الجاهلية، وأنهم يتوكلون
على ربه ويعتمدون عليه في جميع أمورهم.

وجاء في تيسر العزيز الحميد عند قوله: "وعلى ربه يتوكلون" ذكر الأصل الجامع
الذي تفرعت عنه هذه الأفعال وهو التوكل على الله، وصدق الإنجاء إليه والإعتماد بالقلب
عليه الذي هو خلاصة التفرد ونهاية تحقق التوحيد الذي يشركل مقام شريف من المحبة
والخوف والرجاء والرضي بهما وليهما والرضي بقضائه بل ربما أوصل العبد إلى البلاء.

(2) وقد حك الله ﷺ: "علي إفراد الله تعالى -عبوبية التوكل وأنه لا يعتمد العبد إلا
علي الله - وحده - لا شريك له.

روى الشيخان بإسنادهما إلى ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان
يقول: "اللهم لك أسلمت و بك آمنت، و عليك توكلت، واللهم أنت و بك خاصمت اللهم

(1) حادي الأرواح ص 89.
(2) قرة عيون الموحدين ص 36 والأخية رقم (86) من سورة يوسف.
(3) ص 86.
إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت تضاني أنت الحي السدي لا يموت والجن والإنس يموتون (1).

وروي البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» (2).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:
"قوله: وقيلها محمد... إن لله كذلك بعدما كان من أمر أحد ما كان بلغ النبي وأصحابه أن أبي سفيان ومن معه قد أجمعواكرة عليهم فخرج النبي ومعه جماعة من الصحابة حتى انتهوا إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثلاثة أمثال، ثم ألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان، فرجع إلى مكة ومر به ركب من عبد القيس فقال: أين نريدون؟ فقالوا: نريد المدينة قال: فهل أنت مبلغون عنى محمدًا رساله أرسلتم بها إليه؟ قالوا: نعم.

قال: فإذا وافيتهم فأخبروه أن قد أجمعنا السير إلى وإلى أصحابه لنستأصل بقتيهم فصر الرب برسول الله وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه: فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل (3).

وروى الترمذي في جامعه عن عمر مرفوعًا: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لزقتم كما تزق الطير تغدو خماسًا وتروح بطانة» (4).

ومعنى هذا أنه لا بد من الحركة والسعي في طلب الرزق فقد بين الرسول أن الطير تصبح جائعة ضامرة البطرون ليس في حواصلها شيء من الطعام وترفع آخر النهر وقد امتلأت بطرونها من رزق الله تعالى - قال الذي يجلس في بيته، أو في مسجده ويظن أن رزقه سيأتي وهو متلبس بالعجز والكسل هذا إنسان جهل ما في كتاب الله وستة رسوله في شأن التوكل.

---

(1) صحيح البخاري مع الفتح ١٣١٣، ص ٣٦٨/٤، صحيح مسلم /٢٠٠٨، المسند ١/٠٧٢.
(2) صحيح البخاري ١/١١٤.
(3) تيسير العريز الرحميصد ٤٤٤ والآية رقم (١٧٢) من سورة آل عمران.
(4) سنن الترمذي ٤/٤.
وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: يعنِي إِذَا خرجَ مِن بِيْتِهُ بِسْمِ اللَّهِ تَوْكَلَ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ يُقَالُ لهُ: هَدِئَتْ وَوقَتُ وَكَفِّيَتْ» (1).

والجملة فإن ورد الكثير من النصوص في الكتب والسنن في بيان فضل التوكل على الله وإخلاصه له -وحده لا شريك له- فما على العبِد إلا أن يسعى جاهدًا في تحقيق عبودية التوكل ويفوض أمره إلى الله ويعتمد عليه وحده ويحسن ظنه برَه، وعلى قدر حسن ظن العبِد برَه ورجائه له يكون توقله عليه، وذلك لأن حسن الظن بِالله يدعو العبِد إلى التوكل عليه، ولا يمكن حصول التوكل على من ساء ظنه به، ولا يمكن التوكل على من لا يرجوه.

ولا يتحقق التوكل إلا بأمرين:

أحدهما: علم القلب ومنعاه: أن يكون مسجِّقاً بِنكَفاية الله الذي توقله عليه وكمال قيامه بما وقعت إليه، وأن غير الله لا يقوم مقامه في ذلك بحال فِاَلا بِدُون معرفة الرب - تعالى - ومعرفة صفاته من القدرة والكفاءة والقيومية وانهاء جميع الأمور إلى علِم أنه تعالى - وصدرها عن مشيئة وقُدُرته، فله هذه المعرفة هي أول خطوة يحقق بها العبِد عبودية التوكل، فلا يتصور التوكل مِن أن يكون صفات الله تعالى - كما لَكَ لا يمكن أن يكون من مَن يعتقد بأنه يقع في ملك الله من لا يشأ إذن فلا يحصل التوكل إلا من أثبت الله ما أثبته لنفسه وثبت له رسوله ﷺ دون تكييف أو تعطيل، فلما يقول إن الله لا يعلم جزئيات العالم سلفية وعلوَه، وأيَّن أن الله ليس فاعلاً باختياره، وليس له إرادة ومشيئة ولا تقوم به صفقة من آب يصبح توقله؟ إذن لا بد للعبِد أن يكون على علم ومعرفة بالرب - سبحانه وتعالى - وما يليق به من صفات جلالة وعظيم سلطانه حتى يصبح توقله، ويتكون قوياً.

الأمر الثاني: الذي يتحقق به التوكل.

عمل القلب، ومعناه: أن يسكن إلى وقعته ويعلم الله يوضعه ويسلم الأمور إليه ويرضى بتصرَفه له فوق رضاه بتصرَفه هو لون نفسه في الآباء المذكورين يتحقق التوكل، ولهذا، فإن كان التوكل داخلًا في عمل القلب من ناحية علمه بالله تعالى - تعالى - قال الإمام ﷺ.
عبودية التوكل

أحمد: "التوكل عمل القلب"(1)، ولكن لا يتحقق إلا بالعلم. إذ العلم إما شرط فيه وإما جزء من ماهيته، والمقصود إن القلب متي كان على الحق تعظم طمأنينته ووثوقه بالله، وإذا كان منحرفًا مثالًا إلى الباطل علماً وعملًا، أو أصيب بأحدهما فإن ثقتنا واطمئناناً بالله معرضان للزوال فيكون لا ضمان له عند الله ولا عهد له عنده(2). نعود بالله من ذلك.

التوكل والأسباب:

إن التوكل على الله تعالى لا ينافي اتخاذ الأسباب. بل إن التوكل لا يتم إلا إذا اتخذ الإنسان لكل عمل بريده الأسباب التي توصله إلى تحقيقه. فله سبحانه وتعالى قد ربط المسابات بأسبابها.

بل إن الإنسان ينفق إلى الأخذ بالأسباب بمقتضى فطرته وبمقتضى التكيف الشرعي. فإذا قال الإنسان أنا متوكل على الله في تحصيل رزقي، ولم يتخذ الأسباب التي توصله إلى ذلك وتحقق له مطلب له مخالف للفطيرة ومخالف لشرع الله الذي جاء الأمر فيه بأخذ الأسباب قال تعالى: "فاأمروا في مناكبها وكلا من رزقه وإليه النشور"(3). وقال تعالى: "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدكم"(4).

وقال سبحانه وتعالى: "وتزودوا فإن خير الزاد الطرقى"(5).

وقال تعالى: "وأما الذين آمنوا عذراً حذركم فإن تزودوا أو اتفقوا جميعًا"(6).

وغيرها من الآيات كثير في الأمر بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله في إتمام الأمور التي يسعى العباد في تحقيقها لأن التوكل من أعظم الأسباب وأنفعها في دفع المضار وجلب المنافع فلا بد من الأخذ بالأسباب التي توصل الإنسان إلى تحقيق حاجاته والحصول على مطالبته، ومن قال بني الأسباب فتوكل مشروب ومدخول.

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص 257.
(2) طريق الهجرتين ص 257 وانظر مدارج السالكين م 217-118، ص 130 -131.
(3) سورة الملك، آية: 15.
(4) سورة الأنفال، آية: 60.
(5) سورة البقرة، آية: 197.
(6) سورة النساء، آية: 71.
قال ابن القيم: فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكيل آلية لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول التوكل فيه فهو كالدعاء الذي جعله الله سبيلاً في حصول المدعومه نعم.

أهـ (1).

وقد اقتضت حكمة أحكام الحاكمين ربط المسابيات بأسابيعها، فلا يجوز للإنسان تعطيلها مهما أمكن القيام بها، فإذا فعلها عبودية يكون قد أتى بعبودية القلب بالتوكل وعبودية الجوارح بالسبب المنوي إلى القربة، وتحقيق التوكل موقف على القيام بالأسباب المأمورة بها، فمن عطلها لم يصح توكيله، كذا أن القيام بالأسباب المفتوحة إلى حصول الخير يحقق رجاءه فمن لم يقم بها كان رجاؤه تميّناً، كما أن من عطلها يكون توكيله عجزاً، وعجزه توكيل الله (2) فالترك للأسباب المطلوبة منه شرعًا وعقلاً وقول: إن كان قضي لي وسبق في الأزمان حصول الولد فإنّه آت لمحلة ولوم أنت فهذا لا شك أنه يكون موقع إنكار الناس بل ربما يقال فيه إنه ليس من جملة العقول وأن البهائم أفهيم منه فإن الواقع المشاهد من حال الحيوان أنه يسعى في تحصيل رزقه بالهداية العامة التي منحها الله جميع خلقه.

جاء في فتح المجيد: عند قبوله تعالى: واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (3) فجعل التوكل مع النقوي الذي هو القيام بالأسباب المأمورة بها فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمورة بها عجز محض وإن كان مشروعاً بنوع من التوكل فلن ينغي للعبد أن يجعل توكيله عجزاً ولا عجزه توكيل بل يجعل توكيله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها (4). أهـ (5).

وومما تقدم نجوم بأنه لا يجوز التخلي عن الأسباب بحال لأن ذلك ممنوع عقلاً وشرعًا وحُماهُ فارسون (6) وهو سيد المتوكلين وإمام المتقين عندما خرج من مكة استأجر دليلًا ليجلد في الطريق وكان الدليل مشاركًا على دين قومه (7) وحضر غزوة أحد بين درعين،

(1) مدارج السالكين 2/ 118.
(2) الفوائد ص 86.
(3) مسيرة المانعية آية: 11.
(4) ص 365: السلفية، تيسير العزيز الحمدي ص 443.
(5) انظر صحيح البخاري 3/ 33 من حديث عائشة رضي الله عنها.
ولم يذكر أنه حضر الصف فظ عرياناً (1) وكفى به قدوةً في تحقيق عبودية التوكل وبيان كيفيته، وكان عليه الصلاة والسلام يدخر لأهلته قوت سنة (2) وكان إذا خرج مسافراً للجهاد أو للعمرة أو للحج حمل معه المزاد وكذلك الصحابة رضي الله عنهم، وهم أولو التوكل حقاً، ومن جاء بعد الصحابة وفوقه الله بأن وصل إلى القمة في التوكل إنما اشتهت رائحة توكلهم من مسافة بعيدة، أو عزر على أكثر من غبارهم، فحال النبي ﷺ، وحال أصحابه في الميزان الذي يقوم به حالاً من بعدهم، وعلى ضوء ذلك تعرف الأحوال الصحيحة من السقية، ولا يفوتنا أيضاً أن نقول: إن التوكل الذي كان في قلوب الصحابة كان سبباً في تبصير القلوب، وأن يعبد الله في جميع البلاد، وأن يوجده جميع العباد، فلمئوا بتوكلهم القلوب هدى وإيامًا، وكانت همهم عالياً فكان أحدهم لا يصرف قوة توقله واعتماده على الله في أمر يحصل عليه بأقل حيلة وسعي، وإنما كانوا يتوكلون في الأمور العظيمة مثل فتح البلدان، والنصر على الأعداء، وتوطيد عقيدة التوحيد في كل مكان فرضي الله عليهم وأرضاه (3)، وعلى ضوء هذا نقول: إن من يطبق في متخذي الأسباب مع التوكل فإنما يطعن بالدرجة الأولى في نبي الهدي ﷺ وصحابته من بعده، ومن طعن في أولئك فليتهم نفسه بأنه على غير ملة الإسلام.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب عند شرحه لحديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: "واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً كما يظن أنه بعض الجهلة فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فظي ضروري لا إنفكاك لأحد عنهم حتى الحيوان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب كما قال تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (4) أي كافي وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها كالإسراف والإكتواء فتروكهم ليس لكونه سيماً لكن لكونه سيماً مكرهًا لا سيماً والمرض يثبت بما يظهر سيماً لمشفائه بخط العتكبوت، أما نفس مباشرة الأسباب والتدوين على وجه لا كراهية فيه فغير قادح في التوكل فلا يكون تركه.

(1) ذكره الترمذي في سنن 119/2 من حديث الزبير بن العوام وابن ماجة 2/288.
(2) رواه البخاري في صحيحه 134/2 من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(3) انظر مدارج السالكين 135/2 بتصرف.
(4) سورة (الطلاق آية: 33).

مباحث العقيدة م 19
شروطاً كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء» أ. هـ(1).

والذي نخلص إليه مما تقدم أن التوكل عبادة تعود الله به عبادة وأمورهم جميعاً بأن يخلصوه له وحده لا شريك له، وأن التوكل لا ينافي مع الأسباب لأن الشرع أثبت الأسباب والمسببات وحكم على قول من أنكرها بالبطلان والفساد فالشرع جاء بال أمر بالتدواني(2)، ولا ينافي ذلك توكل الإنسان على ربه لأن التدوي من الأسباب المشروعة التي أباحها الله - تعالى - بل لا يكمل للعبد توحيده إلا بمباشرة الأسباب التي جعلها الله مقتضية لمسبباتها كوناً وشرعاً وتعظيل الأسباب يقدح في التوكل، كما يقدح في أمر الله وحكمته البالغة، فالإنسان يتولى على الله في كل أمره مع مباشرة الأسباب ولا يعتمد عليها بل يجعل قلبه متعلقاً بربه الذي له الفضل في إيجاد السبب والمسبب.

(1) تيسير العزيز الحميد 86 والحديث في صحيح البخاري 4/8.
(2) انظر سنن ابن ماجة 2/1137، المسندة 4/278.
المبحث الثاني عشر
الشفاعة نواعان: منفية ومثبتة

لقد جاء في السورة أن الأمر الوحيد الذي أوقع المشركين في الإشراك بالله - تعالى - إنما كان نتيجة تعلقهم بأن معبداتهم التي يوجهون لها العبادة من دون الله تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفي، كما أوضح أن الشفاعة نواعان شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة، وقبل إسراد الآيات التي وردت في السورة لبيان ذلك نبين حقيقة الشفاعة في اللغة، والإصطلاح.

أما الشفاعة في اللغة:

فقد جاء في الصحاب للجوهرية: «الشفع خلاف الورث وهو خلاف الورث يقول: كان وترًا فشعته شفعة. . . . واستشفيته إلى فلان، أي سألته أن يشفع لي إليه، وتشفيته إليه في فلان فشفعني فيه تشفيعاً»(1).

وفي القاموس: «الشفع خلاف الورث وهو الزوج وقد شفعه كمنعه. . . . إلى أن قال: وعين شافعة تنظر نظرين وشفيته لي الأصحاب بالضم أي أرى الشخص شخصين لضعف بصري وانتشاره.»(2).

وواحد في اللفظ: «الشفع خلاف الورث وهو الزوج تقول: كان وترًا فشعته شفعةً وشفع الورث من العدد شفعةً صغره زوجاً»(3).

______________________________________________________
(1) ١٢٣٨/٣١٤٧/٣
(2) ١٨٣٨/١٤٨٧، وانظر المعجم الوسيط ١/٤٨٧، الجامع لأحكام القرآن ٦٦١.
(3) ١٨٣٨/١٤٨٧، وانظر المعجم الوسيط ١/٤٨٧، الجامع لأحكام القرآن ٦٦١.
و جاء في النهاية لأين الأخرى: "ومنه الشفاعة بالضم - وهي مشتقة من الزيد لأن الشفيع ضم المبيع إلى ملكه فشفع به كأنه كان واحداً وترك فصار زوجاً شفعاءً".

وقال الراغب: "ويحقق لفظ الشفيع والشفاع على من طلب شيئاً لغيره ليففعه به أو يضره قال تعالى: "من يشفع، فهذا gente de حسنة ينكر له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة ينكر له كافل منها". أي: من أنضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً له، أنشأ في فعل الخير والشر فعاونه وقواه وشاركه في نفعه وضرره".

ومن هذه التعريف اللغوية السابقة يتبين أن المعنى اللغوي للشفاعة يدخل فيه كل ما دلت عليه مادة الشفاعة - وهو: الإزدواج والانضمام إلى الخير في الحصول على أمر ما. قال في اللسان: "والشفاع: الطالب لغيره يشفع به إلى المطلوب يقال: تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه واسم الطالب شفع".

وقال الراغب: "الشفاع: ضم الشيء إلى مثله والشفاعة الإضمام إلى آخر ناصر له وسائراته، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة".

وقال الحافظ: "الاستشفاع طلب الشفاعة وهي: انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يبرونه".

وأما تعريف الشفاعة في الإصطلاح: فإنه لا يكاد يخرج عن المعنى اللغوي، إذ المعنى الإصطلاحي للشفاعة هو: ضم الشافع طلب إلى طلب المشؤوم له، فصبح طلبهما بذلك شفعاً ووضع الونتر.

وعرفها بعضهم بأنها: "سؤال الخير للغير".

(1) سورة النساء آية: 85.
(2) المفردات في غريب القرآن ص 232 وانظر "الإمام لشیخ الإسلام ابن تيمية" ص 61.
(3) الامام 8/184، وانظر تاج العروض 5/400.
(4) المفردات في غريب القرآن ص 213.
(5) الفتح 11/334.
(6) لوامع الأنوار البهية 2/204.
الشفاعة نوعان: منفية وثبتة

وقيل: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم".

وي بهذا نعلم موافقة المعنى الشرعي للشفاعة لمعانيها اللغوية.

وبعد تعريف الشفاعة لغة وشرعًا نقول: إن "سورة الزمر" قد تناولت نوعي الشفاعة المنفية والثبتة، كما أوضح أن المشركين ما أوقعهم في الشرك بالله - العظيم - إلا تعلقوهم بأن الآلهة التي يعبدونها من دون الله تشقع لهم عندئذ وتقربهم إلى الله زلفي.

قال تعالى: "والذين اتخذوا من دونه أولاء ما نعبدوهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي إن الله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون إن الله يهدي من هو كاذب كفار".

وقال تعالى: "أم اتخذوا من دون الله شفعاء فألولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون. قل الله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض وإليه ترجعون". هذه ثلاثة آيات من السورة الآية الأولى: منها أوضح أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام، والآيتان لكي يشقع لهم عند الله ونقربهم إليه زلفي. قال تعالى: "ما نعبدوهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي" أي "قالوا ما نعبد هؤلاء إلا ليقربونا، إلا ليشعروا لنا عند الله".

قال ابن زيد: قالوا لهم شفاؤنا عند الله، وهو الذين يقربونا إلى الله زلفي يوم القيامة، فهؤلاء حال من يتخذ الأولياء والشفاعاء من دون الله يزعم أن ذلك يقربه إلى الله زلفي، والحال أن عمله هذا مشاهد عليه بالكفر والكلذب محرم من هديان الله تعالى، وأما الآيتان الأخرى دينهما وهم قوله تعالى: "أم اتخذوا من دون الله شفعاء فألولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون. قل الله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض وإليه ترجعون". هتان الآيتان من السورة بيتنا بأن الشفاعة تنقسم إلى قسمين:

(أ) شفاعة منفية وهي التي ادعها المشركون وأثبتها لأنفسهم.

(ب) شفاعةثبتة وهي التي أثبتها الله لاهل الإخلاص فيذن هو سبحانه - لمن يشاء أن يشفع فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنا هي له، والذي يشفع عندنا إنه يشفع بإذنه له، وأمه وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركين ومن واقفهم، وهي

(1) التهذية لابن الأثير 2/485، لسان العرب 8/184.
(2) قول قتادة وابن زيد في جامع البيان للطبري 23/191، 192.
التي أبطلها الله في أماكن كثيرة من كتابه سنذكر طرفاً منها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

بعد بيان دلالة الآيةين من السورة التي نقدم ذكرها.

فالآية الأولى منهمها: وهو قوله تعالى: "أم اتخذوا من دون الله شفعاءً فل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا عقلون".

هذه الآية تضمنت الإنكار لاتخاذ المشركين الشفعاء من دون الله - سبحانه وتعالى - حيث زعموا أنها تشعف لهم عند الله من دون أن يتأذى أو يعذبهم بذلك والحال أن لا يمكن أن يشعف أحد عنه - تعالى - إلا بإذنه وأن يرضي عن المشتبه لهذين الشرطين الثقيلين لا بد منهما في الشفاعة المقبولة لغد - جل وعلا - ولهذين الشرطين مفقودان فين زعمهم المشركين أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى - وهو سبحانه وتعالى - لم يجعل اتخاذ الشفعاء ودعاؤهم من دون سبباً إلا إذن ورضاء بل ذلك من أعظم الأسباب المانعة لرضاه، ومن أعظم الأسباب الجامعة لغضبه ثم أنكر عليهم ثانياً في نفس الآية قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا عقلون أي: يشععون لكم ولو كانوا على هذه الصفة كما ترونهم جمادات ليس لها قدرة ولا علم بحالكم، أو أموناً كذلك لا يملكون الشفاعة وليسوا أهلها.

وأما الآية الثانية: وهي قوله تعالى: "قل الله الشفاعة جميعاً لملك السموم والأرض وإليه ترجعون".

الشفاعة نوعان: منفية ومثبتة

الملك لاملك الذي لا يملك شيئاً (فيه ترجعون) يقول: ثم إلى الله مصيركم وهو ممتنع. مما لا يقال عليه إلا مما لا يقال عليه شرككم. (1)

وقال البيضاوي: عند قوله تعالى: "قل الله الشفاعة جميعاً" الآية، تعلمه رد لما عسي يجيبن به وهو أن الشفاعة أشخاص مقربون، يتهابونهم، ومعنى أنه ملك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه ولا يستقل بها. (2) وقال: "له ملك السموات والأرض" تقرر لبطلان اتخاذ الشفاعة من دونه، لأنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه، ورضاه فيدخل في ذلك ملك الشفاعة، فإذا كان هو مالكها بطل اتخاذ الشفاعة من دونه كأنما كان وسيلهم حقيقة ذلك إذا فقروا بين يدي الله يتبين لهم أنهم لا يشعرون ويخيب سعيهم في عبادتهم.

قال العلماء ابن القيم حول الآية السابقة:

فأخبر أن حال ملكه للسموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده وأن أحداً لا يشعفع عنه إلا بإذن إله ليس بشر يملك بل ملكه محض بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم بعض بعض بعض.(3)

والشفاعة التي أثبتها المشركين لأصنامهم صرح القرآن ببطلانها ونفيها في مواضع كثيرة:

قال تعالى: "من ذا الذي يشفع عنه إلا بإذنه". (4) قال في تفسير العزيز الحميد: في هذه الآية رد على المشركين الذين اتخذوا الشفاعة من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام المصورة على صور الصالحين وغيرهم وظنوا أنهم يشعرون عنه، وقيل فإنكو فقال ذلك عليهم. (5)

(1) جامع البيان : 24/ 9-24.
(2) آثار التنزيل : 324.
(3) إثارة الله الحسن : 222/1.
(4) سورة البقرة آية : 255.
(5) س : 240.
قال تعالى: "فأخرج إلى الذين يخافون أن يحشروا إلى ربيهم ليس لهم من دونه ولي ولا شعاع لعلهم يتقون" (1).

فأخبر تعالى أنه ليس للعباد شفعه من دونه بل إذا أراد الله سبحانه - رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه كما قال تعالى: "ما من شعاع إلا من بعد إذنه") (2) فلا شفاعة إلا بنعمة الله عليه ليس شفاعة من دونه ولا الشافع شفاعة من دونه، بل شفيع بإذنه والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد والمأمور فالشفاعة التي أبطلها الله شفاعة الشريك فإنها ل شريك له، والتي أثبتها: شفاعة العباد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالك حتى إذن له، ويقول: "يشفع في فلان ولهذا كان أسعد الناس بنعمة سببه شفاعة" يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوا من تعلقات الشرك وشوابه وهم الذين ارتضى الله - سبحانه وتعالى - قال تعالى: "ولا شفاعون إلا من ارتضى" (3).

قال تعالى: "يومئذ لا تتفن الشفاعة إلا من ذهن له الرحمن ورضي له قولًا" (4) وهنا أخبر سبحانه أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تتفن إلا بعد رضاء قول المشفوع له، وإذنه للشافع فيه، فاما المشرك فإنه لا يرضى به ولا يرضى قوله فلا يأذن للشافع أن يشفعوا فيه فإنه سبحانه - علقة بها بأمرين رضاء عن المشفوع له وإذنه للشافع فما لم يوجد مجموع الأمويين لم توجد الشفاعة (5).

والأسرى في ذلك أن الأمر كله لله تعالى وليس لأحد معه من الأمويين وأكرم خلقه سبحانه وأفضلهم عند ملاقكته المقربون ورسله الكرام وهم مع ذلك عبيد محض لا يشكون بقوله ولا يتقدمون بين يديه ولا يفلعون شيئا إلا بعد إذنه، وأمرأ لهم، ولا سبيما يوم القيامة، فالملائكة والأنبياء مملكون لم تكن أفعالهم مقيدة بأمر الله إذنهم فمن عدهم واتخذهم شفاعة، وأولائب ظننا أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب - سبحانه - وما يجعل له ويمنع عليه.

(1) سورة الأنعام آية: 51.
(2) سورة يونس آية: 93.
(3) سورة الأنباء آية: 28.
(4) سورة يس آية: 109.
(5) إغالة اللطيف: 221/1.
الشفاعة نوعان: منفية ومثبتة

والذي أوقع عباد الأصنام، وعباد القبور في طلب الشفاعة من غير الله - تعالى - هو قياسهم الخالق على المخلوق حيث قاسوه - تعالى - على الملوك والعظام في هذه الدنيا حيث يتخذ الشخصين من المقربين لديهم من يشفع له عندهم في قضاء الحوائج فهذا هو القياس الفاسد الذي يأتي عليه المشركون عبادتهم للأصنام، واتخذوا من دونه الشفعاء والأولياء وهذا من جهلهم بالفرق بين الخالق والمخلوق (1).

الذي يجب على كل مسلم معرفته. فهناك فرق بين الشفاعة عند المخلوقين والشفاعة عنه، تعالى. ذلك أن الوسائط التي تكون بين الملوك وبين الناس تكون على أحد الوجهين الآتيين:

الوجه الأول:

أن العظام من أهل الدنيا بحاجة إلى من يخبرهم بأحوال الناس ما لا يعرفونه، ومن زعم أن الله لا يعلم أحوال الناس حتى يخبره بذلك تبع الأنباء، أو غيرهم من الملائكة والأولياء والصالحين فهو كافره - سببانه - لأنه - جل وعلا - يعلم السرا وأخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

الوجه الثاني:

إن العظام من أهل الدنيا عاجزون عن تديير رعيتهم ودفع أعدائهم إلا بأعوان يعاونونهم، وأنصار يكونون مستنداً لهم عند الذلة والعجز، أما الله - جل وعلا - ليس له ظهر، ولا ولي من الذل، وكل ما في الوجود من الأسباب فهو - سببانه - ربه وخلقه وهو الغني عن كل ما سواء، وكل ما سواء فهو مثير إلى خلاف الملوك المحتجزين إلى ظهورهم وهو في الحقيقة شركاؤهم والله - سببانه - لا شريك له في الملك، بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لأنه الملك وله الحق، ولهذا لا يشعع عنه أحد إلا بإذنه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسى، فضلًا عن غيرهما. فإن من شفع عنه بغيب إذنله فهو شريك له في حصول المطلوب أثير فيه بشفاعة حتى يفعل ما يطلب منه، والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجه.

(1) نظر إغاثة اللهم 1/211 بتصريف.
الوجه الثالث:

إن العظام من أهل الدنيا قد يكونون غير مريدين نفع رعيتهم والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركهم من الخارج، فإذا خاطبهم من يصححهم ويعظهم أو من يدفعهم ويجوزهم ويحذرونه تحركت إرادتهم وهمهم في قضاء حوائج رعيتهم. فلحاجتهم إليهم يقبلون شفاعتهم وإن لم يأتوا فيها لأنهم يخفون أن يردوا شفاعتهم فتقتض مضاطاتهم، ولذا فهم يقبلون شفاعتهم على الكره والرضي.

أما الباري سبحانه وتعالى فهوورة كلي شيء ومليئة وهو أرحم بعبادته من الوالدة بولدها وكل الأسباب إما تكون بمشيئة، فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن وهو - سبحانه - إذا أراد إجراء نفع العباد بعضهم على يد بعض جعل هذا يحسن إلى هذا وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة. 1) ولا يجوز أن يكون في الموجود من يكره على خلاف مراده أو يعلمه ما لم يكن يعلمه، والشعاع الذين يشعرون عنده لا يشعرون إلا فإنهما كما قدمنا ذلك بخلاف العظام من أهل الدنيا فإنهم محتاجون والشافع عندهم يكون شريكًا لهم في الملك وقد يكون ماظراً لهم على ملكهم ولذا فإنهم يشعرون عند ملكهم بغير إذنهم، والملك يقبلن شفاعتهم تارة لحاجتهم إليهم وتارة لجزاء إحسانهم ومكاناتهم، حتى أنهم يقبلن شفاعته أولاهم وأزواجهم، بل إن أحدهم لو أعذر عنه ولده وزوجهه تضررت بذلك، بل يقبل حتى شفاعته مملوكه فإنه إذا ما يقبل شفاعته يخف أن لا يطمع، ويرحب شفاعاته أخية المخاوف أن يسعى في ضرره شفاعاته العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا القبيل فلا يقبل أحد شفاعته أحد إلا لرغبة أو لرئة، والله - جل وعلا - لا يرجو أبداً، ولا يخفيه ولا يحتاج إلى أحد هو الغني - سبحانه - عما سواء، وكل ما سواء فقير إليه، والمشاركون قديماً وحديثاً إما يتخذون الشفعاء، والأولياء على غرار ما يعهدونه عند المخلوق 2); فيما ذكرنا من الفروق كفاية بين الشفاعة الشرعية، والشفاعة الشرعية لمن أراد الله تنوير بصيرته، فابعد عما يدل به المشاركين والقبورون

(1) المرابطة بين الحق والخلق لابن تيمية 1276-118 بتصرف، وإنظر إغاثة اللمعان 233/1.
(2) إغاثة اللمعان 233/1.

السنة 51

السنة 1233/1.
الشفعاء نواعن: منفية ومثبتة
في الشفعاء والأولباء، وأسا من أراد الله فنته فلا حيلة فيه (1) من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا (2).

ولقد حكم الله في كتابه على اتخاذ المشركين الشفعاء والأولباء بالكفر وأنهم كاذبون فيما يزعمون من أن معبداتهم تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفي. قال تعالى: (3) والذين اتخذوا من دون إله واحد ما تعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي إن الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار 

وهذه الآية من السورة بينت أن غاية المشركين من عبادتهم الأولباء أن يقربونهم إلى الله زلفي وذلك لتحصيل شفاعتهم وهذا من أفتراء المشركين الباطل وقد تقدم الكلام على هذه الآية قريبا.

وقال تعالى: (4) وعبادون من دون الله مالا يضرون ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفاعائنا عند الله قال أنتون الله بما لا يعلم في السموت ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون.

هذه الآية فيها الإخبار بذم المشركين الذين يعبدون الأصنام التي ليس لديها جلب نفع ولا دفع ضر وأبانت بأن مقصودهم من عبادتها هو الشفاعة عند الله كما أوضحت بأن ذلك شرك بالله العظيم نزه تعالى نفسه عنه.

قال الصحاعي (5) رحمه الله تعالى فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركا ونزع نفسه عنه لا يشعع عنه أحد إلا بإذنه، فكيف يثبتون شفاعتهم لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل لها ولا يغون عنهم من الله شيئا اه (6).

وقال تعالى مبطلا للشفاعة الشركية وقاطعا منافذ الشرك فيها بالكليه. قل أدعوا

(1) سورة الكفف آية: 17
(2) سورة يونس آية: 18
(3) محمد بن إسحاق بن صلاح بن الحسن الكحلاني ثم الصعاني أبو إبراهيم عز الدين المعروف بالأمير وهو مجهول له مؤلفات كبيرة أصيب بمحن كثير من الجهلاء والعوام ولقد سنة تسع وتسعة وألف وتوفي سنة 323/1329.
(4) كظهير الإعتقاد 11، ونظير وشهادات البلاط، 283-284/112-113.
الشافعة نعوان: منتفية ومثبتة

الذين زعمت من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموم ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له من ظهير ولا تفع الشفاعة عنه إلا لم أذن له (1)

هذه الآية قال فيها بعض العلماء: "إنها تقطع عروف شجرة الشرك من القلب لمن عقلها" (2) يوضح ذلك ما قاله العلامة ابن القيم حولها:

قال رحمه الله تعالى: "فتناول كيف أخذت هذه الآية على المشركين مجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وبدت بها عليهم البال أبلغ سد وأحكمه؟ فإن العبد إذا تعلق بالمعبد لم يرجو من نفعه، وإن فلو كان لا يرجو منفعة منه فلا يتعلق قلبه به أبداً وحينئذ فلا بد أن يكون المعبد إما مالكاً للأسباب التي ينطق بها عابده أو شريكه لمالكها، أو ظهير أو وزير أو معاوناً له، أو وقفاً ذات حرة وقدر، يشعع عنده إذا أنتفته هذه الأمور الأربعة من كل وجه أنتفه أسباب الشرك وانقطعت موارده فنفي - سبحانه - عن أهلهم أن تملك مثقال ذرة في السموم والأرض فقد يقول المشرك: هي شريكة للمالك الحق فنفي شركاه.

فقول المشرك: قد تكون ظهيراً أو وريداً أو معاوناً فقال: "وأما علمه منهم من ظهير" (3)

ولم يبق إلا الشفاعة فنفاه عن آلهتهم وأخبر أنه لا يشعع أحد عنده إلا بإذنه فإن لم يأخذ لدى الشافعي لم تتقدم بالشفاعة بين يديه، كما يكون في حق المخلوقين، فإن المشفوع عنه يحتاج إلى الشافع وإلى معاونه له فبقبل شفاعة وإن لم يأذن له بها، وأما من كل ما سواه فقير إليه بذاته فهو الغني بذاته عن كل ما سواء فكيف يشعع عنه أحد يغير إذنه (4)

فتبين مما تقدم أن الشفاعة المنفية التي نفها الله - سبحانه - هي الشفاعة الشركية التي زعمها المشركون في آلهتهم أنها تشعع لهم عند الله وتقربهم إليه ولهذا يطلق القرآن نفها تارة بناءً على أنها هي المعروفة عند الناس ويدعوها تارة بأنها لا تفع إلا بعد أن

(1) سورة سبأ: 26.
(2) تفسير العزير الحميص: 245.
(3) سورة سبأ: 26.
(4) مختصر الصواعق المرسلة: 94/1, مدارج السالكين 343/1.
الشفعاء نوعان: منفية ومثبتة

يأذن الله لمن يشاء، وهذه الشفعاء في الحقيقة هي منه - سبحانه - وتعالى لأنه هو الذي أذن وهو الذي رضى عن المشروع وهو الذي وفقه للعمل الذي استحقل به الشفعاء، أما متخذ الشفع هو مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه.

النوع الثاني: الشفاعة المثبتة:

ذكرنا فيما نقلنا أن السورة دلت على نوعي الشفاعة، المنفية، والمثبتة وتقدم الكلام على الشفاعة المنفية وهي التي أثبتها المشركون لأنهم الباطلة، وذكرنا أن قوله تعالى:

«فقل الله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إله ترجعون»

هذه الآية من السورة دلت على الشفاعة المثبتة.

فالآية كما قدمنا قريباً دلت على أن الشفاعة كلاً لله تعالى لأن الأمر كله له ويده - سبحانه - وكل شفيع بخافه ولا يقدر أي مخلوق كائناً من كان أن يشفع عنه بدون إذن إله مهما كانت مكانته، فإن أراد سبحانه - رحمة عبد من عبيده أذن للشفيع أن يشفع عنه رحمة بالأثنيان فله - سبحانه - ملك السماوات والأرض من الذوات والأفعال والصفات فالواجب على جميع العباد أن يطلبوا الشفاعة من مالكها ويعملوا في الطلب عليهم بحصولهم على نصيب من ذلك.

وستبين هنَا حقيقَة الشفاعة المثبتة، وحكمها ثم نختم ذلك بذكر أنواعها:

حقيقة الشفاعة المثبتة:

لقد قدّر القرآن الكريم الشفاعة المثبتة بشرطين:

الشرط الأول: أذن الله تعالى للشفاع بالمثاب على تعالى: «من هذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه» (1).

الشرط الثاني: رضا عن المشروع له قال تعالى: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى» (2) وعلى هذين الشرطين فليس في مكانة الملاكاء، أي مخلوق مسروع المشركون عبادته من دون الله ممن لا يملك النفع والضر. أن يشفع عند الله إلا بإذنه، ولا

---

(1) سورة البقرة آية: 295.
(2) سورة الأنبياء آية: 28.
يأذن الله بالشفاعة إلا عند رضاه عن المشروع له وله لا يرضى عن المشركون الذين قامت عليهم الحجة بدعوة التوحيد، فلم يستجبوا إلا إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظلمين من أنصارٍ.

حكمها:
قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: "مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجودها سمعاً بصريح قوله تعالى: "بومثل لا تنفع الشفاعة عندنا إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولك". وقوله: "ولا يشفعون إلا من ارتدى" وأمثالهما يخبر الصادق وقد جاءت الآثار التي بلغت بالمجموعاً النوازير بحجة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها ومنعت الخوارج والمعتزلة، وتلقوا بمذاعتهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى: "فما تنفعهم شفاعة الشافعين" وقوله تعالى: "ما للظلمين من حميم ولا شفيع يطاع" وهذه الآيات في الكفار، وأما تأويلهم أحديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات في الفاطم، ولفظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذاعتهم وإخراج من استوجب النار.

قال القاضي عبد الجبار عند قوله تعالى: "وأتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون". يدل على أن من استحق العقاب لا يشعث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة اليوم ولا يخصيص فيها فلا يمكن صرفها إلى الكفار دون أهل الشروك وهي واردة فيمن يشترق العذاب في ذلك اليوم لأن هذا الخطاب لا يلزيم إلا بهم فليس لأحد أن يطعن على ما قلناه بأن يمنع

---
(1) سورة "الخاتمة" آية: 22.
(2) سورة "طه" آية: 9.
(3) سورة "الأنياب" آية: 28.
(4) سورة "المدثر" آية: 48.
(5) سورة "غافر" آية: 18.
(6) نقل عن شرح النووي على صحيح مسلم 3/10.
(7) سورة "الفجر" آية: 48.
الشفعاء نوعان: منفية ومثبتة

الشفعاء للمؤمنين أيضاً ولولا كان النبي ﷺ يشفع لهم لكان قد أغني عنهم وأجزى فكان لا يصح أن يقول تعالى (لا تجزي نفس عن نفس شياً) ولهما صاح أن يقول (ولا يقبل منها شفاعة) وقد قبلت شفاعة فيهم، ولمما صاح أن يقول (ولا يؤخذ منها عدل) لأن قبول الشفاعة وإسفاق العقاب إلى المجرفة أعظم من كل فداء لهم عما قد استحقوه من العذاب، بل كان يجب أن تكون الشفاعة فداء لهم عما قد استحقوه من حيث توزع بها ولمكانها، ولمما صاح أن يقول (ولا هم ينصرون) وأعظم النصرة تخلصهم من العذاب الدائم بالشفاعة فآية دالة على ما نقوله من جميع هذه الوجوه أ.هـ(1) ونحن نقول له: إن ذلك غير صحيح وأن مذهب هذا ومنذهب أتباعك من المعتزلة ظاهر الفساد والبطلان لمخالفته الكتاب والسنة وإجماع الأمة في ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر.

قال البضاو في الآية السابقة: التي استدل بها عبد الجبار بن أحمد على نفي الشفاعة (وقد تمسك المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر وأجب بأنها مخصصة بالكفّار للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة، وينبده أن الخطاب معهم والآية نزلت ردًا لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم) اهـ(2).

وردا على المعتزلة والخوارج الذين نفقوا الشفاعة من وجه:

١ - إن الشفاعة ثابتة بالقرآن والأحاديث المتواترة.

٢ - الإجماع: من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول، ولم يبد من أحد منهم في عصر من الأعصار تكير فظهور الأخبار الواردة فيها وإطباقهما على صحتها، وبقبولها لها دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد مذهب المعتزلة والخوارج(3).

٣ - إن أهل العلم قد جمعوا بين الآيات الواردة في نفي الشفاعة وبين الآيات الدالّة على إثبات الشفاعة، بأن الآيات الواردة في نفي الشفاعة والشفيع المراد بها الشفاعة للكفّار(4).

(1) متشابه القرآن الذهني الأول: ٩٠-٩١
(2) أنوار التنزيل ١/٥٥
(3) تفسير القرطدي ١/٣٧٩
(4) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٣٥، فقه الباجي ١١/٤٢، تفسير ابن جرير الطبري ١/٢٦٧، تفسير الرأي ٣/٤٩ وما بعدهما، ملخص لاحكام القرآن ١/٣٧٨ وما بعدها، تفسير النسفي ٤٧/١.
الشيعة نوعية من الفقه وشبه
والشيعة المنوية هي التي تطلب من الأصنام والأموات الذين لا يملكون لأنفسهم ولا
لغيرهم نفعا ولا ضراً.
أنواع الشيعة المنوية:

ختلف العلماء في شفاعته وهم القيامة كم هي؟ فذكر النقاش (1) في تفسيره أن
للتلك ثلاث شفاعات: الشيعة العامة، وشفاعته في السباق إلى الجنة، وشفاعته في
أهل الكبائر. وقال ابن عطية (2) في تفسيره، والمشهور أنهما شفاعتان فقط العامة وشفاعاة،
في إخراج المذنبين، وهذه الشيعة الثانية لا يتدافعا الأئمة بل يشعرون ويشعع العلماء،
وذكر القاضي عياض (3) إن للتلك خمس شفاعات.

وذكر القروطي أن للتلك ست شفاعات (4) وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في
(الثقة الواسطة) أن للتلك ثلاث شفاعات وقد ذكر شارح الطحاوي أن أنواع الشفاعاة
في الآخرة ثمانية أنواع منها ما هو خاص باللك وذالات هذه الأنواع هي (5):

النوع الأول:

الشيعة العامة: وهي التي يتدافعها الأئمة أصحاب الشرائع آتى إلى نوح وابراهيم
وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وهي المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون
والآخرون.

(1) هو محمد بن الحسين بن محمد بن زيد بن هارون، أبو بكر النقاش، عالم بالقرآن وتفسيره أصله من الموصل
ومنشأه ببغداد وكان في زمانه يوزع نظير السمك والحبطان والهجرة، ولد سنة 325 هـ، وتوفي سنة
1136هـ. انظر ترجمته في فتاوي الأعيان، ص 489، ميزان الإعتدال، ص 45، اللباب
(3) هو عبد الحق بن غالب عن علي بن علي بن الحسن من محراب قيس، الفراهيدي أبو محمد مفسر، فقه، أندلسي من
أهل غزنة ولد سنة 325، وانتقل بعد ذلك إلى مصر، وتوفي سنة 375 هـ.
(4) هو عياض بن موسى بن علي بن عمرو بن الحنظل التيمي أبو الغيث عالم باللغة، ويعتبر في هذه الأهل الحديث
(5) هو التذكرة للقرطي للفتاوى، ص 449، شرح النووي على صحيح مسلم، ص 26، فتح البديع، ص 428/11.
(6) هو محمد بن علي بن منصور، ضاحي خليل بن حسن، شيخ شرعي، ص 428/11.
قال تعالى: "فمن الليل فتهجد به نافقة لِي عسي أن يعثك ربك مقاماً محمودًا".

روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "إن الناس يصرون يوم القيامة جيشاً كله أمة تتبع نبيه تقول: يا فلان إشفع يا فلان إشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي عليه الصلاة والسلام المقام المحمود".

وروى الترمذي في سننه وحسنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سأل النبي في قوله: "عسي أن يعثك ربك مقاماً محمودًا".

قال: هي الشفاعة.

فالمقام المحمود هو الشفاعة العظمى لتفسير النبي الأئمة الراوية فيه بذلك.

جاء في لواحي الأبنار ما نصه: "شفاعة النبي هو نوع من السمعات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ النوات المعنوي وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر. إذ هي للاقامة من طول الوقوف حتى يبتمنون الإنصراف من موقفهم ذلك ولو تلو النصار... وقد التمس بعض العلماء الحكمة في إلهام الناس التبدد إلى غير النبي قبله ولم يلهموا المجيء إليه لأول وحده أن ذلك ظهار لفضله عليه الصلاة والسلام وشرفه على رؤوس الخلافات فصلوات الله وسلامه عليه".

النوع الثاني:

شفاعته في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشع ليدخلوا الجنة.

النوع الثالث:

شفاعته في أقوام أمر بهم إلى النار فيشع فيهم أن لا يدخلوها.

(1) سورة الإسراء آية: 479.
(2) 10/3.
(3) 16/4.
(4) 16/4. وانظر شرح النووي على مسلم 3/56.

النوع الرابع:

شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقضيه ثواب أعمالهم وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة. قال القاضي عياض: «وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر الأول»(4). ودليل هذا النوع: ما أروا الشيخان في صحابهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما أصيب عنه أبو عامر في غزوه أوطاس فلما أخبر أبو موسى

(1) قال في النهاية: أي مدقع وتكذب الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط.
(2) رواه مسلم من حديث حديثة 187/1
(3) فتح الباري 428/11
(4) ذكره عنه القرطبي في المذكرة ص 249.
الشفاعة نوعان: منفية وشبة

رسول الله ﷺ فرع عليه وقال: "الله يغفر لعبيد أبي عامر واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك"١.

وهديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دعا لأبي سلمة بعدما توفى فقال: "الله يغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهدين واخلقه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافضح له في قبره ونور له فيه"٢.

النوع الخامس:

شفاعته في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.


وجوه الدلالة منه دعاؤه لعكاشة بن محسن أن يجعله من أولئك السبعين ألفاً فدعاوه شفاعة له.

النوع السادس:

الشفاعة في تخفيف العذاب عنمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه. ودليل هذا النوع ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول ﷺ ذكره عنه عمه أبو طالب فقال: "لله تفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضا من نار، يبلغ كعبه يغلي منه دماغه"٤.

قال القرطبي: بعد أن ذكر هذا النوع فإن قيل: فقد قال تعالى: "فما تفعهم شفاعة الشافعيين"٥ قبل له لا تفعه في الخروج من النار كما تفع عصاة

---

١ صحيح البخاري ٤/١٠٣، صحيح مسلم ٤/١٩٤٣.
٢ صحيح مسلم ٢/٢٤٣ وسنن أبي داود ٢/١٧٠ والمسند ٦/٢٩٧.
٣ صحيح البخاري مع الفتح ١١/١٨٧، صحيح مسلم ١/١٩٧.
٤ ١٩٥/٤.
٥ سورة البقرة آية ٤٨. 
الموحدين الذين يخرجون ويدخلون الجنة» أ. ه(1).

وقال الحافظ: "عله ت نفسه شفاعة" ظهر من حديث العباس وقوع هذا الترجي واستشكل قوله: "تنفعه شفاعة " بقوله - تعالى - "فما تنفعهم شفاعة الشافعين"، وأجيب بأنه خص ولذلك عدو في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم. فمعنى المنفعة في الآية يخالف معنى المنفعة في الحديث والمراد بها في الآية الإخراج من النار وفي الحديث "المنفعة بالخفيف" أ. ه(2).

النوع السابع:

شفاعته في أن يؤذن لاهل الجنة في دخولها ومن أذله هذا النوع ما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أول الناس بيشفع في الجنة وأنا أكتر الأنبياء تبعا"(3).


النوع الثامن:

الشجاعة في أهل الكبائر من هذه الأمة ممن دخل النار فيخرجون منها وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث الكثيرة(5).

ورغم تواترها فقد خالف في ثبوتها الخوارج والمعتزلة ممن قل علمه منهم ينكرها لجهله بكثرة الأحاديث الواردة فيها.

(1) التذكرة ص 249.
(2) فتح الباري 431/11.
(3) صحيح مسلم 188/1.
(4) المصادر السابق ورواه أحمد أيضاً في سنده 345/247.
(5) ذكر هذه الأنواع العلامة ابن القيم في شرحه على سنن أبي داود، انظر عون المعبر 128/77 و 278/77 و 279/77، وما ذكره شارح الطحاوي ص 253، فتح الباري 428/11، شرح النوري على صحيح مسلم 3/10، نافحة الأحودي 127/17، لواعم الأنواع الزيت unh 2/217، الدين الخالص 32/10/3.
والآية من علم تلك الأحاديث منهم فإنكاره لها إنما هو عناد واستكبار عن الحق، واسترواح لهذه البذعة المنكرة، واتباع للهوى. وهذه الشفاعة يشارك فيها النبي ﷺ الملائكة والنبين والمؤمنون وأدلته هذا النوع كثيرة جداً.
فمنها ما رواه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لكل نبي دعوة مستجابаً فتعجل كل نبي دعوته وامته اشترى دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيطانًا(1)". ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن عبيد بن هلال العتيق قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بئاب البدانى إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة فإذا هو في قصره فوافقنا صلى الضحى، فاستنا، فاذن لنا وهو قاعد على فراش فقلنا لثبت لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال: يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جازوك بسألونك عن حديث الشفاعة فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض...".
الحديث فيه أنهم يأتون أمين فيطلبون منه أن يشفع لهم. فيجعلهم على إبراهيم وإبراهيم يجعلهم على موسى وموسى يجعلهم على عيسى، ويعيسى يجعلهم على الرسول ﷺ يقول: "أنا أشارت أن يرني فخورة، فليهنى محامد أحمده بها، لا يحضرني الآن، فأخذه بشملימה، وأحره ساجداً، فقال: يا محمد، أرفع رأسك، وقل يسمع لك، وأشفع تشوfé، وسأ تخفف، فأقول: يا ربي آتي أمي، فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثل شعيرة من إيمان فانطلق فأفعل ثم أعود فأخذه بشمليمة، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، أرفع رأسك، وقل يسمع لك، وأشفع تشوfé، وسأ تخفف، فأقول: يا ربي آتي أمي فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثل ذات أو خردلة من إيمان فانطلق فأفعل، ثم أعود بشمليمة، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، أرفع رأسك، وقل يسمع لك، وسأ تخفف، فأقول: يا ربي آتي أمي فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى مثل حبة من خردة من إيمان فانطلق فأفعل. قال: (1) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري 13/447، صحيح مسلم 189/1.

في هذا الحديث: وأمثاله من الأحاديث الواردة في شفاعة ‏ لأهل الكبائر من أمه بلغت مبلغ التواتر ورغم ذلك فقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، لجهلهما بصحة الأحاديث، وعتاداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته، وهذه الشفاعة، تشارك فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً.} 

للحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً قال: "فيقول: الله تعالى - شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أحرم الراحمين فيقبض قبضاً من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قطعاً".} 

قال شارح الطحاوية: "ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال: فالشافعىون والنصارى والمتبادعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم: يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كfidfة الشفاعة المعروفة في الدنيا، والمعتزلة والخوارج أكرروا شفاعة نبينا في أهل الكبائر.} 

(1) 182/1 184-182. 
(2) انظر النهاية لابن كثير 2/180. 
(3) 170/1، صحيح البخاري 4/286.
وأما أهل السنة والجماعة، فيقولون بأن شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره لكن لا يشعرون أحد حتى يأذن الله له ويجده هو حدا كما في الحديث الصحيح حديث «الشفاعة» إنهم يقولون أنهم لم نروا، ثم إبراهيم ثم موسى، ثم عيسى، فيقول لهم عيسى عليه السلام: «إذ هبوا إلى محمد، فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإن توفي، فأذهب فإذا رأت ربي خرجت له ساجدا، فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنتها الآن، فيقول: أي محمد إنفظ رأسك وقل يسمع، واشفع تشع، فأقول: ربي أنتي، فيحدي لي حدا فادخلهم الجنة، ثم أنطلق فاسجد، فيجد لي حدا» (1)

و الذي نخلص إليه مما تقدم أن الشفاعة التي نفاه القرآن هي الشفاعة التي تعلق بها المشركين الذين اتخذوا من دون الله الباطغ، والأولاء، فعملهم الله بنقض قصدهم من شفاعتهم وأما الشفاعة المثبتة التي أثبتها القرآن فهي التي يفزع بها الموحدون والتي أرشد إليها النبي ﷺ في قوله: إن أبي هريرة رضي الله عنه حين سأله عنها: من أسد النور بشفاعته يا رسول الله؟ قال: «أسعد الناس بشفاعي من قالت إلا الله خالصا من قلبه» (2).

فتأمل كيف جعل أعظم الأسباب التي تناول بها شفاعة تجريد التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك، وذلك عكس ما عند المشركين: حيث زعموا أن الشفاعة تناول باتخاذهم أولياءهم شفاعة، وعبادتهم وأموالهم من دون الله وقد أبطل الله هذا الزعم في كتابه وستة رسوله ﷺ بأنه لا تطول الشفاعة إلا منه - تبارك وتعالى - ولا يعبد إلا هو سبحانه - ولا ولا إلا له - جل وعلا - والمتأكد لحديث أبي هريرة السابق يرى أنه قلب المفهوم الذي يتصوره المشركون، وأبان للناس أجمعين مسلمهم وكافرهم أن سبب الشفاعة الوحيد هو تجريد التوحيد، وحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع ويا لله التوفيق وهو المستعان.

(1) صحيح البخاري 286/4، صحيح مسلم 1/180-182.
(2) شرح الطحاوية ص 310.
(3) صحيح البخاري مع الفتح 418/2، أحمد في المسند 2/373.
المبحث الثالث عشر
الرسّل بعثوا للدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة
من أجل توحيد الألوهية أرسل الله الرسّل، وأنزل الكتب فما من رسول أرسله الله إلى العباد إلا كان هذا التوحيد أساس دعوته وجوهرها.
قال تعالى: "ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" (1)
 وقال تعالى: "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" (2) وأخبرنا سبحةه في حكم كتابه عن رسله نوح وصالح وشعيب أنهم جميعًا دعوا أقوامهم إلى توحيد العبادة.
فقال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: "با قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره 
اؤفلا تتقون" (3) هذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك.
 وقال هود عليه الصلاة والسلام لقومه: "با قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" (4). وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: "با قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" (5) وقال صالح عليه السلام لقومه: "با قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" (6) وقال إمام الحفءة وأبو النبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام: "أفتحدون من دون الله

---

(1) سورة النحل آية 33
(2) سورة الأنباء آية 45
(3) سورة الأعراف آية 75
(4) سورة الأعراف آية 59
(5) سورة هود آية 84
(6) سورة الأعراف آية 73
الرسول بعنوان الدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة نداءً، مما لا يدفعكم شيئا ولا يضركم.  

قال تعالى: "يا صاحب السجن أثربabus، خيصر الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أسم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان إنحكم إلا الله أمر ألا تعبدو إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثرهم لا يعلمون".  

وأما المسجى الذي زعم النصارى أنه ابن الله أو هو الله، أو شاركته ثلاثية فقد كان من أشد الناس عبودية الله تعالى، ولم يستنذف أن يكون عباداً فإن قال: "إن الله وربكم فاعبدوه هذا إنسان مستقيم".  

وأما كل من الله موسى عليه الصلاة والسلام فإنه واجه بني إسرائيل بإناكار بليغ ومؤثر في النفس حين طلب منه بنو إسرائيل أن يجعل لهم إلهًا فأنكر عليه ذلك أشد الإنكار قال تعالى: "يا موسى أجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة؟ قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متعبهم فيه وبايثاط ما كانوا يعملون قال أغير الله أبعكم إلهاً وهو فضل الله على العالمين".  

وقد حكى الله في كتابه عن عقوبة عليه الصلاة والسلام أنه اختبى بنيه عن الإله الذي يعبدهونه من بعد، قال تعالى: "أم كنت تشهد إذ حضرت عقوبة الموت إذ قال بينه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائكم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإلهاي وحنا ونحن له مسلمون".  

(2) سورة يوسف آية: 39-40.  
(3) سورة التوبة آية: 51.  
(4) سورة الأعراف آية: 138-140.  
(5) سورة البقرة آية: 123.  

(1) سورة الأنبياء آية: 26.
كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون(1).

فقال: أعز وجل - أرسل الرسول وأنزل عليهم الكتب، وخلق السماوات والأرض ليعرفه العباد ويبعدو، ويكون الدين كله الله والطاعة كلها له - وحده لا شريك له - ويفردو بتوحيد الألوهية.

فتوحى الألوهية هو حقيقة دين الإسلام فقدي كانت الشهادتان أول ركن من أركانه، ولذلك قال ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة ويتلاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً" متفق عليه(2).

وقال ﷺ لمعداد حين بعثه إلى اليمن: "إني تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادته أن لا إله إلا الله وأنبي رسول الله . . . الحديث(3) فتوحيد العبادة هو أول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد إلى النظراً والشك كما هي أقوال من لم يعرف ما بعث الله به رسوله ﷺ من معاني القرآن والسنة فهو أول واجب كما قال ﷺ "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تfelwaw(4) وهو الآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال ﷺ "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"(5) بل إن أول وصية في القرآن وأول أمر فيه هو الدعوة إلى عبادة الله وحده وبنذ العبادة كل مسية، ومن سواه من الآلهة المزعومة سواء كان من الجن أو أي مخلوق آخر فروح الإسلام وقبط رحاء الذي يدور عليه هو توحيد الله تعالى - بتوحيد العبادة. قال تعالى: "يا أيها المشرك قوم أتأذروا وพวกكم فكبر. وثابك فظهروا والرجز فاهجر(6)."

(1) سورة آل عمران آية: 64.
(3) صحيح مسلم 307/5 النسائي 92/3.
(4) رواه أحمد في مسنده من حديث ربيعة بن عبيد الديلمي.
(5) المستدرك للحاكم وصحيح البخاري 2/3 حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.
(6) سورة المدثر آية: 1-6.
قال تعالى: «إياك نعبد وإياك نستعين» (1)
قال تعالى: «أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم وذين من قبلكم لعلكم تتقون» (2)

ومن هذه الآيات والأحاديث المتقدمة يتبين بطلان زعم بعض المتكلمين بأن غاية التوحيد هو: أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أدائه، لأن التوحيد الذي أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها، وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ، ليس توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله، وهو عبادة الله وحده، فمـن عبد الله، لم يشرك به شيئًا فقد وحده، ومن عبد دونه شيئًا من الأشياء فهو مشرك ليس بموحد مخلص له الدين، وإن كان، مع ذلك قائلًا بهذه المقالات التي زعموا أن التوحيد حتى لآثرون بأن الله وحده خالق كل شيء وهو «الوحيد في الأفعال» لكان مشركًا، وهذه حال مشركي العرب الذي بعثه الرسول ﷺ لإبتداءًا وأنزل القرآن بيان شرركهم ودعاه إلى توحيد الله وإخلاصه الدين له (3).

(1) سورة الفاتحة آية: 4، 5.
(2) سورة البقرة آية: 21.
(3) الملل والنحل 22/242.
(4) تنبؤ الرحلة 1/267، 458/275، 226/1-226/7.
الفصل الثالث
دليلة السورة على توحيد الربوية

ويشمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوية.
المبحث الثاني: دلائل توحيد الربوية من السورة.
المبحث الثالث: إقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسول بوجود الله تعالى.
المبحث الرابع: الإقرار بتوحيد الربوية يتلازم الإقرار بتوحيد الألوهية.
المبحث الأول
تعريف توحيد الربوبية

معنى الرب في اللغة:
الرب في اللغة: يطلق على المالك، والسيد، والمعبئ، والخليفة، والقيم والمخلص، والمخلص، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف فقال: رتب كذا... ومنه حديث أبي هريرة (لا يقبل المولوك لسيده ربي) كره أن يجعل مالك ربا له لمشاركته الله تعالى في الربوبية، فأما قوله تعالى (اذكرني عند ربك) فإنه خطاب على المعارف عندهم، وعلى ما كانوا يسمونهم له وهم يقولون موسى عليه السلام للسامري (وانظر إلى إلهك) أي: الذي اتخذه إلهًا. وأما الحديث في ضالة الأبل (حتى يلقاه ربه) فإن الدهائم غير منعوبة ولا مخاطبة فهي بمنزلة الأموال التي يجوز إضافة ملككها إليها وجعلهم أربابًا لها. ومنه حديث عمر رضي الله عنه (رب الصريحة ورب الغنمة) وقد كثر ذلك في الحديث. وجاء في الصحاح للجوهري: (رب كل شيء: مالك)، والرب اسم من أسماء الله -عز وجل- ولا يقال: في غيره إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك قال الحارث بن حليزة:

وهو الرب والشهيد على يومن الحيارين والبلاء بلاء

(1) رواه أبو داود في سنن أمه 591/2.
(2) سورة يوسف آية 42.
(3) سورة فاطر آية 97.
(4) رواه ابن ماجة من حديث زيد بن خالد الجهني 837/2.
(5) رواه البخاري في صحيحه أنظر فتح الباري 6/175.
(6) النهاية في غريب الحديث والأثر 179/2-180.


معنى الإصطلاح لتوحيد الربوية:

هو إفراد الله بفاعلله: كالخلق والمرزق، فلا بد من الإعتقاد الجازم بأنه تعالى -الخالق الرازيق الحمiensي المميت المبدع، المعطي المانع، الضار النافع، القادر المقتدر، مالك الملك الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

قال العلامة ابن القيم: فاسم الرب له الجمع الجمع لجميع المخلوقات فهو ررب كل شيء وخلقته، والقادر عليه لا يخرج شيء عن رؤيته وكذل من في السماوات والأرض.

عبد له في قبضته وتحت قهره، فأجمعوا بصفة الربوية، وافترقوا بصفة الإلهية فألته وحده السعداء، وأقراره طوعاً بأن الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة، والتكبير، والرجاء، والخوف والحبد، والإثابة والإحبات، والخشية، والندلول، والخضوع إلا له،

(1) سورة آل عمران آية: 79.
(2) الصحاح 1/180 وانظر القاموس 372/673، والبيان 1/299 وما بعده.
(3) سورة سيّدة آية: 15.
(4) سورة الفاتحة آية: 1.
(5) المفردات للمراغب ص 184 وانظر أحكام القرآن لأبي العريج 279/1.
وهنا افترق الناس وصاروا فريقين فريقًا مشركين في السعير، وفريقًا موحدين في الجنة، فالأ لهي اله التي فرقها، كما أن الروبية هي التي جمعتهم، إه (1).

وقال في تيسير العزيز الحميد معرفة توحيد الروبية: "هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه، وحاققه، ورازقه، وأنه المحيي الهمم النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر، وبيده الخير كله القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر، وهذا التوحيد لا يكتفي العبد في حصول الإسلام بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمته من توحيد الإلهية، لأن الله حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد له وحده (2).

ووجه في لواع الألوار: "توحيد الروبية أن لا خالق ولا زائده ولا محمي ولا ممدد ولا موجود إلا الله تعالى" (3).

وقال محمد صديق حسن خان في كتابه "الدين الخالص" مبيناً معنى "توحيد الروبية" ومعبنا: "أن الله وحده هو الخالق للعالم وهو الزائده، والحميهم له، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون له شريراً بل هم مقرون به" أه (4).

والذي نخلص إليه من تعريفات أهل العلم لتوحيد الروبية أنه لا بد من الاعتقاد الجائز بأن الله تعالى هو الراب المفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربي جميع الخلق بأصناف نعمه، وربى خواص خلقه، وهم الأنباء وأنسابهم الذين آمنوا بهم وصدقوا بما جاؤوا به من عند ربيهم بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة والعلم النافعة، والأعمال الصالحة.

(1) مدارج السالكين ١٤/١ ص ١٧
(2) ص ١٣٨/١ - ١٢٩/١
(3) ص ٦٠/١
(4) مباحث العقيدة م ٢١
المبحث الثاني
دلائل توحيد الربوية من السنة

لقد ذكر الله في سورة "الأزمنة" الكثير من دلائل توحيد الربوية فقد بين أنه تعالى الخالق للسموء والأرض وما بينهما، وأنه سبحانه هو الذي جعل الليل والنهار يتعاقبان بحيث إذا ذهب هذا خلقه الآخر، وهو الذي سخر الشمس والقمر لتهيئة مصالح العباد ومكافحتهم، وهو الذي خلق بني آدم من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام، وهو الذي خلق لهم الأزواج الشمائية من الأنسما التي تعتبر أكثر الحيوانات نفعاً للإنسان، وهو الذي برعاهم بلطفة وعنانية وهو في الأرحام في ظلمات ثلاث وهو الذي ينزل المطر من السماء ونبت النبات، وهو سبحانه المتصرف في شؤون خلقه بالإحياء والإماتة والبقاء والندم، وسبعه تعالى الرزق لمن يشاء وضيجه على من يشاء، ثم بين السورة في ختم تلك الدلائل أن مقاليد السموات والأرض بيد سبحانه -تلك هي دلائل توحيد الربوية في السورة وستتحدث عن كل واحد منها بحديث خاص حتى يبين وجه دلالتها على ربوية الخالق وأنه سبحانه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وإلى بيان تلك الأدلة مرتبة:

1- خلق السموات والأرض:

لقد دلت السنة على أن خلق السموات والأرض من أعظم الآيات الدالة على ربوية الله، والتعريف عليها سبحانه - في آيتي منها: قال تعالى: "خلق السموات والأرض بالحق... الآية. وقال تعالى: "قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون".

إن خلق السموات والأرض وإبداعهما على هذه الصورة من أعظم الآيات الدالة على ربوية الله، والتعريف عليها سبحانه - فقد أوضح الحق سبحانه - بقوله: "خلق السموات
기관 توحيد الربوبية من السورة

والآية (14) تدل على أن خلقهم بالحق المتبعد عن الله والعبث، وليست فيهما من الحكم العظيمة التي يتجلى بعضها لعباده المتكرين المتدينين في خلقهم.

وأما قوله تعالى: "قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون" فهذآ الآية فيها أمر للنبي ﷺ: "أين بدعو الله وحده لا شريك له الذي خلق السماوات والأرض وظفرها على غير مثل سابق قال ابن جريج الطبري عند قوله تعالى: "خلق السماوات والأرض بالحق" يقول تعالى ذكره معرفًا خلقه حجته عليهم في توحيده، وأنه لا تصلح الألوهية إلا له: (خلق ريبك أيها الناس السماوات وال الأرض بالعدل وهو الحق متفردًا بخلقهم لمشركه في إنشائها وحدها شريك ولم يطبع عليها معين). فالأله الحق الذي يصدق أن يعبد هو من يخلق ويشهد السماوات والأرض، وليس ذلك في مقدور أحد سوّى رب العالمين الذي لا يبغي العبادة إلا له وحده دون سواه، فالسماوات جعلها الله سقفاً محفوظًا تتألف من سبع طبقات وفيها من مخلوقات الله العجيبة ما الله بها عليم بحكمها نظام متقن تسير على وقته، وذلك النظام هو النظام الإلهي الرباني الذي يحافظ على سيرها العام دون أن يحصل فيها خلل أو فتور قال تعالى: "الذي خلق سبع سماوات طباً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين يقلب إليك البصر خاستاً وهو حسبر). وقد تحدث العلماء ابن القيم في كتابه "مفتاح دار السعادة" عن آيات الله الدالّة على وجوده وقدره وحكمته في خلقه السماوات وإبداع صنعتها وما هي عليه من حيث السعة والعظم، وحسن خلقها وبنائها كما أوضح بأنها أشمل للعجائب التي دلت على وجود الخالق - سبحانه - وأن دلتها على وجود الله تعالى - أوضح من دلالة المخلوقات الأخرى، ثم قرر أنه لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السماوات.

قال رحمه الله تعالى: "فالأرض والبحر والهراء وكل ما تحت السماوات بالإضافة إلى السماوات كتفرة في بحر ولبيها كل أن تجئ سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها إما إخبارًا عن عظمها وسعتها، وإما إفسادًا بها، وإما دعاء إلى النظر فيها، وإما إرشادة للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها، وإما استدلالًا منه - سبحانه - بخلقها على ما أخر.

(1) جامع البيان 14: 78
(2) سورة الملك آية: 4.
من المعاد والقيامة، وإما استدلالاً منه بربوبيته فاعل وحديانته، وأنه الله الذي
لا إله إلا هو، وإما استدلالاً منه بحسينها وإستثنائها والنظام أنجزها وعدم الفطر
فيها على حكمه وقدرتها، وكذلك ما فيها من الكواكب والشمء والقمر والعجائب التي
تتقاصر عقول البشر عن قليلها فكم من قسم في القرآن بها؟ كقوله: ﴿والسماء ذات
البروج، والسماء والطارق، والسماء وما بناها والسماء ذات الرجع، والشمء وضحاها،
والنجم إذا هوى، والنجم الثاقب، فلحة فقسم بالخلس ﴿، وهي الكواكب التي تكوين خسًّا
عند طولها جوار في مجراها، وسيرها عند غروبها فقسم بها في أحورها الثلاث، ولم
يقسم في كتاب وبسيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمء والقمر وهو -يسباحت-
يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه وكلما كان أعظم آية
أبلغ في الدالة كان إقسامه به أكثر منها، وهذا يعتمد هذا القسم كقوله ﴿فلا أقسم
بمواعжд النجوم ﴿ وإنما لقسم لعلهمون عظيم ﴿ (1). وقال في موضع آخر: ﴿فتأمل خلق
السماء وارتجع البصر فيها كورة بعد كورة كيف تراها؟ من أعظم الآيات في علها وارتفاعها
وسعتها وقرارها بحيث لا تصدع علوا كالنار ولا تهبط نازلة كالجسم الثقيل ولا عمد تحتها
ولا علاقة فوقها بل هي ممسكة بقدرة الله الذي يمسك السماء والأرض أن تزولما ثم تأمل
إسواتها واعدادها فلا صدع فيها ولا فطر ولا شق ولا أمت ولا عوج ثم تأمل ما وضعت عليه
من هذا اللون الذي هو أحسن الألوان وأشدها موفقية للبصير وقوية له ﴿ (2).

فقد أوضح ابن القيم دلالة خلق السماء على أن لعالم خلاًّا حكيمًا على ما قدراه
أحسن تقدر ونظمه أحسن نظام، ولقد حث القرآن الكريم في غير ما على التفكير في خلق
السماء والأرض وبيان أن الذي أقامها و أمسكها إنها هو الخالق القادر على كل شيء
المستحق للعبادة وحده دون سواه. قال تعالى: ﴿الله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها
والأتي في الأرض رواسي أن تميد بكم ﴿ (3).

وقال تعالى: ﴿أليست نظرون إلى الأيل كيف خلقته وإلى السماء كيف رفعت ﴿ (4)
ألا ينظرون من رفع السماء بلا عمد يرونها وهي بعيدة والمدى لا علاقة من فوقها ولا عمد

(1) مفاتيح دار السعادة 1957-1967 والآيات رقم 265 من سورة الواقعة.
(2) مفاتيح دار السعادة 1957-1967.
(3) سورة الأعراف آية 26.
(4) سورة الفاتحة آية 18.
دلالات توحيد الروحية من السورة

تحتتها تستندها ولا يدخل في حساب الخلق نجومهما؟ وقال تعالى: "إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزرو ولم يزلت ما أسألكم من أحسن من بعده إنه كان حالياً غفوراً" (1). فهؤلاء سبحة قيام السماوات والأرضين فلا قيام لهما ولا استقرار إلا بسبحانه تعالى.

وأما خلق الأرض وما فيها من الجبال والهضاب والسهول والوعرو والبرم والبحار والأنهار وما في باطنها من المعادن وغيرها من المنحنى الظاهرة والباطنة التي تساعد الإنسان على بناء حياته لأذلة واضحة على إبداع الخلق الحكيم، سبحانه تعالى - وقد نبه الله عباده في غير ما آية إلى النظر والتفكير في الأرض. قال تعالى: "وفي الأرض آيات للموقنين" (2).

فالأرض مليئة بالعبر والعظات لأهل اليقين. قال تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإنسان كيف خلقته إلى السماء كيف رفعت إلى الجبال كيف نصبت إليه الأرض كيف سطحت (3)؟ أفلا ينظرون من بسط الأرض ودحاها وجعلها بساطاً ممتدًا في الطول والعرض تسلكاً منها سبلًا نجاحًا؟ (4) تثبت عليها الأقدام وينقلب عليها الحيوان فيتمت بخبراتها الإنسان؟ إنه الله... فلا شيء بخلق نفسه.

وقد أبتى الله تعالى على عباده الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض، وبين الشمثة التي تحصل لهم نتيجة تفكيرهم وت списهم في خلق السماوات والأرض فقال تعالى: "إن في خلق السماوات والأرض وانتشار النجوم والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قيماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض. وينا ما خلقه هذا بإثارة سبحانه فقنا عذاب النار (5).

فتأمل أولي الألباب في خلق ربهم للسماء والأرض وما احتويه عليهم من الآيات الدالة على قدرة الباري سبحانه وتعالى - أكسبهم الشمثة المطلوبة وتلك الشمثة هي أنهم

(1) سورة فاطر آية: 41.
(2) سورة القدر آية: 20.
(3) سورة التحريم آية: 17 - 20.
(4) سورة نوح آية: 20.
(5) سورة آل عمران آية: 190 - 191.
بذكرنه - سبحانه - في جميع حالاتهم قياماً، وفعوداً وعلى جنوبهم، ثم أيقنته وآمنوا بأن
الرب - سبحانه وتعالى - لم يخلق هذه المخلوقات عباناً ولذلك نزهو عن العبث فقالوا:
«ربنا ما خلقنا هذا باطلاً».

فتكفرهم في هذا الكون الفسح علوه وسفلئه نقلهم إلى الإيمان بما وراء هذا
الكون وهو الدار الآخرة ولذلك تضرعوا إلى الله أن يقيهم عذاب النار الذي يوجب لصاحبه
الخزي والعار فقالوا: « سبحانك فتنا عذاب النار ».

وقد ذم الله المعرضين عن التفكير فيما خلق الله من المخلوقات في السماوات
والأرض فقال - سبحانه - « وجعلنا السماء سقفاً محفزاً وهم عن آياته معرضون » (1).

قال ابن كثير: «أي لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الانسان العظيم والارتفاع
البهاء، وما زينة به من الكواكب النواة والسيارات في ليلها ونهارها من هذه الشمس
التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة، تسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذي قدرها
ووشرها وسرها » أ. ه (2).

وقال تعالى: « وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها
معرضون » (3).

يخبر تعالى عن غلطة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله، ودلائل توحيده بما خلقه
الله في السماوات والأرض من كواكب زاهرة ثوابات، وسبارات وأفلاك دائرات،
والجميع مسخرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات، وحدائق وجنات، وجبال
راضيات، وبحار زاخرات وأمواج متلاطمات، وفقار شاسعات، وكم في أحياء وأموات
وحوان ونبات، وثمار متشابهة ومختلفات في الطعم والروائح والألوان والصفات،
- سبحانه الوحد الأحد - خلق أنواع المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء والصمودية
لأسماء والصفات وغير ذلك» أ. ه (4).

(1) سورة (الأبياء آية: 32).
(2) تفسير القرآن العظيم 5/461.
(3) سورة (يوسف آية: 160).
(4) تفسير ابن كثير 4/50.
دلائل توحيد الروبية من السورة

فالسموات والأرض مليئة بالأيام البيئات والحجج الواضحات التي تهدي الإنسان
وتدل على أن وراء هذا الكون خالقاً حكماً مدبراً، هو المستحق أن يعبد وحده دون سواه.

2 - تعاقب الليل والنهار:

إن تعاقب الليل والنهار المشار إليه في السورة بقوله تعالى: "يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل" بإدخال أحاديثه على الآخر وتداخلهما من أعمق آيات الله
وبدائع صنعه، وذلك يعيد الباري سبحانه وتعالى مذكورهما في القرآن ويبديه.
قال تعالى: "ومن آيات الليل والنهار" (1) وقوله تعالى: "هو الذي جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد أن يذكى أو أراد شكرًا" (2) وقوله سبحانه: "هو الذي جعل الليل
لباساً واليوم سبناً وجعل النهار نشوراً" (3).

فمثلاً تعالى هو الذي يحول ضياء النهار إلى ظلام الليل ليتمكن الإنسان من
الحصول على الهدوء والسكينة حتى يرتاح من إرهاق العمل ومشقة السعي، وحتى
يستجمع قوته ويجدد نشاطه ليواصل سعيةه من جديد إذا ما جاء النهار وولى الظلام؟ (4).
وفي ذلك عبر ودلالات واضحة على ربوبية الله - تعالى - وتصرفه في الكون كيف
يشاء.

وعند التأمل في مقدار الليل والنهار نجدها على غاية المصملحة والحكمة وأن مقدار
الليل والنهار لم يزيد على ما قدر له أو نقص لفانت المصملحة واتخلت الحكمة بذلك بل
جعل الله لهما مقداراً معيناً وهو أربعة وعشرون سنة ويتقارضان الز代价 بينهما، فما يزيد في
أحدهما من الآخر يعود الآخر فيستره منه، وفي ذلك قال تعالى: "يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل" (5) وفي الآية قوله:

أحدهما: أن المعنى يدخل ظلامة هذا في مكان ضياء ذلك وضياء هذا في مكان

1) سورة فصلت آية: 27.
2) سورة الفرقان آية: 62.
3) سورة الفرقان آية: 47.
4) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم 203/1 بتصرف.
5) سورة الحديد آية: 6.
طلمة الآخر فيدخل كل واحد منها في موضوع الآخر وعلى هذا القول تكون الآية عامة في كل ليل ونهار.

الثاني: أنه يزيد في أحدهما ما ينقص من الآخر فما ينقص منه يجل في الآخر لا يذهب جملة وعلى هذا القول فالأية تكون خاصة ببعض ساعات كل من الليل والنهار في غير زمن الاعتدال فهي خاصة في الزمان وفي مقدار ما يجل في أحدهما من الآخر(1). ولا تنافي بين القولين فكلاهما حق.

وعلى كل فاختلف الليل والنهار وزيادة أحدهما ونقصان الآخر من أظهر الأدلة على تصرف سبحانه في هذا الكون وذلك لأن الليل والظلامة عسكران مهبان عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذلك تارة وذل ذلك أخرى، وذلك يدل على أن كل واحد منهما مغلوب مقوم.

ولنرى من غالب فاكل لهما يكونان تحت تدبير وقيره وهو الله سبحانه وتعالى(2).

٣- تسخير الشمس والقمر لنهبته مصالح العباد ومنافعهم:

إذا تأمل الإنسان يفكر عميق وعقل متدر يفي بعض جزئيات هذا الكون المسخر لمصالحة والتي عليها استقرار حياتنا كفاه ذلك دليلاً واضحاً وحجة بينة على أن هذا الكون مخلوق لخلق حكيم قادر ومن جزئيات هذا العالم تسخير الشمس والقمر المشار إليه في السورة يقوله تعالى: وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفور.

إن الشمس والقمر عليهما يترب قواهم حياة البشرية وحياة جميع المخلوقات من حيوا ونبات.

قال الرازي: والثابت اعتبار أحوال الكواكب ليسما الشمس والقمر فإن الشمس سلطان الليل والقمر سلطان الليل وأكثر مصالح هذا العالم مربوطة بهما وقوله: كل يجري لأجل مسمى الأجل المسمى يوم القيامة لا يزال يجري إلى هذا اليوم فإذا كان يوم القيامة ذهبا ونظيره قوله تعالى: وجمع الشمس والقمر) والمراد من هذا التسخير(3.

(1) مفتاح دار السعادة ٢٠٩-٢١٠.
(2) تفسير الرازي ٢٤٤-٢٤٤.
(3) سورة القيامة آية: ٩.
أن هذه الأفعال تدور كدورات المنجنون(1) على حد واحد إلى يوم القيامة وعندئذ تطوى السماء كطبي السجل للكتب أ. ه(2).

وقال العلماء ابن القيم: "ثم تأمل هذا الفلك الدوار بشمسه وقمره ونجومه وبروجه وكيف يدور على هذا العالم هذا الدورة الدائم إلى آخر الأجل على هذا الترتيب وال نظام وما في طي ذلك من اختلاف الليل والنهار والقصول والحر والبرد وما في ضمن ذلك من مصالح ما على الأرض من أصناف الحيوان والنبات وهل يخفى على ذي بصيرة أن هذا إبداع المبدع الحكيم وتقدير العزيز العلمي ولهذا خاطبه الرسل أسمهم مخاطبة من لا شك عنده في الله وإنما دعوه إلى عبادته وحده لا إلى الإقراب به. أ. ه(3).

فتراعق الليل والنهار ناتج عن طلوع الشمس وغروبها فلولا تسخيره سبحانه الشمس والقمر والليل والنهار بصورة منظمة محكمة بلغت النهاية في التنظيم والإبداع لتعطل أمر العالم بأسره فقد ذل الله الشمس والقمر وسيرهما في أفقاكهما سيرا سريعاً متواتراً بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتباك أو أصتادم بينهما، وقد عهد الله ذلك من آياته قال تعالى: "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العلمي* والقمر قد نانه منازل حتى عاد كالاعجون القديم* لا الشمس ينغي لها أن تدرَك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في ذلك يسبحون(4)."

فبالليل والنوار تتعابقان على حد معلوم وقدر مقصوم كل منهما يتقدم الآخر مسراً في طببه وينغلب على المكان الذي كان فيه الشمَّش والقمر يدوران والنجم الثابتة والسيارة كل في ذلك يسبحون بسير مقدر، ونور مقدر، وانتظام دقيق، وحركة محسوبة، وترابط عجيب يساعين إنهية مقررة، فلم قد رد للشمس أن تغيب لحمايت الأرض بدوام شروقها، ولهلك كل ما عليها من حيوان ونبات فيكان طلوعها بنزلة السراج يرفع لأهل البيت ليقضيوا حوائجهم ثم تغيب عنهم مثل ذلك ليقروا ويبداوا. وصار ضياء النهار مع ظلام الليل وحرا هذا مع برد هذا مع تضادهما معاونين منتظرين بهما تمام مصالح العالم. وقد

(1) المنجنون: الدولاب التي يسبني عليها. انظر مختار الصحاح، ص 135.
(2) التفسير الكبير 26/4، 444.
(3) مفاتح دار السعادة 1/212.
(4) سورة فيس آية: 37-40.
أشار تعالى إلى هذا المعنى في قوله تعالى: "قل أرأيت إن جعل الله عليكم الليل سرماً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بضياء أفلا تسمعون* قل أرأيت إن جعل الله عليكم النهار سرماً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون".(1) ففخص سبحانه النهار بذكر البصر لأنه محله وفيه سلطانه وصوفه وخص الليل بذكر السمع لأن سلطان السمع يكون بالليل وتسمع فيه الحيوانات ما لا تسمع في النهار لأنه وقت هدوء الأصوات ومحم الحركات.(2)

ولهناك فوائد أخرى مترتبة على حركة الشمس والقمر أشار إليها سبحانه بقوله: "هو الذي جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منزل لتعلمو عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق بفصل الآيات لقوم يعلمون".(3)

فالخلق بأسرهم بحاجة ماسة إلى معرفة الحساب الذي لا غنا لهم فيها مصالحهم. عنه فعلية تتوقف معرفة أعمارهم والآجال المضروبة للديون والإجراءات والمعاملات والعدد وغير ذلك فلولا حركات الشمس والقمر في المنازل وتنقلهما فيها منزلة بعد منزلة لم يعلم شيء من ذلك.(4)

فالحركة الدائبة للشمس والقمر قائمة على النظام والإتقان والتقدير الإلهي الذي شمل كل مخلوقات الله تعالى ذلك أن تكون منظم ومنسق وائزناها مرتبة بإرادة الله وقدرتنا كما أن استمرارها على هذه الحالة منوط باختيار الله تعالى ومشيئته قال تعالى: "صنع الله الذي أتقن كل شيء".(5) وقال تعالى: "خلق كل شيء فقد قدره تقديراً".(1) وقال تعالى:

"إذا كل شيء خلقناه بقدر".(7)

فليس هناك فوضى أو عبث وإنما هو إتقان وتقدير إلهي بالنظام المتمضى في هذا

---

(1) سورة القصص آية: 72
(2) مفتاح دار السعادة 1/682، التفسير الفقيه ص 422.
(3) سورة يونس آية: 5.
(4) مفتاح دار السعادة 1/209.
(5) سورة النحل آية: 88.
(6) سورة الأعراف آية: 2.
(7) سورة القمر آية: 49.
الكون يدرك عقل الإنسان بسهولة ويسر لأنه لا يحتاج إلى كبد ذهن أو أعمال فكر لأنه خطاب موجه على العلم ينفوس البشر جميعًا فأقضت الحكمة الإلهية مخاطبة الناس كافة بآيات هذا الكون الفسيح وما فيه من عجائب المخلوقات ولقد أحسن من قال:

تأمل مسطور الكائنات فإنها من الملا الأعلى إبلك رسلاء
وقد خط فيها لن تتأملها خطها
كل شيء ما خلقت اللَّه باطل
فصامتها بيدى وهم هو قائلين (1)

فدلالة روبية الخالق مائلة في كل ما يحيط بني الإنسان على مختلف حالاتهم، نشرها الباري بينهم لكي يقرؤوها فيعبدو ويوحدهم دون سواه.

4- خلقه تعالى بني آدم من نفس واحدة:
قال تعالى: "خلقتكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجًا" هذى الآية من السورة بين الله تعالى فيها أنه خلق بني آدم الذين لا يحصى عددهم إلا هو سبحانه من أب واحد وهو أم على السلام حيث كان خلقه في المرحلة الأولى مخترقاً، ثم خلق لهـ الباري سبحانه زوجة من نفسه وسممه وهي حواء في صورة نادرة ليس لها مثال بين المخلوقات (2)، فخلق تعالى البشرية على هذا النحو من أعظم الأدلة الدالة على إبداع المبدع الحكيم والمدير العليم، وخلقه تعالى بني آدم من نفس واحدة فيه لفت أنظارهم إلى مبدأ خلقهم وأن البشرية على اختلاف تنوعها بين الذكر والأنثى، وعلى اختلافها في العرق والعنصر وتبنيها في اللغة واللُّغة، فإن مرجعها إلى مصدر واحد وإلى منشأ واحد كما قال تعالى: "يا أيها الناس انقولو ربيكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ويث منهما رجالاً كثيراً ونساءًا" (3).

قال ابن جرير حول قوله تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربيكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجًا" يعني بقوله تعالى ذكره: احذروا أيها الناس ربيكم في أن تخلفوه فيما أمركم، وفيما نهذاكم فيحل لكم ما لا قبل لكم به (4).

(1) مدارج السلفتين 3/ 156.
(2) إلخ نظرة على البيان 2/ 243، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/ 80، التفسير الكبير لمراعي 26/ 244.
(3) تفسير النسفي 245/ 100.
(4) سورة النساء 1/ 1.
ثم وصف تعالى ذكره نفسه: بأنه المتمد بخلق جميع الأنام من شخص واحد وعرف عباده كيف كان مبتداً إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنه بمثابة ذلك على أن جميعهم بنورجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، أ. ه(1)

إنشاء جميع البشر على كثرتهم الهائلة من نفس واحدة آية بنية على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته، وذلك من نعم الله علية عباده، فيجب عليهم أن يشكروا تلك النعمة وهي خروجهم من الامام إلى الوجود وفردهم سبحانه، والعبادة وحده لا شريك له.

5- تذكير العباد بمراحل التكوين في الأرحام:

قد جاء التذكير في السورة لبني آدم بأطوار خلقهم التي يبرون بها تمر بها الحيوانات عند خلقها مع النبات في تلك الأطوار، وقد أحيطت بظلالا متعددة في البطون، والأرحام، والمشابك، والسلي تحت العناية الربانية كما أثبت بأن الذي يفعل بهم ذلك إنما هو الله الذي له السلطان المطلق على جميع خلقه، والذي له الملك الحقيقي ظاهرا وباطنا فلا معبود بحق إلا هو سبحانه، و تعالى - فلا ينبغي لأي إنسان أن ينصرف عن عبادته وعن إخلاص العبودية له، وحده لا شريك له، إذ هو الذي خلقهم من العدم وحبما بأصناف النعم الظاهرة والباطنة، وليس في مقدر أي أحد أن يفعل لهم من ذلك شيئاً، مما كانت منزلته وعقله، وكرامته.

قال تعالى مذكرًا عباده بمرحلة تكوينهم في بطن أمهماتهم في الظلالات الثلاث: فيخلقكم في بطن أمهاتكم خلقاً في ظلمات ثلاث، ذكى ربك له الملك لا إله إلا هو، قال قادة ومهددي، فيخلقكم في بطن أمهاتكم خلقاً في بطن خلقاً، ثم علقة، ثم مضغوطة، ثم عظاماً، ثم لحماً، أ. ه(2).

وقال ابن جريج: «يقول تعالى ذكره: يبتديء خلقكم آيا الناس في بطن أمهاتكم خلقاً من بعد خلق وذلك أن يحدث فيها نطفة، ثم يجعلها علقة، ثم مضغوطة ثم عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم ينشئه خلقاً آخر في خلق الله تعالى، فذكى خلقه، إياكم خلقاً بعد خلقاً، أ. ه (3)»

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 4/223/244.
(2) الجمع لأحكام القرآن 15/336/246، وانظر مجموع الفتوى 16/216.
(3) جامع البيان 195/190.
وقال ابن كثير: «بخلافكم في بطول أمهاتكم خلقاً من بعد خلق أي: قدركم في بطول أمهاتكم يكون أحدكم أولاً، تنطلق ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم تخلق فيه لحماً وعظاماً وعصبًا وعروقة ونتفح فيه الروح فيصير خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين».

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى: "إن الإنسان إذا فكر في خلقه من أي شيء ابتداً وكيف دار في أطوار الخلقه طوراً بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقه وعرف يقيناً أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته، وبتقله من درجة إلى درجة وقدره من نقص إلى كمال علم بالضرورة أن له صانعاً قادراً عالياً مريدًا إذا ينصور حدوث الأفعال المحكمة من طبع، لظهر آثار الاختيار في القطرة وتبني آثار الأحكام والإتقان في الخلقه فله تعالى صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جحدها أ. هـ.

وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية «أن أحسن ما يستدل به على ربوبية الخالق هو الاستدلال بخلق الإنسان نفسه كما كر ذلك كتاب الله إذ هو الدليل وهو المستدل وفي أنفسكم أفلا تنصرون؟»، ولهذا يحدث في هذا الوجود من آثاره أ. هـ.

والحال كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذ أن خلق الإنسان من أعظم الآيات الدالة على وجود الخالق سبحانه - ومن أعظم الآيات الدالة على عموم قدرته وعلمه، وكمال حكمته وإحسانه ورحمة، ولما كان خلق الإنسان من أوضح الآية على وجود الباري جل علاؤه - من أقرب الأدلة وضوحاً للإنسان نفسه نجد أن الله تعالى - دعا جميع عباده إلى أن يتفكروا ويتذكروا ويبصرون على هذه الأرض. قال تعالى: "فلينظر الإنسان مم خلقه" وقال تعالى: "فيا أبا الناس إن كنت في ريب من البهث فإنما خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لتبين لكم وتفقه في الأرحام ما

(1) تفسير القرآن العظيم 80/6
(2) الملل والأنحل للشافعي 94/1
(3) سورة الذاريات آية: 21
(4) مجموع الطواف 122/16
(5) سورة الطارق آية: 5
نهاية أهل مسما ثم نخرجكم طلافا ثم تبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى
آرذل العمر لكبيلا يعلم من بعد علم شيئاً(1).

وقال تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلنا نطفة في قرار مكين
ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة ضعيفة فخلقنا العلقة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم
أنشأنا خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"(2).

فهوتان الآيتان فيهما شرح لكيفية خلق الإنسان فقد بين الله فيهما أن أصل خلق
الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام كان من طين. ثم بين- تعالى - أنه خلق نسل آدم من
tلك النطفة، التي مر تباثور مختلفة ففي البداية كانت نطفة ثم صارت علقة، ثم صارت
مضغة، ثم صارت عظاما، فكسنت تلك العظام لحماً إلى أن صار بشراً سوياً، وذلك من
أعظم الأدلة الدالة على قدرة الله المهيئة على كل شيء، ومن رحمة تعالى أنه هيئاً لتلك
النقطة الأسباب التي أوصلتها إلى مستقرها وقرارها المكين الذي يناس بها.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فانظر الآن إلى النقطة بين البصرة وهي قطعة من
ماء مهين، ضعيف ولم يساع - أي للحظة - من الزمان فسدت وأنتن، كيف
استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والتراب، منفقة لأقدرته مطعية
لمشيته مذللة الانقباد على ضيق طرقها، وانتشار مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها
ومجتمعاً... وكيف قد إجتمع ذكين البائنين مع بعد كل منهما عن صاحبه، وساقهما
من أعماق العروق والأعضاء، وجعلهما في موضع واحد جعل لهما قراراً مكيناً، لا يناله
هواء يفتد ولا يرده، ولا عارض يصل إليه، ولا آفة تسلط عليه، ثم قلب تلك
النقطة إلى علقة حمراء مباينة للنقطة، ثم جعلها مضغة لحما، مباينة للعلامة في شكلها
ولونها وحققيتها، ثم تحول تلك المضغة عظاماً مجردة لا كسوة عليها مباينة للمضغة كل
المباينة في الشكل والهيئة والقدر والملمس، ثم كيف قسمت تلك النقطة الحمراء إلى
تلك الأجزاء المتوازئة، وبالمقدار المناسب لكل عضو، ثم اتجاه كل جزء، أولاً إلى
مكانها المناسب في وقته وأوانه وعلى حسب الحاجة إليها، فمنها ما يتجه لإنشاء العظام

(1) سورة الحج آية: 50.
(2) سورة المؤمنون آية: 14-15.
كل في مخلقه، وعلى قدره الذي قدر أن يكون عليه فمنها الصغير، والكبير، والطويل، والقصير، والمنحنى، والمستدير، والعريض، والمصمت، والمجرف، فهي مختلفة الأشكال والأحجام، وذلك حسب اختلاف المنافع المنوطبة بها، ثم شد تلك العظام وربط بعضها ببعض برباط قوي محكم بحيث لا يسقط عضو من آخر.  

١) نحن خلقناهم وشبدنا أسرهم.  

٢) ثم إن هذا الخلق الذي بنته بخلق النطفة إلى أن يصير بشراً سوياً يتم في ظلال ثلاث كما أشارت إليه السورة في قوله تعالى: { خلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلال ثلاث دخل كلهم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو وتعالى تؤمنون } والمراد بالظلالات الثلاث هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلامة الشيمة.  

٣)召集ت تلك الظلال الثلاث يتم ذلك الخلق العجيب فعلي الإنسان أن يصور نفسه وهو في تلك الظلالات الثلاث: لا عين تراه، ولا يد تلمسه، ولا حيله له في التماس الغذاء.

قال ابن القيم: "فأewed الآن النظر فيك وفي نفسك مرة ثانية من الذي دبرك بالطوف تدبير، وأنت جنين في بطن أمك في موضوع لا يد تالك ولا يلمع بدرك ولا حيلة لك في التماس الغذاء، ولا في دفع الضرر من الذي أجره إليك من دم ما يغذكك كما يغذو الماء النبات، وقلب ذلك الدم لبناً ولم يزل يغذيك به في أضيق الموئوض وأبعدها من حيلة التكسب والطلب حتى إذا كمل خلقك واستحكم وقوي أدمك على مباشره الهواء، وبصرك على ملاقاة الضياء، وصلبت عظامك على مباشره الأبدي، والتقرب على الغبراء هاجام الله عليه وضح لنا وجه الدلالة من التدبر في خلق الإنسان على أن هناك مديراً حكماً قادرًا عليها وراء هذا الكون وما فيه من المخلوقات دبره فأحسن تدبره  

فسبحانه  

من إله حكيم أحكم خلقه وقدره تقديراً.

وبعد هذا العرض لمرحلة تكوين العباد في الأرحام تقول إذا إذا اعتبرنا أن تلك المراحل إنما سيقت لنا كيف خلق الإنسان؟ وكيف نما؟ وكيف تحول بحكم المراحل

١) مفتاح دار السعادة ١٨٧/ ١٨٩-١٨٠ وسائر إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤٤ - ٤٥.

٢) سورة الإنسان آية ٢٨.

٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣٦/١٥، تفسير ابن كثير ٨٠.

٤) مفتاح دار السعادة ١٠٥/ ٢٥٥-٢٥٦.
المعاقبة إلى كائن حيواني، ثم كيف انتقل إلى ذلك الإنسان العاقل المدرك الواعي عنده من المؤهلات والاستعدادات ما يجعله يبوا عمارة هذه الأرض ومسؤولية بنائها.

ولتبين: أن ذات التعريف بخلق الإنسان إنما جاء دليلاً على قدرة الله وعلمه وحكمته
وعندئذ يكون التعريف بتلك المراحل إنما هو تعريف بالله وبصفاته اعتماداً على التعريف.

بأحد مخلوقاته المعترفة اعتباراً أولياً.

فأينما الإنسان خلقه، ليس مخلوقاً من قطعة ماء؟ من كونها لحوماً منضدة وعظاماً.
مركبة وأوصالاً متعددة مشدودة بالعروق والأعصاب مجمعة بجلدتين مشتمل على
ثلاثمائة وستين مفصلًا ما بين كبير وصغير.

من جعل فيها أبواب فبابان لللسعوم وبابان للبصيع وبابان للبصاع للشم وباب للكلام
والطعام والشراب والتنفس وبابان لخروج الفضلات التي يُؤذيه احتباسها؟

من جعل داخل باب البصر ملحًا لتلاذيب الحرارة الشحم الذي فيه؟

من جعل داخل باب الطعام والشراب حلاً ليسى ما يأكله ويشربه فلا ينام به لو
كان مرأ أو ملح؟

من جعل له مصباحين كالسراج المضيء في أعلى مكان في أشرف عوض طلعته

له؟

فخلق الإنسان من الآيات العظيمة الدالة على ربوبة الله تعالى لهذا الكون وما فيه
من ألوان المخلوقات وقد حث الله عباده على أن يتفكروا في أنفسهم ليستلوا بذلك على
معرفة الله وأنه المعبد بحق دون سواء.

قال تعالى: {فينظر الإنسان ممّ خلق خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب
والترائب إنه على رجعة لا قادر} (1)

وقال تعالى: {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} (2).

(1) التنبيه في أقسام القرآن ص 340.
(2) سورة الطارق آية: 48-5.
(3) سورة الذاريات آية: 21.
قال قنادة: «من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولن يبق من فصله للعبادة».
وقال ابن جريج الطبري: «وفي أنفسكم أيضاً: أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية
صانعكم، وأنه لا لكم سواء إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم».

6 - الاستدلال بخلق الأزواج الثمانية من الأنعام على ربوية تعالي:
من الأدلة التي أشارت إليها السورة على ربوية الخالق - سبحانه وتعالى - خلقه تعالي
الزوجات الثمانية من الأنعام وهي الإبل، والبقر، والضأن والمعز(1) وهذه الأصناف تعتبر
أكثر الحيوانات نفعاً لبني الإنسان فقد خلقها - تعالي - لهم فضلًا منه وكرومًا، وقد جاءت
الإشارة إليها في السورة بقوله تعالى: (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) وقد يقال هنا:
كيف عبر عن الأنعام بالإنزال مع أنها مخلوقة على الأرض، فيجاب عليه بأن الإنزال في كل
شيء بحسبه.

قال شارح الطحاوية: أثناء رده على القائلين بشأن إنزال القرآن إنما هو تنوير إنزال
المطر أو إنزال الحديد، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام. قال رحمة الله: (وإنزال الحديد
والأنعام مطلق، فكيف يشبه هذا الإنزال بهذا الإنزال؟ فالحديد إنما يكون من المعادن التي
في الجبال، وهي عالية على الأرض، وقد قيل إنه كلما كان معدنًا أعلى كان حديثًا أجدود.
والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الأماث، ولذا
يقال: أنزل ولم يقل نزل، ثم الأجنة تنزل من بطن الأمهات إلى وجه الأرض، ومن
المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إناثها عند الوطط، وينزل ماء الفحل من علوم إلى رحم
الأمثى، وتلقى ولدها عند الولادة من علوم إلى سفول وهنا يحمل قوله تعالى: (وأنزل
لكم من الأنعام) وجهين:
أحدهما: أن تكون (من) لبني الجنس.
الثاني: أن تكون (من) لابتداء الغناية أ. ه(4).

(1) تفسير القرآن العظيم 2/191. 419
(2) جامع البيان 2005/626.
(3) جامع البيان 2005/194، الجامع لأحكام القرآن 235/15.
(4) شرح الطحاوية 196.

بحث العقدة م 22
وفقًا إلى المرجع الأولي للفيلم، فإن الشيء الذي يتوجب علينا التعرف عليه هو تفسير الآية 80. في هذا السياق، فإن الرسالة تتعلق بنقل الإبصار. في المتاح من مصادره، كان أعلمهم على الإطلاق وله حديث

(1) تفسير ابن كثير 106/10.
(2) هو: سعيد بن جبير البدري، بالله الكوفي أبو عبد الله، تابع، كان أعلمهم على الإطلاق وهو حديث
(3) الجمع للأحكام القرآن 154/2.
(4) سورة البقرة الآية 26.
(5) سورة الأعراف الآية 2.
(6) فتح القدر 174/3.
كما بين لنا تعالى أن خلقه الأنعام من نعمة التي توجب أنه المتفرد بالخلق والوحدانية ولا يشرك به غيره في العبادة.
قال تعالى: "أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملتم أبدًا أنتما فهم لنا ملكون* ولهم فيها مناع ومشارب أفتل يشكرون"(1).
وذلكنا لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها مناع ومشارب أفتل يشكرون(2).
قال العلامة ابن كثير: يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم (فهم لنا ملكون) قال قنادة مطيعون أي جعلهم يفرومنهما وهي ذيلية لهم لا تمنع منهم بل لوجاء صغير إلى بغير لأناخه ولو شاء لأقامه وساقه وذلك ذيل منقاد معه وكذل كوان القطار مائة بغير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير قوله تعالى: "فمنها ركوبهم أي منها ما يركبون في الأسفل ويجملون عليه الألف إلى سائر الجهات والأقطار (ومنها ما يأكلون) إذا شاؤوا نحووا واجتزروا (ولهم فيها مناع) أي من أصوفاها وأورارها وأشعارها أثناً ومتاعًا إلى حين (ومشارب) أي من ألبانها وأبرالها من يتداوي ونحو ذلك (أفتل يشكرون) أي أفتل يوجدون خالق ذلك ومسخره ولا يشركون به غيره. أ. ه(3).
وقال تعالى: "والأنعام خلقه لكم فيها دفء ومناع ومنها تأكلون"(4).
وفي هذه الآية يمن利润率 علی عباده بخلقهم لهم الأنعام وما فيها من المناع الكثيرة وذلك من حجبه على الناس حيث خلقه لهم وسخرها لهم وجعل لهم من أصوفاها وأورارها وأشعارها ملابس يتدفون بها من البرد ويشرون من ألبانها وجعل لهم ظهره بعضها مركباً وسنف منها يأكلون لحومها كالإبل والبقر والغنم وسائر ما يؤكل لحمه من غيرها (4).
وقد أمر الله عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته ووعزته ومن بين تلك المخلوقات التي أمر بالنظر إليها الإبل. قال تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقته وألي السما كيف رفعت وألي الجبال كيف نصبته وألي الأرض كيف سطحت(5)

(1) سورة فترات آية: 71-73.
(2) تفسير القرآن العظيم: 360.
(3) سورة النحل آية: 50.
(4) جامع البيان من تأويل آي القرآن: 24/78.
فأول ما أرشد تعالى في هذه الآيات إلى النظر في الأبل فإنها خلق عجيب وتركيب غريب، فإنها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتتفاد للقائد الضعيف يؤكل لحمها ويتسع بورها ويشرب لبها ونبى الله خلقه إلى ذلك لأن العرب كان غالب دوابهم الأبل وكان القاضي شريح (1) يقول: أخرجوا بنا حتى ننظر إلى الأبل كيف خلقت؟ وإلى السماء كيف رفعته وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت؟. . . فنه البديع على الأستدلل بما يشاهده من بيبر الذي هو راكب عليه السماء التي فوق رأسه والجبل الذي تجااهه والأرض التي تحته على قدرة خلق ذلك وصانه وأنه الرب العظيم الخالق الملك المتصرف وأنه الإله الذي لا يستطيع العبادة سواء (2).

فذلك كله يوجه الله عباده من خلال كتابه بأن ينتبهوا ويعتبروا في خلقه للأنعام ويعاودوا العمرة منها التي ترشدهم إلى عجيب صنع الباري وبدل هذا الصنع على ألوهته سبحانه وتعالى فالمين الذي تدره لهم ضروع الأمام الذي هو مستخلص من بين الفرث والدم والفرث وهو ما يبقى في كرها بعد الهمض ويعد أن تنص الأماء العصارة المتحولة إلى دم، هذا الدم الذي يذهب إلى كل خليفة في الجسم فإما ما وصل إلى غدد اللبن الموجودة في الضرع تحول إلى ذلك اللبن الخالص السائل للشاربين بديع صنع الله الذي أنتقى كل شيء.

(1) هو شريف بن الحارث بن قيس بن الجهم الكنيدي أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام أصله من اليمن وفي قضية الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية واستعفي في أيام الحجاج فأفعاه سنة سبع وسبعين هجريا وكان ثقة في الحديث مأموناً في الفقه في سنة ثمان وسبعين هجريا. انظر ترجمته في تقرير التحديب 397 وطبعات الحفاظ لسيويدي ص 27 رقم الترجمة 42 وانظر تذكرة الحفاظ 59/10 والعلماء للزركي 3/327.
(2) تفسير القرآن العظيم 7/277.
(3) سورة النحل آية 66. (4)
دليل توحيد الروبية من السورة

7- إنزال المطر وإنبات النبات:
من دلائل الروبية التي وردت في السورة إنزال المطر من السماء وإنبات النبات قال تعالى: "َّاَللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعُ فِي الأَرْضِ ثُمَّ بَخَرَجَ بِهِ زَرْعًا مَعْطَلًا أَلَوْنَهُمْ ثُمَّ بَهَيجَ فَتَرَاء مَسْفَرًا ثُمَّ يُحَوِّلُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ لِلَّذِينَ يَرْكَبُونَ الْآلَابَ".
في هذه الآية من السورة أشار سبحانه إلى دليل حسي ملموس متكرر وملاحظ على قدرته ولطفه وعلى أنه الراب الذي يشمل إحسانه وإنعامه ورحمة جميع مخلوقاته حيث ينزل لهم المطر من السماء فيدخله جل وعلا في ينابيع (1) في الأرض، ثم يخرج به من الأرض الزروع المختلفة في ألوانها من الخضراء والصفراء والحمراء والبياض والمتنوعة في أجسامها من البر والشعر والتمر والعنب ثم لفت الانتباه إلى ما يصيب ذلك الزرع من الاصفار بعد نضره ويهجه حيث تتزلف وتذهب بهجته وخبرته فهو حطاماً متفشياً متكسرًا. ثم بين بأن في هذه الأحوال المتقدمة الصغيرة والإنصات والتذكير لأهل العقول السليمة (2) الذين يذكرون بذلك فوقعون بأن من فعّل كل ذلك (لا يعترض عليه إحداث ما شاء من الأشياء وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض وإحياء من هكذا من خلقه من بعد مماته وعادته من بعد فتنته كهيئة التي كان عليها قبل فتنة كما فعل بالأرض الميتة التي أنزل عليها الماء فإنَّت الزرع المختلف الألوان بقدره (3).
إنزال المطر من السماء، ومشاهده الأرض مخصبة بالألوان من النباتات المختلفة لونًا وعَجْسًا بين عشيّة وضحاها آية متكررة بين العبادات دلالة واضحة على أنه لا بد من صانع حكم وأن ذلك كائن عن تقدير وتذكير لا عن إهمال وتهيأ ولا دخل للطبيعة والصدفة التي يلهج بها الجاحدون للصانع الحكيم الذي دلت جميع المخلوقات على وحدها وآلوتيه الحقة.
وقال شيخ الإسلام حول الآية السابقة: فأخبر سبحانه أنه يسلك الماء النازل من السماء ينابيع والنباتات يجمع ينبوع وهو منبوع الماء كالعين والبر فدل القرآن على أن ماء

(1) الينابيع جمع ينبوع وهو منبوع الماء. وانظر الجامع لأحكام القرآن 15/4246.
(2) جامع البيان 33/228، تفسير القرطبي 15/15، تفسير ابن كثير 6/87-87، تفسير النسفي 44/2.
(3) جامع البيان عن تأويل آية القرآن 33/209-208.
السماء تتبع منه الأرض والإعتبار يدل على ذلك فإنه إذا أكثر ما السماء كثرت بالنبيع وإذا قل قلت.

وماء السماء ينزل من السحاب والله ينشئه من الهواء الذي في الجو وما يتضاعده من الأبشر.

وليس في القرآن أن جميع ما ينبع يكون من ماء السماء ولا هذا أيضاً معلوماً بالاعتبار فإن الماء قد ينبع من بطون الجبال ويكون فيها أبخرة يخلق منها الماء، والأبخرة وغيرها من الأهرية قد تستحلل ماءاً كما إذا أخذ إنسان فوض فيه تلج فإنه يبقى ما أحاط به ماء وهو هو استحال ماء، وليس ذلك من ماء السماء فعلم أنه ممكن أن يكون في الأرض ماء ليس من السماء فلا يجعل من جميع المياه من ماء السماء وإن كان غالباً من ماء السماء. أ. ه.

وعلى كل حال فإن الماء النازل من السماء أو الماء النابع من الأرض فهوماً من الآيات الكونية التي نصها الله للدلالة على الصانع الحكيم وقدرته التي تنسع لكل شيء.

وإن فيما أنزله الله من جهة السماء من ماء مبارك عمرت به الأرض بعد خرابها لدليل ساطع على قدرة الله ووحدانيته وفي إنزاله أيضاً من السماء حكيم عظيمة مترتب عليها الكثير من مصالح العباد.

قال العلامة ابن القيم: "ثم تأمل الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علوه في بسطيه وتسليه وتشيله وحضورها وأكماها ومنتفضها ومزروعها ولا كان ربها تعالى إلا يسقي من ناحية من ناحية مما أتي الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا تجمع في السفلي وكبر في ذلك فساد فاقتضت حكماً أنه سقاها من فوقها ففيه سباحة السحاب وهي روايا الأرض ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر وتلقحها به كما يلقع الفحل الأثني وألهذا تجد البلاء القريبة من البحر كثرة الأمطار وإذا بعدت من البحر قل مطرها وفي هذا المعنى يقول الشاعر يصف السحاب:

شرين بماء البحر ثم ترفعت من لجج خضر لهن نشيج (1)

(1) مجموع الفتاوى 16/11/17-18.
وفي الموطأ مرفوعاً وهو أحد الأحاديث الأربعة المقطوعة إذا نشأت سحابة بحرية، فتلقع عين غديقة(1).

فصل الله سبحانه وتعالى الماء في السحابة إنشاء تارة بقلب الهواء، وتعمل يحمله الهواء من البحر فيفجع به السحابة ثم ينزل منه على الأرض، لا يحصل عموم السقح إلا بتخريب كثير من الأرض ولم يحصل عموم السقي لأجزاءها فصعدة سبحة - يابلطه وقد رده لا أنزله على الأرض بغاية من اللطف والحكم التي لا اقتراح لجميع عقول الحكماء فوقها، فقال: "رحمته على الأرض"(2).

وقد لفت القرآن أنظار العابد إلى النظر في إزال المطر من السماء في مواضع كثيرة، فلما قال تعالى: "لأن تر أن الله يزيج سحابة ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً قنوراً، وودقه يخرج من خلاله"(3).

ففي هذه الآية نبه الله العبد إلى أن يستعملوا عقولهم في التفكير في سوقه تعالى للسحابة، وجعله بعد تأليف بعضه إلى بعض ثم ينزل المطر من خلاله، فنصره الله على أمر نعمه كثيرة فيها الخبر الكبير للإنسان والحيوان وكل ذلك بدأ على وجود إله قادر بيه إله الخلق والأمر وهو على كل شيء قادر وقال تعالى: "ولأننا الرياح لواقفة فأنزلنا من السماء ماءً فأقسموا كوكبنا، وما آتمن له بخازين"(4).

وفي هذه الآية يخبر تعالى أنه يرسل الرياح لواقفة ولبّحها حمل الماء وإلقاحها، فجلب السحب باصلة نعمه، فكل ما تقدر اللقحة ثم تمطر، ونقد أيضاً أرضي الله عنده: يبعث الله الرياح فتلقع السحابة ثم تمطر في نجد كم تقدر اللقحة ثم تمطر(5).

(1) الموطأ / 50.
(2) مفتيح دار السعادة / 224-225.
(3) سورة الأنوار: 43.
(4) سورة الحجرات: 22.
(5) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن / 24020.
ومن حكمته ورحمته جل وعلا يعابده أنه ينزل المطر بقدر حاجة الأرض حتى إذا أخذت حاجتها منه وكان تتابعته عليها يضرب بها أمسكه عنها وأتبعه بالصحو فجعل تعالى الصحوا والقيم متعاقبين لما فيه من المصالح الكثيرة لهذا العالم. قال تعالى: فإن من شيء إلا عندنا خزائن وما ننزله إلا بقدر معلوم (1) قال أبو جعفر بن جرير يقول تعلّى ذكره: وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائن وما ننزله إلا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حده ومبلغه. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما من أرض أمطر من أرض ولكن الله يقدر في الأرض (2).

فقوذ الله بأن توالت الأمطار أهلكت كل ما على الأرض ولوزاد نزول المطر على قدح حاجتها لفسدت الجبوب والشمار وتعفت الزروع والخضروات خشى الأبدان ويوحشر الهواء وتحصل ضروب من الأمراض وفسد أكثر المأكل وتقطع المسالك والسبيل.

ولوقذ الله دوام الصحولا لجفت الأبدان وغيض الماء وانقطع ماء العيون والأبار والأنهار والأودية وعظم الضرر واشتد الهواء في سيس ما على الأرض فيحدث عن ذلك ضروب من الأمراض عسرة الزوال ولكن حكمة اللطيف الخيبر اقتصت بأن عاقب بين الصحوا والمطر على هذا العالم فاعتذل الأمر ووصح الهواء ودفع كل واحد منهما عادتة الآخر واستقام أمر العالم وصلح (3).

والذي نخلص إليه مما تقدم أن إنزال الباري - سبحانه وتعالى - المطر من السماء ليعم بسبقه كل أجزاء الأرض ثم تبت الأرض على أثر الزروع المختلفة لوناً وجنساً وطعماً ورائيحة لدليل واضح على أن وراء هذا الكون إلّا قادراً حكماً يصرف فيه كيف يشاء بيده الخلق والامر سبحانه وتعالى.

8 - تصرفه - تعالى - في شؤون خلقه:

لقد دلت السورة على أنه تعالى المتصرف في شؤون خلقه كلها من الحياة والموت،

---

(1) سورة الحجارة: 24
(2) جامع البيان عن تأويل آية القرآن 18/24
(3) مفتاح دار السعادة 134/184
دلائل توحيد الروبية من السورة 

ومن بسطة الرزق لمن يشاء، وتعيينه عن يشاع وأن يبدى خزائن السماء والأرض يفتح منها على من يشاع ويمسكها عن يشاع من خلقه فله - سبحانه - التصرف المطلق في كل شيء في هذا الوجود وأن سواه لا يملك شيئا كائناً من كان.

قال تعالى: «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون».

هذه الآية من السورة أقام الله فيها الدليل القاطع على قدرته الكاملة، وعلى روبية الشامائل لكل مخلوق، فأخبر أنه يتوفى الأنفس، ويمسك الأرواح ويجول بينها وبين أبدانها حالولا نهائية عندما يجيها أجلها الذي قده له، كما ينالها - تعالى - أن يبتضها نوعا آخر من أنواع القبض حتى يكون إتصالها بالدن إنزالا غير تام بحيث يذهب عنها تميزها وينقطع تفكيرها وتعلقها وذلك في حالة نومها.

فأما النفس الأولى: التي قضى الله عليها الموت فإنها تقبض عن الدن قبضاً نهائياً.

وأما النفس الثانية: التي توفيت النوفاة الصغرى بأن كانت نائمة فيطلقاتها تبها ورسلها للعودة إلى جسدها إلى حين يأتيها أجلها عند انقضاء المدة التي بقيت لها من عمرها ثم يتوفرها إليه.

ثم أوضحت الآية أن ذلك القبض، والإرسال، والإمساك والإطلاق فيه العبر والآيات والدلائل الواضحة لمن تفكر وتدبر بهذد الوصول إلى الحقيقة التي يدرك من خلالها الإدراك الصحيح أن الأول قادر على هذه الأمور المذكورة هو الذي يجب أن توجه له العبادة وأن يخلص له الدين كله.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى حول الآية: «الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها» الآية يقول تعالى ذكره: ومن الدلالة على أن الله هو الواحد القهار خالصة دون كل ما سواه أنه يبت ويحيب ويفعل ما يشاء ولا يقدر على ذلك شيء سواء فجعل ذلك خبراً نبههم به على عظيم قدرته» أي: (1).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى حول هذه الآية: «قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة (1) جامع البيان 9/249.`
دلالات توحيد الروبية من السورة

إنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوني الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقيدونها في الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تعالى: (وهو الذي يتوفاك بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يعطكم فيه لقيضي أجل مسمى ثم إنه مرجعكم ثم ينبشكم بما كنت تعملون* وهو القاهر فوق عباده ورسول علیكم حفظة حتى إذا جاء أضحك الموت توته رسلنا وهم لا يفرطون) (1). فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبيرة وفي هذه الآية ذكر الكبيرة ثم الصغرى وهذل قال: بارك وتعالى - (الله يتوني الأنفس حين موتها وهي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الآخر إلى أجل مسمى* ... إلى أن قال: (وقال بعض السلف يقبض أرواح الأمورات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناما فتعتبر ما شاء الله تعالى - أن تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت) التي قد مانت (ويرسل الآخر إلى أجل مسمى) قال السدی: إلى بقية أجلها، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: يمسك أنفس الأمورات ويرسل أنفس الأحياء ولا يغفل (2).

وروي عن ابن عباس أيضاً في هذه الآية أنه قال: (بليغني أن أرواح الأحياء والأمورات تلتقي في المنام فيتسائلون بينهم فيمسك الله أرواح الموت ويرسل أرواح الأحياء إلى أجهسدها). وقال سعيد بن جبير إن الله يقبض أرواح الأمورات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناما فتعتبار ما شاء الله أن تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الآخر(3). أي: يعيدها.

وقال السدی في قوله تعالى: (والتي لم تمت في منامها) قال: (يتوفاك في منامها فيلتقى روح الحي، وروح الموت فيذکاران وتعارفان: فترجع روح الحي إلى جسدها في الدنيا إلى بقية أجلها وترد روح الموت أن ترجع إلى جسده فتجب(4).

وهذا البيان من هؤلاء الأئمة لمعنى الآية إنما هو أحد القولين في هذه الآية وهو: أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولاً، والمرسلة من توفيت وفاة النوم، فيكون المعنى

(1) سورة الأنعام آية: 23-26
(2) تفسير القرآن العظيم: 96-97
(3) جامع البيان: 42/9، الروح، لا بن القيم ص: 30-31
(4) جامع البيان: 42/9، كتاب الروح، لا بن القيم ص: 31-32
على هذا التفسير أنه يتوخى نفس الهمت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة، ويتولى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها فينوفها الواحة الكبرى، وأما التفسير الثاني في هذه الآية: هو أن المسماة والمرسلة في الآية كلاهما توفيتان وفاة نوم فمن استكملت أجلها الذي قدر لها أمسكاها عندها فلا ترجع إلى جسدها، ومن لم تستكمل الأجل المحدود لها ردها إلى جسدها تستكمله، وقد اختار هذا الوجه شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: «ولعل هذا يدل الكتاب والسنة فإن الله ذكر إمساك التي قضى عليها الموت من هذه الأئمة التي توفاه بالنوم، وأما التي توفاه حين موتها فتلقى لم يصفها إمساك ولا إرسال فتلكقسم ثالث» (١).

أما تلميذه ابن القيم فقد جنح إلى ترجيح القول الأول وقال: لأنه - سبحانه - أخبر ببوتائين وفاة كبرى وهي وفاة الموت، وفاة صغرى وهي وفاة النوم، وقسم الأرواح قسمين:

قسماً: قضى عليها بالنوم فأمسكها عنا، وهي التي توفاه الموت.

وقسمًا: لأنها بقية أجل فردها إلى جسدها إلى استكمال أجلها، وجعل - سبحانه - الإمساك والإرسال حكيم للبوتائين المذكورتين أولًا فهذه مسماة وهذه مرسلة، وأخبر أن التي لم تمت هي التي توفاه في منامها فلوك كان قد قسم وفاة النوم إلى قسمين، وفاة نوم، وفاة نوم لم يقل (والتي لم تمت في منامها) فإنها من حين قبضت مات وهو - سبحانه - قد أخبر أنها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك: (فيمسك التي قضى عليها الموت) بعد أن توفاه وفاة النوم فهو - سبحانه - توفيها أولًا وفاة نوم ثم قضى عليها الموت بعد ذلك.

وأحتج أن الآية تتناول النوعين فإنه - سبحانه - ذكر وفائتين وفاجهة نوم وفاة نوم وذكر إمساك المتوفاة وإرسال الأخرى وعله أنه - سبحانه - يمسك كل نفس ميت سواءً مات في النوم أم في اليقظة، ويرسل نفس من لم يمت فقوله (فيمسك الأئمة حين موتها) يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام» (٢).

والذي يبدو أن القول الراجح هو ما قرره ابن القيم رحمه الله تعالى ولا ننسى أن ذكر

(١) مجموع الفتاوى ٤٥٢٥ / ٤٥٣ - ٤٥٣، شرح حديث النزول ص ٩٤.
(٢) كتاب "الروح لا يلبق" ص ٣١ - ٣٢.
أن الآية المتقدمة وهي قوله تعالى: "الله يتوفر الأنفس حين موتها التي لم تمت في منها فيمسك إله مستنير على الموت ورسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون": دلت على أن الروح محددة لأنها وصفت بالوفاة، والقبض والإمساك، والإرسال وهذه الصفات من شأن المخلوق المحدث المردود والمولود بالأنفس في الآية هي الأرواح قطعاً لما رواه البخاري في صحيحه من حديث بلال فإن الله بقيض أرواحهم حين شاء وردها حين شاء (1). فهذه الأرواح المقبولة هي الأنس التي يتوفىها الله حين موتها وفي منها التي يتوفها ملك الموت، وهي التي تتوفاهارس الرب، سبحانه، بإذنه وقضائه وحكمه وأمره (2).

وفي الآية أيضاً: "تبيه على عظيم قدرته وانفراده بالألوهية، وأنه يفعل ما يشاء ويرعب ويحب، لا يقدر على ذلك سواه" (3).

9- بسطه تعالى الرزق لمن يشاء وتضييقه على من يشاء:
قال تعالى: "أولم يعلموا أن الله يضبط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر إن في ذلك لأيات لقوم يؤمنون".

أقام الله تعالى في هذه الآية دليلًا محسوسًا وملموسة على روبية بحس العبادات بحواسهم، ويلمسون بين ظهرانيهم، ويشاهدون ذلك بأبصارهم في حدود سبحانه، ويفندون بالعبادة، وهذا الدليل هو أن سبحانه الفعال لما يشاء بتوسعه الرزق على من يشاؤه من عباده سواء كان صالحاً أو غير صالح، وضيقه على من يريده من عباده سواء كان صالحاً، أو طالماً فرزقه، سبحانه مشترك بين الخلق أجمعين، أما الإنسان والعمل الصالح فيختص به أصل البرية وهذا أمر ملحوظ في الدنيا، كما وأوضح الآية أن فعله تعالى ذلك ويصرفه في العطاء، والسعى، والمنع والتضييق على من يشاء يحمل في طياته العبر، والعظات والحكم البالغات للمؤمنين المتفقين بالمواعظ والعبر لأنهم يعلمون أن مرد ذلك راجع إلى حكمته ورحمته تعالى وله تعالى بالعبادة، فقد يضيق عليهم (4).

(1) صحيح البخاري 1/112، سنن النسائي 2/108، الموتى عم شرحة توير الحوالك 35/1.
(2) الروح لابن القيم ص 119-200.
(3) الجامع لأحكام القرآن 2/156.
دلائل توحيد الربيوة من السورة

الرزق لطفاً بهم لأن بسطه عليهم قد يحملهم ذلك على الفساد والبغي في الأرض ففعله

سبيحانه - ذلك مراعاة لإصلاح دينهم الذي هو مصدر سعادتهم وفلاحهم.

قال: أبو جعفر ابن جبرير رحمه الله تعالى حول هذه الآية: "ويقول تعالى ذكره: أو لم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم فقالوا: إنما أوترثنا على علم من أن الشدة والرخاء، والسعادة، وال секعة، والضيق، والبلاء بيد الله دون كل ما سواء بسط الرزق لمن يشاء، فيوسعه عليه، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده، فيضيقه، وأن ذلك من حجج الله على عباده، ليعتبروا به، ويزكروا، ويعلموا أن الرغبة إليه، والرهبة دون الآلهة، والأنداد: إن في ذلك لايات يقول: إن في بسط الله الرزق لمن يشاء، وتقترح عليه من أراد لأيات: يعني دلالات، وعلامات (لقوم يؤمنون) يعني يصدقون بالحق فيقولون إذا تبينوه وعلموا حقائق أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواءه".

وقال أبو عبد الله القرطبي حول قوله تعالى في الآية السابقة: "إن في ذلك لايات لقوم يؤمنون، يختص المؤمن بالذكر لأنه هو الذي يتذكر الآيات ويتفق بها ويعلم أن سعة الرزق قد يكون مكرراً واستدراجاً، وتقترحه رفعاً وإعطاها".

وهذه الآية الألفة الذكر من السورة لها نظائر في كتاب الله وردت بمعناها منها قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حساً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض وبسط وإليه ترجعون) (3). فهذه الآية: بين الله تعالى فيها أنه الذي يبدي قبض أرزاق العبد وبسطها دون غيره ممن ادعى أهل الشرك أنهم آلهة وأتخذوه رباً دونه يعبدونه، وقد بين أن بسط الرزق وتقترحه عائد إلى فعل الرب - سبيحانه - المتصرف في كل شيء قال أنس بن مالك رضي الله عنه: علا السعر على عهد رسول الله ﷺ: "إن الله الباسط القاضي الرزاق وإنى لأرجوان ألقى الله ليس أحد منكم يطلبني بظلمة في دم ولا مال" ﷺ.

(1) جامع البيان عن تأويل آية القرآن 2/242.
(2) الجامع لأحکاام القرآن 15/267، فتح القدر للشوكاني 4/469.
(3) سورة البقرة آية: 245.
وạiلل خص، والسعة والضيق بيد الله دون غيره، فما أنصص هذه الحجة وما أوضح هذا البرهان، ولو أن الذين يحاولون أن يستندوا على وحدانية الله تعالى - بالأدية التي كتبها علماء الكلام لجروا إلى القرآن الكريم واقتبسوا من أدلةه وأفادوا من حججه لوضع لهم سبيل ووصلوا إلى الحق من أقرب طريق.

وقال تعالى: {الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر} (1).

وفي هذه الآية بين الله تعالى - أنه هو الذي يبسو الرزق، ويسطه على من يشاء ويقدر، ويبقى، ويبقى على من يشاء فله سبحانه - التصرف المطلق كيف يشاء وعلى ما يريده - جل وعلا في جميع شؤون خلقه.

وقال تعالى: {أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر} (2).

وهذه الآية أيضاً أدلة بأن سعة الرزق وتضحية كله فعل الله تعالى - ومرده إليها لا إلى غيره.

وقال تعالى: {يستطيع الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم} (3).

قال العلامة ابن جرير: يقول تعالى ذكره: {يسمع رزقه وفصله على من يشاء من خلقه، ويستطع، ويكن له، ويكثر ماله ويحنبه {ويقدر} يقول: يقترب على من يشاء منهم فيضيه، ويقدر ينافذ علماً يقول: إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسعه على من يضيق، ويتبير عليه من يقترب، ومن الذي يصلح البسط عليه في الرزق، ويسدده من خلقه، والذي يصلحه التقتير عليه، ويسدده، ويرد ذلك من الأمور، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره، من صالح تدبير خلقه} (4).

فللتدبر أولئك القبوريون الذين يلبسون الرزق من أصحاب القبور هذه الآيات وأمثالها لأنه أثرهم أنفسهم بالحياء، وأثارة إلى رحم وسألوا الله وعلموا أن الرزق يبيده وحده، فابتعذعوا عنده مخلصين له الدين وأقلعوا عن الشرك الذي امتلأت به قلوبهم وذلك به أنفسهم.

(1) سورة الرعد آية: 26.
(2) سورة الروم آية: 7.
(3) سورة الشعرى آية: 12.
(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن. 14/25.
10 - مقاليد السموات والأرض بيده - سبحاته - : قال تعالى: "له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون".

هذه الآية من السورة أوضحت أن من الدلائل على ربوبية تعالى كون خزائن العالم كله علويًا، وسفلية بيده وحده دون غيره فمن خزائن السموات المطر، ومن خزائن الأرض النبات وما يخرج منها المعادن، والمياه من آبار وعيون وغير ذلك من الأشياء مما أكتشف حالياً من مصادر الرزق والعم التي لا تحصى كل ذلك بيد الله وتحت تصرفه، وقدره الشاملة لكل شيء فهو سبحانه - المسيطر على جميع الكائنات ملكاً وحفظاً وصرفاً، ومن هذه صفة فهو الجدير وحده بالعبادة دون سواه، كما أوضحت الآية أن الكفارين بآيات الله التي تدل على الحق والباطن، وعلى طريقه المستقيم هم الذين خسروا ما فيه صلاح قلوبهم من المجد والمتجد، والإخلاص له، وما به صلاح ألسنتهم من ذكره، وما فيه صلاح الجوارح من الطاعة، واستبدلا بذلك الكفر بالله الذي هو مفسد لقلوبهم، وأبدانهم كما خسروا أجناب النعيم وتعوضوا عنها بالعذاب المقيم.

قال العالم ابن جرير حول الآية: "له مقاليد السموات والأرض" الآية "يقول تعالى ذكره: له مفاتيح خزائن السموات والأرض، يفتح منها على من يشاء وмыслته عمن أحب من خلقه. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: مقاليد السموات والأرض مفاتيحها. وبه قال قادة، وقال السدي: "له مقاليد السموات والأرض" خزائن السموات والأرض".

قال ابن كثير: "والمعنى على كلا القولين أن أزمة الأمور بيده - تبارك وتعالى - له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر" اهـ.

وقد وردت آية أخرى مماثلة لهذه الآية التي معناها في السورة وهي قوله تعالى: "له "

(1) جامع البيان 24/23-30، تفسير ابن كثير 6/105.
(2) تفسير ابن كثير 5/106-107.
مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء. ويقدر إنه بكل شيء عليمٌ

فهذه الآية إرشاد من الله تعالى لعباده بأن يفزعوا إلى من له مقاليد السماوات والأرض الذي هذه صفته، ويتوجهون إليه بالعبادة وإفرادة بالطاعة فكان الآية تقول: إلى الله أيها الناس فارغوا وإياها فاعبدوا مخلصين له الدين واتركوا الأروهام والألوهية والأصنام التي اتخذتموها آلهة من قبل أنفسكم دون حجة ولا برهان ولا تملك لكم ضراً ولا فرعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

ومادت عليه آية الزمر من أنه تعالى مالك خزائن السماوات والأرض أفضحت عن هذا المعنى آيات أخرى مثل قوله تعالى: "ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المناطق لا يفهون". ومثل قوله تعالى: "وان من شيء إلا عندنا خزائنهم وما ننزل إلا بقدر معلوم". قال العلامة ابن القيم بعد أن ذكر قوله تعالى: "وان من شيء إلا عندنا خزائنهم" متنص للكنز من الكون وهو أن كل شيء لا يطلب إلا من خزائنه، ومن مفاتيح تلك الخزائن بيده، وإن طلب من غيره طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه، وقوله تعالى: "وان إلى ربك المتنحي" متنص للكنز عظيم وهو أن كل مراد إن لم يرد لأجله ويتصل به، وإلا فهو مضحك منقطع، فإنه ليس إليه المتنحي وليس المتنهي إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فانتهت إلى خلقه ومشيته وحكمته وعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يحب لأجله فمحبته عنه وعذاب، وكل عمل لا يراد لأجله، فهو ضائع وباطل وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه فاجتمع ما يراده كله في قوله: "وان إلى ربك المتنهي" فليس وراءه سباحة غاية تطلب وليس دونه غاية إليها المتنهي". اهـ.

 وكل ما قدمنا من الآيات التي أسفلناها من السورة وغيرها للإستدلال بها على توحيد الروبية كلها على اختلاف أساليبها، واختلاف موضوعاتها تلت الأنوار إلى أن هذا الكون

(1) سورة "الشورى" آية: 12.
(2) سورة "المائدة" آية: 7.
(3) سورة "الحجراء" آية: 21.
(4) سورة "التحج" آية: 42.
(5) الفوائد: 196.
وأما بحتويه لم يكن وليد المصادفة والإنفاق وإنما هو مخلوق عن علم عليم، وقدرة قادر وهو الله - تبارك وتعالى - وفي كل ذلك آية على وجود الخالق الحكيم.

قال الشاعر:

وِلَه في كل تحرِيَّة وَتَسْكِينَة في الورى شاهد
وفِي كل شَيْء لَه آيَة تَدِل عَلَى أَنَّه الْواحِد (١)

(١) البيتان لأبي العتاهية انظر ديوانه ص ٢٢٢.
المبحث الثالث

إقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ بوجود الله

لقد ذلت سورة الزمر على أن مشركى العرب كانوا يعترفون بوجوده ﷺ وربوبيته لخلقه، كما يؤمنون بأنه هو الذي أوجد العالم العلوي والسفلي، وليس لآلهتهم من ذلك شيء.

قال تعالى: "ولكن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولون الله قل أفرأيت ما تدعون من دون الله إن أردنى الله بشرى هن كافشات ضره وأردني برحمة هلال هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتولكون".

هذه الآية من السورة تضمنت اعتراف المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ. إن الله هو الخالق لهذا العالم علويه وسفليه، فقد بدأ الله هذه الآية بالقسم مختلاً بذلك نبه محمد ﷺ بأنه لو سأل هؤلاء المشركين العباسيين لغير الله تعالى من الأوثان، والأصنام عن خلق السماوات والأرض؟ كان جوابهم جواباً حقيقةً صادقاً نابعاً من الفطرة التي فطر الله الناس عليها فيقولون: إن الخالق لهذا الكون هو الله الجل وعلا. كما تضمنت بيان عجز الألهة التي يعبدونها عن أن تجلب لهم نفعاً أو أن تدفع عنهم شراً، وما دام الحال هكذا من أنه لا خالق لهذا الكون إلا الله تعالى. وإن الألهة التي يعومرونها من دون الله عاجزة عن جلب الخير، أو دفع الشر، فعبادتهم لها باطلة ويلزمهم أن يتوجهوا بالعبادة إلى الأله الحق الذي له القدرة على الخلق وجلب الخير ودفع الضرر ومن هذه صفته فهو المعبد بحق دون سواه.

قال ابن جرير: "ولكن سألتهم من خلق السماوات والأرض" يقول تعالى ذكرى لنبيه محمد ﷺ: "ولكن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام من خلق
السماوات والأرض يلقون خلقهن الله (1).

قال ابن كثير: «ولكن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولون الله يعني المشركين كانوا يعتبرون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره مهما لم يملك لهم ضرآ ولا نفعاً». (2)

فوجد الرحب - سبحانه وتعالى من الأمور البدنية الظاهرة للعقوب والفطر ولا يوجد بعض الملاحظة الذين ي zobaczyćون إنكار وجود الرحب سبحانه وتعالى - بالسهم فيما ذلك نتيجة العنان، وإلا فإنه متقرر في فطرهم وعقولهم ما يكشف قولهم ذلك.

قال العلاجات ابن القيم: «وصممت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه - يقول: كيف يطلب الدليل على من هودليل على كل شيء، وكأن كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

لا يسمع في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ثم قال: "ومعلوم أن وجود الرحب تعالى أظهر للعقوب والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطره فليفهمه". (3)

وأما قوله تعالى في الآية: «فل أرأيت ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بقدر هن كآشفات ضرة أو أرادني برحمة هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتولى الممكلون»، فهذا الشرط من الآية أمر الله فيه النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء المشركين من معبدتهم المديدة من الأوثان والأصنام التي يتوجهون إليها بالعادة دون الله تعالى في لدتها القدرة في الحيلة دون مراد الله تعالى؟ وهل في استطاعتها أن تدفع عنه البلاء وإن أراد الله إنزاله؟ وهل في إمكانها أن تتمنى عنه رحمة الله تعالى التي يريد أن يفضل بها علية فيمنحه إياها؟ ولو أنفسهم أن أنفسهم وتجردوا الفعل الحق لكان ردهم كلالة مانع لما أعطى ولا معطي لمن لم ولاد ما يريده سبحانه - وود أجاب البعض منهم بأن آلهتهم المزعومة لا تستطيع شيئاً من ذلك وإنما يبعدونها لتقربهم إليه زلفي.

قال مقاتل: فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم: (1) جامع البيان 24/7.
(2) تشريع ابن كثير 94/9.
(3) مدارج السالكين 1/20.
وقال غيره: قالوا: "لا تنفع شيئاً قدّر الله ولكنها تشفع"\(^{(1)}\).

وهذه حجة واهية آلت إليهم عن طريق الإبل وإعادة المتوازنة عن أسلافهم.

قال أبو جعفر بن جرير عن قوله تعالى: "قل أفرأيت ما تتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هن كاشحات ضره أو أرادني برحمة هن مسكات رحمته"\(^{(2)}\). فقيل: أفرأيت أيها القوم هذا الذي تعودون من دون الله من الأصنام والآلهة\(^{(3)}\)؟ إن أرادني بضر يقول: بشدة في معيشتي وكتابة مالي، ورخاء وعافية في بدني حال هن مسكات عن ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناه السامح بمعرفة ذلك، ودخلة ما ظهر من الكلام عليه، والمعنى: فإنهم سيقولون لا، فقل حسبا الله مما سواه من الأشياء كلها إياه أعبده وإليه أرفع في أمري دون كل شيء سواء فإنه الكافي ويبهض الضر والنفع لا إلى الأصنام والأوران التي لا تضر، ولا تنفع\(^{(4)}\).

فالآية تضمنت اعتراف المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ بأن الله تعالى هو الخالق وحده دون سواه، كما تضمنت بيان عجز الألهة التي تعودونها عن أن تجلب لهم نفعًا، أو أن تنفع عنهم شراء، وورد هذا كثير في القرآن الكريم، فقد كانوا أيضاً يعترفون بان الله تعالى هو الرزاق النافع، الضار، ومع ذلك يعبدو غيره معه.

قال تعالى: "قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمّن يملك السمع والأبصر ومن يخرج الحي من الموت ويجري الحي من الحي، ومن يبدر الأمر فيقولون الله فقول أفلا تتقون؟"\(^{(5)}\). هذه الآية استجواب المشركين عن أمور أربعة:

الأمر الأول: عن مسبب الأرزاق في السموات والأرض لأنها إنما تحصل الأرزاق من السماء والأرض، أما السماء فإليزاب المطر، كما قال تعالى: "واختلف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وصرف الريح آيات لقوم يعقلون\(^{(6)}\).

---

\(^{(1)}\) الجامع لأحكام القرآن 15/1059.
\(^{(2)}\) جامع البيان 24/7.
\(^{(3)}\) سورة يس أية: 31.
\(^{(4)}\) سورة الجاثية أية: 5.
إقرار المشركين الذين بعث منهم الرسول ﷺ بوجود الله، وأما الرزق من الأرض فليما أودع الله فيها من منافع مادية وأبرزها الغذاء سواء أكان نابتاً منها أو ما وجد الله على ظهرها من الحيوان.

الأمر الثاني: أحوال الحواس ومن أشرفتها وأظهرها وأشدها ضرورة وأعجبها خلقاً السمع والبصر وقد خصت بالذكر.

الأمر الثالث: أحوال الموت والحياة من إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ومعنى إخراج "الحي من الميت" إخراج الإنسان من النطفة والطائر من البيضة وإخراج "الميت من الحي" إخراج النطفة من الإنسان والبيضة من الطائر.

وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره أعم من هذا، إذ قال عند قوله تعالى:

ومن يخرج الحي من الميت، قال: "أي النبات من الأرض، والإنسان من النطفة والسنبلة من الحياة، والطير من البيضة، والمؤمن من الكافر" (1) وهذا التعميم أولى لشمله الحياة النباتية، والحياة الحيوانية، وقد نبه القرآن إلى هذا بقوله تعالى: "إن الله فلما الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلك لكل الله فاعليًا تؤولك" (2).

ويمكن أن يلحق بهذا المعنى معنى آخر قريب منه لم أر من ذكره من المفسرين في كتب التفسير التي أطلعت عليها وقد يكون ذكره بعضهم ولم أطلع عليه، وهو أن الجنين قد يخرج من بطن أمه التي تحب الحياة، وقد يخرج الجنين حياً من بطن أمه بعد موتها بواسطة عملية جراحية، فإنه داخل في عموم الآية.

الأمر الرابع: قوله تعالى في نهاية الآية: "ومن يدير الأمر فسيقولون الله" هذه الجملة من الآية من باب عطف العام على الخاص لأن أنواع التدبير في هذا العالم لا نهاية لها فهناك تدبير في العالم العلوي، وتدبير في العالم السفلي، ولذا جاءت الجملة بلفظ كلي عام يشمل تدبير الكون بما فيه.

فليصدع استجوب القرآن الكريم أولئك المشركين عن الأمور الأربع المتقدمة، والهدف منها إلزامهم بما يستلزم اعتراضهم، وبما فطرت عليه النفوس البشرية جمعاء من

(1) الجمع لأحكام القرآن 8/335.
(2) سورة الأنعام آية: 95.
الإيمان بربوبي الله تعالى وذلك مسلم عندهم فظرة وععقًا وضرورة فيلزمهم أن يفردوه بالعبادة دون سواء.

وقد بين الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه ضعف معابيد المشركين وعجزها، وانها لاتملك شيئًا من النفع، والضر. وقد ضرب الله الأمثال لبيان حالها الحكيمة قال تعالى: "© يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولوا اجتماعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستقدموه عنه ضعف الطالب والمطلع".

ففي هذا المثل بين تبارك وتعالى _ لعباده أن هذه الآلهة المزعمة المدروعة من دونه عاجزة وضعيفة فلوا اجتمعوا كلها لإيجاد مخلوق حكير مثل الذباب لا يستطيع ذلك، بل إن الذباب الحكير، لما أخذ من آلهم شيئًا من حقير المطاعم وطارا به ما استطاعت تلك الآلهة إقناعها من ذلك الذباب، وهذا فيه تأكيد قوي بين عجز هذه الآلهة وضعفها أمام مخلوق من أضعف مخلوقاته تعالى. ومن كانت هذه صفة فهل يصحل أن يكون معبودًا توجه له العبادة إن لغيره إلا من كان سخيف العقل سفيهاً لم يقدر الله حق قدره وهو القوي العزيز.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى حول هذا المثل: "رضى على كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويدبر حق تدوره فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه وذلك أن المعبد أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما يفع عابده وإعدام ما يضره والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ولوا اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه، ولا يقدرون على الإنصار من الذباب، وإذا سلبه الذباب شيئًا مما عليه من طيب ونحوه فيستقنذون منه فلاهم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوان، ولا على الإنصار منه، واسترجاع ما سلبه إياهم فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى، وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه - في بطلان الشرك وتجهل أهل وتهي عقولهم، أ. "ه"(6) وهذا المثل كان يحق دليلاً في سهوي القوة حيث أثبت بطريقة حسبه بطلان الوثنية وأقام الحجة على إظهار الوحدانية.

ومن الأمثال التي ضربها الله تعالى _ لبيان ضعف آلهم وبطلان عبادتها قوله تعالى: "© مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيئاً وإن أوهن

(1) سورة (الحج) آية: 76.
(2) أعلام الموقعين 181-182، الآمال في القرآن الكريم ص: 248-249.
البيوت لبيت العنكبوت لbyterianية يعلمون(1) بين الله تعالى أنهم ضعفاء وإن الذين اتخذوا أوائلهم أضعاف منهم فهم في ضعفهم وما قصدوه إلا أنهم الذين أتخذوا الأولواي كالعنكبوت اتخذت بيتها وهو أحسن البيوت وأضعفتها وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولواي فلم يستفيدوا من اتخاذهم أولواي إلا ضعفاً كما قال تعالى: "وافتدوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّا وكلا سيكرعون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً(2)" وقال تعالى: "وافتدوا من دون الله آلهة لهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون(3)" وقال سبحانه: "إنه من ذكر هؤلاء الأمام الماضية من المشركين لما ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر بك وما زادواهم غير تتيب(4)". فهذه أربع آيات من آيات القرآن الكبيرة الدالة على أن من اتخاذهم أولواي لا يعطيه وعزة ونصر يكون بعكس ما يظنون(5)، ومما جاء في تأكيد اعتراضهم بضعف آلهتهم حديث عمران بن حصين أن النبي قال لحصنين: "كم إلهاً تعبد؟" قال: سبعة، سنة في الأرض، وأحد في السماء قال: "من لرهنتك ورغبتك؟ قال الذي في السماء قال: "فاترك الستة وأعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين" فأسلم وعلمه النبي أن يقول: "الله أهل الميمني رشدي وقنا شر نفسى(6)".

ومن ذلك أيضاً ما ورد في تلبية بعض مشركي العرب إذا أهلوه "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو الله تعالى وما ملك(7)".

وقد جاء في أشعارهم ما يدل على أن عبادتهم لالأصنام لم تكن عميقة في قرارات

---

(1) سورة العنكبوت آية: 41.
(2) سورة مريم آية: 82-81.
(3) سورة يس آية: 75-76.
(4) سورة إبراهيم آية: 110.
(5) إعلام الموقفين 141/155.
(6) سنن الترمذي 5/182.
(7) صحيح مسلم 2/843.
أنفسهم لأنهم كانوا يدركون عدم جدويها وفعاها. وقد ذكر ابن كثير في كتابه "البداية" أن
صيما يقال له سعد، وكان صبحة طويلة فأقبل عليه رجل من كتابه بإيبل له لقصد البرك، فب
نلما أدناها منه نفرت وكان يهراق عليه الدماء فذهب في كل وجه ونفرت عليه، فأسبب
عليها فأخذ حجرًا ورماه وقال: لا بارك الله فيك إلاأنفرت عليك إبلي، ثم سار في طلبها
فجمعها وانصرف عنه وهم يقولون:
أتينا إلى سعد ليجمع شملنا
فشتنتا سعد فلاحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة
من الأرض لا يدعي لغي ولا رشد
(1)
وقال بعض المشركين حين وجد الثعلبان يبول على رأس صمه:
أرب يبول الشعلان برأسه
لقد ذل من بالات عليه التعمالب
(2)
وكذلك قصة عمر بن الجموح فقد كان له صنم وكان بعض الفتيان منهم أسلم
وشهد العقبة كانوا يأتونه ليلاً فيلقونه في حفر بني سلمة وفيها عذرة الناس منكسًا على رأسه
فيطلبه فيغسله ويطهيه ثم يقول له: أما والله لو أعلم من فعل هذا لراكب لإخريجه فإنما نام وأمسى
عمروAdobeلنا عليه فعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى. فلما أكثروا
عليه استخرج من حيث ألقوه فغسله وطهره وطبيله ثم جاه بسيفه فلله عليه، ثم قال: إني
والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى؟ فإن كان فكك تفاضتع هذا السيف مكع، فلما أمسى
ونام عمروفدعوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتًا فقرنوه به بجيبل، ثم
ألقوه في بئر من أبار بني سلمة فيه عذر من عذر الناس، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم
يجده في مكانه الذي كان به، فخرج بزجة حتى وجد في تلك البرع منكساً مقرناً بقلب
ميت، فلمأ راه وأبرى إليه، وأكله من أسلم من رجال قومه، فأسلم وحسن إسلامه.
فقال بعد إسلامه ومعرفته لله مذكرًا صنمها شاكرًا الله تعالى الذي أنتذة مما كان فيه من
العمى والضلاله:
وأنت وكبل وسط بشر في قرن
أنت لمفلقك إليها مستدان
(1) البداية والنهاية 20/9/2.
(2) أنظر الفاموس 42/1، لسان العرب 477، الأصام لابن الكلبي ص 47.
الحمد لله العلي ذي الم🌷
والواهب الرزاق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن
أكون في ظلمة قبر مرتئهن

بأحمد المهدي النبي المؤمن (1)

هناك قصص أخرى كثيرة تدل على عدم إيمان بعض عبادة الأيوان الإيمان الكامل
بأوثانهم ويعلمون قطعا أنها لا تفعلاً ولا تضر، ولذلك عندما نزل القرآن شنع عليهم عبادتهم
لها وكان من أساليب القرآن معهم أنه كان يقررهم بما لا مجال لإنكاره لأن الزام الخصم
بما يسليه به أن الأبلغ الطرق الجدالية، لأنه إذا سلم بالمقدمة فقد ألزم بالنتيجة سواءً النزمن
بذلك أو يلزم، ولذلك كان القرآن يحتج عليهم بحجة لا بلد للعقل من الإقرار بها، ولا
يجوز للعقل السليم رفضها، قال تعالى: "أم خلقوا من غير شريء أم هم الخالفون؟ أُم
خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقتون" (2). فالتأية تقول لهم أنهم موجودون وهذه حقيقة لا
تكونا وكذلك السماوات والأرض موجودتان ولا شك، والذين تقرر عقلاً أن الموجود
لابد له من سبب لم يوجده لأن الاعتد لا يوجد شيئاً هذا أمر مقرر في ديدان العقول، ولكن
الشيء لا يوجد نفسه. فقوله تعالى: "أم خلقوا من غير شريء أم هم الخالفون؟ "دلل قاطع
يرغم العقول على التسليم بأن هناك خلافاً معيدياً، إلا أن الآية صاغتها بأسلوب مؤثر فلا تكاد
الآية تلمس السمع حتى تنزلل النفس وتتهزها.

ودى روي البخاري في صحيحه من حديث محمد بن جبير بن منصر عن أبيه قال:
سمع رسول الله ﷺ: "يقرأ في المغرب بالطور، فما بلغ هذه الآية "أم خلقوا من غير
شيء أم هم الخالفون؟ أُم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقتون". قال شيخ الإسلام تعبيناً على هذا الحديث: "وذلك أن هذه تفسير حاصر ذكره الله بصيغة
استفهام الإناكار ليبين أن هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جدحاً يقول: "أم
خلقوا من غير شيء؟ أي من غير خلاق خلقهم أم هم خلقوا أنفسهم؟ وهم يعلمون أن
كلا النقيضين باطل، فتعين أن لهم خلافاً خلقهم - سببته وتعليمه - (4)

(1) سيرة ابن هشام 1/ 452 - 453، الإصابة 2/ 522 - 523. والشطر الأخير في هذين المصدرين بـ أحمد
المهدي النبي المؤمن، وله ذلك تحريف.
(2) سورة "الأوفر" : 35 - 36.
(3) 193/2.
(4) مجموع الفتاوى 5/ 359، وانظر شرح حديث النزول ص 28.
وقال أبو سليمان الخطابي معلقاً على قصة جبرين بن مطعم: "إنه كان إنزاعاً عند سماع هذه الآية لحسن تلقية معنى الآية ومعرفته بما تضمنته من بلغ الحجة فاستدركها بلطف طبعه واستنكر معناه بزكي فهمه... واختار الخطابي في معنى "أم خلقوا من غير شيء" فوجدوا بلا خلق، وذلك ما لا يجوز أن يكون لأن تخلق الخلق بالخلق من ضرورة الأمر فلا بد له من خلق فإذا استمر الخلق بالخلق، ولم يجز أن يوجد بلا خلق خلقهم، فمن الخلقين لأنفسهم؟ وذلك في الفساد أكثر وفي الباطل أشد، لأن ما لا وجود له كيف يجوز أن يكون موضوعاً بالقدرة؟ كيف يخلق وكيف يتاني منه الفعل؟ وإذا بطل الوجهان مما قامته الحجة عليهم بأن لهم خلقاً، فليؤمَّنوا به. ثم قال سبحانه "أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يؤمنون" وذلك شيء لا يمكنهم أن يدعوه ووجه فهم منقطعون، والحجة قلامة عليهم". (1)

ووهذا الذي قرر الله تعالى في هذه الآيات لا يمكن الكفار أن يدعوه، والفائدة من ذكره والسأله عنه قطع الحجاج والخصام، إذ قد يوجد جاحد مكابر يقول: "أنخلقت نفسي كما زعيم مثله من قبل أنه حيى وبميت ألم تر إلى النبي حاج إبراهيم في ربه أتى أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي حي وبميت قال أنا أحبي وأميت". وكان الجواب عليه سؤال آخر: أباه عجزه وكلذبه في زعمه الأول "قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق وأتاه من المغرب" فكانت النتيجة "فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الطالبين". (2)

فإذا كان عدم لا يوجد سماة ولا أرضًا، وإذا كانت السماء والأرض لم توجد نفسه، وإذا كانت الملاحظة لا يستطيعون ادعاء ذلك كله فإنه لا بد لهذا كله من موجود وهذا الموجود ليس إلا الله تعالى. قال تعالى: "أم خلق السماوات والأرض، وأنزل لكم" (3)

(1) هو محمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البصري أبو سليمان فقه، محدث من أهل "بسة" من بلاد كابيل من نسل زيد بن الخطاب ولد سنة تسع عشرة ولالتماتة، وتوفي سنة ثمان ومائتين وثمانين ومئتين هجرية. انتهى ترجمه في "وفيات الأعيان" 1/107 "لسان الأدب" 2/820-821/2. 1430.
(2) ذكره نعم الباري في كتابه "الأسماء والصفات" ص 495-496.
(3) سورة البقرة آية 258.
إقرار المشكرين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ بوجود الله ﻭجود من السماء ماءً فأنبتت به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تتبناها إلّا إلّه مع الله ﻭلهم قوم بعدولكم!).

هذه الآية وجهت سؤالًا مستمداً من واقع هذا الكون الذي من حول الناس والذي يشاهدونه، ويلمسونه، ويتبعثون به خيراته إفطاق السمع، والبصر والمؤذن في السماوات التي ترى وفي الأرض التي يعيش عليها الإنسان، وما فيها من الحدائق الغنية بالأشجار، والأزهار والثمار والغرض منها ذات ووضح لأن هذا التناسق البديع لا يعقل أن يكون فلقة أو طرفة، أو صدق، ولا يعقل أن يكون رمياً بدون رام، وخاصة لم تدع الصدفة، ولا الأصنام، ولا أية جدية أنها خلقته وأبدعته.

ومما قدمنا من الآيات وبعض الأحاديث وما ذكرنا أيضاً من بعض أقوال مشركي العرب يتبين أن الإقرار بالصنع أمر فطري مركزي في كل نفس، ولهذا كانت دعوة الرسول ﷺ كانت إلى عبادة الله وحده لا شريك له وللتذكر بالربوبية لأن عامة الناس مقرون بالصنع، حتى الكفار يرون بأن الله تعالى هو المالك الخالق الرizational، النافع الضر، المحجي المميت، ولكن هذا الإقرار لم يجدهم شيئاً، ولم يقذف من النار.

فهذا فرعون الذي بلغ الغاية في الكفر حيث ادعى أنه رب الأعلى ومع ذلك يقر بربوبية الخالق - سبحانه وتعالى - قال الله تعالى في حقه حاكياً عن موسى عليه السلام : «لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظلمك يا فرعون مشوراً» (1) وهذا إليس اللعين والعدو العيني لبني آدم أجمعين يعرف بربوبية الباري - سبحانه وتعالى - يقول : «رب فانونتي إلى يوم يبعثون» (2) ويقول : «رب بما أغويني لأزعين لهم في الأرض ولا أعوبهم أجمعين» (3) ويقول : «إني أخفى الله رب العالمين» (4).

فالكفار والمشكرون أقروا بأن الله خالقهم، وخلق السماوات والأرض وربهم وربهم ورب ما فيهما ورازقهم لهذا أخفى عليهم قوله : «أيمن خلق كمن لا يخلق؟ أفلانتكرون» (5).

-----------------------------
قال العالامة ابن القيم رحمه الله تعالى:
ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أهـ(1).
وقال شارح الطحاوية: بعد أن ذكر تعريف توحيد الرحبية: "وهذا التوحيد حق لا ريب فيه وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسول فيما حكي الله عنهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض(2)؟

(1) إغالة اللهفان 1/300
(2) شرح الطحاوية ص 77 والآية رقم 10 من سورة إبراهيم.
المبحث الرابع

الإقرار بتوحيد الروبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية

تظهر أهمية الإقرار بتوحيد الروبية في أنه مقدمة لنتيجة، فإذا أقر العبد أن الله سبحانه وتعالى هو الرَّب المفرد بالروبية وخصائصها، استلزم ذلك حتمًا أن ينتج عن إقراره هذا إقرار آخر بفردية الرَّب جل وعلا في ألوهيته فيجرد للعبادات كلها، ولا يصرف منها شيئاً لغير الله تعالى إذ أنه لا يصح أن يعبد إلا من كان رباً، سياداً، خالقاً، بارناً، مصوراً، ملائكة، راقياً، معطيًا، مانعًا، محيياً، مبتئًا، مدبراً لأمر الكون كله، وذلك كله لا يثبت إلا للله وحده لا شريك له، فوجب أن يكون هو المعبود وحده، الذي لا يصح أن يكون لأحد من خلقه شريك معه في أي شيء من العبادات على اختلاف صورها.

ولهذا جرت الطرق في كتاب الله الكريم على سوق آيات الروبية، ثم الخلوص منها إلى الدعوة إلى توحيد الألوهية فيجعل توحيد الروبية مدخلاً لتوحيد العبادة للإله الذي لا يستحقها بأنواعها جميعاً سواءً(1).

وأما توحيد الألوهية: فهو متناقض لتوحيد الروبية. بمعنى أن توحيد الروبية داخل في ضمن توحيد الألوهية فإن من عبد الله وحده لم يشرك به شيئاً لا بد أن يكون قد اعتقد أن الله هو ربه ومالك الذي لا ريب له غيره ولا ملك له سواء فهو يعبده اعتقد أنه أمره كله ببه، وأنه هو الذي يملك ضره ونفسه وأن كل ما يدعى مدونه فهو لا يملك لعبادته ضرًا، ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

ولا ينفع توحيد الروبية بدون توحيد الألوهية، كما لا ينفع توحيد الألوهية بدون توحيد الروبية فإن من عبد الله وحده لم يشرك به شيئاً في عبادته، ولكنه اعتقد به ذلك أن

(1) انظر كتاب صياغة الإنسان عن وسومة الشيخ دحلان، ص ٤٢٦-٤٥١.
الإقرار بتوحيد الرعبية في عند الألوهية

لغير الله تأثيراً في شيء، أو قدرة على مالا يقدر عليه إلا الله، أو أنَّه يملك ضر العباد، أو
نفعهم، ونحو ذلك هؤلاء لا تصح له عبادة لأن أساس العبادة التي تبنى عليه هو الإيمان بالله
رباً متفرداً بخصائص الرعبية جمعاً.

وأما توحيد الأسماء والصفات فإنِّهُ شامِل للثنائِي في هوقيق على إفراد الله تعالى -
بكل ماله من الأسماء الحسن والصفات العلي التي لا تبغي إلاه، ومن جملتها كونه ربًا
واحداً لا شريك له في روبه. وقد كان المشركون الأوائل من قرئتر الرعبية ولكن
إقرارهم هذا لم ينفعهم شيئاً، ولم يخرجهم من كفرهم وشركهم ولم يصبحوا بهذا الإقرار
موحدين الله جل وعلا - (1).

وقد كانوا أيضاً: مع إقرارهم ذلك يعبدون الله ويخلصون له ذلك أنواعاً من العبادات
كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الإضطرار.

قال تعالى: (إذا غشيمهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى
البر فتمهم مقتضى وما يجدونا إلا كل ختار كفور) (2). وكانوا يدعون أنهم على ملة
إبراهيم عليه السلام. فأنزل الله تعالى (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان نحيفة
مسلمان وما كان من المشركين) (3) وكان البعض منهم يؤمن بالبعث والحساب وبعضهم
يؤمن بالقدر.

قال زيهر بن أبي سلمي:
"يؤخر في وضع في كتاب فيذخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم" (4)

وقال عطية:
"يا عجل أيمن من المنية مهرب مِن ربي في السماء قضاها" (5)

ومع هذا الإيمان، فإن دماءهم وأموالهم قد أبحت لأشكالهم في توحيد العبادة

(1) شرح الطحاوية ص 79-84 بتصرف. وراجع وتيسير العزيز الحميدة ص 17 - 20، وانظر كتاب صيانة
الإنسان عن ووسعة الشيخ دحلان، صفحة 407-451.
(2) سورة الفئران (آية 33).
(3) سورة آل عمران (آية 17).
(4) المعالقات السبع مع شرحها ص 75.
(5) ديوان عترته ص 74.
الإقرار بوجوه الرعوية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية

الذي هو معنى «لا إله إلا الله» ولم ينفعهم إقرارهم بتوحيد الرعوية وحده دون توحيد الله

 تعالى في عبادته.

ولذلك لم يعتروضوا على توحيد الرعوية حين ذكرهم الرسول ﷺ به، وإنما كان

اعتراضهم وإناكارهم وتهيجهم على دعوته لهم إلى إفراد الله للعبادة كما أخبر الله تعالى

عنهم بقوله عز وجل: {وعجبا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب

أجعل الألله إلهًا واحدًا} إن هذا لشيء عجاب {وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على

الله} تكيم هذا لشيء يراد {ما سمعنا بهذا في الملة الأخيرة إن هذا إلا اختلاق} (1).

لكن ماذا كانت النتيجة لاقتصرهم على هذا الإقرار بالرودية؟

إن النتيجة كانت أن أبي بكر قاتلهم وعدم رفع السيف عنهم حتى يبروا بشهادة أن لا إله

 إلا الله تطليئة، وفهم معنى وتنفيذ مقتضى، والكفر، بما يعبد من دون الله إذ يقول

رسول الله ﷺ كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله} (2) ويؤمنوا به بما يعتقده به فإذا

فعلوا ذلك عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله (3).

ولما توفى رسول الله ﷺ وكفر من كثر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر

رضي الله عنهما: لما قاتل مائين الزكاة: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: {أمرت

 أن أقاتل الناس حتى يبروا لا إله إلا الله} فمن قال: {لا إله إلا الله} فقد عصب عمري ماله ونفسه

إلا بحقه وحسابه على الله {فقال أبو بكر رضي الله عنه: {وراحب} لقاتلون من فرقة بين الصلاة

والزكاة فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عقولا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلون

علي منعه}. فقال عمر رضي الله عنه: {فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر

للقتال، فعرفت أنه الحق} (3).

فأبو بكر رضي الله عنه فهم أن النبي ﷺ لم يرد مجرد النظف بقول {لا إله إلا الله}

بالمقصود فحسب دون التزام بمعناها وأحكامها.

(1) سورة سراة: 47-67
(2) صحيح مسلم 1/62، ورواه البخاري من حديث ابن عمر 13/61.
(3) صحيح مسلم 5/16-17.
على هذا أجمع علماء المسلمين على أن من قال: "لا إله إلا الله"، ولم يعتقد ممناها، ولم يعمل بمقتضاه، يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإيمان. وقد سأل شيخ الإسلام ابن تيمية عن نقل التأثر بنفس الشهيد محاذاة ولفظوا من اتباع أهل الإسلام، فقال: "كل طائفة متضمنة من التزام شرائع الإسلام الظاهرة المتنورة من هؤلاء القوم أو غيرهم، فإنه يجب قتلهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا ناطقين بالشهادات وملتزمن بعض شرائعه كما قاتل أبو بكر والصحاباء رضي الله عنهم من بعض الزكاة وعلي ذلك أتفق الفقهاء بعدهم. ... فلأي طائفة امتنعت من بعض الصلاوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحرير الدماء، والأموال والخمر، والزنا، والميسر، أو عن إباحة ذات المحارم، أو عن التزام جهاد الكافر، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته - التي لا عذر لأحد في جنودها وتركها التي يكفر الجاحذ لوجوبها. فإن الطائفة المتضمنة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء". (1)

أما قوله ﷺ في حديث أبي هريرة "وجوابهم على الله" (2) أي أن الله تبارك وتعالى هو الذي يتولى حساب الذي يقول كلمة التوحيد بلسانه فقط فإن كان صادقاً في قوله جازاه بجنت النعيم وإن كان يقولها كفاً فله من الله العذاب الآليم.

أما في الدنيا فيحكم له بالظاهر فمن أتي بالنوع أحد ولم يأت بما ينقصه ظاهرًا والنزم بشرائع الإسلام وجب الكف عنه.

والذي نخلص إليه مما تقدم أن الاتهام على الإقرار على الإقرار بتوحيد الروحية لا أثر له في عصمة الحال والدم.

---

(1) مجموع الفتاوى 28/351-352.
(2) تقدم تخرجهم ترقباً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
الفصل الرابع
ما جاء في السورة بشأن الشرك
وتشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف الشرك.
المبحث الثاني: أنواع الشرك.
المبحث الثالث: أصل الشرك في بني الإنسان.
المبحث الرابع: ذم الإنسان على جعله أنداد الله تعالى.
المبحث الخامس: الفرق بين المشرك والمؤمن.
المبحث السادس: التحذير من الشرك وبيان أنه محظور للعمل.
المبحث الأول
تعريف الشريك في اللغة والإصلاح

تبين مما تقدم في الفصول السابقة أن سورة (الزمر) تناولت أنواع التنويد الثلاثة، وقد تقدم الحديث عنها في الفصول الثلاثة المتقدمة ثم تعرضت للشريك الذي هو أعظم ذنب عصى الله به في الأرض ولقد دار الحديث في السورة حول الشريك عن بيان أصل الشريك في بني الإنسان ثم عرضت لذم الإنسان على جعله أندادًا لله تعالى، ثم جاء البيان فيها للفرق بين المشترك والموحد، ثم ختم الحديث فيها عن الشريك بالتحذير منه، وبيان أنه محبط للعمل، وستحدث عن هذه الأمور بطريقة مفصلة في المباحث التي ستأتي بعد تعريف الشريك في اللغة، والإصلاح، وبيان أنواعه فقال:

تعريف الشريك في اللغة، والإصلاح، وبيان أنواعه فقال:

الشريك في اللغة:

جاء في مقالية اللغة: أن مادة (الشريك) المكونة من حرف (الشين والراء والكاف).

لبا أصلان:

أحدهما: يبدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يبدل على امتداد واستقامة، فالأخير: الشريك وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ويلقب: شاركت فلا نا في الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ويقال: شاركت فلا نا في الشيء إذا صرت شريكًا، وأشركنا فلا نا إذا جعلته شريكًا لك قال تعالى (وأشركنا في أمري) {1} ويلقب في الدعاء: اللهم أشركنا في دعاة المؤمنين أي: اجعلنا لهم شركاء في ذلك.

(1) سورة فاطمة: 32.4
تعريف الشريك في اللغة والإصطلاح

وأما الثاني: فالشريك: لقم الطريق، وهو شراكه أيضاً، وشريك النعل مشبه بهذا،
ومنه شراك الشائع سمى بذلك لامتداداً.

وقال في اللفظ: (الشركة والشركة سواء) مخالفته الشريكين يقال: اشتركتا
بمعنى: تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر والشريك
المشارك، والشريك كالشريك، والجمع أشراك وشريكاء(1) وجاء في تحذيب اللغة:
(الشريك بمعنى الشريك وهو يعني النصيب وجمعه أشراك كشريك وأشراح(2)، ح.

وفي اللفظ: (و الطريق شريك) يستوي فيه الناس، واسم مشترك تستوي فيه معان
كثيراً.

وقال في الصحاح: (والشريك أيضاً الكفر، وقد أشرك فلان بالله فهو مشترك
ومشتركي(3).

وجاء في تاج العروض: مبيناً قوله تعالى (والذين هم بشريك(4) ومعناه:
الذين صاروا مشتركون بساعتهم للشيطان، وليس المعنى أنهم آمنوا بالله وأشركوا
بالشيطان، ولكن عهدوا الله وعهدوا معه الشيطان فصاروا بذلك المشتركون فيهم شريك
ومشتركي(5).

وزاد في اللفظ (مثل الشرك في الجاهلية ومتعمتهم حول الكعبة لبlek ل شريك
للك إلا شريك هو ذلكملك وماملك (بمعنى بالشريك الصنف) ح(6)، وفي تهذيب اللغة:
قال الليث: (شريك الشائع) حيائل الصيد، وكذلك ما ينصب للطير) وفي الحديث: (أعوذ

1 (مقاييس اللغة: 3/265.
2 (لسان العرب 1/10. 448/1.
3 (تاج العروض 7/148/1، لسان العرب 10/449. 449/1.
4 (مذكورة في النحل آية: 100.
5 (ه.
6 (مذكورة في النحل آية: 148/7.
7 (هي.
8 (مذكورة في النحل آية: 450/10. (8)
تعريف الشرك في اللغة والإصلاح

تك من شر الشيطان وشركه (1) أي: حبايله ومصائده يعني ما يدعو إليه، وسوس به من الإشراك بالله تعالى (2).

ومما تقدم يتبين أن مدخل كلمة (الشرك) تطلق على النصب والتسوية، والمالغاة والمصاحبة، والكفر، وحبال الصيد والشبكة، والقاعدة المتبعة في اللغة العربية أن الكلمات ذات المادة الواحدة يكون فيما بينها ترابط وثيق وإذا تأملنا المدلولات السابقة لكلمة (الشرك) نلمس الترابط الواضح فيما بينها.

فالشرك أن يجعل غير الله مشاركًا له فيما هو مطلق حقه على عباده، ومن فعل هذا فقد سوى بين الله وبين من أشرك معه في العبادة بمعنى أنه اتباه إلى آخر مع الله لأنه فصد غير الله بشيء من العبادة فجعله شريكًا لله في عبادته بقدر كبير، أو صغير في ذات، أو وصف.

وأما تعريف الشرك في الإصلاح:

فقد تتنوع عبرات العلماء في تحديده، وعلى الرغم من تنويعها فإن كل عبارة منها تكمل الأخرى.

فبعض أئمة اللغة جعله بمعنى الكفر.

قال صاحب القاموس: «وأشرك بالله كفرًا» أ. هـ (3).

وجاء في تهديد اللغة: «والشرك أن يجعل الله شريكًا في نعمة يعفيه تعالى الله عن الشركاء والأندائد» أ. هـ (4).

وقال الراغب: «وشرك الإنسان نوعان»:

أحدهما: الشرك العظيم، وهو إثبات شريك لله تعالى يقال: أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر قال تعالى: «ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالًا بعيدًا» (1) وقال تعالى: «إن الله لا

(1) رواه الترمذي في سنته من حديث أبي هريرة 5/134، والدارمي في سنته 2/292.

(2) تهديد اللغة 7/118 تاج العرب 149/50، لسان العرب 10/100.

(3) 318/2.

(4) 16/10.

(5) سورة النساء 116.»
يعفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء١).
والثاني: الشرك الأصغر وهو: مراعاة غير الله في بعض الأمور وهو الرياء قال تعالى:
وَمَا يَؤْمِنُ أَكْثَرَهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشَرِّكُونَ١٢.
فترض الشرك في الإصلاح: هو ضد التوحيد كمال كفر ضد الإيمان وهو أن يجعل الإنسان لله شريكًا فيما هو خالص حقه - مبناه - مثل أن يتخذ إلهاً، أو آلهة يعبدها أو يطيعها، أو يستعين بها، أو يحبها، أو نحو ذلك مما لا يستحقه إلا النمر جل وعلا - فمن صدر منه هذا الاعتقاد فقد أشرك بالله العظيم وحبط عمله، ولا يصح مع الشرك أي عمل إذ من شرط قبول العمل عند الله تعالى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم ليس لغيره فيه حظ ولا نصيب٣.

---

(1) سورة النساء آية: 48.
(2) المفردات في غريب القرآن ص 259-260 والآية رقم (104) من سورة يوسف.
(3) انتظار تجويد التوحيد للمقرئي ص 27-28، تيسير العزيم الحميد ص 27، (توضيح المقاصد وتلخيص القواعد) 2186/2.
البحث الثاني
أنواع الشريك

والشريك الذي هو أعظم ذنب عصي الله به على هذه الأرض ذكر العلماء أنه ثلاثة أنواع.

النوع الأول: الشريك الأكبر.
النوع الثاني: شريك أصغر.
النوع الثالث: شريك خفي (1).

ولخطورة الشريك على عمل الإنسان المسلم: يتحتم عليه أن يعرف حقيقة هذه الأنواع الثلاثة حتى لا يقع فيها من حيث لا يشعر وتتحدث في هذا البحث عن بيان حقيقة هذه الأنواع باختصار.

تعريف الشريك الأكبر:

لقد اختلت تعريفات العلماء للشريك الأكبر لفظاً، واتحدت معنى ومدلولاً.

قال العلامة ابن القيم مبناً حقيقة الشريك الأكبر: (هو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله وهو الشريك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين) (2). وقال رحمه الله في تعريف آخر (هو تشبيه المخلوق بالله وتشبيهه بغيره) (3).

(1) انظر الرسالة الأولى ضمن مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما من العلماء ص 5.
(2) مدارج السالكين 1/329.
(3) الجواب الكافي لمصلى عن الدواء الشافعي ص 159 إفتاءة اللهبان 2/226.
وقال المقرزي(1) رحمه الله تعالى: "أعلم أن حقيقة الشرك تشبه الخلق بالمخلوق وتشبه المخلوق بالخالق. أما الخالق فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية وهي النزول بملك الضر، والنفع والعطاء، والمنع من غلق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى وسواء بين التراب، ورب الأرباب فآى فجريودذنب أعظم من هذا..."

هذا في جانب التشبيه وأما في جانب التشبيه فمن تعاظم، وتكبر ودعا الناس إلى إطراه ووجاهه ومكافحة فقد تشبه بـ اللـه ونأضعفه في روييته وهو تحقيق بأن يهيبه الله غاية الهوى ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه وفي الصحيح عنه أنه قال: "يقول الله: عز وجل - العظمة والكبرياء ردائي فمن نازعني في واحده وحده منهما عذبتي". و(...)(2) وقال الإمام الذهبي معرفاً للشرك الأكبر: "هُوَ الـلَّـهُ يـُجَـلَّ الـلَّـهُ نـَـداً وـيـَـعـيـد مَـعَهُ غُـبـرِهُ مِـنْ حُـجَرِ، أَوْ شَجْرِ، أَوْ شَمْسِ، أَوْ قَـمْرِ، أَوْ نُـبِـيِّ، أَوْ شِيْخِ، أَوْ نَـجْمِ، أَوْ مَلِكِ، أَوْ غَـيْرِ ذلِكَ وـهُـوَ الـشَّرْكُ الأَكْبَرُ". و(...)

وجد في تيسير العزيز الحميد: "هَوَّا يُجَـلَّ الـلَّـهُ نـَـداً يـَـدَعُو كـمَا يَـدَعُو الـلَّـهُ وَسَـأَـلَهُ الـشَّفَـعَةَ كَـمَا يَـسَـلُّ الـلَّـهُ، وَيُرِجُو كَـمَا يَـرِجُو الـلَّـهُ وَيَـجِد كَـمَا يَـجِدُ الـلَّـهُ وَيَـخْشَى كَـمَا يَـخْشَى الـلَّـهُ، وَبَـالـجَـمِـلَةِ فَهوُآن يُجَـلَّ الـلَّـهُ نـَـداً يـَـعِيدهُ كـمَا يَـعِيدهُ الـلَّـهُ". و(...)

والذي يتبين من هذه التعريف المتقدمة للشرك الأكبر أن معنى الشرك الأكبر هو جعل الإنسان لربه - تعالى - مثالاً، أو كفوأً، أو نظيراً، أو عبداً، يتوجه إليه بالعبادة كما كان عليه أهل الجاهلية من المشركين مع أصنامهم، وأوثانهم التي اتخذوها من الأحجار والأشجار فصرفوا لها العبادة التي لا يستحقها إلا الله - تعالى - من دعاء، وندى وذبح وغير ذلك من أنواع العبادات.

وهذا ما عليه القبريون حالياً فإنهم يتجهون إلى الموتى من أهل القبور وينادونهم ويستعينون بهم ويستغفرونهم ويتلون لهم القرابين والنذور بصنف الأموال.

---
(1) هو الإمام بعي الدين أحمد بن علي المقرزي المولى سنة أربع وخمسين ومائتانية هجرية.
(2) تجريد الشؤون الص 37 - 28 والحديث رواه مسلم بلفظة العز إزارو والمُشرِكِيَّاء رداً سِبْقَهُمْ في بيانهم عندههم.
(3) الكبار الص 8.
(4) تيسير العزيز الحميد ص 27.
أنواع الشرك

ويطلبون منهم الشفاعة، وشفاء المرضاً، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

وتتجدهم يشدون إلىهم الرجال ويحملون الزاد من البلدان والأقطار البعيدة.

وهما تبين مما تقدم أن الشرك بالله تشبيهه بخلق كفولهم: يد الله كيد المخلوق،
وعينه كعينه إلى غير ذلك من أباطل أهل الزينغ الذين يحاولون إخضاع النصوص لآهوائهم، ولا يخشون أهواءهم لها. وكذلك تشبيه المخلوق بالخالق كما زعم فرعون لقومه أنه ربهم الأعلى وكما فعلت السبئية(1) مع علي رضي الله عنه وكما شبه بعض الزائنين من الناس الحاكم العبدي بأنه إله، وأنه شرع وأن حكمه خير من حكم الله تعالى(3).

أنواع الشرك الأكبر:

لقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن الشرك الأكبر نوعان:

النوع الأول: شرك في الإلهية.

النوع الثاني: شرك في الروبية.

قال رحمه الله تعالى - إن كان شركاً يكفر به صاحبه وهو نوعان:

شرك في الإلهية، وشرك في الروبية.

فأما الشرك في الإلهية: فهو أن يجعل الله نذاً أي: مثلاً في عبادته أو محبيته، أو خوفه، أورجاه، أو إثباته، فهذا هو الشرك الذي لا يغفر الله إلا بالثنوية منه قال تعالى - (فقل لذئب إن يهب له ما دفلت فما دفلت)(3).

(1) هم أتباع عبد الله بن سنا الفضل الفضل الذي رام إفساد الدين الإسلام بفكره وكيفه النور، حيث دعا الناس إلى القول بنبوة على ثم إنقل إلى ما هو أعظم من ذلك فلزم أن IEEE وفي وجد بعضهم في زمن عالي وقائلون فيه هذا القول فأمر بإصراقهم أنظر في شأن هذه الفرعنة الشرفاء (الفرقة بين الفرق) ص 323، التصوير في الدين ص 71، الملل والنحل 1/14، مقالات الإسلاميين 88/1.

(2) كما يعتقد ذلك طاقة الدروز في الحاكم العبدي منصور بن العزيز بن نزار بن المعز بالله العبدي الثالث من الخلفاء العباسيين العباسي الأموي الذين تغلب عليهم مصر فقد أدعى هذا العبادي الأموي تأسيس يفرعون، وقتل من العلماء مال يصفي وكب على المساجد والجوامع سب الصحابة كأبي بكر وعمرو وعثمان وعائشة وغيرهم من الصحابة، وهذا العبادي يأم الشرك في لبنان والإسماعيلية في الهند أخبار تزوجته في (النجم الزاهر) 176/1، 177/1، 178/1، 179/1، 180/1، 181/1.

(3) سورة الأنفال آية: 38.
وهو الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ مشركنا العرب لأنهم أشركونا في الإلهة قال تعالى: 
{ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداد يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله } وقيل تعالى: { أجعل الألهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب } .

وأما النوع الثاني: فالشرك في الربوية فإن الرب سبحانه وتعالى هو المالك المديب المعطي المال النافع النافع المحافظ الرافع المعز المذل فمن شهد أن المعطي أو المالح أو المذاو أو المعز، أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته.

وقال العلامة ابن القيم: مربعاً نوعي الشرك الأكبر:

الشرك شركان:

النوع الأول: شرك يتعلق بذات المعبد، وأسمائه وصفاته وأفعاله.

النوع الثاني: شرك في عابته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ثم إن القسم الأول نوعان:

أحدهما: شرك التعظيل وهو أربع أنواع الشرك فشرعون إذ قال: { وما رب العالمين } وقال تعالى مخبراً عنه أنه قال لهامان { وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحًا لأبلغ الأسباب } أسباب السموات فاطلع إلى آله موسى وإن أظهره كاذباً }، والشرك والتعظيل متلازمان فكل شريك معطل، وكل معطل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعظيل، بل قد يكون المشرك مقرأ بالخالق - سبحانه وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعظيل وهو ثلاثة أقسام:

الأول: تعظيل المصنوع عن صانعه وحالةه.

الثاني: تعظيل الصانع - سبحانه - عن كماله المقدس بتعظيل أسمائه وأوصافه وأفعاله.

---

(1) سورة البقرة آية: 165.
(2) سورة ص آية: 5.
(3) مجموع التنزاري 91/92.
(4) سورة الشعراء آية: 33.
(5) سورة غافر آية: 37-38.
أنواع الشرك

الثالث: تعزل معاملته في يجب على العباد من حقفة التوحيد، ومن هذا شرك
طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون: مائم خلاف ومخالوق ولا هانيا شيئان، بل الحق
المنزه هو عين الخلق المشبه ومنه شرك الملاحظة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم
يكن معدومًا أصلًا، بل لم يزال ولا يزال والحالاوات بأسراه مستدiente عندهم إلى أسباب
وسائر اقتضت إيجادها يسهمونها بالعقل والنفوس ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب
 تعالى وأوصافه، وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامية فلم يثبتوا له اسمًا ولا صفية بل جعلوا
المخلوق أكمل منه، إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها.

النوع الثاني: شرك من جمع مع الله إليها آخر ولم يعقل أسماءه وصفاته وربوبيته
كشرك النصارى الذين جعلوه ثلاثمائة، فجعلوا المسيح إليها وأمه إليها.

ومن هذا شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النورونوحادث الشر إلى
الظلمة.

ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه وأنها تحدث
بدون مشيئة الله وقدرته ولهذا كانوا أشياء المجوس.

ومن هذا شرك الذي حاص إبراهيم في ربه إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت
قال أنا أحيا وأميت.١(1)

فهذا جعل نفسه نداء الله يحيى ويميت برعمه كما يحيى الله ويميت فائزمه إبراهيم أن
طرد قومه أن تقدر على الإيذان بالشمس من غير الجهة التي يأتي بها الله منها، وليس هذا
إنتقالًا كما زعم بعض أهل الجدل، بل إليزاماً على طرد الديلة أن كان حقًا.

ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلوية ويجعلها أربابًا مدبرة لأمر هذا
العالم كما هومذهب مشريكي الصابئة وغيرهم.

ومن هذا شرك عباد الشمس: أ. هـ(2).

(1) سورة البقرة آية: ٢٥٨.
(2) لجواب الكافي لمن سائل عن الدواء الشافعي ص: ١٥٢. ١٥٤.
وأما القسم الثاني:

وهو ما يتعلق بمعاملته - سبحانه وتعالى - فهوا أربعة أنواع (١).

النوع الأول: شريك الدعوة وقد أشار إليه - سبحانه وتعالى - بقوله: {فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشكون}. (٢)

قال العلامة ابن جرير يقول تعالى ذكره: {فإذا ركب هؤلاء المشركين السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه {دعوا الله مخلصين له الدين} يقول: أخلصوا لله عند الشدة التي نزلت بهم التوحد وأنذردها له الطاعة، وأذعنا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأنذارهم ولكن الله الذي خلقهم {فلما نجاهم إلى البر} يقول: فلما خلصهم ما كانوا فيه وسلمتهم، فصاروا إلى البر إذا هم يجعلون مع الله شريكًا في عبادتهم ويدعون الإلهة والأوثان معه أربابًا.

قال قتادة {فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشكون} فالخلق كلهم يقرؤون الله أنه ربهم، ثم يشكون بعد ذلك أ. ه (٣).

ومن تفسير ابن جرير للآية السابقة يبين لنا أن شريك المشركين السابقين كان أخف من شريك المتأخرين إذا أولئك كان شركهم مقصورًا في حالة الرخاء أما في الشدة فكانوا يخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له وأما شريك زماننا فإنهم ينادون ويستغيثون بغير الله في الشدة والرخاء على حد سواء قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - فاعلم أن شريك الأولين أخف من شريك أهل زمانتنا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشكون ولا يدعون الملائكة والأولى مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة، فيخالصون الله الدعاء كما قال تعالى - {وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفرا} (٤).

(1) أنظر الرسالة الأولى من {مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما} ص ٧٦ - ٧٧.
(2) سورة {العنبيبة} آية ٦٥.
(3) جامع البيان ١٣/٢١.
(4) سورة {الإسراء} آية ٦٧.
أنواع الشراك

إلى أن قال: فمن هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله - تعالى - ويدعون غيره في الرحمة، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له. ويسعون ساداتهم، وبين له الفرق بين شريك أهل زماننا وشريك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماًًا جيداً واسحاً؟ والله المستعان.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسياً مقربين عند الله إما أنياباً وإما أولباء، وإما ملائكة، أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ليست عاصبة وأهل زماننا يدعون مع الله أناسياً مقرنين الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكمون عليهم الفجر من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح، أو الذي لا يعصي مثلاً الخشب والحجر - أهون من يعتقد فيمن يشاهد فساده وقاسمه ويشهد به. (1)

النوع الثاني: شريك المحبة كما ذكر الله عن بعض الناس يقوله: (فمن الناس من يتخذه من دون الله أناداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله). (2)

قال العلامة ابن القيم: (فأخبر أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله - تعالى - فهو من اتخذه من دون الله أناداً فهذا نذا في المحبة لا في الخلق والرعبية، فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا النذ في الرعبية لخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أناداً في الحب والتعزيم، فقال: (والذين آمنوا أشد حباً لله). وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: (والذين آمنوا أشد حباً لله) من أصحاب الأنداد لأندأههم وألائهما التي يحبونها وتANDOMونها من دون الله.

الثاني: (والذين آمنوا أشد حباً لله) من محبة المشركين بالانداد الله فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندأههم بفسط منهما، والمحبة الخالصة، أشد من المشتركة، والقولان على القولين في قوله تعالى - علّي - (يحبونهم كحب الله)؛ فإن فيها قولين:

(1) كشف الشهات ص 227 ضمن مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
(2) سورة البقرة آية: 125.
(3) سورة البقرة آية: 125.
أنواع الشرك

أحدهما: يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد أثبت لهم محبة الله ولكنها محبة
يشكون فيها مع الله أندادًا.

والثاني: أن المعني يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ثم بين أن محبة
المؤمنين الله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية
- رحمه الله - يرجع القول الأول، ويقول: "إنما ذاموا لأن أشراوا بين الله وبين أندادهم في
المحبة ولم يخصوه الله كمحبة المؤمنين له" أهـ.

النوع الثالث: شرك الطاعة المذكور في قوله تعالى - إتخزوا أحبارهم ورهبانهم
أرباباً من دون الله.

وفي الحديث عن عدي بن حاتم حين سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية: "إتخزوا
أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله" قال: فقلت: إنهم لم يعبدوه؟ فقال: "بل ينهم
حرموا عليهم الحلال وأحراوا لهم الحرام فتباعهم بذلك عاداتهم إياهم".

قال حديثة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسيرها: إنهم آتبعهم فيما
حللوا وحرموا.

قال ابن القيم: "وهذا من أعظم تلاعث الشيطان بالإنسان: أن يقتل أو يقاتل من
هذى على يديه، ويتخذ من لم تقسم له عصمهه نداً الله يحرم عليه ويحلل له" أهـ.

النوع الرابع: شرك النية والإرادة والقصد المضار إلی بقرة تعالى: "من كان يريد
الحياة الدنيا وزنها نفوف إلیهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يحسون أولئك الذين ليس
لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون".

وقال العالمة ابن القيم: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذكر الباحث الذي لا
ساحل له، وقل من ينجومه فمن آرائه بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه، وطلب

(1) مدارج السالكين 2/ 342-7.
(2) سورة النبىآية 31.
(3) رواه ابن جرير في تفسيره جامع البيان 114 سنن الترمذي 4242 وانظر تفسير ابن كثير 3/ 385.
(4) إغالة اللعفان 2/ 319.
(5) سورة هود آية 17-18.
أنواع الشراك

الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته والإخلاص: أن يخلص الله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحكيمة ملة إبراهيم التي أمر الله بها عبادة كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام ومن يتغ فغير الإسلام دينًا، فلا يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين {1}.

وفي ملة إبراهيم من رغب عنها فهو من أسه السفاهة. أه {1}.

تعريف الشراك الأصغر:

الشرك الأصغر هو النوع الثاني من أنواع الشرك وقد أوضح تعريفه النبي ﷺ بقوله: \[\text{إن أخوف ما أخوف عليكم} \text{ الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله} \text{ قال الرباء} \{2\}.

وأورد الحاكم من حديث أوس عن أبيه قال: "كاناعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرباء الشرك الأصغر" {1}.

وأورد اثنا عشر حكمة في عهد الرباء في حديث الوصية، وله على ذلك نقله الشافعي. قال ابن القيم: رحمه الله تعالى - في حده للشرك الأصغر "وأما الشرك الأصغر فكيسير الرباء والتصنف للملخ الأعلى الله تعالى - وقال الرجل ما شاء الله وشحت، وهذا من الله ومثله وأنا بالله ويك وما لي إلا الله وأنك وأنك منات ولولا أنتم لم يكن كذا، وقد يكون شركاً أكبر بحسب قائله ومقدسه" {3}.

قال في تيسير العزيز الحميد ففسر الشرك الأصغر باليسير من الرباء فدلف على أن

1: سورة آل عمران آية 85.
2: الجواب الكافي ص 159.
3: مجمع الرواية 10/226 من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال الشيخ: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غريب وثابت.
4: المستدرك 4/329 وصحبه وأقره على ذلك النهي.
5: مدارج السلف السبعة 1/344.
أنواع الشرك

كتيره أكبر، ومثل الشرك الباكر والاصغر الشريعة والإخلاص وهو أفراد الله تعالى - بالعبادة باطناً وظاهراً أ. ه. (1).

الفرق بين الشرك الباكر والأصغر:

أما الفرق بين الشرك الباكر والأصغر فمن وجه:

أولاً: أن الشرك الباكر لا يغفر الله لصاحب، وأما الأصغر فإنها المشيئة.

ثانياً: أن الشرك الباكر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

ثالثاً: أن الشرك الباكر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الأصغر فلا يخرجه منها.

رابعاً: أن الشرك الأصغر صاحبه خالد في النار، وأما الأصغر فكن في النار، وقيل: "إنه لا يغفر للصاحب إلا بالتوية كالأكبر وهذا هو الصواب" (2).

تعريف الشرك الخفي:

الشرك الخفي هو النوع الثالث من أنواع الشرك وقد بين حقيقة المصطفى حيث قال: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الذي الدجال؟ قالوا: بين قال: الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فتى فتى صلاته لما يرى من نظر رجل" (3).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب قوله: "فيصل فتى صلاته لما يرى من نظر رجل" فسر الشرك الخفي بهذا أن يعمل الرجل العمل، لكن يزيد في صفته ك헌ئة وتطويله، ونحو ذلك لما يرى من نظر رجل، فهذا هو الشرك الخفي، وهو الرياح، والمحامل له على ذلك هوحب الرياح والجاه عند الناس أ. ه. (4).

وقد قال: "الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكنان الرجل" (5).

---
(1) تيسير العزير الحمید ص 472.
(2) الكوشف الجليل ص 267.
(3) رواه أحمد في المسند 3/210 وابن ماجه في السنن 2/1406.
(4) تيسير العزير الحمید ص 472.
(5) رواه الحاكمة في المسند وصححه وأقره على ذلك ذو نبه من حديث أبي سعيد الخدري 4/279.
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لقوله تعالى: «فلا تجعلوا أنداً وأنتم تعلمون»: أن الدار هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: وله سبحانه وتعالى يقول: لا كابرة هذا الإذنان اللصوص البارحة ولولا الظلام في الدار لأرى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: لولا الله ولولا فيها فلانا هذا كله به شريك.

قال: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وأما الشرك الخففي فهو الذي لا يكاد أحد يسلم منه مثل أن يحب الرجل مع الله غيره، فإن كانت محبة الله مثل حب النبي والصالحين والأعمال الصالحة فليست من هذا الباب لأن هذه تدل على حقيقة المحبة لأن حقيقة المحبة أن يحب المجرب وما أحبه، ويكره ما يكره، ومن صحت محبتها.

امعتنت مخالفته لأن المحلفة إنما تقع لنقص المتابعة ويدل على نقص المحبة قول الله تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فابعدونى يحبكم الله وغفر لكم ذنوبكم» (1) الآية فليس الكلام في هذا إلا كما الكلام في محجة تتعلق بالنفس بغير الله تعالى. فإذا لا شكل أنه نقص في توحيد المحبة وله دليل على نقص محجة الله تعالى. إنه لو كمته محبته لحب سواء. . . . وكذا الخوف والرجال، وما أشبه ذلك فإن كمل خوف العبد من ربه لم يخف شيئاً سواء. . . وإذا نقص خوفه خاف من المخلوق وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف. . . وكذا الرجاء وغيره فهذا هو الشرك الخففي الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى. (2)

فشيخ الإسلام رحمه الله تعالى. يبين لنا خطورة الشرك الخففي الذي لا ينجو منه إلا من عصمه الله تعالى، ولذلك خائف على الصحابة الذين هم أُبر الأمة أعمالا وأقواها إيمانا وأصحه إسلاماً، وأحسنها أخلاقا وأصدقها أقوالا كما تقدم من حديث أبي.

---

(1) تفسير ابن كثير 1/101.
(2) سورة آل عمران آية: 31.
(3) مجموع الفتاوى 93/1 94.

مباحث العقدة م 25
أنواع الشرك

صاحب تيسير العزيز الحميد

1. عيد الخدري رضي الله عنه قال: "لا يصح أن يكون الشرك الخفي على الإنسان: وهو من أضر غواة النفس، ويوافق مكانيهما، يبتلى به العلماء والعباد والمسؤئون عن ساق الجهد للطرق الآخر. فإنهم فهروا أنفسهم وفطمواها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات عجزت. نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، والواقعية، والجوارح، فطلت الإستراحات إلى الظاهر بالخير، وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصاً من مسحة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تقتنع بأطلاع الخلق تبارك وتعالى. ففرح بحمد الناس، ولم تقن بعدم الله وحده فأحببت مدهم وتركتهم بشهادته وخدمه وإكرامه وتقديمه في المحال فأتسببت النفس في ذلك أعظم اللذات، وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى - وبعباداته، وإنما حيته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين، وهو يظن أن خادم الله من عيادات المقربين وهذه مكيدة لنفس لا يسلم منها إلا الصديقون، ولذلك قبل آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة". (1)

وباستطاعة الإنسان أن يتخلص من هذا الشرك الخفي بأمرين اثنين:

الأول: الإخلاص بأن يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى.

الثاني: أن يكون العمل مواقفاً لما جاءه الرسول.

2. كفارة الشرك الخفي:

على الرغم من خطورة الشرك الخفي كما عرفنا ذلك مما تقدم، وأنه خافه على سادسة هذه الآية وهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعهم، وأنه لا يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى.

(1) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى.

(2) هو الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيب. من علماء الحديث والتفسير، وبيان كان ذائع طائلة من الأثر والبضاعة ألقفها في وجه الخبر حتى لتفرز في آخر عمرو، كان شديد الورد على أهل البعد، وكان ملازمًا لتعليم طلبة العلم له مؤلفات في البلاغة والتفسير، والحديث. أنظير ترجمته في المدرور الكامنة 2/68، 1/29، كشف الطعون 1/6، شرارة الذهب 6/58-59، بغية النعمة 1/197، الضرب بالطاع.

(3) انظر تيسير العزيز الحميد ص 473.
أنواع الشرك

أ) نعمة دعاء ندعو الله به يكون كفارة لما يحصل للإنسان من هذا الداء.

العضال.

روى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه - أنه خطب الناس يومًا فقال: "بأي الناس اتفقوا هذا الشرك فإنهم أخرج من ديب النمل فقام إليه عبد الله بن حزن وقيل بن المضارب فقال: والله لتخرجن مما قلت أولئك من عمرو بن مذون لبناً أو غير مأذون قال: بل أخرج مما قلت خطبتنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: "أيها الناس اتفقوا هذا الشرك فإنهم أخرج من ديب النمل" فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف تنبيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله؟ قال قولوا: "اللهم إنا نعود بكم من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لبست للعلم".

فهذا الحديث بين لنا فيه كفارة الشرك الخفي، نسأل الله أن يجيبنا الوقوع في الأمور التي تغضبه - سبحانه - وقد اختار أكثر العلماء الذين ألقوا في التوحيده أن الشرك ينقسم إلى نوعين أكبر وأصغر، فتكون الشرك الخفي من أنواع الشرك الأصغر على قول من قال: "إن الشرك على نوعين وهذا الخلاف في التوحيده إلى نوعين وإلى ثلاثة إنما هو خلاف لفظي لأن ما يفسره الشرك الخفي هو ما يفسره الشرك الأصغر وهو ذكرنا أنواع الشرك فإنه من المستحسن أن نرده ذلك بذكر أنواع الكفر وأنواع النفاق لأنها كلها من الأمور المهمة لمن شرح صدره بها.

أنواع الكفر:

قال العامة ابن القيم: "فأما الكفر نواعان: كفر أكبر، وكفر أصغر، فالكفر الأكبر وهو الموجب للخلود في النار والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلوة".

أنواع الكفر الأكبر:

الكفر الأكبر خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب وهو اعتقاد كذب الرسول وهذا القسم قليل في الكفارة فإن
أنواع الشرك
الله تعالى - أبد رسله، وأعطاهم من الإبراهيم والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة
وأزال به المعذرة.

قال تعالى في شأن فرعون وقومه: (ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً
وباعوا)، وقال تعالى - مخاطباً رسوله ﷺ: (إف okhttpم لا يكذبونك ولكن الظلمين بأيات
الله يجدون). (1)

الタイプ الثاني:
كفر إباه واستكبر مثل كفر إبليس اللعين ومنه كفر من عرف الرسول ﷺ ولم يقد له إباهًا واستكبر أو الغالب على كفر أعداء الرسول كما قال تعالى - تعالى - عن فرعون وقومه
(إن ومن لبشرين مثلنا وقومهم لنا عابدون). (3)

ومنه كفر أي طالب فإنه صدق الرسول ﷺ ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية، وكره أن يرغب عن ملة آبائه، أو أن يحكم بتكفيرهم.

النوع الثالث:
كفر الإعراض: مثل أن يعرض عن الرسول ﷺ بحيث لا يسمعه ولا يصدقه ولا يكذبه، ولا يصدق إلى ماجاء به البته كما قال أحد بنى عبد بالل للنبي ﷺ: (وألهًا أقول لك
كلمة: إن كنت صادقاً فتأجل في عيني من أن أرد عليك وإن كنت كاذباً فأنتم أحق من
أن أكلمك). (4)

النوع الرابع:
كفر الشك: حيث لا يجزم بصدق النبي ﷺ ولا يكذبه بل يشك في أمره، وهذا لا

(1) سورة الأنفال آية: 14.
(2) سورة الأنعام آية: 33.
(3) سورة المؤمنون آية: 47.
(4) على هذا النوع الشيخ محمد حامد الفقي فوالوه كفر الملحدين اليوم من المنتمين بأسماء إسلامية
المقلدون للفريق من اليهود والنصارى المنحلين عن كل خلق وفظيلة زاعمين بهاءهم وسفهم أن هذا هو
سيلة الرفيق والديدني) مدارج السالكين 1/238 (الهامش).
أنواع الشرك

يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة، وأما
مع التفتاه إليها ونظره فيها فإنه لا يبقى معه شك لأنها مستلزمة للصدق.

النوع الخامس:

كفر النفاق وهو أن يظهر الإيمان بلسانه وينطوي قلبه على تكذيب الرسول ﷺ،
وهو هذا النفاق الأكبر (1).

الكفر الأصغر:

النوع الثاني من أنواع الكفر الكفر الأصغر، وهو لا يخرج من ملة الإسلام وذلك مثل
كفر النعمة وقد ذكره الله تعالى في قوله: (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها
رزقه راغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فذاقها الله للباس الجوع والخوف بما كانوا
يصعنون) (2).

ومنه الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال: «اثنان في الناس هما بهما كفر الطعن في النسب، والنياحة» (3).
فمثل هذا كفر دون كفر لا يخرج من ملة الإسلام.

أنواع النفاق:

جاء في الصحيح: «النافقاء إحدى حجرة البرعوب يكنهم ويزهق ويعالجوها وهو موضوع
يرقع، فإذا أتي من قبل القاصاء ضرب النافقاء برأسه فانقفاً أي: خرج والتفقة أيضاً:
مثال الهمزة النافقاء تقول منه: نفق البرعوب تفقة ونافق أي أخذ في نافقاته، ومنه اشتتقاق
المنافق في الدين» (4).

و جاء في المصباح المنير: «نافق الإبرع إذا أتى النافقاء ومنه قول: ناقف الرجل إذا

(1) ذكرت هذه الأنواع العلامة ابن القيم في مدارج السالكين ١٣٥ - ١٣٣ وانظر، مجموعة التوحيد لشيخ
الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما ص ١ - ٥٧.

(2) سورة النحل آية ١١٢.

(3) صحيح مسلم ٢٨١.

(4) ٤/١٥٦٠، القاموس المحيط ٢٩٦.
أنواع الشرك

أظهر الإسلام لأهله وأضمر غير الإسلام وأتاه مع أهله فقد خرج منه بذلك ومحل النفاق

القلب (1)

وفي اللسان عن أبي عبيدة قال (سمي المنافق منافقاً للنفاق وهو السرب في الأرض

وقيل: إنما سمى منافقاً لأنه نافق كالبر أو هو دخوله نافقةه يقال: قد نفق به، ونافق ولـ

جحر آخر يقال له القاصع، فإذا طلب قمع فخرج من القاصع، فهو يدخل في النافقة

ويخرج من القاصع، أو يدخل في القاصع وخرج من النافقة، فيقال هكذا يفعل

المنافق بدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه) (2).

ومن هذا يتبين أن النفاق في اللغة: (إظهار الخير وإبطان الشر وأما حقيقته في

الشرع: فهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر وانخفاذه) (3). والمتصفون بذلك موجودون في

كل زمان ومكان.

والنفاق على ضررين:

الضرب الأول: النفاق الاعتدادي

الضرب الثاني: نفاق عملي.

أما الضراب الأول: وهو النفاق الاعتدادي فإنه مخرج لصاحبه من الملة وفيه يقول

شيخ الإسلام ابن تيمية (والنفاق منه ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار

كنتافق عبد الله بن أبي وقاص بأن يظهر تكذيب الرسول أوجود بعض ما جاء به، أو غضبه،

أو عدم اعتقاد ووجب اتباعه أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه نحو ذلك

مما لا يمكن صاحبه إلا أن يكون عدواً لله ورسوله) (4) وفِى مجموع التوحيد:

فأما الاعتدادي فهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به

أو غضب الرسول، أو غضب ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول أو الكراهية

بانتصار الدين الرسول) (5).

(1) ١٦٨/٢
(2) ٣٠٩/١٠
(3) أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٨/٥
(4) مجموع الفتاوي ٤٨/٣٤
(5) الرسالة الأولى من مجموعة التوحيد للشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما ص ٩.
أنواع الشرك

وأما الضرب الثاني: وهو النفاق العملي فهو جريمة كبرى، وإثم عظيم وكبيرة من كبار الذنوب، ولكنه لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام وأنواعه كثيرة.)

قال: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة من كنفه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أتم خان وإذا حدث كذب، وإذا أعاد غدر، وإذا خاصم فجر".

وفي رواية أخرى: وإذا وعد أخلف.

ذلك هو حقيقة الشرك وأنواعه وأنواع الكفر والنفاق وكل هذه الأمور تكسب صاحبها الانحطاط والهبوط متى ما شرح بها صدره واطمأنت بها نفسه أعاذا الله من ذلك.

---

(1) انظر أنواع النفاق في (مدارج السالكين لابن القيم) 1/477 وانظر الرسالة الأولى من مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام، والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما.
(2) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري 1/10 صحيح مسلم 1/1067.
المبحث الثالث
أصل الشرك في بني الإنسان

قال تعالى: «والمذين اتخذوا من دونه أولياء ما تعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى. إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفائر». 

هذى الآية من السورة فيها بيان لأصل الشرك والداعع إليه عند المشركين قديماً وحديثاً، وفيها توضيح لحال المتخذي من دون الله - تعالى - الأولياء والشركاء، وأن الذي تقرر في قلوب المشركين المتقدمين والباقرين أن آلهتهم تخفيف لهم عند الله - تعالى - ويزعمون أنهما تقربهم إلى الله - تعالى - برفع حوائجهم إليه والشفاعة عنده وإلا فهم يعتقدون أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك من الأمر شيئاً وهذا كما هو معلوم من أبعاد الأعراد لإقدامهم على أشد المحرومات وارتكاب أعظم المنكرات وهو الشرك بالله العظيم، ولذلك جاءت الآية مذيلةً بالحكم عليهم بأنهم كاذبون، وكفراء وأنه تعالى - 

لا يهدىهم فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً أو شريكًا.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى - حول هذه الآية. يقول تعالى ذكره: ﴿والمذين اتخذوا من دون الله أولياء ي椁لونهم ويعيدونهم من دون الله يقولون لهما ما تعبدهم أيها الألهة إلا لتقربونا إلى الله زلفى، قربه ومنزلة وتشفعوا لنا عئده في حياتنا. قال مجاهد: قريش تقوله للأوثان ومن قبلهم يقوله للملاكية وليعسى بن مريم ولعزرى﴾.

وقال العلامة ابن كثير: حول قوله تعالى ﴿ما تعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ثم

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 33/191
أخبر عز وجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله} ذلِك أي إنما يجعلهم على عبادتهم لها أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فبدوا تلك الصور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليعبدوا لهم الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينويهم من أمر الدنيا فأما المعاد فكانوا كافرين به قال قتادة والسدي ومالك عن زيده بن أسلم وابن زيد: إلا ليقربونا إلى الله ذلِك أي ليشيعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تلبتيهم إذا حروا في جاهليتهم لبِكِ لا شريك لِكِ إلا شريك كُنِّي لُكِ تمثلُه وما ملكُه وهذَه الشبهة هي التي اعتمدوا المشركون في قديم الزمان وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها وأنهَا لمن أرادوا إلَّا الذين أرادوا ولا يذكرون عليهم اسمه إذا حروا في جاهليتهم. {ولقد بَعُثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أُنْعِبَدُوا إلَى اللَّهِ وَاجتَبَبُوا الطَّاغوَتَّ}.

وأما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوي إلَّا أن يأذن الله فيه وألا يذكرون على نعوم {1} وأخبر أن الملائكة التي في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كل عميد خاضعون لله لا يشعرون عنده إلا إذا إذن له وليسو عنده كالأمراء عند ملوكهم يشعرون عندهم بيِن إذنهم فيما أحبه الملك وأبوه، فلا يذكرون على العلي {2} تعالى الله الأمثال في {3} {3} تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً أهـ {4}.

وقال الشوكي: والضمير في {نعبدهم} راجع إلى الأشياء التي كانوا يعبدهم من الملائكة وعيسى والأصنام وهم المرادون بالأولاء والمراد يقولهم {إلا ليقربونا إلى الله} ذلِك الشفاعة كما حكاه الواحدي عن المفسرين. {5}.

قال صاحب محسن التأويل {1}:

---

1. سورة النحل آية: 36.
2. سورة الأنبياء آية: 25.
3. سورة النحل آية: 74.
4. تفسير ابن كثير: 78/6.
5. فتح القدر المبين: 449.

{6} هو: جمال الدين محمد سعيد بن قاسم القاسمي الخلاق عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد بدمشق ونشأ
أصل الشرك في بني الإنسان

وَالذِين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءً يُبْهِجُونَ بِالْمَحْجَبِ لِلْتَقْرُبِ وَالسُّوَّالِي بِهِمْ إِلَى اللَّهِ -

 تعالى - (2) ما نَعْبُدهُم إلَّا لِيُقُروُنَّهُم إلَى اللَّهِ زُلْفَى - (3) أي يقولون ذلك احتجاجًا على ضلالهم. إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يتخلفون - (4) أي عند حشر معبداتهم معهم فيقرن كلا منهم. مع من ينزلون من عابدين وعباد مدعون ويدخل المبطل النار مع المبطلين كما يدخل المحق الجنة مع المحقين - (4).

فالآية بينت أن أصل الشرك في المشركين من بني آدم إنما كان نتيجة الغلو في المخلوق ورفعه فوق منزلته ويشهد لهذا ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس، رضي الله عنهما أنه قال: صارت الأوشن التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودَّفْتُنَا لكل بدوية الجندل وأما سوا فكانت لهذين، وبأيما يغطيون فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند نسبهم، وله يعقوب فكانت لهم كناب، وأما نسر فكانت لحميرة لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أُوْحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسماها بأسماهم فعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبَّدَت - (4).

قال الشيخ الإسلام ابن تيمية (وأصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر). الصالحين المعظمين، فإنهم لما ماتوا، عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوه، فهذا أول شرك كان في بني آدم، وكان في قوم نوح فإنه أول رسول ببعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد، وينهاهنم عن الشرك كما قال تعالى - (4) وقالوا لا تذرون آلهتم ولا تذرون ودًا ولا سواعًا ولا يغفرون ونسرًا - (4) وهذا أسماء قوم صالحين في قوم نوح، فلا ماتوا جعلوا الأصنام على صورهم ثم ذهبت هذه الأصنام لما أغرى الله أهل الأرض ثم صاروا إلى العرب كما ذكر ابن عباس وغيره إن لم يكن أغrians في نظائرها - (4).

وعلَّم بهم ولهد سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف وثمانية سنة إثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية. الأعلام 131/2

(1) مهاسن التأويل 195/3
(2) 208/3
(3) سورة فرقان آية: 23 24
(4) الحسنة والسيرة 113-114
أصل الشرك في بني الإنسان

وقال ابن جريج الطبري: عند قوله تعالى: "و قالوا لا تذرن آلهتكم" الآية قال:

كانوا قوما صالحين من بني آدم لهم أتباع يعتقدون بهم: لوصورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرواهم، فصوروه فلما ماتوا واجه آخرون دب إليهم إبريل فقال: (إنما كانوا يبعدونهم ويهم يسفون المطر فعدواهم) هذا من أعظم كيد إبريل وهو جعله الإنسان يشرك بالله غيره فإنه يأتي للإنسان بأفقت الخيل، وأعظم المكر فنئهم عن طريق العاطفة الدينية، وبما يؤملون من جلب النفوس حتى يجعلهم مشركين يعبدون غير الله تعالى - ويطلبون المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى - لا يملك ذلك من المخلوقين فتماثيل الصالحين من أكبر الطرق وأسرعها وقوعا في قلوب الناس للوقوع في أصل الشرك ولذلك اعتبر الشرع أن من فعل هذا العمل إنه هو شرار الخلق عند الله تعالى - روى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (لما اشتكى النبي ﷺ ذكرت بعض نفسي كنيسة رأينه بأرض الحبشة يقال لها: مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنها وأنا أرض الحبشة فذكرتمن حسنها وتصوير فيها فرفع رأسه فقال: أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله) (1).

وأما أكثر شرار الخلق في زمننا هذا فإن الكثير من المسلمين تجاهلوا هذا التحذير البلغ والتهديد الشديد فننا المساجد والقباب على القبور وتجد الجهله من المسلمين يتحرون الصلاة فيها وعندها ويتولون بها ويدعونها من دون الله وينذرون لها ويدعونها لولا وقودن الشموع والسراج عندها ويطابون منها شفاء مرضاهم ورد غائبهم ويعفون عنها ويطوفون حولها ويطابون منها الغوث والمدد وتجد أنهم يجري على لسانهم ذكر صالح القبر كلاما قام أو نقل أو سلف وهذه الأمور هي بعينها التي كان يفعلها مشركون الجاهلية بل هؤلاء أشد منهم عبادة وتعظيما وهذا أصل الشرك وعئيذة الذي حذر الله عنه عباده ونهاهم عن الوقوع فيه.

وحرم على من مات عليه الجنة.

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: بعد أن ذكر قصة أصنام قوم نوح: فتبين أن مبدأ

(1) جامع البيان 29/99.
(2) صحيح البخاري مع شرح فتح الباري 13/208.
الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم كما أن سبب الشرك بالنجوم هو الغلو فيها واعتقاد النحوس فيها والسعود، ونحو ذلك وهذا هو الغالب على الفلسفة ونحوهم كما أن ذلك هو الغالب على عباد القبور ونحوهم وهو أصل عبادة الأصنام فإنهم عظموا الأموات تعظيماً مبتدعاً، فصوروا صورهم وتبكروا بها قال الأمر إلى أن عبدت الصور ومن (هي) صورته وهذا أول شرك حدث في الأرض وهو الذي أوحاه الشيطان إلى عباد القبور في هذه الأزمان فإن ألقى إليهم أن البناء على القبور والعكوف عليها من معبة الصالحين وتعظيمهم وأن الدعاء عندها أرجى في الإجابة من الدعاء في المسجد الحرام والمساجد فاعتادوها لذلك فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى الدعاء به والإقسم على الله به) اهـ (1).
المبحث الرابع
ذم الإنسان على جعله أنداًدًا لله تعالى

لقد جاء في السورة الثامنة والعتاب للإنسان الذي يجعل الله تعالى الأنداد، وأوضح
أن من فعل ذلك فإن مصيره إلى النار.

قال تعالى: {وإذا مس الإنسان ضر دعا به منبتًا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما
كان يدعو إليه من قبل وجعل الله أنداًدًا ليضلل عن سبيله قال تمتع بكفرك قليلاً إنك من
صاحب النار}.

هذه الآية من السورة تضمنت ذمًا وعبثًا من الله تعالى لمن جعل لله الأنداد والأشربة
من المخلوقين فيبها كما يحب الله ويرجوها كما يرجو الله وهذا فعل الضالين المشركين
بالله - عز وجل -.

فقد أوضح الله في هذه الآية أن الإنسان إذا نزل به الضرب واشتدد به الكرب يضرع إلى
الله ويخلص له الدعاء والإنابة لا يشرك به غيره، فإذا ما أزيل عنه ذلك وحوله الله بشرى النعم
ينسي ربه الذي كان يدعو عند الشدة والكره وعند الفقر والمرض، فيشعر في اختيار
الشركاء من الأصنام التي هي عبارة عن أحجار وأشجار فيتوجه إليها بالعبادة والدعاء
 والاستعجال وصرف لها الكثير من أنواع العبادات التي لا تحققها إلا الله تعالى، أو يجعل
الله أنداًدًا من طوغيت البشر ففيهم في معصية الله - تعالى - كما قال السدي رحمه الله
 تعالى: الأنداد من الرجال يطيعونهم في معاصي الله وقال غيره: (عنى بذلك أنه عبد
الأوثان فجعله الله أنداًدًا في عبادتهم إياها) وقال ابن جرب: (أولى القولين بالصور قول
من قال عنى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان فجعل له الأوثان أنداًدًا لأن ذلك في سياق
عبادة الله إياهم على عبادتها) أهـ(1).

(1) جامع البيان (23/200).
قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حول قوله تعالى في الآية:

"وجعل الله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفر قليلاً إنك من أصحاب النار" أي من مات وهو يدعو الله نداً، أي: يجعل الله نداً فيما يختص به تعالى - ويستحقه من الروبية والإلهية دخل النار، لأنه مشرك، فإن الله تعالى هو المستحق للعبادة لذاته لأنه المألوه المععود الذي تألله القلوب وترغب إليه وتفزع إليه عند الشدائد وما سواه فهو مقتدر إليه مقوم بالعبودية له تجري عليه أنداده وأحكامه طوعاً وكرهاً فكيف يصح أن يكون نداً.

وقد نهى الله تعالى عباده عن أن يجعلوا له الأنداد وذمهم على ذلك قال تعالى: فلا تجعلوا الله أنداداً وأنت تعلمون ۴.

قال البغوي: فلا تجعلوا الله أنداداً أي أشياء تعبدهن كعبادة الله وقال أبو عبيدة: الندل: الضد هو من الأصداد والله تعالى بريء من المثل والضد وأنت تعلمون أنه واحد خالص هذه الأشياء إهده.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (الأنداد: الأكفاء من الرجال تطعيونهم في معصية الله) وقال ابن زيد: (الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثلاً ما جعلوا لها).

وقال ابن عباس: (الأنداد: الأشياء).

وقال تعالى في ذم بعض الناس الذين اتخذوا من دونه أنداداً: ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يجيبهم كحب الله.

(1) تفسير العزيز الحميد ص 95.
(2) سورة البقرة آية: ۲۲.
(3) هو الإمام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي فقه، محدث فاسر نسبه إلى بناء من قرى خراسان بين هرة ومرودسة ست وثلاثين وأربعون، وتوفي سنة عشر وخمسمئة هجرية.
(4) هو ميعار بين المثنى البغوي الإحرمي أبو عبيدة النحوي من أثرة العلم بالأداب واللغة ولد سنة عشر ومائة وتوفي سنة تسع وثلاثين هجرية عن تجربته في تفهيم النشجيب ۱۰۴/۱، والميزان ۱۸۹/۳ وفيات الأعيان ۲۵۴/۳.
(5) تفسير البغوي المسمى (متع النزيل على حاشية الخاكان ۱/۳۳ مجاز القرآن ۱/۳۴.
(6) تفسير ابن جرير الطبري ۱۱۲/۱، إغاثة اللفحان ۲۲۹.
(7) سورة البقرة آية: ۱۶۵.
قال ابن القيم: (فهؤلاء جعلوا المخلوق مثلاً للخالق فاندلع: الشه يقال: فلان ند فلان ونديده أي مثله وشبهه... فاندلع أنكره الله سبحانه عليهم هو تشبيه المخلوق به حتى جعلونه لعل تعلى - يعبدون كما يعبدون الله) اه.

وأما اتخاذ العدولاء، بمعنى: جعلهم شركاء له في العبادة فقد بين تعلى - بأن ذلك فعل المشركين.

قال تعالى: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) الذين كفرنا وربهم يعدلون، (يعدلون) يشركون قال محمد بن جبر الطربي: (يجعلون شريكة في عبادتهم) إياه فيعبدون معه الآلهة والأنداد، والأصنام، والأرواش وليس منهما شيء شارك به في خلق شيء من ذلك ولا في إعماقه عليهم بما أنعم عليهم، بل هو المفرد بذلك كله وهم يشركون في عبادتهم إياه غيره.

وقد بين النبي ﷺ أن اتخاذ الند من أعظم الذنوب والآثم لما روي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الذنوب أعظم؟ قال: (أن تجعل الله نداً وهو خلقك ... الحديث) (4).

قال ابن الأثير: (الأنداس جمع ند بالكسر وهو مثل الشيء الذي يضاء في أموره وبيناه: أي يضلله ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله) اه. ولقد بعث الله نبي الهدي ﷺ لجعل جميع الأنداد التي كانت تعبدهم دون الله تعالى - وكدان المشركون يتنافسون فيها وكانت تمتلك كلها هيئة حتى أنه أصبح لكل مشرك في الجاهلية معبد وحتى أنه كان إذا سأراه أحدهم يصطبچ صنمهم ومعه وكانت حالةهم سهية كما سبب ذلك فقول: لقد بين الله تعالى - في كتبة أن المعبدات سواء كثرت وتنوعت من عبادة الأشخاص، إلى عبادة الأحجار والأحشاب إلى عبادة الهوى إلى عبادة الأجرام السماوية إلى عبادة الملانكة وسنأتي بنذية حول كل من هذه المذكورات.

---
(1) إعالة اللهبان 229/6.
(2) سورة (الأنعام آية: 1) 4.
(3) جامع البيان 144.
(4) متفق عليه صحيح البخاري 98/6, صحيح مسلم 90/5.
(5) النهاية في غريب الحديث والأثر 95/30.
1- عبادة الأشخاص من بني الإنسان:

لقد أخبرنا الباري سبحانه أن بعض عبيده ادعوا الآلهة واستعبدوا أتباعهم عن طريق التهور والعنف كما استغلاله جهالهم ونشروا في صفوفهم الضلال عن طريق الكذب والتدجيل وهذا كما حصل من فرعون الذي أخبرنا الله عنه أن قال لقومه منادياً لهم: «يا أباؤوا الملائكة ما أعلمنا لكم من إله غيري؟» وقال تعالى - حاكياً توعده لمن آمن بني الله موسى عليه الصلاة والسلام: «قال فرعون أنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا المكر مكرتموه في المدينة ليخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأسلوبكم أجمعين» وتفرع عبدهم الضلال الذين يشرون للخلق ما لم يأتذن به الله ولا يرضى وقد ذم الله أهل الكتاب على هذا الصنيع قال تعالى: «اتخذوا أحبائهم ورجحهم أرباباً من دون الله» فقد أطاعوه في تحليل ما حرم الله وتحرير ما أهل الله فأنزلوه منزلة الرب - سبحانه - إذ أنه لا حق لأحد في التحليل والتحرير إذ ذلك من خصائص الباري سبحانه - دون سواه، والسبب الذي جعل أعتباع فرعون، وأتباع الأحبار والرجال من أهل الكتاب يعبدونهم ويطيعونهم عدم تحقيقهم عبودية الخوف لله - جل وعلا - ومن عبادة الإنسان غلو اليهود في العزير والنصاري في عبى عليه الصلاة السلام وقد بنى بطلان دعواهم تحت عنوان (تبت من الله تعالى من نسبة الولد إليه) وقد تقدم هذا نقله إليه.

2- عبادة الأصنام والأوثان:

قال ابن جرير رحمه الله تعالى - (والأصنام جمع صنم) والصنم: التمثال من حجر أوخشب أو غير ذلك، في صورة إنسان، وهو الوثن وقد يقال، للصورة المصوره على صورة الإنسان في الحائط غيره: صنم ووثن اه. (1)

أما الراغب الأصبهاني فقد قرأ بين الصنم والوثن فقال: الصنم جثة متحركة من فضة

---

(1) سورة القصص آية 38.
(2) سورة الأعراف آية: 123-124.
(3) سورة الأنبياء آية: 31.
(4) جامع البيان/744.
ذم الإنسان على جعله أنداداً لله تعالى
وأو نحاس أو خشب كانوا يعبدونه متفرقين به إلى الله تعالى وهو جمعه (أصنام) قال الله تعالى: "أنصذ أصناماً آلهة إني أرك وقوموك في ضلال مبين" (1).
قال بعض الحكماء: كل ما عبد من دون الله بل كل ما يشغله عن الله تعالى يقال له: "صنم".
وأما الوثن: فإنه قال فيه (الوثن وحجارة كننت تعبد، قال تعالى: "إنهما اتخذتم من دون الله أوثانًا") (2).
ومما فرق بين الصنم والوثن الشيخ عبد الرحمن بن حسن فقال: "الصنم ما كان منحوتاً على صورة، والوثن ما كان موضوعاً على غير ذلك.
إلى أن قال: "ودي يسمى الصنم وثناً كما قال الخليل عليه السلام: "إنهما تعبدون من دون الله أوثانًا" (3) وقيل: إن الوثن أعم وهو هو وقائي، فالأسام أوثان كما أن القبور أوثان (4).
ومن قوله: "هنا وجدت من فروق بين الأصنام والأوثان في الحادة والهيئة، ففرض الوثنين منها واحد وهو عبادتهما من دون الله تعالى على أي كيفية كانت وعلى أي صورة وجدت، ولقد انتشرت عبادة الأصنام والأوثان بين العرب الجاهلين انتشاراً هائلاً ولقد صور لنا ابن إسحاق (5) رحمه الله تعالى: "ببد الآثار فإن العرب من نسل إسماعيل عليه السلام في عبادتهم، فقد كان أول انحرافهم أنهم كانوا يظلمون الحرم فلا يرتحلون منه حتى كثروا وضاقت بهم مكة فأخذوا يرحلون عن طالبين السعة والفسح في البلاد فكان لا يظمن ظاعاً منهم عن الحرم إلى غيره إلا حمله حجراً من حجارة الحرم تعظيمًا له.

(1) سورة الأنعام آية: 74.
(2) المفردات للراعي القصبة 287 والآية رقم (25) من سورة تنبيهات.
(3) سورة التنبيهات آية: 17.
(4) فتح المحيض ص 79.
(5) محمد بن إسحاق بن يسار المطيالي بالولاية المدنية من أقدم مؤرخ العرب من أهل المدينة وكان من أحسن الناس سباقًا للأخبار مسنة واحد وخمسين ومائة وقيل سنة إثنتين وخمسين وقيل إثنين وخمسين ومائة انظر ترجمته في (تذكرة الحفاظ) 176/172، تهذيب التهذيب 38/46 الأعلام للزركلي 254/26.

بحث المقدمة 36
دَمَ الإنسان على جعله أنداداً لله تعالى
فحيضنا نزلوا وضعموه فضففوا به كطورهم بالكعبة، ثم أدي بهم حلالهم ذلك إلى عبادة تلك
الأحجار لم كانوا بعدون من الأحجار ما استحسنته عقولهم” اهـ (1).

واضعوا ما صار إليه حالهم قال أبوجراح العطاردي: (كأن عبد الحجر في الجاهلية، فإذا
وجدنا حجرًا أحسن منه نلقينه ذلك وتأخذه فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جننا
بغم فحبتنا عليه ثم طفنا به) (2).

ومن عجائب أمر الجاهلية أن أحدهم إذا كان مسافراً أخذ معه أربعة أحجار ثلاثة
لقرده والرابع يعبده (3).

ولقد بالعرب الجاهليون في إثارة من الأصنام حتى أنه كان لأهل كل دار بكرة
صنم يعبدونه وكان أحدهم إذا أراد السفر تسريح صنمته وإذا رجع من سفره فعل كذلك قبل
أن يدخل منزله (4).

وكان من أقدم أصنامهم (مناة) وكان منصوراً على ساحل البحر الأحمر من ناحية
المشعل) بقيد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظهم، وكانت الأوس والخزرج
وبهلك ونزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع بعرضهم وذبحون له ويهدون له وكانت
الأوس والخزرج من أشد الناس تعظيماً له حتى أنه بلغ من تعظيمهم أنهم كانوا يحجون
ويخطون الموافق كلها ولا يحلكون رؤوسهم فإذا نفروا أتىهم حلفوا يروهم ولا يرون
حجهم صحيحاً إلا إذا فعلوا ذلك وكانت (مناة) لهذين وخضر وبعث رسول الله ﷺ عليها
عام الفتح فهدمها (5).

ثم اتخاذ العرب بعد (مناة) والطائف وهي أحدث من (مناة) وكانت
صخرة مربعة وكانت سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها وكانت قريش وجميع العرب
يعظمونها وبها كانت تسمى (زيد اللات) ورثيم اللات) وكانت في موضع منارة مسجد
الطائف اليسري فلم تزل كذلك حتى بعث رسول الله ﷺ المغيرة ابن عبيد لحما أسلمت

(1) ذكر عنه ابن هشام السيرة النبوية (77/1).
(2) صحيح البخاري مع الفتح 908.
(3) إغاثة اللهفرح 2/200.
(4) البديعة والنهيالة لابن كثير 2/210.
(5) الأصنام لابن الكلبي ص 13 - 15 إغاثة اللهفرح 2/211-212.
ثم اتخذت العرب بعد اللات (المعزى) فهي تعتبر أحدث من (اللات) اتخذها رجل
يقال له: ظالم بن أسعد بنوادي نخلة فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتهما فكانوا يسمعون منها
الصوت وذكر ابن عباس أنه كانت لملعى شيطانة تأتي ثلاث سمرات بطن نخلة فلما فتح
رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال: أت بطن نخلة فإنك ستجد ثلاث سمرات
فاعضلできنما أتى النبي ﷺ قال: هل رأيت شيطاناً؟ قال: لا. قال: فاعضل
الثانية فعضدها ثم أتى النبي ﷺ قال: هل رأيت شيطاناً؟ قال: لا. قال: فاعضل
الثالثة فأتاهما فإذا هو بحشيشة نافذة شعرها واضحة يديلها على عاتقها تضرب بأتيبابها وخلقها سادنها فقال
خالد:

كفرانك لا سبحانك إنني رأيت الله قد أهانك
ثم ضربها فلقت رأسها فإذا هي حممة وقتل السدان ثم أتى النبي ﷺ، فأخبره فقال:
تلك العزى ولا عزى بعده للعرب وكانت العزى لأهل مكة في موضوع قريب من عرفات
وكان شجرة يذبحون عنها ويدعون. اهـ.
قال الكلبي (1) في كتابه الأصناص:
وكان لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وأعظمها (هيل) وكان فيما بلغني
من عقيق أحمر على صورة الإنسان وكانوا إذا اختصموا في أمور أو أرادوا سفرًا أو نو فاستقلوا

---
(1) الأصناص ص 12-17، إغاثة اللهفان 212/2.
(2) سورة النجم آية: 19.
(3) جامع البيان 27/58.
(4) صحيح البخاري في التحية 68/111.
(5) الأصناص لأبن الكلبي ص 18-26، 20، 17.
(6) هو أبو المنذر هشام بن محمد أمي النضير بن السائب بن بشر الكلبي مؤرخ عالم كبير في التصانيف توفي سنة أربع
واحترون هجرية انظر الأعلام للركلي 9/78.
عنده بالقدح وهو الذي قال أبو سفيان يوم أحد لعل قبل الفرسول: قولوا الله العلي والجلّ.

وكان منصب قوم نوح التي ذكرها الله في كتابه فإنها آلت إلى العرب وعبدوها وهي المذكورة في قوله تعالى: وقالوا لذرن آلنكتم ولا تذرن ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا (3). وقد قدمت قول ابن عباس كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح فمنا ماتوا فكنا أمولهم فلا طال عليهم الآمر وعقولهم.

فكان (ود) لبني كلب بن مرة بن تغلب بن حلوان عن عمران بن الحاف بن قضاة وكان منصبوا بذوبة الجندر (3). وكان (سواع) لبني هذليل بن لباس بن مدركة بن مضر وكان منصبوا بالمكان يقال له رخت (4).

وأما يغوث فكان لبني أنهمن من طيء ولأهل جرش (5) من مذحج وكان منصبوا بجرش، وأما يعوق، فكان بارض همدان من اليمين لبني خيوان بطن من همدان.

وأما (نس) فقد كان بارض حمير لقبيلة يقال لهم: دتا (الكلاع) (1) وكان أول من غبر دين إبراهيم الخليل بالبغداد المحدثة ونشر الأصنام في الجزيرة العربية رجل يقال له عمر بن عامر الخزاعي وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجز في القدر كان أول من سيب السواب (3) وقد اختفت الروايات في الكيفية التي نشر بها الأصنام في الجزيرة العربية فإحدى الروايات تقول: إنه كان له رئي من الجبن وهو الذي ده على الأصنام التي كانت عند قوم نوح وكانت قد دفنت منذ عهد نوح حيث قذفها الطوفان إلى ساحل جدة قوارتها الرمال على كر الأيمن فعند رئي من الجبن فأخبره بذلك فتبش عمرو ووزعها على عرب الجزيرة، ودعاهم إلى عبادتها (8).

---

(1) كتاب الأصنام ص 28 والحديث رواة البخاري انظر الفتح 8/163-162 من حديث اليراء بن عازب.
(2) سورة نوح آية 23.
(3) ديوان الحدل: بلدة في ايدي القرى في الشمال الشرقي من المدينة المنورة منها. انظر معجم البلدان 2/487.
(4) رهاط: كفراب موقع على ثلاث لبال من مكة. انظر معجم البلدان 1/107.
(5) جرش: حضر مخلاف بالين معجم البلدان 2/127.
(6) انظر الأصنام لابن الكلبي ص 557، إغاثة اللهمان 2/207-208 2007 المطبعة ألفجلة الجديدة بدون تاريخ.
(7) صحيح البخاري مع الفتح 128/8.
(8) إغاثة اللهمان 2/207.
ورواية أخرى تقول: (إنه جاء بالأصنام من بلاد الشام عندما رأهم يبعدونها طلباً منهم صناماً فأعطوه واحداً نصبه بعكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه). (1)

وعلى كل فإن عمو رضي الله عنه قال من دونهم دين إبراهيم لما كان له من مكانة فيهم، فأطاعوه في م주는 الله تعالى فيما ابتدأه من الأمور التي لم يدان بها الله.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (والقصص أن عمرو بن حرب حي لعنة الله كان قد ابتدأ لهم أشياء في الدين غير بهدف الخليل فاتبعه العرب في ذلك فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً نباتاً قطعماً شباهاً) (2).

هذه لمحة عن بعض الأصنام التي كانت شائعة عند العرب، وهناك أصنام ومعبدات أخرى يضيف المقام بذكرها، وذكرنا هذا الطرف منها للتضليل لمعرفة ما كانت عليه حالة العرب في الجاهلية من توجيههم العبادة لتلك الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم من الله شيئاً، فقد كانوا لفظ جههم يدعونها من دون الله ويفزعون إليها في النافذات، ويزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفاً، وهذا نتيجة الجهيل والغلوفي المخلوق، وإعطاؤه منزلة فوق منزلته، قال العلامة ابن القيم مبناً سبب إقبال العرب على عبادة الأصنام: (ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الإلهية وشهوه بالله - سبحانه وتعالى - وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطلته الله - سبحانه وتعالى - وبعث رسوله، وأنزل كتبه بإناكاره والرد على أهله، فهو - سبحانه وتعالى - ينفي وينهي أن يجعل غيره مثله، وندأله وشيئاً له أن يشبه هو غيره إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلت - سبحانه وتعالى - مثلها، لتثبتب في مخلوقاتها فجعل المخلوق أصلاً وشهدت به الخلق، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم، وإنما الأول هو المعرف في طوائف أهل الشرك غلواً فين يعظمونه، ويجبونه حتى شبهه بالخلق، وأعطوه خصائص الإلهية بل صرحوا أنهم الله، وأنكروا جعل الله إلههم واحداً، وقالوا: {وصرحوا على اللهكم} (3) وصرحوا بأنه إله معبد يرجي ويخاف ويعظم ويسجد له ويفل بسمه،

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 77/1
(2) البداية 2007/7 مطبعة الفتحاء - القاهرة.
(3) سورة ص آية 6.
دم الإنسان على جعله أنداداً لله تعالى
وتقرب له קוامين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنفيه إلا الله، فكما شريك فهم
مشبه للإله ومعبده بالله سبحانه وإن لم يشبهه به من كل وجه) 1(.

3-عبادة الهموئ:
من أنواع المعبدات التي عبئت من دون الله (الهموئ) وقد ورد الإعكار الشديد في
كتاب الله تعالى لمن جعل إلهه هواه فتبعه في كل ما يملأ عليه.
قال تعالى: 1(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أقنات تكون عليه وكيلة؟
وقال تعالى: 2(أرأيت من اتخاذ إلهه هواه وأصله الله على علم؟
فان الذي يترك أواخر الرحمن ويعرض عنها ويرفض الحق إذا جاءه، فإنه يعد من عبادة الهموئ
ويصير هواه معبودًا له من دون الله تعالى.
قال عبد الله بن عباس: (ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برده).
وقال قتادة: (هو الكافر لا يهوه شيطان إلا ركبه لا يخفف الله) 3(.
وقال ابن كثير: (أرأيت من اتخاذ إلهه هواه). أي إنما يتأمر بهواه فهوما رآه حسنة
فعله، ومهما رآه قبيحة تركه) 4(.
ومتي خضع الإنسان لهواه واستسلم له كان بمنزلة الأعفاء بلى أصل منها كما قال
 تعالى: 5(أتم تحسب أن أكثرهم يسععون أو يعقلون إن هم إلا كالأعفاء بل هم أضل
سبيلا) 5(.
قال ابن القيم: (فشبه أكثر الناس بالاعفاء والجامعة بين النوعين التساوي في عدم
قبول الهدى والنقية لده، وجعل الأكثرين أضل سبيلا من الأعفاء لأن الهيئة بهديها ساقفها
فتهدي وتبعي الطريق، فلا تحيد عنها بمينة ولا شمالاً، والأكثرون يبدعونهم الرسلم

1(1) إفتاء اللهمان 2/ 236-227.
2(2) سورة الفرقان آية: 43.
3(3) سورة الفاطمة آية: 23.
4(4) جامع البيان 25/ 100.
5(5) تفسير القرآن العظيم 2/ 263.
6(6) سورة الفرقان آية: 44.
وهيذدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم وأنعمهم تفرق بين ما يضرها من النبات والطريق فتجتنبه وما ينفعها فتتغطره، والله تعالى - لم يخلق للإنسان قلوية تعقل بها، ولا ألسنة تنطق بها وأعطي ذلك لهؤلاء ثم لتمتعلق بمسجل لهم من العقول والقلوب والأنفس والآسماء والأصباق فهم أصل الله تعالى فإن من لا يهتدي إلى الرشد إلي الطريق - مع الدليل - إليه أصل وأسوأ حالاً ممن لا يهتدي حيث لا دليل معموم(1).

والناظر في زمننا الحاضر يرى بأعينه أن عبادة الهوى غلب على الكثير من الأمة الإسلامية فتراهم يستحسنون ما تمليه عليهم أهواؤهم فستحسنون وستبقون بعقولهم ولم يلفتون إلى الهدى الذي جاءهم من ربهم جل وعلا بل إننا نرى الكثير يصير ما توجه الشباب إلى أولاتهم من الإنسان من العباد المذاهب والنصوص والتحريات التي كانت بسيطة في تفريقهم واختلافهم وكان من أهم الأسباب التي جعلت عدوهم يطبع فيهم وذلك نتيجة لانتبع الهوى، والبعد عنما فيه الرشاد والهدى، لا قوة إلا بالله.

4- عبادة الأجرام السماوية:

ومن المعبدات التي عبدت من دون الله تعالى - بعض الآيات الكونية مثل الشمس والقمر والكواكب والثنا والنار وغير ذلك من المخلوقات.

قال العلماء ابن القيم: وأصل هذا المذهب من مشركين الصلاة، وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين تأثراهم في بطلان الشرك وكسروا حجتهم بألمهم وآلهتهم ببدة فطلبا تحريقة، وهو مذهب قدام في العالم، وأله طوارئ شتى فمنهم عباد الشمس زعموا أنهم ملك من الملائكة لها نفس وعقل وهي أصل نور القمر والكواكب وتكوين الموجودات السفليا كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك فيستحق التعظيم، والسجود والدعاء(2).

وقد ذكر الجصاص(3) أن الصابئة اتخذوا الأجرام السماوية معبدات لهم من دون

(1) أعلام الموقعين 159/1.
(2) إغاثة الله فإن 223/2.
(3) هو أحمد بن علي الرازي الحنفي المعروف بالجصاص (أبو بكير) فقيه، مجتهد ورد بغداد في شبابه، ودرس =
الله حيث قال: {وكنا قوماً صابين يعبدون الكرباب السبعة وسموهم آلهه...}. وهم الذين بعث الله تعالى - إليهم إبراهيم خليلاً صلوات الله عليه فدعاهم إلى الله وحاجهم بالحجاج الذي هرمه به وأقام عليهم به الحجة من حيث لم يكتم دفعه} (1).

فإن الإنسان حين يسعى في تعديل عقله عما خلق له فإنه يوضع نفسه في السخافات والمهاترات والذللمة للمرافق مثله، ولهذا يفقد تكريمه الذي نوه الله به في كتابه كما يفقد تفضيله على كثير من المرافق فيدني حتى يفضل عن سواء السبيل فهذه الم الخارقات العجيبة المبهرتة في أرجاء هذا الكون علويو وسفلي لم تختلف لم تعد من دون الله وإنما جعلها الله دلائل واضحة وأبيان بيتان على وحدانيته وتسفره بالعبادة. وجميع الم الخارقات التي يشدها الإنسان والتي لم يشاهدها كلها خاضعة للطوق وكرها - تعالى - ناهياً عبادة أن يسجدوا للشمس والقمر وآمر آلهم بالسجود له وحده: {فمن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا يسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إنى إياه تبعون} (2). قال ابن جرير الطبري: {لا يسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر فإنها وإن جريحاً في الفلك بمنعافكم فإنما يجرين بها لكم بإجراء الله إياهما لكم طائفين له في جريهما ومسيرهما بأنفسهم ما يقدر أن يقضروا على سير جريهما دون إجراء الله إياهما وتسييرهما أو يستطبعكان لكم نفعاً أو ضراً وإنما الله مسخرهما لكم لمنعافكم ومصالحكم}.

فلا فاسدوا وإياها فاعبدوا دونها فإنما إن شاء طمس ضؤيهما فترككم حياراً في ظلامة لا تهتدون سبيلاً ولا تبصرن شيئاً (3).

وكما أن الآية بنيت أن الشمس والقمر آيات من آيات الله التي يستدل بهم على عبادته وحده دون سواء كذلك دلت على بطلان عبادتهم من دون الله وقد بين الله تعالى - تعالى - بطلان عبادة جميع الم الخارقات سوى الله تعالى - قال تعالى: {ألم تر أن الله يسجد له من

(1) أحكام القرآن 134.
(2) سورة فصلت آية 27.
(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 121/105.
دم الإنسان على جعله أنداداً لله تعالى

في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس.(1)

فأخبرنا تعالى بأن جميع المخلوقات التي يحييها هذا الكون من شمس وقمر ونجوم وجبال وشجر ودواب وكثير من الناس خاضعة لله مطيعة له كلهما عبد لديه مفتقرة إليه فلا يصح عبادة شيء منها أبدًا.

قال العلامة ابن كثير:(بطرس تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد له لعظيمته كل شيء طوعاً وكرهًا)(2).

6-عبادة الملائكة:

لقد افترى عبادة الشياطين أنهم يعبدون الملائكة على حسب زعمهم لكن من المقطوع به والمعلوم بالضرورة من الأدلة القرآنية أن هؤلاء عبدوا المردة من الشياطين. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن تلاعبه -أي الشيطان- بهم أن زين لقوم عبادة الملائكة فعبدهم زعمهم ولم تكن عبادتهم في الحقيقة لهم ولكن كانت للشياطين فعبدوا أصبع خلق الله وأحقهم باللعن والذم قال تعالى: "يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنه ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم به مؤمنون(3).

وقال تعالى: "إن يدعون من دونه إلا إنانا وإن يدعون إلا شيطانًا مربدًا(4)" قال ابن عباس رضي الله عنهما "إنا يدعون إلا شيطانًا مربدًا" قال: هو شيطان في الصنم، في كل صنم شيطان يتراءى لسدنده فيكلمهم.

وقال أبي بن كعب(5): مع كل صنم جنية.

---

(1) سورة الحج آية /18
(2) تفسير ابن كثير 4/222
(3) سورة سما آية : 40- 41
(4) سورة النساء آية : 117
(5) هو أبي بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاري الحجري أقرأ الصحابة وسيد القراء توفي بالمدينة في سنة تسع عشرة هجرية الإصابة 1/31 يذكرة الحفاظ 1/31 شترات الذهب 1/11.
وقال مقاتل (1): (أنه إبليس: وعبادته طاعة فيما سول لهم).

ومما تقدم يتبين أن المعابدات من دون الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

1- قسم عاقل وهذا كالإنس والملائكة والجن.

2- وقسم غير عاقل وهذا كالحجار والأشجار وغيرهما مما لا يعقل.

والمقدم الأول: ينقسم إلى قسمين:

قسم راض بأن يعبد من دون الله تعالى.

وقسم غير راض بأن يعبد من دون الله، ومثال الأول: فرعون وإبليس وغيرهما من الطواعيت وحؤلاء جميعهم في النارهم وعابدوهم.

قال تعالى: "إذ تبأ الذین اتبعوا من الذین تبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرآ فتبترا منهم كما تبؤوا منا كذلك يريدم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجین من النار".

وقال تعالى في شأن إبليس وأتباعه: "لا أملان جهنم منك وممن تبعك منهم أجعمن".

وقال تعالى في شأن فرعون: "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وينبئهم المورود".

وقال تعالى: "ووال الذين كفروا بنا أرنا اللذين أضننا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونوا من الأسفلين" إلى غير ذلك من الآيات وأما القسام الثاني: الذي لم

(1) هومقاتيل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسر روى عن الضحاك ومجاهد، كتاب (تفسير القرآن والتفسير الكبير) مات سنة خمسين ومائة هجرية أنزل ترجمته في (طبقات المفسرين)، 2/320، تهذيب التهذيب 10، 279/196 ميزان الإعتداد 2/203.
(2) زاد السفيروال علم التفسير.
(3) أنظر معارج القول للشيخ حافظ بن أحمد حكيم 1/447.
(4) سورة البقرة آية: 127 - 167.
(5) سورة ص آية: 85.
(6) سورة هود آية: 98.
(7) سورة فصلت آية: 219.
يرض بالعبادة فعال واعزيز والملاحظة وغيرهم وهؤلاء كلههم يرآى من عبدهم في الدنيا والاخرية كما أخبر سيبانه عن عيسى عليه السلام بقوله: "إذ قال الله بعيسى ابن مريم آنت قلت للناس انصذوني وأمي إلهين من دون الله قال سيبانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيب ما قلت لهم إلا ما أمرتي به أن أجدوا الله وربكم وكنتم عليهم شهداً ما دمت فيهم فلما توفيتم كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد(1).

وقال تعالى في شأن الملائكة: "ويم بحشرهم جميعاً ثم يقول للملاكية أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سيبانك أنت وليتنا من دونهم بل كنا نعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون(2)."

وقال تعالى في شأن كل من عبد من دونه من فلكل أو نبي، أو أولي صالح: "ويم بحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول آنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سيبانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولاء ولكن متعتهم وأباؤهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً فقد كذبوكما بما تقولون فيما تستطيعون صروفاً ولا نصرأ ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبير(3).

وأما ما عبد من دونه تعالى - مما لا يعقل من جماد شجر أو حجر وغير ذلك فإنه يدخل في علوم قوله تعالى: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصن جهنم أنتم لها وأردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون(4)."

وأما أن الأشجار والأحجار لا أرواح لها إلا أنه يعذب بها من عدها من دون الله تعالى كما قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قوا نفسكم وأهلكم ناراً وقودها الناس والحجارة(5)

وقال ابن كثير: وقودها أي حطبها الذي يلقي فيها جثث بني آدم والحجارة قبل المرصاد بها

(1) سورة المائدة آية: ۱۱۶-۱۱۷.
(2) سورة مباداية: ۳۴-۴۱.
(3) سورة الفرقان آية: ۱۹-۱۹.
(4) سورة الأنبياء الآية: ۹۸-۹۹.
(5) سورة التحريم آية: ۶.
الأشخاص التي تعبد لقوله تعالى، (1) إنكم وما تعدون من دون الله حسب جهنم، (2) وقد جاء في حديث الشفاعة الطويل الذي رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاف إلا يتساقطون في النار حتى إذا ما يبق إلا من كان يعبد الله من بروافج. (3) غير أن الكتاب فيديع اليهود فقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا: كنا نعبد عزر ابن الله فيقال: كذبتم ما اتخذت الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربي فاستقنا فشار إليهم الله ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب. (4) يحتمب بعضها بعضًا يتساقطون في النار فنديع النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله في قال لهم كذبتم ما اتخذت الله من صاحبة ولا ولد فقألالهم ماذا تبغون؟ فيقولون عطشنا يا ربي فاستقنا قال فيشيرون إليهم ولا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحتمب بعضها بعضًا يتساقطون في النار حتى إذا ما يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بروافج أتاه رب العالمين سبحانه وتعالى في أذني صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظره، تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربي فاستقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبه فيقول: أنا ريك فيقولون: نعود بالله منك لنتشر بالله شيخًا (مرتين أو ثلاثين) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه أيه فتعرفون به؟ فيقولون: نعم فكحش عن ساقه فليبقى من كان يسجد لله من تلقائه نفسه إلا إذن الله به السلام قد يبقى من كان يسجد أن يراه إلا أجعل الله ظهره طبقة واحدة كم أراد أن يسجد خر على قفة ثم يرفعون ردوسهم ودتحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال: أنا ريك فيقولون أنت رينا... الحديث.

هذا الحديث بين النهاية في الآخرة لأهل الشرك وكيف يكون لهم ذلك المصير.

السيء الذي تجف منه القلب وتظهر له الجلود نوع البالغ من الشرك وأهله.

(1) تفسير القرآن العظيم 9/69، أي: من سورة الأنبياء آية: 98.
(2) غير أهل الكتاب: معناه بقاياهم جمع غبار.
(3) السراب ما يتراءى للناس في الأرض الفقيرة، والقاع المستوى، وسط النهر، في الحر الشديد لاعمال مثل الماء.
(4) صحيح مسلم 1/117-118.
ذلك بعض معابدات المشركين التي استطعنا جمعها تحت هذا السؤال، والذي نخلص إليه مما تقدم أن السورة أوضحت لنا أصل الشرك الذي دفع المشركين لعبادة غير الله تعالى من المعابدات التي ذكرناها والتي لم نذكرها وأن السبب الوحيد في حدوث الشرك هو قياس الخلق سبحانه على المخلوق فإن المشركين زعموا بعقلهم الفاسدة أن ملوك الدنيا لا يتوصل إليهم إلا بالوجهاء والشعاع والوزراء الذين يرفعون إليهم حوائج رعاياهم ويطلبون منهم عطفهم فتكون ذلك تمهيداً للأمر المطلوب منهم. فظن المشركون أن الله تعالى كذلك، وهذا ظن سوء لله تعالى وهذا القياس من أفسد الأقاسة إذ أنه يتضمن تسويق الخلق بالمخلوق مع ثبوت الفرق العظيم عقلاً، ونفلاً وفقرة إذ ملوك الدنيا إنما يحتاجون إلى الوساطة بينهم وبين رعاياهم لعدم علمهم بأحوال من استرخؤهم الله فهم في أشد الحاجة إلى من يعلمهم بذلك، وأنا رضي لا يكون في قلوبهم رحمة أوشفقة لصاحب الحاجة، فيحتاجون إلى من يعطفهم عليهم ويسترحمهم له، ولذلك يحتاجون إلى الشفاء والوزراء في قضاؤ حوائج العبادة مراعاةً لوزرائهم ومداراة لخواطرهم وقد يمتنعون من ذلك خشية الفقر لأنهم فقراء.

أما الباري سبحانه فإنه أحاط بكل شيء علمًا يعلم ظواهر الأمور وبواطنها فلا يحتاج إلى من يخبره بأحوال عباده، ولا من يشفع له عنده، لأنه حكيم بعبادته جواد بالعظاء، ولا يحتاج إلى أحد منهم بل هو أرحمهم من أنفسهم ومن والديهم وهو الكريم الذي يحكم ويدعوهم إلى الأخذ بالأسباب التي ينالون بها رحمة وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدون لأنفسهم. وهو الغني الذي له الغني التام المطلق الذي لا يجامع الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم في صعيد واحد فسالوه جميعهم فأعطي كل مسألته لم ينصروا مما عنه إلا كما ينصق المخط إذا أدخل البحر.

وجميع الشفاء يخافون منه سبحانه ولا شفاء لأحد عندهن إلا بعد إذنها له الشفاء كلها.

ومن هذه الأمور يدرك المؤمن جهل المشركين وعرف سفاهتهم وشدة جرائتهم على الله تعالى كما يعلم الحكمة في كون الشرك أعظم الذنوب وأنه لا يغفر الله لأنه يتضمن القذح في الله تعالى نسأل الله أن يجنباً ذلك.
المبحث الخامس
الفرق بين المشرك والموحد

لقد دلت السورة على الفرق الشاسع بين الموحد والمشرك وصورت ذلك تصويرًا دقيقًا جعلته كأنه محسوس، ملموس مما دل ذلك على قبح الشرك في النفس والعقل السليمة، والفطر المستقيمة قال تعالى:

{ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشابكون ورجلاً سلماً لرجل هيل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون}.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى - يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلاً للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى ويطع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد.

يقول تعالى ذكره (ضرب الله مثلاً لهذا الكافر رجلاً فيه شركاء) يقول هو بين جماعة مالكين متشابكيين يعني مختلفين متنازنين سنة أخلاقهم من قولهم رجل شكس: إذا كان سيء الخلق وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه (ورجلاً سلماً لرجل) يقول ورجلا خلوصًا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواء بالربوبة.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: {ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشابكون ورجلاً سلماً لرجل} الآية قال: الشركاء المتشابكون الرجل الذي يعبد آلهة شتى كل قوم يعبدون إلهاً يرضونه ويكفرون بما سواه من الآلهة فضرب الله هذا الرجل لهم وضرب لنفسه مثلاً يقول: {رجلاً سلم لرجل} يقول: يعبدون إلهاً واحدًا لا يختلفون فيه.

وقال قنادة: {ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشابكون} قال: هذا المشرك...
الفرق بين المشرك والموحد

تنزاع الشياطين لا يقربه بعضهم لبعض في وفقة سلمانًا لرجل قال: هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة وقال مjahid: "رجلا في شركاء متناقضون ورجلا سالمًا لرجل" قال: هذا مثل إله الباطل، والله الحاق.

وقال السدي: "ضرب الله مثالًا رجلًا في شركاء متناقضون" قال: مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون...

وقوله: "هل يستويان مثلًا؟" يعني هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سبئ أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاء في في الذي يخدم واحدًا لا ينزعوه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضوع طاعته وأكرمه، وإذا أخطأ صفح له عن خطبه يقول: (فأي هذين أحسن حالًا وأوروج جسما وأكل تعبًا ونصبًا) اهـ.

قال العلامة ابن القيم حول هذه الآية: (هذا مثل ضربه الله سباحة للمشرك والموحد، فالمشارك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشابهون، والرجل الشكس الضيق الخلق فالمشارك كما كان يعبد آلهة شيء بعيد يملكه جماعة متناقضون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أعمين، والموحد لما كان بعد الله وحده فثمة كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له، وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاجن الخلق فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه به ورحمة له وشفقة عليه، وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه فهل يستوي هذان العبدان، وهذا من أبلغ الأمثال فإن الخالص لمالك واحد يستحق من موعده وإحسانه وشفقته إليه وقيمه بمصالحه مال يستحق صاحب الشركاء المتناقضين "الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون" اهـ.

وقال رحمه الله في موضع آخر: (احت د سباحة على قبح الشرك بما تعره العقول من الفرق بين حال مملوك بملكه أرباب متعاسرون سيروا الملكة وحال عبد يملكه سيد واحد قد سلم كله له فهل يصح في العقول استواء حال العبدين؟ فكذلك حال المشرك والموحد قد سلمت عبوديته لإلهه الحق لا يستويان) اهـ.

(1) جامع البيان عن تأويل آية القرآن ٣٣٨ /١٢٣/٢١٤
(2) أعلام الموقعين ١٧٨/١
(3) مدارج السالكين ١ /٢٤٠
وأما العلامة ابن كثير فقد قال حول الآية (ضررب الله مثلاً رجلاً في شركة متشاكرون) أي يتزاون في ذلك العبد المشترك بينهم (ورجلًا سلما لرجل) أي سالماً (رجل) أي خالصًا لا يملكه أحد غيره (هل يستويان مثلاً) أي لا يستوي هذا وهذا، كذلك لا يستوي المشرك الذي يعد آلهة مع الله والمؤمنون المخلصون الذي لا يعد إلا الله وحده لا شريك له فأين هذا من هذا؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص، وما كان هذا المثل ظاهرًا أبداً جليًا قال (الحمد لله) أي على إقامة الحجة عليهم (قبل أكثرهم لا يعلمون) أي فلذا يشكون بالله أهده.

ومما تقدم بيني لنا أن المؤمن الذي يعد الله وحده لا شريك له، لا شك أنه أحسن حالًا وأهداً بالآلا وأقلى تعبدًا ونصباً من ذلك المشرك الذي خالف عقله وفطشه وأمره، واتجه بالعبادة إلى الأولية والشركاء الذين لم يأذن الله بعبادتهم بل جعل ذلك من أقبح القبح وأظم الظلم وأن الكافر لا يمكن أن يستقر له قرار ولا يطمئن له قلب ولا يهدأ له نفس بعكس المؤمن الذي أخلص الله في عبادته فهو في من راحة وأكمل طمانينة لأنه لم يعمل ما فيه مضادة لأمر الله وأما في مخالفة للعقل والفطرة، فقد أنكر الله سبحانه وقبح الشرك به في الإلهية وعبادته غيره بما ضربه لعبادته من الأمثال وأقام على بطلان الكثير من الأدلة العقلية والسمعية التي يذكر بها أولو الألباب. ولقد جاءت آيات كثيرة في معنى الآية التي معناها من السورة من ذلك قوله تعالى (ضررب لكم مثلًا من أنفسكم هل لكم مماركة أيمنكم من شركاء فيما رزقكم فأنتم فيه سواء تجفافكم كيفكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون).

هذه الآية احتج الله فيها على عباده بما هم مستقر في عقولهم من قبح كون مملوك أحدهم شريكاً له فكأنه يقول لهم: إذا كان أحدكم يستنكر أن يكون مملوك شريكاً له، ولا يرضى بذلك، فكيف تجعلون الله من عباده شركاء تعودونهم كعبادته؟ فلا إشارة توضح لنا أن قبح عبادة غير الله - تعالى - مستقر في العقول والفطرة، والشرع نه العقول وأرشدها بما هو مودع وكامن فيها من قبح ذلك. قال العلامة ابن القيم: حول هذه الآية (وهذة دليل قياس احتج الله سبحانه وتعالى على المشركين حيث جعلوا له من عباده وملكه شركاء فأقام عليهم)  

(1) تفسير القرآن العظيم 6/90  
(2) سورة الروم آية 28
الفرق بين المشرك والموحد

حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويحت عليه بما هو في نفسه مقرり عنها معلوم لها فقوله: هل لكم مماثلأ أسمانكم من عبيدكم وإنتمكم شركاء في المال والأهل؟ أي هل يشاركم عبيدكم في أموالكم وأهلكم فأنتم وهم في ذلك سواء تخافونهم أن يقاسمكم أموالكم ويشاطرواكم إياها ويهثرون بعضها عليكم كما يخف الشرك شريكة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (تخافونهم أن يروحك كما يبره بعضكم بعضًا والمعنى هل يبره أحد منكم أن كون عبده شريك في ماله وأهله حتى يساووه في التصرف في ذلك فهو يخف أن يبره في ماله وأهله حتى يساووه في التصرف كيف يخف غم على الشركاء الأحراجر؟

فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلق من هو مماثل لي؟

فإن كان هذا الحكم بطلاً في فطركم وعقولكم مع أن جائز عليكم ممكن في حقكم إذ ليس عبيدكم مماثلأ لكم حقيقة وإنما هم إخوانكم فعله الله تحت أيدكم وأنتم وهم عبيد لي - فكيف تستجيبون مثل هذا الحكم في حق من جملتموه لي شركاء عبدي وملكي وخلقي؟ فهذا يكون تفصيل الآيات لأولى العقول أهـ ١.

فمن الأمثلة التي ضربها الله تعالى لفظ الشرك بإ قوله تعالى: (ضرب الله مثلًا عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء ومن رزقته من نفقاته حسناً فهو ينفق منه سراً وجزأ هل يسترون؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعرفون) ٢.

هذي الأية تضمنت مثلًا لفظ الشرك المنتبئ منه فقد ضرب الله سبحانه وتعالى هي مثلاً لنفسه والأوتيان فايلة - سبحانه - هو الذي يملك كل شيء، وهو الذي يتفق على عباده كيف يشاء ليلاً ونهاراً، سراً وجباءً يعينه ملأى لا يغيبها نفقة سدائق الليل والنهر.

أما الأوتيان فهي عاجزة مماثلة ليس لها القدرة على أي شيء وما دام حايل عليها هذا كيف تجعلونهم شركاء الله وعبادته من دونه مع هذا التفاوت العجيب والمفرد العظيم، وهذا هومعنى تفسير مjaxهد وغيره لهذه الآية الكريمة ٣.

١) أعلام الموقفين ١٥٩/١
   ٢) سورة النحل آية: ٦٧
   ٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤٩/١٤٩.
وأما عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما فإنه قال: إن هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، ومثل المؤمن في الخير الذي عنه ثم رزقه منه رزقاً حسنًا فهو يبقى منه على نفسه وعلى غيره سراً وجهرًا، والكافر بمتزجة عبد مملوك عاجز لا يقدر على شيء لأنه لا خير عنده فلا مسواة بين الرجلين عند أحد من ذوي الألباب (1).

قال العلامة ابن القيم (والقول الأول أشبه بالمراد فإنه أظهر في بطلان الشرك وأوضح عند المخاطب)، وأعظم في إقامة الحجة، وأقرب نسبياً بقوله: "ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون فلا تضر بوا الله الأمثال فإنه الله يعلم وأنتم لا تعلمون" ثم قال: "ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء" (2)

ومن لوازم هذا المثل وأحكامه أن يكون المؤمن الموهود كمن رزقه منه رزقاً حسناً، والكافر المشرك كالعبد الممليك الذي لا يقدر على شيء، فهذا مما نبه عليه المثل وأرشد إليه. فذكره ابن عباس منبهاً على إرادة أنه إن الآية اختصت به فتأمله (3).

ومن الأمثال التي ضربها الله لفتي الإشرك به سبحانه وتعالى، ضرب الله مثلاً رجلاً أضعف أبكر لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم (4). وفي هذه الآية ضرب الله - سبحانه وتعالى- فيها لنفسه وللأصنام المعبودة من دونه مثلاً، فالصم الذي يعبد من دونه إنه هو بمثاله رجل أبكر لا يعقل ولا ينطق بل هو أبكر النظم والنسان قاد عدمن النطق القلي والنساني، إضافة إلى ذلك أنه عاجز لا يقدر على شيء أبلته، ومع هذا فأنما وجه لا يأتي بخير ولا يقض حاجة لمن أرسله.

أما الله تعالى فإنه الحي القادر المتكلم الأمر بالعدل وهو على الصراط المستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد فإنه - سبحانه - الأمر بالعدل وهو الحق - (وذلك يتضمن أنه سبحانه - عالم به، معلم له راض به أمر لعبادته محب لأهله لا يأمر بسواه بل هو سبحانه - منزه عن ضده الذي هو الأجور والظلم والفسه، والباطل، بل أمره وشرعه.

(1) جامع البيان في 14/149، تفسير ابن كثير 4/121.
(2) سورة النحل آية: 74-76.
(3) أعلام الموثوقين 1/121.
(4) سورة النحل آية: 72.
الفرق بين المشرك والموحد

عمل الله واهل العدل هم أولؤك وأحباطور وهم المجاورون له عن يمينه على منابر من نور، وأمر بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني، والأمر القيادي الكوني، وكلاهما عمل لا يجور فيه بوجه ما (1) ومن كانت هذه صفاته هو الجدير بأن يعبد وحده تيريك له وخلص له الدين كله -ومما تقدم بيننا من المثل الذي ضربه الله في السورة وغيرها من الآيات التي ذكروناها في معناها قبح الشرك سمعاً وعلقاً وفطرة كما يبين لنا الآتي: 

1 - إن الموحد لا يكون عنه ضيق نظر بخلاف المشرك الذي يعبد آلهة شقي أو يجددها بالكلية.

2 - إن الموحد تنشأ في نفسه العزة والقوة التي لا يقف أمامها شيء لأنه أيقن في نفسه بأنه لا نافع ولا ضار إلا الله وأنه سبحانه - المحيي الحيوم، وأنه صاحب الفهم والحكم والسلطان في هذا الكون وها ينزع من قلبه كل خوف من غير الله - تعالى - فتجده لا يطلب مسألته لأحد من الخلق، ولا يضرع إليه ولا يسأله ولا يخفف من كبرياته وعظمته لأنه استقر في نفسه عظمة القادر - سبحانه وحذا بخلاف المشرك، والكافر ومن تربى على الإلحاد.

3 - أن الموحد لربه - جل وعلا - يتولى في نفسه مع العزة والقوة: تواضع دون ذل وترفع من غير كر حتى أن الشيطان لا يلقى إليه سبيلًا لأن يلقى في نفسه الأخلاق المميزة إذا أنه يعلم بعين أن الله تعالى - وهو الذي وجب كل ما استهدده من النعم وهو القادر على سلبه إياها في أي لحظة شاء، أما المشرك فإنه يوجد لديه من الأخلاق المميزة التي هي كفيلة بإخلاص مثل الكبر وطر الحك بمجرد حصوله على نعمة سريعة الرواية بين حين وآخر.

4 - إن الموحد موقن تمام اليقين بأنه لا سبيل إلى النجاة والفلاح إلا بتطهير نفسه من كل معصية الله - عز وجل - بالعمل الصالح أما المشرك والكافر فإنه بمثل حباه كلها في الأماني الكاذبة كما يزعج النصارى بأن المبصع عليه الصلاة وسلم أصح كفارة لذنوبهم وكما يؤذن لهم أنهم أبناء الله وأحباطور فلا يعذبهم بذنوبهم كما يعتقد بعض جهل المسلمين أن الكبار والأنقياء من أهل الصلاح سيشفعون لهم عند الله - تعالى - فيقدمون

(1) أعلام الموقتين، 112/1.
لهم النذور والقرابين في المواسم، ثم يستمرون في مخالفته الأوامر والنتيجة، اتباعًا للهوي والشهوات الشرعية.

5 - إن الذي أقر الله بالوحدانية وأفرده بالعبادة والطاعة لا يتربأ إلى يأس ولا يحل به القنوط لأنه يؤمن بأن خزائن السموم والأرض بيد الله وحده دون سواء، ومن هنا يكون مظلمًا تغمره السكينة والأمل حتى ولو نزل به ألوان من الهوان، والطرد من قبل أعداء الله فإنه لا تضتيه بطرق العيش إذ أنه يفوق بأن الله يكلوه ولا يسلمه إلى نفسه مع بذله جهده في التوكل على خالقه وباربه - سباهان - أما الكافر أو المشرك فإنه يعتمد على طاقاته المحدودة فإذا ما نزل به أمر فساعان ما يحل به اليأس والقنوط في الشدة بل ربما يؤدي به حاله إلى الانتحار.

6 - إن المؤمن بالنبي ربه وبالإسلام دينًا ورسولًا يؤمن قوي الجبان فلا مكانته للجبن والرهن لدى إذ الجبن وضعف العزم يتولد من أمرين: حب الإنسان نفسه وماله وأهله، واعتقاد أن غير الله له القدرة على سلب الحياة لكن المؤمن بالنبي الإيمان ينحى من قليه كالأمرين السابقين فهو منتقه بأن الله هو المالك الحقيقي للإنسان ونفسه وماله وأهله فهو يضحي في سبيل الله بكل غناء ورخى في الحصول على مرضاة الله - تعالى - كما أنه موقن بأنه ليس في مقدور الخلق أجمعين سلب الحياة إلا بقضاء الله وقدره، وتدينة الإيمان الصادق فإن المؤمن حينما يلتقي بجيش الكفر لا يهاب كثره ولا يخفى فقعة السيف فهو يواجه أعداء الله مقبلًا غير مدير لأنه يؤمن أن إطالة العمر وانقضاء الأجل إنما هو ربيه الباري.

8 - إن الإيمان بأنه لا معبود بحق إلا الله تعالى - يرفع من قدر العبد فلا توجد فيه الخصائص الدقيقة مثل الشروط والألبوم والهجرة، وحده وغيرها من الصفات الفريدة شرعًا وطلاقًا وفطرة - لأن الإسلام يغض هذه الخلافات وحذر منها أشد تحذير.
الفرق بين المشرك والموحد

9- إن التوحيد الخالص والإقرار الصحيح بـ(لا إله إلا الله) قولًا وعملًا، واقتضاء معنى يجعل المرء ملزمًا بشرع الله، وحافظًا عليه إذ المرء عندما يؤمن بأن ربي بكل شيء عليه وأن معه من الملائكة من هورقاب وعئيد وأنه إذا كان لديه حيلة في النفث عن بعض البشر فإنه ليس له قدرة على التخلص من الله - عز وجل - وعلى قدر قوة الإيمان وضعفه يكون التزام العبد بأحكام الله واقفاً عند حدوده فلا تكون عنده جرأة على اقتراب الأثام وانتهاء المحارم بل يكون مصارعاً إلى فعل الخيرات بعكس المشرك والكافر والملحد فإن حياته كلها في الوقوع فيما يغضب الله - تعالى (1) - أعاذنا الله من شر ذلك وجعلنا ممن يعبدونه وحده دون سواه.

(1) أنظر مبادئ الإسلام للمودودي ص: 80-86.
المبحث السادس
التحذير من الشرك وبيان أنه محبط للعمل

لقد ورد التحذير عن الشرك، وأنه يحبط العمل في آية واحدة، من هذه السورة، قال تعالى: {ولقد أُوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكون من الخاسرين}.

هذه الآية من السورة بين الله تعالى -فإنها قد أُوحي إلى النبي محمد ﷺ- وإلى كل إخوانه من الأنبياء ممن سبقوه بأنه لو صدر من أحبهم إشراك الله وحاشا أن يصدرون منهم ذلك لأن الله عصمهم من الوقوع في الإشراك. بجل وعلاء -ولكن هذا منباب فرض المستحيل غير الواقع -ولو حصل ذلك لكان سبحانه في إجهاض العمل وضياع الشواهد ويبصر صاحبه في ضمن الأشياء الذين حرموا الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

وإذا كان هذا الخطاب موجهًا إلى أكرم الخلق وأحبهم إلى الله تعالى -وهم الرسول الكرام وفي طليعتهم سيد الأولين والآخرين عليهم الصلاة وسلام فما ببال بصدورهم من غيرهم من بني الإنسان.

قال البغوي رحمه الله تعالى -حول قوله عز وجل - {ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك} يعني الذي عمله قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ والمراเด منه غيره، وقيل هذا أدب من الله -عز وجل - لنبيه وتهديد لغيره لآن الله تعالى -عصمهم من الشرك اهـ(1).

ولقد ابن جرير رحمة الله عليه، حول الآية نفسها:

(1) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل أنظر حاشية تفسير الخازن 6/70.
التحذير من الشرك وبيان أنه محظوظ للعمل

يقول تعالى: "ولقد أوحى إليك يا محمد ربك، إلى الذين من قلبك من الرسول لن تشرك ملكك". يقول لمن أشرك بالله شيطاناً فمحمداً ليبطلن عملك، ولا تنال به ثواباً ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله وهذا من المؤجر الذي معناه التقدم، ومعنى الكلام:

ولقد أوحى إليك لن تشرك ملكك من الخاسرين وليكون من الخاسرين إلى الذين من قلبك، بمعنى وإلى الذين من قلبك من الرسول من ذلك، مثل الذي أوحى إليه منه فأحذر أن تشرك بالله شيطاناً فتعطلك، ومعنى قوله تعالى: "ولتكون من الخاسرين" وليكون من الهالكين بالإشراف على الله إن أشرك به شيطانه.(1)

ومثل هذه الآية في السورة: "ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قلبك" الآية.

قوله تعالى: "ولأشركوا لحبت عنهم ما كانوا يعملون"(2).

وهذا تشديد لأمر الشرك وتعظيم لمشيئة ولابسته.(3).

ولقد حذر الله من الشرك وبين عاقته السيئة في مواضع كثيرة من كتبه.

قال تعالى: "إن الله لا يغفر من يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"(4).

قال ابن كثير: "أخبر تعلاني أن لا يغفر أن يشرك به، أي: لا يغفر لعبد لقمه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك أي: من الذنوب لم يشاء من عبادته"(5).

(فتين بهذا أن الشرك أعظم الذنوب لأن الله تعالى -أخبر أنه لا يغفر أي إلا بالتوبر منه، وما عاده فهو داخل تحت مشيئة الله إن شاء غفره فلا توبة، وإن شاء عذب به وهذا يوجب للعباد شدة الخوف من هذا الذنوب الذي هذا شأنه عند الله)(6) وقال تعالى: "إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وما أروا بما ليس من أنصار"(7).

(1) جامع البيان 244/24.
(2) سورة الأنعام آية: 88.
(3) تفسير ابن كثير 6/32.
(4) سورة النساء آية: 48.
(5) تفسير القرآن العظيم 2/308.
(6) تيسير العزير الحميد ص 91-92.
(7) سورة المائدة الآية: 72.
وفي مسنود الإمام أحمد من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: "الذوالين عند الله ثلاثة: ذوالان لا يعبأ الله به وذوالان لا يشرك الله به شيئاً، وذوالان لا يغفر الله فأما الذوالان الذي لا يغفر الله فالشريك قال الله عز وجل ومن يشرك به فسد حكمه على الجنة، وأما الذوالان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو حصول تركها فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوزإن شاء وأما الذوالان الذي لا يشرك الله به شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضًا في النصوص لا محاولة"(1).

قال العلامة ابن القيم: (ولما كان الشرك أعظم الذوالان الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهلها فلا تدخل الجنة نفس مشركة وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاحهم فهم ليس معهم مفتاح لم يفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا آمن له لم يكن الفتح، وأسنان هذا المفتاح في الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصدق الحديث وأداء الأícانة وصلة الرحم وبر الوالدين)

(2).

 وقال تعالى آمن الأمة عبادة غيره من الأوثان والأصنام: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) حتفاء الله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكاننا خر من السماء فالتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحير(3).

هذه الآية توجه للبشرية جمعاً بالابتعاد عن ملاذية كل طاغوت بعيد من دون الله تعالى - وفيها تصوير للأوثان بأنها رجس للجنة ما ينتج عنها من الإعتقاد والفساد وقد قرر الله الآثات يقول الزور لأن الشريك من باب الزور فإن الشريك يزعم أن الوثن تحت له العبادة وهذا أعظم أواب الزور والافتراه. ولنستمع إلى ابن القيم وهم بصور لنا الالتزامات التي تتعري الذين ارتكروا في أحوال الوثنية وعبدوا غير الله تعالى - ومنه عميد أمثالهم فقال رحمته الله في كلامه ليбан هذا المشهد في هذه الأية. فتأمل هذا المثل وطابقته لحال من أشرك بالله وتتعلق به، ويجوز لك في التشبيه أمران:

أحدهما: أن تجعله عنصراً في تجنيه مركباً ويتكون قد شبه من أشرك بالله يرجى منه نجاة

(1) المسند 7/240.
(2) الولاب الصيعص: 18.
(3) سورة الحج آية: 31-32.
التحذير من الشرك وبيان أنه محظ للعمل

فصوير حاله بصورة حلال من عر من السماء فاختطفته الطير في الهوى فتمزق مزقاً في حوائطها وعصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارات البعيدة وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه، و مقابل هو المشبه به.

والثاني: أن يكون من التشبيه المفرق فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالمثل بمثله.

وبه على هذا فيكون قد شبه الإيمان والنوح في علومه وسنته وشرفه بالسماء التي هي مصده ومهدته، فمنها يحفظ إلى الأرض، ويلها يصعد منها وشبه تارك الإيمان والنوح في السابقتين من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة والمطأر التي تضعف أعالأ وأمزق كل ممر بالشياطين التي يرسلها الله - سبحانه وتعالى - عليه وتهيؤه أذا وترفعه وتقلبته إلى مظلاته، فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبته كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه والريح التي تهوي به في مكان صحيح هو هواء الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعد من السماء اهـ.

فككل ما تقدم من الآيات القرآنية وأقوال العلماء من التحذير من الشرك يوجب للإنسان أن يخفف على نفسه فإنه أعظم ذنب عصي الله - تعالى - به.

وقد ذكر الله عن خليله إبراهيم أن الآتي له المثالية عليه الصلاة والسلام أنه خاف على نفسه و نيه من عبادة الأصنام مع أنه عليه الصلاة والسلام قد أكرمه الله بالعصممة من الشرك وغيره.

قال تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال: "واجتني وبني أن نعبد الأصنام* رب إنهم أضلون كثيراً من الناس"(1).

قال في تيسر العزيز الحميد (واجتني) أي اجتني وبني في جانب عن عبادة الأصنام وبادرون بيني وبيني قيل: وأراد بذلك بنية وبنيته من صلبه ولم يذكر البنات لدخولهم تبعاً في البين، وقد استجاب الله دعاه وجعل بيني أنيبيه وجنبهم عبادة الأصنام وإنما دعا إبراهيم عليه السلام بذلك لأن كثيراً من الناس افتتنوا بها كما قال: "رب إنهم أضلون كثيراً (2).

(1) آيات الموقفين 180
(2) سورة (إبراهيم آية: 36-38)
التحذير من الشرك وبيان أنه محظوظ للعمل

من الناس فخاف من ذلك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها، فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن ينجبه وبنى عبادة الأصنام فما ظنك بغيره؟ أهـ(1).

فإبراهيم عليه السلام هو الذي امتشل أمر ربه حين أمره ببذبح ولده وهو الذي أخذ القأس وحطم به الأصنام، وهو الذي اعترضه على عبادة الأصنام والأوثان ومع ذلك يخف على نفسه وبنيه الوقوع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام لأنه يعلم أنه لا يصرف عن ذلك إلا بهدایة الله ﷺ جلَّ وعلا ونوفيه.

جاء في قرة عيون المولدين: (فأذى خافه الخليل على السلام على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المضللة فبئنت المساجد والمشاهد على القبور وصرفت لها العبادات بأنواعها. واتخذ ذلك ديناً وهي أوثائ وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومنة وأصنام العرب وغيرهم، فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال الجاهلية من مشكيك العرب وغيرهم بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الروبية بما يطول عده) (2).

وهذا النبي ﷺ من الشرك وبين العاقبة السيئة التي تلقح المشرك إذا رجع إلى الله تعالى.

قال ﷺ: "من مات وهو يدعون من دون الله ندأ دخل النار" (3).

و قال عليه الصلاة وسلم: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه دخل النار" (4).

فقد بين في هذين الحديثين أن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا تساهل رحمة الله ويكون من الخالدين في نار جهنم.

كما بين أن من مات على التوحيد دخل الجنة قال النووي: (أما دخول المشرك إلى النار فهو على عمومه، فيدخلوها ويدخل فيها، ولا فرق فيه بين الكبائي اليهودي والنصراوي، وبين عبادة الأثوان وسائر الكفرة من المرتددين والمعتدين، ولا فرق عند أهل الحق بين

(1) ص 92-93.
(2) ص 40.
(3) رواه البخاري أنظر الفتح 8/76 من حديث ابن سعوم رضي الله عنه.
(4) رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه 1/94.
التحذير من الشرك وبيان أنه محضوظ للعمل

الكافرون عائداً وغيره، إلا بين من خالف ملة الإسلام ويبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره يبجده وغير ذلك، وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له، لذا إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها دخل الجنة أولاً، فإن كان صاحب كبيرة مات مصراً فهو تحت المشيئة، فإن عفاه يدخل الجنة أولاً ولا عذب في النار ثم أخرج فيدخل الجنة.

هـ(1).

ومن هذا يتبين لنا أن الشرك أشد الأعمال جرحاً وأقبقلها ظلماً كما قال تعالى حكايته عن لقمان وغير وصي ابنه في بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم(2).

وقد بين تعالى في موضع آخر بأنه لا أمن ولا اهتذاء إلا لمن لم يخلعوا عبادتهم بمعصية الشرك.

قال تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»(3).

وقد روى الشيخان في صحيحهما من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله وأينا ذلك؟ قال: "إنما هو الشرك لظلم عظيم"(4) قال النووي عند شرحه لهذا الحديث: لحماً شق عليهم أنزل الله تعالى "إن الشرك لظلم عظيم".

واعلم النبي ﷺ أن الظلم المطلق هناك هو المراد به هذا المقدى وهو الشرك كما قال لقمان لأبيه فالصحابه رضي الله عنهم حملوا الظلم على عمومهم والمبادر إلى الأفهام منه وهو وضع الشيء في غير وضعه وهو خلافة الشرع فشق عليهم إلى أن أعلمهم النبي ﷺ بالمراد بهذا الظلم الهـ(5).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - موضحًا لذلك (والذي شق عليهم أنهم ظنوا أن الظلم المشروط عدّه هو ظلم العبد نفسه وأنه لا أمن ولا اهتذاء إلا لمن لم يظلم نفسه،

(1) شرح النووي على مسلم/2/97.
(2) سورة لقمان آية: 13.
(3) سورة الأئمة آية: 82.
(4) صحيح البخاري 1/142، صحيح مسلم/114/115.
(5) شرح النووي على مسلم/143/3/6.
فيبين لهم النبي ﷺ ما دلهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله فلا يحصل الأمن والإهتداء إلا من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم فإن من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والإهتداء. فمن سلم من أنجاس الظلم الثلاثة: الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه دون الشرك، كان له الأمن والإهتداء التام، ومن لم سلم من ظلمه لنفسه كان له الأمن والإهتداء المطلق بمعنى:

 أنه لا بد من أن يدخل الجنة كما وعد الله بذلك، وقد هدأ الله إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبتة فيه إلى الجنة، وينصح له من نفس الأمن والإهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه، وليس مراد النبي ﷺ بقوله: "إنما هو الشرك" أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والإهتداء التام فإن أحاديث الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمن التام والإهتداء التام الذي يكونون بهما مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من غير عذاب يحصل لهم، بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط ومعهم أصل نعمه الله عليهم. ولا بد لهم من دخول الجنة، وقوله "إنما هو الشرك" أن أراد به الأكبر فمقصوده:

 أن من لم يكن من أهل فو آمن مما وعد به المشتركون من عذاب الدنيا والآخرة، وإن كان مراده جنسي الشرك بقوله: "ظلم العباد نفسه كبخله لحب المال بعض الوافج، هو شرك أصغر، وحبه ما يغضب الله تعالى -حتى يقدم هواه على محجة الله شرك أصغر ونحو ذلك فهذا فائتة من الأمن والإهتداء بحسبي وللهذا كان السلف بدخلوا الذنوب في هذا الشرك بهذا الاعتبار. ۳۱

 ومن هذا يعلم أن الشرك بالله أظلم الظلم وأشد ذنبي عصى الله به ولذلك رتب الله عليه من العقوبات الدنيا والأخفورية ما لم يرتبه على ذنب سواء من إباحة دماء أهله، وأموالهم وسبي نسائهم (وأولادهم وعدم مغرفة من بين الذنوب إلا بالتوية منه). ۳۲

 قال في تيسير العزيز الحميد: (وإنما كان كذلك لأنه أصح القبح وأظلم الظلم إذ مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدله غيره به كما قال تعالى.

 (1) مجمع الفتاوى ۷/۸۰-۸۱.
 (2) تيسير العزيز الحميد ص ۸۹ بتصريف بسير.
التحذير من الشرك وبيان أنه معبط للعمل

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

(1) لأنه منافق للمقصود بالخلق والأمر مناف له من كل وجه وذلك غاية المعتقدة لرب العالمين، والإستกระบ عن طاعته والذل له والإنقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك فمي خل منه خبر وقامت القيامة كما قال تعالى: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله وأنت" (2).

ولأن الشرك تشدد للمخلوق بالخالق - تعالى - وتقص في خصائص الإلهية من ملك الضر والنفع والعطا، والمعن الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله، فمن علق ذلك لمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فأصلا عن غيره شبيهاً بمن له الخلق كله وله الملك كله وليده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله.

فأزمة الأمور كلها بيد الله - سبحانه وتعالى - ومجرعها إليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

(3) كما يفهم من هذا أن المشرك لم يقدر الله حق قدره، ولم يأت بالأمر الذي خلق من أجله فهو ظلم من جهة أنه صرف الحق الذي لا يستحقه إلا الله - تعالى - للمخلوق الذي لا يستحق من ذلك شيئا لأنه ليس أهلا لذلك.

كما أن المشرك ظلام لنفسه حيث يشقيها بإشراكه بالله - تعالى - وبحربها رحمة الله ويجعلها تتنصل لمخلوق من مخلوقات الله فقيئ إلى الله الذي له العين المطلق من جميع الوجوه والإعتبارات.

أعذنا الله من الشرك كبيره وصغيره جليه وخفيفه وبالله التوفيق.

---

(1) سورة الأنعام آية: 61.
(2) رواه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه.
(3) ص: 91.
الباب الثاني

دليلة السورة على وجب الإيمان بالملائكة والكتب، والرسول والقدر وفيه فصول:

الفصل الأول: دليلة السورة على وجب الإيمان بالملائكة.
الفصل الثاني: دليلة السورة على وجب الإيمان بالكتب.
الفصل الثالث: دليلة السورة على وجب الإيمان بالأئمة والرسول.
الفصل الرابع: دليلة السورة على وجب الإيمان بالقدر.
الفصل الأول

دليلة السورة على وجب الإيمان بالملائكة وفيه مبحث:

المبحث الأول: تعريف الملائكة، ومن أي شيء خلقوا؟
المبحث الثاني: ذكر بعض أعمال الملائكة التي أنيطت بهم
المبحث الأول
تعريف الملائكة، ومن أي شيء خلقوا؟

1 - تعريف الملائكة:

(الملائكة جمع ملاك) نقلت حركة الهمية فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الهمية تخفيفاً فصارت (ملك)، وهو مشتق من كلمة (الألوكة) التي هي الرسالة والجمع (ملائكة) و(ملائكة) (1).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (والملك في اللغة حامل الألوكة وهي الرسالة) (2).

والذي يستفيدنا من التعريف اللغوي: أن الملائكة هم سفراء الله إلى أبنائه ورسله في تبليغ الوحي والشرع.

أما التعريف الأصطلاحي:

فالملائكة: (أجسارد نورانية - لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السموات، وأبطل من قال: أنها الكواكب أو أنها الأنس الفضائل التي فارقت أجسادها وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها) (3).


(2) النبرات ص 257.

(3) فتح الباري 6/306 وانظر (كتاب التعريفات للجراحي ص 229).
1. لقد بين النبي ﷺ المادت التي خلق الله منها الملائكة وهي النور، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» (1).

فبين أن الملائكة خلقوا من نور، ولم بين النبي ﷺ أي نور هذا الذي خلقهم الله منه. فلا يجوز الخروج لأي أحد في نوع هذا النور لزيادة تحديده لأنه غيب لم يأت فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث النبوي الشريف وأما تحديد الزمن الذي خلقوا فيه فلم يرد في الكتاب والسنة ما يفيد ذلك إلا أن الله تعالى أخبر بأن خلقهم كان قبل خلق آدم عليه السلام - فقعد أخيرًا سبحةه - أنه أعلم الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة قال تعالى:

وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة (2).

والمراد بالخليفة آدم عليه السلام - وأمرهم بالسجود له حين خلقه (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (3).

فالملائكة نوع من مخلوقات الله تعالى خلقهم الله من نور وأقردهم الله على التشكل بأشكال مختلفة فقد أرسل الله جبريل إلى مريم في صورة بشر قال تعالى: «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانة شرقيًا فاتخذت من دونهم حجابًا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إن هي أعود بالرحم منك إن كنت تقيًا قال إنما أنا رسول ربك لأذهب لك غلامًا زكى» (4).

ويراهيم عليه السلام جاءته الملائكة في صورة بشر، ولم يعرف أنهم ملاك، حتى كشف له عن حقيقة أمرهم.

قال تعالى: «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذدخلوا عليه فقالوا سلاماً» (5).

---

(1) صحيح مسلم 4/2294 ومسند الإمام أحمد 168.
(2) سورة البقرة آية: 25.
(3) سورة الحجرآية: 29.
(4) سورة مريم آية: 19-11.
(5) سورة مريم آية: 19-11.
تعريف الملائكة، ومن أي شيء خلقوا؟

قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهل فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وشروبه بعلم عليكم" (1).

وفي آية أخرى قال: "فلما رأى أبديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إذا أرسلنا إلى قوم لوط" (2).

وجاؤوا إلى لوط في صورة شباب حسن الوجه، وضاقت لوط بهم وخشي عليهم قومه فقد كانوا قوم سوء فعلون السيئات ويُتنون الذكران من العالمين قال تعالى: "ولما جاءت رسلنا لوطاً ساء بهم وضعاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب" (3).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر" (4).

وقد كان جبريل يأتي النبي عليه الصلاة والسلام في صورة دابة بن خليفة الكبّري (5) ونارة بأيديه في صورة أعرابي وقد شاهده كثير من الصحابة كمما في محدث عمر قال: "بينما نحن جلوس عند النبي إذ طلع علينا رجل شديد نيب الشباب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى رسول الله رأسه ركبته إلى ركبته ووضع كفه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام؟"

وفي الحديث أنه سأله عن الإيمان والإحسان والساعة وأمرتاهما أخبرهم النبي فيهما بعد أن السائل جبريل جاء يعلم الصحابة ديهم (6) إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى والملائكة كثيرون لا يجيبهم عد ولا يحصينهم من دون الله أحد وهم محجولون على أعمال الخير فلا يعملون الشر ولا يعرون به، فلذلك هم لربهم مطيعون، وعبادته مشتغلون، يسبعون الليل والنهاية لا يفترون، وقد كلف الله جميع عباده الإيمان.

---

(1) سورة الواقعة الآية: 28-29.
(2) سورة هود الآية: 70.
(3) سورة هود آية: 77.
(4) البقرة والانبياء: 43/1.
(5) هذا الصحيح الجليل كان يضرب به المثل في الحسن انظر الإصلاح 473/1 رقم 2390.
(6) صحيح مسلم: 37/1.
تعريف الملائكة، ومن أي شيء خلقوا؟

بهم، والصديق يرجمهم لأن ذلك من جملة عقائد الإيمان التي أمرهم الله بها وفرضها عليهم في محكم كتابه وسنة نبيه.

قال تعالى: "ليس البر أن تولوا وجههم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين" (1).

وقال تعالى: "آن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتب ورسله" (2).

وقال تعالى: "ومن يكفر بالله وملائكته وكتب ورسله واليوم الآخر فقد يضلل ضلالاً بعيداً" (3).

وقد ذكر رسول الله ﷺ أركان الإيمان السنة وذكر من بينها الإيمان بالملائكة كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل الطويل حيث سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة وجاء في هذا الحديث أن جبريل عليه السلام قال للرسول ﷺ: "أخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتب ورسله واليوم الآخر وؤمن بالقدر خيره وشره" (4).

فأجاب النبي ﷺ على سؤال جبريل عن الإيمان بين أن كأنه السنة وأخير بأن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان فمن هؤلاء كان وجود الملائكة ثابتاً بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن ينطوي إليه شك ومن هؤلاء كان إنكار وجود الملائكة كفرًا بإجماع المسلمين بل بنص كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأدنى فمن كفر به أو حاول التشكيك في وجودهم فهو كاذب كافر لا حذر له في الإسلام لتكذيبه ث - تعالى - ورسوله وللمؤمنين.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "بأ د أن ذكر جملة من الأحاديث الواردة في شأن الملائكة وصفاتهم وفي هذا وما ورد من القرآن رد على من أنكر وجود الملائكة من الملاحة" (6) ومن هذا يفهم بأن من أنكر وجود الملائكة فهو ملحد زنديق كافر بالله

(1) سورة البقرة آية: 177
(2) سورة البقرة آية: 285
(3) سورة النساء آية: 136
(4) صحيح مسلم: 37/1
(5) الفتح: 3206/2
(6)
العظيم، فيجب الإيمان بالملائكة على سبيل الإجمال، ويجب الإيمان على سبيل التفصيل، بمن اشتهر باسمه الخاص كهاروت وماروت أو من أضيف إليه عمل معين بأدلة الكتاب والسنة، كجبريل، وميكائيل واسرافيل ورضوان ومالك، فمثل هؤلاء الملائكة لا يكفي الإيمان بهم إجمالاً بل لا بد من الإيمان بهم تفصيلاً.
المبحث الثاني
ذكر بعض أعمال الملائكة التي أنيطت بهم

لقد ذكرت سورة الزمر على أن الله ملائكة أُندى إلىهم القيام بمهام الجنة والنار كما ورد فيها أن بعض الملائكة محدقون بعشر الرحمن - جل وعلا -.

قال تعالى: "وسير الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاوزها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتوسل علیكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلئى ولكن حلت كلمة العذاب على الكافرين قبل أن يدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئن مثوى المتكبرين وسیر الذين اتقوا رحمان إلى الجنة زمراً حتى إذا جاوزوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طهرون فادخلوها خالدين".

وقال تعالى: "وزيرت الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربي وقاضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين.

فهذه الآيات الأربع من السورة دلت على وجود الملائكة وأن منهم من أركب الله إليه القيام على أمور الجنة والنار ومن المهام التي أُندى إلىهم تجاه جهنم أن الكفار عندما يحضرون تسوّقهم الملائة إليها أفواجاً متفقرة فوجاً بعد فوج فعند ذلك تفتح لهم أبواب جهنم فتلقىهم الملائة خزنة النار ويخنونه ويهكرونهم وينذرنهما أمراءهم في الدنيا رسول من جنسكم؟ يقودون عليكم ما أرسل من الآيات السماوية والمحجج الواضحات ويخفونك هؤلاء الناس الذي وردتم فيهم؟ فيعبرون ببن يرسل بلغهم آيات ربهم فكذبواهم فلم يصدقوا ففتحت عليهما كلمة العذاب التي تعود للدعاة الكافرين إذا سمع الملائكة منهم هذه الإجابة سارعوا في الرد عليهم يقولون: "ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئن مثوى المتكبرين"."
ذكر بعض أعمال الملائكة التي أتيحت بهم إنيكم فيها إلى الأبد لا تخرجون منها ولا تنفصلون عنها فليس المقام الذي نبوأتموه جزاء تكركم وتذكيركم برسول الله وآياته ولقائه وأما مهامهم في الجنة فإنه عندما يحضر الذين اتقوا ربهم بأداء الفرض واجتناب المعاصي فأخلصوا الدين لله وحده لا شريك له فإن الملائكة المشوقين بالجنة يحتفلون بهم ويرحبون بلقائهم ويحيونهم بأطيب تحية ويذكرونهم بأطيب صفاتهم «سلام عليكم طلبت فادخلوا خالدين».

وأما الآية الأخيرة من الآيات الأربع السابقة وهي آخر آية من السورة فهي تبين مشهداً عظيماً لعبادة الله المكرمين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يمرون وهذا المشهد هو أنهم محدفون بعرش الرحمن يزهوه عما نسبه إليه المشركون وعما لم ينسوه من صفات النصفي، ولا يستخدمهم فحسب بل لهم أعمال أخرى كثيرة جداً أتيحت بهم ونذكر هنا طرفًا منها إذ تعتذر علينا حسرها هنا. 

فجبريل عليه السلام: أوكال الله إني النزول بالوحي وقد أخبرنا الله تعالى أن جبريل يكاد يختص بهذه المهمة الجليلة قال تعالى: «قل من كأن عداو الجبريل فإنه نزله على قلوبك إذ أخذ الله مصدقًا لما بين يديه»(1).

وجبريل هو الروح الأولمبي كما قال تعالى: «نزل به الروح الأولمبي على قلبي لتكون من المنذرين»(2)، وقد ينزل بالوحي غير جبريل إلا أن هذا - قليل جداً - لما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء ففتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: (أبشر بنيون أردوناهما لم يؤتاهما نبي قيلك فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأحرف منهما إلا أعطيه) (3).

ومنهم من أوكال الله إليه القpter والنبات والأرزاق.

قال ابن كثير: ورمكأل موكلا بالقطر والنبات والذين يخلق منهما الأزراق في هذه الدار، وله أوعان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب.

(1) سورة البقرة آية: 97.
(2) سورة الشعراء آية: 194/193.
(3) 054/1.
ذكر بعض أعمال الملائكة التي أُنِيِّطت بها

جَلَّ جَلَالُهُ وَقَدْ رَوِيَّتِي أَنَّهَا مَّنْ قَطْرَةٌ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا وَمَعَهَا مِلَّةٌ يَقُرُّهَا فِي مُوسُوءِهَا

مِنَ الأَرْضِ١) وَمِنْهُمُو مِنْ هُوَوْكَلُ بِالسَّحَابَ فِي سَنِينِ التَّرَمِذِي، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: الرَّعِيدُ مِلَّةُ مُلَائِكَةِ اللَّهِ مُوَكَّلُ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِجٌ مِنْ نَارِ بِسُوقِهَا بِهَا السَّحَابُ حِيْثَ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ التَّرَمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ (٢).

وَمِنْهُمْ مِنْ أَوْكَلِ اللَّهِ إِلَيْهِ مَهْمَةِ النُّفِخِ فِي الْصُّورِ وَإِسْرَافِيلَ وَمِنْهُمْ مِنْ اخْتِصَاصِ اللَّهِ بِفَضْلِ مَلَّةٍ بِنَبِيٍّ أَمِيَّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَلْ بِتَوَافِكِي مَلِكُ الْمُوتِ الَّذِي وَكَلَّ يُثِبْتُ إِلَى رَبِّي تَرْجُوُنَّ﴾٣) وَلَمَّا وَقَعَ المَوْتُ أَوَّلَ مَوْتٍ يُكَونُونَ مَعَهُ عَنْ قَبْضٍ أَرْوَاحِ بَنِي آدمٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَوَى الْقَافِهِرٌ فَوْقَ عَبَادِهِ وَرَسَّلَ عَلْيَمُ هَدْفَتِهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُ الْمَوْتِ وَنِفَاتِهِ رَسَّلَنَا وَهُمْ لَا يَقْرَطُونَ لَهُ الْمُوَلَّاهُمُ الحَقَّ إِلَّا لَهُ الْحَكِيمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبَينِ﴾٤) وَتَنْزِعُ المُلَائِكَةُ أَرْوَاحَ الْكَفَّارِ وَالْمُجَرَّمِينَ نَزْعًا شَدِيدًا عَنْفًا بَلْ رَفَقُ لَا هَوَادَةً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفُّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُلَائِكَةُ يُضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرُوهُمْ وَذَوْقُوا عَذَابَ الْحَرَّٰقِ﴾٥).

أَمَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ المُلَائِكَةَ تَنْزِعُ أَرْوَاحَهُمْ نَزْعًا رَفِيقًا وَتَبْشِرُهُمْ عِنْدَ النَّزْعِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالَوْا رَبَّنَا اللَّهُ لَمْ تَسْتَقِمَا تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ المُلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَأَحَبُّوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كَتَمَّتَنَّهَا وَطُمِّعُوا أَوْلَاءُ الْكُفُوْنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ إِلَّا كُلُّمَا خَلَقْنَاهُمْ وَلَكُمُ فِيهَا مَا تَشَهَّى أَنْفَسُكُمْ وَلَكُمُ فِيهَا مَا تَمَتَّعُونَ﴾٦).

(1) البديع والنهوض ٥٠ مطبعة النجف الجدیدة
(2) سنن الترمذíي ٤٥٧، وأحمد في مسند ١٧٤، ونظر صحیح الجامع الصغير للألبانی ١٨٨/٣.
(3) سورة السجدة آية ١١.
(4) سورة الأعراف آية ٣١ - ٣٢.
(5) سورة الأنفال آية ٣٠.
(6) سورة فصلت آية ٣٠-٣٢.
ذكر بعض أعلام الملائكة التي أنبئت بها ومنهم من أوقل الله إليه حفظ أعمال يبني آدم من خير وشرهم الكرام الكابتن. قال تعالى: (وإِنْ عَلَىٰكُمْ لَحَفَظًا لِكَرَامَةَ كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (1).

ومنهم من أوقل الله إليه الجنة ونعمتها وهم رضوان ومن معه، قال ابن كثير (وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصharga به في بعض الأحاديث) (2).

ومنهم من أستند إليه القيام على النار وعذاب أهلها وهم مالك ومن معه فقد أخبر الله تعالى - أن أهل النار ينادون مالكاً وهو كبير خزنة أهل النار بقوله تعالى: (وَنَا يَا مَالِكُ) (3).

ليقض علينا ربك قال إنكم مأثورون. لقد جثناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون (4).

ومنهم من أوقل الله إليه فتنة القبر وهم منكرون ونكير (5).

ومنهم حملة العرش قال تعالى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) (6).

ومنهم الموكب بالنطف في الأرحام وكتابة ما يراد بها.

روى الشيخان في صحيحهما من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (وكل الله تعالى - بالرحم ملكاً: فيقول: أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقها قال: أي رب ذكر أم أنثى أشقي أم سعيد؟ فما الرزق، فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه) (7).

ومنهم ملاكية يدخلون البيت المعمور ويدخله كل يوم سبعون ألفنام لا يعودون إليه آخر ما عليهم (8).

ومنهم ملاكية سائحون يتبعون مجالس الذكر ويروى الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الَّذِينَ يَتَأَكَّرُونَ وَتَعَالَى مَلاَكَةُ يُطَفُّونَ) (9).

(1) سورة النحل آية: 102-103.
(2) سورة البقرة آية: 32/1.
(3) سورة الزخرف آية: 86-87.
(4) انظر موارد العلماء إلى زوائد ابن حبان حديث رقم (80) ص 197.
(5) سورة الحاقة آية: 17.
(6) صحيح البخاري 143/4 صحيح مسلم: 42038.
(7) صحيح البخاري 211/3 صحيح مسلم: 150 كلاهما من حديث أنس.
ذكر بعض أعيال الملاكاة التي أُنْطِق بِهِم.

في الطريق بُلْمَسُون أُهُل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرُون الله تعالى، تنادوا هُمّوا إلى حاجتهم قال: فيحفروهم بِأَجْنِحَتهِم إلى السماوات الدنيا. {1}

ومنهم المَوْكِل بالجبال فقد أرسل الله تعالى ملك الجبال إلى عبده ورسوله محمد ﷺ يستأمر في إهلاك أهل مكة فقُدْ جَاء في الحديث المفتَق على صحته المروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أَنت عليكم يوم كان أشدهم يوم أحد؟ قال: لقد لقيت ما لقيت وكان أشدهما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلاب فلم يجيء إلى ما أردت. {2}

فانطلقنا وأنا مهمل على وجهي فلم أسقف، إلا وأنا بقرن الثعالب مكان قريب مكة - فرفعت رأسِي وإذا أنا بساحة قد أطلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فقال: إن الله قد سمع قولكم للك، وما ردوا به عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتَأْمُرَه بِما شَئْت فيهم فناناني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأُخْشِيْن {3} فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً {4}

ومنهم المُوَكِّل بكتابة الناس يوم الجمعة يكتبون الأول فالأول، فقد روى البخاري في صحيحه من حدث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملاكاة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف واجوا يستمعون الذكر. {5}

ومنهم العقبات وهم الذين أوكَل الله إليهم حفظ العبد فيحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله. {6}

وقد بين حبر الأمى عبد الله بن عباس أن المعقبات من الله هم الملائكة جعلهم الله.

{1} صحيح البخاري 114/4 صحيح مسلم 2/207-220.
{2} الأحِبَّاشان? هما الجبلان المطيفان بِمَكَّة: أبو قيسٍ والأحمرٍ، وهو جبل مشروط وَجِهٌ علَى قَعْيَانٍ. النهاية 322.
{3} صحيح البخاري 2/142 صحيح مسلم 3/217.
{4} صحيح البخاري مع الفتح 2/207.
ذكر بعض أئمة الملائكة التي أنشطتهم

ليحفظوا الإنسان من أمامه، ومن ورائه، فإذا جاء قدر الله الذي قد أراد أن يصل عليه خلوا عنده.

وقال مجاهد: "ما من عبد إلا له ملك موكِّل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والانسان الهواءما فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراك إلا شئ أذن الله فيه فصيبة".

وقال رجل لعلي بن أبي طالب: "إن نفرًا من مراد يريدون قتلك فقال: أي علي إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خلبا بينه وبينه، إن الأجل جنحة حسبته.

والمعقات المذكورة في آية سورة الرعد هي المقصودة بالآية الأخرى وهو القاهر فوقع عباده ويرسل عليكم حفظه حتى إذا جاء أحدكم الموت توتفه رسلنا وهم لا يفرطون.

فالحفظة الذين يرسلهم الله يحفظون العباد حتى يأتي أجله المقدر.

ورد أن الملائكة يؤمنون على قراءة المصلي، قال عليه الصلاة السلام: "إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه".

ورد أنهم يدعون لمنتظرين الصلاة كما جاء في الصحيحين أن الملائكة تصلي على الذي يأتي المسجد للصلاة فقولهم صل عليه الله أرحمه مال يذده فيهم، مال يحدث فيه.

ورد أنهم يلعبون من هجرت فراش زوجها لما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دعا الرجل أمرته إلى فراش فابت، فبات غضبان لعنها الملائكة حتى تصبح" وأعمال الملائكة كثيرة جداً فإنهم يقومون على مختلف شؤون هذا الكون مما نشاهده وما لا نشاهده، وإذا تأمل الإنسان.

---
(1) جامع البيان عن تأويل آية القرآن 127/10، البديئة والنهاية 1/117.
(2) جامع البيان 137/10، انظر البديئة والنهاية 1/119.
(3) سورة الأنعام آية: 61.
(4) صحيح البخاري 97/3، صحيح مسلم 1/267.
(5) صحيح البخاري 2/214، صحيح مسلم 1/459، كلاهما عن حدث أبي هريرة.
ذكر بعض أعمال الملكة التي أنيبت بهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في أعمال الملكة مثل قولها تعالى:

والمصافات صفحاً فالزوارجات زجراً، فالتاليات ذكرها (1).

ومثل قوله تعالى: والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً والسابحات سباحاً، فالسابقات سبقاً، فالمدبرات أمرها (2).

جزم في يقين بأن هذا الكون كله علويه وسفليه، قد أنيط أمر تدبيره إلى الملكة، وذلك بإذن ربهم - بارك وتعالى - قال تعالى: أطلت السماء وحق لها أن تبتلع من موضع أربع أصبع إلا عليه ملك واسمه ساجداً لله تعالى (3)، وما تقدم يتبن بطلان قول الزائنين من الفلاسفة الزنادقة بأن الملكة قوى معنوية ليس لها حقيقة في الخارج (4)، بل هم كما أخبر أنهم مخلوقون من نور وأنهم كما وصفوا في الكتاب والسنة أولو أجنبية مثنى وثلاث ورابع، ومن زعم غير ذلك فقد كذب الله ورسوله والمؤمنين.

(1) سورة الصفات أية: 1-32.
(2) سورة النازعات أية: 1-5.
(3) رواه ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 2/1400، سنن الترمذي 3/281 من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(4) أظهر كتاب النباتات لشيخ الإسلام ص 172، إغاثة الله فإن 2/211، شرح الطحاوية ص 333.
الفصل الثاني

دليل السورة على وجب الإيمان بالكتب

وفي مبحث:

المبحث الأول: كيفية الإيمان بالكتب السابقة.
المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالقرآن.
المبحث الأول
كيفية الإيمان بالكتب السابقة

قبل أن نبين كيفية الإيمان بالكتب السماوية السابقة نذكر الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالكتب من سورة الزمر ونبياً وجه دلالتها على ذلك. فنقول: إن الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله ركناً من أركان العقيدة الإسلامية السنية، ودعوةً من دعائمها الأساسية التي لا تقوم العقيدة إلا بالإيمان بها كلها.

فكما أن الله تعالى - أنزل القرآن الكريم على محمد ﷺ فقد أنزل من قبله كتبًا. والإيمان بالكتب هو التصديق الجازم بأن الله كتبًا أنزلها على أنبيائه ورسله وهي من كلامه تعالى - حقيقة اشتملت على النور والهدى وكل ما احتوى حق وصدق ولا يعلم عدها إلا الله تعالى - الذي أنزلها، ولقد دلت السورة على أن الله تعالى أنزل القرآن على نبينا محمد ﷺ كما أشارت إلى إنزال الكتب السابقة قبله على من سبقه من الأنبياء والمرسلين، فيجب الإيمان بالكتب وتصديقها كلها وأن من كذب بها كان من أهل النار.

قال تعالى: (تنزل الكتاب من الله العزيز الحكيم) (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصًا له الدين).

وقال تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتابًا منشورًا مباني تجسر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلبن جلودهم وقلبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله بهدئيه ومن يضل الله فمبالاه من هادئ).

وقال تعالى: (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثيل لعلهم يتذكرون. فرأناً عربًا غير ذي عوج لعلهم يتقون).

متاحب العقيدة م 29
وقال تعالى: "إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل".

وقال تعالى: "وأتبعو أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم عذاب بعثت وأنت لا تشعرون. أن تقول نفس يا خسرتي على ما قررت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين. أو تقول لآن الله هداني لكنك من المنافقين أو تقول حين ترى العذاب ليو أن لي كورة فأكون من المحسنين بل قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكن من الكافرين".

وقال تعالى: "ألم يأتكم رسول منكم يتولى عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا قالوا بل لا... الآية.

هؤلاء المجموعة الكثيرة من الآيات كله وردت في السورة، وكلها واضحة الدلالة في وجوه الإمام بالكتب السماوية المنزلة من عند الله - عز وجل - ووجوب التصديق بها والعمل بمقتضاها. إذا الإمام بالكتب معناه التصديق بأنها كلام الله وأن ما تضمنته حق.

فالآيات السبع الأولى: من هذه الآيات كلها توجب الإيمان بالقرآن وقد قدمنا الكلام عليها تحت عنوان "القرآن كلام الله منزل غير مخلوق". في "الفصل الأول" من "الباب الأول" فيرجع إليه وأما قوله تعالى: "بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكن من الكافرين" فالمراد بالآيات المذكورة في هذه الآية هي الآيات التنزيلة، القرآن وغيره من الكتب السماوية قبله التي نزلت على السماوات لتلبغها إلى سائر الأمم فقاله - عز وجل - "بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكن من الكافرين" رد من قبل الله تعالى على الكافر الذي يظهر الحسرة والنذامة يوم القيامة بحيث أن فور فور في طاعة الله، ومع ذلك كان من المستهرين بدين الله في الدنيا، وكتباه ورسوله بالمؤمنين وحينما يشاهد العذاب يتعلق بما لا طائل تحته فتمنى ليو أن الله أرشده، وهداه إلى دينه ليتقي الشرك والمعاصي، ويتمنى الرجعة إلى الدنيا ليكون من الموحدين لله تعالى المحسنين أعمالهم وهذه من الأمانى الواهية التي يتعلق بها المشركون يوم القيامة فتكون الجواب من قبل الله.

(1) الفتح: 117-118.
كيفية الإيمان بالكتب السابقة

- عزوجل - على كل مشرك منهم على الله الأماني الباطنة (ثني قد جاءتك آياتي فكذبت بها) بحيث قلت إنها ليست من عند الله، واستكبرت عن الإيمان بها، وبذلك كنت في عداد الكافرين.

قال ابن جريج الطبري: (ثني قد جاءتك آياتي) يقول: (قد جاءتك حجيجي من بين رسول أرسله إليك وكتب أنزلته تلقي عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير فكذبت) (ثني آياتي) (واستكبرت) عن قبولها واتباعها، اهـ.

فلا آية دلت على وجوب الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله - عزوجل - وحمرة الكفر بها والإعراض عن قبولها.

ومقدمه - تعالى - (ألم يأتكم رسل منك يتلون عليكم آيات ربك) ... الآية ففيها تأنيب وتقييم لجميع أصناف الكفار الداخلين جهنم من خزينة جهنم بقومهم: (ألم تأنكتم رسل منك ومن جنسكم تفهمون عنهما وتعرفون أمرهم) ويتلون عليكم آيات ربك وهي الكتب المنزلة على رسله وحجة التي بعث بها رسله إلى أمهما؟ فيقول الكافرون مجيبين لمخزنة جهنم: إن الرسل جاؤوه وبلغوه وحي الله، ولكنهم كذبوا وقَالوا ما نزل الله من شيء فحقت عليهم كلمة العذاب وهي حكم الله عليهم بالشقاء وأنهم من أهل جهنم بسوء اختيارهم وشنيع فعلهم الذي فعلوه في بني إسرائيل جزء من أنبيائهم فالتوراة دلت دلالة قاطعة على وجوب الإيمان بكتاب الله وتحريم تكذيبها ولا شك أن من ذكى بكتب الله المنزلة على رسله وأنبيائهم فإنا كافرون الله العظيم لأنه تعالى - وربط الإيمان بالكتب بالإيمان به - سبحانه وتعالى - قال تعالى - ليس البر أن تولوا وجوههم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب، اهـ.

قال ابن كثير: (والكتاب) وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنباء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كله خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ به كله ما سواء من الكتب قبله.

---
(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 24/21.
(2) سورة البقرة آية: 187.
(3) تفسير القرآن العظيم 365/1.
فمن كذب بكتب الله المنزلة على رسوله كان من الذين اشتروا الضلالاً بالهدى.
والعذاب بالمغفرة بإرادته واختياره أعداً الله من ذلك.
وأما كيفية الإيمان بالكتب السماوية السابقة:
 فالإيمان بها يكون إجمالاً، وتفصيلاً فيجب الإيمان على التفصيل بما سماه الله منها
في القرآن الكريم، والذي سمي لنا منها في القرآن:
1- النوراة وهي الكتاب الذي أنزله الله على كليمه موسى عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: "إذ أنزلنا النوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبئون الذين أسلموا للذين هادوا والرحيقون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء" (1).
2- الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: "وقفينا على آثرهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من النوراة وآتيتنا الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من النوراة ونور ومعونة للملتتين" (2).
3- البقرة الذي أنزله الله على داوود عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: "وآتينا داوود زبوراً" (3).
4- الصفحات التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام والتي أخبر عنها بقوله - جل شأنه - "أمس نازحاً بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى" (4).
وقال تعالى: "إن هذه هي الصفح الأولى صفح إبراهيم وموسى" (5).
فهذه الكتاب يجب الإيمان بها على التفصيل.
وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل، ولم يخبرنا الله تعالى - بأسمائها وإنما جاء الخبر في كتاب الله أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها إلى قومه. قال تعالى:
"فكان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق.

(1) سورة العاديات آية: 44.
(2) سورة العاديات آية: 46.
(3) سورة الإسراء آية: 55.
(4) سورة النجم آية: 37 - 38.
(5) سورة الأعلى آية: 18 - 19.
كيفية الإيمان بالكتب السابقة

لّيحكم بين الناس فيما اختلافوا فيه (1) فالأواجب الإيمان بهذه الكتب التي لم تسم إجمالاً، ولا يجوز نسبة كتاب إلى الله - جل وعلا - لم نسبه إلى نفسه بالإخبار عنه في القرآن العظيم والسنة المطورة، كما يجب الإيمان بأن هذه الكتب نزلت من عند الله بالحق والثورة والهدى، وتوجيه الله - سبحانه - في روابه وألوهيه، وأسماه وصفاته، وما ألقى بها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر الذين يحرفون الكلم عن مواضعه بسبب ما على بقلويهم من مرض الإلحاد.

قال شارح الطحاوية مبيناً كيفية الإيمان بالكتب السابقة (وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنؤمن بما سمي الله تعالى منها في كتابه، من النساء والانجيل والزبور، ونؤمن بأن الله تعالى - سوى ذلك كتاباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى أهـ) (2).

وبالجملة فقد بين الكتاب والسنة أن الإيمان بالكتب أحد أركان الإيمان الستة. فقال تعالى: (أَاوَلَمْ نُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ عَلَهُ الْحَمْدُ وَمِنْهُ الْكِتَابُ لَا نُفَرْقُ بِيْنَهُ مِنْ رَسُولِهِ) (3) فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إلاه غيره ولا رب سواه. ويصدقون بجميع الأنبياء والرسول والكتب المنزلة من السماء على عهد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون بعض، ويئقوح بعض بقليهم عندهم صادقوه بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى يسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته (4).

وقال تعالى: (لاِيْسَ الْبَرُّ أَنْ تَولَوْا وَجُوَهَهُمْ قِبْلَ المُشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبَرُّ عِنْدَ اللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ يُلْتَقَى) (5). فجعل الله - سبحانه وتعالى - الإيمان

(1) سورة البقرة آية: 213
(2) تفسير ابن كثير 1/108.
(3) سورة البقرة آية: 285.
(4) تفسير ابن كثير 1/108.
(5) سورة البقرة آية: 177.
كيفية الإيمان بالكتب السابقة

هو الإيمان بهذه الجملة وسمي من آمن بهذه الجملة مؤمنين (1) ومن بينها الإيمان بالكتب.

ولقد أوجب الحق - سبحة - في كتاب الإيمان بجميع الكتب السماوية قال تعالى:

"يا أيها الذين آمنوا أمنوا بالله ورسوله والكتب الذي نزل على رسوله والكتب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتب ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالًا بعيدًا" (2).

إن هذه الآية وحدها كافية في الدلالة على وجوه الإيمان بكتب الله - تعالى - على وجه العمون وبالقرآن الكريم كتاب رب العالمين على وجه الخصوص وإنها أيضاً كافية في الدلالة على تحريم التكذيب بها وعدم التصديق بكل ما ورد فيها مما هو وحي لله وكلامه - سبحة - تعالى -.

وبعد أن عرفت أن الإيمان بالكتب فقد قال قال في الحديث المتفق على صحته وهو حديث جبريل وسأله النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيراً وشره" (3).

فهذه أصول اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلماء ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل" (4).

قال الحافظ: عند قوله ﷺ "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ودل الإجمال في الملائكة والكتب والرسول على الإنتهاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل، إلا من ثبت تسمية فيجب الإيمان به على التعميم وهذا الترتيب مطلق للالابة - آمن الرسول بما نزل إليه من ربه... الآية" (5). ومناسبة الترتيب المذكور، وإن كانت الاولا ترتيب بل المراد من التقدم أن الخير والرحمة من الله، ومن أعظم رحمته أن أنزل كتبه إلى عباده والمتقدم لذلك منهم الأنبياء والواسطة بين الله وبينهم الملائكة، اهـ (1).

(1) شرح الطحاوية ص 322.
(2) سورة النساء آية: 136.
(3) صحيح البخاري 18/360، صحيح مسلم 37/327.
(4) شرح الطحاوية ص 333.
(5) سورة البقرة آية: 285.
(6) الفتح 118/1.
كيفية الإيمان بالكتاب السابقة

ولا يفوتنا أن نقول هنا: إن كان الإيمان بالكتاب المنزيلة على الأنبياء السابقين قبل نبينا محمد ﷺ واجباً إلا أنه لا يجوز الأخذ بما في أيدي اليهود والنصارى لأنهم قد حرفوا كتب الله المنزيلة على أنبيائهم وذمهم الله على ذلك وتوعدهم وزجرهم(1).

ومماثلات متبني أن الإنسان مطالب بالإيمان بالكتاب السماوي السابق من حيث أنها نزلت من عند الله تعالى، وأن الإقيق لها والحكم بها كان فرضاً على الأمم التي نزلت إليها تلك الكتب، كما يجب الإيمان بأن تلك الكتب السماويةصدق بعضها بعضاً كما قال تعالى في شأن الإنجيل: مصدق لما بين يديه من النزوة (2) كما يجب على الإنسان أن يؤمن بأن من الشرائع اللاحقة ما هو ناسخ للشرائع السابقة إما جزئياً أو كلياً.

قال تعالى حكايته عن عيسى عليه السلام بأنه كان من المؤمنين بالكتوب وناسخاً لبعضها: مصدق لما بين يدي من النزوة ولاحل لكم بعض الذي حرمن عليه(3).

قال ابن كثير حول هذه الآية: فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة النزوة وهو الصحيح من القولين(4).

وقد بين تعالى أن القرآن نسخ ما في النزوة والإنجيل، قال تعالى: الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في النزوة والإنجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم(5).

(1) انظر المنهج في شعب الإيمان للحليمي 322-323.
(2) سورة المائدة: آية 46.
(3) سورة آل عمران: آية 50.
(4) تفسير القرآن العظيم 40-41.
(5) سورة الأعراف: آية 157.
المبحث الثاني
كيفية الإيمان بالقرآن

تقدم معنا فيما سبق أنه يجب على المرء أن يؤمن بأن القرآن كلام الله منزل غير
مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكمل به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على
محمد ﷺ كلامه تعالى حقيقة لا كلام غيره.

إلا أنه يجب مع هذا الإيمان الإيمان بأنه آخر الكتب السماوية، وأنه مهيمن عليها
وقد خصه الله به ميزة الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف، وجب على كل شخص أن يقر
بما فيه، ويتبعه ويتمسك به ظاهرًا وباطنًا، وأن يقوم بحقه.

قال شارح الطحاوية: وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه وذلك أمر
زائد على الإيمان بغيره من الكتب(1) وقد تميز القرآن الكريم عنصبه من الكتب المنزلة
بجزاء من أهمها:

1- أنه جمع التعاليم الربانية، وجاء مؤيدًا لما جاء في تلك الكتب السابقة من توحيد
الله عز وجل وعبادة، ووجود طاعته وجمع كل ما كان مفرقاً في تلك الكتب من
المحاسن والفضائل واجب مهيمناً عليها ورقية يقرأ ما فيها من حق، وبين ما مدخل فيها من
التقريب والتفسير. قال تعالى: (وأنزلنا إلىك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من
الكتاب ومهيمناً عليه)(2) فقد جاء بشريعة عامة لبني الإنسان فيها كل ما يحتاجون إليه، وما
يلزمهم لسعادتهم في الدنيا والآخرة، ونسع الله به جميع الشرائع العملية الخاصة بالأمم
السابقة، وأثبت الأحكام النهائية الخالدة التي تصلح لكل زمان ومكان.

(1) شرح الطحاوية ص 350
(2) سورة المائدة آية 48
كيفية الإيمان بالقرآن

فمعنى قوله تعالى في الآية السابقة (ومهيمنا عليه): أي: مؤمناً وشاهداً على ما قيبله من الكتب، وصدقًا لها يعني: يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما فيها من التحريف، والتبدل والتغيير ويحكم عليها بالنسخ أو التقريص) (1).

- القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الوحيد الذي ضمن الله حفظه وصانه من عبث البشر. قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (2) وقال تعالى: "وإن للكتاب عزيز لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد" (3) قال ابن كثير عند قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبدل" (4).

فمن أجاز أن يتمكن أحد من زيادة شيء في القرآن، أو نقصان منه، أو تحريفه، أو تبدلته، فقد كذب على الله تعالى في خبره، وأجاز وقوع الخلف فيه وذلك كفر... فصح أن من تمام الإيمان الإعراف بأن جميعه هذا، المتواتر خلفًا عن سلف لا زيادة فيه ولا نقصان" (6). ومزية الحفظ هذا للقرآن الكريم متفقة عن مزية أخرى وهي أن هذا الكتاب العظيم أنزله الله للبشرية جميعه وليس خاصًا بأمة معينة، أو قوم معينين كما كان الحال في الكتب السابقة وكان حفظه من التحريف والتغيير والتبدل الذي يحصل من البشر العابدين لكي يبقى ما تضمنه حجة قائلة على الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما الكتب السماوية الأخرى، فكانت تنزل ويوجه الكلام الذي تتضمنه إلى أمم مخصصة دون سائر الأمم وإن انتهت في أصل الدين إلا أن أحكامها وشرائعها خصت بأزمة معينة، وأقوام معينين قال تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" (7).

قال سعيد بن أبي عروبة عن قطعة قوله: "لكك جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" يقول: سبباً وسنة، والسن مختلفة، هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن

(1) انظر جامع البيان 876/1 وما بعدها، تفسير القرآن العظيم 2/586-587، فتح القيدر 2/48.
(2) سورة الحجر آية: 9.
(3) سورة فصلت آية: 42.
(4) تفسير القرآن العظيم 4/154.
(5) كتاب المنهاج في شعب الإسلام للحليمي 1/320.
(6) سورة المائدة آية: 48.
شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليلعلم من يطيعه من بعثيه والذين لا يقبل الله غيرهم. التوحيد والإخلاص الله الذي جاءت به جميع الرسول عليه السلام (1). ونذكر الشرائح التي سبقت القرآن لم يضمن الله حفظها على مدى الأزمنة كما هو الشأن في القرآن، بل أخرى سبحتها. بما طرأ على تلك الكتب من التحريف.

فعن تحريف اليهود وتغييرهم الذي أدخلوه في النوارة. قال تعالى: ﴿أنطمرون أن يؤمنوا لكم وقد كنتم فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرون من بعد ما أعقوبناهم وهم يعلمون﴾ (2) وقال تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعهم﴾ (3).

وأما عن تحريف النصارى الذي أدخلوه على الإنجيل فقد قال تعالى: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فسوا حظاً مما ذكروا به فأعرضنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف يبتئهم الله بما كانوا يصنعون يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعضون كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (4). ومن التحريفات الباطلة التي أحدثها اليهود والنصارى في دينهم ما زعمه اليهود في العزير من أنه ابن الله وما زعمهم النصارى في المسيح أنه ابن الله تعالى الله عن قولهم جميعاً علواً كبيراً.

ولقد ذكر الله في القرآن هذا الإخراج وأكلذهم فيه ولعنهم عليه. قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزرابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فلكلهم بأفعالهم يشاهدون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أن يعفوكون﴾ (5).

وقد بين الله تعالى فساد هذا المعتقد ونذره نفسه عن فقال تعالى: ﴿فقل هو الله أحد﴾ (6) الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كنوا أحد* (7).

(1) سورة البقرة آية: 106.
(2) سورة البقرة آية: 75.
(3) سورة النساء آية: 41.
(4) سورة العنكبوت آية: 14 - 15.
(5) سورة البقرة آية: 30.
(6) سورة الإخلاص.
وأخبر سبحانه بأن الرسول جميعهم بشر اختصهم الله بالوجي ومنحهم من الكمال ما يجعلهم أهلاً لتلقي الوحي وتبليغه لغيرهم من الخلق قال تعالى مخطباً رسوله الأمين ﷺ: 
قل إذا أنت من بشر ملوك يوحى إلي إما إلههم إله واحد فمن كان يرجول قا ربه فليعمل عمالاً صالحًا ولا يشرك بعبداً ربه أحداً (1). 

ومن تحريف النصارى الذي جنوه على دينهم زعم بعضهم بأن عيسى إلى قلال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ (2) وقال بعضهم بالثالوث. قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثلث ثلاثاً وما من إله إلا إله واحد﴾ (3). 

فقد بين القرآن الكريم أن هذا تحريف منهم لمعقدة الصحوية كما بين الاعتقاد الصحيح في عيسى عليه السلام وأمه. قال تعالى: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قدر خلت من قبله الرسول وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام. انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ (4). 

والحق الذي لا يقبل الجدل ولا النزاع أنه لا يوجد على وجه الدنيا بأسرها كتاب نصح نسبته إلى الخلق جعل وعلو القرآن الكريم وهذه حقيقة لا يماري فيها عاقل يدل على صحة هذه الحقيقة أذله حسية إضافة إلى ما أخبر به القرآن الكريم من التحريف الواقع في الكتب التي يدعي اليهود والنصارى نسبتها إلى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ومن هذه الأدلة: 

1- أن الكتب التي أنزلها الله قبل القرآن قد فقدت نسخها الأصلية، ولم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها. أما القرآن فإنه مازال محفوظاً، سورة وآياته وكلماته وحركاته كما ألقاه جبريل على النبي ﷺ، وكما بلغه المصطفى ﷺ لصحابته الراشدين ورضوان الله عليهم أجمعين.

2- أن تلك الكتب قد اختلط فيها كلام الله تعالى بكلام البشر من سير الأنبياء.

---

(1) سورة الكهف آية: 110.
(2) سورة المائدة آية: 72.
(3) سورة المائدة آية: 73.
(4) سورة المائدة آية: 75.
وتاريخهم وذكر تلاميذهم، واستنباطات علمائهم حتى أصبح كلام الله فيها لا يميز من كلام الأحبار والرهبان أما القرآن الكريم فإنه جميعه كلام الباري - سبحانه وتعالى - ولم يختلف به غيره من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. (1) جاء في كتاب الوفاء بأحوال المصطفى، قال أبو الوفاء علي بن عقيل: إذا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنما هو ملفق عليه، فنظر إلى كلامه كيف يمتاز عن القرآن، وتلمح ما بين الكلامين والأسلوبي ومعلوم أن كلام الإنسان يتشابه، وما للنبي صلى الله عليه وسلم كلمة تشاكل القرآن. وقال أيضاً: وعند إعجاز القرآن أنه لا يمكن أحد أن يستخرج منه آية قد أخذ منها عن كلام قد سبق فإنه ما زال الناس يكشف بعضهم عن بعض، فيقال مثلاً: المتبتى أخذ من البحترى. (2)

3 - إن تلك الكتب المنزلة على الأنبئيين السابقين ليس فيها كتاب تصبح نسبته إلى الرسول الذي ينسب إليه فليس لأي كتاب منها سنده صحيح متصلا إلى ذلك النبي حتى يوثق بنسبته إليه الفاسير الموجودة التي تسمى بالعهد القديم، ويطلقون عليها اسم "النتورة"، إنما كان تدوينها بعد موسى عليه السلام والسلام وأما القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي ثبت نسبته بصورة قطعية إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد نقل إلينا هذا القرآن بسورة وآياته وطريقة ترتيبها، وكيفية تلاوته، إلى كل عصر جاء بعد عصر نزوله بالتوتر بحيث لا يشك في أن القرآن الذي تلته هو الذي نزله الله عليه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. (3)

4 - من الأدلة على وقوع التحريف في تلك الكتب كثرة نسخها وتطاوعها واختلافها فيما اشتملت عليه من أقوال وآراء. (4)

(1) انظر مبادئ الإسلام للمودي، ص 91.
(2) الوقفة بأحوال المصطفى لأبي الجوزي، 270.
(3) انظر مبادئ الإسلام للمودي، ص 91-92.
(4) قال السيد صادق ويكفي لصحة التحليل على التحريف في الأناجيل المتناولة بيدي النصاري الآن أن أهالى أربعة اخترى من نحو سبعين نسبياً ولهذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سبة عيسى عليه السلام ومؤلفوا معرفة وفرعون أصحابهم ومعرفة على جدول قرآن المسلمين، أنسبهم أن قائم أرسطوس هو أي بولس دون سائر الحواريين، ومن الذين أعربين إلى عيسى وقد وجد في مكتبة أمحى من الآراء في باريس نسخة من إنجيل يربان، وقد طبعت "مطعمة المنار" بعد تترجمته إلى العربية وهو يختلف الأناجيل الأربعة، مخالفات كبيرة. انظر العقائد الإسلامية، ص 118.
كيفية الإيمان بالقرآن

5- وممن القرائن القوية القاطعة على وقوع التحريف في هذه الكتب ما تضمنته من العقائد الباطل، والنصوصات الفاسدة عن النبي جل عهده، وعن رسله وأتباعه عليهم الصلاة والسلام فإنه يوجد فيها تشبه الخلاق بالمخلوق، والطعن في الآباء بما يمس كرامتهم ويتناقل مع عصمتهم(1) وذلك من أعظم الأدلة وأقواءه على أن ذلك من وضع البشر الذين اتبعوا أهواءهم وعبدوا شيطانهم.

والذي نخلص إليه مما تقدم أن الإيمان بالكتب السماوية الإلهية أحد أركان الإيمان التي بنيت عليها العقيدة الإسلامية، فلا إسلام صحيح ولا إيمان شتات لأحد حتى يؤمن الإيمان الجائز بأنها نزلت من عند الله، وأنها كلامه تكلم بها حقيقية على ما يليق بجلاله، ويضاف في القرآن الكريم على ذلك أنه خاتمة الكتب والمهمين عليها، والمعجزة الخالدة، وأن كل لفهم في محفظة، ويجب الإقرار بما فيه، وابتناء أمره، واجتناب نهيه، وتصديق خبره، ورفض كل ما يخلفه، ويخالف سنة النبي ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام: (ولذي نفسي بيد أنه لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار).(1)

(1) من ذلك ما جاء في النزوة المشتقة عنهم فإن قدم جا في سفر التكوين وقال النبي الهب هو ذو الإنسان قد صار كرامة من عازفا بالخير والشر، وفيه أيضاً فخز في النبي أنه عمل الإنسان وتآلف في قلبه، ومسا جاه فيه، ولهما شرف النبي ويتناقل مع عصمتهم ما قاله من إياه عليهم السلام إنه كذاب وإن هو لوطاً خالياً بانته، وفي سفر الخروج: وعمن أن هازوناً دعا الإسرائيليين إلى عبادة العجل، وفيه سفر صموئيل الثاني: ورأوا أن داؤود زناه وفي سفر الملوك الأول: ورأوا أن سليمان عبد الأشنام إرضاءً لبعض نساءه: انظروا هذه التحريفات الفاسدة في العهد القديم، من الكتاب المقدس، ص 7، وص 10 وص 19 وص 29 وص 140 وص 498، ووص 53 وص 54. وهذه المفتيات من أقوى الأدلة وأظهرها على التحريف الذي غيرا به كتاب الله المنزل على أتباعهم.

(2) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (13/11).
الفصل الثالث

دلال السورة على وجوب الإيمان بالأنبياء والرسول

ويشمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالأنبياء السابقين.

المبحث الثالث: كيفية الإيمان بمحمد ﷺ.

المبحث الرابع: ما يجب للرسول، وما يجوز عليهم.

المبحث الخامس: موضوع الرسالات السماوية.
المبحث الأول
تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

أولاً - تعريف النبي والرسول:

النبي في اللغة: مشتق النبأ وهو الخبر قال تعالى: «عم يتساؤلون عن النبي العظيم» (1). وإنما سمى النبي نبيا لأنه نبأ، فهو نبأ يعنى أن الله أخبره وأوحي إليه قال تعالى: «قالت من أنبأك هذا قال نبأي العلم الخبير» (2)، ويعلنى كونه نبأ، فهو نبأ عن الله تعالى بأمره ووجيه قال تعالى: «نبيء عبادي أي أنا الغفور الرحيم» (3).

وقيل: «إن النبي مشتق من النبأ» وهي المكان المرتفع من الأرض، ونطق العرب للفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدي بها، والسراي بين لفظ النبي والمعنى اللغوي واضح ذلك أن النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالنبياء كما هو معلوم أشرف خلق الله وهم الأعلام التي يهتدي بها العباد فيما يكون في صلاح دينهم ونبوائهم (4).

تعريف النبي في الإصطلاح:

النبي في الإصطلاح: هو الذي ينبه الله بان يعمل بشريعة من قبله ولم يرسل إلى كفار خالفوا أمر الله ليبلغهم رسالة من الله إليهم وقد يوحى إليه وحى خاص في قصة معينة فالنبياء يأثنيهم وحى من الله بما يفعلونه وآمر به المؤمنين بهم (5).

(1) سورة النبأ: 1-2
(2) سورة التحرير: 3
(3) سورة الحجر: 49
(4) الصحيح لجمير 6/250، لسان العرب 15/302، المصحاب المنبر 2/91.
(5) كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 250، طب دار القلم بيروت - لبنان.

مباحث العقيدة م 30
وأما تعريف الرسول في اللغة:
فالرسول في اللغة: هو التوجه(1) فإذا بعثت شخصاً في القيام بمهمة ما فهو يرسولك.
قال تعالى: حكايته عن ملكة مسأ (إلى مرسلة إلىهم بهديه فناظرة بما يرجع
الرسل: إنا نسوا بذلك لأنهم وجهوا من قبل البابي جل وعلا - قال تعالى:)
(33) قال ابن عباس: "يتبع بعضهم بعضًا". (4) فهذا تعالى إلى
رسل يinherits مميزة وكلفهم بحملها وأمرهم بتتبعيها إلى الناس.

تعريف الرسول في الإصلاح:
الرسول في الإصلاح: هو الذي يتبع الله، ثم يأمره بأن يبلغ رسالته من خلف أمره
كونه فقد ثبت في الصحيح أن أول رسول بعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أثباء كثيـث
وادرس وقبلهما أيام كان نبياً ومكلماً(5).

ثانياً - الفرق بين النبي والرسول:
لا يصح قول من يقول أنه لا فرق بين النبي والرسول، إذ القرآن شاهد بعدم صحة
هذا القول حيث ورد في كتاب الله العزيز عطف النبي على الرسول قال - تعالى - (وما
أرسلنا من قبل من رسول ولا نبي إلا إذا تمى ألقى الشيطان في أميته). (1) وأيضاً رشد
الله تعالى - بعض الرسول بالبنوة والرسالة وهذا يدل على أن الرسالة أمر زائد على البوتـ
كقوله - تعالى - في شأن موسى عليه الصلاة والسلام: (وأذكر في الكتاب موسى إنه كان
مخلصاً وكان رسولًا نبياً). (7)

والذي يشاع عند أهل العلم أن الرسول أعم من النبي: قال شارح الطحاوية بعد أن

(1) لسان العرب 11/43 واتعثر الصاحب للمجردي 170/9, المصاح منير 1/226.
(2) سورة النمل آية: 35.
(3) سورة المؤمنون آية: 44.
(4) تفسير ابن كثير 5/20.
(5) النبواءات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 255.
(6) سورة الحج آية: 51.
(7) سورة مريم آية: 52.
ذكر الفرق بين النبي والرسول. ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها فأن الناسية جزء من الرسالة إذ الرسالة تنناها النبوة وغيرها بخلاف الرسول، فإنهم لا يتولدون الأنيبى وسمعهم بل الأسر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها. هـ(1).

وأجاه في لوام الأئمة البهية في تعريف الله أنه قال: 'وهوا إخوان أوحي إليه بشعب وإن لم يؤمر بتبليغ فإنا أمرت بتبليغه فهو رسول أيضاً على المشهور فضيل النبي والرسول عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول ولا الرسول أفضل من النبي إجامة لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة على الأصح'. (2).


الأمر الثاني: روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: عرضت علي الأمه فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد... الحديث (4) فهذا الحديث دل على أن الأنيبى أمره الله بتلبغ ما أوراه إليه وأنه حصل بينهم تفاوت في الإستجابة لهم من قبل أمهم.

والتعريف الراجح هو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، حيث قال: فالنبي هو الذي بنته الله وهو الذي يبنيه الله مما ينبه الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله لليمكه رسول الله ﷺ، وأنه إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسلة فهو هى وليس رسوله. هـ(5).

(1) شرح الطحاوية ص 167.
(2) 2/1 459/050.
(3) سورة الحج آية: 52.
(4) 199/1.
(5) النباتات ص 255 وانظر تفسير الألوسي 173/17.
ومما يؤكد هذا أن بني إسرائيل كانت تسوعهم الأنبياء كلما توفي نبي بعث الله بعده نبيًا آخر كما أخبر بذلك الصادق المصدق عليه الصلاة والسلام (1). وأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى كانوا يحكمون بالتوراة قال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا النُّورَ فِيهَا هَدٍ وَنُورًا يَحْكُمُ بِهَا الْمُلُوُّونَ الذِّينَ هُدِيْنَ فِي الْأَحْيَانِ وَالرَّبَّانِيعِ يَسِيرُونَ بِهَا فَلا تَخْشَى الْأَدْمَغَةِ وَلا تَشْتَرَوْا بِآيَاتِي ثُمَّ تُقَلِّبُونَْ وَمَا يَحَكُّ بِهَا أَنْزَلَ الَّذِي مَعَ مُوسَى فَأُولَئِكَ هُمَّ الْكَافِرُونَ» (2).

وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَّا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالَ الْمَلَّاعِي لِنَبِيٍّ لِهِمْ إِبِتْ لَا مِلَكُ نِقَاطِلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هِلْ عَسِيمْ إِن كَايِبُ عَلَيْكُمْ القُتُولُ الْأُثْمَارِ؟ .. .» (الآية (3).

فالآياتان دلتان على أن النبي يوجىء إليها شيء من السماء ويجب على قومه أمرًا، وهذا لا يحدث إلا بعد أن يجب عليه التبليغ.

(1) انظر صحيح البخاري مع الفتح 495/6.
(2) سورة المائدة آية: 44.
(3) سورة البقرة آية: 242.
المبحث الثاني
كيفية الإيمان بالأنباء السابقين

قبل أن نبين كيفية الإيمان بالأنباء والمرسلين السابقين الذين بعثهم الله إلى أمهم قبل نبيتا محمد ﷺ نذكر الآيات التي جاءت في سورة «الزمر» التي دلت على وجب الإيمان بالأنباء والمرسلين مع بيان وجه دلالتها على ذلك.

قال تعالى: «ولقد أُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذينَ مِن قَبْلِكَ لَن يَشْرِكُوا لِحْبَتَكَ مِنكُمْ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ النَّافِعِينَ».

وقال تعالى: «وَأَشْرَكْتُ الْأَرْضَ بِنُورِهَا وَوَضَعْتِ الْكِتَابَ وَجَيْءَ بِالْبَيِّنَاتِ».

وقال تعالى: «فَمَا بِكُمْ رِسُولٌ مِّنْكُمْ يَلْتَوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكَ وَيَنذِرُونَكُمْ لَقَاءً يوْمَ يُقَدَّرُ الْأَيَامُ وَالْأَمَالُ وَغَيْرُهَا».

فهذه الآيات الثلاث من السورة دلت على أن الله تعالى أرسل رسولًا ونبيًا إلى جميع خلقه ليبلغوه عن ربه ما أوحياه إليهم من النور والهدى الذي يسعدهم في دنياهما وأخراهما في سبيل الإيمان بهم ووجه دلالته الآيات الثلاث على وجب الإيمان بهم تضحى بما بلي:

فالآية الأولى: هي قوله تعالى: «ولقد أُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذينَ مِن قَبْلِكَ لَن يَشْرِكُوا لِحْبَتَكَ مِنكُمْ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ النَّافِعِينَ».

فهذا الإخبار المؤكد من الله تعالى ين 받아 أُوحِي إِلَيْ نبيتا محمد ﷺ ولى من سبقة من إخوانه الأنباء والمرسلين بخطورة الشرك وأنه محبط، ومبطل لكل أعمال العبادة تليس به.

قال: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (وجيء بالنبيين) قال: "يشهدون على الأمم بأنهم بلغوه رسلات الله". (1)

وأما الآية الثالثة: وهي قوله تعالى: "فألم تأتكم رسل منكم بتلون عليهم آيات ربك؟ ففيها إخبار من المولى جل وعلا: بأن خزينة جهنم من ضمن توبهم لأصناف الكفار الداخلين جهنم توبواهم لهم بقولهم: ألم تجتمكم رسل من جنسكم وهم كمن خزّيتهم والأخذائهم وأقاموا عليهم الحج والعمرة ولكنهم كذبروهم وأنذرهم وأقاموا عليهم الحج والعمرة ولكنهم كذبروهم كما قال تعالى: "قالوا: بلى قد جاءنا نذير فكدبنا وقلنا ننزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير". (2) لهذه الآيات الثلاث المتقدمة من السورة دلت على وجوه الإيمان بالأنبياء والرسول ومعنى الإيمان بالأنبياء والرسول الاعتقاد الجامع بأن الله جل وعلا: أرسل رسلاً من البشر ليرشدوا الخلق إلى ما يهمهم في معايشتهم وعادتهم فقد أقتضت حكمة الحكم العليم أن لا يترك خلقه سدى، بل أرسل إليهم رسلاً مبشرين بتوابه ومنذرين عقابه، وقد قاموا بتبليغ ما أمرهم الله بتبلغه من تنزيه لذاته وتبني لاحكامه من أواخر ونواحي فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتقد وجوب تصديقهم في أنهم يبلغون ذلك عن الله تعالى: ويعتقد وجوب اقتداء أمهم بهم في سيرهم، وأن يتأمروا بما أсовوا به ويكفوا عما نهوا عنه.

وأن يعتقد بأنهم مؤيدون بالمعجزات الإلهية الدالة على صدق دعواهم أنهم أنبياء

الله ورسله.

(1) جامع البيان 24/33-34، تفسير ابن كثير، 8/111.
(2) سورة الملك آية: 9.
كيفية الإيمان بالأنبياء السابقين

أما كيفية الإيمان بالأنبياء والمرسلين:
فيجب الإيمان على التفصيل بعن سمى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه
ويجب الإيمان إجمالاً بمن لم يسم الله تعالى منهم فإن الله رسلًا وأنبياء لا يعلم عددهم
وأسماءهم إلا هو تعالى.

قال تعالى: (ولقد أرسلنا رسالاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
نقصص عليك) (1) وقال تعالى: (إن من أمة إلا خلقتها نذير) (2) وقال تعالى:
ولكل أمة رسول) (3) والذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم من الأنبياء والمرسلين خمسة
وعشرون هم: آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويوسف
وإسحاق، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيبوب، وشعبة، وموسى، ويهود، واليسع،
وهو الكفل، وداود، وزرميا، ورسلان، وإلياس، ويبن، وعيسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله
عليهم أجمعين.

وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: (وتلك حجتنا آتيناه إبراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم، ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلًا هدينا
ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسلامان وأيبوب ويوسف وموسى وهارون ونذكر
نجزي المحسنين وزكريا ويبن، وعيسى والياس كل من الصالحين وإسمااعيل واليسع
بوسوس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين) (4).

وورد ذكر الباقين في مواضيع متفرقة من القرآن قال تعالى: (وإلى عاد أخاههم
هوذاً) (5) وقال تعالى: (وإلي نوح أخاههم صالح) (6) وقال تعالى: (وإلى مدين
أخاهما شعيباً) (7) وقال تعالى: (إن الله أصفف على آدم ونوح) (8) وقال تعالى:

.78
.24
.87
.86
.65
.73
.85
.33
كيفية الإيمان بالأنبياء السابقين

وإسماعيل وأدريس فذا الكفف كل من الصابرين (1) وقال عزوجل محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ورحماء بينهم (2) فهؤلاء الأنبىء والرسل يجب الإيمان بهم إيماناً تفصيلاً بحيث لو عرض على إنسان واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته إذ من أنكر نبوة واحد منهم أو رسالته فهو كافر بالله العظيم، أما الأنبىء الذين لم يقصصهم الله علينا فالواجب علينا الإيمان بهم إجمالاً، وليس لأحد أن يقول نبوة أحد أورساله طالما أن القرآن لم يذكره في عداد من ورد ذكرهم من الأنبىء والرسلين ولم يأتنا الإخبار بنبوته عن طريق الرسول (3).

أولو العزم من الرسل:

ذكر كثير من العلماء أن أولي العزم من الرسل عددهم خمسة (4) وهم: محمد ﷺ وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى عليهما أفضلا الصلاة والسلام وحؤلاء الرسل جميعهم الله في آياتين من كتابه، قال تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ (4).

وقال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصي به نوحاً والذي أوجينا إليه وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه﴾ (5).

---

(1) سورة الأنبياء آية: 85.
(2) سورة الفتح آية: 29.
(3) جامع البيان 26/27، تفسير ابن كثير 1070.
(4) سورة الأحزاب آية: 7.
(5) سورة الشورى آية: 13.
المبحث الثالث
كيفية الإيمان بمحمد ﷺ

قال شارح الطحاوي رحمه الله تعالى: «وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه وتبنيه ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً». (1)

فيجيب علينا أن نؤمن بأن محمد بن عبد الله ﷺ ﷺ ﷺ نبي الله ورسوله وعبده وصيفي فله ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ يعبد صلماً ولم يشرك بالله طروفة عين. (2)

وقال ابن قدامة رحمه الله تعالى: «وومحمد رسول الله ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ خاتم النبيات وسيد المرسلين لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنوته ولا يقضي بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته، ولنا تدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمه، صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض السورود، وهو إمام النبيين و الخليفة ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ 

(1) ص 249
(2) الفقه الأكبر محق شرحه لعلي الفارسي ص 96
(3) لمعة الإعتقاد 25
(4) سورة الأحزاب آية: 60
كذلك يجب الاعتقاد الجازم بأنه عليه الصلاة والسلام إمام المتقيين الذي يقتدي به في الحير كله وأنه وحدة الجدير بأن يقتدي ويتنازل به دون سواه.

قال تعالى: "قل إن كنت تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله". (1)

ويجب الإيمان بأنه خليج الرحمن، وأن له أعلا متى محبة الله - عز وجل - فقد قال عليه الصلاة والسلام "لوكنت متخذا خليلا لانخذلت آبا بكر خليلا ولكنه أخي وصافي.W() وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا". (2) ويجب الاعتقاد الجازم بأنه عليه الصلاة والسلام موعوث إلى عامة الورى بالحق والهدى قال تعالى: "وما أرسلناك إلا كاففة للناس بشيرا ونذيرا". (3) وقد حكي الله عن الجن أنهم قالوا: "بما قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم". (4) قال شارح الطحاوية: "وكونه مبعوثاً إلى الناس كافة معلوما من دين الإسلام بالضرورة". (5)

ويجب على كل مسلم أن يقدم محبته عليه الصلاة والسلام على الوالد والولد والنفس لقوله: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ولده والناس أجمعين". (6)

ويجب الإيمان بأن الله - تعالى - أجرى على يديه معجزات باهرات، وآيات بينات إذا ألمها من يريد الحق دلت على أنها شهادة صادقة من قبل الله - عز وجل - لرسوله بأنه رسول الله حقاً. ومعجزاته كثيرة جداً ألفت فيها مؤلفات مستقلة، وتناولها علماء التوحيد والتفسير، والحديث والتاريخ، بالشرح والبيان، ومن تلك المعجزات التي دلت على صدقها ما يأتي:

1 - المعجزة العظمى:

من أعظم المعجزات التي أعطيها رسولنا - القرآن الكريم - الذي يخاطب النفوس والعقول، وهو الآية الباقية الدائمة إلى يوم الدين لا يعتريه التغيير والتبديل فإنها

---

(1) سورة آل عمران آية: 41.
(2) صحيح مسلم بشرح النووي 15/15 من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(3) سورة سبأ آية: 28.
(4) سورة الأحقاف آية: 31.
(5) شرح الطحاوية ص 178.
(6) صحيح البخاري 12/1، صحيح مسلم 27/1 من حديث أسس رضي الله عنه.
كتاب عزيز لم يأت به الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد(1). وقد
تحدى الله بهذا الكتاب أرباب الفضاحة، وقادة البلاغة من العرب، فقد كانت البلاغة
والفضاحة ووجودة القول هي بضاعتهم وقد تذكروا لمعادة دعوة الإسلام ورسول
الإسلام و لكن رغم فصاحتهم وبلاغتهم تحذوا الله عن أن يأتوا بشيء من مثله،
ولكنهم عجزوا عن ذلك قال تعالى: "إن كنت في ريب مما نزلنا عليه عهدنا فأتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداء كم من دون الله إن كنت صادقين فإن لم تفعلوا ولن يفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين".(2).

2- انشقاق القمر:

ومن المعجزات التي أبدى الله بها نبيه ﷺ انشقاق القمر فقد سأل أهل مكة الرسول
عليه الصلاة والسلام آية فانشق القمر شقيقتين حتى راؤوا حراء بينهما، وقد كان القمر حين
انشقاقه بدأاً، وقد ذكر الله هذه الآية العظيمة في كتابه فقال عز وجل: "اقتربت الساعة
وانشق القمر وإن برآ أية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر".(3)

وقد نقل العلامة ابن كثير: "إجماع المسلمين على وقوع هذه الآية، كما ذكر أنه قد
وردت أحاديث متواترة من طرق متعددة في انشقاق القمر".(4)

وقد شاهد هذه المعجزة الناس في أرجاء الجزيرة العربية، فإن أهل مكة لم يصدقوا
وقالوا: سحرنا محمد، ولكنهم استذكروا قائلين: انظروا ما يأتيكم به المسافرون فإن
محمدن لا يستطيع أن يسحر الناس جميعهم وفي اليوم الثاني سألوا من وفد إليهم، من
خارج مكة، فأخبروه أنهم قد رأوه.

وقد شاهد الناس انشقاق القمر في خارج جزيرة العرب. قال ابن كثير: "وشاهد
انشقاقه في كثير من بقاع الأرض، ويقال إنه أرى ذلك في بعض بلاد الهند، وبنى بناء في
تلك الليلة وأخذ بليلة انشقاق القمر".(5)

(1) سورة فصلت آية : 41 - 42.
(2) سورة البقرة آية : 241 - 242.
(3) سورة المرأة آية : 22 - 21.
(4) البداية والنهائية / 130.
(5) البداية والنهائية / 132.
3- تسليم الحجر:

ومن المعجزات التي أبدى الله بها نبيه ﷺ أن كان حجرًّا لمكة يسلم على النبي ﷺ قبل بعثته.

فقد روى مسلم بإسناده إلى جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف حجراً لمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إلي لأعرفه الآن".(1)

4- خمتن الجذع:

جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يخطب إلى جمع فلمما اتخذ المنبر تحول إليه فتح الجذع فأتاه فسمح يده عليه. وفي رواية أخرى عنه: فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشا(2).

5- نبع الماء من بين أصحابه:


6- نكير القليل من الطعام:

من ذلك مروى أن أسن بن مالك قال: قال أبو طلحة لأب سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجموع، فهل عندك من شيء ؟ قال: نعم فأخرجت أفراساً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها فلمت الخنز وبعضة ثم دمته تحت يدي ولائتي(4).

(1) صحيح مسلم 4/1782.
(2) صحيح البخاري مع الفتح 14/206-207.
(3) فتح الناس: أي: أسرعوا لأخذ الماء.
(4) صحيح البخاري مع الفتح 4/581.
(5) المراد منها لفت بعضه على رأسه، وبعضه على إبطه والفتح 4/609.
كيفية الإمام محمد

ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله ﷺ: "أرسلك أبو طلحة؟" فقالت: "نعم. قال: "بطلم؟" قلت: "نعم. فقال رسول الله ﷺ: "لمن معه؟" قُوموا فانطلق وانطلقت بين أبنيةهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عنديما ما نطعمهم فقالت: "الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله ﷺ: "هلسي يأ م سليم ما عندك؟ فأتت بذلك الخز فأمر به رسول الله ﷺ فقت وعصرت أم سليم عكة(1) فأتده ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء أن يقول: "ثم قال: "إئذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتى شعبوا ثم خرجوا، ثم قال: "إئذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتى شعبوا ثم خرجوا، ثم قال: "إئذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتى شعبوا ثم خرجوا، ثم قال: "إئذن لعشرة" فأكل القوم كلهم حتى شعبوا والقوم سبعون رجلًا، أو ثمانيون رجلًا(2).

7- نطق ذراع الشاة الذي قد قدم له ليأكله بأنه مسموم:

روى أبو داود بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه كان يحدث أن يهودية من أهل خير سمت شاة مصلية(3) ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ الذِّراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: "إرفعوا أيديكم" وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها فقال لها: "أسماست هذه الشاة؟" قالت: "تامة اليهودية: من أخربك؟ قال: "أخبرتي هذه التي في يدي" وهي الذراع قالت نعم قال: "فما أردت بذلك؟" قالت: "إذ كنت نبياً فلن تضرك، وإن لم تكن نبياً استرحتها منك ففعلاً عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها... الحديث. وفي رواية أخرى: عن أبي سلمة: "فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلته"(4).

8- كتب الأعداء عنه:

من ذلك أن أبا جهل حلف بالللات والعزي أنه لورأى الرسول ﷺ يصلي في

(1) العكة: إبام من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالياً والعسل. انظر الفتح 8/590.
(2) صحيح البخاري مع الفتح 1/586-587.
(3) أي: مشوي.
(4) سنن أبي داود 2/424، وانظر صحيح البخاري مع الفتح 5/230.
المسجد حيث مجامع قريش أن يطأ على رقبته، أو ليعفرن وجهه في التراب فلما رأى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ساءاً أراد أن يفعل ما أقسم عليه، فلما أقر به منه ما فاجأهم منه إلا وهو ينكس على عقبه، ويبكي يتهيم، فقيل له: ما لكي؟ فقال: إن بيني وبينه لخدفًا من نار وهولاً.

وأجنحة فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لودنامي لي لاختطفه الملائكة عضواً واعضاً" (1).

وفي معركة حنين إنهزم المسلمون وثبت الرسول -صلى الله عليه وسلم- في هذه الغزوة وأحاط الأعداء وأتىهم من كل جانب فلما رأى ذلك عليه الصلاة والسلام نزل عن بغلته، ثم قضى قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم فقال "شامت الوجوه" قال سلمة بن الأكوع: فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ماء الله عينه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين، فهزمهم الله -عز وجل- وقسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غنائمهم بين المسلمين (2).

(9) ماكان من شأن أم مبعده حين مسح بيده المباركة على ضرعها:

ومضمون هذه القصة أنه عليه الصلاة والسلام عندما خرج مهاجراً إلى المدينة هو أبو بكر وعمر بن فهيم ودليلهم عبد الله بن أريان اللنبي فسووا بخيماً أم مبعده الخزاعية، وكانت أم مبعده امرأة بزة جلدة تحتي وتجلس بفناء الخيمة فتنتمع وتستقي فسألوها هل عنهما لحم، أو لين بشرون بهما؟ فلم يجدوا عنها شيئاً من ذلك، وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، وإذا القوم مرسلون مستبون، فنظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإذا شاة في كسر خيمتي فقال: ما هذه الشاة يا أم مبعده؟ فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم قال: فهل بها من لبن؟ فقالت: هي أجهد من ذلك، قال: تأذين لي أن أحلبها؟ قالت: إن كان بها حليب فاحلها، فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها، وذكر اسم الله، ودعاه إنا لله يريضي الرهط (5) تفاجأت (6) واجتربت، فحلب فيه ثجاجتها ملاة وأرسل إليها فسقاها وسقى أصحابه فشرعوا علامة بعد نهل حتى إذا ردوا شرب

(1) صحيح مسلم 4: 125 ب حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) صحيح مسلم 3: 140 ب حديث إباس بن سلمة عن أبيه.
(3) اسمها: عائشة بنت خلف بن معد بن ربيعة بن أصرم "البداية وال نهاية" 3:3/209.
(4) أي: يبيع الجماعة حتى يرضوا.
(5) أي: فرقت بين رجلها.
أخرهم وقال: «ساقق القوم آخرهم» ثم حلب فيه ثانياً عدوأً على بدء غادره عندهم ثم ارتحلوها(1).

10 - استجابية الله - سبحانه - لدعائه على الصلاة والسلام:
من ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشروكة فدعتها يومًا فأسمعني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبياً قلت: يا رسول الله إنني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فلما علمت فدعتها اليوم فأسمعني فيه ما أكره، فدع الله أن يهدى أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ: «للهم أهدى أم أبي هريرة» فخرجت مستشارًا بدعاء نبي الله ﷺ، فلم تاجت فصمت إلى الباب فإذا هو مجاوم(2) فسمعته أمي خشيت(3) قدمت قالت: مكانك يا أبي هريرة، وسمعته خضعة(4) قالت: يا أبي أهريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله قال فجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح قالت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتكم وهدى أم أبي هريرة محمد الله وآثى عليه وقال خيراً ... الحديث(6).

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام إخباره بالمغيبات التي وقعت كما أخبر بها ﷺ، وكذلك عصمه من القتل فقد عصمه الله من أعدائه وهم الجمع الغفير، والعدد الكثير وهم على أنتم حتى عليه، وأشد طلب نفسه، وهو بينهم مسترسل ولهم مخالط ومكث، ترميه أصابهم شداً، وترتد عنه أديهم ذرعاً، وقد هاجر عنه أصحابه حذراً حتى استكلل مدة في ثلاث عشرة سنة، ثم خرج عنهم سليماً لم يكلم في نفس ولا جسد، وما كان ذاك إلا بعصمه إلهية وعدده الله تعالى بها فحققها حيث يقول: «وَللهِ بعصمك من الناس»(7) فعصمهم منهم(7) معجزاته عليه الصلاة وسلام كثيرة.
قد لا نستطيع إحصاءها ها هنا وإنما ذكرنا ما تقدم منها كنماذج فقط، والآ
فمعجزاته الحسية جاءت بها أخبار كثيرة بعضها متواتر، وكثير منها مشهور وهي
في جملتها تفيد العلم البقعي بوقوع تلك المعجزات أولاً: وبصدقه ثانياًٍ۝(١)
وللعلماء في معجزاته تصنيف مستقلاتث(٢).

(١) انظر الوفاء بأحوال المصطفى ٣٣٩/١.
(٢) مثل "دليل النبوة للبهقى"، "دليل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني"، "أعلام النبوة للمساودي"، "شمائل
الرسول"، لابن كثير.
المبحث الرابع
ما يجوز للرسول، وما يجوز عليهم

أولاً - ما يجوز للرسول:

لقد دلت السورة على وجوب تصديق الأنبياء والرسول وحذرت أشد تحذير من تكذيبهم فيما جاؤوا به عن الله تعالى - وجعلت تكذيبهم أبلغ النهاية في الظلم ويبين أن جزاء من يفعل ذلك أن النار مسكنه ومأواه إذ هو من عداد الكافرين.

قال تعالى: «فمن أظلم ممن كذب على الله وكتب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم منوي للكافرينُ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقولون».

هاتان الآيتان من السورة دلتا على واجب واحد من الواجبات التي تجب للرسول عليه المبوعتئين إليههم وهو وجوب تصديقهم فيما أخبروا به.

فالآية الأولى دلت على أنه لا أحد أظلم ولا أعظم فرحة ممن كذب على الله بداعة أن له ولداً وصاحبة أو أنه حرم ما لم يحرم من المطاعم، ولا أحد أظلم ممن كذب بالقرآن الذي نزل على الرسول ﷺ، وابتعثه الله ﷺ رسولًا فعارض ما جاء به منكراً، يقول: «لا إله إلا الله»، ومن كذب بالقرآن وأنكر «لا إله إلا الله»، فقد كذب الرسول ﷺ، ومن كذب الرسول ﷺ فقد كذب سائر الأنبياء والرسلين إذا المرسل لهم واحد وهو الله تعالى - لغاية واحدة وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

ومن اعتقادات تكذيب الرسول ﷺ، وامتنع عن متابعته فيما يدعو إليه مما أثنا به من عند الله من التوحيد وحكم القرآن فالنار مقامه ومستقر له لأنه أكثر الكفر على الإيمان بتكذيبه رسوله ﷺ - جل وعلا - وعلى هذا دلت الآية على أن من حق المرسلين على من سواهم ممن بعثوا إليهم اعتقاد صدقهم فيما جاؤوا به من الوحي الإلهي الرباني.

مباحث العقيدة م ۳۱
وقال تعالى في شأن خليله إبراهيم عليه السلام: "وذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً" (1) وقال تعالى في شأن إسماعيل عليه السلام "فإنه كان صادق الروع وكان رسولًا نبيًا" (2) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن رسل الله وأبنائه هم أكمل البشرية صدقاً على الإطلاق، فيجب على كل مؤمن ومؤمنة احترام صدق جميع أبناء الله ورسله، ويجب الإعتقاد الجائز أنهم أدوا الأداء، وبلغوا الرسالة على وجه الأكمل وبيتاً وبيتاً واضحاً شافياً كافياً. لا حاجة إلى بيان سوء، يجيب على العباد طاعتهم وعدم مخالفتهم لأن ذلك من طاعة الله، وأنهم أكمل البرية خلقاً وعملًا وأنهم مختصرون بفضائل لا يصل إليها أحد سواهم، وأنهم معصمون من الكذب والخيانة والكتمان والقصص في التبليغ وعن الكبائر كلها دون الصغر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "القول بأن الأبناء معصومون من الكبائر دون الصغر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن المديني أن هذا القول قول أكثر الأشعري وهو أيضاً قول أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم ينكر عن السلف والأئمة والصحاباء والتابعين وتابعهم إلا ما يوافق هذا القول..." (3).

ويجب الإيمان بأن جميع الأباء والرسولين كانوا رجالاً من بني آدم وليسوا من

1. سورة بس آية: 52.
2. سورة مريم آية: 41.
3. سورة مريم آية: 54.
4. مجموع الفتاوى 4/319.
ما يجب للرسول، وما يجعل عليهم
الملاكية ولم يبعث الله أنثى قط. قال تعالى: (وَمَا أُرِسِلْنَا مِن قَبْلِ إِلَّا رَجُالٌ نَّوْحِي
eلهم) (1) وقد دعا القرآن الكريم إلى الإيمان بالرسول وحذر من الكفر بهم، أو التفرق بينهم.

قال تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنَّا بِالله وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نُزِلَ عَلَيْهِ) (2) وقال تعالى: (أَمِنَ الرَّسُولِ بِمَا نُزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمِنٌ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكَتِبَهُ وَرَسُولِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ) (3) وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالله وَرَسُولِهِ وَيَقْرُونَ نَظَرِيْنَ بِبَعْضِهَا وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ وَيَرْبُدُونَ أَنْ تَخْضَعُوا بِذَلِكَ سَبِيلَ أَوْلَدُكُمْ مِنكُمْ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأُعْتَدَّنَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مهِينًا) (4) فهَذَهُ الْآيَةُ فِي هَذَا الْوَعْدُ الشَّدِيدُ لِلْكَافِرِينَ بِالله وَرَسُولِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّاسِرِيْنَ حِيْثَ فَرْقَ بَيْنَ الله وَرَسُولِهِ فِي الإِيْمَانِ فَاْمَنَّا لِبَعْضِ الْأَنْبِيَاء وَكَفُرُوا بِبَعْضِ مَجْهِدِ النْشَهِيِّ العَادِيْةِ وَمَا أَلْفَوْا عَلَيْهِمْ لَا عَلَى دِيْلٍ قَادَهُمْ إِلَى ذَلِكَ بِالْمَجْهِدِ النْشَهِيِّ العَادِيِّةِ فَالْيَهَوْدِ عَلَيْهِمْ لِعَائُنَ اَلله آمَنَّا بِالْأَنْبِيَاءِ إِلَّا عِيسِيٍّ وَمُحَمَّدٍ لَعْبَـهُمْ . . . .

الصلاة والسلام، وَالنَّاسِرَيْنَ آمَنُوا بالِأَنْبِيَاءَ وَكَفُرُوا بِخَاتَمِهِمْ وَأَشْرَفَهِمْ محمَّدٌ ﷺ.

والمقصود أن من كفر بني من الأنباء فقد كفر بسائر الأنباء فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبرته للمحض أو العصبية أو الشهي تبين أن إيمانه مع أن آمن به من الأنباء ليس إيمانًا شرعيةً، إنما هو عن غرور وسُوء وعُصْبَيَةٌ) (5) فنَّمَ آمِن بِبَعْضِ الرَّسُولِ وَكَفَرُ بِبَعْضِهُمْ أَوْ كَفَرُ بِمَا غَيْرَ عَلَى وَضُوح كَفْرِهِ لَأَنَّ كَفَرَهُ بِالرَّسُولِ كَفْرَ بِاللَّهِ تعَالَى.

ثانيًا - ما يجعل عليهم:
قال تعالى: (إِنَّكَ مِتُونَ وَإِنَّهمْ مِيتُونَ).

هذه الآية إخبار مؤكد من الله - تعالى لنبأ أن به سيموت عن قريب وأن

(1) سورة الأنبياء آية 7.
(2) سورة النساء آية 136.
(3) سورة البقرة آية 285.
(4) سورة النساء آية 150-160.
(5) تفسير ابن كثير 425.
المكذبين به من قومه والمؤمنين منهم ميتون كذلك، وإذا كان أشرف الخلق وأفهم إلى
الله تعالى - قد ذاق الموت فكذلك غير من إخوانه الأنبياء والرسول قد ذاقوه من قبله.
 قال عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى - "هذه الآية من الآيات التي استشهد بها
الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موتهم مع قوله - عز وجل -
"وأما محمد إلا رسول قدلخت من قبله الرسول أفنين مات أوقتل اقتبس على أعقابكم ومن
ينقلب على عقيبه فلن يضر الله شيئاً وسيجري الله الشاكرين" ومعنى هذه الآية أنكم
ستنفخون من هذه الدار لا محلالة وستنجمون عند الله تعالى - في السداد الآخرة
وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل
بينكم"(1).

وهذه الآية دلت على أن الرسول يموتون ويقتلون كما يموت غيرهم من الخلق
ويقتلون.

قال تعالى: "وسألنا لبشر من قبلك الخلد أفتأت من فهم الخالدون"(2) قال ابن
جرير رحمه الله - تعالى - "يقول تعالى ذكره: لبني محمد ﷺ: وما خلدنا أحداً من بنى آدم
يا محمد قبلك في الدنيا فخِلدت فيها ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك من رسلنا
أ. ه."

"وكونه قد ذاق الموت الأول التي هي موت الدنيا لا ينافي حيائه البرزخية حيث
أخبرنا الله تعالى - في كتابه بأن الشهداء أحياه عند ربه يرزقون ولم ينالوا ذلك إلا
بمتابعتهم وẸمانهم بهم الإيمان الصادق، وحياة الأنباء البرزخية تفق حياء الشهداء إذ هم
أفضل الخلق على الإطلاق"(4).

وروي أبداود في سنته بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه

قال: "وصلوا على فإن صالاتكم تبلغني حيث كنت"(5).

(1) تفسير القرآن العظيم 90 والأية رقم 144 من سورة آل عمران.
(2) سورة الأنبياء آية: 34.
(3) جامع البيان 24/17.
(4) فتح الباري 6: 488.
(5) 471/2.
ما يجب للرسول، وما يجوز عليهم
فالسورة ذكرت أمرًا واحدًا مما يجوز على الرسول وهو أنهم يموتون كما يموت
غيرهم من المخلوقات وهناك أمور أخرى تجوز على الرسول ذكرت في غير هذه السورة
وبعضها دلت عليها السنة المطهرة فيجب على الإنسان أن يؤمن الإمام الجازم بأن الله
- تعالى - لم يخص أنبياه ورسله بطبائع غير طبائع البشر، وإنما كان اختيارهم من الرجال
الذين يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق وينامون ويجلسون ويفضحون ولهم أزواج
وذرية وتمتدى إليهم أيدي الظلمة، ويتالهم الإضطهاد ويقتلون بغير حق ويتالمون ويصيبهم
المرض وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية بين الخلق وكل
هذه الأمور منصوص عليها في القرآن الكريم وبعضها نصت عليها السنة المطهرة.

ومن هنا يجب على المرء أن يعتقد بأن الرسول لا يملكون شيئًا من خصائص الألوهية
فليس لهم تصرف في الكون ولا يملكون أحد نفعًا ولا ضرًا وليس لهم تأثير على إرادة
الباري - سبحانه وتعالى - ولا يعلمون الغيب إلا ما أطاعهم الله عليه، وقد خصصهم - الباري
 سبحانه وتعالى - بم菏泽ات من المزايا والفضائل والأخلاق التي أهلتهم لأن يلتقيوا الوحي عن الله
 تعالى - ولقيموا بأعباء الرسالة ليكونوا الأسوة المثل والقدوة الحسنة للناس يقظدون بهم
في أمور الدين والدنيا.
المبحث الخامس
 موضوع الرسائل السماوية

لقد دلت السورة على أن موضوع رساله الأنبياء والمرسلين هو التبليغ والإنذار
وتبلغ أمهم ما أمرهم الله بتبليغه من الأوامر والنواحي التي فيها سعادة الأمم إن هم صدقا
المرسلين وآمنوا بهم، ولهم الشقاء المستمر إن هم كذبوهم وخالفوهم فيما يدعونهم إليه
من توحيد العبادة وإخلاص الدين الله وحده لا شريك له.

قال تعالى: «لهم البشري فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسن أولئك
 الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب».

وقال تعالى: «وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسول من بشر من يلبس عليكم آيات ربك
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قلوا! بل خلف كلمة العذاب على الكافرين».

فهمائنا الآيات من السورة دلنا على أن الله تعالى بعث أنبياءه ورسله ببشرين
ومبذرين ونبلغين وحين الله إلى العباد وهم الواسطة بين الله وعباده وهي الواسطة الشرعية
الحقة التي العباد بأمس الحاجة إليها وهي واسطة تبليغ أبوه إلى العباد، وما سواها من
الوسائط باطلة.

قال البشري: «لهم البشري» بالشواب على ألسنة الرسل وأعمالك عند
حضور الموت».

(1) تفسير البشري ص ٢٠٩.

وقال ابن جرير رحمه الله - تعالى: «فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنهم» يقول: جل ثناؤ لنبيه محمد ﷺ فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من

الفائنين فيتبعون أرسطوه وأهدافه وأدلةه على توحيد الله والعمل بطاعته ويتكون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد ولا يهدى إلى سداد» أ. هـ١.

وقال العلامة الشوكاني رحمة الله تعالى - عند قوله تعالى: «لهم البشري فبشر عباد» قال: «لهم البشري» بالشوب الجزيل وهو الجنة وهذه البشري إما على ألسنة الرسول أوعين حضور الموت أو عند البهث فيبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنهم» المراد بالعباد هم العموم فيدخل الموصوفون بالإجتناب والإثارة إليه دخولاً أولاً، والمعنى: يستمعون القول الحق من كتب الله وسنة رسوله فيتبعون أحسنهم أي محكمه ويعملون به.

قال السدي: «يتبعون أحسن ما يؤلون به فيعملون بما فيه، وقيل هو الرجل يسمع الحسن والصحيح فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح فلا يحدث به، وقيل: يستعمون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، وقيل يستعمون الرخص والنزائم فيتبعون العزائم ويتكون الرخص، وقيل يأخذون بالعنف ويتكون العقوبة، ثم أثني - سببانه - على هؤلاء المذكورين فقال: أولاً الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب» أي: هم الذين أوصلهم الله إلى الحق وهم أصحاب العقول الصحيحة لأنهم الذين اتبعوا بعقلهم ولم ينفعهم من عداهم بعقلهم» أ. هـ٢.

وقدوة الرسول إلى الله - جل وعلا - دائماً تقترب بالبشير والإذار، لأن ارتباط دعوته بالبشير والإذار وثق جداً، فقد قصر - القرآن الكريم - مهمة الرسول عليهما في بعض آياته: قال تعالى: «وما نرسل المرسلين إلا من شرين ومنذرين»، وقد ضرب الرسول لنفسه مثلًا في هذا فقال: «مثلًا مثل ما يبعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش يعبني، وإني أنا النذير العربان فانلحدوا النجاة، فأنجبت طائفة من قومه فأتدرجوها، ولاتطلقوا على مهلهم فنجوا، وكدفعته طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم»، فصحيحهم

---
(1) جامع البيان ٢٣/٢٠٦/٢٠٠٦
(2) فتح القدر ٤٤/٢٠٦
(3) سورة الكهف آية ٦٥
الجيش، فأهللكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق(1).

وتبشر الرسول عليهم الصلاة والسلام وإنذارهم ديني وآخروي، فهم في الدنيا يشرون الطائعين بالحياء الطيبة (من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجيئه حياة طيبة) (2) فمن أتبع هدى فلا يضل ولا يشبى (3). ويعدونهم بالتمكين في الأرض وتبدل خوفهم أمناً (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتدى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئًا) (4).

أما العصاة من الخلق فإن الرسول يخوفهم بالشفاء الدنيوي قال تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن عزيمة ضنكاء) (5) كما يحذرهم الظلم والهلاك الدنيوي. قال تعالى: (إلا وإن أعرضوا فلنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) (6).

أما بالنسبة الأخرى فإنهم يشرون الطائعين بالجنة ونعيهم قال تعالى: (ومن يطيع الله ورسوله يدخله جنت يجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) (7).

وأما المجرمون والعصاة فإنهم يخوفهم عذاب الله في الآخرة قال تعالى: (ومن يعص الله ورسوله ويعد حدوده يدخله ناراً أخالداً فيها وله عذاب مهين) (8).

وعندما يتأمل الإنسان دعوة الرسول يجد أنها قد صطبغت بالتبشير والإنذار، والذي يظهر أن التبشير والإذار على النحو الذي جاء به الرسول من أعظم الأسباب لفتح النفس الإنسانية، وإقبالاً على الخير، لأن النفس مطبوعة على طالب الخير لذاته، ودفع الشر.

(1) صحيح البخاري مع الفتح 13/160 من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(2) سورة النحل آية: 97.
(3) سورة طه آية: 133.
(4) سورة التوبة آية: 55.
(5) سورة البقرة آية: 124.
(6) سورة فصلت آية: 13.
(7) سورة النساء آية: 117.
(8) سورة النساء آية: 14.
وعنها، فقد أرسل الله الرسول ليصيروا النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل الخير، وعندما تبين الرسول عليهم الصلاة والسلام الأضرار العظيمة التي تلحق بالنفوس من وراء الكفر والضلالة فإنها تهرب من هذه الأعمال المشقية.

ومما تقدم يتضح أن موضوع الرسائل السماوية التي أرسل الله بها الرسول عليهم الصلاة والسلام هو التبشير والإنذار يشيرون المدعوين برضوان الله وشراها وجنته إن هم آمنوا بالله وصدقوا رسله.

والإنذار للمعاندين الكافرين بالله ورسله بغضب الله وسخطه قال تعالى:

(1) "رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسول".

أما دعوة الرسول فإنها كانت إلى غرض أساسي واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى:

(2) "ولقد بعثنا في كل أمة رسولأ أن أعبدوا الله واجتنبو الطاغوت".

(1) سورة النساء آية: 165.
(2) سورة النحل آية: 36.
الفصل الرابع

دليلة السورة على وجب الإيمان بالقدر

ويشمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر ومعنى الإيمان به.

المبحث الثاني: بيان المبتدعة الذين نازعوا في القدر والردد عليهم.

المبحث الثالث: مراتب القدر.

المبحث الرابع: ما يتعلق بالهدية والضلال.
المبحث الأول
تعريف القضاء والقدر ومعنى الإيمان به

القضاء في اللغة:

قال: قضى يقضي قضى فأحرق قضاً إذا حكم وفصل. وقضاء الشيء إحكامه وإمضاءه
والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق.

وقال الأذهباء: "القضاء في اللغة: على وجه وجهها إلى انقطاع الشيء وتساميه,
وكل ما أحكم عمله أو أتم، أو أخذ، أو أدى، أو أوجب، أو أعلم، أو أفنى، أو أمضى
فإنه قضى. قال: وقد جاءت هذه الرجوع كلها في الحديث، ومنه القضاء المقرر بالقدر،
والمراد بالقدر التقدير والقضاء الخلق. كقوله تعالى في فقهاء (سماوات) (1) أي:
خلق فقهاء، فقال: القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة
الأصل، وهو القضاء والآخر بمنزلة الباء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم
الباء ونقضه. (2)

وأما تعريف القضاء شرعاً:

فهوا إخادة الله الإزالية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال. (3)

---

(1) سورة فصلت آية: 12.
(2) اللسان 185/15.
(3) لواقع الأندو البهية 245/1.
وأما تعريف القدر في اللغة:

«فهو تحريك الدال وتسكن مصدر، يفتح الدال مخفقة ـ إذا أحفظت بمقداره.
وألف فيه وفي القضاء عوض عن مضاف إليه أي: تقديري الله تعالى ـ لذلك" (1).

وأما تعريف القدر اصطلاحاً:

فقد عرفه بعضهم: بأنه "تحديده تعالى ـ أزلًا مخلوق بحده الذي يوجد به من حسن وقيق، وينفع وضر وحبوه من زمان ومكان، وما يترتب عليه من طاعة وعصيان وثواب وعقاب وغرمان.

وأيضاً بعضهم: بأن "يهيج الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها بطرق ما بسبيق العلم وغيرون العلم" (2). ثم من العلماء من فرق بين القضاء والقدر ومنهم من اعتبرهما شيئًا واحدًا. قال ابن بطال: "عند شرحه لتعود النبي ﷺ من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء" (3) والمراد بالقضاء هنا المقصى لأن حكم الله كله حين لا سوا فيه" ثم قال الحافظ وقال غيره: "القضاء: الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل. والقدر: الحكم بواقع الجزيئات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل" (4).

وقال الخطابي: "قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر من الله تعالى القضاء والقضاء.
معنى الإجبار، والقرر للعيد على ما قضاه وقدره، ويتوهم أن قوله ﷺ "فجح آدم موسى" (5) من هذا الوجه، وليس كذلك، وإنما معناه الإجبار على تقديم علم الله تعالى فيما يكون من أفعال العباد إ:textual_removal

(1) لوقع الأدوار البهية 1/345
(2) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة. انظر فتح الباري 147/11
(3) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة. انظر فتح الباري 148/11
(4) رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة. انظر فتح الباري 505/11
تعريف القضاء والقدر ومعنى الإيان به

قال: والقضاء: معناه في هذا الخلق كقوله تعالى: "فقضاه سبع سماوات في يومين" (1)
أي: خلقهم، وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وآثرتموه، ومباشرتهم تلك الأمور، وملاستهم إياها عن قصد وتمعده وتقديم إرادة واختيار والحجة إنما تلزمهم بها واللائمة تلقيهم عليها قال: وجمعا القول في هذا أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقسهاء" (2).
فمن جعل للقضاء والقدر تعريفا واحداً كابن بطال والخطابي فمعنى، "هو النظام المتقن الذي وضعه الله لهذا الكون عليه وسفله والقوانين العامة، والسنن التي ربط بها الأسباب بسبقاتها وهذا المعنى: هو الذي وردت به الكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى "كل شيء عنه بمقدار" (3)، وقاله - جل شأنه - "وإن من شيء إلا عندنا خزائه وما ننزله إلا بقدر معلوم" (4).
وقوله تعالى: "إنا كل شيء خلقنا بقدر" (5). قال قتادة: سألت سعيد بن المسيب عن القدر فقال: "ما قدر الله فهو قدر" (6).
وقال أجاب الإمام أحمد حين سأل عن القدر فقال: "القدر قدرة الله تعالى" وقال ابن قيم معلقا على تعريف الإمام أحمد: "واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جداً وقال هذا يدل على دقة علم أحمد وتحريه في معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفا فإن إنكار القدر إنكار قدرة الله على خلق أعمال العباد وكتابها وتقديرها وسلف القدرية كانون يكرون علمه بها، وهو الذين أتفق سلف الأمة على تكديرهم" (7).
وفي الحقيقة أن تعريف الإمام أحمد السابق جامع لمدلول القدر فالإمام أحمد رحمه الله تعالى يقتضى أن القدر هو ما قرره سبحانه بقوله تعالى "قل إن الأمر كله الله" (8).
وقوله: "بهذه ملكوت كل شيء" (9).
وقوله: "يبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذن" (10).
غير ذلك من الآيات التي

(1) سورة فصلت آية: 12.
(2) معالم السنن شرح سن أبي داوود 747 - 777/671 - 687، وانظر لوعة الأنوار 1/121.
(3) سورة الرعد آية: 8.
(4) سورة الحجر آية: 21.
(5) سورة الفصل آية: 49.
(6) ذكرت عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ص 117.
(7) شافع الجليل ص 17 وانظر توضيح المقاصد وتصحيح الفوائد 1/257.
(8) سورة آل عمران آية: 154.
(9) سورة يس آية: 13.
(10) سورة يونس آية: 3.
تدل على أنه لا يحدث شيء في هذا الكون إلا بإرادته تعالى ومشيئة.

قال الطحاوي: «وكل شيء يجري بتقديره ومشيته، ومشيته تنفذ لمشية العباد، إلا ما شاء الله فما شاء لهم، كما لم يشأ لم يكن. لا راز لفضائه ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره» (1). ومن هذا نتضح ما يفهم عن الإيمان بالقدر. فالإيمان بالقدر هو أن يصدق الإنسان تصديقاً جازماً بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدرته وأنه سبحانه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا إذا وراده، ولا يخرج شيء عن مشيته وليس في الموجود شيء خارج عن تقديره ولا محبوب لأحد إلا ما ورد قدره الله، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ وأنه تعالى هو الخالق لأفعال عباده كلها من طاعات ومعاصي، ومع ذلك فقد أمرهم سبحانه أنونها مجعلهم مختارين لجميع أفعالهم وليسووا مجبورين عليها بل تحصل منهم بقدرتهم وإرادتهم يهدي من يشاء برحمته، ويسأل من يشاء بحكمه لا يسأل عما يفعل، وهو يسألون.

قال الشيخ الإسلام ابن تيمية:

الإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تنقسم شيئين:

فالدرجة الأولى:

الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أولاً وأبدأ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرازق والأجئ ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقدار الخلق فأول ما خلق لله القلم قال له: أكتب! قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن لطخلته، وما أخطته لم يكن ليصيبه جفت الأعلام وطروحت الصحف كما قال تعالى: «لم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض» (2) في كتاب من قبل أن نبرأه إن ذلك على الله يسبر» (3). ولهذا التقدير التالى لعلمه سبحانه يتكون في مواضع جملة وتفصيل، فقد كتب في

(1) شرح الطحاوي ص 153.
(2) سورة الحج آية: 20.
(3) سورة الحديد آية: 22.
تعريف القضاء والقدر ومعنى الإيمان به

اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه ببث إليه ملكاً فيمر
بأربع كلمات فيقال له أكب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك، وهذا التقدير قد
ينكره غلاة القدرية قديماً ومتكروه اليوم قليلاً.

وأما الدقة الثانية:

فيه مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم
يكن لأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله — سبحانه —
لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه — سبحانه — على كل شيء قدير من الموجودات
والمعصومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه لا خالق غيره ولا رب
سواه ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعة وطاعة رسوله ونهواهم عن معصيته، وهو — سبحانه —
يحب المتقين ومحسنين والمقطعين ويرضى عن الذين أمنوا وعملوا الصالحات ولا
يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر
ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن، والكافر
والبر والفاجر والصريح والصائم والعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم
وقدرتهم وإرادتهم) (1).

فشيخ الإسلام رحمه الله تعالى — آباه لنا الكيفية المطلوبة في الإيمان بالقدر بل إنه
أوجز لنا القدر كله بمرادبه الأربع في هذه العبارات القليلة وهذه الكيفية التي ذكرها هي
الواجب المطلوب من الإنسان من حيث إيمانه بالقدر وكيفيته.

(1) العقيدة الواسطة مع شرحها للد. محمد خليل هراس ص 130-136.

مابحث العقيدة م 22
المبحث الثاني
بيان المبتدعة الذين نازعوا في القدر والرد عليهم

إن إنيك القدر الذي هو أحد أركان الإيمان السبع التي لا يصح لأحد إيمان حتى يؤمن بها كلها أشتهرت بإنيكاء إحدى الفرق الزائفة وتسمى فرقة القدرية (1).

والكلام في القدر وتعلق أفعال العباد بمشيئته سبحانه من المسائل التي كان لها وجود قبل ظهور الإسلام كما أخبرنا الله بذلك في كتابه المبين عن كفار قريش ومن سبقهم من مشركي الأمم أن ينسبون شركهم وما هم عليه من المعاصي إلى مشيئته جل وعلا.

قال تعالى: وقول الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حمرنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين (2).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى - حول هذه الآية «يخرى تعالي - عن اغتزال المشركين بما هم فيه من الإشراف واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حمرنا من دونه من شيء أي من الباحث والسوائب والموضر وغير ذلك مما كانوا ابتدأوه واعترفوه من تلقؤ أنفسهم ما لم ينزل به سلطاننا ومضمون كلهم أنه لو كان تعالى كارها لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة وما كنتنا منه، قال تعالى - راداً عليهم شبههم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لم يتكره عليهم بل قد أنكره عليهم أشد الإنصرار نهانم عن أشد النهي، وبعث في كل أمة في كل قرن وطائفة من الناس رسولًا، وكلهم يدعون إلى عبادة الله، وينهون عن عبادة ما سواه.

(1) القدرية: اسم أطلقه أهل السنة والجماعة على الزراعين بأنهم الفاعلون لأعمالهم دون البالي سبحانه وdock
(2) وردت أثار كثيرة تصفهم بأنهم مجيبين هذه الآية. انظر مصنف أبي داود 24/244، الاحتجاج بالقدر ص 86 - 87، شفاء العليل ص 49، لزائع الأئمة 1/360.
(3) سورة النحل آية 35.
بيان المبتعدة الذين نازعوا في القدر والرد عليهم

أن أعبدوا الله واجتنيوا الطاغوت ۱ فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسول بذلك
منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح وكان أول رسول بعثه الله
إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ۲ الذي طبى دعوته الإنس والجن في المشارق
المغارب وكلهم كما قال الله تعالى ۳ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه
لا إله إلا أنا فاعبدون ۴ وقوله تعالى ۵ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون ۶.

وقال تعالى ۷ ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن أعبدوا الله واجتنيوا الطاغوت.
فكيف يسوغ لأحد من المنفردون بعد هذا أن يقول: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من
شيء ۸ فمتى كشفت جبيل عليه السلام من متناقضاتهم؟ لأنه نهى عن ذلك على ألسنة رسوله
وأما مشيئته الكونية فهي تمكينهم من ذلك قدرًا فلا حجة لهم فيها، لأنه تعالى خلق النار
وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله في ذلك حجة بالغة، وحكمه
قاطعة ۹.

وبهذا يتبنى بطلان احتجاج المشركين بالقدر على ما هم واقعون فيه من الكفر
المعاصي والإشراف بالله تعالى - تعالى - وأنه لا حجة لهم فيه لانفاء الإرادات الشرعية عنهم
ولذلك نهى الله تعالى عن طريق الرسول.

وروي مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله تعالى - عنه قال: جاء
مشركون قريش إلى النبي ۱۰ يحاصمونه في القردر فنزلتFiوم يسجبون في النار على
وجوههم دوقين مس سقر ۱۱ إنا كأصل شيء خلقناه بقدر ۱۲ وعلى عهد رسول الله ۱۳ حصل
بعض الخصم في القدر بين بعض الصحابة رضي الله عنهم فصادف مجيء النبي ۱۴ وهم

۱ سوره النحل آية: ۳۶.
۲ سورة الأنيس آية: ۲۵.
۳ سورة الزخرف آية: ۴۵.
۴ سورة النحل آية: ۳۵.
۵ التعبير بالمفهوم عن الإرادات الدينية الشرعية لم يرد في الكتاب والسنة، بل المشيئة لم تأت إلا كونية قدرية
بخلاف لفظ الإرادات فإنه جاء للمعنى الشرعي والمفهوم القدري.
۶ تفسير ابن كثير ۱۹۴/۱۸۴۴/۱۹۳.
۷ انظر صحيح مسلم بشرح النووي ۱۶ والآيات من سورة القمر: ۴۱-۴۹.
يختصمون فاحم ووجهه غضباً لذلك فقال: "بهذا أمرت أولاً لهذا حلفت تضربن القرآن بعضه البعض بهذا هلكت الأمم قبلكم" (1).

فانتهى الصحابة عن ذلك، فلم يعودوا لمثل ذلك قط.

ولم يظهر القول في القدر إلا بعد مضي نصف القرن الأول على وجه الترتيب. فأثار القول في رجل يدعى "معبد الجهني". وقد تلقى هذا القول الباطل المخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة في إثبات القدر عن أحد التصاريح كان قد أسلم، ثم ارتد إلى النصرانية. فقام تلميذه "معبد الجهني" بشؤره قومه بين الناس.

روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى بحبي بن عمير أنه قال: (كان أول من قال في القدر بالبصرة "معبد الجهني" فانطلق آنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقالنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عن القول فهؤلاء في القدر فوافق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفت أنا وصاحب أحدها عن بعثته، والآخر عن شماله فظنننا أن صاحبنا سيرك الكلام إلى فقلاً: ابا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤن القرآن ويتفسرون العلم وذكر من شأنهم، وأنه يزعمون أن لا قدوان الأمر "أنف" قال: فإذا قلت أولئك فأخبرهم أن بري من أنهم يتأهوهم، وابن بني رملي، وذبحه على الله بن عمر بن لودوان لأحدهم مثل أحمد ذهباً تأتيه ما لى يؤمن بالقدر (2).

ومما يؤكد أيضًا أن معبد تلقى القول في القدر عن أحد التصاريح قبول الأوزاعي (3) أول من نطق في القدر: رجل من أهل العراق قال له "سوسن" كان نصرانيًا فأسلم ثم تنصر فاحمه معبد الجهني وأخذ غيلان (4) عن معبد (5).

---
(1) صحيح مسلم 1/367 (انظر مجموع الفتاوى 8/450).
(2) هو غيلان بن مسلم الدمشقي أبو مروان وهو الذي نسب إليه فرقة "الغيلانية"، وهو ثانو من تكلم في القدر ودعاه إليه، ولم يصبحه في ذلك سوى معبد الجهني قال الذهبي: "خالد مسيك" انظر ميزان العدل 2/338.
(3) الأعلام 2/370.
(4) هو معبد بن عبد الله بن عريم الدين الجهني البصري أول من قال بالقدر في البصرة، سمع الحديث من ابن عباس ومدرك بن حصين وغيرهما في تحريمه، وانتقل من البصرة إلى المدينة فنفر فيها مذموعه، وعنه أخذ غيلان: المقدمة ترجع إلى: "قلت الحاجج صبراً بعد أن علمته، وقيل صبه عبد الملك بن مروان بدثق على القول في القدر، ثم قال: انظر توجهته في فهديته النضاج" 100/10، ميزان الأعطال 1/141.
(5) شرارة الذهب 1/88، البديعة، النهاية 9/44.
(6) انظر كتاب الشريعة للاجي ص 243، والللاقاني في شرح اعتقاد أهل السنة برقم 1397.
بيان المجذعة الذين نازعوا في القدر والرد عليهم

وقال ابن عون: "أدرك الناس وما يتكلمون إلا في علي وعثمان حتى نشاهد هاهنا حكراً يقال له: "مسنوده البقال"، قال: فكان أول من تكلم بالقدر (1) وذكر ابن سعد في الطبقات أن اسمه "سنديان" (2) ومذهب القدرية عند ظهوره كان هو "إن الأمر أنف" كما تقدم عند مسلم عن بحري بن يحى ومعنى "إن الأمر أنف" أي: لا يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى - وإنما يعلمه بعد وقوعه (3). فكان مذهب القدرية مبنياً على أمرين:

الأمر الأول: إنكارهم علم الله السابق بالحوادث.

الأمر الثاني: أن العبد هو الذي يوجد أفعالهم.

والقائلون بهذا القول قد انكرتهم وهلكوا فلم يبق لهم وجود. قال الحافظ: قال القرطبي وغيره: "قد انكرن هذا المذهب ولا نعرف أحداً ينسب إليه من المتآخرين. قال: والقدرية اليوم مطبقة على أن الله عالم بأفعال العبد قبل وقوعها وإنما خالفوا السلف في زعيمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعية منهم على جهة الاستقلال، وهو معه كونه مذهباً باطلًا أخف من المذهب الأول" (4).

وهذا المذهب الأخف الذي ذكره الحافظ بنته المعتزلة وحملت رابية سلفهم من بعدهم وقد شجبت فريق القائلة به وتغنت مذابها حوله.

قال الحافظ: وأما المتآخرون منهم فانكرن تعلق الإرادة بأفعال العباد فثاراً من تعلق القديم بالمحدث، وهم مخصصون بما قال الشافعي: "إن سلم القدر العلم خصم يعني: قال له: أبلغ أن يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم؟ فإن مع وافق قول أهل السنة وإن أجازه لزمه نسبة الجهل إلى الله تعالى الله عن ذلك" (5).

وحقيقة اعتقاد القدرية في نفي القدر إنما هو مضادة لنصوص الكتاب والسنة ومخالف لاجماع الأمة وقد وردت في السنة نصوص كثيرة فيها الوعيد الشديد لمن كتب

---

(1) سرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للألباني برقمه 1396.
(2) الطبقات لأبي سعد 1/264.
(3) هكذا فسره النووي في شرحه على صحيح مسلم 1/56.
(4) فتح الباري 1/119.
(5) الفتح 1/119.

لم تكن بالقدر كثيرة جداً. وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى صاحب كتاب توضيح المقاصد وتصحيح الفتاوى: بعد ساق جملة من الأحاديث التي تتضمن الوعيد للفتنة القدر: «وكل هذه الأحاديث وما في معناها، فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجة على نفوذ القدر من المعتزلة وغيرهم ومن ذهبهم تخلد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوا من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي، وفي الحقيقة إذا أعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما توارت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر فقد حكموا على أنفسهم بالخلوق في النار إن لم يتوروا، وهذا لازم لهم على ذهبهم هذا، وقد خالفوا ما توارت به أديلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار» (2). وتلك الفرصة النائفة للقدر قابلتها فرقة مضادة لها وهي فرقة غلالة القدرية وهم الجبرية الذي أخذ رايتهم الجهات بن صفوان السمرقندي، فقد زعم هو وأتباعه أنه لا إختيار لشيء من الحيوانات في شيء مما يجري عليهم فإنهم كلهم مضطرون للاستطاعة لهم بحال وأن كل من نسب فعلاً إلى أحد غير الله فسيلة سبيل المجاز، وهو بمنزلة قول الفسيلة: سقط الجدار، ودارت الرحي، وجرى الماء، وانخفضت الشمس. وهذا القول خلاف ما تجده العقلاء في أنفسهم لأن كل من رجع إلى نفسه يفرق في نفسه بين ما يرد عليه من أمر ضروري لا إختيار له فيه وبين ما يختاره ويضيفه إلى نفسه، كما أن كل عاقل يفرق بين كل حركة ضرورية كحركة المرتكش، حركة المختار، يجد العاقل في نفسه

(1) المسند 5/317، سنن أبي داوود 2/538.
(2) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد شرح قصيدة الإمام ابن القيم 1/258-259.
بيان المبدعة الذين نازعوا في القدر والرد عليهم

فرقا بينهما، ومن أشكر هذه التفرقة لم يعد من العقلاء، وكما ورد في القرآن من قوله يعملون، يعقلون، يكسبون، ويضعون حجة عليهم وكذلك قوله تعالى: "كل نفس بما كسبت رهيئة" (1) ولو لم يكن للعبد إخبار كان الخطاب معه محالا، والثواب والعقاب عنه ساقطين كالجمادات" (2) وقد رد الله تعالى على الجبر والقدرية في آية واحدة قال تعالى: "وأما رميت إذ رميت ولكن الله رمي" (3)

قال العلامة ابن القيم حول هذه الآية: "إعتقد جماعة أن المراد بالآية سلب فعل الرسول عليه السلام، وإضافته إلى الرب تعالى، وجعلوا ذلك أصلًا في الجبر وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد، وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده، وهذا غلط منهم في فهم القرآن، فلو صح ذلك لوجب جرد في جميع الأعمال، فقال ما صلت إذ صلبت، وما صمت إذ صمت، وما ضححت إذ ضححت، ولا فعلت كل فعل إذ فعلته، ولكن الله فعل فإن طردوا ذلك زمهم في جميع أفعال العباد طاعاتهم ومعاصيهم إذ لا فرق، فإن خصوهم بالرسول وحده وعبادته جميعها، أو رمي وحده، تناضوا فهؤلاء لم يوافقوا لهم ما أريد بالآية، وبعد هذه الآية نزلت في شأن رمي المشتركين يوم بدر بقضية من الحصبة، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته، ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه مبدأ الرمي وهو الحذف، من الله سبحانه وتعالى، وهو الإيضاح أن الرمي الحذف الذي هو مبؤد ونفى عنه رمي الإصال الذي هو نهاية، ونفر هذا قوله في الآية نفسها "فلم تقولوه ولكن الله قتلهم" ثم قال: "وأما رميت إذ رميت ولكن الله رمي" فأخبر أنه وحده الذي تفرده بقتله ولم يكن ذلك بكم أنتم، كما تفرده بإيصال الحبب إلى أعينهم من رسوله، ولكن وجه الإشارة بالآية: أنه سبحانه أقام أسباباً ظاهرة لدفع المشركين وتولي دفعهم وإهالهم بأسباب باطنة غير الأسباب التي تظهر للناس فكان من الهزيمة والقتل والنصرة مضافًا إليه ووه هو خير الناصرين" (4).

(1) سورة المدثر آية: 82.
(2) التفسير في الدين ص 211، الملل والتحلي 87/1.
(3) سورة الأنفال آية: 17.
(4) مدارج السالكين 476-10، وانظر التفسير القيم ص 287-288، وانظر شرح الطحاوية ص 494-495.
البحث الثالث
مراتب القدر

لقد دلت سورة «الزمر» على مراتب القدر الأربعة التي من لم يؤمن بها لم يتحقق له الإيمان بالقضاء والقدر، وتلك المراتب هي: علمـ الرب سبحانهـ بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل كونها، ومشيئته لها، وخلقهـ سبحانهـ الأعمال وتكوينه وإيجاده لها، كما تحدث عن الهداية والضلالة اللذين هما لب القدر وسببين تلك المراتب كلاً منها على حدة، كما يستحدث عن بيان الهداية والضلالة وذلذا نختم الكلام على القدر.

1 - مرتبة العلم:

لقد دلت سورة «الزمر» على إثبات علمـ الرب سبحانهـ بالأشياء قبل كونها وأنه علم ما الخلق عاملون به بعلمه القديم الموصوف به أزلاً وآباداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمحاصلي والأرزاق والأجلى كل ذلك سبق به علم الله، قال تعالى: «ثم إلى ربك مرجعكم فينبؤكم بما كنتم تعملون إني عليم بذات الصدور».

وقال تعالى: «أنعم حتى عليه كلمة العذاب أتنت نتذق من في النار».

وقال تعالى: «يرفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يعملون».

وقال تعالى: «ولكن حقه كلمة العذاب على الكافرين».

هذى الآيات الأربعة من السورة دلت على أن الله تعالى - عالِم بما يعمل العباد بعلمه القديم الذي يتصف به أزلاً وأباداً فلا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وأنه قد علم منهم الشقي والسعد، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو من أهل النار.
فوفالآيات الأولوان من هذه الآيات الأربع قد تقدم الكلام عليهما عند الحديث على إثبات صفة العلم بما أغني عن إعادته هنا. وأما الآية الثالثة فهي قوله تعالى:  "أفنم حق عليه كلمة العذاب ألتندم من النار".

فقد قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى حول هذه الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من سباق في علم الله أنه من أهل النار. وقيل: كلمة العذاب قوله: "لأمان جهنم" (1) وقيل: كلمة العذاب قوله: "هولاء في النار ولا أبالي" (2). "ألتندم من في النار" أي لا تندم عليه قال ابن عباس: يرى أبا لهب وولده، اهـ (3).

وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: "أفنم حق عليه كلمة العذاب ألتندم من في النار" يقول تعالى ذكره لنبي محمد ﷺ: ألتندم يا محمد من هو في النار من حق عليه كلمة العذاب، فأتت تنذة فاستغنى بقوله "لتندم من في النار" عن هذا . . . إلى أن قال: وإنما معنى الكلمة ألتندم تهدي يا محمد من قد سبق له في علم الله أنه من أهل النار إلى الإيمان فأتت تنذة من النار بالإيمان لست على ذلك بقادر اهـ (4).

وقال العلامة ابن كثير: "أفنم حي عليه كلمة العذاب ألتندم من في النار" يقول تعالى: "أفنم حي الله عليه أنه شقي تندم مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي لا يهديه أحد من بعد الله لأنه يضلل الله فلا هادي له ومن يهدوه فلا مضل له" اهـ (5).

وأما الآية الرابعة: وهي قوله تعالى: "ولكن حق كلمة العذاب على الكافرين".

فقد أوضحنا أن كلمة العذاب وجبت على الكافرين، وكلمة العذاب هي

(1) سورة هود آية: 119.
(2) رواه أحمد في مسنده عن حديث معاذ رضي الله عنه 5/239.
(3) تفسير البغوي على حاشية تفسير الآخزن 6/59-60.
(4) جامع البيان 27/207-208.
(5) تفسير ابن كثير 9/85. 80.
قوله: (الأملان جهنم من الجنَّة والناس أجمعين) (1) فقد وجبت كلمته تعالى - أن عذابه أهل الكفر به بسبب كفرهم وعدم قبولهم هدى الله الذي جاءهم عن طريق الرسول. قال قادة: (ولكن حق كلمة العذاب على الكافرين) بأعمالهم (2) وقال ابن كثير حول الآية: (أَلِمْ أُنفِقْ رَسْلَكَ مِنْكُمْ يَتَلُون عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيَبِدِرُونَ لَقَاءَ يوْمِكُمْ) هذا قالوا بليا ولكن حق كلمة العذاب على الكافرين أي ولكن كذبناهم وخلافناهم لمسبق من الشقَّة التي كنا نستحقها حيث عدننا عن الحق إلى الباطل (3).

وقال العلامة ابن القيم: (وكلمته سبحانه - إنما حقت عليهم بالعذاب بسبب كفرهم فحقت عليهم حجته، وكلمة عدله بعقوبته). (4)

وحاصل هذا كله: أن الله سبحانه - أمر العباد أن يكونوا مع مراة الدينين منهم لا مع مراة أنفسهم فأهل طاعته آثروا الله ومراده على مرادهم فاستحققوا كرامته وأهل ميعصيتهم أثروا مرادهم على مراده. (5)

وعلم سبحانه - منهم أنهم لا يؤثرون مراده أثرة، وإنما يؤثرون أهواءهم ومارادهم فأمرهم، ونهاهم فظهر بأمره ونهيه من القدر الذي عليهم من إيانهم هوى أنفسهم، ومارادهم على مرضة رحب ومراده، فقامت عليهم بالمعصية حجة عدله فعاقبهم بظلمهم (6) (7).

فالآيات الأربع السابقة من السورة دلت دلالة وضحة على المرتبة الأولى من مراتب القدر وهي مرتبة العلم، فيجب على الإنسان أن يؤمن بأن الله تعالى علم الأشياء كلها قبل كونها، وهذه المرتبة إنفق عليها الصحابة ومن بعهم من الأمة، وخلافهم مجوس الأمة، وكتابته تعالى - تعالى - السابقة تدل على علمه بها قبل كونها (8).

وقد كفر السلف من الصحابة ومن بعدهم من أنكر علم الله وتقدم قول ابن عمر

(1) سورة هود آية: 119.
(2) جامع البيان 24/34.
(3) تفسير ابن كثير 1/112.
(4) مدارج السالكين 1/219.
(5) شفاء العليل ص 29 بصرف.
راضي الله عنهما، والذي يحلف به عبد الله بن عمر «لوكا، وأحدهم مثل أحد ذهباً،
ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره» (1).
قال النووي: هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفيره
القدرية. قال الفاضل عباس رحمه الله: هذا في القدرية الأول الذين تقول علم
الله بالكائنات قال: والقاتلة بهذا: كافر بالخلاف، ومؤلؤ الذين يتكونون القدر هم
الفلاسفة» (2).
فقال تعالى علم أرزاق عبده وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم، وجميع حركاتهم
وسكاناتهم، وشقاوحتهم وسعادتهم، من قبل أن يخلقهم وهذا هو مقتضى اسمه العلمي
الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيب، كما قال - عز وجل - «هو الله الذي لا إله
بأ لا هو عالم الغيب والشهادة» (3) وقوله - تعالى -: «إتبعوا أن الله على كل شيء
قدير وأن الله قد أحبب بك كل شيء علماً» (4) وقوله - عز شأنه -: «إنه ربك هو أعلم
بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى» (5) وقال تعالى: «هو أعلم بكما إذ أنشأكم
من الأرض إذا أنت أجنى في بطن أمهاتكم فلا تزكرها أنفسكم هو أعلم بمن
انتقاً» (6).
والآيات في إثبات علم الله تعالى - كثيرة جداً، وأما الأحاديث فمنها ما رواه
البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل النبي
عن ذاري المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عامليين» (7).
ومن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولد إلا يولد
على القفرة فأبراه يهودانه أو ينصرانه كما تنجب البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء
(1) صحيح مسلم/ 37.
(2) شرح النووي على صحيح مسلم/ 157.
(3) سورة الحشر آية: 24.
(4) سورة الطلاق آية: 12.
(5) سورة النجم آية: 30.
(6) سورة النجم آية: 32.
(7) صحيح البخاري مع الفتح/ 493/11.
حتى تكونوا أنتم تجذبونها». قالوا: يا رسول الله فرأيت من يموت وهو صغير قال:

«الله أعلم بما كانوا عاملين»(1).

قال النووي: (وفي قوله): «الله أعلم بما كانوا عاملين» بيان لمذهب أهل الحق، أن الله علم ما كان وما يكون لو كان كيف كان يكون) اهم(2).


وروى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه قال: كنا في جماعة في بقع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس رأسه فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «ما منكم من أحد ما من نفس متفوسه إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، إلا و قد كتب شفية أو سعادة» قال رجل يا رسول الله أفلتملك على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاعة فسيصير إلى عمل أهل الشقاعة، فقال: اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاعة فيسرون لعمل أهل الشقاعة ثم قرأ: (فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى فسنينه للبشير، وأما من بخل واستغني وكتب بالحسنى فسنينه للعسرى)»(4).

ومن البخاري: (فقال رجل من القوم: ألا نتكلم يا رسول الله؟ قال: لا. إملعوا فكل ميسر ثم قرأ: (فأما من أعطي) الآية(5).

فهذه الأحاديث فيها النهي عن ترك العمل والتوكل على القدر السابق بل يجب على الإنسان أن يعمل ويأخذ بالأسباب ويحرص على ما ينفعه.

قال ابن القيم رحمه الله - تعالى: «فتأتقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن

(1) صحيح مسلم بشرح النووي 116/211.
(2) شرح النووي على صحيح مسلم 116/211.
(3) رواه البخاري منظور الفتح 491/11.
(4) انظر صحيح مسلم بشرح النووي 197/11.
(5) انظر فتح الباري 494/11.
القدرة السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الإنكال عليه بل يوجب الجهد والإجتهاد ولذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال: ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن، وهذا مما يدل على جملة فقه الصحابة ودقة أفهامهم، وصحة علومهم فإن النبي ﷺ أخبرهم بالقدرة السابق ووجيههم على الخليفة بالأسباب فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكن منه وهم، له إذا أتين بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب وكلما زاد اجتهاداً في تحصيل السبب كان حصول المقدر أدنى إليه وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فإنه لا ينال ذلك إلا بالإجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه ... فإذا علم العبد أن مصالح أخره مربطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهاداً في فعلها من القيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه وقد فقه هذا كل الفقه من قال: ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن ... فالقدر السابق معين على الأعمال وما بحث عليها ومتضيق لها لا أنه مناف لها وصادع عنها وهذا موضع مزلا قدم من ثبت قدمه فاز بالتعليم المقيم، ومن زلت قدمه عنه هو إلى قرار الجماع فذلك النبي ﷺ أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سبب السعادة:

1 - الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد.

2 - والإيذان بالأسباب التي توصل إلى خبره وتحجزه عن شره وذلك نظام الشرع فارشدهم إلى نظام التوحيد والأمر» (1).

والآيات والأحاديث الدالة على إتيان القدر واتصال الله تعالى بصفة العلم أزيد وأبداً كثيرة جداً.

2- مرتبتة الكتابة:

لقد دلت آيات الكتاب، وأحاديث السنة على أن من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، الإيمان بأن كل كائن إلى يوم القيامة قد كتبه تعالى في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقد جاء في سورة «الزمر» في شأن هذه المرتبة قوله تعالى: "أفيمن حق عليه كلمة العذاب أفئنت تنقذ من في النار؟" وقوله «ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين».

قال ابن كثير: "أفيمن حق عليه كلمة العذاب أفئنت تنقذ من في النار؟" أفيمن كتب

(1) شفاء العليل ص 25-26.
الله عليه أنه شقي تقدر تنفذه مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي لا يهدبه أحد من بعد الله لأنه من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له؛ إهـ (1).

والآيات التي دلت على مرتبة الكتاب كثيرة جداً.

قال تعالى: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يبرها عبادي الصالحين" إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين (2).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى - فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص ميزور داوود والذكر أم الكتاب الذي عند الله والأرض الدنيا وعبادة الصالحين أمة محمد (3) هذا أصح الأقوال في هذه الآية وهي علم من أعلام نبوة رسول الله فإنه أخبر بذلك بكمكة وأهل الأرض كلهم كثر أعداء له ولأصحابه والمشركين قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم وشتوهم في أطراف الأرض فأخبرهم ربه تبارك وتعالى أنه كتب في الذكر الأول إن خور الأرض من الكفار ثم كتب ذلك في الكتب التي أنزلها على رسله والكتاب قد أطلقت عليه الذكر في قول النبي في الحديث المتفق على صحته (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرضه على الماء وكتب في الذكر كل شيء) (4) فهذا هو الذكر الذي كتب أن الدنيا تشير لأمة محمد (5) إهـ (1).

قال تعالى: "فإنا نحن نحبب الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناهم في إمام مبين" (6).

فهذه الآية جمع الله فيها بين الكتابين الكتاب السابق لأعمال العباد قبل أن يوجدوا الكتاب المقارن لأعمالهم، فأخبر تعالى - أنه يحبهم بعد موتهم للبعث، ويجازيهم على أعمالهم، ونبحهم بكتابه لها على ذلك والمقصود من الآية قوله وكل شيء أحصيناهم في إمام مبين وهو اللوح المتحفو وهو أم الكتاب وهو الذكر الذي كتب الله فيه كل شيء

(1) تفسير القرآن العظيم 6/85.
(2) سورة الأنبياء آية 105-106.
(3) فتح الباري 403/13.
(4) شفاء العليل ص 39.
(5) سورة يس آية 12.
بما في ذلك أعمال العباد قبل أن يعملوها، وإحصاؤه تعالى لها يتضمن علمه بها وحفظه لها وإحاطته بعددها وإثباتها في اللوح المحفوظ(1).
وقال تعالى: "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين".(2)
وقال تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء".(3)
وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون: "فما بال القرون الأولى* قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى".(4)
وقال تعالى: "ما أصاب من مصيبه في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير".(5)
قال ابن كثير: يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال: "ما أصاب من مصيبه في الأرض ولا في أنفسكم أي في الأفاق وفي نفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها" أي: من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة.
وقال بعضهم: من قبل أن نبرأها عائد على النفس.
وقبل: عائد على المصيبة، والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها.
اء(6)
قال ابن جرير حول هذه الآية حدثي يعقوب، حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال: كنت جالساً مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى: "ما أصاب من مصيبه في الأرض... لِلِّآيَةِ فَسَأَلَهَا عِنْهَا فَقَالَ: سبحان الله ومن يشك في هذا؟ كل مصيبه بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن نبرأ النسمة.

(1) شفاء العليل ص 40.
(2) سورة هود آية: 6.
(3) سورة الأنعام آية: 38.
(4) سورة طه آية: 51.
(5) سورة الحديد آية: 22.
(6) تفسير ابن كثير 6/564.
وقال قتادة: «ما أصاب من مصيبة في الأرض» قال: هي السنون يعني الجدب.
ولا في أنفسكم يقول: الأرواح والأمراض.
قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدما ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر» اهـ. 
قال ابن كثير: وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرة نفأة العلم السابق - بقحهم الله اهـ. 
وأما قوله تعالى: «إن ذلك على الله يسير» فهو إخبار منه تعالى - بأن علمه بكل الأشياء قبل أن تكون كتابته لها على وفق وجودها في حينها سهل عليه جل علما لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون. 
وقدلت السنة على مرتبة الكتابة في أحاديث كثيرة. 
روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقال: سمحت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقدار الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء». 

(1) جامع البيان 274/27. 
(2) تفسير القرآن العظيم 6/565. 
(3) سورة الحديد آية: 27. 
(4) صحيح مسلم 444/4. 
(5) فتح الباري 403/13.
فهذ الحديث دل على أن الباري سبحانه قد كتب ما يقوله وما يفعله ولا يكون بمثابة وعلمه وقيل: مفتي أسمائه وصفاته وأثرها كلام جاهز في الحديث الذي رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إلى الله لما قضى الخلق كتب عينه فوق عرشه إن رحمتي سباقت غضبي".

وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: يا بني إنك إن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليختبرك وقرأ: أنت كثير لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا أول ما خلق الله القدم فقال: اكتب قال رب وما أكتب قال مفادير كل شيء حتى تقوم الساعة"، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من مات على غير هذا فليس مني"، وفي لفظ لأحمد: "يا بني إن مات على غير هذا دخلت النار".

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال لي النبي ﷺ: "جف الفعل بما أنت لاق".

قال الحافظ ابن حجر: (جف الفعل) أي فرغت الكتابة إشارة أن الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يغير حكمه، فهو كتابة عن الفراعات من الكتابة لأن الصحيفة حالت كتابتها تكون رطبة أو بعضها وكذلك القلم إذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم ؛ هـ.

ومن الأحاديث التي ذلت على مرتبة الكتابة حديث علي المتقدم (ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من الجنة أو النار).

ومما تقدم تبين أن مرتبة الكتابة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة قال ابن القيث: "وجمع الصحابة والتابعون جميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب وقد قال القرآن على أن الرحب - تعالى - كتب في أم الكتاب ما يفعله.

(1) شفاء العليل ص 43.
(2) فتح الباري 13/4، صحيح مسلم 4/2107/2.
(3) رواه أبو داود في سنن 2/518.
(4) المسند 183/5 من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.
(5) صحيح البخاري مع شرح فتح الباري 491/11.
(6) المصدر السابق.
(7) صحيح مسلم بشرح النووي 197/16.

مباحث العقيدة م 32
وما يقوله فكنت في اللوح أفعاله وكلمه، فلنت أدا أبي لهب في اللوح المحفظة قبل وعود أبي لهب» اهـ.(1)

3- مرتبة المشيئة:

لقد دلت سورة «الزمر» على ثبوت مرتبة المشيئة في ثلاث آيات من آياتها. قال تعالى: «ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ..» (2)

وقال تعالى: «أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر». (3)

وقال تعالى: «وإن في الصور فصق عين في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ..» (4)

هذه الآيات الثلاث من السورة بين الله تعالى فيها أن له مشيئة مطلقة لا يخرج عنها شيء في هذا الوجود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً مرتبة المشيئة: «وهي الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما في السماوات وما في الأرض من حركة، ولا سكون إلا بمشيئة الله - سبحان له - ولا يكون في ملكه إلا ما يريد» اهـ. (5)

وقال العلامة ابن القيم: «وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع المسلمين من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وإداة العقول والعباس، وليس في الوجود موجب ومقتضى إلا مشيئة الله وحده فشاع كأن، ولم يشأ لم يكون هذا عمود التوحيد الذي لا يقوم إلا به والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وخلافهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضوع وإن كان منهم في موضع آخر فوجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون، وخلاف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله، ولم يثبت له سبحانه - مشيئة واختياراً - أوجد بها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم» اهـ. (6)

---

(1) شفاء العليل في مسائل الفضاء والقدر ص 41.
(2) العقيدة الواسطية مع شرحها محمد خليل هراس، ص 133 - 134.
(3) شفاء العليل ص 43.
وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في بيان معنى المشيئة هو طبقة ما جاء في الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة وذلك أن الله مشيئة لا يخرج عنها حادث صغير ولا كبير ولا عين ولا فعل، ولا وصف إلا بمشيته تعالى - فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد أكثر القرآن في هذا الشأن. قال تعالى: "وللوهاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد". (1)

وقال تعالى: "ولو شئنا آتينا كل نفس هداها". (2)
وقال تعالى: "ولو شئنا برك لجعل الناس آمة واحدة". (3)
وقال تعالى: "ولو شئنا الله لجمعهم على الهدي". (4)
وقال تعالى: "إني يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد". (5)
وقال تعالى: "إني يشأ يذهبكم آباؤكم ويات بآخرين". (6)

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إثبات المشيئة، كما تدل على تكذيب نفاتها.

قال ابن القيم بعد أن ساق الكثير من الآيات الدالة على إثبات مشيئة رب - جل وعلا -: "وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفي الضلال فنفاة المشيئة بالكلية، ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وذلائمهم وضلائهم وهو سبحةه - وثارة يخرب إن كل ما في الكون بمشيته، وثارة أن ما لم يشأ لم يكن، وثارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقعي، وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه، وأنه لو شاء ما عصي وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدي وجعلهم آمة واحدة - فتضمن ذلك أن الواقع بمشيته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيته وهذا حقيقة الروبية، وهو معنى كونه رب العالمين وكونه القوي القائم بتدبير عباده فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا معن، ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا إضلال، ولا هدى ولا سعادة ولا شقاق إلا بعد إذن، وكل ذلك بمشيته وتكوينه إذا لم يكن غيره ولا

---

1. سورة البقرة آية: 253.
2. سورة السجدة آية: 13.
3. سورة هود آية: 118.
4. سورة الأعراف آية: 35.
5. سورة فاطر آية: 16.
6. سورة النساء آية: 132.
مثير سواد، ولا ربي غيره. قال تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار) (1) وقال: (ونفرق
في الأرحام ما نشاء) (2) وقال: (في أي صورة مشاء ربك) (3) وقال: (الله ملك
السموات والأرض يخلق ما يشاء لمن يشاء إناثاً ويبه لمن يشاء الذكور) أو يزوجه
ذكوراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) (4) وقال: (يهدي الله لنوره من يشاء
إنه) (5).

لقد ذلت السنة على إثبات مشيئة الرب سبحانه وتعالى. في أحاديث كثيرة فمن ذلك ما
رواه البخاري بإسناده من حديث أبي موسى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه وربما قال جاهزه
السائل أو صاحب الحاجة قال: «أشفعوا فلتؤجروا ويقضي الله علي لسان رسوله ما
شاء» (6).

وفي حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ طرفة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة
 فقال لهم: «آلا تصلون؟» قال علي: فقلت يا رسول الله إنما أنسنا زيد الله إذا شاء أن
يبعثنا عندها. . . الحديث (7).

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: أنه سمع
رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفه كيف يشاء» (8).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفيه ورقة من حيث أنتها الريح تكفتها فإذا سكت
اعتدلت، وكذلك المؤمن يكفت بالبلاء، ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى
يقصصها الله إذا شاء» (9).

(1) سورة القصص آية: 38.
(2) سورة الحج آية: 5.
(3) سورة الأنفطار آية: 8.
(4) سورة الشورى آية: 249-50.
(5) شفاء العليل صفحه 44 والآية رقم 24 من سورة النور.
(6) فتح الباري 13/448.
(7) المصدر السابق ص 446.
(8) صحيح مسلم 4/545.
(9) فتح الباري 13/446.
وفي أيضاً من حديث أبي قتادة رضي الله عنه حين ناموا عن الصلاة قال النبي ﷺ: 

«إن الله قبض أواحكم حين شاء، وردها حين شاء...» الحديث (1).

وفي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكنني دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبى دعوتي شفاعة لأمي يوم القيامة» (2).

فالأيات القرآنية والأحاديث النبوية السابقة دلت على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وقبل أن نتخم الكلام على مرتبة المشيئة هناك أمر يجب أن يتبه له وبموعده تزول

إشكالات كثيرة تعرض لم من قصر علبه به وهو أن الله - جل وعلا - له الخلق والأمر، وأمره - سبحانه - نعوان:

أ - أمر كوني قديم.
ب - أمر ديني شرعي.

فمشيئة الله سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يجب وما يكرهه كله داخل تحت مشيته كما خلق إبراهيم وهو يغضبه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان، والأفعال السخوطة وهو يغضبه، فمشيتته سبحانه شاملة لذات كله، وأما محبته ورضاه فمتصلة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسوله فما وجد منها تتعلق به المحبة والمشيئة جميعاً فهو محجوب للرب واقع مشيته كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، ولم يوجد منه تعلقات به محبته وأمره الديني ولم تتعلق به مشيته وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقات به مشيته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، وما لوجد منها لم تتعلق به مشيته ولا محبته فلفظ المشيئة كوني ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون بمعنى المشيئة، وإرادة دينية فتكون بمعنى المحبة، وإذا عرف هذا فقوله - تعالى - ولا يرضى عباده الكفر - وقوله: «والأم لا يحب الفساد» (3) وقوله: «ولا يريد بكم العسر» (4) لا ينافض نصوص القدر والمشيئة.

(1) المصدر السابق صفحة 447.
(2) المصدر السابق ص 447.
(3) سورة البقرة آية: 200.
(4) سورة البقرة آية: 185.
العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضاءه وقدره فإن المحبة غير المشيئة والأمر غير الخلق ونظير هذا الأمر فإن نواعان: أمر تكوين، وأمر تشريع والثاني قد بعضى ويخلاف أمر التكوين قوله تعالى: {إذا أردنا أن نهلك قرية أميرنا مترفها ففسقوا فيها} (1) ومن أن ينقض قوله: {إذا الله لا يأمر بالفاحشة} (2) وليس هناك حاجة تكلف تقديم أميرنا مترفها بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها بل الأمر هنا أمر تكوين وتشريع لا أمر تشريع أ. هـ (3).

والحاصل مما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة إثبات مشيئة الرب - جل وعلا - وأنها الموجبة لكل موجود في هذا الكون كما أن علم مشيئته سبحانه - يوجب عدم الشيء فيما المرجح، فما شاء الله تحتتم ووجوده وما لم يشأ تحتتم عدمه وامتناع وهذا أمر شاملاً لكل مقدر من أعيان وأفعال، وحركات وسكنات - سبحانه - أن يكون في ملكه ما لا يشاء، أو أن يشاء شيئاً فلا يكون، وإن كان في الأشياء ما لا يرضاه ولا يحبه، وإن كان يحب الشيء فلا يحصل لعدم مشيته - سبحانه - لوهو بعده ذلك لوجوده الحكم النافذ، والمشيئة المطلقة، والقدرة العامة على كل شيء.

4 - مرتبة خلق الله - سبحانه – الأعمال وتكوينه وإيجاده لها: لقد دلت سورة النزمر على أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء ومن ذلك أعمال العباد، فهو المكون لها والوجود لها - وحده لا شريك له - قال تعالى: {الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيلاً}.

هذة الآية الكريمة من السورة تدل على أن جميع الأشياء مخلوقة فقد أخرج تعالى - أنه خالق لجميع العالم علويه، سبحانه، ومن ضمن ذلك أفعال عباده فإنها شيء من الأشياء، فبهما ردل على القدرة القائلين بأن العبده خالق لله تعالى، كما أن فيها رداً على الفلاسفة القائلين بقدم الامر، وهى أيضاً: ترد على القائلين بقدم الأرواح، وهذه الأقوال صادرة عن أهل الباطل، وهي تتضمن تعطيل - البازر - سبحانه - عن خلقه.

(1) سورة الإسراء آية: 16.
(2) سورة الأعراف آية: 28.
(3) شفاء العليل ص: 48-47.
قال العلامة ابن القيم: حول قوله تعالى: "الله خالق كل شيء" الآية (وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكتاته، وليس مختصا به ذاته، وصفاته، فإن الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق، وصفاته - سبحانه - داخلة في مسمى اسمه فإن الله - سبحانه - اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال، والعالم قسمان: أعيان وأفعال وهو الخالق لأعيانه وما يصدر منها من الأفعال، كما أن العالم ينتصئ ذلك، فلا يخرج شيء من علمه، ولا عن قدرته، ولا عن خلقه ومشيئته."

وقال شارح الطحاوية: "الله خالق كل شيء" أي: الله خالق كل شيء مخلوق في علوم الخلق كلما أقسم قولهم - يعني المعتزلة - في إدخال كلام الله تعالى في علوم كل ما هو مخلوق عليه أن يكون مخلوقاً، وأخرجوا أفعاله التي هي مخلوقة من علوم كل، وهل يدخل في علوم كل إلا ما هو مخلوق؟ فذاهبة المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العلوم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها."

وقال البغوي: "الله خالق كل شيء" أي: مما هو كائن، أو يكون في الدنيا والآخرة."

وقنا ابن كثير: "الله خالق كل شيء" يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها ولملكها والمتصرب فيها، وكما تحت تدبيره وقهره وكلائه."

ومتى هذه التفسير للآية من مفسري أهل السنة يبين أن أفعال العباد جميعها مخلوقة ومقدرة للمولى - جل وعلا - إذ هو سبحانه - الخالق وما سواه كله مخلوق. وأما قول القدرية: في الآية "الله خالق كل شيء" مما لا يقدر عليه غيره وأما أفعال العباد التي يقدر عليها العباد إضافتها إليهم ينفي إضافتها إليه، وإلا لزم وقوع مفصول بين ماعلين وهو محال."

(1) شفاء العليل ص 53.
(2) شرح الطحاوية ص 496.
(3) تفسير البغوي على حاشية الخازن 96/6.
(4) تفسير القرآن العظيم 105/6.
(5) شفاء العليل ص 54.
هذا زعم باطل لأن إضافة أفعال العباد إليهم فعلًا وكسبًا لا ينبغي إضافتها إليه، سبحانه خلقًا ومنشأة فهو سبحانه الذي شاء وخلقها حقيقة وهم الذين فعلوها، وكسبها حقيقة فلولا مكن مضاها إلى مشيئته وقدره وخلقها لاستحال وقوعها منهم إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشاه الله ولم يقدر عليه ولا خلقه» أ. هـ (1).

وهناك آيات كثيرة وردت في كتاب الله تعالى - وهي تدل على ما ذكرنا عليه هذه الآية من السورة مثل قوله تعالى - «ذلكم الله يبكم خلق كل شيء» (2) - فيدخل في هذا العموم الأعيان والأفعال من الآخر والشر.

وقوله تعالى - «أم جعلوا الله شركا خلقوا كخليقة خالقهم خلق عليم عليهم كل الله خالق كل شيء» (3).

قال البهقي: عقب هذه الآية: «فأين أن يكون خالق غيره، ونفى أن يكون شيء سواء غير مخلوق، فلولا أفعال غير مخلوقة لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها وهذا خلاف الآية، ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان، فلولا كان الله خالق الأعيان والناس خالق فالله خلق الناس أكثر من خلقه ولكانوا أنتم قوة منه وأولى بصفة المدح من ربيه سبحانه - وعفا الله عنهم - تعالى - قال: (وأنت خلقكم وما تعملون) (4) فأخبر أن أعمالهم مخلوقة لله عز وجل أ. هـ (5).

ولا يقال: إن ما مصدره - أي خلقكم وعملكم - لأن سياق الآية يأباه لأن الخليل عليه الصلاة وسلم إما أنكر عليهم عبادة المنحوت لا النحت والإياية تدل على أن المنحوت مخلوقة لله - تعالى -، وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقة لله - تعالى -، ولن يكون النحت مخلوقة الله - تعالى -، لين يكون المنحوت مخلوقة الله - تعالى -، بل الخشب أو الحجر لا غير» (6).

(1) المصدر السابق.
(2) سورة غافر آية: 22.
(3) سورة الرعد آية: 16.
(4) سورة الصافات آية: 96.
(5) الاعتقاد ص 509 - 79.
(6) شرح الطحاوية ص 496، وانظر مجموع الفتاوى، 8/79.
ومما يدل على أن العباد فاعلون حقيقة قوله تعالى - وما تفعلوا من خير يعلم الله - ](1) وقوله تعالى: [واعفوا الخير لعلكم تفلحون] (2) - وقوله تعالى: [ولو شاء الله ما فعلوه] (3) - وقوله: [فلا تبنس بما كانوا يفعلون] (4) -

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أعمالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعبادة قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وقدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى - [لم شاء منكم أن يستقم] (5) وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين - وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الآمة، ويغلفها قوم من أهل الإثبات حتى سلبو العباد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها - (6) -

وقال العلماء ابن القيم - ومن الدليل على خلق أعمال العباد قوله تعالى: [وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم أسكم] - (7) فأخبر أنه هو الذي جعل السراويل وهي الدروع والثواب المصنوعة وسماها سراويل إلا بعد أن تحيلها صنعة الآدمين وعملهم، فإذا كانت مجعلة لله مخلوقة له بجملتها صورتها ومادتها وحياةها، وننظر هذا قوله: [والله جعل لكم من بيوتكم سكننا وجعل لكم من جلود الأبقاير بيتا تستخفونها يوم ظعنكم وبوم إنكم إشفاقكم] - (8) فأخبر سابحانه - أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتنقلة مجعلة له، وهي إمما صارت بيتا بالصنعة الآدمية - (9)

---

(1) سورة البقرة آية: 197
(2) سورة الحج آية: 77
(3) سورة الأعراف آية: 137
(4) سورة هود آية: 36
(5) سورة التكوين آية: 28-29
(6) العقيدة الواسطة مع شرحها للمحمد خليل هراس ص 135-137
(7) سورة التحل آية: 81
(8) سورة التحل آية: 86
(9) شفاء العليل ص 54-55
ومن الآيات الداله على خالق أعمال العباد قوله تعالى: "وأسروا قولكم أو أجهروا به إنه عليم بذات الصدور" (1).

قال البهتقي: "فأخبر أن قولهم وسرهم وجههم خلقه وله بجميع ذلك عليم" أ. (2)

فهذه الآيات التي قدمنا ذكرها دلت على أن الله خالق كل شيء فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموم ولا في الأرض إلا واله سبحانه وتعالي خلقه وحركته وسكونه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه.

كما دلت على أن للعبادة قدرة على أعمالهم، ولهم مشيئة والله تعالى خالقهم وخلق قدرتهم ومشيئتهم، وأقوالهم وأعمالهم وهو الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضايقة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفها وعليها يبتلون ويعاقبون، كما قال تعالى: "وكل الجنة إلى التي أورثوها بما كتبت تعملون" (3) وقال تعالى: "وذوقوا عذاب الخلدون ما كتبت تعملون" (1) ولم يكلف الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم كما قال تعالى: "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها له ما كسبت وعليها ما اكتسبت" (4).

وروى البخاري في صحيحه بإسناده إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت النبي يوم الخندق ينقل معنا التراب وهم يقولون:

والله لولا الله ما اهتدينا فإنزلن سكينة علينا وإذا أرادوا فتنة أبينا (5)

(1) سورة الملك آية: 13.
(2) الاعتقاس ص: 60.
(3) سورة الزخرف آية: 72.
(4) سورة السجدة آية: 14.
(5) سورة البقرة آية: 281.
(6) صحيح البخاري مع الفتح 510/11. 512-513.
وقال في شأن الحمر: «ما أنزل الله علی فيها شيء إلا هذا الآية الجامعة الفاذة».

فمن يعمل مثلًا درة خيرًا يره، ومن يعمل مثلًا درة شراً يره.

وكلما أن العباد لم يوجدوا أنفسهم فكذلك لم يوجدوا أفعالهم، فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم، تبع لقدرته - سبحانه - وإرادته ومشيئته وأفعاله، إذ هو تعالى - خلقهم وخلق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم، ولسة مشيئتهم وإرادتهم وقدرتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله تعالى - وإرادته، وقدرته، وفعله، كما ليسواهم إياه - تعالى - عن ذلك علواً كبيرًا بل إن أفعالهم المخلوقة قائمة بهم لائحة بهم مضافة إليهم حقية، وهي من آثار أفعاله - تعالى - القائمة به اللائحة المضافة إليه حقيقة.

فأعلى تعالى - هاد حقيقة، والعبد مهد حقيقة وهذا أضاف - تعالى - كلاً من الفعالين إلى من قام به. فقال عز وجل - فمن يهد الله فهو المهدي) (1) في إضافة الهداية إلى الله - تعالى - حقيقة، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة، وكما أن الهداية - تعالى - ليس هويين المهيدي فكذلك ليست الهداية هي عين الإهتداء، وكذلك يضل الله تعالى - من يشاء حقيقة، وذلك العبد يكون ضالًا حقيقة وهو - سبحانه وتعالى - خلق المؤمن وإيمانه والكافر وكفره كما قال جل وعلا - هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير) (2).

فأعلى تعالى - هو الخالق لعباده على هذه الصفة وأراد منهم ذلك كونه شرعًا، فلا بد من وجود المؤمن والكافر، وهو - سبحانه وتعالى - البصير من يستحق الهداية من يستحق الوضلال وهو شهيد على أعمالهم وسجيزهم عليها جزاءً وفقاً لذلك قال تعالى: (وألا والله بما تعملون بصير) (3) في إضاف - سبحانه وتعالى - الخلق الذي هو فعله القائم به إليه حقيقة، وأضاف الإيمان والكافر الذي هو عملهم القائم بهم إليهم حقية والله - تبارك وتعالى - هو الذي جعلهم كذلك، فهم فعلاً فاختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التي منحهم الله إياها وخلقهم فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها.

(1) متفق عليه من حديث أبي هريرة، صحيح البخاري 220/2، مسلم 2/187.
(2) سورة الأعراف آية: 178.
(3) سورة التغابن آية: 2.
(4) جزء من الآية رقم 2 من سورة التغابن.
ومرأة الكتب والسنة على هذا كثيرة جداً. قال ابن القيم: "وبالجملة فكّل دليل
في القرآن على التوحيد فهود وفهود على القدر وخلق أفعال العباد، وإذ هذَا كان إناث القدر
Основة التوحيد.
قال ابن عباس: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر فقد قضى نقض تكذيبه
توحيده؟: هـ(1).

أقوال الناس في أفعال العباد الإختيارية:
هذه المسألة فيها آراء ثلاثة:

القول الأول: للحبسية:
فقد زعمت الحبستية ورؤيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي: أن التدبير في أفعال
الخلق كلها الله تعالى، وهي كلها اختيارية كحركات المرتعش، والعوائق النابضة،
وحركات الإشجار وإضافتها إلى الخلق مجاز وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى
محله دون ما يضاف إلى محصله(2).

القول الثاني: للمتعلطة:
ورأى المتعلطة مقابل لرأى الحبستية: فقد قالوا: إن جميع الأعمال الإختيارية من
جميع الحيوانات بخلقها لا تتعلق لها بخلق الله تعالى، واختلفوا فيما بينهم هكذا الله
الذالك يقدر على أفعال العباد أم لا؟(3).

القول الثالث: قول أهل الحق:
وهو أن أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوية الله تعالى، والحق
- سبحانه وتعالى - منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه (4): هـ.

(1) شافع الاميل ص 15.
(2) شرح الطحاوية ص 493، الملل والنحل للشهيستاني 85/1، التصوير في الدين ص 107.
(3) شرح الطحاوية ص 494، مقالات الإسلاميين 1/298، الفرق بين الفرق ص 114 الملل والنحل
للشهيستاني 45/1.
(4) شرح الطحاوية ص 493.
فقال القول الأول وهو قول الجبرير من أفسد المذاهب إذ أنهم غلوا في إثبات القدر حتى نفوا فعل العبد بالكلية وجعلوه كريشة في مهب الريح تصفقها كيف تشاء.


فأما ما استدل به الجبرير من قوله تعالى: ومارميت إذريمت ولكن الله رمي (7) فهو دليل عليهم لا لهم لأنه تعالى أثبت لرسوله مما يدل على إذريمت ومن هنا يعلم أن المبت غير منفي وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء فابتداه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكلاهما يسمى رميماً فيكون المعنى حينئذ والمعلم لله تعالى: وما أصبته إذ حذفت ولكن الله أصيبنا وإلا فقتصر على قولهم: وما صلى إذ صلى ولكن الله صلى وما صمت إذ صمت وما سرت إذ سرت! وبطلان هذا بين واضح (8).

---

(1) انظر سنن أيوب داود 2/45 من حديث ابن عمر.
(2) سورة الأنفال آية: 17.
(3) رواج البخاري من حديث عائشة الفتح 294/11، صحيح مسلم 4/2171.
(4) سورة المؤمنون آية: 14.
(5) سورة السجدة آية: 17.
(6) سورة الزخرف آية: 72.
(7) سورة الأنفال آية: 17.
(8) شرح الطحاوية ص 495 وانظر مجموع الفتاوى 18/18، التبصر في الدين ص 107.
ويشبه قول الجبرية في البطلان الكسب عند الأشاعرة فإنهم يقولون: إن قدرة العبد لا تأثير لها في فعله.

ثمة في غاية المرام، وذهب من عداً هؤلاء أهل الحق إلى أن أفعال العباد ماضفة إليهم بالإكبار وإلزام الله تعالى بالخلقه والإختراع وأنه لا أثر للقدرة الحادثة فيها أصلاً، وكذلك المذهب المماثل لمذهب الجبرية إن لم يكن عينه، وليس أهل الحق كما زعم إذ كيف يثبتون قدرة لا أثر لها، وهذا في الحقيقة نفي للقدرة كلياً ولهذا يقال: كسب الأشاعري من مجالات الكلام.

وأما ترتيب الجرّاء على الأعمال فقد ضمت فيه طائفة الجبرية والقدرية وهدى الله أهل السنة والجماعة وذلك بفضله ومنتهي عليهم بسلوك الصراط السوي.

فهم يقولون: إن البناء التي في النبي غير البناء التي في الإثبات فالنفسي في قوله عليه الصلاة والسلام «أني دخل أحد الجنة بعلمه»، باء العرض وهو أن تكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة كما تزعم ذلك المعتزلة أن العمل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله. بل ذلك برحمة الله وفضله والبناء التي في قوله تعالى: «جزاءاً بما كانوا يعملون»، وغيرها باء السبب أي بصفة عملكم والله تعالى هو خالق الأسباب والسبب والسببات فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى - فتبارك الله أحسن الخالقين - فمعنى هذه الآية: أحسن المسورين المقدرين و الخلق ذكر ويراد به التقدير وهو المراد هنا بدليل قوله تعالى - لله خالق كل شيء.

والناظرون في مذهب الجبرية والقدرية يجدن أن كل طائفة منهما معها حق وباطل وأدلة:

---

1. غاية المرام ص 207، الاعتقاد البحتى في المواقف في علم الكلام ص 231 وما بعدها.
2. شفاء العليل ص 20.
3. تقدم تخريجه قريب، وهو في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.
4. سورة السجدة آية 17.
5. مجمع التفاتيي 876، شرح الطحاوية ص 495.
6. سورة المؤمنون آية 14.
7. سورة الرعد آية 16.
كل منهما إذاَ تم تسليط على بطلان خطأ الطائفة الأخرى لا على إبطال ما اعتمدوا فيه، فكل دليل صحيح للحبرية إذاَ يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته وأنه لا خالق غيره وأنه على كل شيء قادر لا يستطيع من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات ولهذا حق، ولكن ليس معهم دليل صحيح ينبغي أن يكون العبد قادرًا مبدئًا فاعلاً بمشيئته وقدرته وأنه فاعل حقيقة وأفعاله قائمة به، وأنها فعل له، وأنها قائمة به.

وكل دليل صحيح يقيمه القدرية فإنما يدل على أن أعمال العباد فعل لههم قائمة بهم وافعًا بقدرتهما، ومشيئتهما وإرادتهما وأنهم مختارون لها غير مضطرين ولا مجبورين، وليس معهم دليل صحيح ينبغي أن يكون الله سبحانه قادرًا على أعمالهم وهو الذي جعلهم فاعلين.

فادلة الحبرية صحيحة متظافرة علية من نفى قدرة الرب سبحانه على كل شيء من الأعيان والأفعال ونفى عموم مشيئته وخلقه لكل موجود، وأثبت في الموجود شيئاً بدون مشيئته وخلقه.

وأفادة القدرية صحيحة متظافرة علية من نفى فعل العباد وقدرته ومشيئته واختياره وقال إن ليس فاعل شيئاً والله يعاقبه على ما لم يفعله ولا له قدرة عليه بل هو مضطر إليه مجبور عليه.

إذاً ضمتنا ما عند كل طائفة منهما من الحق إلى حق الآخر فإنما يدل ذلك على ما دل عليه كتاب الله، وسائر كتاب الله المنزلة قبله من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في هذا الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقية، وأنهم يستوجبون عليها المدى والذم.

وعند التأمل للأدلة التي أسفرها التي دلت على أن العباد فاعلون حقية، والله تعالى وخلقه وأفعالهم وأنهم مختارون لهم إرادته ومشيئته تابعة لإرادته لله ومشيئته. نعلم أن أهل الكلام الباطل، وأهل الأهواء والبدع من جميع الطوائف هم أخس الناس حظاً، وأقلهم نصيحاً، وأخطرهم عمالاً، وأن أهل السنة والجماعة هم أهل الحق في

(1) شفاء العلمي ص 51.
(2) شرح الطحاوية ص 494.
هذه المسألة وغيرها «فإنهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ومشيته العامة، ويزهرون أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا يكون تحت مشيته، ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون على ما قدره الله وقضاء وفرغته وأنهم لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلا من بعد مشيته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصص عندهم في هاتين الفضيتين بوجه من الوجه، والقدر عدتهم قدرة الله تعالى - وعلمه، ومشيته، وخلقه فلا تتحرك ذره فما فوقها إلا مشيته وعلمه، وقدرتهم المؤمنون "بلا حول ولا قوة إلا بالله" على الحقيقة إذا قالوا غيرهم على المجاز إذا العالم علويه، وسفليه، وكل حي يفعل فعلًا فإن فعله بقوة فيه على الفعل وهو في حول من ترك إلى فعل ومن فعل إلى ترك ومن فعل إلى فعل، وذلك كله بالله تعالى - ويعملون بأن من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له وأنه هو الذي يجعل المسلم مسلمًا والكافير كافرا وأفضل مصلية والمتحرك متحركًا وهو الذي يسير عبده في البر والبحر وهو المسير والمتبقي السائر... ويثبتون مع ذلك قدرة العباد وإرادته، وإختياره وفعله حقيقة لا مجازاً وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول... فحركات العباد واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة الله - سبحانه - مخلوقة له حقيقة والذي قام بالرب - عز وجل - عالمه وقدره، ومشيته وتكوينه والذي قام به هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم فيما المسلمون المسلمون الفائرون القادعون حقيقة، وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاء منهم وخلقه لهم ومشيته وفهمهم بعد مشيته ما يشاؤون إلا أن يشاء الله، وما يفعلون إلا أن يشاء الله، وإذا قارن الإنسان بينه وبين المذهب الآخر وجد أنه المذهب الوسط السوي ووجد غيره من المذاهب خطوطةً عن يمينه وعن شماله فقرب منه، ويعيد».

(1) شفاء العليل ص 52.
المبحث الرابع
ما يتعلق بالهدية والضلال

قبل أن نشرع في عرض الآيات المتعلقة بالهدى والضلال من سورة القدر نذكر:
تعريف الهدى والضلال أولًا:
أما الهدى: فهوبه في الأصل مصدر كالمهدي ومعناه: الاشراف والعدل، وليست
مواصلة(.1)
وجاء في النهاية ابن الأثير: ومن أسمائه - تعالى - الهادي هو الذي يصرف عباده
وعرفهم طرق معرفته حتى أفرحوا بروبيته، وهم كل مخلوق علماً ما لا يبدونه في بقائه ودوام
وجوده. وفي الحديث الهدى الصالح والسمع الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من
البويه(.2) والمراد بالهدى هنا السيرة والهيئة والطريقة، ومعنى الحديث: أن هذه الخلاف
من شمائل الأبواب وخصائص الحدمة وأنها معلوم من أجزاء أفعالهم، فأن المعنى أن البويه
تنجزها. ولا أن جميع هذه الخلاف كان في جزء من البويه، فإن البويه غير مكتسبة ولا
مجملية بالأسباب وإنما هي كرامة من الله تعالى، أ. ه(.3)
وأما تعريف الضلال: فقد جاء في القاموس: الضلال والضلالة... ضد
الهدى(.4)
وفي الألسن قال أبو منصور: والإضلالة في كلام العرب ضد الهدية والإرشاد
يقال: أصلت فلناناً إذا وجهنا للضلال عن الطريق وإياء أراد لبيضاء

(1) لوعام الأنواع البهية 551/2
(2) رواه أبو داود في سنة 548/2 من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
(3) النهاية 553/473، أوعام الأنواع 550/2
(4) القاموس 5/4}

مباحث العقدة 324
من هذا سبيل الخير اهتدي ناعم الجبال ومن شاء أصل
قال لبيد هذا في جاهليته فوافق قوله التنزيل العزيز «فبضل من بشاء يهدى من يشاء» أ. ه. (1)

ويعد تعريف الهدي والضلال نقول: إن الهدي والضلال هما لابواب القدر، وما يتعلق به من المسائل، فإن أعظم نعمه يقدرها الله تعالى للعبد هي نعمة الهداية وأعظم مصيبه يصاب بها الإنسان هي مصيبه الضلال وكل ما بالإنسان من نعمة هي دون نعمة
الهداية، وكل مصيبه مهما كبرت وعظمت فهي دون مصيبه الضلال وقد أجمع الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى خاتهم والكتب المنزلة عليهن - أن البلي السببان - يضلل من يشاء يهدي من يشاء، وأن من هذا الله فلأضلل له في أضل الله فلآداؤه له، فالهداية والإضلال بيد الله سبحانه - وأن العبد لا يملك من ذلك شيئاً (2) ونصوص الكتاب والسنة تقرر أن العبد هو الضال أو المهتد، وقد دلت سورة الزمر في عدد من آياتها على أن الهداية والإذلال فنل الله والإهتداء والضلال فعل العبد وكسبه.

قال تعالى: «إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار».

وقال تعالى: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله نزول أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربه ثم تلين جلودهم وقليوبهم إلى ذكر الله ذلك هدي الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد».

وقال تعالى: «أليس الله بكاف عبد ويخفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد».

وقال تعالى: «ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام».

وقال تعالى: «إذن أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنهما
يضلل عليها وما أنت عليهم بوكيل».

وقال تعالى: «وأقول لو أن الله هداني لكونت من المتمنين».

(1) اللسان 11/11، والآية رقم 8 من سورة فاطر.
(2) انظر شفاء العلي في مسائل القضاء والقدر ولا يقبل القلم ص 15 بصرف.
ما يتعلق بالهداية والضلالة

هذَهِ سِبَع أَيَّاتٍ مِنِ السُّورَةَ دَلَّ عَلَى أَنَّ الهَدَاءَةَ وَالإِضَلاَلَ بِيَدِ اللهَ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى
هو الهداء والعبد هو المهدي.

فَأَلَّا يَأْيُدُنِي مِنْ هِوَ كَاذِبُ كَفَارٍ فِي هَذِهِ الإِخْبَارَ مِن
الله - جَلَّ وَعَلَاهُ - بِأَنَّهُ لَا يَوْفِقُ للهَدَاءَةَ إِلَى صِرَاطِهَا المَسْتَقِيمَ مِنْ صِفَاتِ الكَذِبِ وَالكَفْرِ بِحِيَثَ تَصِلُّ إِلَى الْمَوَاعِظَ وَالآيَاتِ الْبِنيَّةَ، وَلَا يُقَولُ عَنَّهَا مَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ الصُّفَاتِ الَّتِي تَحَوَّلُ بِهِنَّ وَبِيَنَ الْهَدَاءَةَ حِيَثَ يَرْى الآيَاتِ فِي جَهَدَهَا يَكْفُرُ بِهَا وَيَكْذِبُ فَمَثَلُ هذِهِ أَنَّى لِلْهَدِئَ وَقَد
أَغْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَابَ فَعَلَى الْمَلِكِ الْأَلِيهَهُ فِي قَلْبِهِ فُصَارِ لِيْسَ أَهْلًا للهَدَاءَهَا.

قَالَ ابْنُ جَبِيرِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَقُولُ تَعَالى ذِكرِهُ: "إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي فِي الْحَقِّ وَدَيْنَهُ
الإِسْلَامَ وَالإِقْلِالَ بِوَجْهِهِ فَوَقَهُ لِهَا مِنْ هِوَ كَاذِبُ" مَفْتَرَ عَلَى اللَّهِ يَتَقُولُ عَلَى الْبَاطِلَ،
وَيَضْيَفُ إِلَى مَا لَيْسِهِ مِنْ صِفَاتِهِ يُزَعمُ أَنَّهُ لَوُلَّدَا إِفْتِرَاً عَلَى كَفَارٍ لِنَعْمُهُ جَهَوْدُ لِرَبِّبِهِ
أَهْلَا. ۴۱) مِنْ أَصِرِّهِ عَلَى الْكَذِبِ
وَالْكَفْرِي مِحْروَمٌ عَنِ الْهَدَاءَةَا. ۴۲)

وَقَالَ الرَّاِزِيَ: "إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مِنْ هِوَ كَاذِبُ كَفَارٍ" وَالْمَرَادُ أَنَّمَنْ أَصِرَّ عَلَى الْكَذِبِ
وَأَمَّا الآيَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ قُوَّةُ: "أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ للإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ
فَوْيِلَ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبَهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوَّلِكَ فِي ضَلَالٍ مِّيْنَ" هَذَهُ الآيَةُ بِيَنَّ بَنَاءً مِنْ فَسَحَّ اللَّه
قُلُوبَهُ لِمَعْرُوفَةَ وَالإِقْلِالَ بِوَجْهِهِ وَالإِذْعَانَ لِرَبِّبِهِ، وَالخَضْوُعُ لِطَاعَتِهِ، فَهُوَ عَلَى بِصَرَٰى سَمَا
وُعِيَّنَ بِتَنْوِيرِ الْحَقِّ فِي قَلْبِهِ، فَهُوَ لَوْلَئِكَ لأَمَّرَ اللَّهُ مَنْ تَعْنَى، وَعَمَّا نَهَاهُ عِنْهُ مَنْهَةً فِي مَا
يَرْضِيهِ، وَمِنْ كَانَ كَذَٰلِكَ لَا يِسْتَوِي هُوَ مِنْ أَفْقِ اللَّهِ قَلْبِهِ وَأَخَلَاهُ مِنْ ذِكْرِهِ وَضِيَءَهُ عَن
عَسْمَةِ الْحَقِّ، وَالْإِتْبَاعِ الْهَدِئَةِ، وَالعَمَّلِ بِالْصَّوَابِ فِي هِنَّاَوَالَّذِي قِبْلَهُ فَرْقَ عَظِيمَ، وَتَفَاوَت
كِبَرَ إِذْذِ ذَلِكَ قَسَمَ قُلُوبُهُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ فِي ضَلَالٍ وَضَاحِ بِيَنَّ عَنِ الحَقِّ. قَالَ مَجَاهِدُ: "لِيَسَ المَشْرَجُ صَدْرُهُ مِثْلُ القَاسِيَ قَلْبِهِ". ۴۳)
وَأَمَّا الآيَةُ الثَّالِثَةُ: وَهِيَ قُوَّةُ: "لَنْ نَزَّلْ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ كِتَابًا مِّشْتَابًا" الآيَةُ. فَهَذِهِ

---
1. جامع البيان 192/23
2. التفسير الكبير 192/26
3. جامع البيان 209/23
الآية بين الله تعالى - فيها أن التأثير الحاصل لعباده المؤمنين عند سماعهم القرآن من اقشعار جلودهم ولين قلوبهم إنما هو هدي من الله يهدي به من يشاء من عباده وهو من جملة فضل الله وإحسانه عليه.

فالقرآن طريق موصل إلى الله تعالى - يهدي به من يشاء من عباده وهم الذين صلحت أعمالهم وحسنوا مقصدهم كما قال - عز وجل - يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام - فلا سبيل إلى الله إلا بتوافقيه، والتوافق للإقبال على كتابه فإذا لم يحصل للعباد ذلك فلا وصول إلى الهدى، وما هؤلاء الضلال المبين والشقاء الأليم.


وأما الآية الرابعة: وهي قوله تعالى: ... ومن يضل الله فما له هاد في فيها توضيح أن من أصلله الله لم يكن لأحد سبيل إلى هديته ورده من الكفر إلى الإيمان.

قال القروطي: ... ومن يضل الله فما له من هاد أي من خذله الله فلا مرشد له وهو برد على القدرية». 2.

وأما الآية الخامسة: وهي قوله: ... ومن يهد الله فما له من مضل ... الآية. بين الله تعالى - فيها أن من هذا ووقفه للرشاد فليس لأحد طريق إلى إضلاله.

قال الطبري: ... ومن يهد الله فما له من مضل ... يقول: ... ومن يوفقه الله

(1) سورة المائدة آية: 16.
(2) جامع البيان 231/ 211.
(3) الجامع لاحكام القرآن 15/ 250.
ما يتعلق بإهداء والضلالة

للإيمان به والعمل بكتابه فما له من مصلح يقول: فما له من مزيج يزيغه عن الحق الذي هو عليه إلى الإرتداد إلى الكفر» أ. ه(1).

وقال الشوكاني: «فمن بهد الله فما له من مصلح ... يخرجه من الهدى ويؤقه في الضلالة» أ. ه(2).

وأما الآية السادسة: وهي قوله: «إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن أهدى فلنفسه ومن ضل فإنه يضل عليها» الآية. هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى بأن من أهدى بالقرآن وعمل بما فيه واتبعه فإن نفع ذلك عائد إلى نفسه ومن ضل بعد أن أتضح له الهدى فإن ضرر ذلك عائد عليه ولا يضر الله شيئاً.

وأما الآية السابعة: وهي قوله: حكاية عن الكافر الذي يتأسف على نفسه يوم القيامة حيث جانب طريق الهدى بعدم أخذه بأسباب الإداة والإيمان بالرسول. أو تقول لو أن الله هداني ل كنت من المتقدمين ففي هذه الآية مشهد لحال النفس التي فرطت في جنب الله أي في جانب حقه فلم تتمثل أمر الله، ولم تكن أطاعته حق الطاعة أنها تنمنى لو أن الله هدائها ووفقها للرشد فتكون مع عباد الله المتقدمين فتسلم من العقاب، وتظفر بالثواب، ولكن هيهات لعدم نفع هذا الثمني الكاذب حيث أضاعت الفرصة في المكان الذي كان لها القدرة في الأخذ بأسباب الهدايي فتكون من المهينين، ومع عباد الله المتقدمين ولكن هذا التمادي والتأسف وقع بعد فوات الأوان.

وكم نرى أن هذه الآيات السبع المتقدمة كلها وردت في هدادة التروفق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل. كما أوضح أن الهدادة والإضلال فعل الله والإهتداء والضلالة فعل العبد وكسبه.

وقد وردت آيات كثيرة في معنى الآيات السابقة في سور أخرى من القرآن، قال تعالى: «فمن بهد الله فهو المهدي ومن يضلل فآولئك هم الخاسرون»(3).

دلت هذه الآية على أنه لا سبيل إلى وجود الهدادة للعبد إلا بعد هدادة الله له فإذا وقعه

(1) جامع البيان 24/6
(2) فتح القدر 4/225
(3) سورة الأعراف آية: 78
ما يتعلق بالهدية والضلال

الله للهدي كان من المهتدين. قال العلامة ابن القيم: «ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العباد لهذه قال تعالى: إن تحرص على هذاه فإن الله لا يهدي من ضلل» (1) وهذا صريح في أن هذا الهدى ليس له ولحرص عليه ولا إلى أحد غير الله وأن الله سبحانه - إذا أصل عباداً لم يكن لأحد سبيل إلى هديته» (2). وقال تعالى: «من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على سراط مستقيم» (3). وقال تعالى: «فمن يشأ الله فولا هادي له» (4). وقال تعالى: «*rฟن زين له سوء عمله فرأى حسنًا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» (5) وقال تعالى عن أهل الجنة: الحمد لله الذي هداها لهذا وما كنا لهدي لولا أن هداها الله» (6) ولم يقصدوا أن بعض الهدي من الله وعده منهم بل نسبوا الهدي كله الله ولولا أنه هداهم لما اهتدوا. وقال تعالى: «بذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هوما هي إلا ذكرى للبشر» (7) ففي هذه الآية التصريح بأن مشيئة الله تعالى في الهدية والضلال مطلقة لا يسأل عما يفعل ولكنه تعالى عدل فحاشية أن يضل من يستحق الهدية، وحاشية أن يهدي من يستحق الضلال فقد نزه نفسه عن ذلك فقال: «إنه لا يظلم من منفلذ ذرة» (8) وقال - جل ثناؤه - وما ربك بظلام للعبيد» (9) بقي أن نعرف عن هم الذين يشاء الله هديتهم ومنهم الذين يشاء الله ضلالهم? الذين يشاء الله هديتهم هم الذين فتحوا قلوبهم للهدي وعقولهم للهدي وأقبلوا على كتابه مصدقين وانقادوا لأرامل طائعين فهؤلاء لهم العون من الله على الهدية ووافقهم للبلد والبلد عليها، ويزدهم إيمانًا وهدى وعن هذه الفئة قال تعالى: «والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقوىهم» (10) وقال تعالى

(1) سورة النحل آية: 27.
(2) ظفاء العليل في مسائل الفقه والقدر ص 81.
(3) سورة الأعراف آية: 39.
(4) سورة الأعراف آية: 187.
(5) سورة الفاطر آية: 8.
(6) سورة الأعراف آية: 43.
(7) سورة المدثر آية: 31.
(8) سورة النساء آية: 40.
(9) سورة الفصل آية: 47.
(10) سورة محمد آية: 17.
ما يتعلق بالهدية والضلال

في شأن اهل الكهف "إنه فتية أمنوا بربهم ودناهم هدى"(1) وأما الذين يشاء الله ضلالهم فهم الذين حادوا عن الحق وأعرضوا عن الهدى وصدوا عن أنفسهم جميع المنافذ التي توصلهم إلى الإيمان بالله والتزام دين الإسلام فلم يكن عندهم أي استعداد لأن يتقبلوا هدى الله الذي أنزله على رسولهم كما قال تعالى: "صم بكم عمي فهم لا يعقلون"(2)

وقد أخبر تعالى بأن من جحده أو كفر بدينه فإنه لا يهديه قال تعالى: "والله لا يهدي القوم الكافرين"(3) وأخبر بأن لا يهدي الغافلين قال تعالى: "والله لا يهدي القوم الفاسقين"(4) وأخبر بأنه لا يهدي القوم الظالمين قال تعالى: "والله لا يهدي القوم الظالمين"(5) وقال تعالى عن الفريقين معاً فريق دريد، وفرق الضلالاء "أما الذين آمنوا فعلمون أن الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيما يقولون ما أراد الله بهذا مثلًا يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا وما يضل به إلا الفاسقين"(6).

ومما يجب أن يعلم أن الله تعالى إنما يضل من يضل من خلقه فإنه يكون ذلك بعد العذر إليهم بسبب طرق الهدى وينمحهم القدرة الكافية التي تمكنهم من السير عليها فإذا قدم العبود بعد العلم - الضلال على الهدى وله الله ما تولى وكان ذلك بمحض عدله سبحانه لا ظلم فيه قال تعالى: "وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى بين لهم ما يتقون"(7) والذي يؤثر طلب الهدية والرغبة فيها وتأخذ بالأسباب التي توصلها إليها فإنه مسجد من الله عناً على تحصيلها وتحقيقها وذلك من رحمة الله لعباده وفضله عليهم، ومن يؤثر الضلالاء ويرغب فيها ويسعى جاهداً في طبها ويعمل بالأسباب التي توصلها إليها تمت له فلم يجد من الله تعالى صارفاً عنها وهذا من عدل الله في عباده وحسن تنبيره لهم.

وإذا عرفنا ذلك فليس لعبد من عباد الله أن يعترض على الله ويوقول إذا كان الله يضل ويهدى فليس للعبد حرية الاختيار. فالواقع أن الهدية والإضلال نتائج لمقدمات ومسببات

(1) سورة الكهف آية: 13.
(2) سورة البقرة آية: 171.
(3) سورة البقرة آية: 214.
(4) سورة الطائفة آية: 128.
(5) سورة آل عمران آية: 86.
(6) سورة البقرة آية: 26.
(7) سورة النبوة آية: 115.
لاسباب كبار تقدم تلك في الآيات التي قدمنا ذكرها حيث تبين لنا أن الهداية إنما هي ثمرة العمل الصالح والإقبال على منهج الله تعالى، والضلالة إنها هو نتائج العمل البدن الإفراز، وإذا رجعنا إلى الآيات القرآنية نجد هذا المعني بيناً واضحًا لا إشكال فيه ولا إشكال.

قال تعالى: «وهدي إلى من أناب» (1) وقال تعالى: «والذين جاهدوا فينا» (2) فهذا الأهداف الحائزة للمؤمنين إنما هي ثمرة مجاهمتهم لأنفسهم وإنابتهم إلى الله واستمساكهم بإرشاده ووجهه. قال تعالى في شأن الإصلاح (3) كذلك يطيع الله على كل قلب متكبر جبار» (4) وقال تعالى: «فلم زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهادي القوم الفاسقين» (5) وقال تعالى: «بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً» (6).

فالذي نشاهد من خلال هذه الآيات أن سبب الإصلاح هو الزينغ والخروج عن طاعة الله والكبر والجبروت والكفر، واقتراف الأثاث، فالأثاث يؤثر العمي على الهدى ويسحب الظلم عن النور يعاقب من الله بعيم البصيرة بمقتضى السنة الجارية وهي ارتباط الأسباب بسببتها. والمقدمات بنتائجها.

مراتب الهداية:

إن للهداية التي هي أعظم نعمة ينالها العبد أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الهداية العامة المشتركة بين الحق أجمعين وقد ذكرها الله تعالى في قوله: «الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هديه» (1) أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يintérêt فيها يغبره، وأعطى كل عضو شكلاً وحياته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، وهذه الهداية تعن محذرة الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره وهداية الجماد المسخر لما خلقه الله، فله هداية تليق به. كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به، وإن اختفت أنواعها وضروبها، وكذلك لكل

---

(1) سورة الرعد آية: 27.
(2) سورة التحريم آية: 19.
(3) سورة غافر آية: 35.
(4) سورة الصف آية: 5.
(5) سورة النساء آية: 155.
(6) سورة طه آية: 50.
ما يتعلق بالهدية والضلال

عضو هدية تلقي به، فالرجلان للمشي، واليدان للبطن، والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له، وهدى الزوجين من كل حيوان للزدواج والتناسل، وتربيته الولد، وهدى الوطن إلى التقدم الثدي عند وضعه وطلبه، وجزيئات هذه الهدية لمخلوقات الله تعالى لا يحصيها إلا هو سبحانه.

المرتبة الثانية: هدية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريق الهلاك والنجاة وهذه لا تستلزم الهدى النافع فإنها سبب وشرط، وذلك لا يستلزم حصول المشروط والسبب بل قد يتلفع عنه المقتضي، إما بعدم كمال السبب، أو لوجود مانع، قال تعالى: {وأبا رثمة فهدتناهم فاستجابوا العمي على الهدى} (1) قال قتادة: في قوله: {وعز وجل} و{وأبا رثمة فهدتناهم} أي: بينا لهم طريق الهدى وطريق الضلالة فاستجابوا أي: أثروا الضلالة على الهدى} (2) وقال تعالى: {وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى بينهم لم يقعون} (3) فهدؤهم هدي الدلالة والبيان فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولى بعد أن عرفوا الهدى فأعرضوا عنه فأعماهم عنة بعد أن أراهوموهذا شأنه سبحانه - في كل من أنعم عليه بنعمة، فكفرها فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظه كما قال تعالى: {ذلك لأن الله لم يك مغراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغروا ما بأنفسهم} (4) وقال تعالى عن قوم فرعون: {وجددوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا} (5) وأولوا (6) أي: جددوا بها وأيضاً بعد أن تيقنوا صحتها. وقال تعالى: {كيف يهد الله قوماً كفروا بعد إيمانهم والله لا يهدي القوم الظالمين} (6).

وهذه الهدية هي التي أثبتها الله لرسوله، حيث قال تعالى: {وإنك لتهدي إلى صرائط مستقيمة} (7) ونفي عنه ملك الهدية السوجبة وهي هدية التوفيق والإلهام بقوله

1. سورة فصلت آية: 50.
2. دعاء البيان: 10/4، زاد المسرى 248/249، لسان العرب 15/254.
3. سورة التوبة آية: 115.
4. سورة الأنفال آية: 53.
5. سورة النحل آية: 14.
7. سورة الشعرى آية: 52.
 تعالى: (إنك لا تهدي من أحبب ولكن الله يهدى من يشاء) (1) فالرسول ﷺ بعده الله داعياً وبإلهام ولا يملك من الهداية شيئاً سوى هداية التدخل والبيان وخلق الله إبراهيم مزيناً ومغوباً، وليس له القدرة على إضلال أحد من البشر إذا الهدي والضلالة بيده. سبحانهـ.

قال تعالى: (وإذ يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صرائط مستقيمة) (2) فجعل سبحانهـ بين الحدَّادتين العامة والخاصة، فعم بالدعوة هداية شاملاً ومغيناً، وخص بالهداية نعمة مشتية وفضلًا، وهذه المرتبة أخص وأسرى من التي قبلها فإنها هداية تخص المكلفين وهي حجة الله تعالى خلفه الذي لا يعذب أحدًا إلا بعد إمامتها عليه ﷺ قال تعالى: (وما كنت مدعين حتى نبعث رسولًا) (3) وقد يقول قائل: كيف تقول حجة الله عليه فقعد منهم من الهذي ولح بينهم وبينه؟ وجاء على هذا أن حجة الله ﷺ كافئة عليهم بتخليته بينهم وبين الهذي، وبيان الرسول لهم وأراهم الصراط المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عياناً، ونصب لهم أسباب الهداية ظاهراً وباطناً، ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب، ومن حال بينهم وبينها منهم بزوال عقل، أو ضغر لا تميز معه، أو كونه في ناحية من الأراضي لم تبلغه دعوة الرسول فإنه سبحانهـ لا يعذب حتى يقيم عليه حجته فهو سبحانهـ لم يتمعنه من هذا الهذي، ولم يحل بينهم وبينه، ولكنه سبحانهـ -قطع عليهم توفيق—they ولم يرد من نفسه إعاناتهم، والإقبال بقلوبهم إليه فلم يحل بينهم، وبين ما هو مقدر لهم، وإن حال بينهم وبين ما لا يقدرون عليه، وهو فعله ومشيئته وتوفيقه وهذا غير مقدر لهم وهو الذي معناه وحيل بينهم وبينه فليذهب لهذا الأشكال.

المرتبة الثالثة من مراتب الهداية: هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل وهذه المرتبة أخص من التي قبلها وهي التي يضل فيها جهال القدرية بالتأويل الفاسد.

فقد زعموا: أن المراد من الضلال والهذي هو تسمية الله العبد مهنيداً وضالاً فجعلوا هذة، وإضلاله مجرد تسمية العبد مهنيداً بذلك (4) وسنبين بطلان هذا قريباً بعد ذكر الآيات الدالة على هذه المرتبة. وأما الجريئة: فقد ظلموا القدرية، ولم ينصفهم بل ظلموا أنفسهم بإنكار

---

(1) سورة القصص آية: 67.
(2) سورة يونس آية: 25.
(3) سورة الإسراء آية: 15.
(4) نظر مقالات الإسلاميين 524/11244 235-2324، شفاء العليل ص: 82.
ما يتعلق بالهدية والضلال

الأسباب والقوى وإنكارهم فعل العبد وقدرته، وأن يكون له تأثير في الفعل البنى فلم يهدوا لقول القدرية، بل ازدادوا ضلالاً على ضلالهم وجموداً على ما هم عليه من الباطل (1).

وهدية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستنكرة للفعل تتضمن أمرين:

أحدها - فعل - الرَّبُّ تعالى - وهو الهادي:

الثاني: فعل العبد وهو الإهداء وهو أثر فعل الباري - سبحانه - فهو الهادي والعبد هو المهدي.

قال تعالى: \( \text{"لا يهدد الله ذو الهدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون"} \) وقد أمر - سبحانه - عباده جميعهم بأن يسألوا هديتهما الصراط المستقيم في كل يوم وليلة في الصلاوات الخمس المفروضة، وذلك يتضمن الهداية إلى الصراط والإلهام فيه، كما أن الضلال نواعان: ضلال عن الصراط فلا يهدي إليه، وضلال فيه، فالأول ضلال عن معرفته، والثاني ضلال عن تفاصيله، أو بعضها (2).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: \( \text{"والفعل المجتمعة دائماً إلى أن يهددي الله الصراط المستقيم فهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء فإنه لا نزة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه البداية فمن فاته فهو إما من المغضوب عليهم، وإما من الضالين وهذا الهادي لايحصل إلا بهدى الله، وهذه الآية (3) مما يبين نفس مذهب القدرية"} \).

وهذه المرتبة دل عليها الكثير من آيات القرآن كقوله تعالى: \( \text{"إن لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء"} \) وقوله تعالى: \( \text{"إنه تحصر على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل除非 لا أتى على أن هديه الإلهام والتوفيق وخلق الهدية في القلب لبس إليه ولا إلى أحد غيره، وإنما ذلك لله وحده.} \)

(1) سورة الأعراف آية 178.
(2) شفاء العليل ص 81.
(3) البطل والتحل 85/88.
(4) يشير إلى قوله تعالى في سورة الفاتحة (إهدانا الصراط المستقيم).
(5) مجموع الفوائد 14/637، وانظر دفاتر التفسير 2009، شفاء العليل ص 81.
(6) سورة القصص آية 56.
(7) سورة النحل آية 37.
وأما تأويل القدرية: بأن المراد من الهدى والضلال هو: «تسمية الله العبد محتدباً وضالاً». فهذا تأويل قاسد أنكره عليهم سلف الأمة وأتهمها في كل مكان، وفي كل عصر، وبينوا أن قولهم هذا ليس له أساس، وإنما بنوه على ترهاتهم الفاسدة وتأويلاتهم الباطلة.

لا يصح حمل آيات الهدى والضلال على هذا المعنى وتأويلهم ذلك باطل من وجه.

الوجه الأول: أننا إذا تأملنا آيات الهدى والضلال وجدناها لا تحتول تأويلهم ذلك إذ أننا ليس في أي لغة من اللغات فضلاً عن اللغة الفصحي التي نزل بها القرآن أن هداه بمعنى سماه محتدباً وأصله سماه ضالاً، ولا يصح أن يقال: علمه إذ سماه عالماً، وفهمه إذا سماه فهماً، وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى: «ليس عليك هداه ولكن الله يهدي من يشاء» (1). فهل فهم أحد غير القدرية المحرفة للقرآن من هذا «ليس عليك تسيمه ولكن الله يسبي من يشاء»؟ وهل فهم أحد غيرهم «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء»؟ إنك لا تهدي من أحببت لا تسيمه محتدباً ولكن الله يسيمه بهذا الإسم.

- سبحانك! هذا بوتان عظيم وقوله على الشارع بغير علم.

الوجه الثاني: عليهم أن يبينوا صلاحية النظف للمعنى الذي ذكره أولاً: واستعمال المتكلم له في ذلك المعنى، في أكثر المواضع حتى إذا استعمله فيما يحمل غيره حمل على ما عهد منه استعماله فيه.

الوجه الثالث: «عليهم أن يقيموا دليلاً سالماً عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقة إلى مجازه واستعارته وإلا كان ذلك منهم مجرد دعوى لا تقبل منهم» (2).

وتتأول بعضهم نصوص الهدية على أن المراد بها هدياً البيان والتعريف لا خلق الهدى في القلب، فإنه - سبحانه - لا يقدر على ذلك عند هذه الطائفة الزائفة (3).

قال محمد بن أحمد السفاري: «تنبيه المشهور عند المعتزلة ومن مذهبهم أن

(1) سورة البقرة آية: 52.
(2) شفاء العليل في مسائل الفضاء والقدر ص 82-83.
(3) المصدر السابق ص 83.
ما يتعلق بالهدية والضلال

الهدية هي الدلالة الموصلة إلى المطلوب فإن لم تكن موصولة إلى المطلوب فليست ببداية عندهم١.

ويرد عليهم في هذا التأويل: أن الله تعالى قد أخبر بأنه قسم الهدية إلى قسمين:

قسم: لا يقدر عليه إلا هو سبجائه و تعالى ـ.

قسم: مقدر للعبد قال تعالى في القسم المقدر لعبده وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم٢ وقال تعالى في القسم غير المقدر للعبد إنك لا تهدي من أحبب ولكن الله يهدي من يشاء٣ وقال تعالى: فإن الله لا يهدي من يضل٣ فحمل هذا على هديته الدعوة والبيان لا يصح وغير سائع فإن هذا يهدي وإن أصله للهدية والبيان وكما قوله تعالى: وأصله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشوة فمن يهديه من بعد الله؟ فهل يجوز حمله على معنى فمن يدعوه إلى الهدي وبين له ما تقوم به حجة الله عليه وكيف يصنع هؤلاء القدر بالنصوص التي فيها أنه سبجائه ـ هو الذي أضلهم؟ يجوز لهم حمله على أنه دعاه إلى الفضيل؟ لا شك أنهم يقولون ليس هذا معناه ولكنهم لما وجدوا أنفسهم لا يقدر عليهم له دليل على دعواهم جئوا إلى تحرفات أخرى.

فقالوا: إنما معناها أفسأهم، و وجدهم، كذلك، أو أعلم ملائكته ورسله بضلاليهم، أو جعله على قلوبهم علامة يعرف الملائكة بها أنهم ضلاليهم ويرد على هذه التحريفات من وجوه: الوجه الأول: أن اللغة لا تحتمل ذلك، وأن النصوص إذا تأملها المتأملا وجدوها

أبعد شيء من هذا المعنى.

الوجه الثاني: أما قولهم إنه علمهم بعلامتهم يعرفهم بها الملائكة فهذا من جنایتهم على كتاب الله تعالى ففي أي لغة وفي أي لسان يدل قوله تعالى: إنك لا تهدي من أحبب ولكن الله يهدي من يشاء ـ على معنى إنك لا تعلمه بعلامته ولكن الله هو الذي يعلم به؟

---

1- لواجم الأنوار ١/٣٣٥.
2- سورة الشعرى آية: ٢٢.
3- سورة القصص آية: ٥٦.
4- سورة النحل آية: ٣٧.
5- سورة الجاثية آية: ٣٣٦.
وفي أي لغة يفهم من قول الداعي (إهدنا الصراط المستقيم) علمنا بعلامته يعرف الملائكة بها أنتان مهتدون؟ وفي أي لغة يكون معنى قوله: (وجعلنا قلوبهم قاسية) علمنا بعلامته أو وجدناها كذلك؟

الوجه الثالث: يقال لهم في أي لسان وفي أي لغة؟ وجدتم هديت الرجل إذا وجدته مهتدياً وختتم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وجدته كذلك، فهل هذا إلا من الإفتراء المحسوم ومن الجنابة على القرآن واللغة لم يجنهما غيركم، وما يدركوا أن تأويلاتهم الفاسدة لم تساعدهم على ما يريدون وتضلل أمام مناقشة أهل الحق لها يتجون إلى مراوغة أخرى فيقولون: نحن لم نقل هذا إلا في نحو أصله الله أي: وجدوه ضالاً كما يقال: أحمدت الرجل، وأبلغته وأتجنته إذا وجدته كذلك، أو نسبته إليه.

ورد على تحريره هذا أنه لم يرد إلا في ألفاظ معدودة نادرة وآلاً فوضع هذا البناء على أنك فعلت ذلك به ولا سيما إذا كانت الهمزة للتعديد من الثلاثي كفام وأقمةه. ثم نجد فيها فظًا واحدًا معناه أنه وجدته كذلك تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ثم إذا نظرنا لم نجد أحدًا من الأولين والآخرين من أهل اللغة يقول: إن العرب وضعت أضلة الله وهذا وتحت على سمعه وقلب، وأزاغ قلبه، وصرفه عن طاعته ونحو ذلك لمعنى وجدته كذلك ولكن الله - سبحانه - لما أراد الإبانة عن هذا المعنى قال: (وجعلك ضالاً فهديك) ولم يقل وأضحك.

الوجه الرابع: يقال لهم أي مدح؟ أي توحيد؟ وتعريف للخلق بأن الأمر كله الله وبيده، وأنه ليس لأحد من أمر شيء في مجرد التسمية والعلامة ومصادفة - الشر毒性 - عباد كذلك، ووجدته لهم على هذه الصفات من غير أن يكون له فيها صنع، أو خلق، أو مشيئة، إذ البشر كله لم يجزون عن التسمية والمصادفة والوجود فيما عجبابة هذا الهراء الذي لا مدح فيه ولا ثناء لرب العالمين» (2) ففي الحقيقة أن القدرة والجبرية لم يقدروا الله حق قدره بل هلكي فيما يجب الله من التظيم والتنزيه، ولذلك أغضبهم أنباع رسول الله ﷺ وبينما ما هام عليه من المنكر الواضح ومن الاعتقاد الفاسد.

(1) سورة البقرة آية: 7. 6
(2) سورة البقرة آية: 13. 12
(3) سورة البقرة آية: 7. 13
(4) شفاء العليل ص 83-84 بتصريف.
ما يتعلق بالهدية والضلال

روى أبي بكر محمد بن الحسن الأبري بإسناده إلى عبد الله بن الحارث قال:
«خطب عمر بن الخطاب بالبابية (1) فمحمد الله وآله وصحبه عليهم وسلم بنجزه كالمتكرر لما يقول فقال: من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا نادي له، فنفض جبينه كالمنكر لما ي قول: قال عمر ما يقول؟ قالوا: يا أمير المؤمنين يرحم أن الله يملأ أحداً قال عمر: كذبت أي عدو دين الله خلقك، وقد أضلك، ثم يدخلك النار أما والله لولا عهد لك لضربت عنقل إن الله عز وجل خلق أهل الجنة وما هم عاملون وخلق أهل النار وما هم عاملون فقال لهم: هذه هولاء وهذا لفALER نفقر الناس وما يختلفون في القدر».

المرتبة الرابعة: من مراتب الهدية: غاية هذه الهدية وهي الهدية إلى الجنة والنار إذا سبق أهلهما إليها، قال تعالى: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهدئهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنت النعيم».

وقال تعالى عن أهل النار: أحسبوا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلادهم إلى ضراط الجهيم».

والذي نخلص إليه مما تقدم أن الهدية والإضلاع بيد الله تعالى وأن العباد لا يملكون من ذلك شيئاً، وإن الله تعالى يمنحها من طلبه بالإخلاص، وأخذ بالأسباب التي توصله إليها، وأسباب الهدية في مقدور كل أمر، وإن يأخذ بها حتى يكون من المهتدين، أما من أعرض عنها وأبي إلا أن ينحرف عن طريق الهدى فهذا يكون نصبها العواية والضلال وهذا من فعل العباد وكسبه، فالهدية والإضلاع فعل الله، والإهداة والضلال فعل العبد وكسبه.

__________________________
(1) البابية: مدينة بالشام انظر معجم البلدان ص 91، وانظر مختار الصحاح ص 92.
(2) الحكائين: جمعه جالطة وهو متقدم الأساقفة انظر المنجد في اللغة والأعلام ص 79.
(3) الشريعة الآلية ص 201-200.
(4) سورة يونس آية 9.
(5) انظر أنواع الهدية في "شفاء العليل" ص 85-84، و"بلاع الفوائد" ص 50-37، فتح الباري 516-515، والبيان رقم 42 من سورة الصفات.
(6) الأندور الذهبية 344-335، والبيان رقم 23 من سورة الصافات.
الباب الثالث

دلالة السورة على وجب الإيمان باليوم الآخر

وفي ثلاثة فصول:
الفصل الأول: مباحث في اليوم الآخر قبل دخول الجنة والنار.
الفصل الثاني: النارد الكافرين.
الفصل الثالث: الجنة دار المتقدمين.
الفصل الأول

مباحث في اليوم الآخر قبل دخول الجنة والنار

منهجية:

المبحث الأول: النفخ في الصور.
المبحث الثاني: بث الموتى من قبورهم.
المبحث الثالث: عناية القرآن بإثبات البعث.
المبحث الرابع: أرض المحشر.
المبحث الخامس: كتاب الأعمال.
المبحث السادس: جزاء الأعمال يوم القيامة.
مبادئ: 

إن الله تعالى فطر الإنسان على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت، وهذا من أقوى الأدلة على وجود اليوم الآخر لأن الله - جل وعلا - إذا أراد أن يقنع بني الإنسان بأمر ما فإنه يعرض فكرة الانتقاء له في فطرتهم، ولذا فإن الإنسان ينتقص إلى حياة خالدة ولو في عالم غير هذا العالم وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف ولذلك جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت وجعلت مصير كل إنسان مرتين بما قدته بداء في الحياة الدنيا وهذا مما يكسب الإنسان زيادة إيمان بربه، وما جاءته به رسله يفهم الأعمال الصالحة استعداداً بها ليلوم المعاد، ولما كان القرآن الكريم خاتماً لجميع الرسلات السماوية، وليس بعده أي رسالة تيب للناس ما يختلفون فيه، وما يستدف في حياتهم فإنه جاء وفياً بمطالب الروح والجسد في تعاليمه وتوجيهاته ولما كان مرتكز الجدل في بني الإنسان جيلة وطبيعاً كما قال تعالى: (وكان الإنسان أكثر ضعفاً من الناقة (1) وما كان الإفتاع أيضاً: بحجة أخرى بعد الموت من الأمور التي شغلت فكر الإنسان، فإن القرآن الكريم جاء وفياً بالأدلة والبراهين القاطعة على البهت والجزاء، وعرض ذلك في نماذج حية، وضمنها شبه المكرين، ولم يتركها تمر دون مناقشة لها، بل أبطل شبههم بالمنطق الصحيح والبراهين العقلية التي تزيل فكرة الفناء الأبدي التي علقت بعض الأفكار السقيمة، وتطمئن الإنسان وتدفعه للعمل الصالح وترحع عنه إمال التسابق إلى الدرجات العليا في حياة أفضل وقد ذكرت بعضاً من تلك البراهين في المبحث الثالث، من هذا الفصل، وقد دعا القرآن إلى الإيمان بالله وإلى البراءة، بأسلوب متنوع لا يقف قبلاً عليها إلا دهري جهود في سبيل المسلمين التصديق الإيجابي بجميع ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه. ونعيمه، والبعث 

(1) سورة الكهف آية: 54.
بحث في اليوم الآخر قبل دخول الجنة والغد
والشر، والنشر، والصحف، والميزان، الحساب، والجزاء، والصراف، والحوض،
والشفاعة(1)، والجنة والنار وأحوالهما، وما أعد الله لاهلهم إجمالاً وتفصيلاً والإيمان
بالبعث بعد الموت هو أحد أركان الإيمان السبعة وقد ذلل على وقوعه الحقل، والعقل، والفرطة
كما صرحت به جميع الكتب السماوية، ونادى به جميع الأنبياء والرسلون(2)، وقد
 تعرضت سورة الزمر لمباحث كثيرة تتعلق باليوم الآخر وهي مستحدث عنها فيما يأتي.

(1) تقدم الكلام على الشفاعة عند الكلام على توحيد العبادة وقد أفردناها بمبحث خاص.
(2) انظر إرشاد الثقات إلى أتفاق الشافعية على التوحيد والمعدة والندوات للشوكاني (ص 14).
المبحث الأول
الفخ في الصور

قبل أن نذكر الآية التي دلت على الفخ في الصور من سورة الزمر، نذكر معنى الفخ في اللغة والإصطلاح ومعنى الصور.

أما الفخ في اللغة:
فقد قال الرازح: "الفخ: نفح الريح في الشيء: {يوم بنفح في الصور}. ونفح في الصور: {ومنه نفح الروح في النشأة الأولى}. هـ.
وجاء في أساس البلاغة: "نفح في النار، ونفح النار بالنفاخ وهو الكير، ونصبوا على النار المنافيح، ونفحت في الزق، فنفح وهو يجد نفحه في بطنه ونفحه انفتاحاً من طعام وغيره". هـ.
وفي القاموس: نفح بفهم آخر منه الريح . والنفح الموكل بنفح النار والمناخ {آلهة}. هـ.

والذي نستفيد من هذه التعريف اللغوية أن النفح هو: دفع الهواء كما يعرف كل إنسان.

(1) سورة طه آية: 102.
(2) سورة يس آية: 51.
(3) المفردات في غريب القرآن (ص 500).
(4) (ص 266).
(5) (11) 281/1 انظر النهاية في غريب الحديث (ص 90/5).
وأما معناه في الإصطلاح:

فهو نفح مخصص في وقت مخصص من ملك مخصص لما يريده الله تعالى.

كما جاء التصريح بذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أن نافخًا ينفح في الصور بأمر الله تعالى لما يريده الله من التغيير في خلقه لأمر القيامة.

وأما معنى الصور:

فقد جاء في صحيح البخاري عن مجاهد أنه قال: (الصور كهيئة البوق) وذكر الحافظ عن الجوهري أنه قال: "البوق الذي يزرمه وهو معروف .." والصور إنما هو قرون كما جاء في الأحاديث المرفوعة، وقد وقع في قصة بعده الأذان بلفظ البوق، والقرن: الألة التي يستعملها اليهود للأذان ويقال: إن الصور اسم القرن بلغة أهل اليمن وشاهده قول الشاعر:

نحن نفخنهاهم غداة النقعين نطحًا شديداً لا كنطق الصورين(1)

قال ابن جريج: واختلف في معنى الصور ... فقال بعضهم هو قرن ينفح فيه نفخنها، إحدهما: لفنه من كان جياً على الأرض.

والثانية: لنشر كل ميت واعتولا لقولهم ذلك يقوله تعالى: (ونفح في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفح فيه أخرى فإذا هم قام ينظرون)، والخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذ سئل عن الصور: هو قرن ينفح فيه؟(2) وقال آخرون: الصور: جمع صورة ينفح فيها روحها فتحيا لقولهم: سور لسورة المدينة وهو جمع سورة كما قال جريج:

لما أتي خبر الزبير توضعت سور المدينة والجبال الخشع إلى أن قال: والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن

(1) 131/1  
(2) الفتح 11/168، وانظر الصحاح (4/1452، 716/1، تحقيق الأوحدي 117/7)  
(4) ديوان جرير (تص 345)
النخ في الصور

رسول الله ﷺ أنه قال: "إن إسرائيل قد التهم الصور وحي جبهته ينتظر متي يأمر
فينخ" (1) ، وأنه قال: "الصور قرن ينخ فيه" إهـ (2) .

وقال ابن كثير بعد أن ذكر القولين المتقدمين في مبنى الصور: "والصحيح أن السراد
بالصور القرن الذي ينخ فيه إسرائيل عليه السلام" أ. هـ (3) ، وقد ورد أنه ينخ في الصور
مع إسرائيل ملك آخر، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال: "النافخان في السماء الثانية . . . . فينظران متي يؤمران أن ينفخا في
الصور فينخا" (4) .

قال الحافظ بعد إبراده هذا الحديث: "ورجاله ثقات وأخريه الحاكم في الحديث
عبد الله بن عمر" أ. هـ (5) .

وقال البهضمي: "رواه أحمد ورجاله ثقات" أ. هـ (1) . ولا تعارض بين هذا الحديث
وبين ما ورد في بعض الأحاديث أن إسرائيل هو صاحب الصور ومن ذلك ما روي عن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور فقال: "عن
يمينه جرائثل وعن بساره ميكائيل" (6) .

قال الحافظ: "تنبيه: أظهر أن صاحب الصور إسرائيل عليه السلام، ونقل فيه
الحيائي الإجماع" (7) .

وهذا يحمل على أن إسرائيل رئيسهم كما قيل في شأن ملك الموت وأعوانه والعلم
عند الله تعالى .

(1) رواه أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد المسند (3/267)، سنن الترمذي (4/242).
(2) جامع البيان (7/339)، والحديث رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر وقال: حسن صحيح.
(3) تفسير القرآن العظيم (3/46)، وانظر تفسير روح المعاني للألوسي (7/191).
(4) 192/2 من حديث أبي مرجي، أو عن عبد الله بن عمر وكذلك المسند.
(5) الفتح (١١/٣٦٣).
(6) مجموع الزوائد (١٠/٣٣٠).
(7) سنن أبي داود (٢/٣٦٠).
(8) الفتح (١١/٣٨١).
ونجده في حديث صحيح أن اليوم الذي تكون فيه النفخة والساعة هو يوم الجمعة، وهو حديث أوس بن أوس الثقفي مرفوعاً: "إنه أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه الساعة، وأيامكم في الساعة، وفيه النفخة".

وقد دلت السورة على أن من الإيمان بالله، بالله الذي خلق من السماوات ومن الأرض، لا إله إلا هو، وهو خالق للكتب والعدل، الذي يجعده الله سبب الفزع، والضعف والقيام من القبور. قال تعالى: "والفتح في الصور، فصغب من في السماوات ومن في الأرض. إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه، فإنه هم قيام ينظرون هذة الآية الكريمة من السورة ذكر الله فيها نفخاتي، نفخة الصعق، ونفخة البعث.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وأما النفخات في الصور فثلاث نفخات: نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث".

وقال أبو بكر بن العربي: "الصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرائيل... ينفخ فيه بأمر ربه ثلاث نفخات: أولاً، نفخة الفزع، ثم الثانية، نفخة الصعق، والثالثة، نفخة البعث".

فعدد النفخات ثلاث وقد وردت كلها صريحة في القرآن.

الأولى أسماء الفزع:

ويهي المذكورة في قوله: "جل وعلا، في يوم ينفخ في الصور فزع من في السماء، ومن في الأرض إلا من شاء الله".

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصور... وذلك في

(1) سنن التسائي 911، وابن خزيمة في صحيحه (118/3).
(2) النهاية: (110/3).
(3) هو محمد بن عبد الله بن محمد العفاري الإشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي، فاضل من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية سنة ثمانية وأربعون، وتوفي سنة ثلاث وأربعين، ومصر بهما نفخة في نفخات الحفاظ.
(4) عادة عهدية 627- 628، 57.
(5) سورة النمل آية: 27.
آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرارة الناس من الأحياء في الفزع من في السموات ومن في الأرض» أ. ه. (1).

وورى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو وجاء رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال: سبحانه الله: أولاً إله إلا الله، أو كلمة نجها، لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرأةً تزفماً يحرم البيت ويكون، ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: "خرج الدجال في أمتي في مكث أربعين لا أدرى: أربعين يوماً أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطبه فيهلكه. ثم يمك الناس سبع سنين ليس بين اثنين عدواً ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلب مثال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته. حتى لو أن أحد دخل في كبد جبل لدخلته حتى تقبضه: قال: سمعتها من رسول الله ﷺ: قال: فيفيق شرارة الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معرفاً ولا ينكرون منكرًا، فيفيمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فبعلهم بما أبادوه! فهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم ثم ينفح في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا(2) قال:

وأول من يسمعه رجل يلتو حوض ابنته(3). . . الحديث(1).

فهذه النذكرة المذكورة في الحديث هي نذكرة الفزع ثم تأتي بعدها نذكرة الصعقة.

قال ابن كثير: "فلا بد من مدة بين نذكرين الفزع والصعقة وقد ذكر في حديث الصور أنه يكون فيها أمور عظام من ذلك زلالة الأرض وارتجاجها، وصديقتها سهلًا وتكنيها ميماً وشمالًا قال الله تعالى: (إذا زللت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها. وقال الإنسان ما لها). يوتم تحدث أخبره بأن ربك أرحم لها" (3).

(1) تفسير القرآن العظيم (5/269).
(2) في الكلب: أي ويقع وسخطه، وكيد كل شيء، وسطه.
(3) في خفة الطير وأحلام السباع: أي في سترتهم إلى بينهم وقياس الشهوة والفساد كطيران الطير، فينعدوان وظلمهم بعضهم بعضًا في أخلاق السباع العادة.
(4) الليث هو صفح العنق، أي أمال عطق ليستمعه من السماء جيدًا.
(5) (رباط حوض إبنته: أي يلتوه وصلبه.
(6) صحيح مسلم (6/2458 - 2759 - 2659).
(7) سورة الزنادقة: آية 1. 05.
وقال تعالى: "إذًا وقعت المواقفة ليس لوقعتها كاذبة خاضعة رافعة. إذا رجت الأرض رجاءً، وبست الجبال بساً. فكانت نبأً أمنيا. و كنت من زواجاء الثلاثة" (1). وقال تعالى: "يا أيها الناس إنقوا ربك إلّا إنه زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهب كل مرضاية عما أرعته وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد" (2).

ولما كانت هذه النفسة أعني نفسة الفزع أول مبادئ القيامة كان اسم يوم القيامة صادقاً على ذلك.

كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بيلان لقحته فلا يطمعهما، ولتقوم الساعة، وهم يبتغون حوضه فلا يسيقيه، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى يده فلا يطعمها" (3) وهذا إنما يتوجه على ما قيل في نفسة الفزع أنها الساعة لما كانت أول مبادئها أ.ه (4).

وقد ثبت في الحديث في وصف أهل آخر الزمان بأنهم شاران الناس وعليهم تقوم الساعة (5).

النفسة الثانية نفسة الصاعق:

وهي نفسة الصاع، وهذه هي التي فيها الهلال لجميع الموجودين من أهل السماوات ومن في الأرض من الإنس والجن والملائكة إلا من شاء الله. وقد قدمنا أن نفسخ الصاعق، والبعث دلّه عليها السورة.

قال - تعالى: "ونفس في الصور فصاعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله...".

---

(1) سورة الواقعة آية: 1-7.
(2) سورة النحل آية: 2-1.
(3) صحيح البخاري مع الفتح (11/35 2/91).
(4) النهاية (1/181).
(5) انظر صحيح مسلم (3/1550), وسنن ابن ماجة (2/1341), المسند للإمام أحمد رحمه الله (1/500).
قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ونعف إسرائيل في القرن... وقوله {فسع من في السماء ومن في الأرض} يقول: مات.

وقال السدي {فسع من في السماء ومن في الأرض} مات(1).

وقال ابن كثير: يقول: تبارك وتخليل - معبرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله - تعالى - ونعف في الصور فسع من في السماء ومن في الأرض إلا من شاء الله).

"هذه النعفة هي الثانية وهي نعفة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماء والأرض إلا من شاء الله" أ. ه(2).

وقد اختلف أهل العلم في الذين عن الله بالاستثناء في هذه الآية:

قال القرطبي: واختلف العلماء في المستثنى من هو؟

قيل: الملائكة.

وقيل: الأنيباء.

وقيل: الشهداء واختارة الحليمي قال: {وهومروئي عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء فإن الله تعالى - يقول: {أحياء عند ربهم يرزقون}}(3) وضعف غيره من الأقوال... وقال شيخنا أبو العباس(4) والصحيح أنه لم يرد في تعبينهم خبر صحيح والكل محتمل" أ. ه(5).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - وآما الاستثناء فهو متناول لمن

(1) تفسير القرآن العظيم (19/6) (2) سورة آل عمران آية 169.
(3) سورة آل عمران آية 109.
(4) هو أبو العباس القرطبي: أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري من فقهاء المالكية ولد سنة ثمان وسبعين وخمسين سنة وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين وخمسين انظر ترجمته في البداية والنهاية 13/12، النجوم الزاهية 7/31.
(5) التذكرة (1/1 16/7، وانظر جامع البيان للطبري (24/29-31).
في الجنة من الحور الين، فإن الجنة ليس فيها موت ومتناول لغيرهم ولا يمكن الجزم بكل
من استضناء الله فإن الله أطلق في كتابه أهـ(1).

وقال الولاء عبده: когда قولته تعالى: ونشف في الصور فصعق من في
السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ف النقد الله سبحانه بعض من في
السموات ومن في الأرض من هذا الصعق.

فقيل: هم الشهداء. هذا قول أبي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير.

وقيل: هم جباث واليمكاث والسريف وملك الموت وهذا قول مقاتل وغيره.

وقيل: هم الذين في الجنة من الحور الين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب
وخزنتها. قاله أبو إسحاق بن شاقلا (2) من أصحابنا.

وقد نص الإمام أحمد على أن الحور الين والولدان لا يمت عن النشف في الصور.

وقد نصر سبحانه. أن أهل الجنة لا يذوقون فيها الموت إلا الموت الأول (3)
وهذا نصر عليه أنهم لا يموتون غير تلك الموت الأولى، مؤسسة مرة ثانية للكانت موتان،
وأما قول أهل النار (وربا أمتنا الثنتين وأحييتان الثنتين) (4).

ففسر هذه الآية التي في البقرة وهو قوله تعالى: كيف تكفرون بالله وكم أصحابنا
فأضحكتم ثم عبديكم ثم يحيكم (5).

فكانوا أمواتاً وله نطف في أصلاب آبائهم، وفي أرحام أمهاتهم ثم أحيائهم بعد
ذلك ثم أماتهم، ثم تجلع يوم التشرورس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة والآلا
كانت ثلاث موتات، وصف الأرواح عند النشف في الصور لا يلزم منه موتها ففي الحديث

(1) مجمع الفتاوى (1/11 31/).
(2) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البازار الحنبلي، جليل القدر، كبير الرواية حسن
الكلام في الأصول والفروع، توفي سنة 75، وسنتين وثلاثمائة هجرية، شهدت الذهب (18).
(3) سورة الدخان آية: 56.
(4) سورة غافر آية: 11.
(5) سورة البقرة آية: 28.
النفخ في الصور

الصحيح: "أن الناس يصطفون يوم القيامة فتكون يوم من يقين إذا موسى آخذ بقائمة
العرش فلا أدرى أما نقصوابهم ام جوزي بصفة يوم الطور" (1).

فهذا صدق في موقف القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشارت الأرض بنوره،
فحيناد نعمة الخالق كلهم قال تعالى: "فذرهم حيث يلاقوا بومهم الذي فيه
يصطفون" (2).

ولو كان هذا الصاعد موتاً لبالت والموت أخرى (3) "وقد نقض لهذا بعض أهل الأمل فقد
قال أبو عبد الله القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذه صفعة ليست يوم القيامة لا
الصفعة الحادة عن نفخ الصور قال: وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو: ظاهر حدث
النبي أسعد على أن هذه صفعة إما هي بعد النفي القوية، نفخة اللهم ونص القرآن
يقتضي أن ذلك الاستثناء إما هو بعد نفخة الصاعد، ولما كان هذا قال بعض العلماء:
يحتتم أن يكون موسى ممن لم يموت من الأحياء وهذا باطل. وقال القاضي عياض:
يحتتم أن يكون المراد بهذه صفعة فزع بعد العصور حين تشق السموم والأرض.
قال: فتستقل الأحاديث والآثار، ورد عليه أبو العباس القرطي فقال: يرد هذا قوله في
الحديث الصحيح: "أن الحين يخرج من قبره يلقى موسى آخذ بقائمة العرش، وهذا إنما
يكون عند نفخة الفزع.

قال أبو عبد الله: وقال شيخنا أحمد بن عمرو: الذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله
تعالى أن الموت ليس بعد محسوم وإنما هو انقلاب من حل إلى حالت، وبدل على ذلك أن
الشهداء بعد قلتهم ومومتهم أحياء عند ربهم برزاقين فرجين مستبشرين، وهذه صفعة الأحياء
في الدنيا وإذا كان هذا في الشهداء كان الأحياء بذلك أحكام وأولى مع أنه قد صرح عن
النبي لئلا تأكل أجسام الأحياء، وأنه اجتمع بالأحياء ليلة الإسراء في بيت
المقدس وفي السماء وخصوصاً بموسى وقد أخرج بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رداً لله عليه
روحه حتى يرد عليه ... وإذا أقر أن أجسام ما يشا في الصعود نفخة الصاعد صقع كل
من في السموم ومن في الأرض إلا من شاء الله، أما صقع غير الأحياء فموت، وأما صقع

(1) صحيح البخاري مع النفح (1306/6) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، المندب (23/3).
(2) سورة الطور آية: 45.
(3) الروح (ص): 51-50.
الأنباء فالأظهر أنه غشيء، فإذا نفع في الصور نفخه البعث فمن مات حي ومن غشي عليه أفاق، ولذلك قال ﷺ في الحديث المتفق على صحته: فآكون أول من يصعق فنبينا أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس إلا موسى فإنه حصل له فيه ترد: هل بعث قبله من غشيته أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعقة مفياً لأنه حوسص بصعقة يوم الطور؟ وهذه فضيلة عظيمة في حق موسى عليه السلام ولا يلزم من فضيلة أحد الأمراء المشكوك فيهما فضيلة موسى على محمد ﷺ مطلقاً لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمراً كلياً أه(1).

وقال أبو عبد الله القرطي: إن حمل الحديث على صعقة الخلق يوم القيامة فلإشكال، وإن حمل على صعقة الموت عند نفخ الصور وصرف ذكر يوم القيامة إلى أنه أراد أوامره، فيكون المعنى: إذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فإذا بموسي أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبل أم جوزي بصعقة الطور(2).

وقد رد هذا العلامة ابن القيم فقال: وحمل الحديث على هذا لا يصح لأنه ﷺ تردد هل أفاق موسى قبله أم لم يصعق بل جوزي بصعقة الطور، فالمعنى لأدرى أصعق أم لم يصعق، وقد قال في الحديث: فآكون أول من يفقيه، وهذا يدل على أنه ﷺ يصعق فمن يصعق، وأن التردد حصل في موسى هل صعق وأنافق قبله من صعقته أم لم يصعق وله كان المراد به الصعقة الأولى وهي صعقة الموت لكان قد جزم بميته وتردد كل مات موسى أم لم يمت، وهذا باطل لوجه كثيرة، فعلم أنها صعقة فزعة لا صعقة موت وحيث أن فلا تدل الآية على أن الأرواح كلها تموت عند النفخة الأولى، فأما تدل على أن صوت الخلاق عند النفخة الأولى وكل من لم يذق الموت قبله فإنه يذوته حينئذ وأما من ذاق الموت أو من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية، والله أعلم. ثم قال رحمه الله: فإن قيل: كيف تصعنون بقوله في الحديث: إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تشق عنه الأرض فأجد موسى باطعاً بقائمة العرش(3)، فيل لا ريب أن هذا قد ورد.

---

(1) التذكرة (ص 119) بتصرف.
(2) المصدر السابق (ص 168).
(3) صحيح البخاري مع الفتح (111/327، صحيح مسلم (4/236) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
الفتح في الصور

هكذا وهم نشأ الأشكال ولكنه دخل على الراوي حديث في حديث فركت اللؤظين فجاء هذا والحديث هكذا.

أحدهم: أن الناس يسعقو يوم القيامة فاكون أول من يفق.
والثاني: هكذا: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة في الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، ويبدي لواء الحمد، ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر".

قال الترمذي: هذا الحديث حسن صحيح (1).

فدخل على الراوي هذا الحديث في الحديث الآخر وكان شيخنا أبو الحجاج الحافظ (2) يقول ذلك.

فإن قيل: فما تنصونون بقوله: "فلا أدرى أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل"؟ والذين استثنىهم الله إنما هم مستثنون من صحة النفى خلا من صحة يوم القيامة كما قال الله تعالى: "ونفخ في الصور فصنع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله"، ولم يقع الاستثناء من صحة الخلافات يوم القيامة.

قيل: هذا والله أعلم غير محفوظ وهو وهم من بعض الرواة والمحفوظ ما تواطأت الروايات الصحيحة من قوله: "فلا أدرى أفاق قبلي أم جوزي بصغرة الطور" (3)، فظن بعض الرواة أن هذه الصعقة هي صعقة النفى، وأن موسى داخل فهم استثنى منها، وهذا لا يلتبس على مساق الحديث قطعاً، فإن الإقامة حينئذ هي إفادة البیع كفيف يقول: "لا أدرى أبعث قبلي أم جوزي بصغرة الطور؟ فتأمله، وهذا بخلاف الصعقة التي يصفها

(1) سنن الترمذي (4/200)، سنن ابن ماجة (2/1460)، أحمد في المسند (281).
(2) إسمه: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج. محدث النجاشي الشام، مهتم باللغة، ثم في الحديث ومعرفة رجاله وصنف كتبها منها، وله في الكمال في أسماء الرجال، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، ووفى سنة ثلاثين وأربعين وسعماً، انظر ترجمته في "المدرر الكامنة" (4/576)، التجم الزاهية (47/126) الأعلام (3/131).
(3) صحيح البخاري مع الفتح (3/137، صحيح مسلم 4/1844).
(4) صحيح البخاري مع الفتح (2/330)، المسند 323.

مباحث العقيدة (36)
الخلاقين يوم القيامة إذا جاء الله سبحانه وتعالى للقضاء بين العباد، فنلقي عليهم يصغرون جميعاً، وأما موسى عليه السلام فإن كان لا يصغرون معهم فيكون قد حسب بصنعته يوم نترى إليه للجبل فجعله دكماً، فجعلت صحة هذا الترجي عوضاً من صحة الخلاقين لتصحى الرجوبية القيامة، أي 1.

وماإنا ابن القيم من اعتبار الصقع لتصحى الله يوم القيامة محتمل وهناك احتمال آخر وهو أن هذا الصقع يكون النفيحة الثانية، والصقع عندما صعقت صعق مرتين لم كان حينئذ على قيد الحياة في الدنيا، وصعقت عشية فريج تكتم حياته إلى رخية، وعلى هذا يكون الرسول عليه السلام وحده صعقت له هذا الصقع، وعند موسى يحتلم أن يكون حصل له هذا الصقع ويحتمل أنه لم يحصل له صعقة نوجز صعقة الطور أوكبر من استثنى الله.

والذي بيد أن الراجح في الأسئلة المذكورة في الآية: "أنه متناول لمن في الجنة من الحوراء المكتوب إذ الجنة لا موت فيها وإنما هي دار خلود وبقاء كما أنه يتناول غيرهم وليس في إمكاني أن أقطع بكل من استثناء الله فلا يمكننا أن ننجز بذلك فصبر حياء مملوء هذا علم بقرب الساحة وأعيان الأنيบางคน مثل ذلك مما لم يرد في خبر عن الشارع إذ هذا الأمر لا يتم معرفته إلا عن طريق خبر الشارع وهذا اختيار: الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله 2.

وقدلت السنة على أن هناك مدة بين نفخة الصقع والبعث.

روى الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: "ما بين النفختين أربعون" قالوا: أربعون سنة؟ قال "أبيت" قالوا: أربعون سنة؟ قال "أبيت" ثم بنزغ الله من السماء ماء أينبتو كما ينتي البقل قال: وليس من الإنسان شيء إلا يلبى إلا أعظماً واحداً وهو عجب (في) الذنب 3.

1. الرجوب في القيامة ص 52-64، شرح الطهارة ص 427-438.
2. انظر مجموع الغنائي (156) 3/1.
3. معناه: أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يوماً، وسيلة، أو شهر، أو الذي أجزم به أنها أربعون على سبيل الإجمال.
4. عجب الذنب: عظم الطيف في أصل الصلب، وهوراس منصص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربعة ذكره الحافظ في "هدى الساري في مقدمة نظير الباري" (ص 153).
5. صحيح البخاري (132)، صحيح مسلم (8/440-477) واللفظة.
النَّفخ في الصور

فالمراد بالنتفخين هنَّا نفخة الصعق ونفخة القيام للبعث والنشر، ويؤيد ذلك إنزال الماء بينهما وذكر عجب الذئب الذي منه يخلق الإنسان وفيه يركب خلقه عند بعثه يوم القيامة (1).

النَّفخة الثالثة: نفخة البعث:

وهذه النفخة هي نفخة البعث والنشر والقيام لرب العالمين دل عليها من السورة قوله تعالى: "ثم نفخ في آخره فإذا هم قائم ينظرون".

قال السدي: "ثم نفخ في آخره" قال: في الصور وهي نفخة البعث.

وقال قتادة: "ثم نفخ في آخره فإذا هم قائم ينظرون". قال النبي الله: بين النفخين أربعون قال: قال أصحابه فما سألاه عن ذلك ولا زادنا على ذلك غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة.

وذكر لنا أنه بعث في تلك الأربعين مطربة قال له: مطر الحياة حتى تطيب الأرض وتهتز وتنبت أجدس الناس نبات النقل (2).

قال ابن كثير: "ثم يحيي أول من يحيى إسرائيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النَّفخة الثالثة: نفخة البعث قال الله عز وجل: "ثم نفخ في آخره فإذا هم قائم ينظرون" أي: أحيا بعدما كانوا عظاماً ورفاتاً صاروا أحياء ينظرون إلى أهوى يوم القيامة". أ. هـ (3).

وهذه نفخة التي هي نفخة البعث جاءت فيها آيات كثيرة.

قال تعالى: "يوم ينفخ في الصور فتأنون أفواج" (4).

وقال تعالى: "فإنما هي زجرة واحدة" (5).

وقال تعالى: "ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداد إلى ربهم ينسلون* قالوا يا

---

(1) النهاية لأبن كثير 181/1.
(2) جامع البيان 31/24.
(3) تفسير ابن كثير 110/6.
(4) سورة التوبة: 18.
(5) سورة التنازعات آية: 13.
وإلا أنا من بعثنا من مرقد هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون* إن كانت إلا صحيحة واحدة 
فإذا هم جميع لدينا محضرون (1).

وقال تعالى: «ومن أباه أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعموا من الأرض إذا أتتم تخرجون» (2).

وقال تعالى: «إذا نقر في النار فذلك يوم عسير» (3).

وقال تعالى: «واستمع يوم ينادون من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج» (4).

وقد اختالف العلماء في عدد النفحات في الصور هل هي ثلاث نفحات أم نفختان فقط؟

فمنهم من قال: إنها ثلاث نفحات كما قدمنا ذكرها. ومنهم من قال: إنها نفختان فقط، واعتبروا نفخة الفزع هي نفخة الصعق لأن الأممين لا زمان لها أي: فزعوا فرعاً ماتوا منه وهذا اختيار القرطبي وغيره من بعض المفسرين (5) والراجح أنها ثلاث نفحات كما قدمنا ذكرها وقد تقدم قول ابن كثير وأبو بكر بن العربي أنها ثلاث نفحات، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فإنه قال: والقرآن قد أخبر بثلاث نفحات نفخة الفزع، ذكرها في سورة التميم في قوله تعالى: «ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله» (6).

والفحة الصعق والقيام ذكرهما في قوله: «وينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» (7).

---

(1) سورة يس آية: 51-55.
(2) سورة الرعد آية: 25.
(3) سورة المائدة آية: 9-8.
(4) سورة ف ق آية: 42-43.
(5) الجامع لأحكام القرآن 15/15 تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن 131/5، تفسير الألوسي المسمى وروى المعاني 70/20.
(6) الآية رقم: 87.
(7) مجموع الفتاوى 63/235/36-37.
قال السفاريني: «وأعلم أن النفح في الصور ثلاث نفحات، نفحه الفزع وهي التي يتغير بها هذا العالم، ويفسد نظامه، وهي المشار إليها في قوله تعالى: ۚ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فوق» (1) أي رجوع ومرد. 

النفحه الثانية: نفحه الصعق وفيها هلاك كل شيء.

النفحه الثالثة: نفحه البعد والنشور وأ. هـ.» (2).

فالنفحات الثلاث كلها نص عليها القرآن وعينها، ومن هنا يتعين أن القول الراجع في عدد النفحات أنها ثلاث نفحات.

---

(1) سورة ص آية: 16.
(2) لوامع الأنوار 2/111-124.
المبحث الثاني

بحث الموتى من قبورهم.

قبل أن نذكر ما جاء في سورة الزمر من الدلالة على بحث الموتى من قبورهم، وأن
الباحث يكون لهذا الجسد بعينه نذكر تعريف البعث في اللغة والشرع.
أما تعريف البعث في اللغة: فإنه يختلف بحسب ما علق به فالبعث يطلق ويراد به
المعاني الآتية:

1- الإرسال: يقال بعث فلاناً، أو ابعثه أي: أرسله.

2- البعث من النوم: يقال بعثه من منامه إذا أيقظه.

3- الإشارة: وهو أصل البعث ومنه قيل للناقة بعثتها إذا... أثّرتها وقامت قبل
بارة.(1)

وجاء في القاموس: "بعثه كمنعه وأرسله كابعثه فانبعث والناقة أثارها، وفلاناً من
منامه أبهب... وتبعث مني الشعر ابعث كأنه صالٌ".(2)

وجاء في تهذيب اللغة: "قال الليث، بعث البعير إذا فانبعث إذا حولت عقائه
وأرسلت له كآن باركاً فأثّرته، والبعث في كلام العرب على وجهين:
أحدهما: الإرسال كقول الله تعالى: ثم بعثنا من بعدهم موسى"(3) معناه:
أرسلناه.

---
(1) الصحيح للجاهلي 1، 273/1، لسان العرب 116، 118.
(2) القاموس 118/1.
(3) سورة الأعراف أية 103.
بعد موتكم 1 أحييناك 2.

وأما تعرف البيعة في الشرع:

فيراد تعالي... متحمساً 3 للجزء كما ذكر الله تعالي 4.

وقال تعالى: 5 يوم يخرجون من الأجداد سراً سراً كلهم إلى نصب

وفيغضبون 6.

وقال العلامة ابن كثير: "البيعة وهو المعاد وقيام الأرواح والأجداد يوم القيامة" 7.

وقال أبو هلال 8 العسكري: "بيعة الخلق اسم لإخراجهم عن قبورهم إلى الموقف.

وعنه قوله تعالى: "من بعثنا من مثقلات 9.

وخاء في لوحات الأنوار: "أما البيعة فالمراد به المعاد الجسماني فإنه المبتادر عند

الإطلاق إذ هو الذي يجب أعتقده بكفر منكره 10.

والحاصل أن البيعة: هو أن يعيد الله تعالى الإنسان بروحه وجسده كما كان في

الحياة الدنيا، وهذا كان عندما تتعلق إرادة الرسول جل وعلا بذلك فيخرج الخلق

جميعهم من قبورهم، وهم حفاء عراة غرل بهم، ويساقون إلى أرض الموقف لينال كل

إنسان ما يستحق من الجزاء العادل وفق ما عمل في حياته الدنيا.

1) سورة البقرة آية 61.
2) تهذيب اللغة (2/334 - 335) ، المعفرات في غريب القرآن (ص 52 - 53) .
3) سورة القمر آية 7.
4) سورة المعارج آية 43.
5) تفسير ابن كثير (4 / 114).
6) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن حبيب بن مهران العسكري أبو هلال من علماء الأدب، توفي سنة

خمس وثمينة وثلاثمائة هجرية، انظر ترجمته في ديوانه للبغدادي (112/1) ، معجم البلدان .

7) كتب الفروق (ص 284) والآية رقم (52) من سورة يس.

8) 107/2.
بحث الموقع من قبورهم

وعند المقارنة بين المعنى الشرعي لكلمة «البعث» والمعنى اللغوي نجد ترابطًا
وثيقًا إذ من معاني «البعث» في اللغة التحرير والإثارة لما كان سافتين قبل ذلك، وكذلك
الأرسل كما في قوله تعالى: «ولقد بعثنا في كل أمين رسولًا أن عبدوا الله» (1).

فالمعنى الشرعي: هو أن يرسل الله تعالى إلى الحياة إلى الأمم ويثيرها من جديد
لتمكين من المراد منها وهو الإسراع من الأحداث إلى موقف الحساب. وقد قس سورة
الزمر على أن من الأيمان باليوم الآخر: الإيمان ببعث هذه الأjisات الدينية وإعادتها
بعينها روحًا وجسدًا قال تعالى: "ثم نفح فيه أخرى فإذا هم قيام بنظورهم".

قال القرطبي: «إذا هم قيام بنظورهم» أي فإذا الأموات من أهل الأرض والسماء
أحياء يشعرون من قبورهم، وأعيدت إليهم أبدانهم وأرواحهم فقاموا بنظورهم مما أنعموا
وقيل: قيامً على أرجحهم بنظور إلى السماوات، ويعودوا به، وقيل النظر بمعنى الإنتظر
أي: ينظرون ما يعمل بهم أ. هـ (2).

وقال العلامة ابن جرير: "إذا هم قيام بنظورهم" يقول: إذا من صعوت عند النفس
التي قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواة قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم
من الأرض أحياء كهيئة قبل مماتهم بنظورهم وهم على أمر الله فيهم أ. هـ (3).

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: "إذا هم قيام بنظورهم" يعني: الخلق كلهم قيام
على أرجحهم بنظور ما يقال لهم، أو ينتظرون ذلك أ. هـ (3).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: عند قوله تعالى: "إذا هم قيام
ينظورون" أي: قد قاموا من قبورهم لبئسهم وحسابهم فقد تمت منهم الخلقية الجسدية
والأرواح، وشحبت أبصارهم أ. هـ (4).

ومن كلام أهل العلم الذي تقدم لبيان معنى قوله تعالى: "ثم نفح فيه أخرى فإذا هم
قيام بنظورهم".

(1) سورة النحل آية: 36.
(2) الجامع لأحكام القرآن 15/151، روح المعاني 28/29.
(3) جامع البيان (24/32).
(4) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (84/46).
(4) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (84/46).
من سورة الزمرتين وعِدّلاً هِيَ عَلَى أَنَّ الْمَبْعوث هُوُّ الْأَجْسَاد الدِّينوِيَة وَلِيْست
أَجْسَادًا أَخْرَى.

أُوْلَٰىٰ: مَذْهِب السَّلَف في صَفَة الإِتْعاَدة

قال شارح الطحاوية والقول الذي عليه السلف وجمع السلاف أن الأجسام تنقلب
من حال إلى حال، ف订حل تراباً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحل في النشأة
الأوَّلِيَة، فإنّه كان نفقة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظاماً، ولهم ما
أَنْشَأَه الله خلقاً سوياً، كذلك الإِتْعاَدة يعْبِد الله بعد أن يبني كل الإعْبُد الذِّنَب كما ثبت في
الصحيح عن النبي ﷺُّ أن قال: «كَلِّي أَمَّرُ بِيْنَيْ الإعْبُد الذِّنَب مِنْهُ خَلْقٌ إِنَّ أَمَّرُ وَمَنْه
يركِبَ».

فالشأنات نوعان تحت جنس يتفقان ويعتمدان من وجه، ويفترقان ويتناوان من وجه،
ومعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم البذاء فرق، فعجب الذنب هو الذي يبقى،
وأما سائره فيستحل فيعُد من المادة التي استحال إليها، ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو
صغير، ثم رأى وقد صار شيخاً علم أن هذا هو ذلك مع أنه ديناماً في تحل وعِدْاَلا،
وذلك سائر الحيوانات والنباتات فمن رأى شجرة وهي صغيرة ثم رأها كبيرة قال هذه تلك: ثُم

(1) المتلقي، قرائة أخْرَى.
(2) المعنى بشرح الجزائر (1898)، وانظر كتاب محمد ع飞行员 الفلاسفة والمتكلمين (207) وما
بِعدها تحقَّي سليمان ديبا.
(3) صحيح البخاري (182)، صحيح مسلم (427).
بعد المئون من قومهم

قال: «وليس صفعة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفعة هذه النشأة حتى يقال: إن الصفات هي المغيرة، لا سيما أهل الجنة إذا أدخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم طوله ستون ذراعاً كماثبت في الصحيحين وغيرهما وروي أن عرضه سبعة أذرع، وذلك نشأة باقية غير معرضة للأوقات، وهذه نشأة فائقة معرضة للأوقات».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية «وقد أضطرب علماء الكلام في المعاذ، ومعرفة المعاد مبنية على المبدأ، والمبحث مبني على الخلق فقال بعضهم: هو تضريق تلك الأجزاء، ثم جمعها وهي باقية بأعيانها».

وقال بعضهم: بل بعيدها ويعدم الأعراض القائمة بها، ثم يعيدوها، وإذا أعادهما فإنه يعيد تلك الجواهر التي كانت باقية إلى أن فصلت في هذا الإنسان.

ولهذا أضطربو لما قابل لهم فالانسان إذا أُعيدت تلك الجواهر من الأول نقصت من الثاني وبالعكس، أما على قول من يقول: إنها تفرق، ثم تجمع فقيل له: تلك الجواهر إن جمعت للكل نقصت من المأكل، وإن أعيدت للمأكل نقصت من الأكل.

وأما الذي يقول: تعدد ثم تعود بأعيانها فقيل له أنه بعد لما أكلها أم قبل أن يأكلها؟ فإن كان بعد أن أكلها فإنها تعود في الأكل فينقض المأكل، وإن كان قبل الأكل فالأكل لم يأكل جواهر فهذه المكابرة وبعد أن أورد هذه الشبهة التي أبطلها كلا الزرين لعلماء الكلام قرأ ما هو الحق في المسألة فقال: المشهور أن الإنسان يأكل ويعصر تراباً كما خلق من تراب، وبذلك أخبر الله، فإن قبل إنه صار تراباً عمداً الجواهر، فهو لما خلق من تراب عدم تلك الجواهر، فجعل الجواهر باقياً في جميع الإستحالات إلا إذا صار تراباً تناقض بين ويلهم عليهم الحيوان المأكل وغير ذلك».

وقال العلامة ابن القيم: «وأما ما خلقه سبحانه فإنه أوجهها لحكمة في إيجاده فإذا اقتضت حكمته إعداده جملة أعدته وأحدث بدله، وإذا اقتضت حكمته تبدله وتغييره وتحويله من صورة إلى صورة بدلها وغيره ولم يعدمه جملة».

(1) شرح الطحاوية (ص 464 - 464)، وانظر (مجمع النقاوم لابن تيمية (17/248).
(2) النيوت (ص 82 - 83)، وانظر (مجمع النقاومي (17/246 - 247).
من فهم هذا فهم مسألة المعاد، وما جاءت به الرسول فيه فإن القرآن والسنة إنما لا
على تغيير العالم وتحويله وتبديله لا جعله عدماً محاضاً، وإعداده بكلية، فدل على تبديل
الأرض غير الأرض والسماوات وعلى تشقيق اسماء وإنفطارها وتكوين الشمس وانتشار
الكواكب وسجر البحر وإنزال المطر على أجزاء ين آدم المختلطة بالتراب فيبتون كا تبت
النباتات وتعرق تلك الأرواح بعينها إلى تلك الأجساد التي أحيتها، ثم أن شنت نشأة
أخرى . . . إلى أن قال: قد أخبر الله سبحانه أن يحي العظام بعدما صارت رمياً،
وبأنه قد علم ما تنقص الأرض من لحوم بني آدم وظلمهم فبره ذلك إليهم عند النشأة الثانية
وأنه ينشئ تلك الأجساد بعينها بعد ما بليت نشأة أخرى ويردها تلك الأرواح(1).

وإذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة نجد أنها تبين بطلان مذهب
علماء الكلام في صفة الإعادة وتؤيد مذهب السلف في أن المبعث هو الجسد الأول بعينه
لا غيره للأسلحة الآتية:

أولاً: إن الآيات القرآنية التي جاءت لمناقشة المنكرين للبعث جاءت نصاً في بيان أن
أجساد بني آدم البدنيوية هي التي تعاد بأعيادها، ولذلك كان المنكرون للبعث يستبدين إعادة
أجسادهم بعد أن أصبحت عظاماً بالية، وأشياء متفرقة في التراب، ومصورة بصورة كما
قال تعالى حكايته عليهم في أبعدكم أنكم إذا متم كتمتم تراباً وعدتماً أنكم مخرجون* هيهات
هيهات لما توعدون(2).

وقال تعالى: قال قائل منهم إنى كان لي قرين* يقول أنتك لمن المصدقين* أنتذا
منة وكنا رابياً وعدتماً أنتا للمدينون(3).

وقال تعالى: وقالوا أنتذا ضلنا في الأرض أنتلبنا خلق جديد(4).

وقد أنكر الله عليهم هذا الإستبعاد، ورد على جميع شبههم وبين إمكان البعث
وثبوت وقوعه بمثل قوله تعالى: قال كونوا حجراء أو حديثاَو أخلقة مما يكبر في

(1) مفتاح السعادة (2) سورة المؤمنون آية: (36-37).
(2) سورة الصافات آية: (51).
(3) سورة السجدة آية: (10).
(4)
صردركم فسقولون من بعيدنا أن الذي فطركم أول مرة فهاب توقعون إليه رؤوسكم ويقولون متي هو صرح أن يكون قريباً).

ومثل قوله تعالى: "قل ليحيى الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق علىكم" (1).

وقوله عز وجل: "قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفظ" (2).

فقد بين تعالى دليل الإمكان بخلقهم الأول، وبين شوت وقوعه بدل كمال قدرته وسعة علمه وذلك مما يؤيد القول ببعث الجسد الأول بعينه.

ثانياً: مما يؤكد أن المعاد هو عين الجسد الأول لا غيره قوله تعالى: "ووما يحشر أعداء الله إلى النار فهم يزعون* حتى إذا ما جاورها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون* وقالوا لجلودهم لم شهدت علينا أنطلق الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون* وما كنت تسترون أن يشهد عليكم مسمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظنت أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون" (3).

فهذه الآيات بين الله تعالى فيها أن جوارح الإنسان التي اقترف ذنوب الأئام هي التي تشهد على صاحبها يوم القيامة بأنه فعل كذا وكذا ولئن تكن هذه الجوارح هي عين جوارح الإنسان التي كانت في الدنيا لما قيلت شهادتها ولا كأنذرت من الله حين استنفقها وقالت يا الله أنت الحكم العدل لا تظلم أحداً من خلقك فلا نظمنا بما لم نعمله، أو نشاهده أولاً نعلم عنه شيئاً.

ولكن لم يحصل شيء من هذا الإعتذار، وإنما نظفت وأخبرت بما فعل صاحبها، ففعلت يقين أنها عين الجسد الأول.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: "هل تدرون مم أضحك؟" قلنا: "ألا ورسوله أعلم قال: "من خاطبة العبد رد بهقول: يا رب ألم تجري من الظلم قال: بل قال يقول فإني لا أجزي على نفس إلا شاهداً مني قال:

(1) سورة الإسراء آية: 51-50.
(2) سورة يس آية: 79.
(3) سورة ق آية: 4.
(4) سورة فصلت آية: 19-22.

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عن رسول الله ﷺ قال: ثم يقال: (اِنَّا نَبِتِينَ فِي رَأْيِ نَفْسِنَا وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَكَارٍ يُشْهِدُ عَلَيْهِ فِي خَطَّ الْفُخْدَهِ وَلِحْمِهِ وَعَظَامَهُ انْطْقَفَ فِي خَطَّ الْفُخْدَهِ وَلِحْمِهِ وَعَظَامَهُ بَعْلُهُ وَذَلِكَ لِيُؤْخِرَ بِنفْسِهِ وَذَلِكَ الْمَنِيْفَاتُ وَذَلِكَ الَّذِي سَيْسُخَطُ اللّهُ عَلَيْهِ(1)

وإذا كانت أركان الإنسان وسمعه وبصره ولجلده وولحمه وعظمه هي التي تتكلم فعل.

يقال: (فَإِذَا كَانَ أَرْكَانُ الْإِنسَانِ وَسُمْعُهُ وَبَصْرُهُ وَجُلْدُهُ وَلِحْمُهُ وَعَظُمُهُ هِيَ الَّتِي تَتَكَلِّمُ فِهَا فُهِلْ(2).

وقد أفصح القرآن جد الإفصاح عن معاد الأبدان الدنيوية قال تعالى: (فَمِنْهَا كَخَلَقْنَا وَفِيهَا نَعِيدُهَا وَمِنْهَا نَخْرِجُكُمْ ثَانِيَةً أُخْرَى(3)).

وقال تعالى: (وَاللّهُ يُبْتَكَرُ مِنْ الْأَرْضِ تَبَانَىْ ثُمَّ يُعِيدُهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا(4))

وقال تعالى: (فِى الْقُرْآنِ الْمُلْبِسِ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَ هُمْ مَنْتَزِرُ مِنْهُمْ فَكَافَرُونَ(5))

هذا شيء عجيب إذامتنا وكتاب كتبنا ذلك رجع بعيد قد علمنا من تنصيص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ(6)

فهذه الآيات القرآنية تنص على أن الخلق يعودون من النراب الذي منه خلقوا ويشير إلى أدلة الإمكاني على ذلك المتماثلة في كمال قدرته سبحانه ووعمة علمه جل وعلا.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النروي (8/1064 - 1065).
(2) سورة طه آية: 75.
(3) سورة نوح آية: 17 - 18.
(4) سورة ق آية: 41.
(5) سورة فرقان آية: 1.
وقال تعالى: {وَقَدْ ضَرَبْنَا لَكُمْ مِنْ قَبْلِهِ خَلْقَهُ قَالَ: الَّذِي فِي الْعَظَمِ وَالنَّافِخِ فِيهِ رَحِيمٌ} قال: {الذي أنشأ أولاً وحده خلق عليم} (1).

وقوله: {يَسْتَنْبِطُ الْإِنسَانُ أَنَّهُ نَجَّمَ عَظْمَهُ بِقَدْرٍ قَادِرٍ} (2).

وقوله: {يَسْتَنْبِطُ الْإِنسَانُ أَنَّهُ نَجَّمَ عَظْمَهُ بِقَدْرٍ قَادِرٍ} (3).

وقوله: {يَسْتَنْبِطُ الْإِنسَانُ أَنَّهُ نَجَّمَ عَظْمَهُ بِقَدْرٍ قَادِرٍ} (4).

وكلها دلت على أن الإعادة أمر سهل وميسور على الله الذي خلق الإنسان ولم يلك شيئاً، والذي يعلم ما أكمله الأرض وما أبدعه لكم علمه وسعة إخاطته بكل شيء، وأنه تعالى قادر على أن يجمع العظام ويسوى البتان التي هي أدق عضو ومفصل في الإنسان.

وقد أخبرنا تعالى أنه كما خلقنا يعيدنا قال تعالى: {كَمَا بَدَاكُمْ تَعْدوُونَ} (5).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى: قال الحسن البصري ومjahad: كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً كذلك تعودون يوم القيامة.

وقال قادة: {بَدَاكُمْ فِي الْجَهَنَّمْ وَلَمْ تَنْخُلُوا} (6).

ومنها خلقناكم وفهي نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وقال: {فِي هَيْئَتِكُمْ وَفِي هَيْئَتِكُمْ} (7).


وفي رواية أخرى {كُلُّ ابْنٍ رَأَى النُّدُرَاءَ إِلَّا عَجَبُ الذِّنْبِ هُمْ يَرْكَبُونَ خَلْقَهُ وَفِيهِ يَرْكَبُونَ} (8).

---

(1) سورة بسم الله الرحمن الرحيم: 78-79.
(2) سورة القيامة: 4.
(3) سورة سبأ: 7.
(4) سورة الأعراف: 29.
(5) سورة طه: 55.
(6) أظهر مجمع الفتاوى: 17/249-250، والأية رقم 75 من سورة الأعراف.
وفي رواية أخرى: إن في الإنسان عظماً واحداً لا تأكله الأرض أبداً، فيركب الخلق يوم القيامة قالوا: أي عظم هو؟ رسول الله قال: عجب الذنب. 

إذا نظرنا إلى هذه الأحاديث النبوية نراها تقرر في وضع إعادة الجسد الأول من التراب الذي استحال إليه، وأن الأرض تأكل ابن آدم إلا عجب الذنب، وأما بقية الجسد فإنه يبقى ويشفيها الله - سبحانه وتعالى - بل يقدرته يتولى خلقه الثاني. فيحيي تلك الأجساد الميتة فيؤول خلقها ويجعل صورتها بما ينزل عليها من الماء الذي ينزل عليه كأنه الطل، حتى إذا اكتمل الصورة وتم الخلق أذن لهم بالخروج بنفخة البعث فخرج الناس من قبرهم ومكاثمهم أحياء كانهم إلى نصب بوضوح وتنزل ساعات الحشر إلى الله التي أخبر عنها رسول الله بقوله من حديث عائشة رضي الله عنها: يبشير الناس يوم القيامة حفة عرآة غزلاً. وقد أخبر تعالى في كتابه أنه هو الذي يتولى النشأة الآخرة. قال تعالى:

«وبن علی النشأة الآخرة».

وقال تعالى: «ثم الله ينشئ النشأة الآخرة».

وقال تعالى: «نحن قد قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال الحسن بن الفضل الجلبي الـذي عني في هذه الآية يعني قوله تعالى: «وينشئكم فيما لا تعلمون» أي أخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون كيف شئت، وذلك أنتم علمتم النشأة الأولى كيف كانت في بطن الأمهات ولا تستأخرون كذلك.

قال شيخ الإسلام: ومعلوم أن النشأة الأولى كان الإنسان منطقة من مني الرجل ثم

(1) صحيح مسلم بشرح النووي (18-91/92 - 120/91).
(2) انظر صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (4/220/91 - 120/91).
(3) أي: غير مخترعين.
(4) صحيح مسلم بشرح النووي (192/91 - 120/91).
(5) سورة النجم آية: 47.
(6) سورة البقرة آية: 20.
(7) سورة التوبات آية: 61 - 62.
علقة، ثم مضخة، ثم ينفع فيه الروح، وتلك النطفة من مين الرجل والمرأة، ويهذب بدم
الطمث الذي بربى الله به الجني في ظلمات ثلاث: ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم،
وظلمة البطن، والنشأة الثانية: لا يكونون في بطن امرأة ولا يغذون بدم ولا يكون أحدهم
نقطة رجل وأمرأة، ثم يصيرون علقية، بل يشكون نشأة أخرى تكون المادة من التراب
اهـ(1).

والذي نخلص إليه مما تقدم أن صفة الإعادة هي كما قررها السلف الصالح من أن
الأجساد تتقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً، ثم يعيدها الله مما استحالت إليه،
فينشيء لحمها وعظامها ويبث فيها الحياة مرة ثانية، بحيث يكون المعاد هو الجسد الأول
بعلبه بعد رجوع روحه إليه وذلك أمر ممكن عقلاً وواقع شرعاً إذ هو الذي نشأده في خلق
الله تعالى، فإنه سبحانه يخلق الجسم من الجسم، كما يخلق الإنسان من الماء المهين
ويخلق من الماء المهين علقية، ثم يخلق من العقلة مضخة، ثم يخلق من الماء عظاماً،
ثم يكسو العظام لحماً، ثم يسوية خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، وكذلك خلق
الشمر فإنه سبحانه يقلب المادة التي يخرجهما من الشجرة من الرطوبة، والبهاء، والفاء
الذي ينزل عليها وكذلك الحب يفله، ويقلب المواد التي يخلقها منه إلى سبلة، ثم إلى
ثمرة جديدها، وكذلك الإعادة، فالاجساد تبلى، وتستحيل إلى التراب والله يعيدها مما
استحالت إليه كما قال تعالى: "منها خلقناكم ومنها نخرجكم طاراً أخرى"(2)
 قال القرطبي مبيناً مذهب أهل السنة في صفة الإعادة: "ومذهب أهل السنة والجماعة أن
أجساد بني آدم الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم حتى أن بعضهم قال:
(بأوصافها فيعاد الوصف أيضاً: كما يعاد الجسم واللون)اهر(3).

(1) مجموع الفتاوى (17/252-253).
(2) سورة طه آية: 55.
(3) التذكرة (ص182).
البحث الثالث
عنية القرآن بإثبات البعث

لقد سلك القرآن الكريم في استدلاله على إمكان البعث بعد الموت وتحقق وقوعه مسلكاً قوياً جمع بين ما فطر على النفوس من الإيمان بما يشاهده وتحس، وبين ما تقرر العقول السليمة، وليتناغي مع الفطر المستقيمة، وتلك طريقة تفرد بها القرآن الكريم.
وكان منهج القرآن الكريم في استدلاله على البعث كما يلي:

أولاً: الاستدلال على البعث بمن آمنهم الله ثم أحياهم. كما أخبر تعالى عن ذلك ومنهم:

1 - قوم موسى. قال تعالى: {وإذ قال موسى يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهراً فأخذتم الصاعقة وأتمنتم تنظرون ثم بعضناكمن بعد موتكم لعلكم تشكرون} (1).

وقيل: إن الذين أخذتهم الصاعقة هم السبعون الذين اختارهم موسى ذلك أنهم لما أسمعهم كلام الله تعالى قالوا له بعد ذلك: (لن تؤمننلك) والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم. فأرسل الله إليهم ناراً من السماء فأحرقهم ثم دعا موسى ربه فأخيهم كما قال تعالى: {قدبعشاكمن بعد موتكم} (2).

2 - المضرب بعضومن أعضاء البقرة كما قال تعالى: {وإذ قتلتم نفسي فأدرأتم فيها والله مخرج ما كتبتم التكعون فقلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون} (3). قيل: أن المقتل ضرب بعضومن أعضاء تلك البقرة التي أمرهم الله

(1) سورة البقرة آية: 55-56.
(2) الجامع لأحكام القرآن/303/4.
(3) سورة البقرة آية: 72-73.

مباحث المعتقدات م 37
أن يذبحوها كما قال موسى لهم: "إني الله يأمرك أن تذبحوا بقرة" (1) فلم تضر بحيي وأخبر بقاتله ثم عاد ميتاً كما كان (2).

3- الذين أخبر الله عنهم يقوله تعالى: "ألزم إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألف حذر الموت فقال لهم الله موتوناً ثم أحياهم (3) وعند قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوبر ففروا هاربين. قال ابن عباس: "كانوا أربعة آلاف خرجوا فارآ من العصابون وقالوا نأتي أرضنا ليس بها موت فأتامهم الله تعالى فشعر بهم نبي فدعا الله فتأجهاهما (4).

4- الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كمن لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل بدرت مائة عام فانظر إلى طعاماك وشرابك لم تبتعد وانظر إلى حمارك ولتجعلك آية للناس انظر إلى العظام كيف نشزها ثم نكسوها لتحما فما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (5).

والذي مر على القرية هو "عزيز" عليه السلام. قال ابن كثير في تفسيره: "وهذا هو القول المشهور والقرية المشهورة هي بيت المقدس مر عليها عزيز بعد تخرير بختصر لها وقتل أهلها (6).

5- سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموت قال تعالى: "وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحكي الموتى قال أو لم تؤمن قال بل ولكن ليطمن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصره إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم (7).

وقد ذكر المفسرون لسؤال إبراهيم عليه السلام هذا أسباباً منها: أنه لما قال لمنрод (ربى الذي يحيي ويميت) أحب أن يتزنى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين، وأن يرى

---

(1) سورة البقرة آية: 67.
(2) تفسير الفتحي 1/457.
(3) سورة البقرة آية: 243.
(4) تفسير الفتحي 3/240.
(5) سورة البقرة آية: 259.
(6) تفسير ابن كثير 1/558.
(7) سورة البقرة آية: 270.
ذلك مشاهدة(1) ولم يكن إبراهيم عليه السلام بمثابة ذلك شاكارًا في قدرة الله تعالى.

6- ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله كما قال تعالى: "ورسلوا إلى بني إسرائيل أنك قد جئتكم بآية من ربك أن أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء الأكمن الأبري وأحيي الموتى بإذن الله"(2).

7- وما أخبر الله به من قصة أهل الكهف من أنهم لبوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تساعًا ثم نعم الله بعد هذه المدة الطويلة.

هذه الأدلة التي قدمها أحد مأددة حسبا وقعت كلها للتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية، وقد أخبر الله ورسله عن وقوع البعث والخسارة وجب الفتح بذلك لأنه أخبر به من ثبت صدقه ومن ثبت قدرته ملأيات المتقدمة فيها دلائل واضحات على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى.

ثانيًا: الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانية:

1- قال تعالى: "قد أيا الناس إن كتموا من البشائر فإنها خلقناكم من نار ثم من نطفة ثم من مغلفة وغير مقفلة لنين لكم ونقرفي الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم فطلاً ثم تبغيوا أشدقكم ومنكم من ينتفون ومنكم من يردن إلى أرذل العمر لكياً يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء الهبنت وربت وأثبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قادر وأن الساءة أتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور."(3).

هؤلاء الآيات الثلاث تضمنت دليلين على إمكان البعث:

أحدهما: دليل في الأنفس وهو ما أشتهى عليه صدر الآية وهو يتعلق بالنشأة الأولى.

---

(1) تفسير ابن كثير 1/559.
(2) سورة آل عمران آية: 49.
(3) سورة الحج آية: 75.
الثاني: دليل آفاقي وهو ما استعمل عليه قوله تعالى: "وترى الأرض هادمة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبثت من كل زوج بهيج" وهو الاستدلال بخلق النبات على إمكان البعث وسيأتي.

قال العلامة ابن القيم: شارحاً قوله تعالى: "فيا أيها الناس إن كنت في ريب من البعث فإنك خلقناك من تراب" الآية (1)

يقول - سبحانه - إن كنت في ريب من البعث فلستم ترابون في مبادئ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت، والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى فيهما نظرين في الإمكان والوقوع بإعادتهم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترابون فيها، فكيف تكرون إحدى النشأتين مع مشاهدكم لمظاهرها؟ (2)

قال تعالى: "وصرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عظيم" (3)

قال شيخ الإسلام: فإن قول الله تعالى: "من يحيي العظام وهي رميم" فقياس حذف إحدى مقدمتها لظهورها، والآخرة سالبة كلية لقلت معها دليلها وهو المثل المضروب الذي ذكره يقوله: "وصرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم" وهذا استفهام إنكار متضمن للنفي أي لا أحد يحيي العظام وهي رميم، فإن كونها رميمًا يضع عندنا إظهارها لمصيرها إلى حال البيس والبرودة المنفية لتحياة التي بنيها على الحرارة والرطوبة، وتفنن أجزاءها وابتلائها بغيرها ولنحو ذاك من الشهادات، والتقدير: هذه العظام رميم ولا أحد يحيي العظام وهي رميم فلا أحد يحييها، ولكن هذه السالبة كاذبة ومضمنها امتناع الإحياء، فبين سبحانه - إمكاناته من وجوه بيان إمكان ما هو أبعد من ذلك وقدرته عليه قال: "يحييها الذي أنشأها أول مرة" وقد أنشأها من التراب ثم قال: "وهب بكل خلق عظيم لي孵 علمه بما تفرقع من الأجزاء أو استحالاه" (4)

3 - قال تعالى: "وقالوا إذا كنا عظاماً ورفاتنا أننا لمبعوثون خلقاً جديداً" قل كونوا

---

(1) سورة الحج آية: 5.
(2) أعلام المؤمنين: 142/1, 147/1.
(3) سورة بس آية: 78–79.
(4) دعه تعارض العقل والنفل: 32/1.
حجارته أو حديثاً أو خلقكما مما يكبح في صدوركم فسيقولون من بعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فيسنغضون إليك رؤوسهم ويقولون متي هوقل عسي أن يكون قريباً(1). 

هذه الآيات تقرر بأن شهادات المتكرين للبعث تكاد تكون متقاسة لأنها تدور حول استعداد جميع الأجزاء بعد تفقرها وإعادة الحياة إليها بعد فتناتها وهذه الشهبة لا تكون إلا بالقدح في كمال علم الله جل وعلا المحيط بكل شيء، ومما قدرته على كل شيء، وقد قام البرهان على كمال العلم والقدرة لله تعالى فلابد من الاستبعاد والاستغراب بعد ذلك وفي قوله تعالى (قل كونوا حجاره أو حديثاً أو خلقكما مما يكبح في صدوركم) يعني به أنكم مهما تفرقتم وعلى أي حالة كانت فالله قادر على بعيكم وإعادكم حتى لو تحولتم إلى حجاره أو حديث فلقد قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى مع أن المنافاة بين الحجرية والحديدية ويبقى الجزاء أشد من المنافاة بين العظام وبين قبول الحياة وذلك أن العظام قد كان جزءاً من يبن الحيا أما الحجاره والحديد فهما كانا لبيت موصوفين بالحياة.


(1) سورة الإسراء آية: 49-51.
(2) سورة الإسراء آية: 49.
(3) سورة الإسراء آية: 51.
(4) شرح الطحاوية ص: 459-460.
ثالثًا: الإستدلال على إمكان البعث بخلق ماهو أعظم منه مثل السماوات والأرض والجبال والأنهار والبحار فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي:

1- قال تعالى: {و قال إذا كنا عظاما ورفات أبناء لمبعوثون خلقا جديدا أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجملًا لا ريب فيه} (1).

2- قال تعالى: {أوليس الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلق العليم} (2).

3- وقال تعالى: {أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى إلى إنه على كل شيء قادر} (3).

فهذه الآيات جميعها أبرز برهان على قدرة الله المطلقة التي لا تقيد بقيد أدنى، ولا تنتهي عند حدود فإن تلك الآيات الكونية مما هو معروف ببداية العقول أن خلقها أعظم من إعادة خلق الإنسان.

قال تعالى: {خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس} (4).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - {فإنه من المعلوم ببديه العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم والقدرة عليه أبلغ وأحق كبير من ذلك} (5).

فالآيات المتقدمة فيها التنبه على إمكان البعث لأولئك المشاهدين أمام الأنظار وهو خلق السماوات والأرض وأوائل أولئك الذين كتب على أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهم قادر على أن يحيي الموتى إلى إنه على كل شيء قادر فالذي يصنع الأمر العظيم

---

(1) سورة الإسراء آية: 99. 99.
(2) سورة بس آية: 81.
(3) سورة الأحقاف آية: 32.
(4) سورة غافر آية: 57.
(5) درو تعارض العقل والنقل 32/1. 32/1.
لا يعسر عليه أن يصنع الأمر اليسي، وما نسبة خلق الإنسان مرة أخرى بالنسبة لخلق السماوات والأرض، فهذا تعالى -له القدرة المطلقة على كل شيء، وإذا أراد شيئا انا يقول له كن فيكون.

رابعا: الاستدلال على إمكان البعث بهيئه النباتات المختلفة وتحول الأرض من هيئة إلى هيئة ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي:

1 - قال تعالى: "وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أفلت سحابة فتقلاً سقناه بلهدم ملأها فأنزلنا به الماء فأخبرناه من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون" (1).

2 - وقال تعالى: "وأرسل الريح فشير سحاباً سقناه إلى بلهدم فأحيناها به الأرض بعد موتها كذلك النشور" (2).

3 - وقال تعالى: "فمن أيته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحبوب الموتى إنه على كل شيء قدير" (3).

وفي هذه الآيات السابقة استدلال واضح بتبدل أحوال النباتات من حياة إلى موت، فحياة وسلب خاصيّة النشوء والنماء في بعض النباتات فتهد وتنفت، ثم تسقي بالماء فتعود إليها تلك الخاصية فلو كان مستحيل إعادة الحياة إلى الإنسان مرة أخرى لما عادت الحياة إلى النباتات المختلفة بعد موتها لأن المشابهة واضحة في القدرة الإلهية في إعادة الحياتين سيرتهم الأولى، ولها لفت القرآن الكريم أنظار المنكرين للبعث إلى النصر في الموجودات الحسية واستنتاج العظات والعبر منها ليعود للنفس إيمانا فتسعد بالطمأنينة والإستقرار.

واحياء الأرض بعد موتها بالنباتات من الأمور الحسية المشاهدة أرض أصابها الجدب فإذا أشجعها تيس بعد نضارتها وإذا بذئ الأرض هامدة خاشعة مستكيفة قد مات منها كل شيء فيريد الله إحياءها فتنزل عليها الأمطار فإذا بها تظهر بمظهر آخر محضرة بالزهور على

---

1) سورة الأعراف آية: 57.
2) سورة فاطر آية: 9.
3) سورة فصلت آية: 39.
أشكال شتى أفعىجز من أعاد الحياة إلى هذه الأرض الميتة والأشجار اليابسة أن يعود إلى الإنسان حياتها مرة أخرى لمجازاته على ما عمل في هذه الحياة الدنيا؟ بل إنه على كل شيء قدير.

قال ابن كثير عند قوله تعالى: (ورى الأرض هامدة) (1) "هذا دليل آخر على قدرته... تعالى على إحياء الموتى كما يحيي الأرض الميتة الهامدة وهي المقحفة التي لا يثبت فيها شيء... إذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأثبتت من كل زوج بهيج" أي: إذا أنزل الله عليها الماء اهتزت أي: تحركت بالنباتات وحيث بعد موتها وربت أي: ارتفعت ثم أثبتت ما فيها من الألوان والفنون من نباتات وأشجار النباتات في اختلاف ألوانها وطعمها وروائحها وأشكالها وتماثعها ولهذا قال تعالى: (وأثبتت من كل زوج بهيج) أي: حسن المنظور طيب الريح" (2).

خاصة: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر، والآيات الدالة على ذلك ما يلي:

1 - قال تعالى: (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أتم منه توقدن) (3).

2 - قال تعالى: (أ فأرأيتم النار التي تمورون أتينتم أنشأتهم شجرة أم نحن المنشيون) (4).

إن الذي قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من الماء قادر على إعادة الحياة إلى ما كان غضاً طريعاً ثم تحول إلى يابس" (5). تلك هي بعض الدلائل الواضحة، والبراهين الساطعة التي استعملها القرآن لإثبات الإيمان باليوم الآخر والمسالة التي استعملها القرآن لإثبات ذلك اليوم كثيرة جداً، ويكفي من هنا في مقامنا هذا تلك الاستدلالات الخمسة المتقدمة.

---

(1) سورة الحج آية: 5.
(2) تفسير ابن كثير 4/617.
(3) سورة يس: 80.
(4) سورة الوافعة آية: 171-172.
(5) هذه الطرق التي استعملها القرآن لإثبات البعث بعد الموت أشار إليها بإيجاز شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر "مجمع الفتاوى" 24/226-227 وانظر النهاية لأبن كثير 1/165-168.
المبحث الرابع
أرض المحشر

لقد ذلت السورة على أن هناك أرض أخرى يحشر الخلق فيها، وتلك الأرض هي أرض المحشر.

قال تعالى: (وأشرقت الأرض بنورها) الآية.

فالمراد بالأرض المذكورة في هذه الآية هي أرض المحشر فقد أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة بأن أرض المحشر ستضيء بنور سباحانه وهو نور غير نور الشمس والقمر، وهو نور حقيقي صفة لذاته المقدسة يليق بجلاله تعالى، ويمكن أن تشمل هذه الآية مع النور الحقيقي النور المعنوي وهو عدل الله سبحانه وتعالى، الذي لا جور فيه ولا ظلم لأنه تعالى الحكيم العدل.

قال الإمام البغوي: (وأشرقت الأرض) أضاءت (بنور ربي) بنور خلقها، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضادون في نوره، كما لا يتضادون في الشمس في اليوم الصحو.

وقال الحسن والسدي: (بعدل ربي وأراد بالأرض عرصات القيامة) اهـ.

وقال العلامة ابن جرير: (وأشرقت الأرض بنور ربيها).


قال قتادة: فما يتداءون في نوره إلا كما يتضادون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه.

(1) تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن٦/٧١.
وقال السدي: (وأشرقت الأرض بنورها) أضاءت أ. هـ)
وقال ابن كثير: (وأشرقت الأرض بنورها) أي: (أضاءت يوم القيامة إذا تجلل
الحق جل وعلا- للخلائق لفصل القضاء) أ. هـ.
وقال الشوكاني: (وأشرقت الأرض بنورها).

الإشراق: الإضاءة، يقال أشرقت الشمس: إذا أضاءت وشرقت: إذا طلعت،
معنی بنورها) بعدد ربها قاله الحسن وغيره.
وقال الضحاك: بحكم ربها، والمعنى: أن الأرض أضاءت وناربت بما أقامه الله من
العدل بين أهلها، وما قضى به من الحق فيهم، فالعدل نور والظلم ظلمات.
وقيل: (إن الله يخلق نوراً يوم القيامة وله وجه الأرض فشرق به غيرون الشمس،
والنور ولا من الحلم على المعنى الحقيقي، فإن الله سبحانه- هونور السماوات
والأرض) أ. هـ.

ومحمله على الحقيقة هو الصواب لأن النور صفة كامل وضد نقص ولقد وصف الله
- تعالى- نفسه بصفة النور حيث قال جل ثناؤه: (اللهم نور السماوات والأرض) الآية.
فلا ينكر صفة النور التي أتصف الله بها - إلا من أشرب قلبه بمرض التعطيل أعاذا الله
منه.

قال العلامة ابن الققيم: عند قوله تعالى- (وأشرقت الأرض بنورها) فتأخير
أن الأرض يوم القيامة تشرق بنوره وهونوره الذي هو نوره فإنه- سبحانه يأتي لفصل
القضاء بين عباده وينصب كرسية بالأرض فإذا جاء الله - تعالى- أشرقت الأرض وحق لها أن
شرقت بنوره وعدد المعطيلة لا يأتي ولا يحي ولا له نور تشرق به الأرض) أ. هـ.

(1) جامع البيان 24/247.
(2) تفسير القرآن العظيم 6/111.
(3) فتح القدير 4/472، وانظر: الجمع لأحكام القرآن 15/282.
(4) سورة النور آية: 35.
(5) مختصر الصواعق المرسلة 2/193.
أرض المحشر

صفة هذه الأرض:

لقد بني النبي صفة أرض المحشر التي يقف عليها الخلق للحساب وللجزء.

العادل وكيف هي:

فقد جاء عن سهل بن سعد رضي الله تعالى - عليه قال: سمعت النبي ﷺ:

يقول: "يبشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي" قال سهل - أو غيره - ليس فيها معلم لأحد.

فنم هذه الصفات الواردة في هذا الحديث يبين أن تلك الأرض التي يقف عليها العباد يوم القيامة بين يدي ربهم - تبارك وتعالى - هي أرض مغابرة لأرض الدنيا، وليس بينهما أي تشابه فأرض الوقوف لصفات، وأرض الدنيا لها صفات أخرى، وأن أرض الدنيا التي يعرفها الخلق سنتهي وتضحي وتحل محلها أرض أخرى هي أكبر منها وأظهر.

وقوله ﷺ في الحديث "عفراء" للعلماء في هذه الكلمة عدة تفسير نقلها عنهم:

الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى - فقال: "قال الخطابي: العفر بيضاء ليس بالناصر".

وقال عياض: "العفر بيضاء يضرب إلى حمرة قليلًا ومنه سمي عفر الأرض وهو وجهها".

وقال ابن فارس: (1) معنى عفراء: خالصة البياض.

وقال الداودي: شديدة البياض.

قال ابن حجر: "كذا قال والأول هو المعتمد". أ. ه.

فالحافظ رحمه الله الراجح من هذه الأقوال قول الخطابي وهو أن معنى كلمة "عفراء".

---

(1) صحيح البخاري مع الفتاح 11/276/17 مسلم بشرح النووي 134/17
(2) هو أحمد بن فارس بن زكريا الفزوني الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب أصله من فروين ولد سنة سبع
(3) عاشور وثلاثمائة وفوفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. انظر ترجمته في: "وفيات الأعيان" 1/35.
(4) والأعلام 184/1
(5) الفتاح 11/375/2
هو الأبيض غير الناصع ومعني قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث "كفرصة النقي" بفتح النون وكسر القاف أي: الدقيق النقي من الغش والانخفاذ قاله الخطابي.

ومعنى قوله ﷺ: "ليس فيها معلم لأحد، أو علم كما في رواية مسلم هما بمعنى واحد".

قال الخطابي: يريد أنها مستوية والمعلم بفتح الميم واللام - بينهما همزة ساكنة.

هو الشيء الذي يستبدل به على الطريق.

وقال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكن ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي هرود بها في الطرق كالجلال والصخرة البارزة.

قال الحافظ: "وفي تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها".

وقال الداوودي: "المراد أنه لا يجوز أحد منها شيئا إلا ما أدرك منها".

وقال ابن أبي جمرة: 1) "فيه دليل على عظيمة القدرة، والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة جزيئات الشيء قبل وقوع رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجىء الأميرة.

وفيما تشير إلى أن أرض الموقد أكثر من هذه الأراضي الموجودة جدا، والحكم في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم معد وظهور حق فأثبتت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طارأ عن عمل المعصية والظلم، ومثله تجليه سببهانه - على عباءة المؤمنين على أرض تليل بعضهم ولأن الحكم فيه إنما يكون على - وحده - فناسب أن يكون المحل خالصأله وحده أ. ه".

وقال عليه الصلاة والسلام: "يجمع الله الأولين والأخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر".

1) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة الأموي بالولاية أبو بكر، فقيه مالكي من أعيان الأندلس، ولد بمسرية سنة ثماني عشرة وخمسين سنة وتوفي سنة تسعة وتسعين وخمسين وثمانية. انظر ترجمه في: "شدرات الذهب" 1/4، والأعلام 9/111، 112.

2) الفتح1 77/10.

3) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انظر الفتح1 95/8.
أرض المحرش

ومعناه يبلغ أولهم وآخرهم لاستواء الأرض فلا يكون فيها ما يستر به أحد من الرائي؟(1)

والذي يرد عليه الصلاة والسلام أرضًا مستوية لا جبل فيها ولا أكمة ولا ربوة ولا وهدة أرض ببضاء نقية لم يسفك عليها دم ولا عمل عليها خطيئة ولا ارتقب فيها محرم؟(2)

بيان خلاف العلماء في أرض المهشر:

إن تبديل هذه الأرض بأرض أخرى جديدة مما وقع الخلاف في بين السلف قال الحافظ ابن حجر: "وقد وقع للسلف في ذلك خلاف في المراد بقوله - تعالى - [يوم بنال الأرض غير الأرض والسموات ... الآية(3)].

هل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها، أو تغيير صفاتها فقط؟ م. هـ(4) فقد بين الحافظ: بقوله هذا أن للعلماء في ذلك قولين:

القول الأول: أن التبديل يكون في ذاتها وصفاتها.

القول الثاني: أن التغيير إنما يحصل في صفاتها فقط.

ثم أخذ رحمه الله - تعالى - في ذكر أدلته الفريقين، فهما ذكره من أدلته الفريق الأول ما يأتي:

1 - حديث سعد المتقدم في بيان صفة أرض المحرش.

2 - لما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد والطبري في تفسيرهم والبيهقي في الشعب من طريق عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله - تعالى - [يوم بنال الأرض غير الأرض ...] الآية قال: تبد الأرض أرضًا كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة. ورجاله رجال الصحيح وهو موقوف، وأخرجه البهذي من وجه آخر مرفوعاً وقال: الموقوف أصح، وأخرجه الطبري والحاكم من طريق عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود بلفظ "أرض ببضاء كأنها سبيكة فضة" ورجاله موقتون أيضاً.

(1) الفتح 296/8
(2) انظر شرح الطحاوي ص 352، وانظر تكملة شرح الصدر ص 18، ومخطوط.
(3) سورة إبراهيم آية 48.
(4) فتح الباري 275/11.
فولاحمد من حديث أبي أيوب «أرض كالفضة البيضاء قبل خلق يومئذ» قال:
هم أصياد الله لن يعززهم ما لديه».
وللطبري من طريق سانان بن سعد عن أنس مكرفًا: "بديلها الله بأرض من فضة لم
يعدل عليها الخطايا" وعن علي موقوفًا نحوه: ومن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد: "أرض
كائن فضة والسموات كذلك" وعن علي "والسموات من ذهب".
وعند عبد من طبقي الحكم بن أبيان عن عكرمة قال: "بلغنا أن هذه الأرض يعني
أرض الدنيا وإلى جنبها أخرى يحبس الناس منها إليها".
وفي حديث الصور الطويل "تبدل الأرض غير الأرض والسموات فيسطعها
ويسطعها ومدهما الدائم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمرا" ثم يزجر الله الخلوق زجرة
واحدة فيما هم في الأرض المبتدئة في مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها كان في
بطلها وما كان في ظهورها كان عليها".
قال الحافظ: "وهذا يؤخذ منه أن ذلك يقع عقب نفحة الصعق بعد الحشر الأول
ويؤيده قوله: تعالى - (إذا الأرض مدت * وألفت ما فيها وخلت) "(1).
وبعد أن ذكر الحافظ من نقله حجج القول الأول وهو قول من قال: "بأن التغيير
يحصل في ذات أرض الدنيا وصفاتها" شرع في ذكر أدلة الفريق الثاني القائل بأن التغيير
يحصل في صفات الأرض وليس في ذاتها فقال: "وأما من ذهب إلى أن التغيير إنما يقع في
صفات الأرض دون ذاتها فمستنده ما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمرو قال: "إذا كان
يوم القيامة مدت الأرض متد الأديم وحشر الخلاقين".
ومن حديث جابر رفعه: "تمد الأرض متد الأديم ثم لا يكون لابن آدم منها إلا موضع
قدميه" ورجاله نفقات. إلا أنه اختلف على الزهري في صحابيه.
وقال في تفسير الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى - تعالى - (يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات) "(2).
قال: "يزاد فيها وينقص منها ويهذب آكاماها وجابها وأوديتها وشجرها ومد الأديم

(1) سورة الالascaic آية: 3-4.
(2) سورة يسآبيم آية: 48.
التكاثفي) وعازة التعلقي في تفسيره لرواية أبي هريرة وحكاه البيهقي عن أبي منصور الأزهري وبعد عرضه لأدلة الفريق الثاني قال: وهذه وإن كان ظاهره بخلاف القول الأول فيمكن الجمع بأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا لكن أرض الموت وغيرها» أ. (1)

أما العالامة ابن جرير فقد أجمل الأقوال في أرض المحشر في خمسة أقوال ونسب كل قول إلى قائله من السلف وذلك عند قوله تعالى: «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات» (1) حيث قال رحمه الله: «وختلف في معنى قوله: "يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات"».

فقال بعضهم: معنى ذلك يوم تبدل الأرض التي عليها الناس اليوم في دار الدنيا غير هذه الأرض فتصرير أرضًا بضاء كالفضة. وقد عزا هذا القول إلى عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون ومجاهد.

وقال آخرون: "تبدل ناراً وقد أسند هذا القول إلى ابن مسعود أيضاً وذكر له روايتين ليست مرفوعتين.

وقال آخرون: "قبل تبدل الأرض أرضًا من فضة، وقد عزا هذا القول إلى أنس بن مالك وابن عباس وعلي بن أبي طالب إلا أنه لم يبين من سمعها عن علي رضي الله عنه.

وقال آخرون: "يبدلها خيبة وقد بين شأن القائل بهذا القول هو سعيد بن جبير، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو محمد بن قيس.

وقال آخرون: "تبدل الأرض غير الأرض وقد عزا هذا القول إلى كعب ورواية عن أبي هريرة مرفوعة ولم يسم الراوي عنه إلى عمرو بن ميمون الأودي (2).

وبعد أن انتهى من عرض الأقوال ونسبتها إلى أصحابها. اختر قولًا منها ورجحه. فقال: "أو أولى الأقوال في ذلك بالاصواب قول من قال: معناه: يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها وكذلك السماوات. اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه، وجائز أن تكون ناراً، وجائز أن تكون خياماً، وجائز أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك.

(1) انظر فتح الباري 11/276-275.
(2) سورة إبراهيم آية: 48.
(3) جامع البيان 13/249، التذكرة للفزقي ص 191-192.
عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون فلا قول في ذلك يصح إلا مادله عليه ظاهر التنزيل، أهـ(1).

وهذا القول الذي رجحه ابن جرير هو الذي دل عليه ظاهر القرآن والسنة.

فأما القرآن فقد تقدم قوله - تعالى - «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات» وبرزوا الله الواحد القهار(2).

وأما السنة فقد روى مسلم رحمه الله - تعالى - من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحكام اليهود فقال: السلام عليكم يا محمد وذكر الحديث وفيه فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر... الحديث(3).

وروي أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى - «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمايات» فأين الناس يومئذ؟ قال: على السرائط(4).

وروي الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: بارسول الله ﷺ والأرض جميعاً قبضت يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه فأين الناس يومئذ؟ قال: على السرائط يا عائشة، قال هذا الحديث حسن صحيح(5).


---

(1) جامع البيان 13/254.
(2) سورة البقرة آية: 48.
(3) صحيح مسلم 2/202.
(4) صحيح مسلم 2/150.
(5) سنن الترمذي 4/259.
(6) المصدر السابق 5/201.
فهذه الأحاديث المتقدمة نص في أن الأرض والسمواد تبدل وتزال ويخلق الله أرضًا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط لا كما قال كثير من الناس: أن تبديل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية آكاماها وتفشج عددها وسماها (1) إذ هذا هو ما يحصل لأرض الدنيا أما أرض الموت فهي غيرها والله أعلم.

(1) التذكرة للقرطي ص: 191.
المبحث الخامس
كتاب الأعمال

لقد ذلت السورة على أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكتاب الأعمال الذي يسجل فيه كل ما يعمله العباد في هذه الحياة الدنيا من خير أو شر.

قال تعالى: "وشرعت الأرض بنورها ووضع الكتب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون".

وجه دلالة هذه الآية على الإيمان بكتاب الأعمال بقوله: "وضع الكتاب" أي: ووضعت صفح الأعمال لكل فرد من العباد فمنهم الأخذ كتابه بيمينه ومنهم الأخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: "وضع الكتاب" يعني: كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم.

وروي بإسناد إلى قطاعة أنه قال: "وضع الكتاب" قال: "كتاب أعمالهم".

و قال البغوي رحمه الله تعالى: "وضع الكتاب" أي: كتاب الأعمال(1) ومن هذا يتبين وجه دلالة السورة على أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكتاب الأعمال الذي يحصي فيه على ابن آدم كل ما عمله من خير أو شر، وأن هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحساناً.

---
(1) جامع البيان 24/22، تفسير ابن كثير 6/111، الجامع لأحكام القرآن 15/282، فتح القيدر 4/476.
(2) تفسير البغوي على حاشية الحانز 6/77.
وقد يثبت في كثير من آيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة وإجماع علماء الإسلام أن الباري سبحانه وتعالى كتب كتابه بسما وتمثيل في عبادة يوم القيامة كتبًا وثلثه منشورًا ويقال له: إقرأ كتابك كني بنفسك اليوم عليك حسبًا فيقرأ في كتابه ذلك كل ما كتبه في الدنيا من الخبر والشر ويدع أن الملاجئة قد سجل كل ما عمله فلم يتركوا به صغيرة ولا كبيرة إلا دوّنا في ذلك الكتاب ويكون الإنسان حسب نفسه يوم القيامة، كما أخبرنا− الرج جل وعلا− بذلك في كتابه الكريم كني بنفسك اليوم عليك حسبًا (1).

وقد جعل الله مع كل إنسان ملكين يراقبانه وتحصيان عليه أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، فلذي يعني يمين مهنته كتابة الحسنات، والذي عن يساره مهنته كتابة السيئات، يراقبانه في كل صغيرة وكبيرة ويجازى على كل صغيرة وكبيرة عملهما يوم القيامة للاهمية كتاب الأفعال أكثر القرآن من ذكره وتوجه به شأنه ليتبينهعبدته، ويتحترز من أن يكتب عليهم في ما لا يرضي− الرج جل شأنه− ومنع النظر في آيات القرآن الكريم التي وردت في شأن كتابة أعمال العباد وإحصائيات نجدها جاءت في أساليب متعددة.

فترة يسند− الرج تبارك وتعالى− الكتابة إلى نفسه مع العلم بأن الذي يقوم بكتابة الأعمال هم الملاجئه ولكن− تبارك وتعالى− أسندها إلى نفسه للإهتمام بالبلغ بذلك.

قال تعالى: "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيه ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا ونقلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق" (2).

وفي هذه الآية من التهديد والوعيد ما لا يقادر قدره.

ومعنى قوله− تعالى− في الآية: "سنكتب ما قالوا" أي: "سنكتب في صحف الملاجئة، أو سنحفظه، والمراد الوعيد لهم وأن ذلك لا يفوت على الله بل هو معد لهم ل يوم الجزاء" (3).

وقال تعالى: "إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدمو وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين" (4).

(1) سورة الإسراء آية: 14.
(2) سورة آل عمران آية: 181.
(3) فتح القدر لل📈 كان 406/1.
(4) سورة يس آية: 12.
وتاريخ يخرج تعالى - عن مراقب الملائكة الشديدة للعبد في تسجيل ما يلفظه من الأقوال قال تعالى - في شأن ذلك: «إذ تلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيق عيد»(١).


وقال تعالى: «أم يحسبون أن لا نسمع صفريهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون»(٣).

وتاريخ: يسن الله تعالى - كتابة أعمال العباد للمجهول للعلم به وهم الملائكة.

قال تعالى: «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم سكنب شهادتهم ويسلون»(٤).

وقال تعالى: «ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخصصة في سبيل الله ولا يطلقون مواطنًا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفاية صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيه الله أحسن ما كانوا يعملون»(٥).

وقال تعالى: «ووضع الكتاب فتى المجرمين مشققين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا»(٦).

فهذه الآيات المتقدمة دلت بوضوح على أنه يجب على كل إنسان أن يؤمن بصحف

(١) سورة في آية: ١٨-١٧
(٢) سورة الأنفطار آية: ١٠-١٩
(٣) سورة الزخرف آية: ٤٠
(٤) سورة الزخرف آية: ١٩
(٥) سورة التوبة آية: ١٣٢/١٣٠
(٦) سورة الكهف آية: ٤٩.
الأعمال التي يقرؤها العباد، وهي الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في حياتهم الدنيا، فيجب الإيمان بأن الله عز وجل وكل بيتا من ملائكته من يحفظه، وكتب أعمالنا وأقوالنا وهم الحافظون الكرام الكاتبين فكل ما يكتب هؤلاء الملائكة يقرؤه العباد يوم القيامة، طبقةً لما أعلممو، أو قالوه دون زيادة، أو نقصان.

وقد دلت السنة المطهرة في أحاديث متعددة على كتابة الملائكة لأعمال بني آدم فمن ذلك:

ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم الجمعة وقتت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، مثل المهاجرين(1) كمثل الذي يهدى بعده، ثم كالذين يهدى بقرة، ثم كبضاً، ثم دجاجة، ثم بضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستعمون الذكر."(2)

وروي البخاري بإسناده إلى رفاعة بن رافع الزرقشي قال: كنت يومًا نصلي وراء النبي ﷺ، فلم رفع رأسه من الركعة قال: "سمع الله عن حمدي" قال رجل وراءه: رفأ ولق الحمد حمدًا كثيرًا طيبة مباركة فيه، فلمانصرف قال: "من المنتكل؟" قال: أنا قال:
"رأيت بضعة وثلاثين ملكًا ينتدونها أهيم بكتبها أولًا"(3)

وروي البخاري ومسلم أيضاً: بإسنادهما إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال قال: "إذا الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمنهم بحسبة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هوهم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومنهم بسجينة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هوهم بها فعملها كتبها الله له عنده سبعة واحدة"(4)

وقد أرشد النبي ﷺ أمنه إلى بعض الأعمال إن هم عملوها كتب الله لهم الأجر العظيم والثواب الجزيل.

(1) مثل المهاجري: المبكر كما في النهاية 5/436.
(2) صحيح البخاري مع الفتح 2/57، صحيح مسلم 2/587.
(3) صحيح البخاري مع الفتح 2/484.
(4) صحيح البخاري مع الفتح 2/118، صحيح مسلم 1/118/454.
قال تعالى: «من قال إن الله إلا هو شريك له لم يفعله وإن الحمد على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدلك عشر رقاب وكتب له مائة حسنة»، ومحبته عنه مائة سبعة، وكانت له حزاً من الشيطان يوهه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياً ولو كانت مثل زلد البحر» (1).

وعن مصعب بن سعد قال: حدثني أبي قال كنا: عند رسول الله ﷺ فقال: "أعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فسألنا سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يخط عنه ألف خطيئة" (2).

والأحاديث الواردة في هذا الممّع كثيرة جداً فنكتفي بهذا القدر الذي قدمنا ذكره منها.

كيفية أخذ الكتب:

لقد بين الله تعالى في كتابه الكريم الكيفية التي بها يأخذ العباد كتبهم يوم القيامة، وأنهم يأخذونها على هيئة مختلفة.

1- ف منهم من يأخذ كتابه بيمينه.

2- و منهم من يأخذ كتابه بشماله.

3- ومنهم من يعطي كتابه وراء ظهره.

فهذه الحالات الثلاث نص عليها القرآن الكريم. قال تعالى: "أما من أوثني كتابه بيمينه فيقول هؤلاء أرؤوا كتابه إنما ظنن أني ملاق حسابه، فهو في عيشة راضية في جنة عالية، قفتوها دانية كانوا وارتدوا هناً بما أسالفتم في الأئام الخالية وأما من أوثى كتابه بشماله فيقول يا ليتي لم أرم كتابه ولم أدر ما حسابها يا ليتها كانت القاضية ما أغني عنها ماليه هلك عن سلطانيه" (3).

(1) صحيح البخاري مع الفتح 338 - 339، صحيح مسلم 4/271.
(2) صحيح مسلم 4/307.
(3) سورة الحاقة آية: 19 - 29.
فهذه الآيات صورت لنا مشهد من يأخذ كتابه بعينه، ومن يأخذ بشماله، وأما عن القسم الثالث فقال تعالى: (وأما من أتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويدل على سعيراً... * إن كان في أهل مسورة... * إن ظن أن لا يحور بل إن ربه كان به بصيراً) (١).
فالقرآن الكريم حصر الكيفية في أخذ الكتب على ثلاث حالات فقط هذا على حسب ظاهر الآيات، ولكنها في واقع الأمر ترجع إلى حالتين إما أن يكون الأخذ بالليمين وهذه للسعداء من أهل التوحيد والإيمان، وإما أن يكون الأخذ بالشمال وهذه حالة أهل الشقافة والخسران ولذلك حصل الخلاف بين العلماء في الحالة الثالثة وهي حالة إتيان الكافر كتابه من وراء ظهره ولكن نتيجة الخلاف يرجع إلى أن الكافر يتناول كتابه بشماله، وإليك بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال سعد بن المصبب: الذي يأخذ كتابه بشماله تلوي يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه، وقيل تنزع من صدراه إلى خلف ظهره.

وقال مجاهد: في قوله تعالى: "وأما من أتى كتابه وراء ظهره" قال: تجعل شماله وراء ظهره فياخذ بها كتابه (٢).

وقال القرطبي: (وأما من آتي كتابه وراء ظهره) تخلع كتفه اليسرى، فتجعل يده خلفه يأخذ بها كتابه.

وقال مجاهد: "يحلو وجهه في موضع فقه فيما كتبه" (٣). وقراءة تلك الكتب تكون من القاريء وغير القاريء.

قال قتادة: "سيقرأ من لم يكن قارئًا في الدنيا" (٤).

وقال الحسن: "فيقرأ الإنسان كتابه أمنًا، أو غير أمن" (٥).

وبقراءة الإنسان كتابه تظهر له نتيجة أعماله، وأقواله حسنة كانت، أم قبيحة.

١) سورة الإشكاف آية: ١٠-١٠٠.
٢) انظر لواعب الأنوار: ٣٢٨ / ١٨٢.
٣) المذكرة ص ٥٨، الجامع لأحكام القرآن ١٩٨/٢٧٢، وانظر تكملة شرح المصدر ص ١٥، دفع إيهام.
٤) الجامع البيان ٥٣/٢٠.
٥) التذكرة للقرطي: ص ٢٥٥.
والحاصل: مما تقدم من الآيات والأحاديث أنه يجب على كل إنسان أن يؤمن بصفح الأعمال وقراءتها يوم القيامة كما يجب الإيمان بأن الكرام الكاتبين يسجلون أعمال الإنسان الفضلى، والقولية، وكذلك النية لأنها فعل القلب يشملها عموم قوله تعالى:
«يلهمون ما تفعلون» (1) ويشهد لهذا قوله ﷺ: «قال الله ﷺ عز وجل - إذا همّ عبدي بسيطة فلا تكتبوا عليه، فإن عملها فاكبوها عليه سهولة، وإذا همّ عبدي بحسن فلم يعملها فاكبوها له حسنة فإن عملها فاكبوها عشراً» (2).

وقال ﷺ: «قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سهولة وهو أبصصه فقد فشل. ارقبوه فإنا عملها فاكبوها بملته، وإن تركها فاكبوها له حسنة وإنما تركها من جراى» (3).

فلا مجال لنكن صفح (4) الأعمال وهو يتولى تلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تلقاها سلف الأمة وأتمتها بالقول ولا خلاف بينهم في تبوت صفح الأعمال وأخذها باليمين، أو الشمال، فيجب الإذعان لتلك النصوص وقبولها، والتسليم بما ترمي إليه ومن أنكر ذلك كفر بدين الإسلام.

قال محمد بن أحمد السفاري: «والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به وعقد القلب بأنه حق لبثوه بالكتاب والسنة والإجماع» (5).

(1) سورة الأنفطار آية: 12.
(2) صحيح مسلم: 117/1 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(3) المصدر السابق: 118.
(4) أنيس د. التهبة والرد على أهل الأهواء والبدع، ص 111 فإنه بين بأن الجمهور ينكر صفح الأعمال.
(5) لواحة الأنوار البهية 2/181.
المبحث السادس
جزاء الأعمال يوم القيامة

لقد دلت السورة على أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بجزاء الأعمال وأن كل إنسان لا بد أن يوفي جزاء عمله إن خيراً فخير وإن شرعاً فشر.
قال تعالى: "ثم إلى ربك مرجعكم فينبؤكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور".
وقال تعالى: "أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقبل للظلمين ذوقوا ما كنتم تكسبون".
وقال تعالى: "والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المنقرون. لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين. ليكره الله عنهم أسواً الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون".
وقال تعالى: "وفقه كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يعملون".

هذه ست آيات من السورة دلت على إثبات الجزاء على الأعمال يوم القيامة، وأن ذلك الجزاء سيكون طبقاً لأعمال الإنسان التي قدمتها يداه في هذه الحياة الدنيا.
فالآية الأولى: وهي قوله: "تعالى - ثم إلى ربك مرجعكم فينبؤكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور" بين الله فيها أن مرجع العباد إليه يوم القيامة وسيخبرهم بأعمالهم التي أحاط بها علمه، وجرى بها قلمه، وكتبها عليهم الحفظة، وشهدت بها جوازهم، فيجazzi كلاً منهم بما يستحق، وهو - سبحانه - العلم بفس الصدر، وما تنطوي عليه من وصف بر، أو فجور والغرض من هذا إخباره - تعالى - بالجزاء بالعدل التام.
قال ابن جرير: عند قوله: « تعالى - فقوم إلى ربك مرجعكم فينبئكم بما كتمتم تعملون؟»

يقول تعالى ذكره: ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجتراحتم من صالح وسبيء وإيمان وفكر أبى الناس، إلى ربك مصركم من بعد وفائدكم فينبئكم يقول: فيخبركم بما كتمتم في الدنيا تعملون من خير وشر، فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بما يستحقه.

يقول - عز وجل - «فانتقوا أن تلقوا ربك وفد عملتم في الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكون، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم» أ. هـ (1).

وأما الآية الثانية: وهي قوله - تعالى - «أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كتمتم تكسبون». بين الله تعالى - فيها أنه لا مساواة ولا تفاؤل بين من هداه الله ووفقه لسلوك الطريق الذي يوصله إلى طريق الجنة التي هي دار الكرامة وبين من كان في الضلال واستمر على عناده حتى قدمن على الله يوم القيامة فتجاه عذاب الله الذي لا يقدر قدره، فجعل يتقه بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء، وأقل شيء من العذاب يؤثر فيه فهو يتقى به سوء العذاب لأن يده ورجله قد غلت وألقي في نار جهنم وفاقداً لكسبه الذي كسبته يداه في الدنيا، فآثار الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد فكان من أصحاب النار.

قال البغوي رحمه الله - تعالى - «أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب» أي: شهدته يوم القيامة.

قال مجاهد: يجر وجهه في النار.

قال عطاء: يرميه في النار منكوساً فأول شيء تمسه النار وجهه.

قال مقاتل: هو أن الكافر يرميه في النار مغلولاً يداه إلى عنقه وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتعل النار وهو علق في عنقه فحرها وهبها عليه وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه للأغلال التي في عنقه وبيده، ومجاز الآية «أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب»...

(1) جامع البيان 23 / 198
جائز الأعمال يوم القيامة

كمن هو آمن من العذاب (وقيل): يعني: تقول الخزنة للظلمين ذوقوا ما كتمتم تكسبون
أي: وبهاء، أ. هـ(1).

وقال العالم ابن جرير: حول هذه الآية: «اختالف أهل التأويل في صفة اتقانه هذا الضلال وجهه سوء العذاب».

فقال بعضهم: «هؤلاء يرمي به في جهنم مكبوباً على وجهه وذلك اتقانه» يأواه وقد أسند هذا القول إلى مسجد رحبه الله تعالى.

وقال آخرون: هو أن ينطلق به إلى النار مكرفاً ثم يرمى به فيها، فأول ما يتسرب النار وجهه، وهذا قول يذكر عن ابن عباس من وجه كان أثره يدفعه ضعف سنة، وهذا أيضًا مما ترك جوابه استغناه بدلالة ما ذكر من الكلام عليه، ومنه الكلام: أفنين يتقي
وجهه سوء العذاب يوم القيامة خيراً أم من ينعم في الجنة؟

وقوله: «وقيل للظلمين ذوقوا ما كتمتم تكسبون» يقول: «وقيل: يومئذ للظلمين أنفسهم بإكسبهم إياه سخط الله، وذوقوا اليوم أيها القوم ولا ما كتمتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله» أ. هـ(2).

وأما الآية الثالثة والرابعة والخامسة - من الآيات السبعة السابقة: وهي قوله تعالى -: الذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتمنون لهم ما يشاؤون عند ربه ذلك جزاء المستعينين، ليكفر الله عنهم أسوأ الذين أحرهم أحرهم بأحسن الذي كانوا يعملون».

فقد أخبر الله تعالى - فيها بأن الذي جاء بالصدق في قوله: وعمله ويدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم فصدق فيما قاله من الأخبار عن الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق، وصدق بذلك إذ الإنسان قد يأتي بالصدق ولكنه لا يصدق به بسبب ما حل بقلبه من الكبر والعناد والإحترار لمن قاله، وجاء به، فلا بد من الصدق والتصديق، فالذين وفقوه اللجوء بين الأشيء فإن الجزاء الذي ينظرونهم عند الله هما مالعين رأوا ولا أدن

(1) معالم التنزيل للبغوي على حاشية تفسير البلاغ 6/22.
(2) جامع البيان 212/211، وانظر تفسير ابن كثير 6/29.
سمعه ولا خطر على قلب بشير، فكل ما تعلقت به مشيتهم، ورادتهم من أنواع اللذات والمشتهيات فإن ذلك حاصل ومهيء ومعدل لهم عند الله تعالى - في الجنة.

(ذلك جزاء المحسنين) وهم الذين يعتقدون ربهم كأنهم يرون فإن لم يكونوا يروه فإنه يراه، وأضاف إلى ذلك أنهم يحسنون إلى عبد الله.

ومن إكرام الله لهؤلاء المتقيين المحسنين أنه تعالى - يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويحيهم بأحسن الذي كانوا يعملون (ليركز الله عليهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون).

ومن هذه الآية أيضاً: يبين أن عمل الإنسان له حالات ثلاث:

الحالة الأولى: إما أن يكون عملًا أسوأ.

الحالة الثانية: أن يكون عملًا أحسن.

الحالة الثالثة: أن يكون عملًا لا أسوأ ولا أحسن وهذه الحالة الأخيرة هي العمل المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب وهذه الحالة الأخيرة لم تذكر في الآية كالحالتين قبلها.

والعمل الأسوأ هي الماصي كلهما، والعمل الأحسن هي الطاعات كلهما، وبمجرد هذه الحالات الثلاث توضح معنى الآية (ليركز الله عليهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم) ويكون المراد بها صغيرات الذنوب بسبب إحسانهم وتقواهم.

ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أي: بحسنتهم كلهما (إن الله لا يظلم مثالاً ذوراً وإن تك حسنة يضافها ويوت من لده أجرًا عظيماً).

قال فقال: (لهم مايشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين، ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيفهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون).

قال: (يجزيفهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيفهم بالمصاوم،).

وقال العلماء ابن جرير: وقوله: (لهم مايشاؤون عند ربهم).

(1) سورة النساء آية: 40.
(2) تفسير اليعقوبي المسمى (معالم التنزيل على حاشية تفسير الخزاز) 2/64.
يجزىهم أجرهم وأحسنهم الذين كانوا يعملون.

وقال تعالى ذكره: هذا الذي لهم عند ربهم جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها واتنمر لهم، واتنهى عما نهاناه فيها عنده.

وقيل أيضاً: رحمه الله تعالى - عن قوله تعالى: «ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا».

ويجزئهم Agrhaim بأحسنهم الذين كانوا يعملون.

ويقول تعالى ذكره: وجئوا هؤلاء المحسنين رحم بإحسانهم، كي يكفر عنيهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة، مما أجبروا من السينات فيها.

ويقول: «ويشيع ثوابهم بأحسن الذين كانوا في الدنيا».

وأما الآية السادسة: وهي قوله تعالى - «وزينت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون».

بينت أنه تعالى - سوي في كل نفس يوم القيامة جزاء عملها بالعدل الناس، والقسم العظيم لأن جزاء صادر ممن لا يظلم مثقال زئبة، ومنه هو محبيش بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ محrito بكل ما عمله والحفظة الكرام الذين لا يمرون بهم طرفة عين قد كتبوا كل ما عمله بنو آدم، وسيجازي للسائحون العبد على أعمالهم بما يستحقون من الشروات والعقاب وليس ذلك قال جل شأنه - «ووزيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون».

قال عطاء: "يريد أبي علي عالم بأفعالهم لا حاجة إلى كاتب ولا إلى شاهد".

وقال ابن جرير حول هذه الآية: "يقول تعالى ذكره وفوي الله حتى كمل نفس جزاء عملها من خير وشر وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة، أو معصية ولا يعذب عنه علم.

(1) جامع البيان 2/5.
(2) معالم التنصيز اللغوي على حاشية تفسير الخازن 6/71.
شيء من ذلك وهو مجاوزهم عليه يوم القيامة فمثب المحسن بالإحسانه، والمسيء بما أساءه. (1)

وهما قدمنا بين وجه دلالة السورة على وجوب الإيمان بجزء الأعمال وأنه تعالى - سيجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإسائه.

ولقد جاء ذكر الجزاء، والبحث على الإيمان به في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذلك لأن يوم القيامة هو اليوم الفاصل بين هذه الحياة الدنيا، وبين الحياة الأخرى، ولأن مقال أدب البكاء بعد الموت هو أن يجازي كل عامل وفق عمله في الدنيا، ولأن أعمال الخلق تختلف اختلافًا كثيرًا من إنسان لآخر ومن أمة لأخرى ولذلك قال - جل جلاله - (إِنَّ سَيِّئَكَ لَنَشَئُ). (2)

فأنا حل وعلق - سيظهر أعمال كل إنسان نصب عينيه فاقتضى الحال أنه لا بد أن يكون جزاء كل إنسان من جنس عمله.

قال تعالى: (مِنْ جَاهٍ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خِيرٌ مِنْهَا، وَمِنْ جَاهٍ بِالسَّيِئَةِ فَلَا يَبْذَلُهُ الَّذِينَ عُمِلْتَ السَّبِيلَاتَ إِلَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ). (3)

وقال تعالى: (يَوْمَ يُبْفَعُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ). (4)

والدين هو الجزاء، فقيل كما تدين تدان أي كم يجزي تجاري. (5)

وقال تعالى: (مِنْ جَاهِ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمَثَالَهَا وَمِنْ جَاهِ بِالسَّيِئَةِ فَلا يَبْذَلُهُ إِلَّا مَثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلُمُونَ). (6)

وقال تعالى: (مِنْ جَاهِ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خِيرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزْعٍ يَوْمَئِذٍ أَمَنُونَ). (7)

بالسيدة فكبت وجههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون. (8)

---

(1) جامع البيان 24/32.
(2) سورة الليل آية: 5.
(3) سورة الفاتحة آية: 84.
(4) سورة النور آية: 25.
(5) شرح الطهارة ص 465.
(6) سورة الأنعام آية: 160.
(7) سورة النحل آية: 90-89.
جزاء الأعمال يوم القيامة

وقال تعالى:  
"فلأعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون".  

وقال تعالى:  
"جزاءاً وفاقتاً" أي: «مواطفاً لأعمالهم».  

والآيات في إثبات الجزاء على الأعمال يوم القيامة كبيرة جداً ويكفي من هنا هذا القنذر المتقدم.

وقد وردت أحاديث صحيحة في السنة المطهرة دلت على إثبات جزاء الأعمال يوم القيامة.

ومن تلك الأحاديث: قوله: فيما يرويه عن ربه - عز وجل - أنه قال:  
"يا عبادي إنما هي أعمالكم أعصيتها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمده الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومون إلا نفسه".  

ومن الأحاديث التي دلت على ثبوت جزاء الأعمال يوم القيامة الحديث الطويل الذي بين فيه النبي ﷺ عقولة ما نعي الزكاة في الذهب والفضة والإبل، والبقرو والغنم، وبين فيه أن الأخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وفي هذا الحديث أنه قيل يا رسول الله فاحمر، قال: "ما أنزل علي في الحمر".  

من بعمل مثل ال ذرة خيراً أره، ومن يعمل مثل ال ذرة شيّراً أره".  

وقوله:  
"ما نزل الله علي في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة" معنى الفذة القليلة النظير والجامعة أي: العامة المتناولة لكل خير ومراعى وفيه إشارة إلى التمسك بالعموم.

---

1) سورة السجدة، آية: 17.
2) سورة النبأ، آية: 26.
3) تفسير النسفي 4/227، وانظر جامع البيان 3/30، 15/10.
5) "جمع حمام" أي: فما حكماها.
6) أي: لم ينزل علي فيها تصبعها.
7) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 2/182 - 183، والآيات من سورة الززلة آية: 8-7.
8) شرح النووي على صحيح مسلم 7/17.  

وفي الحديث دلالة على أن كل إنسان سيرى جزاء عمله ويعوفي به إن خيراً فخير وإن شاء الله.

ومنها ما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:


تخفق فيقول: يا رسول الله أغنيتي فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك".

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليلم، أخبرنا شبيب عن الزهري قال:

أخبرني عروة عن أبي حميد الساعدي أنه أخبره أن رسول الله ﷺ استعمل عاملًا فجاج العمل حيث فرغ من عمله فقال يا رسول الله هذا لكم وهذا هذا إلي فقال: "أفلا تقدر في بيت أبيك وأملك فنظرت أيدي لك أم لا؟" ثم قال: "أنا بعد ما بالعامل نستعمله فيأتينا ويقول هذا من عملكم وهذا أهدي لي؟" فافقت في بيت أبيه وأملك فنظره يهدي له أم لا؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يغلي أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنته إن كان بغيرأ جاء به رغية، وإن كان بقيرة جاهزها لها خوارًا، وإن كانت شاة جاء بها تحورًا، إن أبلغت، فقال أبو حميد: ثم رفع رسول الله ﷺ يده حتى إننا ننظر إلى عفرة إبطيه، قال أبو حميد: وقد سمع ذلك معز بن ثابت من النبي ﷺ.

هذان الحديثان فيهما بيان لخطرة العلول، وفيهما دلالة واضحة على أن الجزا من جنس العمل.

(1) جاء في النهاية لا يبن الأثير: الحمحة: صوت الفرس دون الصهيل 436/1.
(2) جاء في النهاية: الرغبة: صوت الابيض 240/2.
(3) قال ابن الأثير: أراد بالرقعة ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقا، النهاية 253/2.
(4) صحيح البخاري مع الفتح 185/6، صحيح مسلم 131/147، 127/2.
(5) الخوار: صوت الابيض، النهاية 27/2.
(6) هواصون شاهد الشديد، ذكره الحافظ في الفتح 131/149، وانظر سنن أبي داود 131/147-127.
(7) صحيح البخاري 4/149، وأيضاً سنن أبي داود 131/147-127.
جزاء الأعمال يوم القيامة

وهذه العقوبة التي ذكرت في الحديثين السابقين للغال تحصل له على وجه الحقيقة

كما ذكرنا الله تعالى.

قال القرطبي: "ولعلنا رحمهم الله في قوله تعالى: "أي بانت بتعبه، إن ذلك على الحقيقة كما بينه، أي بانت به حاملاً له على ظهره ورقيته معذبة بحمله وثقله ومرعوباً بصوته، وربما بإظهار خيانته على رؤوس الأشحاد".

والذي نخلص إليه مما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله تعالى -سيراجي المكلفين من عباده بحسب كسبهم الأركان الإيجاري الذي كسبوه في هذه الحياة الدنيا لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، كما قال تعالى: "كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فعن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد قل فمن الحياة الدنيا إلا مناع الغرور".

فالباعدين يعيشون في هذه الدنيا متضاوتين تفاوتاً عظيماً في الأزق، والأعمال، وفي السعادة والشفقة، فمنهم الظلماء العبد، ومنهم المصطلح المغلوب، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض، ومنهم الغني الثرو، ومنهم الفقير، ومنهم العزيز، ومنهم المطقل، ومنهم المحسن، ومنهم المسيء، فاقتضت حكمة الله وعله أنه لا بد من أن يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ولو أنهم يموتون عند القضاء الآجال ولا يعنون لكان ذلك منافياً للحكمة، مباشراً للعدل والرحمة، ولذلك قضى الله عز وجل بالبحث والجزاء وحكم بهما فيما كأثاثان لا محالة، ولذلك أمر الله تبارك وتعالى - رسوله محمد ﷺ أن يقسم على وقوعها. قال تعالى: "جعل الذين كفروا أن لن يبعثوا قبل بلى وربى لبئس ثم أتيت لم نعملهم وذلك على الله يسير".

وقال تعالى: "وأقسموا بالله جهاد أيماني لا بيع الله من يموت بلي وبداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون لبِين لهم التي يختلفون فيه ولعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، إنما قولاً لكما إذا أردنا أن نقول له كن فيكون".

1) سورة آل عمران آية: 161.
2) التذكرة للقرطبي: ص 296، وانظر دفع البارية 6/8/186.
3) سورة آل عمران آية: 185.
4) سورة التغابن آية: 7.

مباحث العقيدة م 39
الفصل الثاني
النار دار الكافرين

ويشمل على المباحث الآتية:

تمهيد: —
المبحث الأول: كيفية دخول أهل النار النار.
المبحث الثاني: أبواب جهنم.
المبحث الثالث: خزنة جهنم.
المبحث الرابع: إحاطة النار بأهلها وشدتها عذابها.
المبحث الخامس: صفات أهل النار.
المبحث السادس: أبدية النار ودوم عذابها.
تمهيد

إن جهنم هي دار الذل والهوان والعذاب والخذلان، دار الشهيق والذرف، والاثنين والعبرات، دار أهلها أهل البؤس والشفاء، والندمانة والبكاء، الأغلال تجمع بين أيديهم وأعناقهم، والنار تضطرم من تحتهم ومن فوقهم، دار شرب أهلها الحميم بسهرة ما في بطونهم والجلود، وماكلهم من شجر الزقوق كالمهل بغل في البطون كغلي الحميم، يدعون على أنفسهم بالموت فلا يجابون، وسألون ربه الخروج منها فيقال لهم: إحسروا فيها ولا تكلمون، يسحبون فيها على وجههم وهم لا يصرون، صراخهم عال، وعويلهم مرتفع، أهلها من المعكرمين والكافرين يلبمون فيها أمة بعد أمة جهم وإنهم كلما دخلت أمة لعت أختها حتى إذا اجتمعوا فيها اشتكى آخر أمة إلى الله تعالى أول أمة لأنهم هم الذين أصلوهن عن سواء السبيل، وترد أول أمة على آخر أمة لقد ضللت كما ضلنا على الرغم من الحجج الكبيرة التي قامت علينا وعليكم في الدنيا على السنة والرسول ولو هدانا الله لهديناكم، سواء علينا وعليكم أصبنا أن جزعنا من خلاص، وقد تناولت سورة الزمر عدة أمور متعلقة بالنازه هي دار الكافرين وهي ما ستحدث عنها في المباحث الآتية:
المبحث الأول
كيفية دخول ألف النار النار

لقد جاء في السورة بيان الكيفية التي يدخل بها فريق الكفار دار البور وذلك أنهم يساقون إليها سوؤاً عنيفاً بواسطة الزبانية الغلاط الشداد، يسوقونهم إلى شر محبس، وفتح مكان وهي جهنم التي قد اجتمع فيها كل عذاب وحفرها كل شقاء وزال عنها كل سروور.

قال تعالى: «وسق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم هزنتها ألم يأتكم رسول منكم بنكم يلتن علىكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بل وإن حكمة العذاب على الكافرين».

هذه الآية من السورة بين أن الكافرين يساقون إلى جهنم على شكل جماعات متفقة كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها وتشاكل سعياً، والسوق هو الدفع إلى الأمام، وقد يكون دفعاً عنيفاً مصحوباً بالإهانة والتحريض حتى إذاً وصلوا إلى دار العذاب يجدون أبوابها مغلقة، ففتح لهم، ويدفعون إليها تعجيلاً لهم بالعذاب المدهم فيها.

قال ابن جبرير: «وقوله: «وسق الذين كفروا إلى جهنم» يقول: وحشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدها لهم يوم القيامة جماعات، جماعة جماعة، وحزباً حزباً.

قال قطاية: في قوله: (زمراً) قال: «جماعات» (1).

وقال البغوي: «وسق الذين كفروا إلى جهنم» سوؤاً عنيفاً (زمراً) أفاوحاً بعضها على أثر بعض كل أمة على حدة.

(1) جامع البيان 24/24.
قال أبو عبيدة والأخفس: زمّرَ أَي: جماعات في تفرقة واحدتها زمرة "حتى إذا جاهوزها فتحت أبوابها" السبعة وکانت مغلقة قبل ذلك"هـ.

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: "فسيقفوا إلى جهنم زمرًا" (4) يخبر تعالى - عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار وإنما يساقون سوقًا عنفًا بعذر وتهديد ووعيد"هـ.

و جاء في "تفسير روحا المعاني" والسوق يقتضي الحث على المسير بعنف وإزاعاج وهو الغالب ويمشير بالإهانة وهو المراد هنا أي سيقوا إليها بالعنف والإهانة أفواجا مترفتة بعضها في أثر بعض متربة حسب ترتيب طبقاتهم في الضلال والشرارة"هـ.

«وقد بين - تعالى - أن سوف الكافرون إلى جهنم مصحوب بالعنف وعدم التكريم بقوله تعالى: "يढعون إلى نار جهنم دعاء" (4) أي: يدفعون دعاءً عنفًا شديدًا بأن تغل أبديهم إلى أعناقهم، وتجمع نواصاتهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار ويطحنون فيها"هـ.

كما أخبر - تعالى - بأنهم يساقون إليها وهم عطاش ظمء.

قال تعالى: "ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا" (1).

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: "ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشًا" . . . وسلاق بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله "ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا" يقول: عطاشًا.

وقال قتادة في قوله " إلى جهنم وردًا" قال: "ظلماء إلى النار" (7).

وقال البغوي رحمه الله تعالى: "ونسوق المجرمين" الكافرين الكاذبين" إلى (1) معالم التنزيل، على حاشية تفسير الخزاز 6/71، وانظر زاد المسير 7/199.
(2) تفسير القرآن العظيم 6/112.
(3) 24/31/32/33.
(4) سورة الطور آية: 13.
(5) روح المعاني 7/20، وانظر تفسير ابن كثير 6/431.
(6) سورة مرمر آية: 88.
(7) جامع البيان 26/127.
كيفية دخول أهل النار النار

جهنم وردناً يعني: مشا وقيل: عطاشياً قد تقطعت أعناقهم من العطش، والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الحاء إلا بعد عطشاء».(1)

وقد بين تعالى - أن الأمم الداخلة في جهنم يلعن بعضها بعضًا وأن الأتباع يلقون باللائمة على المتبوعين وقد صور هذا المشهد قوله تعالى: قالنا ادخلوا في آمهم فدخلت من قبلكم من الجن والانسان في النار كلما دخلت آمنة لعن أختها حتى إذا أداروك فيهما جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أصلوا فألفهم عذابًا ضعفًا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون* وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فقدقوا العذاب بما كنتم تكسبون».(2)

فقد بين تعالى في هاتين الآيتين: أنه كلما دخلت آمنة من الأمم تابعته، أو متبوعة في النار فإنها تلعن أختها بمعنى: تدعو على نظيرتها في الدين، فتلقن التابعة المتبوعة التي أصلتها، وتلعن المتبوعة التابعة التي زادت في ضلالها.

قال أبو مسلم: يلعن الأتباع القادوة يقولون: أنتم أورثتموا هذه الموارد فلعنكم الله - تعالى -

وقوله: حتى إذا أداروك فيهما جميعًا* غاية لما قبله أي: يدخلون فوجأً فوجأً لاعنا بعضهم بعضًا إلى إنهاء تلاحقهم باجتماعهم في النار. وعند ذلك تقول: أخراهم منزلة وهم الأتباع والسلفة لأولاهم منزلة وهم الفادحة والرؤساء أو تقول: أخراهم دخولًا لأولاهم كذلك* هؤلاء أصلوا فألفهم عذابًا ضعفًا أو: دعونا إلى الضلال وآمروا به حيث سنو فاقتنا بهم فأتهم عذابًا ضعفًا* أي: مضاعفًا.

قال تعالى رادًا عليهم (كلم) منكم ومنهم عذاب (ضعف) من النار.

أما القادوة فلاضللاءهم وإضلالةهم، وذلك بسبب الدعاء السابق.

وأماكونهم مضللين فلأنا أخاذهم إياهم رؤساء يصدرون عن أمرهم يزيدون عن طغيانهم كما قال تعالى: وأَفَأَنَّهُ كان رجلاً من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهُم رهفاً».(3)

1  معلوم التنزيل على حاشية تفسير الحافظ 4/ 211
2 سورة الأعراف آية: 39-38
3 روح المعاني للألوسي 116 والآية رقم (26) من سورة الجن.
وقد أخبر تعالى أن أهل النار يلقون فيها أفعالاً: كما قال تعالى: «لكنهم تميز عن الغيظ كلما ألقى فيها فوج سلامهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بل نجانا نذير فذينا وقنا نزل الله من شيء إن أنت إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعبر * فاعترفوا بذنبهم فسحقوا لأصحاب السعبر» (1). 

فقد بَيَّنَ تَعَالَى أنَّهُ كَلَّامَا أَلْقَى فِي جَهَنَّم جَمِيعَةِ سَالَةِهِمْ خَزَنَتَهَا: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نذير يعني: سأل الفوج خزينة جهيم فقالوا لهم ألم يأتكم في الدنيا نذير بذركم هذا العذاب الذي أنت فيه؟ فيجيبونهم بأن النذير جاءهم وأذروهم هذا العذاب ولكنهم كذبوا وزعموا بأنه في ذهاب عن الحق بعيد (2). 

وأخيرًا تعالى أن الكافرين يحشرون إلى جهنم صماداً وبكماً وعمياً ومنهم من يمشي على وجهه. 

وقال تعالى: «وَيَحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عَمِيَّةً وَبِكَمَا وُسْعُ ما أَمْكَنُ أَنْ يُعْلَمَ مَعَهُمْ» (3). 

وقال تعالى: «الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأصل سبلًا» (4).

روى البخاري ومسلم عن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجه يوم القيامة قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجه يوم القيامة» قال قتادة: بل وعزة رتبلاً (5). 

وروى الترمذي بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ الْحَالُ الْحَيْثُ يُقُلُّ أَنَّ الْمَلَأَ كَذَّبَ بِأَنفِسْهُمْ» (6). 

قيل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاه على أقدامهم»

---

(1) سورة الملك آية: 8-11. 
(2) جامع البيان 29/5. 
(3) سورة الإسراء آية: 97. 
(4) سورة الأعراف آية: 34. 
(5) صحيح البخاري 129/3، صحيح مسلم 2112.
كيفية دخول أهل النار النار
قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتلون بوجوههم كل جدب وشوكة. قال الترمذي: هذا حديث حسن (1).
فتين مما تقدم كيفية دخول أهل النار النار، وأنها حالة مؤلمة تقشعر منها الجلود، وتضطرب منها القلوب وأنها صورة مخيفة حيث يساقو إليها سقوفاً عنيفاً مقرناً بالإهانة والإذلال والتحقيق، تكاد حلوتهم تقطع من العطش والنظماً، يلعن بعضهم بعضًا، ويحشرون إليها صماً، وبكماً، وعمياً، وبعضهم يمشون إليها على وجوههم وأولئك شر مكاناً وأعمل سيئًا.

(1) السنن 4/367، ورواه أحمد في المسند 2/354 وفي لفظه وأما إنهم يتلون بوجوههم كل حدب وشروك.
المبحث الثاني
أبواب جهنم

لقد جاء في السورة ذكر أبواب جهنم مجملة، دون تحديد لعددها كما دل على أن أبوابها تكون مغلقة، وأنها لا تفتح إلا عند مجيء أهلها إليها يوم القيامة.
قال تعالى: وسبيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا حتى إذا جاءوها فتحب أبوابها.
فالمراد بالأبواب المذكورة في هذه الآية هي أبواب جهنم السبعة.
قال تعالى: وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (1).
قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لإبييس: وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب يقول: لجهنم سبعة أبطاق، لكل طبق منهم يعني من أتباع إبليس جزء، يعني قسمًا ونصيبًا مقسومًا (2).
وقال ابن كثير: وقوله وإن جهنم لموعدهم أجمعين: أي: جهنم موعد جميع من اتباع إبليس، كما قال عن القرآن ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعدهم (3) ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم. أي: قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لمحيد لهم عنه، أجارنا الله منها، وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر عمله (4).
قال أبو عبد الله الفرطبي: قوله تعالى: وإن جهنم لموعدهم أجمعين يعني

---
(1) سورة الحجر آية: 43-44.
(2) جامع البيان 14/35.
(3) سورة هود آية: 17.
(4) تفسير القرآن العظيم 4/162-163.
إيليس ومن ابتهجه {لها سبعه أبواب} أي: أطياب، طبق فوق طبق {لكل باب} أي: لكل طبقاً من جزء مقسم {أي: حظ معلوم} اه۱).

وكما جاء في الكتاب العزيز أن لجهنم سبعه أبواب، كذلك ورد في السنة المطهرة أن أبوابها سبعه كذلك روى الترمذي بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: {لجهنم سبعه أبواب، باب منها لمن سلم السيف على أبي – أو قال على آل محمد} ﷺ. ثم قال الترمذي رحمه الله تعالى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغفل۲).

وقد فسر السلف الصالح قوله تعالى: {لها سبعه أبواب لكل باب منهم جزء مقسم}۳) بأن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض.

فقد أخرج ابن جرير بإسناده إلى علي رضي الله عنه أنه قال: ء هل تدركون كيف أبواب النار قالتوا: {كن هذه الأبواب} قال: لا، ولكن هذا ووصف بعضها فوق بعض.

وقال أيضاً رضي الله عنهم: {أبواب جهنم سبعه بعضها فوق بعض فيتملئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم يملئ كلها}.

وقال عكرمة: في قوله: {لها سبعه أبواب} قال: لها سبعه أطياب. وقال ابن جريج: في قوله {لها سبعه أبواب} قال: أولاً جهنم، ثم الحظمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاربة، والجحيم فيها أبو جهل.

وقال قتادة: في قوله {لها سبعه أبواب لكل باب منهم جزء مقسم} هي: وله منازل بأعمالهم۴).

وقد جاء في بعض الأيات القرآنية أن أبواب جهنم تكون مغلقة على أهل النار.

قال تعالى: {إنها عليهم موصدة}۵) أي: مطبقة مغلقة.

۱) الجمع لأحكام القرآن ۱۰/۳۰۰، ۲) سنة الترمذي ۴/۱۵۹-۳۶۰، ۳) سورة الحجر آية ۴۴، ۴) جامع البيان ۱۴/۳۵-۳۶، وانظر تفسير ابن كثير ۴۲/۱۶۳، ۵) سورة الهجرة آية ۸.
قال تعالى: ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ (1).

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: مدغشة الأبواب.

وقال مجاهد: أصد الباب بلغة قريش أي: أغلقه (2).

وقال قتادة: (عليهم نار مؤصدة) أي: مطقة، أطبقها الله عليهم فلا ضوء فيها ولا فرح، ولاخروج منها آخر الأبد.

وقال الضحاك: (مؤصدة) مدغشة عليهم (3).

وقال مقاتل: في قوله تعالى (مؤصدة) يعني: أبوابها مطقة عليهم لا يفتح لها باب ولا يخرج منها غير ولي يدخل فيها روح آخر الأبد (4).

وقد بين ابن رجب رحمه الله تعالى - أن هذه الأطاباق نوعان:

أحدهما:

إطابق خاص وهو لمن يدخل في النار، أو من يرد الله التضييق عليه أجازنا الله من ذلك.

الثاني:

إطابق عام وهو إطابق النار على أهلها المخلدين فيها وقد قال سفيان وغيره في قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ (5) قالوا: (هو إطابق النار على أهلها) اهـ (6).

وقد قلنا فيما تقدم أن الآية التي صدرنا بها هذا المبحث وهي قوله تعالى: ﴿وساق الذين كفروا إلى جهنم زمرأ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ فيها دلالة على أن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند مجيء أهلها إليها يوم القيامة، وذلك ليفجأهم عذابها، ولتكون ذلك أعظم في نكايتهم، وزيادة في حسرتهم وندامتهم.

(1) سورة البلد آية: 20.
(2) تفسير ابن كثير 298/7، ونظر الجامع لأحكام القرآن 20/185.
(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن 30/420.
(4) ذكره ابن رجب في كتابه التخويف من النار ص 26.
(5) سورة الأنبياء آية: 104.
(6) التخويف من النار ص 61.
٢٤٣

وقد ورد حديث صحيح دل على أن أبواب جهنم مفتوحة وأنها تغلق في رمضان.
روى البخاري ومسلم عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: 
"إذا جاء رمضان ففتح أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصرفت الشياطين ومن Regards!

الجنة." ١

قال الفاضلي عياض حول هذا الحديث: "يحتمل أنه على ظاهره وحقيقة، وأن تفتتح أبواب الجنة وتغلق أبواب جهنم وتصريف الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمته. ويكون التصفيف لمن يعتنوا من إياز المؤمنين والتهويش عليهم.

قال: "يحتل أن يكون المراد المجاز ويكون إشارة إلى كثرة الشرواب والخوف كان الشياطين يقل إغواءهم وإيذاؤهم حتى يصبروا بالتصديف ويكون تصفيفهم عن أشياء دون أشياء ولننا دون ناس.

قال: "يحتل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة: عما يفتحه الله تعالى - لعباده من الطاعات في هذا الشهر الذي لا تقع فيه عورة كما يفعل القيام وفعل الخيرات والانكفاء عن كثير من المخالفات، وهذه أسباب لدخول الجنة، وأبواب لها وكذلك تغلق أبواب النار وتصريف الشياطين عبارة عن تكلف عن من المخالفات" ١.

والأولى حمل الحديث على الحقيقة، ولا ضرورة تدعوا إلى صرف الحديث عن ظاهره، ولا منافية بين الآية والحديث، فقد تكون أبواب الجنة والنار مفتوحة في بعض الأحيان، وتقن مغلقة في أوقات أخرى، فمن هنا لا تعارض بين الآية والحديث. وينفي الإعتداء على تأول الحديث بالتأويلات والاحتمالات التي ليس لها أية دلالة من اللفظ النبوي الشريف تؤداها.

والذي نخلص إليه مما تقدم من الآيات وبعض الأحاديث أنه يجب على كل مسلم الإيمان بأن لجهنم سبعة أبواب كما نطق بذلك كتاب الله وسورة رسوله ﷺ، وأن تلك الأبواب مدخل منها أهل الكفر والشرك والجحود والتفاق على حسب أعمالهم وذنوبهم التي تلبس بها واقترفوها في الحياة الدنيا.

١) صحيح البخاري ٢٣٥، صحيح مسلم ٢٥٨/٨ واللفظ.
٢) شرح الترمي على صحيح مسلم ١٨٨/٧، وآخر وفلاح ٤/١٤٤.
المبحث الثالث
خزنة جهنم

الخزنة: جميع خزائن مثل حفظة وحافظ وهو المؤمن على الشيء الذي قد
استحفظه.

ولقد بينت السورة أن لجهنم خزنة من الملائكة يقومون عليها. قال تعالى: وقيل
لهم خزنتها ألم يأركم رسول ملككم يتلون عليكم آيات ربكم وينزرونكم لقاء يومكم هذا قالوا
بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فئش
مثوى المتكررين.

فهذه الآية من السورة بين الله تعالى - فيها أن خزنة جهنم يوجد أصناف الكفار
الداخلين جهنم من جميع الأمم التي أوصلتهم إلى دار البار بقولهم: ألم
يأركم رسول ملككم؟ يعني: من جنسكم تعرفونهم وتعرفون صدقيهم، وتتمكنون من التلقي
عنهم عندما يتلون عليكم آيات ربكم التي أرسلها الله بها إليك، والتي تدل على الحق
المبين بأوضح الأدلة والبراهين: وينزرونكم لقاء يومكم هذا: فهو يوم القيامة، وهذا مما
يوجب عليهم اتباعهم والحذر من عذاب هذا اليوم باستعمال تقوىه، ولكن كانت حالكم
بخلاف هذه الحال، وعندما يسمع الكفار كلام خزنة جهنم يجيبون مقرين بذنبهم وأن
حجة الله قامت عليهم بقولهم: (بلى) قد جاءت نار ربا بالبينات والآيات الواضحات
وحذروا من هذا اليوم (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) بسبب كفرهم حقت
عليهم كلمة العذاب التي هي لكل من كفر بآيات ربه ووحد ما جاءت به رسول الله، فآقر وا

(1) حادي الأرواح ص 75، وانظر بصائر ذوي التمييز 2/ 535، والمفردات في غريب القرآن ص 146، 147.
خزنة جهنم

بذنهم وقيام حجة الله عليهم، وعندما يسمع الخزنة اعترافهم وإقرارهم بذنهم يقولون لهم: على وجه الإهانتة والإذلال، ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها، في شوق مثوى المتكررين فيخبرونهم بأن لهم الشقاء الأبدي والعذاب السردي الذي لا يطغون منه ولا يفسرون عنه سواء ولا ينظرون لأنهم تكبروا عن الحق فجازهم الله من جنس عملهم بالإهانة والذل والخزي والندامة.

وهذا الحوار يجري بين خزنة جهنم، وبين الكفار عندما يساقون إليها أفواجاً. وجماعات مترفقة بعضها في أثر بعض وقد بين الله تعالى أن عدد خزنة جهنم تسع عشر.

قال تعالى: {سأصليه سقراً وما أدرار ما ساقراً تبيقي وتدمر لوجه البشر عليها تسع عشرة} (وقد استهان بعض المشركين بهذا العدد، فقد روى ابن جرير بن سندة إلى ابن عباس لما نزل قوله تعالى: {عليها تسع عشرة} إلى قوله {وإيماً إيمانًا} أن أبا جهل لما سمع ذلك قال لقريش: نكلتمهم أهلكم، أسمع ابن أبي بكر يخبركم أن خزنة النار تسع عشرة، وأنتم الدهم {أفيوعزر كل عشرة منكم أن يطغوا برجل} من خزنة جهنم {فهد الله عليه وعلى أمثاله بأن خزنة جهنم ليسوا رجلين} وإنما هم من الملائكة الخالص الшедاد الذين لا يعوقون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمنون بقوله {عذر} وما جعلنا أصحاب النار إلا مائدة}.

قال ابن زيد: ما جعلناهم رجلاً فيأخذ كل رجل رجلاً كما قال هذا يعني - أبا جهل - وإنما جعل الله الخبر عن عدة خزنة جهنم فتنة للذين كفرت🖤 وتكذبوا بذلك وقول بعضهم أن أكفرواهم.

قال مجاهد: قوله {تسعة عشرة} قال: جعلوا فتنة.

(1) انظر جامع البيان 184/43، تفسير البغوي على حاشية تفسير الخزازين، 72-77، تفسير ابن كثير.
(2) سورة آل عمران: 27-30.
(3) سورة المدثر: 26-27.
(4) الدهم: القدر الكبير، النهاية 140/2.
(5) جامع البيان 109/29.

مباحث العقيدة م 40
قال أبو الأشدن بن الحكمي: «لا يبلغون رتوتي حتى أجهضهم عن جهنم» (١)
وكمأ جعل الله ذلك العدد فنئة للذين كفروا بالله من قريش جعله استيقياناً لأهل الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً.
قال تعالى: «ليس يقين الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً» (٢) فقد أخبر تعالى أن عدة خزنة جهنم ليس يقيناً به أهل التوراة والإنجيل حقيقة ما في كتبهم من الخبر عن عدة خزنة، جهنم، إذا وافق ذلك ما نزل الله في كتابه على محمد.
قال قادة: (ليس يقين الذين أوتوا الكتاب) قال: يصدق القرآن الكتاب التي كانت قبله فيها كلها، التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسع عشر.
وقال الضحاح بن مزاحم: «عدها خزنة جهنم تسعة عشر في التوراة والإنجيل» (٣).
فعدد خزنة جهنم تسعة عشر كما ناص الله تعالى ـ على ذلك في كتابه وسنة رسوله عليه السلام في الكتب السابقة التوراة والإنجيل.
وفد وصف الله تعالى ـ هؤلاء الخزنة بأنهم غلاظ شداد.
قال تعالى: (ّعليها ملائكة غلاظ شداد لا يعفون الله ما أُمِرُهم ويفعلون ما

(1) المصدر السابق ٢٩/١٦٠.
(2) سورة المهدثر آية: ٣١.
(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩/١٦١.
(4) مسن الترمذي ٤/١٠٢.
خزنة جهنم

(1) سورة التحريم آية: 6.
(2) النهایة لا ينكر كبير 2/159.
(3) هادي الأرواح ص 76.
(4) سورة الزخرف آية: 77.
(5) تفسير الرازي 1/181.
(6) سورة الحاقة آية: 30-32.
(7) سورة الفجر آية: 48.
(8) سورة الكبد آية: 29.
(9) الأحكام: فيود سوداء من نار جهنم، جامع البيان 29/135.
(10) سورة العذاب آية: 12-14.
فالمذي يقدم ذلك الشراب والطعام الجهني هم خزنة جهنم الذين يقومون عليها،
وكل ما تقدم من الآيات والأحاديث يدل على وجب الإيمان بهؤلاء الخزنة الذين أسند الله
إليهم القيام بتعذيب أهل النار، ومن أنكرهم، أو كذب بهم فقدوته في ذلك أبو برهل
وأمثاله من مشركى قريش.
المحبت الرابع

إحاطة النار بأهلها وشدت عذابها

لقد دلت السورة على شدة عذاب جهنم وهوله، وأن عذاباً يحيط بالكافرين من كل الجهات وجميع الجوانب.

قال تعالى: «لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقنون».

وقال تعالى: «كذب الذين من قبلهم فأتاه عذاب من حيث لا يشعرون فأشاقهم الله الخزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون».

وقال تعالى: «ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً وملته معه لا أفتحوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدؤ لهم من الله ملوك يحتسبون وبدأ لهم سهات مما كسبوا وحاق بهم ما كأنوا به يستهزئون».

هذه الآيات من السورة فيها بيان لشدة عذاب جهنم الذي أعد الله للخاسرين الذين كفروا برهم وظلموا أنفسهم بتخديهم رسله، وإشراكهم مع الله غيره في العبادة ولم يخضعوا له بالعبادة والطاعة وحسن الإتقان، والإذعان لما أمرهم الله به والإيذاع عما نهاه عنه، فأثروا العقصات وارتكاب المآثرين على طاعة الله تعالى - تعالى - فكانوا جزاؤهم أن يحيط بهم عذاب جهنم من جميع الجهات، كما صرحت بذلك الآيات المتقدمة.

فالآية الأولى: من تلك الآيات هي قوله تعالى: «لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقنون» هذه الآية فيها بيان أن عذاب جهنم يحيط بالكافرين من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، فيكون العذاب فوقهم، وكهيئة النظالم العنيفة من النار، ومن تحتهم من النار ما يعلوه حتى يصير ما يعلوه منها من تحتهم.
ظلالًا). جاء في تفسير البغوي حول هذه الآية (ولهم من فوهم ظلال من النار) أي: أطباق وسرافات من النار ودخانها (ومن تحتهم ظلال) فراش ومهداد من نار إلى أن ينتهي إلى القبرسي الأسفل ظلالًا لأنها ظلال لمن تحتهم (1).

وأما الآية الثانية والثالثة: من مجموعة الآيات المتقدمة وهما قوله تعالى: {كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لوكانوا يعلمون}.

فهتان الأئمة: فيما بيان أن الأمم السابقة كذبت الرسل الذين أرسلهم الله إليهم كما فعل الكافرون من قريش مع النبي ﷺ، فنزل الله بهم ألوانًا من العذاب في الحياة الدنيا من الخسف والسمخ والإغراق، والتدمير، واجههم ذلك العذاب من جهة ما كانت تخطر على بالهم، وبسبب لم يكونوا يتوقعون أن يصل بهم إلى تلك النتيجة المؤلمة (2).

ثم فصل الله ذلك العذاب الذي أنزله بهم في الدنيا وما سايح بهم من العذاب الشديد في الآخرة.

فقال تعالى: {فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا} بما أنزله بهم من العذاب والنكال والذل والهوان وتشفى المؤمنين منهم. وفي هذا تحذير شديد لمن كذب خاتم الأنباء على الصلاة والسلام.

وأما العذاب الذي سيلحقهم في الآخرة فقد بينه قوله تعالى: {ولعذاب الآخرة أكبر} أي: لعاقب الله لهم في الضر الثانية الباقية أكبر وأشد وأنكى وألم وأبقى. قال ابن جرير عند قوله تعالى: {فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لوكانوا يعلمون}.

يقول تعالى ذكره: {فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوام في الدنيا، والعذاب قبل الآخرة ولم ينظروا إذ عتوها عن أمر ربهم ولعذاب الآخرة أكبر}.

(1) جامع البيان ٢٣٠/٢٠٥.
(2) مآثر التزليخ على حاشية تفسير الخاzin ١٦٩/٥٩، وانظر رؤد المسير لابن الجوزي ١٦٩/٥٩، وانظر روح المعاني للئوسي ٢٢٣/٢٥١.
(3) تفسير البيضاوي ص ١١٠.
إحاطة النار بأهلها وشدة عذابها

يقول: «ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار عذبهم بها أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا لو كانوا يعلمون يقول: لوعمل هؤلاء المشركون من قريش ذلك» (1).

وأما الآية الرابعة والخامسة: من مجموعة الآيات المتقدمة قريباً، وهم قوله تعالى:

وولأ أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومتلك معي لا انفدو به من سوء العذاب يوم القيامة، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون، وبدا لهم سينات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون» (2).

فطبد بين تعالى - فهم أن للمشركون والكافرين يوم القيامة - سوء العذاب وهو أشد وأفظع لأنهم أصروا على الكفر الذي ليس بعد ذنب وأنهم على الفرض والتقدير لو كان لهم ما في الأرض جميعاً من ذهبا وفضنتها وحيواناتها وأشجارها وزروعها ومعم أنانيها وأنانية، ومتلك معي، ثم بذلوا يوم القيامة ليفتدوا به من العذاب، وينجوا منه، ما قبل منهم ولا أغلب منهم من عذاب الله شياً، وحينئذ يظهر لهم من سخط الله وغضباه وانتقامه وقبسه ما لم يملؤهم على بال، أويدور بخفاً، وهذا يتضمن لهم فائج أعمالهم، وتحيط بهم خطيئتهم ويحدق بهم العذاب الذي كانوا يسخروا من ذكره أو الإنذار به (7). وبدا لهم سينات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون» (2).

وبين معاني الآيات الخمس المتقدمة من السورة تبين وجه دلالة السورة على شدة عذاب جهنم وهوله وأن عذابها لا يقدر قدره، ولا يخطر على بال.

وقد وردت آيات كثيرة في معنى تلك الآيات التي تقدم ذكرها وكلها تبين شدة عذاب جهنم وإحاطته بالكافرين من جميع الجهات والجوانب.

قال تعالى: «لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين» (3).

(1) جامع البيان 23/212.
(2) مسند من جامع البيان 24/11-12، وتفسير القرآن العظيم 98-99، ومعالم التنزيل للبغوي على حاشية تفسير الخازن 26/2.
(3) سورة الأعراف آية: 41.

وقال ابن جرير وأما قوله: "وكذلك نجزي الظالمين" فإنه يقول: وكذلك نبت من ظلم نفسه فأكسبها من غضب الله ما لا يقبل لها بكفره برته وتكذيبه أشياءه.

وقال البغوي رحمه الله: "لهما من جهنم مهاد" أي: فراش (ومن فوقهم غواش) أي: "لحف وهي جمع غاشية يعني ما غشاهم وغُطّاهم يريد إحاطة النار بهم من كل جانب" (1).

وقال تعالى: "يِسْتَجِلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْكَافِرِينَ يُغَشَّاهُمْ العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون" (2).

وفي هاتين الآيتين: بين الله تعالى - أن عذاب جهنم محيط بالكافرين وغشاهم عذابا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويقول الله لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله وما يسخطه فيها.

وقال تعالى: "وَقَالُونَ مِتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُم صادقين لَوْ يَعْلَمُ الْذِّينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُونُونَ عَن وَجْهِهِمُ النَّارَ عَلَى نَظُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ" (3).

ومعنى هاتين الآيتين: "لَو يَعْلَمُ هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفع وجههم النار وهم فيها كالحون فلا يكشون عن وجههم النار التي تلفحها، ولا عن نظورهم فيدفعونها عنهم بأنفسهم (ولأهم نصار ينسرون) يقول: ولا لهم ناصر ينصرون، فيستنذقهم حيناً من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقبولين من الكفر بالله، وسارعوا إلى التوبة منه، والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء". (4)

(1) جامع البيان /82.
(2) عالم التنزيل على حاشية وفسر الخازن /189.
(3) سورة الأنبياء آية: 54-55.
(5) جامع البيان عن تأويل آية القرآن /28.
وقال تعالى: «لا بارد ولا كريم».

قال ابن عباس: ظل من دخان.

وقال مجاهد: ظل من دخان جهنم وهو السموم.

وقال أبو مالك: البهموم ظل من دخان جهنم.

وقال الحسن وقتادة: في قوله: «لا بارد ولا كريم».

المنظر.

(1) سورة الكهف آية: 29.
(2) تفسير القرآن العظيم: 384/4.
(3) سورة الرعد آية: 34.
(4) رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما 2/1131 والدارمي في سنة 2/151.
(5) تفسير القرآن العظيم: 98/49.
(6) سورة الواقعة آية: 44.
(7) سورة الواقعة آية: 44.
والسموم: هو الريح الحارة قاله قادة وعدهم.

وهذه الآية: تضمنت ذكر ما يثير به في الدنيا من الحراره والحضره، مثله: الماء،
والهواء، والظل.

فهواء جهنم: هو الريح الحارة الشديدة الحر.

ومائة الحزنم: الذي قد اشتد حره وظلمها: البحموم وهو قطع دخانها أجازنا الله
من ذلك كله بكرمه ومتنه.

وقال تعالى: {وَقَالَوْا لَا نَصْرَوْا فِي الْحَرَقِ النَّارِ جِنَّ هُمْ أَشْدَدَ حَرَٰماً لَّوْ كَانُوا يَقَهَّونَ}.

هذه الآية بين الله تعالى ـ فيها أن حرارة جهنم لا يمكن أن تقاس بالمقاييس التي
يعرفها البشر بالنسبة لدرجات الحرارة لأنها نار اليوم الذي يفصل الله فين الخلاف، وهي
نار الله المؤقدة التي تطلع على الأندفة فلا يستطيع أحد أن يقيش بنار الدنيا.

وقع في النبي ﷺ شدة ارتفاع حرارة جهنم بقوله: {ناركم هذه التي يوقد ابن آدم
جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم}.

قالوا: والله إن كانت لكافة ييا رسول الله قال: {فإنها فضلت عليها بسعة وستين
جزءاً كلهما مثل حرها}.

وقوله عليه الصلاة والسلام {ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من
نار جهنم يعني أنه لوجع كل من في الموجود من النار التي يوقدها ابن آدم لكانت جزءاً من
أجزاء جهنم المذكورة، وبيانه أنه لوجع حطب الدنيا فأوقد له حتى صار ناراً لكان الجزر
الواحد من أجزاء نار جهنم الذي هو من سبعين جزءاً أشد من حر النار الدنيا كما بيه في آخر
الحديث}.

وقولهم: {وإن كانت لكافية} إن هذا مخففة من الثقيلة عند البصريين نظره.

(1) التحويش من النجاح - البين رجب - ص 82.
(2) سورة النور - آية 81.
(3) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري 2/196، صحيح مسلم 4/2184، واللفظ له وكلاهما من حديث
أبي هريرة.
كانى كبيرة إلا على الذين هدى الله، أي: "إنها كانت كافية فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم عنها كما فضلت عليها في المقدار والعدد بتسعة وستين وفضلت عليها أيضاً في شدة الحر بتسعة وستين ضعفاً".

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اشتكى النار إلى ربي فقالت: رب أكل بعضي بعصا فاؤذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأذنما تجدون من الحر، وأذنما تجدون من الزمهرير".

فيذن النبي صلى الله عليه وسلم أنها شدة الحرارة في الصيف وشدة البرد في الشتاء، إنما ذلك بسبب نفس جهنم أعادنا الله منها.


وروى البخاري من حديث النعمان بن بشير قال: سمحت النبي ﷺ يقول: "إن آهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخص قدميه، جمرت النار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل والقمح".

(1) سورة البقرة آية: 143.
(2) التذكرة للفرطي ص: 395.
(3) صحيح البخاري: 219/2.
(4) مشغ في النار صبيغة: أي: يغمس غمسة.
(5) جومس: هو الشدة.
(6) صحيح مسلم: 2116/4.
(7) المرجل: قد ينام على نحاس، ويقال: لكل إناء يغلي فيه الماء من أي صنف كان "الفتح" 1431/11.
(8) القمح: إناء من آية العطار، ويقال: هو إناء يغلي في أعلاه يخسر فيه الماء يكون من نحاس وغيره "الفتح" 1431/11.
(9) صحيح البخاري: 138/4.
إحاطة النار بأهلها وشهدت عذاباً،

وهذان الحديثان فيما بيان لشدة عذاب جهنم، وأن عذابها أليم، لا يقادر قدره،

ويجب الفرار منه بطاعة الله - عز وجل -.

ثم من المتعارف عليه عند الناس في هذه الحياة الدنيا أنهم يوقدون لما يحتاجون إليه من طعام وغيره بالحطب من الأشجار، وهم استجد من الغازات في عصرنا هذا وغير ذلك مما هو صالح استعماله للوقود.

أما وقود جهنم فإنه الناس والحجارة. كما قال تعالى: {إلا وإن لم تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين}.

قال ابن جرير: {فإن قال قائل: وكيف خصت الحجارة فقرنت بالناس حتى جعلت لنان جهنم حطبًا؟قيل: إنها حجارة الكبريت وهي أشد الحجارة فيما بلغنا حراً إذا أحميت.}

وروى بإسناده إلى ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: {وقودها الناس والحجارة}.

قال: {هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا بعدها للكافرين}.

وفي رواية ثانية عنه أنه قال في قوله: {وقودها الناس والحجارة} قال: حجارة الكبريت جعلها الله كما شاء.

وقال ابن عباس وغيره: في قوله {فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة}.

أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار.

قال القروطي: في شأن هذه الحجارة: {وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب:}

1- سرعة الإбед.
2- وتن الرائحة.
3- وكترة الدخان.
4- وشدة الإتصاق بالأبدان.

(1) سورة البقرة آية: 24.
(2) انظر هذه الروايات في جامع البيان 2/168-179.
5 - وقفة حرها إذا حميت.
وقيل: المراد بالحجارة الأصحام لقوله تعالى: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) (1). أي: حطب وهو ما يلقى في النار ما تذكي به (2).

(1) سورة الأنبياء آية: 98.
(2) التذكرة ص 407.
المبحث الخامس
صفات أهل النار

لقد ذكر في السورة بعض صفات أهل النار، وكما هو معلوم أنه ينبغي للمسلم أن يكون على علم ومعرفة لصفاتهم حتى يتجنبها ويتفادى التخلق بها حتى لا يقع فيها دون أن يدرك ومن صفات أهل النار التي ذكرت في السورة:

- شدة ظلمهم واختلافهم الكذب على الله والإفراز عليه بنسبة الولد إليه، أو يجعلون له الأنداد، والشركاء، أو يعبدون معه غيره من الخلق بدعوى أنه يقربهم إلى الله زلفى.

قال تعالى: فَمَن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاء اليأس في جهنم مثوى للكافرين؟

فهذه الآية من السورة إلى جانب أنها بينت صفات يتخلق بها أهل النار إلا أنها أيضا:
تضمنت التحذير والإيحاب بأنه لا أظلم ممن كذب على ربه سبحانه إلى مالا يليق بجلاله، أو بادعه الله أو الإخبار بأنه تعالى قال كذا: أو آخر بذي كذا هو كاذب، هذا يدخل في عموم قوله تعالى: وَأَن تقولوا على الله مَا لا تعلمون؟ (1) إن كان جاهلاً أما إن كان عالماً فهو أشنع وأفظع.

كما بنيت أن من يرد الحق المؤيد بالبينات بتلك فيه فإنه ظلم عظيم لأنه رد للحق بعد تبيه، والذي يجمع بين الكذب على الله والتذكيب بالصدق كان ظلمًا على ظلم، وجزاء من ينتمي بذلك جهنم ولذلك ختم الله الآية بقوله: قَلْ أَليس في جهنم مثوى للكافرين؟ فهي مقام مستقر كل ظلم وكافر ينال جزاءه على عمله بها.

(1) سورة الأعراف آية: 33.
وجاء في زاد المسير: قوله تعالى "فمن أظلم ممن كذب على الله" بأن ادعى له ولداً وشريكة وكدب بالصدق إجابة وهو التوحيدي والقرآن "اليس في جهنم مثوى" للكافرين. أي: مقام للمجاهدين وهذا استفهام بمعنى التقرير يعني إنه كذلك إذا. 

وقال ابن كثير: حول قوله تعالى "فمن أظلم ممن كذب على الله وكدب بالصدق إجابة." 

يقول منجل مخاطبا للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا أن الملائكة بنات الله وجعلوا اللهو ولداً - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على ألسنتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليهم جميعاً، ولذا قال عز وجل."فمن أظلم ممن كذب على الله وكدب بالصدق إجابة" أي لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرف الباطل كذب على الله وكدب رسول الله قالوا: البابل وردوا الحق. وهذا قال جلّ جلّه عسمته متوعداً لهم: "اليس في جهنم مثوى للكافرين؟ وهم المجاهدون المكذبون؟."

ب- من صفات أهل النار القبيحة التي ورد ذكرها في السورة. 

أنهم حينما يذكر الباري جل وعلا تشمت قلوبهم وتقلز تنفسهم وتنقبض صدورهم، وينفرن من التذكير لأنهم لا يؤمنون بالمعاد ولا يخفون سوء الحساب. قال تعالى مبيناً هذه الصفة المذميمة: "إذا ذكر الله وحده أشمت قلوب الذين لا يؤمنون بالأخرى وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون".

فهذه الآية الكريمة من السورة أوضح أن أهل النار حينما يذكرهم وعدهم بالباطل وأهل من الأصنام والطاغية فإنهم يتهجرون ويفرون وتطهرون وجههم بالبشر والسرور والبهجة، وتجدهم يغضبون على من يتنفَّذونهم ويتوجهون إليه. قال ابن جرير رحمه الله تعالى حول هذه الآية: "يقول تعالى جزله: وإذا أفرد الله جل نعه بالذكر، فدعي وحده وقال "لا إله إلا الله" أشمت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد، وبعد الممات وعنى بقوله (اشمأزت): "

(1) تفسير القرآن العظيم 6/ 93-94.

(2) 182/7
نفرت من توحيد الله (هذا ذكر الذين ممن دونه) يقول: وكذا ذكر الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله فيظل تلك العقائد العليا، وإن شفاعة ترتبت (1) إذا الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون، أه(2).

جـ، ومن صفات أهل النار التي ذكرت في السورة الإستكبار عن الإيمان بآيات الله والترفع عنها، وعدم الإذعان والانقياد لها.

قال تعالى: "بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكتبت من الكافرين، ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين".

وهتان الأئماث من السورة بين الله تعالى، "ففيهما أن الإستكبار عن الحق، والتكبر على الخلق من موجات النار.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: "وأما المستكبر فهو الذي يتعاطي الكرة على الناس والتعاظم عليهم وقد قال تعالى: "أليس في جهنم مثوى للمتكبرين" أه(3).

فقوله تعالى: "بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكتبت من الكافرين" تضمنت ثلاث صفات، كلها بلغت النهاية في القبح، وتندل على شناعة الاستكبار، فالستكر يقع بين أفيج الجرام على الإطلاق، وهما التكذيب بأيات الله وهو كفر، ثم الكفر الصريح دل على ذلك قوله تعالى في (وكتبت من الكافرين).

وأما قوله تعالى: "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين".

فقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: "ترى الذين كذبوا على الله" كلمة شاملة يدخل فيها من كلب على الله بداعياء الولد، أو الشريك، أو الصاحبة، أو المعبود الذي يزعجون أنه يقرب إلى الله أو يشعع عنه، أورعؤ أن الله حرم شيئاً، أو أحيل شيئًا، خلاف ما جاء به دينه الحنيف كتحريم البهارة، والساقية، والوصيلة، والحامي التي كان يفطرينها المشركون على الله بغير علم.

(1) كان يشير إلى قصة الغرانيق وهي قصة بائعة انظر كتاب ونصب المنجانيق لنسف قصة الغرانيق للألقبائي.
(2) جامع البيان 24/10.
(3) التخويف من النارص 198.
صفات أهل النار

قال أبو عبد الله القرطبي: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجههم مسودة) أي: مما أحاط بهم من غضب الله ونقمته.

فوجوه أهل النار يوم القيامة تسود وتكون مغطاة بالسواد كما قال تعالى في موضع آخر: (ويوم نيبض وجه وسود وجه فأما الذين أسودت وجههم أكرهتم بعد إيمانكم فذكروا العذاب بما كنت تكفرون).

وكقوله تعالى: (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترقهم ذلة ما لههم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجههم قطعا من الليل مظلمًا أوئنك أصحاب النار هم فيها خالدون).

ووقوله تعالى: (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) بين سبعاء أن الكبير من أقبح الصفات الذميمة التي تجعل من جهنم مثوى ومستقراً لمن تخلق به وقاب بين النبي ومعنى الكبير بقوله: (الكبير: بطر الحق وغمط الناس).

قال النووي: (بطر الحق: دفعه ورده على قائله، وغمط الناس: احترامهم)

وصفات أهل النار التي تقدم ذكرها كما قلنا سابقاً إنما هي بعض صفاتهم التي وردت في السورة، وإلا فلهم صفات أخرى ذكرت في غيرها من سور القرآن وفي السنة المطهرة. مثل النفاق فإنه صفة من صفات أهل النار.

قال تعالى: (إن المناققين في الدرب الأسلم من النار لتجد لهم نصيرًا)

وأما ترك الصلاة وعدم إطعام المساكين والتكذيب بالرجل على الله تعالى - وقد أخبر تعالى - أن أهل الجنة يسألون أهل النار عن السبب الذي دخلوا به النار يقول تعالى:

(1) الجمع لأحكام القرآن 15/275.
(2) سورة آل عمران آية: 136.
(3) سورة يونس آية: 27.
(4) رواه مسلم في صحيحه 1/93 من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(5) رياض الصالحين ص 285.
(6) سورة النساء آية: 145.

مباحث العقيدة م 41.
ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكننا نخوض مع الخائضين وكننانكذب ببرم الدين (1).

ومثل الطغيان، وحب الدنيا وإثارها على الآخرة، فإن ذلك من صفات أهل النار.

قال تعالى: "فأمام من طعى وأثْر الحِيَاب الدُّنْيَا فإن الحِيَاب هي المأوى" (2) إلى غير ذلك من الصفات الذميمة الكثيرة التي يصعب حصرها هنا، وكما بين القرآن صفات أهل النار كذلك بين النبي ص فضواتهم، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعا لا يبكون أهلًا ولا مالًا، والخائن الذي لا يخفى له طعم وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البلح أو الكذب (والنظير الفحاش) (3)". ففي هذا الحديث قسم النبي صلى الله عليه وسلم أهل النار خمسة أصناف:

الصنف الأول:

الضعيف الذي لا زبر له، يعني بالزبر القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل الصالح.

الصنف الثاني:

الخائن الذي لا يخفى له طعم وإن دق إلا خانه، أي يعني لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيقة بسيرة إلا بادر إليها واعتنموا، ويدخل في ذلك التطفيف في المكياج والميزان وكذلك الخيانة في الأمانات القليلة كالودائع وأموال اليسامي وغير ذلك وهو خصلة من خصال النفاق، ويدخل في الخيانة من خان الله ورسوله في ارتكاب المحارم سرا مع إظهار إجتنابها.

الصنف الثالث:

المخادع الذي دأبه صباحا ومساءً مخادعة الناس على أهليهم وأموالهم، والخداع

(1) سورة المؤمن آية: 42 - 46.
(2) سورة النازعات آية: 37 - 39.
(3) رواه مسلم في صحيحه من حديث عياث بن حمار المغشعي 4/1198 - 2199.
صفات أهل النار

من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى - بذلك، والخذاع معناه إظهار الخير
ومضر الشر لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك، وهو من جملة
المكر والخيان المحرمة، نص الشارع.

الصف الربع:

الكذب والبخل، ولم يحفظ الراوي ما قال النبي ﷺ في هذا حفظًا جيدًا، والكذب
والأرب صنعتان.

والأرب والبخل كلاهما ينشأ عن الشح، والشح هو شدة حراس الإنسان على ما
ليس له من الوجه المحرمة، ويشتغله البخل وهو إمساك الإنسان ما في وجهه والإهانة عن
إخراجه في وجهته التي أمر بها، فالمخادع الذي سبق ذكره هو الشح، وهذا الصف هو
البخل، فالشجاعة أخذ المال بغير حقه، والبخل مبتعه عن حقه، ويشتغله عن الشح أيضًا:
الكذب والمخادعة، والتحيل على ماله لا يستحقه الإنسان بالطرق الباطلة المحرمة.

قال ﷺ: "إن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار".(1)

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر قال: ست النبي ﷺ ما عمل
أهل النار؟ قال: "الكذب، إذا كذب العبد - فجر، وإذا فجرا كفر، وإذا كفر دخل
النار".(2)

الصف الخامس:

الشجاعة: وقد فسر بالسبي الخلق، والفحاش هو الفاحش المتحفظ وفي حديث
عائشة عن النبي ﷺ قال: "إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقناء
فحشه"(3).

وروى الترمذي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ "إن الله ليغفر الفاحش البذيء"(4)

وأبي الذي يجري لسانه بالسفه ونحوه من لغو الكلام.

(1) رواه البخاري في صحيحه 4/131، ورواه مسلم أيضًا في صحيحه 2/301، كلاهما من حديث ابن
مسعود.
(2) رواه البخاري في صحيحه 1/186، ومسلم 4/200، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها.
(3) رواه البخاري في صحيحه 1/70، ومسلم 4/244.
(4) السنن 2/244.
وروي الإمام أحمد في مسنده عن النبي ﷺ قال: "حسب الرجل أن يكون فاحشاً بذيئاً بخيلاً جباناً"  
فقال: "فالفاحش هو الذي يفحش في منطقه ويسقط الرجال بقبح الكلام من السب ونحوه، ويأتي في كلامه بالسخيف وما يفحش ذكرهَهِ".  

ومن صفات أهل النار التي وضحها النبي ﷺ مخالفتهم الحق بعد معرفتهم له، وقد يأمرون به ولا يفعلونه، ويبركون المنكر وهم يعرفون أنه منكر، وقد يهنون عنه مراءة للناس وتعمية لأفعالهم روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: "سمع رسول الله ﷺ يقول: "يجاهي برهج في النار فبطى" في النار في طبض فيها كما يطمئن الحمار برهج فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان ألسنت كنت تتأمر بالمروف وتهنيه عن المنكر؟ فقول: كنت أمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهي عن المنكر وأفعاله".  

وفيهم من حديث حارثة بن وهب عن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواز مستكبر".  


وروى مسلم في صحيحه عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قلت رسول الله ﷺ: "قال الله عزوجل: إن الرحمان رداً على الكبيرة، إن إزال الرحمان رداً على الكبيرة".  

فالمستكبر يعرض نفسه للذل والهوان فوالذي يتعالى على الناس يتعاظم عليهم فتعاظم عمله وذلك أنه يذل ويهان بسبب تعاطمه وتعالية على الناس، ومنازعته رببة فيما  

(1) 454/4 من حديث عقبة بن عمار رضي الله تعالى عنه.  
(2) التروية من النارابة بن رجب ص 204.  
(3) صحيح البخاري مع الفتح 1/229 ومسلم 4/229.  
(4) صحيح البخاري مع الفتح 8/221 ومسلم 4/219.  
(5) رياض الصالحين ص: 131.  
صفات أهل النار

يختص به من الصفات كما قال تعالى: "فَإِنَّمَا يَجْزِيُ الْجَاهِلِينَ عُذَابَ الْحَرَّةِ نِسْبًا أَيَّامَ الْخَلْقِ قَيَّمًا" (1).

في الأرض بغير الحق وبما كتبوا نسفون (2).

هذه عقوبة المتكرر الشنيعة التي يجازي بها بعد الرجوع إلى الله -جل وعلا-.

ومنصفات أهل النار التي بينها النبي ﷺ أتباعهم الشهوات روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تحت الجنة بالمكاره وتحت النار بالشهوات" (3).

وعند مسلم "حتت الجنة بالمكاره وتحت النار بالشهوات" (4).

المكاره كل ما يشق على النفس فعله ويفضل عليها عمله كстанавлива في السبرات.

وغيرها من أعمال الطاعات، والصبر على المصائب وجميع المكروهات.

الشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها وأصل الحفاء الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصلى إليه إلا بعد أن يبتكي فينفسل المكاره والشهوات بذلك، فالجنة لا تزال إلا يقطع مفاوئ المكاره، والصبر عليها، والنار لا ينجو منها إلا ترك الشهوات وتفطير النفس عنها (5).

وروى الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تحاچت الجنة والنار فقالت النار: أوترت بالمتكررين والمتجردين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسطهم" (6).

قال الله -عز وجل- للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشتكى من عبادي وقال للنار: أنت عذابي أغلب بك من أشتكى من عبادي ولكل واحدة منكما مؤلمة.

وأما النار فلا تنمل، حتى يضع عليها رجله فقوله: وقفت (7)، فهناك تمثل (8).

---
(1) سورة الأحقاف آية: 20.
(2) صحيح البخاري مع الفتح 1/1120/320.4/42174/4.
(3) التذكرة الملحقية ص 360-359.
(4) مفسرهم: أي مفسران منهم. شرح النووي 181/18117/181.
(6) فقط:
ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله ينشيء لها خلقًا١.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كأسيات عاريات مميتات مائلات رؤوسهن كأسلمة البخت٢ المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كما كذا٣.

وأعمال أهل النار وصفاتهم كثيرة جداً وقد استوفى الكثير منها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى٤.

---

١ صحيح البخاري ص ١٣٨٣، صحيح مسلم ص ١٨٦، واللفظ له.
٢ معناه: "أنهن يعظمن رؤوسهن بالخمر والعمائم وغيرها مما يلف على الرأس حتى تشبه أسمنة الأبل البخت.
٣ شرح النووي ٢٧٠/١٩١.
٤ صحيح مسلم ٤/١٦٩٢.
٥ مجموع الفتاوى ١١٣/٤١٣ - ٤٢٤.
المبحث السادس
أبدية النار ودوام عذابها

لقد قالت السورة على أبدية النار ودوام عذابها في قوله تعالى: «قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إن أعمل فسوف تعلمون. من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم».

وقال تعالى: «قبل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فشمست مثوى النكرين».

هذه الآيات من السورة فيها دلالة واضحة على أن عذاب جهنم دائم ومستمر لا انقطاع له، وأن أهلها خالدون مخلدون فيها.

فقال عنهم الأولى: من هذه الآيات وهي قوله تعالى: «قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إن أعمل فسوف تعلمون»، فيها أمر من الله تعالى: «لنبي أن يهدد المشركين ويتعدهم بالعذاب إنهم استمروا على شركهم وكبروا بالله تعالى».

ويخبرهم بأنه ثاب ومستمر على طريقته وملته وديثه وأنه لن يحيد عن التوحيد والإيمان بالله تعالى وأن المستقبل سيفضله لهم عم لينزل به عذاب الله في الدنيا فيخزيه، ثم في الآخرة يحل به العذاب الدائم الذي لا انقطاع له وهو عذاب جهنم.

قال ابن جرير عند قوله تعالى: «من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم».

وقوله: «من يأتيه عذاب يقول تعالى ذكره: من يأتيه عذاب يخزيه، ما أتاه من ذلك العذاب، يعني بذلك ويهينه ويحل عليه عذاب مقيم» يقول: ينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه». (١)

(١) جامع البيان ٢٤/٨.
وقال العلامة ابن كثير: "من يأتيه عذاب يحزبه" أي: في الدنيا (ويلح عليه) عذاب مقيم" أي: دائم مستمر لا محيد له عنه وذلك يوم القيامة" اهـ(1)
وجاء في تفسير روح المعاني: "قوله تعالى: "من يأتيه عذاب يحزبه ويلح عليه عذاب مقيم" فإن الأول إشارة إلى العذاب الدنيوي وقد نالهم يوم بدر والثاني إشارة إلى العذاب الآخرى فإن العذاب المقيم عذاب النار" اهـ(2)
وجاء في فتح القدير: "فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يحزبه" أي: يهيه وذلله في الدنيا فظهر عند ذلك أنه المبطل وخصمه المحقق، والمراد بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتال والأسر والفراء والذلة.
ثم ذكر عذاب الآخرة فقال: "ويلح عليه عذاب مقيم" أي: دائم مستمر في الدار الآخرة وهو عذاب النار" اهـ (3)
أو أما قوله تعالى: "قيل اندخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فيشم مثوى المتكبرين".
فقدم قال ابن جريج حول هذه الآية: "يرقق تعالى ذكره: "فسأل حزنه جهنم للذين كفروا حينئذ: "ادخلوا أبواب جهنم" السبعة على قدر منازلكم فيها "خلالين فيها" يقول: ماكتين فيها لا يتنازلون إلى غيرها (فهش مثوى المتكبرين) يقول: فيشم مسكن المتكبرين على الله في الدنيا، أن يحبدو ويفردو له الألوهة جهنم يوم القيامة" اهـ (4)
وقال ابن كثير: "وقوله تبارك وتعالى هنـا: "قيل اندخلوا أبواب جهنم خالدين فيها" أي: كل من رأهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب، وهذا لم يسمى هذا يقول إلى قول من أهل العلم، فيقول: "قل إنما هنـا يحكم العدل الخبير عليهم به ولهذا قال جلال علا: "قيل اندخلوا أبواب جهنم خالدين فيها" أي: ماكتين فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم منها (فهش مثوى)}

1 تفسير القرآن العظيم، 6/7, 95
2 مصطلحات، 1/7, 24
3 سورة غافر، 46/4
4 جامع البيان، 4/7, 324
أبدية النار ودوام عذابها

المتكبرين: أي: فيسب المصير ويسهم المقيم لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإيانكم عن إتباع الحق فهو الذي صبركم إلى ما أنتم فيه فيش الحلال ويش المال، إنه ا découهم السوره على أبدية النار ودوامها وعدم فتحها وخلود أهلها فيها وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تدل على أبدية النار ودوام عذاب الكفار فيها.

قال تعالى: "إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهدؤهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله سيراً" (1). وقال تعالى: "إن الله لن عن الكافرين وأعدهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولاياً ولا نصيراء" (2).

وقال تعالى: "وإنّنا يا مالك ليقضي علينا ربك فقال إنكم مأكثون" (3). قال عبد الله بن عمرو: أهل النار يتعدون مالكما فلا يجيشهم أربعين عاماً ثم يقول: إنكم مأكثون، ثم يدعون ربه فيقولون: ربنا أخرجنا منها فإن عدننا فإننا ظالمون فلا يجيشهم مثل الدنيا ثم يقول: إخسرنا فيها ولا تكلمون ثم يسبس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق، واخرها زفير" (4).

قال تعالى: "إن الذين كذبوا بأياتنا واستنكروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" (5).

 وقال تعالى: "ومن يعص الله ورسوله فإن له النار جهنم خالدين فيها أبداً" (6).

فهذه الآيات القرآنية دلت على أن عذاب جهنم لا انقطاع له، وأن أهلها من الكفار.

---

(1) تفسير القرآن العظيم 112.
(2) سورة النساء آية: 168 - 169.
(3) سورة الأحزاب آية: 64 - 65.
(4) سورة الزخرف آية: 77.
(5) انظر مجمع الزوائد 10/396، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
(6) سورة الأعراف آية: 33.
(7) سورة الجين آية: 23.
المشركين والكافرين خالدون مخلدون فيها وأي: لا يخرجون منها ولا يفنى بهم، فيزولوا بزوالها، وإنما هي حياة أبدية لا نهاية لها) (1).

"فإذا جاء مع لفظ خلق الكفار في النار وصف بتأييده كان ذلك تأكيداً للخلود الذي لا نهاية له ولا أمد لانقضائه) (1)."

أي: أن أهل النار خالدون فيها أبداً.

وقد بين النبي ﷺ أن أهل النار خالدون فيها أبداً.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إذا شار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار، أتي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار بذبح ثم ينادي مناداً: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت فزيد فأنت لا قوة إلا بالله حزنة" (2).

فهذا الحديث نص صريح في خلق أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أبد.

مقترحون على الدوام والسماح من غير موت ولا حياة، ولا راحة، ولا نجاة، بل كما قال تعالى في كتابه الكريم وأوضح فيه عن عذاب الكافرين: "والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابهم كذلك نجزي كل كفرهن"(3). فمن قال إن أهل النار يخرجون منها وأن النار تبقى خالية بجملتها خارية على عروشها، وأنها تغني، وتزول قصص خارج عن مقتضى المعقول، ومخالف لما جاء به الرسول، وما أجمع عليه أهل السنة، والأئمة العدول.

قال تعالى: "فمن يشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبغ غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصبه جهنم وساءت مصيرها) (4)، وإنما تخلل جهنم وهي الطبيعة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد) (5)."

والتقديم مما تقدم أنه يجب على المسلم أن يؤمن بما دل عليه كتاب الله وسنة

(1) انظر تفسير المنار 234/1.
(2) انظر كتاب "الإنسان في القرآن الكريم لعبد الكريم الخضيب ص.427.
(3) 2189/4.
(4) سورة يس آية: 36.
(5) سورة النساء آية: 115.
(6) انظر التذكرة الملتوية ص.426-427.
أبدية النار ودوام عذابها

رسوله بأن أهل الكفر والشرك والإعداد خالدون في النار خلوداً مؤيداً، دائماً بلا انقطاع، ولا يزولون عن هذه أجمع علماء الإسلام، وأثمع العدول.

قال أبو الحسن الأشعري:

"قال أهل الإسلام جميعاً ليس للجنة والنار آخر، وأنهما لا يزالان باقيتين، وكذلك أهل الجنة لا يزالون في الجنة ينعمون وأهل النار لا يزالون في النار يعذبون وليس لذلك آخرون ولا لمعلوماته ومقدماته غاية ولا نهاية(1)."

وقال ابن حزم في معرض حكايته الأمور التي أجمع عليها المسلمون: "وأن النار حق وأنها أدا عذاب أبداً ولا تفي، ولا يفنى أهلها أبداً ولا نهاية وأنها أعدت لكل كافر مخالفين لدن الإسلام ولم يخافين السلف قبل مبعث رسول الله ﷺ عليهم الصلاة وسلمو خبره إليه(2)."

وقال العلامة السيوطي مصراً بعدم فنائها:

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في جوže العدم هي العرش والكرسي ونار وجنة وعجيب وإرواح كذا اللوح والقلم(3).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "وأما النار فإنها دار الخبث في الأموال والأعمال والذمة والمشارب ودار الخبيثين، فلله تعالى يجمع الخبث بعده إلى بعض في كرهه كما يرمي النبي النبي ناراً لتركه بعضه على بعض ثم يجعله في جهنم مع أهل فليس إلا خبث، ولما كان الناس على ثلاث طبقات، طيب لا يشوه الخبث، وخبث لا يطيل فيه وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة:

دار الطيب المحض.

ودار الخبث المحض.

وهاتان الداران لا تفتيان.

(1) انظر المقالات 1444/1.
(2) مراتب الإجماع ص 173.
(3) ذكره في توضيح المقصود وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم 96/1.
ودار لم يعده خبث وطيب وهى الدار التي تنفي وهي دار العصاة، فإن مباح في
جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا ذبحوا بذلك نجوا من النار فأدخلوا
الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض (1).

وقال الطحاوي: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفقين ولا تتبدان (2)."

وقال السفاردي: "بعد أن ساق كثيرًا من الآية الدالة على أبدية الدار والنار فثبت
بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودًا مؤبأًا كل بما
هؤلاء من نعيم وعذاب أليم ولعدها هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فجمعوا على أن
عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الحنفة لا ينقطع ودليل ذلك الكتب والسنة،
وزعمت الجهمية أن الجنة والنار لا ينفعان، وقال هذا إمامهم جهم بن صفوان إمام المعطلة،
وليس له في ذلك سلف قطًا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أهل أمة الدين، ولا
قال به أحد من أهل السنة (3)."

هذا ما يجب على المسلم أن يعتقد في الجنة والنار وهو أنهما مخلوقتان لا يتطرق
إليهما الفناء ولا الإبداء وأن أهلهما كل خالد فيما هو فيه من نعيم وعذاب، فأهل الجنة
منعمون فيها، وأهل النار معذبون بلا وقف ولا إنقطاع وهذا هو معتقذ الفرقة الناجية أهل
السنة والجماعة (4) جعلنا الله منهم.

(1) الوabei الصبيص (8)
(2) العقيدة الطحاوية مع شرحها، ص 476
(3) لوام الأئمة البهية 2/234
(4) وقد عد بعض العلماء الأئمة في أبدية الدار إلى سبع أقوال. انظر: "حادي الأرواح"، ص 448، شرح
الطحاوية ص 483، فتح البراري 11/241-242، لوام الأئمة البهية 2/235-236، تفقة أولي الاعتبار
لصديق خان ص 41، جلاء الدينين ص 421-422.
الفصل الثالث
الجنة دار المتقيين

ويشتمل على المباحث الآتية:

تحديد:

المبحث الأول: كيفية دخول أهل الجنة.
المبحث الثاني: أبواب الجنة.
المبحث الثالث: خزنة الجنة.
المبحث الرابع: أرض الجنة.
المبحث الخامس: صفات أهل الجنة.
المبحث السادس: غرف الجنة، وقصورها، وأنهارها.
المبحث السابع: أبديات الجنة وذوام نعيمها.
المبحث الثامن: وجبات الإيمان بالعرش وهو سقف الجنة.
تمهيد:

إن الجنة دار الذي أنعم الله عليهم من النيبين والصديقين والشهداء والصالحين، وهي دار جنائها تجري من تحتها الأنهار قصورها لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها(1) المسك الأذفر، وحصبهما اللؤلؤ والياقوت، وترتها الزعفران وخيامها اللؤلؤ المجفف، وهي نوريتالآ، وريحانة تهتز، ونهر مطرد وفاكة وخضراء وزوجات حسان فيها السدر الممخضود، والطحل المنضود، والظل الممدوح والماء المسكون، أهلها يأكلون فيها وينعمون، ولا يمتخلون، ولا يدلون بل مسك برشح، ويجيبون ولا يمتنون وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة فيها الجمال المبين فيها الأزواج من الجدرين العين، كل نعيمها دائم، وكل شيء فيها باسم، فيها يرفع الحجاب، وينظرن إلى وجه العزيز الوهاب، ومثما عبرن عن صفاتها فإن تعبيرنا لا يحيط بما هي عليه، ولا يمكن أن يصفها أحد كما هي عليه حقيقة إلا شخص واحد ذاك هو الرسول ﷺ الذي تلقى صفاتها عنـ الباري جل وعلاـ، وأيضاً جاءت الأحاديث الصحيحة أنه عليه الصلاة والسلام رآها مرتين، مرة في البقعة(2) ومرة مناماً (3) فلسئلنا إليه وهو يصفها.

روى البخاري وسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: »قال الله ﷺ: عز وجل: أعددت لعباد الصالحين مالاً عين رأت ولا أدنى للأمناء«.

(1) أي: طينها.
(2) أنظر الحديث الطويل الذي جاء في صلاة الكسوف وفيه أنه ﷺ رأى الجنة وهم أن يتناول منها عقوداً وهذه الرؤية كانت يفقهة. الحديث في صحيح البخاري 1/187، صحيح مسلم 2/619.
(3) رويت لهما مناماً جاء ذلك في صحيح البخاري وسلم من حديث أبي هريرة ونجا نائماً رآني في الجنة فإذا امرأة توسطها إلى جانب فصرت لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر. ... الحديث. صحيح البخاري 2/211، صحيح مسلم 4/183.
سمعت ولا حذر على قلب بشر فإقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما خفي لهم من قرءة أعينٍ (1).

فهذا الحديث القرسي بين الله تعالى في أنه أعد لعباد الصالحين من النعيم في الجنة ما تقصر عقول البشر عن الإحاطة به. وقد ورد في سورة الزمر آية تضمنت ذكر مباحث تتعلق بالجنة وهي ما ستحدث عنها فيما يأتي:

(1) صحيح البخاري ج 2/172، صحيح مسلم ج 4/217، والآية رقم (17) من سورة المسجدة.
المبحث الأول
كيفية دخول أهل الجنة الجنة

لقد بين الله في سورة «الزمر» الكريمة التي يدخل بها المتقنون الجنة بقوله تعالى:

وسبق الذين إنّ قارباً إلى الجنة زمرًا (1) فقد بين تعالى أن دخولهم الجنة يكون على
هيئه جماعات متابعة، وأفواج متتالية كما يفهم ذلك من قوله عز وجل:

ودخولهم الجنة على هذا التحويج يجعلهم نجحين متأنين بعضهم بعض.

ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن كل زمرة على حدة.

بما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

أول زمرة تلتح الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يضخمون فيها ولا يمتهذبون ولا يتغطون فيها. آثرواهم وأمضواهم على النور والفضة ومجرموهم من الألواح (2) ورشحهم
المسك، ولكن واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا إختلاف
بينهم ولا يباعض قلوبهم قلب واحد يحضن الله بكرة وعشيت (3).

ويتوجه هذه الصفات في هذا الحديث هي صفات السابقين الذين كانوا في دنياهم سباقين
إلى فعل الخيرات فكانوا جزاؤهم في الآخرة أن سبقوا إلى الجنتين، إذ سبقوهم في الآخرة
كان على قدر سبقوهم إلى الطاعات في هذه الحياة الدنيا.

(1) جاء في اللسان: والزمره الفروج من الناس والجماعة من الناس، وفيما: الجماعة في فتره، والزمر الجمع.

(2) الألواح: وهو العهد الذي ينجزبه 1/163.

(3) صحيح البخاري 2/217، صحيح مسلم 4/2180.

مباحث العقيدة م 42
وأما صفة الزمرة التي تلي أولئك المقربين في دخول الجنة فقد جاء أن أحدهم يرى كأشد الكواكب إضاءة في السماء.

روى الشيخان في صحيحهما من حديث أبي هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة القدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتخفطن ولا يبتغون ولا يبتغون آمناءهم الذهب ورشحهم النسك، ومجاميرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين أخلاًهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم. ستون ذراعاً في السماء»(1).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة القدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل... الحدث»(2).

وروى الشيخان أيضاً من حديث أبي حازم عن سهيل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً، أو سبعمائة ألفاً - لا يدري أبو حازم أيهما قال - متماسكون، أخ ذمهم بعضهم بعضًا يدخلونهم حتى يدخلونهم آخرون حتى يدخل أخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة القدر»(3).

فله ما أعظم هذا التعبد، وما أجل هذا التكريم الذي نباله أولئك المتضون المؤمنون، ويا ذلة من حرمه ولم يظهروا بذلك هو الخسران المبين.

(1) صحيح البخاري 2/217/2179. صحيح مسلم 4/2176.
(2) صحيح مسلم 4/2179.
(3) صحيح البخاري مع الفتح 11/416, صحيح مسلم 1/198-199.
المبحث الثاني
 أبواب الجنة

ورد ذكر أبواب الجنة في السورة من غير نص على عدها، أو تسميته قال تعالى:
السما لا علىكم طيب وفادله خالدين.

قال العلماء ابن القيم بعد أن ذكر هذه الآية ميما أسرارها العجيبة ومعانيها الدقيقة.

قال رحمه الله: وقال في صفة النار (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها) فغير وقفة طائفة:
هذه وأولئك الدخلن في أبواب الجنة لكونها ثمانية وأبواب النار سبعة فلم تدخلها
الرواه، وهذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب وإنما هو من إستنباط بعض
المتأخرين.

وقالت طائفة أخرى: الأواقازعة والجواب الفعل الذي بعدها كما هو في الآية
الثانية، وهذا أيضاً ضعيف فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم ولا يليق بوصف الكلام
أن يكون في حرف زائد لغير معنى ولا فائدة.

وقالت طائفة ثالثة: الجواب مزود، وقوله (وفتحت أبوابها) عطف على قوله
(جاؤوها) وهذا اختيار أبي عبيدة والمبرد (1) والزجاج وغيرهم. قال المبرد: وحذف

(1) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد إمام العربية في مدتنه.
ولد سنة عشرين وتمت小康社会 في سنة ست وثمانين ومائتين هجرية، بقية السوعة 1290، وفيات الأعيان
495/1، تاريخ بغداد/380.
الجواب: بلغ عند أهل العلم، قال أبو الفتح ابن جني (1) وأصحابنا يدفعون زيادة الواقورة؛ ويرون أن الجواب محدث للعلم به.

قال ابن القيم: هي قل يقال: فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة، وذكره في آية "أهل النار"؟ فقيل: هذا أبلغ في الموضعين فإن الملاك أو الرشوكن تسوق أهل النار إليها وأوابها مغلفة حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجههم فنهجأهم العذاب بفه نحن إنبثوا إليها فتحت أوابها بلا مهلة، فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقبي فإنهما دار الإهانة والخزي فلم يستأذن لهم في دخولها، وبطلب إلى خزانتها أن يمكنهم من الدخول.

وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته، وهل خواصة وأوائله فإذ إنها إلينا صادفوا أوابها مغلفة في غروب إلى صاحبها وملكها أن يفتحها لهم ويشفعون إليها بأولى العزم من رسوله، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمه وسويهم، وأفضلهم يقول أنا لها فيأتي إلى تحت العرش ويخر سادة له في فناء ما شاء أن يدعه ثم يأخذ له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشع إله - سبحانه - في فتح أوابها فيشعها ويفتحها تظاهراً لمطرها، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه، وإن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك ورب العالمين إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن ينتهي إليها، وما ركب من الأطباق طبقاً بعد طبق وقاساء من الشدادين شدة بعد شدة حتى أذن الله - تعالى - خاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إله أن يشعع إلينا في فتحهاه، وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور وما يقدر به خلاف ذلك لتأثرهم الجاهل أنها منزلة الخان الذي يدخله من شاء، فجنة الله عالية غالب، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوض والأخطر ما لن تنالى إلا ب فحا من نحن نفس هواه وتمت على الله الأماني، وللهذه الدار قبل عنها إلى ما هو أولى به، وقد خلق له و怀着 له، وتلألأ ما في سوق الفرقين إلى الدارين زمراً من فرحاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة كل مشتركين في عمل متصاحين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت إجتماعهم على الخير، كذلك يؤذن بعضهم بعضاً ويفرح بعضهم.

(1) هو: عثمان بن جني المصوفي أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو. توفي سنة الثنتين وتسعين وثلاثمائة. انظر ترجمته في: "وفيات الأعيان" 313/1، بقية الو حدة 136/2، شهادات الذهب 140/3.
بعض، وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمراً يلعن بعضهم بعضهم بعضهم، ويشتاقون بعضهم البعض وذلك أبلغ في الخزي والفضحة والهتية من أن يساقوا واحداً واحداً فلا تهمل تدبر قوله (زمناً) وقال خزنة الجنة لأهلها (سلام عليكم) فذدهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكره أي: سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قالوا لهم: طبت فادخلوها خالدين، أي سلمتمكم، ودخلوها بطريقكم فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود.

وما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحالة من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفو عليها وزيدوا على ما هو عليه توريب خزنتها وتكتينهم له يقولهم: (ألبكم رسل متكم يلون عليكم آيات ريك وندرونكم لقاء يومكم هذا) فاعترفوا، وقضوا على فشروهم بدخولها والخذول فيها، وأنها وسط الثورى لهم، وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها (دخلوها) وقال خزنة النار لأهلها (اندخلوا أبواب جهنم) تجد تحته سرًا تلعفًا ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أقطع شيء وأشده حراً وأعظمه مما يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها وبدونه الخزي والحزن والكرب بدخول الأبواب فقيل: ادخلوا أبوابها صغاراً لهم وإذاً خزيًا، ثم قيل لهم: لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ولكن وراءها الخلوذ في النار، وأما الجنة فهي دار الكرامة والمنزل الذي أعد الله لأولياته فشرعوا من أول وهة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والدخل فيها، وتأمل قوله - سبحانه - (جنات عدن متاحة لهم الأبواب متكنين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) كيف تجد تحته معنى بديعاً وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلب أبوابها عليهم بل تبقى مفتوحة كما هي، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى: (إنها عليهم مؤصلة) أي مطبقة مغلقة ومنه سمى الباب (وسيدنا) وهي (مؤصلة في عمد مصددة) قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب.

قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد.

(1) سورة ص آية: 50.
(2) سورة الهجرة آية: 8.
أبواب الجنة

وأيضاً: «إذاً في تفتح أبوابهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبورثهم في الجنة حيث شاؤوا ودخول الملاكية عليهم كل وقت بالتحف والألطف من رحمهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت وأيضاً إشارة إلى أنها دار أم لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا».(1)

ولقد أثبتت هذا النص بطوله من كلام ابن القيم لما فيه من تجلية وبيان لمعلاني الآية المتقدمة ذلك أن هذا التنقيب لإخراج تلك المعاني الدقيقة والأسرار العجيبة في تلك الآية لم اجده بهذه الصورة البديعة عند غير ابن القيم رحمة الله تعالى - عليه ثم إن قلت قريباً إن ذكر أبواب الجنة في السورة قد ورد مطلقًا من غير نص على عدهما، أو تسميتهما، وكذلك غيرها من سور القرآن التي ورد فيها ذكر أبواب الجنة فإنه لم يرد فيها التنصيص على العدد أو التسمية لتلك الأبواب.

قال تعالى: {جنتك عدن يدخلونها ومن صبح من أبائهم وأزواجههم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب} (2).

وقال عز وجل: {جنتك عدن مفتوحة لهم الأبواب} (3).

أما السنة النبوية الشريفة فقد بينت أن عدد أبواب الجنة ثمانية، كما بينت أسماء بعضها، وأيضاً على تلك الأبواب وفاطمة الجهاد، وله باب تقبل له الربان لا يدخل منه إلا الصائمون، فإذا دخلوا أغلق، فلا يدخل منه أحد غيرهم ولكل نوع من الأعمال الصالحة باب يدخل منه أهل العملون فيه وقد يدعى العدد من تلك الأبواب الثمانية جميعاً إذا قام بجميع شعب الإسلام، ووفي جميع شرائع الإسلام، ومن هذا النوع صدّيق هذه الأمة وأفضل الناس جميعاً بعد النبيين أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ فرضي الله عنه وأرضاه.

روى الشيخان بإسنادهما من حديث سهل بن عبد رسلان رضي الله عنهما قال: «إذاً في الجنة باباً يقال له الربان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال».

(1) حادي الأرواح ص 406.
(2) سورة الرعد آية 23.
(3) سورة ص آية 50.
أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد؟

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أفنق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلوة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام فقال أبو بكر: أبغي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؟ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: نعم وأرجو أن تكون منهم؟

لما سماهم همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان، وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلا سأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسمى في العمل الذي ينال به ذلك فخيره بحصوله، ويشرح بأنه من أهله، وكأنه قال: هل تكمل لأحد هذه المراتب فيديع يوم القيامة من أربابها كلها؟ فله ما أعلى وأكبر هذه النفس؟

وقال الحافظ ابن حجر: في الحديث إشعار بقلة من يدعى من تلك الأبواب كلها وفبه إشارة إلى أن المراد ما يتعدى به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات كلها بخلاف التدريبات فقل من يجتمع له العمل بجميع أنواعها، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فخوله إنهما يكون من باب واحد ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه. . والله أعلم؛ اهـ.

وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما منكم من أحد يتوضأ فينال، أو فيسجع الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحته لابواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء".

---

1. صحيح البخاري 2/324، صحيح مسلم 2/808.
2. صحيح البخاري 2/325، صحيح مسلم 2/712.
3. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراخ ص: 57 - 76.
4. التفتح 7/49.
5. 210/1.
وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث لقبر بن عماد عندما خرج وافداً إلى النبي ﷺ وفيه: "إن للجنة ثمانية أبواب ما منهما بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً" (1).

وقال عليه الصلاة وسلم: "ما من مسلم يموت له ثلاثة من-world لم يبلغوا الحينث إلا تلقؤه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء المدخل" (2).

هكذا نرى أن السنة المطهرة أوضحت أن أبواب الجنة الثمانية كما أعينت بعض أبوابها بأسماها.

وأما سعة أبوابها وهي المساحة التي تكون بين مصاريق الباب فقد وردت بشأنها:

أحاديث عدة منها:

حديث الشفاعة الطويل المتفق على صحته وهو المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أني رسول الله ﷺ يومًا بنحم رفع إليه الذراع، وكانت تعجه فنهسه (3) منه نهسه فقال: "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدررون بم ذاك؟ بجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فسمعهم الداعي وينفذهم البصر... إلى أن قال عليه الصلاة وسلم: "فانطلق فأتى تحت العرش فأخذ ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الشيء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلني، ثم قال: يا محمد. يرفع رأسك سل تعطه، إشعاع تشفع فأرسي فأقول: يا ربي. أمتي، أمتي. فيقال: يا محمد. أدخل الجنة من أملك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بدده إن ما بين المصاريقين من مصاريق الجنة كما بين مكة وهجر، أو كامبينية ومصرى".

وفي لفظ آخر "والذي نفس محمد بدده إن ما بين المصاريقين من مصاريق الجنة إلى عضادي الباب (4) كما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة. هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري:

---

(1) رواه ابن ماجة من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه. السنن 2/512.
(2) النهي: أحمد اللحم بأطراف الأسنان، النهاية 5/136.
(3) عضادتا الباب: هما نشينة من جانبيه، شرح النووي على مسلم 3/570.
(4)
ابواب الجنة

"إن ما بين المหารين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرة." (1)

وروى الإمام أحمد من حديث حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:
"أنتم تونون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرها على الله، وما بين مصاريع من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا، وليأتين عليه يوم يراه إنه كنظيف." (2)

وأما مقدار المسافة التي تكون بين كل بابين:

فقد قدرت بمسيرة سبعين عامًا. روى النطبراني (3) في معجمه والإمام أحمد في مسنده من حديث لقية بن عامر رضي الله عنه أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال: قلت يا رسول الله فما الجنة والنار؟ قال: لعمر إلهاك أن للناصر سبعية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكون بينهما سبعين عامًا، وأن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكون بينهما سبعين عامًا. . . . الحديث (4)

وهذا الحديث البديع من أن هذه المسافة بين الباب، والباب لأن ما بين مكة وبصرة لا يحتل التقدير بسبعين عامًا، ولا يمكن حمله على باب معين لقوله: "ما منهن بابان" والله أعلم (5)

وعدد ذكرنا أبواب الجنة وما يتعلق بها من حيث سعتها، ومسافة التي تكون بين كل بابين من أبوابها يحسن من أن نتبع ذلك بالفتاح الذي تفتح به تلك الأبواب.

فقول: إن تلك الأبواب لا تفتح إلا من يملك مفتاحها ولا بد لهذا المفتاح من أسنان حتى يكون صالحاً للفتح، ومفتاح تلك الأبواب هي كلمة التوحيد، وشهادة

(1) صحيح مسلم 1/186-187، صحيح البخاري 3/150.
(2) المسند 5/227-229، ومسند أحمد 4/176.
(3) هو: سليمان بن أحمد بن أبي بكر بن مطر الخماشي الشامي، أبو القاسم من كبار المحدثين أصله من طبرية الشام، ولد ببغداد سنة ستين وثمانية، وتوفي سنة سبعين وتسعون، هجرة. انظر ترجمته في: "وفيات الأعيان"، 4/210-211، المجامع الزهري 4/171-172، المسند 4/14.
(4) الحديث بطوله في "معجم الطبراني الكبير" 1911-1111، المسند 4/14.
(5) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص 97.
الأخلاق التي هي "لا إله إلا الله". وأما أсан هذا المفتاح فهي شرائع الإسلام كلها، من الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة والجهاد، ومما ورد في القرآن الكريم، أو أوجد الأمانة والإحسان إلى الجار وغير ذلك مما حظ عليه دين الإسلام الحنيف والمفتاح لا يكمل إلا باستقلابة آماله، ولا يمكنها وجودها إلا في أن يكون حيًا في صحيحة عن وهب بن منبه أن قال له: "الأساس مفتاح الجنة لا إله إلا الله، قال: بلى. ولكن ليس مفتاح إلا له أсан فإن جئت بмагنه في حي النهار، وإن لم يفتح لك". (1)

وجاء في عمة القاري، أن أبا نعيم الأصبهاني قال في كتابه "أحوال الموحدين": "إن أسان هذا المفتاح هي الطاعات الواجبة من القيام بطاعة الله تعالى - وتأديتها والممارسة لمعاصي الله ومجازاتها". (2)

وفي الحقيقة أن هذا المثال الذي ضربه وهب بن منبه يجب اعتباره إذا أنه متضمن الإشارة إلى حل الاستنسل في بعض أحاديث الوعيد التي علق فيها دخول الجنة على قول "لا إله إلا الله، أو الموت أو التوحيد، فلهما، بما فيه من تلك الأحاديث أن يخرج النطق بقول: "لا إله إلا الله، كاف في دخول الجنة والنجاة من النار، بل لا بد من القيام معها بحقوقها التي هي شرائع الإسلام والحرص عليها وعملها على تكامل مراتب الإمام فكلمة لا إله إلا الله، سبب لدخول الجنة ونجاة النار، ومقتضى لذلك، ولكن المقنوي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فتختلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أولها مانع. قال الحسن للفرزدق: (3) وهو بعث من أمرته: ما أعدت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن

(1) هو: وهب بن منبه بن كمال اليماني الصنعاني روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس، وابن عمر وغيرهم.
(2) عمة القاري، م/1235.
(3) عمة القاري، م/108، وفيات الأعيان، 196/9، الأعلام، 196/9، الأعلام، 196/9.
المبحث الثالث
خزنة الجنة

قال تعالى: ﴿وَقَالُ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طَبِيبًا فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.
وَالخَزَنَةُ: جَمِيعَ حَزَانٍ مَثْلِ حِفْظَةٍ وَحَفَّاضٍ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ أَسْتَحْفَظَهُ.
فُي هَذِهِ الآية الكريمة من السورة بَيْنَ جِلِّ وَعَظَّام، لِلْخَزَنَةِ، وَهُمُ القَائِمُونَ عَلَيْهَا مِنَ المَلَائِكَةِ، وَأَنَّهُم يَقُولُونَ لَأَهْلَ الْجَنَّةِ وَهُمُ الْمَتَقُونُ إِذَا انتَهَوا إِلَى هُمْ: (سَلاَمُ عَلَيْكُمْ طَبِيبًا).
فِي بَيْنِ هَذِهِ الْكَلَامِ مَعَهُم بِالسَّلَامِ الَّذِي هُوَ مَتَضِمنٌ لِلْسَلَامَةِ مِنْ كُلِّ مَكْرِهِ وَثَلَاثِهِ، وَكَأَنَّهُم يَقُولُونَ لَهُمْ: سَلَامُ مَثْلُهُمُ فَلا يَلْحَقَنَّهُمْ بِمَا ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا كَأَنَّهُمْ مَوْتٌ، ثُمَّ يَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّ دَخُولَ الْجَنَّةِ كَانَ بِطَيْبِكُمْ إِذَا الْجَنَّةُ حَرَمَتْهَا رَبُّكُمْ عَلَى الْطَّبِيعِينَ، فِي شِوَاءٍ بِالسَّلَامَةِ، وَالطَّيِبَةِ وَالدَّخُولَ وَالخُلَوَةِ فِيهَا أَبَادَى، وَهَذِهِ النَّتِيْجَةُ النَّهَائِيَةُ لَأَهْلِ الْإِيمَانِ. رُوِى الإِمَامُ البُخَارِي وَمُسْلِمُ في صَحيحيهِ بِإِسْنَادِهَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةُ بْنِ عَبَدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمَعَ أَبَا هَرُیْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ أَنْفُقَ زُوْجِينَ فِي سِبْيَ اللَّهِ دَعَاهَا خَزَنَةُ الْجَنَّةِ كُلٌّ فِيهَا بَابُ: أَيْ فَلَ (٤) ﴿هَلْمَ» فَقَالَ أَبُو بَكْرُ: يَا رَسُولُ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي لا تُوَّى عَلَيْهِ ﴿(٥)».

(١) حادي الأرواح ص. ٢٥.
(٢) قَالَ: مَنْ اسْتَهْلَكَ مَنْ أَكَثَرَ اسْتَهْلَكَ الْكَلَامَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَالكَ في التَّرْحِيمِ، وَقَالَ: مَنْ أَكَثَرَ الْكَلَامَ فِي فَلَانِ فِي غِيْرِ الْتَّرْحِيمِ وَالْعُلُوُّجِ كَذَا قَالَ النَّوْريُ عِنْ الفَضْلِي عَيْضُ شَرَحِ النُّوْرِيِّ ١١٧/٧.
(٣) لَا تَوَى عَلَيْهِ وَأَيْ: لَا ضَعَّاءٌ وَالْخَسَارَةُ وَهُوَ مِنَ الْخَسَارَةِ الْحَيَاةِ النَّهَائِيَةِ ٢٠١/١، هَدَى السَّاَرِيِّ ص. ٩٤.
(٤) البخاري: ٢٢، صحَّح مسلم١٢.٧، وَمَسْنَدَ أَبِّي حَمَدٍ١٢٤.٣٦٦.
وروى مسلم في صحيحه من حديث أسن بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وأتي باب الجنة يوم القيامة فتأسفت فقول الخازن: من أنت? قال: محمد. فقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك؟

قال ابن القيم: وقد سمي الله سبحانه وتعالى: كبير هذه الخزنة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا، اهـ.

---

1. حادي الأرواح ص 76، وانظر: البداية: 53/1.
المبحث الرابع
أرض الجنة

لقد بنيت السورة أن المتّقين هم الذين يرثون أرض الجنة، وأنهم ينزلون منها حيث يشاؤون ويسكنون منها منازل حيث يحبون ويشتهون وأنهم عندما يشاهدون الجنة وما فيها من العليم يحمدون ربهم ويثرون عليه وينهون بصدق وعدده لهم.

قال تعالى: فيقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض تبراً من الجنة (حيث نشاء فنعم أجر العاملين).

فالمراد بالأرض في قوله (أورثنا الأرض) هي: أرض الجنة.
قال مجاهد في قوله تعالى: (أورثنا الأرض) قال: أرض الجنة وبهذا قال السدي (وأبو صالح)
و قال البغوي: (أورثنا الأرض) أي: أرض الجنة وهو قوله: عز وجل: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون).
وقال ابن تيمية: (أورثنا الأرض) أي: أرض الجنة

(1) أبو العالية: رفع بن مهراش الراحل البصري عالم بالقرآن توفي سنة إحدى عشرة ومائة هجرية. انظر ترجمته في: نماذج الخلفاء للسرياني ص 29، ذكره الخلفاء للذكي 1/ 6، تهذيب التهذيب 2/ 284.
(2) جامع البيان 24/ 116.
(3) تفسير البغوي على حاشية تفسير الخطاز 77 والآية رقم (150) من سورة الأنبياء.
(4) هو عبد الله بن مسلم بن قبيبة الدبيالي أبو محمد من أئمة الأدب، ومن الصفات المتّكرمين. ولد بغداد وسكن الكوفة، ثم وفي قضاء الديبورية مدة تسب إليها. ولد سنة ثلاث عشرة وتوفي سنة ستين وسبعين ومائتين هجري. انظر ترجمه في: دفعات الآيّات 201/ 6، الميزان 203/ 280، الأعلام 4/ 284.
(5) تفسير غريب القرآن ص 284.
وأعذرنا الأرض، أي: أرض الجنة.

وبعض أهل العلم برى أن المراد بالأرض أرض الجنة التي كانت لأهل النار لدخولها.

قال ابن جرير: (وأعذرنا الأرض، يقول): وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لوكأنوا أطاعوا الله في الدنيا فدخلوها ميراثاً لنا.

ولعل مستندهم في حمل الآية على هذا قوله: (ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، منزل في النار إذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: أولئك هم الوارثون).

قال الحافظ بعد أن ذكر هذا الحديث: وقال جمهور الفقهاء في قوله تعالى: (وأما الحمد لله الذي صدقتنا وعدنا وأعذرنا الأرض، الآية). المراد بأرض الجنة التي كانت لأهل النار لدخولها الجنة وهو واقع لهذا الحديث.

أقول:

كون الحديث دل على أن لكل أحد منزلًا في الجنة و منزلًا في النار هذا مما لا نزاع فيه بل يجب على كل من أورث من الجنة منزله المعدة لهم بعض أعمالهم وتقواهم كما قال: عزر وجل: ونودوا أن تكلم الجنة أورثوها بما كنتم تعملون.

وعلى سبيل الفرض أن أهل الجنة يرثون منازل أهل النار لأن حرم الآية على ذلك بوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منزل أهل النار والواقع من خلال التنصوص بخلاف ذلك. قال تعالى: تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيًا.

---

(1) العام لأحكام القرآن 15/287.
(2) جامع البيان 24/37.
(3) رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(4) الفتح 467/11.
(5) سورة الأعراف آية 43.
(6) سورة مريم آية 13.
وقال تعالى: «قد أقبل المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاضعون والذين هم عن اللَّغَم معرضون والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لمروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أبينهم فإنهم غير ملومن فمن ابتغى وراء ذلك فأوقاكم هم العادون، والذين هم لأماناتهم وعدهم راعون، والذين هم على صلاتهم بحافظون، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» (1).

فهذه صفات وشروط الإرث للفردوس الأعلى فمن أحرز هذه الصفات وتمثل بها كان من سكَّانها بعد رحمة الله تعالى.

وقال تعالى: «وَتَلَكَ الْجِنَّةُ الَّتِي أُورِثَتْ هُم بِكَانُوا تَعَمَّلُونَ» (2).

فهذه الآيات وأشباهها بينت أن سبب إرث أهل الجنة للجنة هو تقوامهم لربهم وما قدموا من الأعمال الصالحة في دنياهما و مما ينبغي أن يعلم أن العمل لا يكفي مستقلًا في دخول الجنة بل لا بد من رحمة الله تعالى -بعد ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة" قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضله ورحمته".

وفيه أيضاً: من حديث عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: قال رسول الله ﷺ: "سددوا وقاروا وأبصروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، وأعلموا إن أحب العمل إلى الله أذومه وإن قل".

ومن حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجبره من النار ولا أنا إلا برحمته من الله" (3).

فهذه الأحاديث تدل على أن العمل لا يكفي وحده للدخول إلى الجنة بل الدخول فيها يكون برحمته ﷺ تعالى -وفضلها مع مراعاة جانب العمل.

(1) سورة المؤمنون آية : 100.
(2) سورة الزخرف آية : 72.
(3) انظر هذه الأحاديث الثلاثة في صحيح مسلم : 4/ 176 - 2170. 2171 - 2172.
قال النووي: وفي ظاهر هذه الآحاديث دلالةً لا يُلْقَحَ بِهَا أن جََّدَمْت أحد الثواب والجنة ببطاعة وأما قوله تعالى: {ادخِلوا الجََّدَمْا بما كنتم تعملون} (1) وذلك الجََّدَمْا التي أورثوها بما كنتم تعملون (2) ونحوهما من الآيات النذالة على أن الأعمال يدخل بها الجََّدَمْا فلا يعارض هذه الآحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجََّدَمْا بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهدى والخلاص فيها وقبولها برحمَة الله تعالى - وفضلها في صح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مِرَادِ الأحاديث، وبصح أنه دخل بالأعمال أي: بسببها وهي من الرحمة والله أعلم (3).

وقال العلامَة ابن القيم رحمه الله تعالى: {الأعمال أسباب لا أعوام وأثمان} والذي نفاه النبي ﷺ في الدخول بالعمل هو نفي استحقاق العروض ببذل عوضه فالمثبت بالسببية والمنفيَة المعاوضة والمقابلة وهذا فصل الخطاب في هذه المسألة أهـ (4).

وهكذا جمع أهل العلم بين الآيات القرآنية التي ظاهرها أن الإنسان يدخل الجََّدَمْا بعمله وبين الأحاديث التي دلت على أن الجََّدَمْا لا يدخلها إلا برحمَة الله وبعرفة هذا الجمع بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة يتضح الرد على القدرية النفاية الذين يشكون الأحكام بالعقل، ويوجون على الله ثواب الأعمال، كما يوجب أن يفعل الأصلح للعباد، ويمنعون خلاف هذا، وقولهم هذا صادر عن اختراعاتهم الباطلة التي مضمونها نبذ نصوص الشرع وراء ظهورهم وتحكيمهم عقولهم الفاسدة (5).

كما يتضح من الجمع السابق الرد على القدرية الجبرية الذين يلغون دور العمل في دخول الجََّدَمْا، ويبكونون أن يكون سبباً في النجاة من النار وكلا القولين باطلان بشهادة النقل والعقل والفطرة، وقول كل من الطائفتين مشتمل على خطا وصواب.

فالقدرية النفاية: أصابوا في إثبات السببية وحالفهم الخطأ في إثبات المعاوضة.

---

(1) سورة النحل آية: 23.
(2) سورة الزخرف آية: 71.
(3) شرح النووي على صحيح مسلم 1/170، و互联: 111-112.
(4) مفتاح دار السعادة 2/93، وانظر حادي الأرواح ص: 61.
وأما القدرية الجبرية: فقد أصابوا في نفي المعاوضة ولازمه الخطا في نفي السبيبة 
والحق في هذه المسألة بين ذلك وهو أن المشت في الآيات باء السبيبة والعنفي في 
الأحاديث باء المعاوضة والمقابلة كما تقدم في كلام ابن القيم رحمه الله تعالى ـ فقد وقَّع 
الله أهل السنة لما اختلف فيه من الحق بإذنه حيث جمعوا ما مع الطائفتين من الحق 
الصواب فكانوا أسعد بالحق منهما وذلك فضل الله يُؤتِيه من يشاء والله ذو الفضل 
العظيم (1).

وبعد هذا الاستطراد البسيط الذي تحتم الإثبات به هنا ليتأسِب مع الآيات والأحاديث 
التي تقدم ذكرها نعود إلى ما نحن بصدمة البحث حوله من بيان صفة أرض الجنة التي يرثها 
عبادة الله المتكون فنقول: إنه لا يستطيع أحد أن يصفها لنا كما هي عليه إلا رسول الله ﷺ، 
ولنستمع إلى ما جاء عنه في ذلك.

روي الشيخان في صحيحهما من حديث أنس أن النبي ﷺ قال في حديث 
الإسراء (ثم انطلق بي جبريل حتى أتي سدرة المنتهى فقَضَيْهَا ألوان لا أدري ما هي قال: 
ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابًا(2) اللؤلؤ وإذا ترابها المسكن) (3).

وروي مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ابن صياد 
سأَل النبي ﷺ عن تربة الجنة؟ فقال: «درَكَة بِيضاء مسک خَالِصٌ» (4).

قال النروي: "قوله في تربة الجنة «هي درَكَة بِيضاء مسک خَالِصٍ» قال العلماء: 
معنى أنها في البياض درَكَة وفي الطيب مسک والدرَكَة هو الدقيق الحواري الخالص 
البياض» (5).

وروي الإمام أحمد وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قالنا 
يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناها؟ قال: "لَبِنة ذهب، لبِنة فضة، و لبِنة فضة" المسكن (6).

-----------------

(1) مستفاد من كتاب مفاتح دار السعادة 2/43.
(2) جاشم اللؤلؤ: قابب اللؤلؤ شرح النووي 2/232، فتح الباري 1/463.
(3) صحيح البخاري 2/227، صحيح مسلم 1/149.
(4) 4/44.
(5) شرح النووي 16/52.
(6) الملاط: العين الذي يجعل بين ساني البناء يملط به الخائط: أي يخلطه اه.. النهاية لابن الأثير 4/237.
أرض الجنة

الأذن وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترباتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفى شبابه (1).

وفي المصنف لابن أبي شيبة (2) أن ابن عمر قال: قال يا رسول الله كيف بناء الجنة؟ قال: لينة من فضة ولينة من ذهب ملاطها مسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترباتها الزعفران (3).


والحاصل من الأحاديث المتقدمة في صفة أرض الجنة وتربيتها أن بعضها أفاد أن ترباتها الزعفران، والبعض الآخر أفاد أن ترباتها اللؤلؤ وسماك ولا تعارض بينهما إذ يجوز أن تكون تربتها متوضنة للنويعين، ويجوز أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكة، والطين يسمى تراباً ويدل على هذا قوله: «ملاطها المسك» (5) والملاط الطين.

ويعمل أن يكون زعفراناً باعتبار اللون ومسكاً باعتبار الرائحة وهذا من أحسن شيء يكون البهجة والإشراق لون الزعفران، والرائحة رائحة المسك، وكذلك ورد تشبهها بالدرمك، وهي الخبز الصافية التي يضرب لونها إلى الصفارة مع لينها ونوعيتها (6) والله.

(1) المسند 3/1905، مسن. الترمذي 79/4. 80.
(2) مصنف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العباسي مولاه، الكوفي أبو بكر حافظ للحديث له فيه كتب منها: المصنف. انظر ترجمته في: كتابة الحافظ 2/432، تذيب النهذيب 2/2، تاريخ بغداد 10/11/66.
(3) المصنف 13/95/96.
(4) المسند 10/12، قال في مجموع الزوائد: فرواه أحمد ورجال الصحيح غير مجدال وروته غير واحد 99/10/1.
(5) تقدم ترجمته قريباً.
(6) انظر حادي الأرواح ص 94.
المبحث الخامس
صفات أهل الجنة

إن للمتقين الذين يدخلون دار السلام ويتبعون منها منازل حيث يشاؤون صفات يتميزون بها عن غيرهم، وصفاتهم كثيرة جداً، وقد ذكر في سورة الزمر بعضها في عدد من آياتها.

قال تعالى: «فبشر عباد الله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسن أنفسه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب».

وقال تعالى: «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مشائناً تقشعر منه جلود الذين يخشون ربه ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله... » الآية.

وقال تعالى: «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون».

وقال تعالى: «وينجي الله الذين اتقوا بفمازتهم لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون».

وقال تعالى: «وسبق الذين اتقوا ربه إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين».

هذه المجموعة من الآيات من سورة الزمر تضمنت صفات عدة للمتقين الذين يساقون إلى الجنة (زمر) وتلك الصفات هي:

1 - أنهم يسمعون كلام الله سماع قبول وإجابة وفهم وإدراك فيعملون بأوامره، ويبتعدون عن نواهي التي نهى عنها.

2 - أنهم عندما يسمعون القرآن يتناول يشعرون جلودهم خوفاً من الله -جل وعلا- لما يفهمون من الوعيد الذي توعده الكفار والمشركين.
صفات أهل الجنة

3- أنهم عند سماعهم كلام الله تلين جلودهم وقلوبهم إلى العمل بما في كتاب الله والتصدق به.

4- التصديق لما جاءهم من الحق.

قال مجاهد: (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال: أصحاب القرآن المؤمنون يجتنبون يوم القيامة فيقولون: وهذا ما أعطيتما فعملنا فيه بما أمرتمونا.

5- تقرؤهم لرهم جل وعلا - بامثال الأوامر والتحذير من معاصرة في مقدمة ذلك.

6- الصفقة السادسة: أنهم طيوا أعمالهم في الدنيا فلم ينسوها بشمل ولا معصية، فطاب موأهم في الدار الآخرة، وهو أنهم صاروا من سكان الجنة التي عرضها السماوات والأرض ونجاهم الله من جهنم، وأنهم من عذابها.

قال ابن كثير: عند قوله تعالى: فتشعر من جلود الذين يخشون ربه ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي: هذه صفحة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغافر، لما يفهموه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد. تشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لما يرجون ويتمنون من رحمة ولطف الله فيها خالفنون لغيرهم من الفجرو من وجه:

أحدها:

أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الأيات من أصوات القينات.

الثاني:

أنهم إذا تلتهم عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وركبت، ودخولاً وخروج، وصلاة، وصلوات، وحفظهم وعملهم.

كما قال تعالى: (وألف الذين إذا ذكروا بأيات ربهم لم يخرجوا عليها صمًا وعينيًا) أي: لم يكونوا عند سماعها مشاغلين لا منحتها عن بال، فناديتم بغيرين بمعانيها فلهذا إذا عملون بها وسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهله ومتابعة لغيرهم.

(1) تفسير القرآن العظيم 97/6
(2) سورة القرآن آية: 73
الثالث:

أنهم يلزمون الأدب عند سماعهم كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من ثلاثة رسول الله صل الله عليه وسلم في قلوبهم إلى ذكر الله لم يكونوا يتصرفون ولا يتكلمون ما ليس فيهم بل عندهم من النزاهات و💸المكلّفين وأدب الخشية ما لا يحققه أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من العين الأعلى في الدنيا والأخرة ...

وقال قنادة: 

"إذا تشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله" قال: "هذا نعت أولياء الله، تعنتهم الله ـ عز وجل ـ بأن تشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتزين قلوبهم إلى ذكر الله، ولم يعتهم بذهاب عقولهم والغشيق عليهم إنهما هذا في أهل البدع وهذا من الشيطان." (1)


قال السدي: في قوله تعالى: "وإن الله الذين أنتموا بعفائتهم" قال: بفضل تواتهم.

وقال ابن زيد: "و إن الله الذين أنتموا بعفائاتهم" قال: بأعمالهم. وقوله: "لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون" يقول تعالى ذكره: لا يمس المنتقى من أذهان شيء وهو السوء الذي آخر جهل شئونه ـ أنه لن يمسهم، ولاهم يحزنون: يقول: ولاهم يحزنون على ما فاتهم من أجazes الدنيا إذا صاروا إلى كرام الله ونعم الجنان" (1)

قال البغوي: "و إن الله الذين أنتموا بعفائاتهم" قرأ: خمزة والكسائي وأبو بكر (بمفاتيحهم) بالآلف على الجمع أي: بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة.

---

(1) تفسير القرآن العظيم 6/88-89.
(2) جامع البيان 24/22-23/23.
وقرأ الآخرون: (بمفازتهم) على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز أي: «ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة» أهـ (1).

وجاء في زاد المسير حول قوله تعالى: (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) فيها للمفسرين ثلاثة أقوال:

أحدها: بفضل لهم قاله السدي.

والثاني: بأعمالهم قاله ابن السائب.

والثالث: بفوزهم من النار.

قال المبرد: «المفازة مفعة من الفوز وإن خمس فحص كقوّلوك السعادة، والسعادة، والمعنى: ينجيهم الله بفوزهم أي: بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة» أهـ (2).

وقال ابن كثير: (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) أي: بما سابق لهم من السعادة، والفوز عند الله (لا يمسهم السوء) أي: يوم القيامة، (ولا هم يحزنون) أي: لا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كل فزع محزون عن كل شر ناثرون كل خير» أهـ (3).

وأما قوله تعالى: «وسقي الذين اتقوا برفهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جازوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليهم طلبتكم فدخلوها خالدين».

فقال ابن جرير: حول هذه الآية يقول تعالى ذكره: وحشر الذين اتقوا برفهم بأداء فرائضهم، وأجتنب معاصيه في الدنيا، وأخلصوا له فيها الألوهة، وأشردوا له العبادة، فلم يشركون في عبادتهم إلا شيخًا إلى الجنة زموا يعني: جماعات، اهـ (4).

وقال العلامة ابن القيم: بعد سياقه لهذه الآية: «عقب دخولهم على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سيبع للدخول، أي بسبططيق قبل لكم: أدخلوها فإنها دار الطبيين لا يدخلها إلا طبيب» أهـ (5).

---

(1) معاليم التنزيل على حاشية تفسير الخازن 6/1947.
(2) تفسير القرآن العظيم 14/26.
(3) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن 6/145.
(4) المبايل الصبيان 18/24.
(5) خالد الخازن 6/1947.
قال ابن كثير: (وسيق الذين انتقوارهم إلى الجنازة زمرا) (وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفداؤا إلى الجنة. زمرا أي: جماعة بعد جماعة. المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنيبا مع الأنيبا، والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أفرائهم، وكل صف مع صنف كل زمرة يناسب بعضها بعضًا (حتى إذا جاؤوها) أي: وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجازة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقت الصبر لهم مظلوم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هبوا وقأذن لهم في دخول الجنة(1).)

ثم إن المراد بسوق المنفقين في قوله تعالى: (وسيق الذين انتقوارهم إلى الجنة زمرا) هو سوق مصحوب بالتكريم والتشريف والإعجاز مشعين بما يشرح الصدور ويثرى النفوس كشيطان منير إلى أمر منير(2)، وهو سوق يثير سوق الإهانة والذل الذي تقدم ذكره في حق الكافرين، وصفات المنفقين الطيبة في القرآن كثيرة، وخصائصهم الحميدة وعفيرة.

قال تعالى: (أعلم ذلك الكتاب لا يرب فيه هدى للمنفقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم نفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إلينا وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يولون، أولئك على هدى من ربك وولكم هم المفلحون)(3).

قال تعالى: (وصارعوا إلى مغفرة من ربك، وجناء عرضها السموات والأرض أعدت للمنفقين الذين يفقوان في السواء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المسحرون الذين إذا فعلوا فاحشة أو أظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا الذين يعفون ومن يغفر لهن إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجناء تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)(4).

ففي هذه الآيات «أخبر تعالى أنه أعد الجنة للمنفقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المنفقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر، والشدة والرخاء، فإن من الناس من

---

(1) تفسير القرآن العظيم 6/113.
(2) إنتر فتح الباري 381/11.
(3) سورة البقرة آية: 1.
صفات أهل الجنة

يبدل في حال اليسر والرخاء، ولا يبدل في حال العسر والشدة، ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيض بالكظم، وحبس الانتقام بالعفو، ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهما في ذنوبهم، وأنها إذا صدرت منها قابلها بذكر الله والثنية والاستغفار، وترك الإصرار هذا حالهم مع الله، وذلك حالهم مع خلقه"(1).

فينبغي للمسلم أن يتدبر كتاب الله، وأن يميز عن غيره من أهل المعاصي صفات المتقين الذين يجيئون لقاء الله ويطلبون الفوز برضاه.

أما صفاتهم في السنة فقد جاء عن النبي ﷺ عنهم الشيء الكثير.

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد حتى مرّوا على رجل فقالوا: فلان شهيد فقال رسول الله ﷺ: «كلنا إني رأيته في النار في بدرة!»(2) أو عباءة! ثم قال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب، إن يذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»(3) فقال: فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

فيهن عليه الصلاة والسلام أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإيمان الذين قاموا بشرايع الإسلام كلها، وأنه لا حظ فيها لغيرهم.

وروي أيضاً بإسناده في حديث طويل من حديث عباس بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال: «. . . وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مسقط مصدق موقف، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى و المسلم وعميق متعفف ذو عيال . . . الحديث(4)

قال القرطبي مبيناً معنى هذا الحديث: «فصل قوله ذو سلطان مسقط وما بعده مرفوع على أنها صفات "لذو" وهي بمعنى صاحب، والمسقط العادل، والمتصدق

(1) حادي الأرواح ص 82.
(2) البهية: الشميلة الحفظة، وقيل: كساء أسود متعمف فيه صفر تلبسه الأعراب، النهاية 1/ 116.
(3) عللها: أي سرفها خفية. الإعلان: الخيانة أو السرقة الحسنة، النهاية 2/ 380.
(4) 108/1/7.
(5) 2198/4.
المعنى الصدقات والموقف: المسدد لفعل الخيرات، ورقي القلب: ليزيد عند الذكر
والمواعظة ويصلح أن يكون بمعنى الشفية»  
وفي صحيح مسلم أيضاً: من حديث حارثة ابن وهب الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ "لا أخركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لا أقسم على الله لأبره".
وقوله: "ضعف متضعف" يعني: ضعيف في أمر الدنيا وفي أمر دينه كما قال عليه الصلاة والسلام: "المنعم القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير".
فإن كان ضعيفاً في أمر دينه لا يعني بها فشلهم، وذلك من صفات أهل النار كما قال عليه الصلاة والسلام: "وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له" أي لا عقل ومن لا عقل له ينفك به عن المفساد، ولا ينجه عنه فحسبه به ضعفاً وخسارة في الدين.
وروي الشيخان في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر بجنازة فاتحة عليها خيراً فقال نبي الله ﷺ: "وجبت وجبت وجبت"، ومَر بجنازة فاتحة عليها شرفاً فقال نبي الله ﷺ: "وجبت وجبت وجبت"، وما بجنازة فاتحة عليها خيراً فقال رسول الله ﷺ: "من أثنتهم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنتهم عليه شرًا وجبت له النار أتم شهداء الله في الأرض. أتم شهداء الله في الأرض".
وقال عليه الصلاة والسلام: "يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار" قالوا: بـ

(1) التذكرة ص 363-364.
(2) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 4/459.
(3) رواه مسلم من حديث يعيش بن حماد المغشي 4/463.
(4) التذكرة ص 363.
(5) صحيح البخاري 2/237، صحيح مسلم 2/655، واللفظ له.
ذلك يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السبي أنتم شهداً الله بعضكم على بعض»(1).

وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف تضمنهم قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفقة﴾(2) جعلنا الله منهم بفضله ومنه وكرمه إنه أرحم الراحمين(3).

(1) رواه ابن ماجة في سنن 2/1411، وأحمد في مستدرك 416/3، من حديث أبي زهير النخعي.
(2) سورة النساء آية: 29.
(3) للزيادة في معرفة صفات أهل الجنة يراجع مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية فإنه أوجز الكثير منها 10/443. 4252.
المبحث السادس
غرف الجنة، وقصورها وأنهارها

قال تعالى: "لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبينة تجري من تحتها
الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد"

هذه الآية الكريمة من السورة بين الله تعالى - فيها ما أعد لهلمتتقين من عوالي الغرف
في الجنة.

والمتقون الذين ينالون هذه الغرف هم الذين اتقوا سخط الله وعقابه بترك الشرك
المعاصي، وإخلاص العبادة لله باتباع ما أمر به اجتذاب ما نهى عنه.

فهؤلاء لهم مجال إقامة رفيعة، مستعيلة بعضها فوق بعض درجات ثابتة ثبات البناء
المستقر، والأنهار تجري من تحت تلك الغرف والقصور العالية، وأنهار الجنة ليس بينها
وبين أنهار الدنيا تشابه إلا في الإسم فقط، وجريان الأنهار من تحت تلك الغرف والقصور
مما يزيدها بهجة وجمالاً، وهي حاضلة، ومحققة لعبادة الله المؤمنين لأن الله وعدهم بتلك
الغرف المتعالية التي تجري من تحتها الأنهار وعدداً صادقاً لا يخلف لأنه من الله الذي
لا يخلف وعده.

قال ابن جرير: وقوله: "لكن الذين اتقوا بريهم لهم غرف من فوقها غرف مبينة" يقول
 تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا بهم بأداء فرائضهم، واجتناب محارمه، لهم في الجنة غرف
من فوقها غرف مبينة علالي بعضها فوق بعض "تجري من تحتها الأنهار".

يقول تعالى ذكره: "تجري من تحت أشجار جنانها الأنهار" وقوله: "وعداً الله" يقول
جل ثناؤه: وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبينة في الجنة هؤلاء المتتقين.
غرف الجنة، وقصورها وأبهارها

لا يخلف الله الميعاد يقول جل ثناؤه ﷺ: والله لا يخلفهم وعده ولكن يوفي وعده أه(1).

وقال البغوي: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبينة﴾: أي: منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها تجري من تحتها الأنهار وعند الله لا يخلفه الميعاد أه(2).

وقال العلامة ابن القيم: قال الله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبينة﴾.

فأخبر أنها غرف فوق غرف، وأنها مبينة بناءاً حقيقةً لتثبت أنهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء بل تصور النفوس غرف مبينة كالعلالي بعضها فوق بعض حتى أنها ينظر إليها عياناً، ومبينة صفة للغرف الأولى والثانية أي: لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها أه(3).

وقال العلامة ابن كثير: ﴿أخبرني - عز وجل - عن عباده السعداء أن لهم غرف في الجنة وهي القصور أي: الشاهقة (من فوقها غرف مبينة) طبق فوق طبق مبينات محكمات مزخرفات عاليات أه(4).

وقد بين الله تعالى في كتبه وصف غرف الجنة في مواضع كثيرة.

قال تعالى بعد أن بين الكثير من صفات عباد الرحمن منوهاً بنجاتهم الذين يتظروه:

﴿ولتكن يجزون الغرفة بما صبروا وبلغوا فيها نجاة وسلاماً﴾: (5).

قال ابن القيم:

والغرفة جنس كالجنة، وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأحوال المتضمنة

(1) جامع البيان 208/13
(2) معالم التنزيل على حاشية تفسير الحكاز 6/106
(3) حادي الأرواح ص 96
(4) تفسير ابن كثير 4/80
(5) سورة الفرقان آية 75
غرف الجنة، وقصورها وآثارها
للخضوع والذل والإستكانة لله العرف، والتحيّة والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم، اهـ (1).
وقال تعالى: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبويَّانهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين" (2).
وقال تعالى: "فما أموالكم ولا أولادكم التي تقربكم عندنا زلفي إلا من آمن وعمل صالحًا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون" (3).
فهتان الآيتان بين الله تعالى -فهما أن غرف الجنتان لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصالح وذلك هو الذي يقرب العبد إلى الله زلفي. أما كثرة الأمول والولد عند الإنسان فإنها لا تدل على أن الله يحب صاحبها، لا. ليس الأمر كذلك، ولبست بمقياس عند الله تعالى -وإنما المقياس الحقيقي هو الإيمان والعمل الصالح فحقيق الإيمان وعمل صالحًا يكون من الذين تضعف حسناتهم ومن الذين هم في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شيء يحذره منه. هذه أوصاف غرف الجنة في القرآن الكريم.
أما ما جاء في شأن وصفها في السنة النبوية فقد وردت أحاديث توضح صفة هذه الغرف وعلوها.
فقد روى الشيخان في صحيحهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن أهل الجنة ليتراوون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراوون الكوكب الدرّي" (4) الغبار من الأفق من المشرق، أو المغرب لتفاضل ما بينهم" قالوا: يا رسول الله.

(1) حادي الأرواح ص ٢٦، وقد فسرت "الغرفة" بالجنة، انظر: المصنف لا بن أبي شيبة ١٣٢/١٣٢/١٣٢.
(2) سورة العنكبوت آية: ١٨.
(3) سورة سبأ آية: ٩٤.
(4) قبل سمي دريا لياضبه، وقيل لإضاءته، وقيل لشمسه بالدر في كونه أرفع من نافع النجوم كالدرب أرفع الجواهر، شرح النووي على مسلم ١٦٨ /١٦٨. أما الغبار: فهو الذاهب المشي الذي تدل لكل الغروب، وبعد عن العيون شرح النووي ١٥٩/١٥٩.
غرف الجنة، وقصورها وأنهارها
تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: "بلي والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقو
المسلمين" (1).

قال أبو عبد الله القرطي: "وقوله والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقو
المسلمين" ولم يذكر عملاً ولا شيئاً سوؤ الإيمان والتصديق للمرسلين ذلك لعلم أنه عن
الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج، وإلا فكيف تناول الغرفات
بالإيمان والتصديق الذي للعامة، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعقالي
الغرفات، وأرفع الدرجات وهذا محاولة، وقد قال الله تعالى: "أولئك يجوزون الغرفة بما
صبروا" (2).

والصبر بذل النفس والثبات له وقفاً بين يدي بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين.
وقال في آية أخرى: "وما موالكم ولا أولادكم التي تقريكم عندنا زلفي إلا من آمن
وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الفسف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون" (3).

فذكر شأن الغرفة وأنها لا تتنازل بالأموال والأولاد وإنما تتنازل بالإيمان والعمل الصالح،
ثم بين لهم جزاء الفسف وأن محلهم الغرفات، يعلم أن هذا إيمان طمانينة وتتعلق قلب
به مطمئناً به في كل ما نانبه وبجميع أموره وأحكامه، فإذا عمل عملاً صالحاً فلا يخلطه
بضده، وهو الفاسد، فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن
صاحب من آمن وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا، فلهذا كانت
منزلته دون غيره آه (4).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث سهل بن سعد أن رسول الله
قال: "إن أهل الجنة يتراوون الغرفة في الجنة كما تتراوون الكوكر في السماء" (5).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
قال: "إن أهل الجنة يتراوون في الجنة كما تتراوون الكوكر السدي الغارب في الأفق

(1) صحيح البخاري 2/218 ، صحيح مسلم 4/2177
(2) سورة الفرقان آية: 75.
(3) سورة سبأ آية: 77.
(4) التذكرة للقرطي ص: 462-463.
الطالع في تفاصيل الدرجات قالوا: يا رسول الله أولئك النيون؟ قال: بل، والذي نفسي بيه وأقوم آمناً به وصدقوا المرسلين(1). وروى أيضاً بإسناد إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: فأن المتحابين لترى غرهم في الجنة كالكركب الطالع الشرقي أو الغربي فقائل من هؤلاء؟ فقيل هؤلاء المتحابين في الله عزوجل(2).

وروى الإمام أحمد وأبو عبيدة باب شيبه بإسنادهما على علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورهما من بطنها، وظهورها من ظهورها قال: فقام أعراقو فقال: هي لمن يسرب الله؟ فقال: هي لمن طب الكلام، وأطعمن الطعام، وأفشي السلام وصلى بالليل والناس نيام(3).

فهذا الحديث بين في النبي ﷺ صفة غرفة الجنة كما بين فيه بعض صفات سكان أهل تلك الغرف، وهو أنها تطبع الكلام، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام، ويقومون في ليلهم يصلون الله تعالى والناس نيام. وما نقتدم من اختلاف غرفة الجنة في العلوم والسيرة إنما هو بسبب اختلاف أصحابها في الأعمال وتفاوتهم فيها، كما نقتدم في الأحاديث من أن بعض غرفة الجنة أعلى من بعض وأرفع.

وأما عن قصور الجنة فقد ورد عن النبي ﷺ في وصفها أحاديث كثيرة.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله ﷺ تعالى: عنة قال: بيننا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: ولينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر قلتي لم من هذا القصر؟ فقالوا لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبراً: فبيك عمر وقال: أعلينك أغالبا رسول الله؟(4).

وروى الترمذي بإسناده إلى آس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: دخلت

(2) المسند 87/3.
(3) المسند 1/106، والمصنف لابن أبي شيبة 3/1، ورواه الترمذي في سنته 4/20.
(4) صحيح البخاري 2/116، صحيح مسلم 4/1863.
الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش فظنت أنى أنا هونقلت و من هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب، قال الترمذي: هذا حدث حسن صحيح.

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، خديجة قد أعنتك معها إنا، فيه إمام، أو تمام، أو شرب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربي - عز وجل - و مني، وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

قال العلامة ابن القيم: "والقصب هناف قصب اللؤلؤ المجوف".

قال الحافظ: "قوله من قصب". قال ابن التين: "المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالأقصر المنيف". إلى أن قال: وعند الطاراني في "الأوسط" من حديث فاطمة قالت: قلت يا رسول الله أين أمي خديجة؟ قال في بيت من قصب"، قلت: أم هذا القصب؟ قال: "لا". من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت.

أما صفقة بناء قصور الجنة:

فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة ذهب، و diligبنة فضة وملاطها المسكن الأذفر وحصبها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من بدخلها ينعم ولا يتأس ويخلد ولا يموت ولا يلبث شبابه ولا يفنى.

وروي أبو شيبة بإسناده إلى ابن عمر قال: قيل يا رسول الله كيف بناء الجنة؟ قال: "لبنة من فضة، و لبنة من ذهب ملاطها مسك وحصبها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران".

---

(1) سنن الترمذي 5/282.
(2) صحيح البخاري 2/312-315، صحيح مسلم 4/1887.
(3) حادي الأرواح ص 97.
(4) فتح الباري 1/138.
(5) رواه أحمد والترمذي المنسد 2/60-79، سنن الترمذي 4/79-80، ثم قال: هذا حديث ليس إسناده بذلك القوي، وليس هو عدني ينصل وقدر(this) هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي هريرة.
(6) المصنف 13/96-97.

مباحث العقيدة م 44
هذا وصف قصور الجنة ونبئها التي ينبغي المسابقة والمسارعة إلى الأعمال التي تكون سبيلاً في الحصول على ذلك بعد رحمة الله تعالى - قال ابن كثير بعد أن ذكر كثيراً من الأحاديث الواردة في وصف قصور الجنة وغرفها.

وقد ورد في بعض الأحاديث أن القصر يكون من لؤلؤة واحدة أبوببه ومصارعه، وسقته، وفي حديث آخر أن بعض سقوف الجنة نوريتلالا كالبرق اللامع لولا أن الله يثبت أبصرهم لأولوكم أن يخطفهم» (1).

وأما أنهار الجنة فقد جاء وصفها في السيرة بأنها تجري من تحت غرف الجنة وقصورها كما هو ظاهر الآية التي صدرنا بها هذا المبحث وهي قوله تعالى: «لكن الذين اقروا بهم لهم غرف من فوقها غرف مبينة تجري من تحتها أنهار»، هذه الآية من السورة وصفت أنهار الجنة بأنها تجري من تحت تلك الغرف التي بعضها فوق بعض درجات.

قال ابن كثير: (تجري من تحتها الأنهار) أي: تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما شاؤوا وأبين أرادوا» (2).

ولقد تكرر ذكر أنهار الجنة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وكلها مقتربة بحرف من» ما عدا موضع واحداً من كتاب الله فإنه جاء بدون حرف (من) وهو قوله تعالى: «وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار» (3).

قال مسروق رحمه الله تعالى: "أنهار الجنة في غير أخودود" (4).

وقال ابن جرير الطبري: عند قوله تعالى: "وماء مسكوب" (5) يعني: مصوب سائل في غير أخودود كما حدثنا ابن حميدة قال حدثنا مهران عن سفيان: "وماء مسكوب" قال بيجري في غير أخودود" (6).

(1) النهاية 2/940.
(2) تفسير القرآن العظيم 86/81.
(3) سورة النبوة آية: 100.
(4) المصنف لابن أبي شيبة 87/132.
(5) سورة الواقعة آية: 31.
(6) جامع البيان 27/184.
غرفة الجنة، وقصورها وأنهارها

وقال العلماء ابن القيم: بعد أن ذكر آيات من القرآن الكريم التي تصف أنهار الجنة

بأنها جارية:

»وهذا يدل على أمور:«

أحدها: وجود الأنهار فيها حقيقة.

الثاني: أنها جارية لا واقعة.

الثالث: أنها تحت غرفهم وقصورهم وسباحتهم كما هو المعروف في أنهار الدنيا.

وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بمرورهم ونصيرهم لها كيف شاؤوا، وكان الذي حملهم على ذلك أنهم لما سمعوا أن أنهارهم تجري في غير أخود ففي جارية على وجه الأرض حملوا قول: (تجري من تحتها الأنهار) على أنهات تجري بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحتها ومؤلاً أو مأوى من ضعف الفهم، فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخود فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار وهو سباحة - لم يقل من تحت أرضها.

وقد أخبر - سبحانه - عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال: (نعلم يرواكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارة وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم (1)). ففاذا على ما هو المعروف المتعارف وكذلك ما حكاه من قول فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) (2).

وقال تعالى مبينا أنواع أنهار الجنة: (مثل الجنة التي وعد المتمنون فيها أنهار من ماء غير آس وأنهار من لبم يتميز طعمه وأنهار من خمر لذة للمشاربين وأنهار من عسل مصنف) (3).

قال ابن جرير: موضحاً معنى الآية يقول تعالى ذكره: صفة الجنة التي وعداها المتمنون وهم الذين انتموا في الدنيا عاقبة بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في أنهاهار من

(1) سورة الأعاصيم آية: 6.
(2) حادي الأرواح ص 121 والآية رقم (51) من سورة الزخرف.
(3) سورة محمد آية: 15.
وقال قتادة: في قوله: «أنهار من ماء غير آسمن» من ماء غير متنين. وقاله: وأنهار من لون لم يتغير طعمه. يقول تعالى ذكره: وفيها أنهار من لون لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضرع. ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار فهو بهينته لم يتغير عما خلقه عليه. وقاله: وأنهار من عسل مسفي يقول: وفيها أنهار من عسل مسفي هم أن أحدى المخالفيين فيها فهو من أهل الدنيا قبل التصفية، وإنما أعلم تعالى ذلك عباده بوصف ذلك العمل بأنه مسفي أنه خلق في الأنهار ابتداء سائلاً جارياً سيل الماء واللبن المخلوقين فيها فهو من أجل ذلك مسفي، قد صفاء الله من الأذى التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصموه الأذى إلا بعد التصفية لأنه كان في شمع فصفي منه: اهـ.
وقال العلامة ابن القيم: بعد أن ذكر الآية السابقة: فذكر سببانه: هذين الجنسين الأربعة، ونفي عن كل واحد منها الأفة التي تعرض لها في الدنيا فآفة الماء أن يясн، ويًجن من طول مكثه، وآفة اللبن إن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصاً، وأفحة الخمر كراهية مذاقها المنافي للذة شربها، وأفحة العسل عدم تصفيفه وهذا من آيات الرحم تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا إبجايرها و.freq في غير أذون ويغني عنها الأفان التي تعني كمال اللذة بها كما ينفي عن خمر الجنة جميع أفات خمر الدنيا من الصدأ والغول، واللغز والإنزاف وعدم اللذة فهذه خمس أفات من آفات خمر الدنيا فتغتال العقل ويكشر اللغز على شربها بل لا يتلم شربا ذلك إلا باللغز وتنزف في نفسها، وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كرهية المذاق وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصعد عن ذكر الله، وعن الصلاة وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على النبت والأخوات وذوات المحارم، وتذهب الغيرة، وتثور الخزي والندامة، والفضح، وترحِّب شاربها بأنقص نوع الإنسان، وهم المجانين، وسلبها أحسن الأسماء (1) جامع البيان 26/49-50.
غرف الجنة، وقصورها وأنهرها

والسمات وتكسو أبجدي الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس، وإفتقار السر الذي في إفشائه مضرته، أو هلاك مؤاخذة الشياطين في تبدير الفعال الذي جعله الله قياماً له ولم يلزم مؤته، وتهتك الأسئلة، وظهور الأسرار، وبذل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والآليات ومخرج من القلب تغريمه المحارم، ومدتها كعابد وثين، وكه آهات من حرب وأفقر ذلك من غنى، وأذلى من عريز، ووضعت من شريف وسليت من نعمة وجلبت من نقم، وفسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته، فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة، وأجرت من غيرة وكم أغفلت في وجه شاربها باباً من الخير، وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت في بلية وعجلت من مننة وكم أورثت من خزية وجرت على شاربها من محنة وجرت عليه من سفلة فهي جماع الإثم، ومنفتح الشروالغابة النعم والجمال النعم، ولولا يكن من دعائه إلا أنها لا تتمتع هي وحمر الجنة في جوف عبد كمات ثاب عنه أن قال: «من شرب الحمر في الدنيالم يشربها في الآخرة». (1) لكي وافته الخمر أضعافً أضعاف ما ذكرنا وكثير من نقيبة عن خمر الجنة، فإن فقده وصف - سبحانه - الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يتأثر فما فائدة قوله: «غير أنس» (2).

قيل: الجماعة الجارية وإن كان لا يasons فإن Axios إذا أخذ منه شيء وطال مكانة أسس، وبها الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكانة مطالب، وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أضواء الناس فإذا لشربهم، وظهورهم، وهذا لقوتهم وثقوبهم، وهذا لذائتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم، والله أعلم» (3).

وما تقدم من الآيات كله تصف أنهار الجنة وهي تجري من تحت غرفها وصورها ويساندنها وجريان الأنهار من تحت تلك الغرف والصور والبسانين مما يزيدها بهجة وجمالاً وكذل ذلك حاصل ومتحقيق للعبادة الجماعية لأن الأنهار سبحانه - عدهم بذلك ووعدها سبحانه - حق لا يخلف.

---

(1) رواه ابن ماجة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما 1119/7، ورواية أيوب داود 2/393، ورواية النسائي في سنده 318/8.
(2) سورة محمد آية: 15.
(3) حادي الأرواح ص 122/123.
ولنستمع بعد وصف القرآن لأنهار الجنة، إلى بعض ما جاء في وصفها في السنة المطهرة:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان نقياً على الله أن يدخله الجنة جاهداً في سبيل الله أجلس في أرضه التيولد فيها" فقالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله منابين الدرايين، كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة أراها فوقه عرش الرحمن وهم تفجر أنهار الجنة".

فقد وصف النبي ﷺ في هذا الخبر أنهار الجنة بأنها تتفجر من أعلى درجة في الجنة، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجة فيها يا هما من منظر رائع، ويا له من تكريم لمن نزل تلك الدرجات العلي.

وروى أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه قال:

لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: "ألقيت على نهر حافته قبب اللؤلؤ المجوف فأفلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر".

وفي لفظ آخر: "إذا هو في السماء الدنيا بنهرين بطردان فقالما: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ زبرجد فضرب به فإذا هو مскоك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأه ربك".

ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب ومجره على الدراياقوت تربه أطيب من السمك وصموه أطيب من العسل وأبيض من الثلج".

(1) صحيح البخاري 2/136
(2) المصدر السابق 2/271
(3) صحيح البخاري مع الفتح 4/278/13
(4) رواة النمردي في سنة وقال: هذا حديث حسن صحيح 5/119-120.
فالكعتر هو أحد أنهار الجنة المشهورة، وهو أعظمها وأحلىها، وأحسنها وهو كرامة وهديّة من الله - عز وجل - أكرم به نبينا محمدًا ﷺ خصوصية له من بين سائر الأنبياء، وهو دليل على علو قدره ﷺ، وارتفاع منزلته عند الله ﷺ تعالى - وليس في وسعنا أن نصف هذه المنزلة غير أنه يكفينا أن نقول: إنه خير البشر وأفضلهم على الإطلاق كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام: "أنا سيد ولد أدم يوم القيامة" (1).

وظهر الأحاديث التي تقصد ذكرها في بيان صفة الكعتر تدل دلالة واضحة على أن الكعتر غير الحوض المورود الذي يكون في عرصات القيامة وقبل الصراع.

ذلك هو وصف أنهار الجنة، كما هو واضح من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتقدمة.

(1) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 4/1782.
المبحث السابع
أبدية الجنة ودوام نعيمها

لقد لت السورة على أبدية الجنة وخلود أهلها فيها ودوام نعيمها في قوله تعالى:
"و قال لهم خزنتها سلام عليهم طيب فادخلوها خالدين".

فقوله تعالى في هذه الآية "فادخلوها خالدين" في دلالة واضحة على أن أهل الجنة خالدون فيها بلا انقطاع.
قال ابن كثير: "فادخلوها خالدين" أي: ما quis فيها أبداً لا يغون عنها حولاً.

وقد أكد تعالى خلود أهل الجنة وأبدتتها ودوام نعيمها في مواضع أخرى كثيرة في القرآن الكريم.

قال تعالى: "وال الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواجهم مُطرحة وندخلهم ظلالاً ضَيِّقِلاً".

قال ابن كثير بعد هذه الآية: "هذا إخبار عن مآل السعداء في جنات عدن التي تجري فيها الأنهار في جميع مناجها، ومحالها وأرجائها حيث شاؤوا، وأين أرادوا وهم خالدون فيها أبداً لا يحولون ولا يزولون ولا يغون عنها حولاً،".

(1) تفسير القرآن العظيم 116/116.
(2) سورة النساء آية: 57.
(3) تفسير القرآن العظيم 2/319.
وقال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعملُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتُ لَهُمْ جَنَّاتٌ الْفَرَدْوُسُ نَزُلًا.
 الخَالِدِينَ فِيهَا لَا يُبْغَونُ عَنْهَا حَوْلًا (١)".

أخبر- تعالى- في هاتين الآيتين بأنه أعد لهم السعادة وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات- جنات الفردوس نزلًا - "والنزل: هو ما يبدأ من الإكرام للضيف أو القادم ومعنى قوله تعالى: "خالدين فيها لا يغون عنها حولاً" (٢) أي: خالدين في جنات الفردوس لا يغون عنها حولاً أي: تحولاً إلى منزل آخر، لأنها لا يوجد منزل أحسن منها يرغب في التحول إليها عنها بل هم خالدون فيها دائماً من غير تحول ولا انتقال (٣).

قال ابن كثير: وفي قوله: "ولا يغون عنها حولاً" تنبيه على رغبته فيها وجِبَهُ لها، مع أنه قد يتوهم في شيء هو مقيم في المكان دائماً أنه قد يساهمه، أو يملأه، فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السردي لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولًا ولا انتقالًا ولا ظعفاً ولا رحلة ولا بمدًا (٤).

وقال تعالى: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً(٥)".

هذه الآية بين الله فيها أن الذين صدقو الله ورسوله وأقروا الله بالوحدةانية ولرسوله بالنبوة، وأدوا مع ذلك فرابض لله التي فرضها عليهم، فإن جزاءهم أن يدخلهم يوم القيامة إذا صاروا إلى الله جنتاً يعني: بساتين تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً أي: باقين في هذه الجنتا التي هذا وصفها أبداً دائماً(٦).

وقال تعالى: "هذا يوم يقطع الصادقين صدمة لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً راضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم(٧)".

---
(١) سورة الكهف آية: ١٠٨.
(٢) أضواء البيان ٤٠٠/٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٣١/٤٣١.
(٤) سورة النساء آية: ١٢٢.
(٥) جامع البيان ٢٨٧.
(٦) سورة المائدة آية: ١١٩.
(٧) سورة البقرة آية: ٨٧.
قال تعالى: "فإن المنتمين في مقام أمين، في جنات وعويم، يلبسون من سندس

(1) سورة التوبة آية: 10-22.
(2) جامع البيان 97/10.
(3) سورة الحج آية: 47.
(4) سورة الواقعة آية: 27-34."
استبكرت متابعين، كذلك وزوجاتهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموت الأولى ووقائع عذاب الجحيم(1).

وهذه الآيات بين الله تعالى - فهيا أن المتبقين في الجنة خالدون، لا يذوقون فيها الموت أبداً، ولا خروج من الجنة أبداً.

ويكفيكما من الآيات ما تقم في الإستدلال على أبدية الجنة ودومها، وأما الأدلة من السنة على ذلك فكثير جداً.

ومنها قوله ﷺ: «من يدخل الجنة بنعم لا يبأس (2) لا تبلى ثيابه ولا يغنى شبابه»(3).

ومنها حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«إني منادى لكم أن تصحوا فلا تسموا أبداً وإن لكم أن تحموا فلا تنمروا أبداً وإن لكم أن تتنمو فلا تبتثنوا أبداً وذلك قوله - عز وجل - ونودوا أن تكلم الجنة أورثموها بما كنتم تعملون»(4).

ومنها ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بجاء بالموت يوم القيامة كانه كبش أملح»(5) فيوقف بين الجنة والنار.

قيل: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فهارثرون وينظرون ويفلون: نعم. هذا الموت.

وقيل: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال فيشربؤون وينظرون ويفلون: نعم. هذا الموت.

قال فيؤمر به فذبح قال: يا أهل الجنة، خذوه بما هو موت ويا أهل النار خذوه فلا موت قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمور في غفلة وهم لا يؤمنون»(6).

وفيهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يدخل 

_____________________________________
(1) سورة الدخان آية: 52-51
(2) البأس: هوشدة الحال والبأس، والبؤس، والبساء، والبوس، بمعنى شرح النووي 174/174.
(3) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه 2/2182-4182.
(4) صحيح مسلم 4/2187، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه معاوية بالآية رقم (43) من سورة الأعراف.
(5) الأملح: من الكباض الذي يكون فيه بياض وسواود البياض أكثر، النسابة ص 428.
(6) صحيح البخاري 3/157، صحيح مسلم 4/2188، واللهظه والإياية رقم (39) من سورة مريم.
الله أهل الجنة الوجه، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه؟(1).

والآحاديث الورادة في أبديا الجنة ودوام نعيمها كثيرة جداً، وكلها دلت على أن نعيم الجنة لا يغنى ولا يتقطع، وأنه نعيم أبدي سرمدي، وهذا هو اعتقاد أهل السنة وعامة المسلمين.

قال النووي: منذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، يتعمرون بذلك، ويتغذون من ملاذي وأنواع نعيمها تنعمان دائماً لا آخر له ولا انقطاع أبداً، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تعمى أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلا في النسمة وأصل الهيئة، وإلا في أنهم لا يبولون، ولا يتغذون ولا يمتلكون ولا يضرون، وقد دلت دلائل القرآن والسنة: أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبداً، أ. ه(2).

والذي نخلص إليه مماثل من الآيات والأحاديث التي سقناها للاستدلال على أبديا الجنة ودوام نعيمها أنه يجب على كل إنسان أن يصدق التصديق لوجود الجنة وأنها مخلوقة الآن وأنها باقية بإبقاء الله لها لا تفنى أبداً، ويدخل في ذلك كل ما اشتملت عليه من النعيم(3).

---

(1) صحيح البخاري4، 136، صحيح مسلم4، 2189.
(2) شرح النووي على صحيح مسلم173/173 و174، وانظر "مآذن الإجماع" لابن حزم ص 183.
(3) ولم يخالف في هذا الاعتقاد الحق إلا الجهم بن صفوان، فإنه زعم أن الحجة والناظر تبني وليس له سلف البينة في هذا الاعتقاد الباطل وثبعت على هذا الاعتقاد "أبو الهيثم"، فإنه زعم: إن حركات أهل الجنة تغني ويصرون في سكون دائم. انظر: "منذهب الجهم في حادي الأرواح"244، شرح الطحاوية ص 80، 481، لوماع الأنزول الوجه234، وانظر "مآذن الإجماع"1/143، وانظر الفرق بين الفرق ص 211، وانظر "الممل والملح"6/51، وانظر "منذهب محمد بن الهذب اللاف" في المثل والملح6/51، التصوير في الدينص 108، ص 170، ولقد كفرا "الملح والملح" من قال ينزل الجنة لأن ذلك تكذيب للقرآن وكفر به. انظر كتاب "السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد ص 260.
المبحث الثامن
وجوب الإيمان بالعرش، وهو سقف الجنة

لقد ذكرت السورة على وجوب الإيمان بالعرش، وهو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، وهو أعظم المخلوقات خلقه من البشر، وعله قبل أن يخلق السموات والأرض، واختصبه بالعلم والارتفاع، ثم استوى عليه.

وقد جاء ذكر العرش في آخر آية من سورة الزمر وذلك في قوله تعالى: وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربه وقريبي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين.

فهذه الآية من السورة أوضح لنا مشهدًا رائعًا لعبادة الله المكرومين وهم محددون حول هذا المخلوق العظيم، العرش، يسبحون بحمد ربه، ويضمنونه ويزهوه عن التفات ويثبون عليه الشيء الطيب الذي يليق بجلاله وعظم سلطانه، فإذا ما تم القضاء بين الخلاقين بالعدل، والقول الفصل على أتم وجه وأكماله، نطق العالم كله بالثناء والتحميد لله الحكمة العدل الذي لا يضع عمل عامل من ذكر أو أثى فقوله الحمد لله رب العالمين.

قال العلماء ابن القيم: فحفظ فاعل القول، لأنه غير معين بل كل أحد بجميعه على ذلك الحكم الذي حكم به، فيحمده أهل السمات، وأهل الأرض، الأبرار والفجار، والإنس والجن، حتى أهل النار.

وقد قال الحسن وغيره: لقد دخلوا النار، وإن حمده لقي قلوبهم، وما وجدوا لهم عليه سبيلًا، وهذا والله أعلم هو السر الذي حذف لأجله الفاعل في قوله: قيل ادخلوا
أبواب جهنم. وفي قوله: وقيل ان خلا النار معدخلين (1) كأن الكون كله نطق بذلك، وقال له ذلك والله أعلم بالصواب (2). وقال البغوي رحمه الله تعالى: وترى الملائكة حافين من حول العرش أي: محدثين محيطين بحافته و وجاهبه أ. هـ (3).

وقال ابن كثير حول قوله تعالى: وترى الملائكة حافين من حول العرش الآية: ما ذكر تعالى حكما في أهل الجنة والنار، وأنه نزل كلا من المخلل الذي يلق به و يصلح له، وهو العادل في ذلك الذي لا يجوز أخير عن ملائكته أنهم محدثون حول العرش المجيد يسبرون بهم ويمجدونه، يعظموه و يقدرون، وينتهون عن الشفائص والجور، وقدفصل القضية، قضى الأمر وحكم بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين أي: نطق الكون أجمعه ناطقة وبهيمه الله - رب العالمين - بالحمد في حكمه وعدله وهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

قال قنادة: افتح الخلق بالحمد في قوله: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض (4) واختتم بالحمد في قوله - تبارك وتعالى و قضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (5).

وبعد بيان معنى الآية نقول: إنها دلت على وجب الإيمان بالعرش وهو مقصودنا الذي يريد التوصل إليه، وذكراه هنا عقب ذكر الجنة لأمرين:

١- الأمر الأول: أن هذه الآية التي نصت على وجب الإيمان بالعرش جاءت عقب الآيات الدالة على الإيمان بالجنة.

٢- الأمر الثاني: ثبت في السنة الصحيحة أن العرش سقف الجنة. فقد روى البخاري في صحيحه عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن في

(1) سورة التحريم آية: 10.
(2) رواية المعيضين ص: 65.
(3) تفسير البغوي على حاشية الخالص 6/67.
(4) سورة الأعلى آية: 1.
(5) تفسير القرآن العظيم 3/118.
وجهين الإيمان بالعشي، وهو سقف الجنة

الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذًا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تبرر أنوار الجنة.

ولا بد لنا هنا من بيان معنى العرش في اللغة، ومنهومه عند العرب الذين بلغتهم نزل القرآن وخطابنا الله بها فقول:

القرآن وخطابنا الله بها فقول:

العرش في اللغة:

هو عبارة عن سرير الملك ومنه قوله تعالى: {ولها عرش عظيم} {3} وعرش البيت. سقفه، ومنه قوله تعالى: {أو كي مار على قرية وهي خاوية على عروشها}. {32} أي: عليهم سقوفه، ويأتي لمعنى الملك يقال: ثل عرشه على ما لم يسمع فاعله أي: زال ملكه وذهب عزه.

قال زهير:

تداركما الأحلام قد طل عرشه وذينان إذ زلت بأحلامها النعل. {40} والمزاد بالعرش في الآيات والأحاديث النبوية هو المعنى الأول وهو السربر وهذا المعنى معروف عند العرب.

جاء في تدريب اللغة: {العرش في كلام العرب، سرير الملك يدخل على ذلك سرير ملكة سبأ سماه الله - جل وعز - عراش فقول: {ولها عرش عظيم}} {3}. وما جاء في كلام بعض أهل اللغة من أن المراد بالعرش الملك لا يعني أن الملك يكون بدون عرش، فالملك تبع للعرش فإذا ذهب العرش ذهب الملك.

وقال في القاموس: {العرش عرش الله ولا يوجد} {1}. وعل قصد صاحب القاموس بقوله: {لا يوجد} أي: لا يوصف بغير ما وصفه الله به في كتابه وسنة رسوله.

---

1. 136/2
2. سورة الفجر آية: 43
3. سورة البقرة آية: 259
5. تدريب اللغة 1/144، والأية رقم (32) من سورة النمل.
6. القاموس 2/288
وأما عرش الله تعالى:

فهو سرير ذو قوامين خلقه الله واستوى عليه وأمر الملائكة بحمله وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات، منه قول: أمية بن أبي الصلت:

ربنافي السماء أمسى كبيرًا
مجدوا الله فهولمجد أهل
س وسوئ فوق السماء سربًأ
بالبناء العالى الذي سبق الننا
مرجحًا لا يناله بصرار العين

ترا دونه الملائكة صورًا (1)

وثبوت العرش من أوضح الأمور عند جميع الأمم، وفي جميع الأديان.

قال الإمام عثمان بن سعيد الدرایمي: «باب الإيمان بالعرش وهو أحد ما أنكره المعطولة ثم قال: وناظرة أن نضطر إلى الاحتجاج على أحد من يدعو الإسلام في إثبات العرش والإيمان به حتى يبتلينا بهذه العصابة الملحة في آيات الله فشغلونا بالاحتجاج لما لم نختلف فيه الأمم قبلنا» (2).

قال أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» بعد أن ذكر آيات العرش: «افترض أقفاً أهل التفسير على أن العرش هو السرير، وأنه جسم خلقه الله، وأمر ملائكته بحمله وفي أكثر هذه الآيات دلالة على صحة ما ذهبا إليه وفي الأخبار والآثار الواردة في معاناه دليل على صحة ذلك» (3). هـ.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على إثبات العرش كثيرة جداً فقد أخبر -الباري جل وعلا- عن نفسه بأنه استوى على عرشه في موضوع سبعة من كتابه.

وقد تقدم ذكرها.

وقال تعالى: «ذو العرش المجيب لما يرئ» (4).

وقال تعالى: «رفع الدرجات ذو العرش» (5).

---

(1) الاختلاف في الفقه لا ينفي نسبية ص 240 ضمن عقائد السلف.
(2) الدعاء على الجهمية ص 12.
(3) ص 497.
(4) سورة البروج آية: 15.
(5) سورة غافر آية: 15.
وجوب الإيمان بالعرش، وهو سقف الجنة

وقال تعالى: "لا إله إلا هورب العرش العظيم" (1).

وقال تعالى: "الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به

وستغفرن للذين آمنوا" (2).

وقال تعالى: "ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية" (3).

وقال تعالى: "فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهورب العرش العظيم" (4).

وأما الأحاديث والآثار التي دلت على ثبوت العرش ووجوب الإيمان به فكثيرة جداً

_From Nabi's speech:

1 - فقد روى الشيخان في صحيحهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

"كان النبي ﷺ يقول عند الكرب لا إله إلا الله العلي الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم" (5).

2 - ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إن يمين الله ما لم يغضها نفحة سحاء الليل والنهار، أو أن يثني منذخل السماوات والأرض فإنه لم ينقص ما فيه يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الآخرة الفيض - أو الفيض - يرفع ويخفض" (6).

قال الإمام الذهبي رحمه الله - تعالى - فاقرأنا مصحون بهذا، وكذلك الآثار بما يمنع أن يكون المراد به الملك، فدع المكافرة والمراء فإن المراء في القرآن كفر، وما أنا قلت: بل المصطفى ﷺ قاله" (7).

---

(1) سورة النمل آية: 26.
(2) سورة غافر آية: 7.
(3) سورة الحاقة آية: 17.
(4) سورة التوبة آية: 129.
(5) صحيح البخاري 4/ 282، صحيح مسلم 4/ 2093-2094.
(6) صحيح البخاري 4/ 281.
(7) كتاب "العلوي" للدحيضي ص 58.
أما الجماعة وأفرادهم المتزلفون، وطائفة من الخوارج وبعض الأشاعرة فقد أنكرها العرش بطريقة التأويل الفاسد، فقد زعموا: أن المراد بالعرش في الآيات والأحاديث هو عبارة عن سعة الملك والسلطان، وليس العرش الذي هو سقف المخلوقات وزعم بعضهم أن عرشه سماواته وأرضه، وجميع خلقه وهذا هويون التحريف لنصوص الكتاب والسنة (1). 

وقد بين محمد بن عثمان (2) بن أبي شيبة ذهب الجماعة في العرس فقال: "ذكروا أن الجماعة يقولون: أن ليس بين الله عز وجل وبين خلقه حجاب وأنكرنا العرش، وأن يكون هو فوهة فوق السماوات وقائلوا: إن الله في كل مكان وأنه لا يخلص من خلقه شيء ولا يخلص الخلق منه إلا أن يفنينهم أجمع فلا يبقى من خلقه شيء تبارك وتعالى - عما يقولون علواً كبيراً" (3).

وقد عبر عبد الجبار بن أحمد عن مذهب إخوانه المتزلفة في العرس فقال بعد أن ذكر آيات الإستواء على العرش: "إنه العرش بها بمعنى الملك وذلك، ظاهر في اللغة يقال: لكل عرش بني فلان أي إذا زال ملكهم، ثم استدل على هذا يقول الشاعر:

إذا ما نبنا مروان ثلاث عروشهم وأودت كما أودت إبراهيم (4)

وأما الأشاعرة أفراح المتزلفة فقد عبر عن مذهبهم في العرس أبو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي حيث قال: "والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية الرحمن على العرس استوى (5) على معتنى الملك كانه أراد أن الملك ما استوى لأحد"

(1) انظر: النبطية والرد على أهل الأهواء ص 95، التوحيد للمعتزلي ص 599، الاختلاف في اللفظ ص 242، الرد على الجماعة للدارممي ص 163، العوليلي الغفارص 58، مختصر التعاليم المرسلة 140/2، شرح الطحاوية ص 312.
(2) هو محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة العباسي من عبس غطفان أبو جعفر الكوفي مؤرخ لرجال الحديث من الحفاظ، توفي سنة سبع وثمانية هجرية. انظر ترجمته في: "الميزان" 142/26، تاريخ بغداد 142/26، الأعلام 7/147.
(3) كتاب العرس (51) في مخطوطة.
(4) شرح الأصول الخمسة ص 227.
(5) سورة طه، آية 5.
وجوب الإيمان بالعرش، وهو سقف الجنة

غيره، وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب «قل عرش بني فلان» إذا ذهب ملكهم، وقال متمم ابن نويره في هذا المعنى:

عروس تشافها بعد عز وأمة هو وأبعد مانالها السلمانية والبقاء
وأراد بالعروس ملكًا انقرضوا، وقال سعيد بن زايدة الخزاعي في النعمان بن

المذر:

قد نال عرشاً لم يهطل جن ولا إنس ولا ديار
وأراد بالعرش الملك والسلطان. وقال النابغة:

بعد ابن جفنة وأبن هاتك عرشه والحارثيين يؤمنون فلاحا
وأراد بهاتك عرش ابن جفنة سالب ملكه فصيح بهذا التأويل العرش على الملك في

آية الاستواء على ما يبياه والله الحموق للصواب» اهـ(1).

وهذه التأويلات الفاسدة التي انتحلها الجهمية والمعتزلة والأشاعرة للمعترض للعرش الذي استوى عليه الرم جل جلاله استواءً يليق بهجلائه يقصرون منها التوصل إلى نفي صفة العلو والفوقية ولكنهم باءوا بالفشل في مساعهم ذلك لأن الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة تكذبهم فيما قالوا وثبت لله تعالى ـ صفة العلو والفوقية، وأن المراد من العرش مخلوق العظيم الذي هو سقف المخلوقات وأنه ذو قوائم وبحمله ثمانية من السلالات الكرام 

البررة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «فمن أنكر عرشه، وأنكر استواءه أو أنكر
تدبيره فقد قدح في ملكه» اهـ(2).

وقال شارح الطحاوية: ردًا على المعطاة «وأما من حرف كلام الله وجعل العرش
عبارة عن الملك كيف يصنع بقوله تعالى: «ويحمل عرش ربك فوقهم بعمناذ ثمانية»(3)
وقوله: «كان عرشه على الماء»(4) أيقول: «ويحمل ملكه بعمناذ ثمانية؟ وكان ملكه على

(1) أصول الدين ص 113-114.
(2) مختصر الصواعق المرسلة 2/140.
(3) سورة الحاقة آية: 17.
(4) سورة هود آية: 7.
الهاء؟ ويكون موسى عليه السلام أخذاً بقائمة من قوائم الملك؟ هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟ ۱۹۱۹.

والذي نخلص إليه مما تقدم من الآيات والأحاديث النبوية السابقة أن العرش من الأمور الغريبة التي يجب الإيمان بها كما أخبر الله ورسوله بذلك، وأن العرش أعظم مخلوقات الله خلقه قبل خلقه للسموات والأرض، واختصه - سبحانه - بالعلم والارتفاع على سائر المخلوقات، ثم استوى عليه استواءً يليق بجلاله - سبحانه - وتعالي وهذا ما يجب على الإنسان أن يعتقه في العرش، كما يجب عليه أن يتأي بنفسه من الإفادات المنفردة المخالفة للكتاب والسنة في عرش الرحمن، وقد تقدم ذكر بعضها ۱۹۱۹.

---

(1) شرح الطحاوية ص ۳۱۲.
(2) وحناك طائفة من الفلاسفة والمتكلمين ذهبا إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محجوب بالعالم من كل جهة وهو عندهم الفلك السماوي.
الخاتمة

واوجز في هذه الخاتمة النتائج التي اشتمل عليها هذا البحث المتعلق بمباحث
العقدة في «سورة الزمر» وذلك فيما يلي:

1 - الإيمان بالله يتضمن: الاعتقاد الجازم بأنه تعالى ربي كل شيء وملكه وأنه
الخالق الراعي المحيط المميت، وأنه وحده - الذي يستحق أن يفرده العبادة بالعبودية
والطاعة، والذل والغضب وغير ذلك من أنواع العبادة، وأنه تعالى - المنصف
بصفات الكمال المنزه من كل عيب ونقصان، وهذا ما يجب على كل إنسان أن يعتقده في
الله عز وجل - حتى يحقق عبوديته للخالق - سبحانه وتعالى -.

2 - الإيمان بأن الله تعالى عالٍ على جميع المخلوقات مستوعباً عرشه بائن من
خلقه، وأنه لا يحل بشيء ولا يتحدد.

3 - القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق في جميع أحواله سواء كان مقروفاً، أو
مسموعاً، أو مكتوباً فهو كلامه تعالى - على كل حال لأن الكلام ينسب إلى من قاله مبتدأً
لا إلى من قاله مبناً، ومن ثم لا يكون مخلوقاً.

4 - ثبوت صفة العزة للباري جل وعلا - بنص الكتاب والسنة فولا عزة لأحد إلا والله
 maltaka، ومن يريد العزة فليطلبها منه - جل وعلا - ولا سبيل إلى نيلها إلا بطاعته والخضوع
له وحده لا شريك له.

5 - إن صفة الحكمة من الصفات التي أثبتت لنفسه سبحانه - فله حكمة تتعلق به
يحيها ويرضاها، ويفعل لأجلها فهو تعالى - يفعل ما يفعل لحكمة يعلمه، والنافع
للحكمة والتعليم مخالفون للكتاب والسنة والإجماع والعقل الصحيح والفكرة المستقيمة
التي فطر الله الناس عليها.

6 - بطalan زعم اليهود والنصاري ومشتركي العرب مما أدعوه من نسبتهم الولد إلى
الله تعالى - فقد نفى سبحانه عن نفسه الولد، ونفى اتخاذ الولد جميعاً فهو المنزه.
- جل وعلا - من كل نقش وعيب - تعالى الله - عما يقول ظالمون علواً كبيراً.

- أتصف الباري سبحانه وتعالى - بصفتي الرحمة والمغفرة حقية لا مجازاً،
وأن صفة الرحمة تنقسم إلى قسمين رحمة عامة يشترك فيها المؤمنون والكافرون كما قال تعالى: (وحتمي وسعت كل شيء) (1) ورحمة خاصة بالأنبياء والرسول وعباده المؤمنين
كما قال تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيماً) (2) فهما صفات حقيقتان ثابتتان لله عز وجل -
حقيقة على ما يلبق بجلالة وجود سلطانه.

- صفة الغني من صفات الكمال التي أثبتها الباري سبحانه - لنفسه فلا يحتاج
إلى شيء، والخلائق جميعهم يحتاجون إليه وقراء إليه في كل أمر من أمرهم فلا قوم
لهم إلا الله تعالى - في كل حركاتهم وسكناتهم وفي كل حظة من حظائدهم، وفي كل نفس
من أنفسهم فلا غني له عن طرفة عين.

- إن صفة الرضا من الصفات الفعلية التي أثبتها الباري سبحانه - لنفسه على ما
يلبى بجلالة يفعلها من شيء وكيف شاء وأيّاده نواعم إرادته قدرة كونية، وإرادته شرعية
دينية، والشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضاء والقدرية الكونية هي الشاملة لجميع
الموجودات فما شاء سبحانه - كان مما لم يشأ لم يكن، والأمر الشرعي إنما تلازم
الإرادة الشرعية الدينية، ولا تلازم بينه وبين الإرادة الكونية القديرة، فإذا كان الأمر الله
بالإيمان، وإرادته منه شرعاً ودينًا ولم يرد منه كوناً وقروناً، ولإرادته كوناً للحصول لأن الإرادة
الكونية القديرة لا تختلف عنها المراد بخلاف الإرادة الشرعية قد يختلف المراد بها.

- صفة العلم من صفات الكمال التي أثبتها الباري سبحانه - لنفسه فقد علم
- جل وعلا - أي لا ما يكون من عبده المختار من سعادة وشفاوة، وما يحصل له من الغني
والفقر، ومن ناحية تحديد عمره وانقضاء أجله، ثم كتب ما يعلمه في اللوح المحفوظ فهو
 سبحانه - كتب لا ليجز أحدًا من عباده على حسب ما كتب، في الأزل ما يكون من العبد
بمحض اختياره، وإرادته فعله - تعالى صفة اكتشاف للحاضر والحاضر والمستقبل وهو

(1) سورة الأعراف آية: 156.
(2) سورة الأحزاب آية: 42.
معنى قول أهل العلم علم ما كان وعلم ما يكون، وعلم ما لم يكن إن لم كان كيف كان يكون.

11 - الله تعالى يدان حقائقنا وهما من صفات الكمال التي تتصف بها - سبحانه - وأنهما كما يلب بجلاله، وما ورد في شأنهما من الإساءة والطالب، والقبض والبسط والحيلات والخلق باليدين وكتب النورا بينه وغرس جنة عدن بينه، وكون المقسطين عن يمينه وتخير آدم بين ما في يديه، وأخذ الصدقة بيمينه يربيها لصاحبهما، وأنه مسح ظهر آدم بيده إلى غير ذلك مما ورد في شأنها مما يدل دلالة واضحة على أنها يد حقيقية كما أخبر بذلك - جل وعلا - وأن تأويلها بالقدرة أو النعمة أو القوة تأويل ظاهر البطلان.

12 - لا يستحق العبادة بجميع أنواعها الاعتقادية والقبولة والعملية إلا الله - جل وعلا - فإن أنواع العبادة لا يستحق أي أحد كائناً من كان أي شيء منها.

13 - الإخلاص روح العبادة وعمودها الذي تقوم عليه، وأي عبادة بدون إخلاص العبادة مردودة على صاحبها لأنها لم توجه إلى الله - وحده لا شريك له - ومنى شاب العبادة قصد غير الله - تعالى - اعتبرت لاغية لا قيمة لها ولا نائدة منها سوى النعمة لصاحبها لأن الله - تعالى - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وقد تضافرت الأدلة من كتاب وسنة، وأقوال أئمة في إشراط الأخلاص للأعمال والأقوال الدينية، وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً له وابتعثه به وجهه.

14 - العبودية: تنقسم إلى عامة، وخاصة، والعامة هي عبودية أهل السموات والأرض جميع عبدها - تعالى - ببرهم وفارجهم، ومؤمنهم وكافرهم، وهذه العبودية هي عبودية القهر والملك، وأما العبودية الخاصة فهي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر والبعده عن النواهي فعل العبد أن يتحلى بتحقيق العبودية الخاصة إذ السعادة في الدارين لا تنال إلا بها.

15 - الإسلام دين الأولين والآخرين من بني آدم، وأن أول المسلمين في جميع الشرائع الآلهية هو الرسل لأهم أول من يعرف الشرائع فالخليفة كل الخير بالإلتزام بدين الإسلام الذي رضيه الله ديناً لعباده المؤمنين.
16 - الطاغورت اسم عام يشمل كل ما عبد من دون الله وكل رأس ضلال يدعو إلى الباطل ويزيده لمعتيبه، كما أنه يشمل كل من نصبه الناس للحكم بهم فحكم بحكم الجاهلية المتميزة المضادة لحكم رب العالمين وحكم رسوله الأمين ﷺ، فالحاكم بغير ما أنزل الله طاغورت لأنه نصب نفسه منصب الإله المشرع. وهنا يظهر معنى مجاورة الحد في معنى الطاغورت، فإن الحاكم ملزم بأن يتقيد بأحكام الله ب سبحانه - الذي أنزلها عبده وأوضحها لهم، بل إن معنى الطاغورت يتناول كل ما صرف الناس عن عبادة ربهم كالاوثان والأشجع والقباب التي تعود من دون الله لأنها تصرف من يعبدها عن عبادة الإله الحق - سبحانه وتعالى.

17 - المطلب من الإنسان أن يجمع في حياته بين الخوف والرجاء ولا ينبغي له أن يغلب أحدهما على الآخر، فإنه لو غلب جانب الرجاء وإنهمك في العصيان لربه - تبارك وتعالى - فإن ذلك قد يؤدي إلى أن يتكلم الله به، وإذا غلب عليه جانب الخوف ربما جره ذلك إلى الباب فالفزع من الرجاء أن الإنسان لووقع في تقصير فعليه أن يحسن الظن بالله - تعالى - ويرجومه أن يغلبه ذنبه، وكذلك إذا وقعه الله - تعالى - للإثيان بالطاعة يرجمون الله أن يقبل منه، ويختلف أن لا تقبل.

18 - التوكل على الله لا ينبغي أن يأتي الأسباب، بل إن التوكل لا يتم إلا إذا اتخاذ الإنسان لكل عمل يربى الأسباب التي توصله إلى تحقيقه. فله تعالى - ربط الأسباب بمسببتها، والتوكل من أعمق الأسباب وأنفعها في دفع الماض، وجب المنفع، فلا بد من الأخذ بالأسباب التي توصل الإنسان إلى تحقيق حاجاته والحصول على مطالبه، ومن قال بفي الأسباب فتوكل مشوب ومدخول.

19 - أرسل الله الرسول من أجل توحيد العبادة، وهو التوحيد المطلب الذي أمر الله عبادة أن يفرودوه بدون سواه ولذلك كان أساس دعوة الرسول جميعاً وهو المطلب في فاتحة دعوة كل نبي من الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ.

20 - الشفاعة نوعان، منفية، ومثبتة، فالمنفية هي التي إدعاه المشركون لإلههم والمثبتة هي التي أثبتها الله ورسوله بشرطها الإذن، والرضى، والشفاعة لأهل الكبار ثابتة بنص الكتب والسنة خلافاً لأهل البدع النافين لها، والمنمنع منها إمّا هو الشفاعة لأهل الكفر والشرك.
الإقرار بالرب - جل وعلا - أمر قطري مركز في كل نفس ولهذا كانت دعوة الرسل إنما كانت إلى عبادة الله - وحده لا شريك له - ولتذكر بالربوبية لأن عامة الخلق مقرر بـ سبحةه - حتى الكفار يقرون بأن - تعالى - الخلق الرئيسي النافع الضار المحيي المميت، ولكن هذا الإقرار لم يجلد شيئاً، ولم ينقيهم من النار.


22 - أصل الشرك في بني الإنسان والدافع إليه عند جميع فرق المشركين قديماً، وحديثاً إنما هو تعلقه بأدلال الشفاعة الباطلة وزعمهم اتخاذ الأولياء والشفعاء إنا هو لأجل يقرىهم إليه زلفي وإلا فهم يعتقدون أنها لا تخليق ولا ترزق، ولا ملك من الأمر شيئاً - وهذا من أفح الأعداء لإقدامهم على أشد الذنوب وأفخها حرمة عند الله تعالى.

23 - الشرك بالله أظلم الظلم وهو أشد ذنب عصي الله به، والذك رتب الله عليه من العقوبات الدينية والأخيرة لم يبره على ذنب سوا من إباحة دماء أهله وأموالهم وسبه ذرائهم ونسائهم وعدم مفرطاً من بين الذنوب إلا بالذنب منه، وإذا وقع فيه الإنسان أحفظ عمله وصار من الخاسرين.

24 - الإيمان بالملائكة يتضمن التصديق والاعتقاد الجامع بأن الله تعالى ملائكة موجودون، مخلوقون من نور، وأنهم كمن صفهم - الباري سبحانه عباد مكرمون يسمعون الله الليل والنهار لا يفترون، ولا يعصنون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أسندتها الله إليهم، ويدفع الإيمان بين ورد تعبية باسمه الخاص به كهاروت وماروت، وجبريل وميلك على التفصيل، أما من لم يرد تعبيته باسمه الخاص، أو لم يشتهر بعمل معين، فيجب الإيمان بهم أجمالاً، ولم يعلم عددهم إلا الله - سبحانه وتعالى.
الإيمان بالكتاب يتضمن التصديق الجازم بأن للباري - سبحانه - كتاباً أنزله على أبنائه، وهي كلامه حقيقة وأنها نور وهدى وأنه أتّهمه حقاً وصدق وعدل، ولا يعلم عددها إلا هو - سبحانه - وأنه يجب الإيمان به جملة إلا ما يعني منها وهو التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحب إبراهيم ومنسوب به سبحانه يجب الإيمان بهانفصلاً.

الإيمان بالرسول يتضمن التصديق الجازم بأن الرج جل وعلا - أرسل رسولًا وأنبياء ورشدوا الخلق في معاشه ومعادهم، وقد أقامت حكمة اللطيف الخبير أن لا يترك خلقه سديداً ولا هملاً بل أرسل إليهم رسولًا مبشرين ومنذرين، فجنب الإيمان بن سمي الله منهم في كتابه على التفصيل، والإيمان إجمالاً بأن له تعالى - رسولًا غيرهم وأنبياء لا يحبهم إلا هو - سبحانه - تعالى و تعالى و يختص آخرهم وسيدتهم نبينا محمد ﷺ باعتقاد عموم رسالته وشمولها لكل أحد وكمالها دون تطرق النقص إليها وبقائها إلى أن يبرث الله الأرض ومن عليها.

الإيمان بالقدري يتضمن التصديق الجازم بأن كل خير وشر فوهضياء الله تعالى وقدرته، وأنه جل وعلا - الفعال لما يبرد لا يكون شيء في هذا الكون إلا بإرادة، ولا يخرج عن مشتته وليس في العالم شيء يخرج عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن قدره، ولا يتجاوز الإنسان ما خط له في اللوح المحفوظ، وهو الذي خلق العباد وأفعالهم من طاعات ومعاصي، ومع ذلك أموره ونهجاهم وجعلهم مختارين لجميع أعمالهم وليسوا مجاعين عليه، بل تقع بقدرتهم وإرادتهم يهدى من يشاء برحمة، ويسهم من يشاء بحكمة لا يسأل عما يفعل وما يفعلون.

الإيمان باليوم الآخر يتضمن التصديق الجازم بكل ما أخبر الله به عن هذا اليوم الذي توفي فيه كل نفس ما كسبت، وتصديق النبي ﷺ فيما أخبر به مما يكون بعد الموت من الحشر والبشر والمحفصات والميزان والحساب والجزاء والضرائب والحضرة والشفاعة، وفترة القبر وعذابه ونعيمه، والجنة والنار، وما أعد الله لأهلهم فيهما.

القول الراجح أن عدد النفخات ثلاث: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البهث، كما صرح بذلك القرآن، فيجب الإيمان بالنفخ في الصور الذي جعله الله سبب الفزع، والصعق والقيام من القبور، كما يجب الاعتقاد الجازم بأن الذي يعيد الله عند البهث هو هذا الجسد بعيده الذي أطع وعصى، فنعيمه وعذبه، كما ينعم الروح التي
آمنت بعينها، ويعذب التي كفرت بعينها لا أنه - سبحانه - يخلق روحًا آخر غير هذه فينعمها ويعذبها كما قال من لم يعرف المعاد الذي أخبرته به الرسول حيث زعم أن الله - سبحانه - يخلق بدنًا غير هذا البدن من كل وجه عليه يقع السماح والفقر ووالروح عنه عرض من أعراض البدن فيخلق روحًا غير هذه الروح ببدنًا غير هذا البدن وهذًا غير ما اتفقت عليه الرسول، ودل عليه القرآن والسنة وسائر كتاب الله تعالى (1).

31 - الجنة والنار مخلوقتان أبديتان لا تنفيان ولا تبديدان ومن ذم أنهم يفنين فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة. تلك هي نتائج البحث والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات وصلى الله على نبينا محمد وعلى آل قلبه وسلم.

(1) الفوائد لابن القمي ص 8.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>اسم المسلسل</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>1</td>
<td>إبراهيم بن أحمد بن عمر بن شاقلا البزار الحنبلي</td>
</tr>
<tr>
<td>76</td>
<td>إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج</td>
</tr>
<tr>
<td>409</td>
<td>أبي بن كعب الصحابي الجليل</td>
</tr>
<tr>
<td>72</td>
<td>أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية</td>
</tr>
<tr>
<td>39</td>
<td>أحمد بن علي بن محمد الكخاني - ابن حجر العسقلاني</td>
</tr>
<tr>
<td>407</td>
<td>أحمد بن علي الرازي الحنفي - المعروف بالخصاص</td>
</tr>
<tr>
<td>557</td>
<td>أحمد بن عمر بن إبراهيم - أبو العباس القرطبي</td>
</tr>
<tr>
<td>587</td>
<td>أحمد بن فارس بن زكريا القزواني الرازي</td>
</tr>
<tr>
<td>27</td>
<td>أحمد بن محمد بن حنبل بن هلا بن أسد الشيقاني</td>
</tr>
<tr>
<td>24</td>
<td>إسماعيل بن عبد الرحمن الشهير بأبي عثمان الصابوني</td>
</tr>
<tr>
<td>142</td>
<td>إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي</td>
</tr>
<tr>
<td>46</td>
<td>إسماعيل بن عمر بن كثير - عماد الدين</td>
</tr>
<tr>
<td>149</td>
<td>بشر بن غياث المريسي</td>
</tr>
<tr>
<td>53</td>
<td>الجعد بن درهم</td>
</tr>
<tr>
<td>393</td>
<td>جمال الدين القاسي</td>
</tr>
<tr>
<td>47</td>
<td>الحسن بن يسار البصري</td>
</tr>
<tr>
<td>675</td>
<td>الحسن بن عبد الله بن سهل - أبو هلال العسكري</td>
</tr>
<tr>
<td>386</td>
<td>الحسن بن محمد بن عبد الله بن شرف الدين الطيبي</td>
</tr>
<tr>
<td>398</td>
<td>الحسن بن مسعود الفراء الغزبري</td>
</tr>
<tr>
<td>362</td>
<td>محمد بن محمد أبو سليمان الخطابي</td>
</tr>
<tr>
<td>270</td>
<td>رفع بن مهران الرياحي البصري - أبو العالية</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحة</td>
<td>اسم</td>
</tr>
<tr>
<td>--------</td>
<td>-----</td>
</tr>
<tr>
<td>22</td>
<td>سعيد بن جبر الأسدي</td>
</tr>
<tr>
<td>23</td>
<td>سليمان بن الأشعث - أبو داود السجستاني</td>
</tr>
<tr>
<td>24</td>
<td>سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب</td>
</tr>
<tr>
<td>25</td>
<td>سهل بن عبد الله النصري</td>
</tr>
<tr>
<td>26</td>
<td>شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي</td>
</tr>
<tr>
<td>27</td>
<td>عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي</td>
</tr>
<tr>
<td>28</td>
<td>عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنابل</td>
</tr>
<tr>
<td>29</td>
<td>عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ</td>
</tr>
<tr>
<td>30</td>
<td>عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدو</td>
</tr>
<tr>
<td>31</td>
<td>عبد الرحمن بن عمر بن يحمر الأوزاعي</td>
</tr>
<tr>
<td>32</td>
<td>عبد الجبار بن أحمد الهمداني</td>
</tr>
<tr>
<td>33</td>
<td>عبد الحق بن غالب - الشهير باب عطية المحاربي</td>
</tr>
<tr>
<td>34</td>
<td>عبد العزيز بن يحيى الكناني</td>
</tr>
<tr>
<td>35</td>
<td>عبد الكريم بن هوانز الفشري</td>
</tr>
<tr>
<td>36</td>
<td>عبد الله بن سبت</td>
</tr>
<tr>
<td>37</td>
<td>عبد الله بن عمر بن علي الشيرازي</td>
</tr>
<tr>
<td>38</td>
<td>عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني</td>
</tr>
<tr>
<td>39</td>
<td>عبد الله بن محمد بن أبي شيبة</td>
</tr>
<tr>
<td>40</td>
<td>عبد الله بن مسلم بن ختية الدينوري</td>
</tr>
<tr>
<td>41</td>
<td>عبد الله بن سعيد بن كلاب</td>
</tr>
<tr>
<td>42</td>
<td>عثمان بن جبي الموصلي - أبو الفتح</td>
</tr>
<tr>
<td>43</td>
<td>عثمان بن سعيد الدارمي</td>
</tr>
<tr>
<td>44</td>
<td>عطاء بن أبي رباح أسفل الفرشي</td>
</tr>
<tr>
<td>45</td>
<td>علي بن أحمد الواحدي</td>
</tr>
<tr>
<td>46</td>
<td>علي بن إسماعيل بن إسحاق - أبو موسى الأشعري</td>
</tr>
<tr>
<td>47</td>
<td>علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحة</td>
<td>الاسم</td>
</tr>
<tr>
<td>---------</td>
<td>------</td>
</tr>
<tr>
<td>100</td>
<td>عمار بن شراحيل الشعيبي</td>
</tr>
<tr>
<td>304</td>
<td>عياض بن مربس بن عياض بن عمرو البصري</td>
</tr>
<tr>
<td>50</td>
<td>غيلان بن مسلم الدمشقي</td>
</tr>
<tr>
<td>51</td>
<td>قنادة بن دعامة السدوسيدأ</td>
</tr>
<tr>
<td>111</td>
<td>المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري</td>
</tr>
<tr>
<td>120</td>
<td>مجاهد بن جبر - أبو الحجاج المخزومي</td>
</tr>
<tr>
<td>259</td>
<td>محمد بن إبراهيم آل الشيخ</td>
</tr>
<tr>
<td>36</td>
<td>محمد بن أبي بكر بن أبي بكر بن سعد الزرعي الدمشقي - ابن القيم</td>
</tr>
<tr>
<td>181</td>
<td>محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القروطي</td>
</tr>
<tr>
<td>43</td>
<td>محمد بن أحمد بن قايمز - الشهرة الذهبية</td>
</tr>
<tr>
<td>134</td>
<td>محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي</td>
</tr>
<tr>
<td>100</td>
<td>محمد بن أحمد بن سالم السفاري</td>
</tr>
<tr>
<td>585</td>
<td>محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة الأموي</td>
</tr>
<tr>
<td>61</td>
<td>محمد بن إدريس الشافعي</td>
</tr>
<tr>
<td>22</td>
<td>محمد بن إسحاق بن خزيمة</td>
</tr>
<tr>
<td>299</td>
<td>محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني</td>
</tr>
<tr>
<td>31</td>
<td>محمد بن جبريل الطبري</td>
</tr>
<tr>
<td>304</td>
<td>محمد بن الحسن بن محمد الثقاش</td>
</tr>
<tr>
<td>51</td>
<td>محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الأجري</td>
</tr>
<tr>
<td>98</td>
<td>محمد بن السائب بن بشير بن عمرو الكلبي</td>
</tr>
<tr>
<td>554</td>
<td>محمد بن عبد الله بن محمد المعاذ - أبو بكر بن العربي</td>
</tr>
<tr>
<td>255</td>
<td>محمد بن عبد الوهاب</td>
</tr>
<tr>
<td>705</td>
<td>محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة</td>
</tr>
<tr>
<td>241</td>
<td>محمد بن علي بن محمد الشوكاني</td>
</tr>
<tr>
<td>47</td>
<td>محمد بن عيسى بن سورة الزمردي</td>
</tr>
<tr>
<td>733</td>
<td>محمد بن يزيد بن عبد الأكبر النمل - الشهر بالمبرد</td>
</tr>
<tr>
<td>اسم</td>
<td>صفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>-------------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزي آبادي</td>
<td>117</td>
</tr>
<tr>
<td>معبد بن عبد الله بن عويم المهني</td>
<td>500</td>
</tr>
<tr>
<td>ماهر بن المشي - أبو عبيدة</td>
<td>398</td>
</tr>
<tr>
<td>مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي</td>
<td>410</td>
</tr>
<tr>
<td>مالك بن أنس بن مالك</td>
<td>41</td>
</tr>
<tr>
<td>منصور بن العزيز الله - المعروف بالحاكم العبدي</td>
<td>277</td>
</tr>
<tr>
<td>النعمان بن ثابت التيمي أبو حنيفة</td>
<td>40</td>
</tr>
<tr>
<td>هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري - اللالكاني</td>
<td>81</td>
</tr>
<tr>
<td>هشام بن محمد بن أبي النضر بن السائب الكلبي</td>
<td>403</td>
</tr>
<tr>
<td>وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني</td>
<td>82</td>
</tr>
<tr>
<td>همام بن غالب اليماني - الشهير بالفرزدق</td>
<td>83</td>
</tr>
<tr>
<td>يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف - أبو الحجاج المعزى</td>
<td>84</td>
</tr>
</tbody>
</table>
نُصَنِّف المصادر والمراجع

1- الإبانة عن أصول الديانة:
   أبو الحسن الأشعري (ت730) ط: الجامعة الإسلامية 1976 م.

2- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجميلة:
   أبو عبد الله محمد بن أبي بكر - بن قوم الجوزية (ت871) هـ دار المعرفة - بيروت.

3- الاحتجاج بالقدر:
   الشيخ الإسلام - أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - ت(782) هـ المكتب الإسلامي.

4- أحكام القرآن:
   أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف - بن العربي - ت(543) هـ دار المعرفة - بيروت لبنان.

5- أحكام القرآن:
   أبو بكر أحمد بن علي الرazi المعروف بالخصاص - ت(730) هـ دار الكتاب العربي - بيروت لبنان.

6- إحياء علوم الدين:
   أبو حامد محمد بن الفزالي - ت(650) هـ دار المعرفة - بيروت لبنان - 1383 هـ.

7- الاختلاف في النظف:
   عبد الله بن مسلم الدينوري - ت(763) هـ منشأة المعارف بالإسكندرية 1971 م.

8- إرشاد للفقهاء إلى اتفاق الشرائع على الوحدة والممال والبيوت:
   محمد بن علي الشوكاني - ت(1250) هـ ط: ب- دار المكتبة العلمية - بيروت لبنان.

9- أساس اللغة:
   محمود بن عمر الزمخشري الخوازيمي - ت(858) هـ دار صادر بيروت - 1399 هـ.

10- أسس التفسير في علم الكلام:
   محمد بن عمر بن الحسن الرازي - ت(676) - القاهرة مطبعة الحضري - 1354 هـ.

11- أسباب النزول:
   علي بن أحمد الوفي - ت(484) هـ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

مباحث المقدمة م 46
12- الأسماء والصفات.
أحمد بن الحسين البهيجي -ت(458) هـ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

13- الإشارات والتبنيات.
أبو علي الحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا -ت(727) تحقيق سليمان دنيا القاهرة - دار المعارف - 1950 م.

14- الإصابة في تمييز الصحابة.
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني -ت(852) هـ دار الكتاب العربي - بيروت لبنان.

15- الأصناص.
أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكحلي -ت(220) هـ تحقيق أحمد زكى - الدار القومية القاهرة - 1347 هـ.

16- أصول الدين.
أبو القاهر البغدادي -ت(429) هـ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

17- أصول الدين.
محمد بن عبد الكريم البزودي -ت(493) هـ تحقيق - هانز بيرنر - دار إحياء الكتب العربية 1383 هـ.

18- الأصول الثلاثة.
الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1206) هـ المكتبة السلفية - المدينة المنورة.

19- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.
محمد الأمين بن محمد المختار - 1 - مطبعة المدني - 1384 هـ.

20- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.
محمد بن عمر بن الحسن الرزاز -ت(606) هـ تحقيق علي سامي النشار - دار الكتب العلمية - 1386 هـ.

21- الاعتقاد إلى سبيل الرشاد.
أحمد بن الحسين البهيجي -ت(458) هـ تصحيح أحمد مرسي - المطبعة العربية باكستان.

22- أعلام المؤمنين عن رب العالمين.
أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية -ت(705) هـ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

23- أعلام النبوة.
أبو الحسن علي بن محمد الساويدي -ت(500) هـ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

24- الأعلام قاموس ترجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين خير الدين الزركلي ط:3 - بيروت - 1389 هـ.
25 - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير - بابن قيم الجوزية - (151) تحقيق محمد حامد الفني - دار
المعرفة - بيروت لبنان.
26 - الاقتصاد في الاعتقاد.
أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت (505) هـ - مكتبة النجدي القاهرة - تحقيق محمد مصطفى
أبي العلاء.
27 - أقضية عصر البناء المستقيم - من خلال أصباح الجحيم.
شيخ الإسلام ابن تيمية - ت (728) هـ تحقيق محمد حامد الفني - ط 2 - مطبعة السنة المحمدية
1379 هـ.
28 - الأركان في استفادة التنزيل.
عبد الرحمن بن أبي بكر السويطي ت (911) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط 1 - سنة
1401 هـ.
29 - الأمثال في القرآن الكريم.
محمد بن أبي بكر - الشهير بابن قيم الجوزية - ت (751) هـ - ط 2 - دار الفكر للطباعة والنشر.
30 - إملاك مباني الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن.
أبو البقاء عبد الله بن الحسين المكجيري ت (116) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.
31 - الأم الشافعي.
محمد بن إدريس الشافعي ت (204) هـ - المطبعة الناصية إلاميرية القاهرة - 1321 هـ.
32 - الإنسان في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية.
عبد الكريم الخطيب ط 1 - دار الفكر العربي - 1979 م.
33 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المسمى تفسير البيضاوي).
عبد الله بن عمر الشريازي البيضاوي ت (685) هـ - دار الفكر - 1402 هـ.
34 - إثارة الحق على الخلقي.
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوزير ت (440) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.
35 - الإيمان.
شيخ الإسلام ابن تيمية - ت (728) هـ - ط 2 - المكتب الإسلامي.
(ب)
36 - البحر المحيط.
محمد بن يوسف الشهير - بابي حبان - الأندلسية الفيرواني - ت 754 - هـ - دار الفكر - لبنان
1401 هـ.
774

37 - بدع القوائدة.
محمد بن أبي بكر - الشهير بابن القيم - (751 هـ - المطبعة المنيرية).

38 - البدر الطالع بمحاسن القرن التاسع.
محمد بن علي الشوكاني - (150 هـ - مطبعة السعادة مصر - 1348 هـ).

41 - البداية والنهية.
أبو الفداء - إسماعيل بن عمر الشهير بابن كثير - (774 هـ - مكتبة المعارف - بيروت 1977).

44 - بذل المجهد في حل أبي داود.
الشيخ خليل أحمد السهاري نوري - (1447 هـ - شركة الطباعة العربية - الرياض).

41 - بصاص ذوي التمييز في لائحة الكتابة العزيرة.
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - (817 هـ - المكتبة العلمية - بيروت - لبنان).

42 - بعيزة الوعظ في طبقات اللغوين والنحو.
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - (911 هـ - مطبعة البابي الحلي في - 1384 هـ).

43 - بين الفلأسفة والكلاميين.
محمد عبد - تحقيق سليمان دنيا - دراسات الكتاب العربي.

44 - تأويل مختلف الحديث.
عبد الله بن مسلم الدينوري - الشهير بابن قتيبة - (727 هـ - دار الكتاب العربي - بيروت).

45 - تارت العروض من جواهر القاموس.
محمد مرتبة الزيدي - (120 هـ - مختارات دار الأفاق الجديدة - بيروت - لبنان).

46 - تاريخ الأصر والملوك.
أبو جعفر محمد بن جبر المطيري - (210 هـ - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار سويدان بيروت - لبنان).

47 - تاريخ بغداد.
أبو بكر أحمد بن علي الخطيبي - (413 هـ - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - دار سويدان بيروت - لبنان).

48 - تاريخ ايل خلدون.
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضري المغربي - (808 هـ - مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت).

49 - تاريخ الجمجمة والمعزولة.
محمد جمال الدين الفاسي - (2132 هـ - 1 هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان).
فهرس المصادر والمراجع

50 - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين.
أبو المظفر الإسفرايني: (717 هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت. عالم الكتب - بيروت - 1403 هـ.

51 - النبيان في أقسام القرآن.
للعلامة ابن الفقيه (75 هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

52 - أيوب بن كذب المفتي.
علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (571 هـ) دمشق مطبعة التوفيق - 1347 هـ.

53 - تجريد التوحيد المفيد.
أحمد بن علي المقرزي (745 هـ) المطبعة المنزية - 1373 هـ.

54 - تحرفة الأحريدي شرح جامع الترمذي.
محمد عبد الرحيم بن عبد الرحيم المباركفوري (753 هـ) القاهرة - مطبعة الفجالة.

55 - تحرفة المرعدي شرح جوربة التوحيد.
إبراهيم بن محمد البيجوري (777 هـ) دار الكتب العربية - بيروت - لبنان - 1403 هـ.

56 - التحفة المهدية شرح التدمرية.
الشيخ فلاح بن مهدي آل مهدي - مطابع القضيب - الرياض ط: 1 سنة 1365 هـ.

57 - تحمية القولاني.
الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (739 هـ) مطابع الجامعة الإسلامية - 1404 هـ.

58 - التخويف من النار والترعيف بحال دار البار.
عبد الرحمن بن سعيد بن النحاس (759 هـ) مكتبة دار البيان - ط: 1 سنة 1399 هـ.

59 - ذكراء الحفاظ.
أبو عبد الله محمد بن أحمد الزهري (748 هـ) دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ.

60 - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.
أبو عبد الله محمد بن أحمد دار فرج الأنصاري القرطبي (716 هـ) دار الفكر بدون تاريخ.

61 - التسهيل لعلوم التنزيل.
محمد بن أحمد بن جزي الكلي (741 هـ) دار الكتب العربي - بيروت - لبنان.

62 - تضيير الاعتقاد عن أدران الإله.
محمد بن إسماعيل الأمير الصماني (742 هـ) مطبعة دار نشر الثقافة بالإسكندرية - 1397 هـ.

63 - التعريفات (للجرجاني).
علي بن محمد الجرجاني (816 هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
فهرس المراجع والمصادر

٦٤ - تفسير أبي السعود:
محمد بن محمد العمادي (٩٥١ هـ - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - القاهرة).

٦٥ - تفسير أسامة الله الحسني:
أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (١٣١١ هـ) تحقيق أحمد يوسف الدقاق.

٦٦ - تفسير غريب القرآن:
أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (١٧٦٢ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - تحقيق أحمد صقر.

٦٧ - تفسير القرآن العظيم:
عماد الدين ابن كثير (٧٧٤ هـ) تحقيق عبد الله عبد الله حسن - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٣٨٩ هـ.

٦٨ - تفسير القرآن الحكيم - الشهرب تفسير المئار.
محمد رشيد ضياء - دار المعرفة - بيروت.

٦٩ - التفسير الكبير.
لإمام ابن القيم - جمعه محمد أويش الدودي - تحقيق محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٧٠ - تفسير النسفي.
اللفرخ الرازي (٢٠٦ هـ) تحقيق عبد الرواه عبد اللطيف - مطبعة دار الكتاب العربي مصر.

٧١ - تفسير النسفي.
عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي (٧١٠ هـ) تحقيق عبد الرواه عبد اللطيف - بيروت - لبنان.

٧٢ - تقرير التهذيب.
لمحافظ ابن جعفر السيقاني (٨٥٢ هـ) تحقيق عبد الرواه عبد اللطيف - مطبعة دار الكتاب العربي مصر.

٧٣ - تكلم شرح الصدر في ذكر أحوال البيه والقبور.
محمد بن محمد البرديسي (مخطوط) في مكتبة محمد نمر الخطيب - برقم (١٤٠٢).

٧٤ - تلخيص إيليس.
عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧ هـ) تحقيق عبد الرحمن محمد - بيروت - لبنان.

٧٥ - التمهيد لما في الموطن من المعاني والأسانيد.
أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرت (٤٦٣ هـ) تحقيق سعيد أحمد أعراب.

٧٦ - الشؤون الإسلامية المغرب - ١٤٠١ هـ.
التبنيه والرد على أهل الآهات والبدع.
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي (٣٧٧ هـ) تأليف القاهرة ١٣٦٨ هـ.

٧٧ - التوحيده للنسابوري.
سعد محمد النسابوري - مطبعة دار الكتب والوثائق القومية - ١٩٨٨ م.
酚儿 المصدر والمراع

78 - التوسل أنواعه وأحكامه.

محمد ناصر الدين الألباني ط: 2 - المكتب الإسلامي - 1397 هـ.

79 - التوصل إلى حقيقة التوسل.

محمد نسب الرفاعي ط: 2 - دار البناء للطباعة والنشر - 1399 هـ.

80 - توضيح المقاوض والم😊صحح القواعد - شرح فضيلة ابن القيم.

أحمد بن إبراهيم بن عيسى ط: 2 - المكتب الإسلامي - 1392 هـ.

71 - تهذيب تاريخ دمشق.

للحافظ علي بن الحسن بن هبة الله - المعرف بابن عساكر - ت (571) هـ - دار المسيرة.

بيروت - بلا تارخ.

82 - تهذيب التهذيب.

للحافظ ابن حجر العسقلاني ت (85) هـ - طبع مجلس دائرة المعارف - الهند حيدر آباد الدكن.

1425 هـ.

83 - تهذيب الكمال في أسماء الرجال.

للحافظ أبي الحجاج الحنيتي ت (772) هـ - تحقيق بشار عواد - مؤسسة الرسالة - ط: 2 - سنة.

1403 هـ.

84 - تهذيب اللغة.

أبومنصور الأزهري محمد بن أحمد ت (370) هـ - الدار المصرية للتأليف والترجمة.

85 - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد.

الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ت (1333) هـ - مكتب الرياض الحديث.

86 - تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان.

للسجع عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت (1371) هـ - مطبوعات الجامعة الإسلامية.

(ج)

87 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت (310) هـ - الهالي الحلي - 1388 هـ.

88 - جامع العلوم والحكم.

أبي رجب الحميتي ت (795) هـ - مكتبة الرياض الحديثة.

89 - الجامع لأحكام القرآن.

محمد بن أحمد الأنصاري القرطي ت (271) هـ - دار الكتب القاهرة - 1384 هـ.

90 - الجرح والتعديل.

للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت (327) هـ - ط: 2 - دار الكتب العلمية.

بيروت لبنان.
1 - جلالة العينين في محاكمة الأحمدين.
نعمان خير الدين الشهير بابن الألوسي -ت (1317) هـ- دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.

2 - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.
للعلامة ابن القيم (751) هـ - دار المطبعة السلفية -1400 هـ.

(ج)

3 - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.
للعلامة ابن القيم (751) هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -

4 - الحسنة والسيدة.
لشيخ الإسلام ابن تيمية (728) هـ تحقيق محمد جميل غازى - مكتبة المدينة ومطبعتها -

5 - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة.
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911) هـ - عيسى البادي الحلي وشراكه -1967 م.

6 - حيلة الأولياء وطباقات الأصباغ.
أبو نعيم أحمد بن عبد الله تالصفهاني (430) هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -

7 - الجيدة.
عبد العزيز الكتاني (240) تعليق إسماعيل الأنصاري - نشر إدارة البحوث العلمية بالرياض -

(د)

8 - خلق أفعال العباد.
للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (256) هـ - مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بالمكة -

(ب)

9 - درد تعارض العقل والنقل.
لشيخ الإسلام ابن تيمية (728) هـ تحقيق محمد رشاد سالم - ط: 1 - جامعة الإمام محمد بن سعود -1402 هـ.

10 - الدرر السنة في الأجوبة النجدية.
جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - ت، س: 1385 هـ - دار الإفتاء الرياض -

11 - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.
الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار - مطبعة المدينة - مصر - وهو وطبع مع الجزء التاسع من
أضواء البيان.

12 - دافع التفسير - لا ابن تيمية.
جمع وتحقيق محمد السيد الجلود - ط: 1 - سنة 1398 هـ - دار الأنصار بالقاهرة -
فهرس المصادر والمراجع

103 - الدرر الكامنة في عيون المائة الثامنة.
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت(852) هـ - مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند - 1372 هـ.

104 - الدور المنتشر في التفسير بالمأثور.
جلال الدين السيوطي ت(911) هـ.

105 - دلائل النبوة:
أحمد بن الحسين البهقي ت(584) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

106 - الفضائل المذهب في معرفة علماء المذهب.
إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون ت(799) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

107 - الدين الخلاص.
محمد صديق حسن الفنوقي ت(1307) هـ - مطبعة المدنى مصر - 1379 هـ.

108 - ديوان أبي العتاهية.
تأليف كرم البستاني - دار صادر.

109 - ديوان ذي الرمة.
كازيم هنري مكارتي - طبع كمبردج - 1919 م.

110 - ديوان جبرين بن عطية الخطي.
كرم البستاني - دار صادر.

111 - ديوان عنترة.
تأليف كرم البستاني - دار بيروت للطباعة والنشر - 1398 هـ.

112 - ذهب تذكرة الحفاظ.
أبو المحنين محمد بن علي الدمشقي البغدادي (745) هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

113 - الردع على الجهمية.
عثمان بن سعيد الدامري ت(680) هـ - تحقيق زهير الشاوش - المكتب الإسلامي.

114 - الردع على الجهمية والزنادة.
الإمام أحمد بن حنبلى ت(414) هـ - تحقيق عبد الرحمن عابرة - دار اللواء الرياض.

115 - الردع على المنطقيين.
الشيخ الإسلام ابن تيمية ت(728) هـ - دار المعارف للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
116 - رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء - دار صادر - بيروت.
118 - رسالة في الاعتقاد.

لهمحمد بن عبد الله بن أبي رمثين (378 هـ) مصور الجامعة الإسلامية رقم (438).

119 - الروح لابن القتيبة (1375 هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
120 - رواية المحببين لابن القتيبة (1751 هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

121 - الرسالة الشفوية.

122 - أبو القاسم الفارسي (465 هـ) مكتبة ومطبعة محمد علي صبح - القاهرة.

123 - الرسالة الشفوية.

124 - لشيخ الإسلام ابن تيمية (728 هـ) ضمن مجموعة الرسائل الكبرى - دار إحياء التراث

125 - الرسالة المستوردة.

محمد بن جعفر الكاتبي (1045 هـ) دار الفكر - بيروت - لبنان - 1400 هـ.

126 - يحيى بن شرف النجوي (1726 هـ) تحقيق عبد العزيز رباح - دار المأمون للتراث.

(س)

127 - زاد المسرح في علم التفسير.

عبد الرحمن بن الحوري (596 هـ) المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - 1385 هـ.

128 - زاد المعاد في هدي خير العباد.

للإمام ابن القتيبة (751 هـ) مطبعة مصطفى الباقي الجلبي مصبر - 1390 هـ.

(س)

129 - سليمان بن الأعشش السجستاني (770 هـ) مطبعة 1: سنة 1371 هـ.

130 - سليمان الترمذي.

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (179 هـ) مطبعة المدني - مصر.

131 - سليمان الدارمي.

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (255 هـ) دار إحياء السنة النبوية.

132 - سنين أبي داود.

133 - سنين الترمذي.

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (179 هـ) مطبعة المدني - مصر.

134 - سنين الدارمي.

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (255 هـ) دار إحياء السنة النبوية.

135 - سنين أبو ماجة.
فهرس المصادر والمراجع

ابوبكر الله محمد بن يزيد الفوزي ت (175 هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - آدار إحياء التراث العربي - 1395 هـ.

132 - السنن النسائي:
أحمد بن شعيب بن علي الساقي ت (303 هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

133 - السنة - لعبد الله بن الإمام أحمد (290 هـ).
تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

134 - السيرة النبوية:
أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحجري ت (218 هـ) تحقيق جماعة من العلماء - دار الكتب المصرية - بيروت.

135 - سير أعلام النبلاء.
محمد بن أحمد الزهبي ت (748 هـ) تحقيق شعب الأرنؤوط وحسن الأسد़ي - طبعة مؤسسة الرسالة - 1401 هـ.

(ش)

136 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكة.
محمد بن محمد مخلوف - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

137 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

138 - شذرات البلاتين من طيات كلمات سلفنا الصالحين.
تحقيق محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة 1375 هـ.

139 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.
أبو القاسم: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ت (418 هـ) دار طباعة الرياض -.

140 - شرح الأصول الحسنة.
عبد الجبار بن أحمد الهذائي ت (15 هـ) مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة 1384 هـ.

141 - شرح حديث النزول.
لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (728 هـ) المكتب الإسلامي - ط: 5 سنة 1397 هـ.

142 - شرح الطحاوية.
للعلامة ابن أبي العز الحنفي ت (793 هـ) المكتب الإسلامي - ط: 4 سنة 1391 هـ.

143 - شرح العقيدة الإصفهانية.
لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (728 هـ) القاهرة - دار الكتب الحديثة - 1385 هـ.

144 - شرح العقائد النسية.
سعد الدين الطفاناني ت (793 هـ) المطبعة الخيرية بمصر - بلا تاريخ.
ـ 145 - شرح الفقه الأكبر
لملا علي القاري - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط: 1 سنة 1404 هـ.
ـ 146 - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر.
للعلامة ابن القيم ت(751) هـ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
ـ 147 - شرح المواقف:
علي بن محمد الجرجاتي ت(816) هـ - ط، دار السعادة بجوار محافظة مصر - 1325 هـ.
ـ 148 - شرح سن أبي داود.
للعلامة ابن القيم ت(751) هـ، وهو مطبوع على حاشية عون المعبر ط: 2 سنة 1388 هـ - الناشر.
عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية.
ـ 149 - شرح النوروي على صحيح مسلم.
بيحى بن شرف النوروي ت(767) هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان.
ـ 150 - الشريعة.
لا بكر محمد بن الحسن الإجري ت(760) هـ، هت: د - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

(ص)

ـ 151 - صحيح البخاري.
أبو عبد الله محمد بن إسحاق البخاري (262) هـ - دار إحياء الكتب العربية البابي الحلي.
وشكarak.
ـ 152 - صحيح مسلم.
أبو الحسن مسلم بن الحجاج الفشيري النسبوري ت(211) هـ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ط،
البابي الحلي - 1374 هـ.
ـ 153 - صحيح ابن خزيمة.
محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي ت(311) هـ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ط، المكتب
الإسلامي - الطبعة الأولى - 1390 هـ.
ـ 154 - صحيح الجامع الصغير.
محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - 1392 هـ.
ـ 155 - الصحيح للجامع.
إساميل بن حماد الجوهرتي ت(733)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطارط ط: 2 سنة 1399 هـ،
طبع على نفقة حسن عباس الشربانى.
ـ 156 - صفة الصوفي.
أبو الفرج عبد الرحمن بن الجووزي ت(579) هـ، تحقيق محمد فاخر - محمد قلعة -
مطبعة النهضة الحديثة - القاهرة سنة 1390 هـ.
فهرس المصادرين والمراجع

157 - صيانة الإنسان عن وسومة الشيخ دحلان
محمد بشير الشهرواني الهندي ت (1326 هـ - المطبعة السلفية ومكتبة هـ ـ سنة 1378 هـ).

(ض)

158 - الضوء النلام لأهل القرن التاسع
محمد عبد الرحمن السحاوي ت (902 هـ - منشورات مكتبة الحياة - بيروت - لبنان)

(ط)

159 - طبقات الحفاظ للسبوطي
عبد الرحمن بن أبي بكر (911 هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان).

160 - طبقات الحافية.
محمد بن أبي يعلى ت (526 هـ - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان).

161 - طبقات الشافعية الكبرى.
عبد الوهاب بن عبد الكافي السبكي ت (771 هـ - تحقيق محمود طناجي وعبد الفتاح محمود الحلو - مكتب الباب الحليبي وشركاه - 1384 هـ).

162 - الطبقات الكبرى لأبي سعد.
محمد بن سعد (1230 هـ - دار صادر - بيروت - لبنان بدون تاريخ).

163 - طريق الهجرتين وباب السعادتين.
للعلامة ابن القيم ت (751 هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان).

(ع)

164 - عارضة الأجصي بشرح الترمذي.
للعلامة ابن العربي المالكي ت (443 هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان).

165 - العودية.
شيخ الإسلام ابن تيمية ت (768 هـ - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - لبنان).

166 - العقيدة الواسطية.
شيخ الإسلام ابن تيمية معشرح له محمد خليل هراس - طبع الجامعة الإسلامية - لبنان.

167 - عقيدة الفرق الناجية أهل السنة والجماعة.
للشيخ محمد بن عبد الوهاب ت (1267 هـ - المكتب الإسلامي - ط: 2 سنة 1391 هـ).

168 - عقيدة السلف وأصحاب الحديث.
أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ت (449 هـ - ضمن مجموعة الرسائل المنبرية - الناشر محمود أمين دمج - بيروت - لبنان - بدون تاريخ).
المقام الإسلامي:

السيد سابق - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

العلماء:

للإمام الذهبي (748 هـ) مطبعة العاصمة بالقاهرة - بدون تاريخ.

علماء تجد خلال سنة قرون.

عبد الله بن عبد الرحمن البسام ط 1 سنة 1398 هـ - مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة.

- عملية اليم والليلة:

أبو بكر السني (374 هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان 1399 هـ.

- عيون المجد في تاريخ نجد:

تأليف عثمان بن بشر النجدي الحنبلي (1288 هـ) - مكتبة الرياض الحديثة.

- عيون المعبد شرح سنن أبي داود:

أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ط 2 سنة 1388 هـ - الناشر مهدي محمد الحسن الكتبي.

(ع)

غاية العرام في علم الكلام.

تأليف سيف الدين الأحمدي (131) - تحقيق حسن محمد عبد اللطيف - مطبوع الأهرام التجارية القاهرة 1391 هـ.

(ف)

فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

لبنى حجر العسفاني (582) درجة السلبية ومكتبة القاهرة 1382 هـ.

- الفتح الرباني مع شرح بالغ الأحمدي:

أحمد عبد الرحمن البناء - دار الشهاب - القاهرة - بدون تاريخ.

- الفتح القدير:

محمد بن علي الشوكاني (1250) دار المعرفة - بيروت - لبنان.

- تفتح المجيد شرح كتاب التوحيد:

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (1285) طبع إدارات البحوث العلمية - بالرياض 1403 هـ.
181 - الفرق بين الفرق:
عبد القاهر البغدادي (ت 429هـ) - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مكتبة محمد علي
صبه - القاهرة

182 - الفرق في اللغة:
الحسن بن عبد الله بن سهل - المعروف بأبي هلال العسكري (ت 1393هـ)
همشواريات دار الأفاق - بيروت - لبنان.

183 - الفتوى الحموية الكبرى:
شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) - تحقيق محمد بن أحمد بن حزم الظاهري (ت 466هـ) - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

184 - الفصل في الملل والأهواء والتحلي:
أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت 466هـ) - تحقيق محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت 466هـ) - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

185 - الفوائد:
للعلامة ابن القيم (ت 751هـ) - المكتبة القوية - بدون تاريخ.

186 - الفوائد الهية في تراجم الحنافية:
محمد عبد الحي البكيري المهاجرين - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

187 - فوات الوفيات والذيل عليها:
محمد بن شاكر الكثبي (ت 713هـ) - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بدون تاريخ.

188 - الفهست:
لابن النديم (ت 285هـ) - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

(ق)

189 - قصة عيون المحدثين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين:
الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت 1280هـ) - مكتبة الرياض الحديثة.

190 - القاموس المحلي:
محمد الدين محمد بن بعقوب الفيروز آباد (ت 817هـ) - دار الجيل - بيروت - لبنان.

191 - قواعد الأحكام في مسائل الأئمة:
للعلامة الرازي عبد السلام (ت 666هـ) - مكتبة الكليات الأزهرية 1388هـ.

(ك)

192 - الكبائر:
للإمام الذهبي (ت 748هـ) - مطبعة الاستقامة - القاهرة - 1381هـ.

193 - كتاب التوحيد وإثبات صفات الرسول عز وجل:
لابن خزيمة (ت 311هـ) - تحقيق محمد خليل هراس - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
194 - كتاب الزهد:
للإمام أحمد بن محمد بن حنبيل (241 هـ) مكتبة وقبة 1400 هـ.

195 - كتاب العرش وما ورد فيه:
محمد بن عثمان بن أبي شيبة (279 هـ) مصور الجامعة الإسلامية - رقم (659) مجموع 1.

196 - الكشف عن حقائق التزيل:
محمد بن عمر الزمخشري (388 هـ) بالله الحليم - الطبعة الأخيرة 1392 هـ.

197 - كشف الشهادات (من مجموعات التوحيد):
للشيخ محمد بن عبد الوهاب (206 هـ) مكتبة الرياض الحديثة.

198 - كشف الطائفة عن أساليب الكتب والفنون:
مصطفى عبد الله الشهير حاجي خليفة - مكتبة المشي - بيروت.

199 - الكافية الشافية في الانتصار لفرقته الناجية:
للعلامة ابن القيم (751 هـ) مطبعة التقدم العلمية - مصر 1344 هـ.

200 - كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطيئة والآثار - المشهور بالخطى المفهومة:
أحمد بن علي المقدسي (745 هـ) دار صادر - بيروت، بدون تاريخ.

201 - كلمة الإخلاص لا يحب ت (790 هـ) المكتب الإسلامي.

202 - الكتاب المقدس المتضمن كتب العهد القديم والجديد.
دار الكتاب المقدس - القاهرة.

203 - الكايب في ضفاء الرجال:
عبد الله بن عدي الجرجاني (375 هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

204 - الكامل في التاريخ:
أبو الحسن علي بن محمد - الشهير بن أبي بكر (130 هـ) دار صادر - بيروت.

205 - الكواشف الجليلة عن معاني الواسطة.
عبد العزيز محمد السلمان ط: 4، بدون تاريخ.

206 - الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة:
نجم الدين الغزيري (1061 هـ) تحقيق جبريل سليمان جيرو- منشورات دار الآفاق الجديدة.
ط: 2 سنة 1979 م.

(ل)

207 - اللباب في تهذيب الأنساب:
أبو الحسن علي بن محمد - الشهير بن أبي بكر (130 هـ) دار صادر - بيروت.

208 - اللباب في تهذيب الأنساب:
علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (245 هـ) المكتبة التجارية بمصر.
214 - مبادئ الإسلام:
أبو الأعلى الصدودي - مؤسسة الرسالة - 1397 هـ.

215 - منشأة القرآن:
عبد الجبار بن أحمد (1411) هـ تحقيق عبد نور زرور - القاهرة - دار التراث - 1379 م.

216 - مجاز القرآن:
أبو عبيدة محمود بن المشك الرازي (211) هـ ـ مكتبة الخانجي - دار الفكر.

217 - مجموعة التوحيد لا بن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب - المكتبة السلفية.

218 - مجموعة التوحيد:
للشيخ محمد بن عبد الوهاب (1206) هـ - مكتبة الرياض الحديثة.

219 - مجموعة الرسائل الكبرى:
الشيخ الإسلام بن تيمية (728) هـ - دار إحياء التراث العربي.

220 - مجموعة الرسائل المنيرية:
إدارة الطباعة المصرية سنة 1434 هـ الناشر محمد أمين دمغ - بيروت.

221 - مجموعة الرسائل والمسائل:
لشخ الإسلام بن تيمية - مطبعة المنار - مصر - الطبعة الأولى - 1341 هـ.

222 - مجموعة الزوايا ومنبع الفوائد:
علي بن أبي بكر البهذمي (707) هـ ـ دار الكتب العربي - بيروت لبنان 1402 هـ.

مباحث العقيدة 47
٢٢٣ - محاوّل التأويل: محمد جمال الدين الفاسي (١٣٣٢) هـ - دار الفكر - بيروت.

٢٢٤ - محاوّل أفكار المقدرين والمتأخرين: محمد بن عمر الرازي (٥٦) مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - مراجعة عبد الرؤوف.

٢٢٥ - خصصيرة الرسول: عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ط: القاهرة - المطبعة السلفية - ١٣٩٦ هـ.

٢٢٦ - خصصيرة الصواعق المرسلة: للعلامة ابن القيم - (٤٥١) هـ - مكتبة الرياض الحديثة.

٢٢٧ - خصصيرة منهج السنة: أبو عبد الله محمد بن عثمان النجمي (٧٤٨) هـ - مكتبة دار البحرين - تحقيق محب الدين الخطب.

٢٢٨ - خصصيرة الصلاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٦٦٦) هـ - دار الكتب العربية - بيروت- لبنان.

٢٢٩ - المخصص لأبي سيدة: أبو الحسين علي بن إسماعيل النحوي (٧٣٣) هـ - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة.

٢٣٠ - مدارج السالكين: للعلامة ابن القيم (٥١) هـ - دار الفكر - تحقيق محمد حامد الفقي.

٢٣١ - مراثب الإجماع: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان.

٢٣٢ - المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النسابوري (٤٠٥) هـ.

٢٣٣ - المصالح المتبل: أحمد بن محمد بن علي المقري الفومي (٧٥٠) هـ - المكتبة العلمية - بيروت- لبنان.

٢٣٤ - المصنف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٥٣) هـ - الدار السلفية بومباي - الهند - ط: ١ - سنة ١٤٠٣ هـ.

٢٣٥ - معجم البلدان: شباه الدين - بانوت بن عبد الله الحموي الرومي (١٢٩) هـ - دار صادر - بيروت.

٢٣٦ - معجم الإباء: أبو عبد الله بانوت بن عبد الله الحموي الرومي - دار إحياء التراث العربي - بيروت- لبنان.

٢٣٧ - المعجم الصغير للطراني: سليمان بن أحمد بن أبو بكر الطبراني (٣٦٠) هـ - المكتبة السلفية - ط: ١.
فهرس المراجع

240 - المعجم الكبير:
سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرياني ت (320) هـ - مطبعة الأمة بغداد - تحقيق عبد الحميد السلفي.

241 - المعجم الوسيط:
إخراج إبراهيم أليس وأخرين (2194) هـ - القاهرة الهيئة العامة للكتاب 1391 هـ.

242 - المعجم مقاس اللغة:
أبو الحسن أحمد بن فارس ت (395) هـ - البابي الحلي 1390 هـ.

243 - معجم المؤلفين تراجم مصني الكتب العربية:
عمرو ضا كحالة - دار إحياء التراث العربي - لبنان بيروت.

244 - معجم الآلاب في مناهج الحق والصواب:
حسن بن مهدي النعمي ت (167) هـ - مكتبة المعارف الرياض.

245 - معايير القبول:
الشيخ حافظ بن أحمد حكيم (24) - المطبعة السلفية ومكنبتها.

246 - معايير التراث والسماح بترجمته:
أبو محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ت (516) هـ - المكتبة التجارية الكبرى مصر.

247 - معايير السنن:
الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ت (388) هـ - دار الحديث للطباعة - بيروت - لبنان 1388 هـ.

248 - المعلقات السبع مع شرحها:
الحسن بن أحمد الزروзи - دار الصدر - بيروت - لبنان.

249 - مفتاح دار السعادة:
للعلامة ابن القيم ت (751) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

250 - مقالات الإسلام وخلاف المسلمين:
أبو الحسن الأشعرى ت (320) هـ - مكتبة النهضة المصرية.

251 - المنظم في أخبار الملوك والأمراء:
أبي الفرج بن الجوزي ت (57) هـ - دار الثقافة بيروت - لبنان.

252 - منهج السنة النبوية:
الشيخ الإسلام ابن تيمية ت (726) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
253 - المنجد في اللغة والاعلام
دار المشرق - بيروت - ط: 22 تاريخ 1972 م.
254 - المناهج في شعب الإيمان
أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحنفي ت(342) هـ - سنة 1399 هـ
255 - موارد العلماء إلى زوائد ابن حبان
نور الدين علي بن أبي بكر الهشمي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
265 - الموطأ
للإمام مالك بن أنس ت(179) هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان 1405 هـ.
257 - المواقف في علم الكلام
عبد الرحمن الأبنجي ت(756) هـ - عالم الكتب - بيروت.
258 - ميزان الاعتدال
محمد بن أحمد الدمحي ت(748) هـ - تحقيق علي محمد التجاوي - دار المعرفة - بيروت - لبنان
(ن)
259 - النواة
الشيخ الإسلام ابن تيمية ت(728) هـ - دار القلم بيروت - لبنان.
260 - النجم الزاهي في ملك مصر والقاهرة
جمال الدين يوسف بن تحيي بردي ت(114) هـ - دار الكتب - 1391 هـ.
261 - نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية ت(728) هـ - مطبعة الحكومة ببكة - 1391 هـ.
262 - نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية
مكتبة السنة المحملية - تجميع محمد حامد الفقي.
263 - نهاية الأدب في فنون الأدب
أحمد بن عبد الوهاب النورتي ت(733) هـ - دار الكتب المصرية - 1342 هـ.
264 - النهاية في غريب الحديث والأثر
لابن الأثير الجزي ت(106) هـ - المكتبة الإسلامية.
265 - النهاية لابن كثير
ت(774) هـ - مؤسسة النور - الرياض - 1388 هـ.
266 - نيل الوطرين تراجع رجال اليمن في القرن الثالث عشر
محمد بن محمد زيارة - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - 1342 هـ.

267 - هيدي الساري مقدمة فتح الباري
للحافظ ابن حجر العسقلاني ت(852) هـ - المطبعة السلفية ومكتبتها.
الهديسة السنة النبوية الورابي النجدي:
جمع وتتبيط الشيخ سليمان بن سهان النجدي - مكتبة التوفيق.

إسماعيل باشا البغدادي - منشورات مكتبة المشتية بيروت.

(و)

الواابل الصيام على الكلم الطيب.

المعلاء ابن القيم (751 هـ) الط: 4. المطبعة السلفية ومكتبة ه 1398 هـ.

وفيات الأعيان وآباء أبناء الزمان.

أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (1281 هـ)البابي الحكيم - سنة 1310 هـ.

(ز)

الوثيقة الأصولية.

عبد الرحيم بن الجنوري (797 هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد - مطبعة السعادة مصر.

1386 هـ.

(ك)

بيقعة أوريق الاعتبار.

صديق حسن خان (1307 هـ) مطبعة الامتياز - سنة 1398 هـ.
# الفهرس الموضوعات

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المقدمة</td>
<td>5</td>
</tr>
<tr>
<td>سبب اختيار البحث</td>
<td>10</td>
</tr>
<tr>
<td>منهج البحث</td>
<td>12</td>
</tr>
<tr>
<td>خطة البحث</td>
<td>13</td>
</tr>
</tbody>
</table>

## الباب الأول

دلالة السورة على الإيمان بالله تعالى
- الفصل الأول: دلالة السورة على توحيد الأسماء والصفات
- الموضوع الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات
- أربعة أمور ينبغي أن تعلم نحو أسماء الرَّب جل وعلا

المبحث الثاني: إثبات صفة العلول والوقوفية بنص القرآن والسنة والإجماع
- الدليل الفطري على علول الله تعالى ووقوفه على جميع إخلقه
- الدليل العقلي على علول الله تعالى ووقوفه على جميع المخلوقات
- ذكر بعض شبه الجمجمة في نفي صفة العلول وإبطالها

المبحث الثالث: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق
- أول من أحدث القول بخلق القرآن
- مذهب السلف في صفة الكلام
- مذهب الفلاسفة والمتكلمين والرد عليهم
- مذهب الجهمية في صفة الكلام
- مذهب المعتزلة في صفة الكلام وبيان بطلانه
فهم الموضوعات

23 مذهب الكلابية
24 مذهب الأشاعرة
26 مذهب الكرامية
27 مذهب السالمية
27 مذهب الإتحادية والحلولية
28 الواجب على المسلم اعتقاده في صفة الكلام

المبحث الرابع: إثبات صفة العزة

صفة العزة لها ثلاثة معان
صفة العزة تقسم إلى قسمين من حيث إضافتها إلى الله - عز وجل -
دلال السنة على إثبات صفة العزة

المبحث الخامس: إثبات صفة الحكمة - للباري جل وعلا -

الحكمة نواعان

82 إجماع المسلمين على أن الله تعالى موصوف بالحكمة.

آراء الناس في صفة الحكمة وبيان الراجح منها

المبحث السادس: تنزيه الله تعالى من نسبة الولد إليه

91 قول بعض مشركي العرب أن الملائكة بنات الله وبيان بطلانه
97 رد دعوى اليهود في أن عزيزاً ابن الله
100 إبطال دعوى النصارى في أن عيسى ابن الله

المبحث السابع: إثبات صفة الوجدانية والقرع - لله جل وعلا -

المبحث الثامن: إثبات صفة الرحمة والمغفرة - للباري تعالى -

الرحمة قسمان: عامة، وخاصة

الرحمة المضافة إلى الله تعالى نواعان

شبهة الجمعية والمعتزلة في تفهم صفة الرحمة وإبطالها من وجه

تأويل الأشعرية لصفة الرحمة بإرادة الإحسان والرد عليه

المبحث التاسع: إثبات صفة الغني لله تعالى

إبطال قول الفلسفية في أن علة افتقار الخلق إليه - سبحانه - في حال الإحداث فقط
ذكر بعض الأحاديث الدالة على أن الله تعالى متصف بصفة الغني ........................................... 136
المبحث العاشر: إثبات صفة الرضا رد على أبي علي العبادي في استدلاله بقوله تعالى: {ولا يرضى عباده الكفر) على أن العباد يخلق أنفعاله ........................................... 142
الرد على المؤلفين بصفة الرضا بالإرادة ........................................... 145
المبحث الحادي عشر: إثبات صفة العلم رد الإمام عبد العزيز الكتاني المكي على بشر المريسي في نفيه صفة العلم ........................................... 146
الحجة الفلاسفة في صفة العلم وبيان بطلانه ........................................... 150
دلالة السنة والعقل على إثبات صفة العلم - للباري جلا وعلا - ........................................... 151
المبحث الثاني عشر: بيان معنى اسمه تعالى {الوكيل} اختلاف المعترض في في نقل أنه تعالى {وكيل} على قولين والرد عليهم ........................................... 153
المبحث الثالث عشر: إثبات صفة اليدين للباري - جلا وعلا - ابن عبد البر ينقل إجماع أهل السنة على الإقرار بصفات الله - عز وجل الواردة في الكتب والسنن على وجه الحقيقة ومنها صفة اليدين ........................................... 159
مذهب المشهود في صفة اليدين وبيان بطلانه شرعاً وعقلاً ........................................... 169
مذهب المعزولة والأشكال في صفة اليدين وبيان بطلانه من وجه سبعة ........................................... 171
الفصل الثاني: دلالة السورة على توحيد العبادة ........................................... 175
المبحث الأول: تعريف توحيد العبادة العبادة لا بد أن يتحقق فيها أمران ........................................... 177
المبحث الثاني: وجوب إقرار الله تعالى بتوحيد العبادة ........................................... 178
المبحث الثالث: أهمية الإخلاص في توحيد العبادة معنى الإخلاص في اللغة ........................................... 185
حقيقة الإخلاص في الشرع تأكيد السنة على أهمية الإخلاص ........................................... 186
كيف يستطيع الإنسان تحقيق الإخلاص ........................................... 187
المبحث الرابع: عبودية الدعاء وتعريفه لغة وشرعاً

195 يجب على الإنسان أن يعلم أن كل ما به من نعمة فن عن الله

197 إسناد الإنسان نعم الله إلى نفسه من علامة الخذلان.

198 الدعاء في القرآن الكريم نوعان دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

200 تزئين الشيطان لبعض المسلمين دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم.

203 المقصود بزيارة الشرعية للمقابر أمران.

206 دلالة السنة على أن الدعاء عبادة لا يستحقها إلا الله تعالى.

208 السبب الذي جعل بعض المسلمين يدعون من لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً.

210 من الأموات وغيرهم.

215 الدعاء من أوضح صور العبادة فلا يجوز صرفه لغير الله تعالى كائنًا من كان.

المبحث الخامس: عبودية الخوف وتعريفه لغة وشرعاً.

216 الفرق بين الرجل والخوف والخشية والرهبة.

220 أنواع الخوف.

221 دلالة السنة على أن الخوف لا يكون إلا من الله ولا يصرف لأحد سواه.

244 المبحث السادس: عبودية الرجاء وبيان حقائقه لغة واصطلاحاً.

246 اختلاف العلماء في أي يكون الغائب على العبد الخوف أم الرجاء.

248 حك الله جميع عباده في أن يتبعوه بالرجاء وحده لا شريك له.

252 من أحب مخلوقاته مثل محبة الله تعالى فهو مشرك.

254 دلالة السنة على عبودية الرجاء.

240 رد العلامة ابن القيم على بعض الصوفية الفائنين على الرجاء وقوع في الرعونة.

241 المطلب من العبد أن يمضي حياته بين الخوف والرجة.

المبحث السابع: انقسام العبودية إلى عامة، وخاصة.

المبحث الثامن: الإسلام دين جميع الانبياء والرسل.

المبحث التاسع: بيان الطاغوت الذي أوجب الله على عباده أن يجتنيوه.

معنى الطاغوت لغة واصطلاحاً.

405 رؤوس الطوافيات خمسة.

الصور التي إن فعلها الحاكم في حكمه أخرجته من الملأ.
المبحث العاشر: عبودية الأئمة وتعريفها لغة وشرعاً
المبحث الثاني عشر: عبودية التوكيل وتعريفه لغة واصطلاحاً
المبحث الحادي عشر: عبد الله نواع، منظمة، منفية، وشبيهة
المبحث الثالث عشر: الشفاعة نواع، منظمة، منفية، وشبيهة
الفصل الثالث: دلالة السورة على توحيد الروبية
الفصل الأول: تعريف توحيد الروبية
الفصل الثاني: دلائل توحيد الروبية من السورة
الآيات الدالة على عبودية التوكيل
النواحي على الله نواع
فضل التوكيل على الله تعالى
النواحي على الله تعالى
النواحي على الله تعالى
نفي الشفاعة لأهل الكبار والرذ الهم
أنواع الشفاعة المبتهلة
دلالة السنة على ثبوت الشفاعة لأهل الكبار
الشفاعة لا تزال إلا بترحيد الله رب العالمين
الرسول بعثنا جميعاً للدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة
خلق السماوات والأرض
تعاقب الليل والنهار
تسخير الشمس والقمر لهيئة مصالح العباد ومناقبهم
فهرس الموضوعات

1. خلق تعالى بني آدم من نفس واحدة
2. تذكر العباد بمرحلة التكوين في الأرحام
3. الإستدلال بخلق الأزواج الثمانية من الأنعام على ربوتيه تعالى
4. إنزال المطر وإنبات النبات
5. تصرف تعالى في شؤون خلقه
6. يشأ تعالى الرزق لمن يشاء وتضحيه على من يشاء
7. مقاليد السموات والأرض بيد سبحانه وتعالى

المبحث الثالث: إقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسول بوجود الله تعالى

المبحث الرابع: ما جاء في السورة بشأن الشرك

المبحث الأول: تعريف الشرك

المبحث الثاني: أنواع الشرك الذي هو أعظم ذنب عصي الله به

المبحث الثالث: أصل الشرك في بني الإنسان وبيان سببه

المبحث الرابع: دم الإنسان على جعله أناداً لله تعالى

معنى الند

ذكر بعض أنواع المعبدت التي عبدت من دون الله تعالى
المبحث الخامس: الفرق بين المشرك والموحد
المبحث السادس: التحذير من الشرك وبيان أنه محظٍ للعمل
الدعاوى عند الله تعالى ثلاثة
بيان التشبيه للمشرك في قوله تعالى: {ومن يشرك بالله فكأنما خرج من السماء}
أجناس الظلم الثلاثة
لماذا كان الشرك بالله أظلم وأقبح الفيح

الباب الثاني
دلالة السورة على وجب الإيمان بالملائكة والكتب والرسل والقدر
الفصل الأول: دلالة السورة على وجب الإيمان بالملائكة
المبحث الأول: تعريف الملائكة ومن أي شيء خلقوا؟
الملائكة أقدرهم الله على التشكل بأشكال مختلفة
كيفية الإيمان بالملائكة
المبحث الثاني: ذكر بعض أعمال الملائكة التي أتبت بهم
الفصل الثاني: دلالة السورة على وجب الإيمان بالكتب
المبحث الأول: كيفية الإيمان بالكتب السابقة
دلالة السنة على وجب الإيمان بالكتب
المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالقرآن
القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي ضمن الله حفظه دون سائر الكتب السماوية
بيان القرآن تحريف اليهود والنصارى للتوتر والإنجيل
ذكر بعض الأدلة التي تؤكد تحريف الكتب التي يأبدي اليهود والنصارى حالياً
الفهرس الموضوعات

الفصل الثالث: دلالة السورة على وجوه الإيمان بالأنبياء والرسل

المبحث الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالأنبياء السابقين

أولو العزم من الرسل

المبحث الثالث: كيفية الإيمان بمحمد ﷺ

ذكر بعض معجزاته ﷺ الدالة على صدقه

المبحث الرابع: ما يجب للرسول وما يجوز عليهم

المبحث الخامس: موضوع الرسائل السماوية التبشير والإندز

الفصل الرابع: دلالة السورة على وجوه الإيمان بالقدر

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر ومعنى الإيمان بذلك

المبحث الثاني: بيان المبتدعة الذين نازعوا في القدر والرد عليهم

المبحث الثالث: دلالة سورة الزمر على مراتب القدر الأربع

مرتبة الكتابة

مرتبة المشيئة

مرتبة خلق الله ﷺ سبحانه وتعالى أعماله وتكوينه وإيجاده لها

العباد فاعلون حقيقة والله خالق أعمالهم

أقوال الناس في أفعال العباد الإختيارية

القول الرافع في مسألة خلق أفعال العباد

المبحث الرابع: ما يتعلق بالهدية والضلالة في السورة

بيان أن أعظم نعمة يتلها العباد هي الهدية وأعظم مصية يصاب بها هي مصية

الضلالة

لا سبيل إلى وجود الهدية للعبد إلا بعد هدية الله ﷺ للهديه أربع مراتب

هديه التوفيق والإلهام

الهديه قسمان: قسم لا يقدر عليه إلا الله تعالى وقسم مقدر للعبد
الباب الثالث

dalāʿ al-ṣurra ʿalā waqūb al-ʿīman bil-yīm al-ʿakhīr

al-fusl al-ḥarīm: mabāhith fī al-yīm al-ʿakhīr qāl duḥūl al-jānīt wa-l-nār

tamīmīd

altirībāt al-ḥarīm: al-nafūkh fī al-ṣūr wa-munānā fī al-lughāt wa-l-istilāḥāt

munī al-ṣūr

al-nafūkh al-tāriq fī al-ṣūr thalāth

al-nafūkh al-ḥarīm fī al-ṣūr al-ʿarbaʿah

al-nafūkh al-sāḥiq fī al-ṣūr as-rūḥ

al-nafūkh al-ṣāḥiyāt: nafī al-nafūkh al-ṣāḥiyāt

al-nafūkh al-ṣāḥiyāt: nafī al-nafūkh al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt

al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣāḥiyāt, al-nafī al-ṣात,
<table>
<thead>
<tr>
<th>الفهرس الموضوعات</th>
<th></th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المبحث الرابع: إحاطة النار بأهلها وشدة عذابها</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الخامس: صفات أهل النار وبيان أصنافهم أعداً لنا منهم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث السادس: أبدية النار ودوام عذابها</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الثالث: الجنة دار المتقين</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>تمهيد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الأول: كيفية دخول أهل الجنة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الثاني: أبواب الجنة وعددها، وذكر أسماء بعضها</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>سعة أبوابها</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مقدار المسافة التي تكون بين كل بابين</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مفتاح الجنة ولا إلا الله</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الثالث: خزنة الجنة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الرابع: أرض الجنة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الأعمال أسباب في دخول الجنة أثمان وأعراض</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>صفة أرض الجنة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الخامس: صفات أهل الجنة التي يتميزون بها عن غيرهم في الدنيا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث السادس: غرف الجنة، وقصورها، وأنهارها</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>غرف الجنة وصفتها</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>قصور الجنة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أنهار الجنة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث السابع: أبدية الجنة ودوام نعيمها</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المبحث الثامن: وجوب الإيمان بالعرش وأنه سقف الجنة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الخاتمة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الفهارس</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>فهرس الأعلام المرجع لهم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>فهرس المصادر والمراجع</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>فهرس الموضوعات</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>